



اهداءات ٢٠٠٦

الدكتور / القطيب محمد طلبة

القاهرة

كتاب الشعب

نفس القرآن العظيم

للحافظ ابن كثير

٧٧٤-٧٠٠ هـ

تحقيق

عبد العزيز غنيم محمد أرمغانور محمد إبراهيم البنا

المجلد الثالث

١٥

الشعب

دار النشر: دار الشؤون الثقافية
٢٠١٠

رواه مسلم وأهل السنن سوى الترمذي ، من طرق ، عن أبي عمران الجوني ، عن عبد الله بن الصامت ، به : ورواه أبو داود وابن ماجه ، من طريق حماد بن زيد ، عن أبي عمران ، عن المثنى بن طريف ، عن عبد الله بن الصامت ، عن أبي خمر ، بنحوه .

قال أبو داود : ولم يذكر المثنى في هذا الحديث غير حماد بن زيد (١) .

وقال ابن مردويه : حدثنا محمد بن علي بن دحيم ، حدثنا أحمد بن حازم ، حدثنا قبيصة بن عقبة ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن ربيعي قال : كنا في جنازة حذيفة ، فسمعت رجلا يقول : سمعت هذا يقول في ناس : « ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، لئن اقتنم لأنتظرن إلى أقصى بيت في دارى ، فكلّا كجنته ، فلئن دخل على فلان لأقولن : ها ، بو بالى وإللك ، فأكون خير أئمة آدم .

وقوله : (لئن أريد أن تبوء بالى وإللك ، فتكون من أصحاب النار ، وذلك جزاء الظالمين)

قال ابن عباس ، وعجابه ، والضحاك ، وقادة والسدى ، في قوله : (لئن أريد أن تبوء بالى وإللك) ، أى : يا لم تقتل وإللك الذى عليك قبل ذلك .

قال ابن جرير :

وقال آخرون : « يعنى ذلك لئن أريد أن تبوء بخطيئى ، فتتحمل وزرها ، وإللك في قتلك لى : وهذا قول وجده من جهاد ، وأعشى أن يكون خطأ ، لأن الصحيح من الرواية عنه خلافه . (٢) »

يعنى : ما رواه سفيان الثوري ، عن منصور ، عن جهاد : (لئن أريد أن تبوء بالى) [قال : يقتلك لى] (وإللك) قال : « ما كان منك قبل ذلك »

وكذا روى عيسى [ابن أبي نجیح] ، عن جهاد ، مثله : وروى شبل عن ابن أبي نجیح ، عن جهاد : (لئن أريد أن تبوء بالى وإللك) ، يقول : (لئن أريد أن يكون عليك خطيئى ودى ، فتبوء بها جميعا .

قلت : وقد يتوهم كثير من الناس هذا القول ، ويذكرون في ذلك حديثا لأصل له : ما ترك القاتل على المقتول من ذنب . وقد روى الحافظ أبو بكر البزار حديثا يشبه هذا ، ولكن ليس به ، قال :

حدثنا عمرو بن علي ، حدثنا عامر بن إبراهيم الأصمعي ، حدثنا يعقوب بن عبد الله ، ، حدثنا حنيفة بن سعيد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قل الصبر لا يمر بذبب إلا عناه »

وهذا بهذا يصح ، ولو صح فعناه أن الله يكفر عن المقتول بأثم القتل ذنوبه ، فأما أن يحمل على القاتل فلا : ولكن قد يفتق هذا في بعض الأشخاص ، وهو الغالب فإن للمقتول يطالب القاتل في العرصات فيؤخذ له من حسنة بقدر مظلمته فإن نصبت ولم يستوف حقه أخذ من سيئات المقتول فطرح على القاتل ، فربما لا يبقى على المقتول خطيئة إلا وضعت

(١) سنن أبي داود ، كتاب الفتن ، ١٠١/٤ وينظر ابن ماجه ، كتاب الفتن ، الحديث ٢١٠٨ / ٢ / ١٢٠٨ .

(٢) تفسير الطبري : ٢١٦/١٥ .

على القاتل : وقد صرح الحديث بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في المظالم كلها ، والقتل من أعظمها وأشدّها ، والله أعلم ؛

وأما ابن جرير فقال : والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن تأويله : إني أريد أن تنصرف بخطيتك في قتلك إياي - وذلك هو معنى قوله : (إني أريد تبوء بائسي) [وأما معنى] (وإنك) فهو إثمه بغير (١) قتله ، وذلك بمعصيته الله عز وجل في أعمال سواء :

وإنما قلنا ذلك هو الصواب ، لإجماع أهل التأويل عليه ، وأن الله عز وجل ، أخبرنا أن كل عامل فجزاء عمله له أو عليه ، وإن كان هذا حكمه في خلقه ، فغير جائز أن تكون أئات المقتول مأخوذاً بها القاتل ، وإنما يؤخذ القاتل بأثمه بالقتل المحرم وسائر أئات معاصيه التي ارتكبتها بنفسه دون ماركبه قتله .

هذا (٢) نقتله ثم أورد سؤالا ، حاصله : كيف أراد هابيل أن يكون على أخيه قابيل إثم قتله وإثم نفسه ، مع أن قتله له حرم ؟ (٣) وأجاب بما حاصله أن هابيل أخبر عن نفسه بأنه لا يقتل أخاه إن قاتله ، بل يكف يده عنه ، طالما - إن وقع قتل - أن يكون من أخيه لا منه .

قلت : وهذا الكلام متضمن موعظة لو انتظ ، وجزا له لو اتزجر ، ولما قال : (إني أريد أن تبوء بائسي وإنك) أي : [تتحمل إثم وإنك] فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين .

وقال ابن عباس : خوفاً للنار فلم يته ولم يترجر :

وقوله تعالى : (فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين) ، أي : فحسنت وسوكت له نفسه ، وشجعت على قتل أخيه فقتله ، أي : بعد هذه الموعظة وهذا الزجر .

وقد تقدم في الرواية عن أبي جعفر الباقر ، وهو محمد بن علي بن الحسين : أنه قتله عبيدة في يده :

وقال السدي ، عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة ، عن عبد الله ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم (فطوعت له نفسه قتل أخيه) فطلبه ليقتله ، فراغ الغلام منه في رموس الجبال ، فأتاه يوماً من الأيام وهو يرمي ضياء له ، وهو قائم فرغ صخرة ، فشدخ بها رأسه فأت ، فتركه بالعركاء . - رواه ابن جرير (٤)

(١) في الموطوعة : « فهو إثمه بئس قتله » . والمثبت عن تفسير الطبري : ٢١٧/١٠ .

(٢) تفسير الطبري : ٢١٦/١٠ ، ٢٢٧ .

(٣) عبارة ابن جرير أوضح ، وفوردها بتمامها لكي يفهم المقصود منها ، قال في : ٢١٧/١٠ :

« فإن قال قائل : أوليس قتل المقتول من بني آدم كان معصية لله من القاتل ؟ .

قيل : بل ، وأصلها معصية ؟ .

فإن قال : « فإن كان لله عز وجل معصية ، فكيف جائز أن يريه ذلك منه المقتول ، ويقول : « إني أريد أن تبوء بائسي » ، وقد ذكرت أن تأويل ذلك : إني أريد أن تبوء بإثم قتل ؟ .

قيل : معناه : إني أريد أن تبوء . بإثم قتل إن قتلت ، لأن لا أتأك ، فإن أدت فتنتي ، فاني مرید أن تبوء بإثم مصيبتك الله في قتلك إياي . وهو إذا قتله ، فهو لا محالة ياديه في حكم الله ، فإرادته ذلك غير موجهة له الدعوى في الخطأ .

(٤) تفسير الطبري : ٢٢١/١٠ ، ٢٢٢ .

وعن بعض أهل الكتاب : أنه قُتل عتقا وعصيا ، كما تَكُنُّلُ السباع وقال ابن جرير : « أراد أن يقتله جبل يلوى حصه فأنشد إبليس دابة ووصح رأسها على حجر ، ثم أخذ حجرا آخر فغرب به رأسها حتى قتلها ، وابن آدم ينظر ، فعمل بأخيه مثل ذلك » .

رواه ابن أبي حاتم ؛

وقال عبد الله بن وهب ، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، عن أبيه قال : أخذ برأسه ليقتله ، فاشتعل له ، وجعل يعض رأسه وعظامه ولا يدري كيف يقتله ، فجاءه إبليس فقال : أتريد أن تقتله ؟ قال : نعم . قال : فخذ هذه الصخرة فاطرحها على رأسه . قال : فأتخذها ، فأتناها عليه ، فشنخ رأسه . ثم جاء إبليس إلى حواء مسرعا ، فقال : يا حواء ، إن قابيل قتل هابيل . فقالت له : ويحك . أي شيء يكون القتل ؟ قال : لا يأكل ولا يشرب ولا يصحرك . قالت : ذلك الموت . قال : فهو الموت . فجعلت تصيح حتى دخل عليها . آدم وهي تصيح ، فقال : مالك ؟ فلم تكلمه ، فرجع إليها مرتين ، فلم تكلمه . فقال عليك الصيحة وعلى بناتك ، وأنا وبينى منها برآء .

رواه ابن أبي حاتم .

وقوله : (فأصبح من الخاسرين) ، أي : في الدنيا والآخرة ، وأتى خسارة أعظم من هذه ؟ . وقد قال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ووكيع قالوا : حدثنا الأعمش ، عن عبد الله بن مرة ، عن مسروق ، عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تَكُنُّلُ نفس ظلي ، إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها ، لأنه كان أول من سن القتل (١) » .

وقد أخرجه الجماعة (٢) سوى أبي داود من طرق ، عن الأعمش ، به ؛

وقال ابن جرير : حدثنا القاسم ، حدثنا الحسين ، حدثني حجاج قال : قال ابن جريج : قال مجاهد : « عُلِّقَتْ إحدى رجلي القتيل بساقها إلى فخلها من يومئذ [إلى يوم القيامة] ، ووجهه في الشمس حيثما دلوت دار ، عليه في الصيف حظيرة من نار وعليه في الشتاء حظيرة من لُجج — قال : وقال عبد الله بن عمرو : إنا لنجد ابن آدم القتيل يقاسم أهل النار قسمة صبيحة الغلاب ، عليه شطر عنايبهم (٣) » .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن حكيم بن حكيم : أنه حدث عن عبد الله ابن عمرو أنه كان يقول : إن أشقى أهل النار رجلا ابن آدم الذي قتل أخاه ، ماسفك دم في الأرض منذ قُتِلَ أخاه إلى يوم القيامة ، إلا لحق به منه شر ، وذلك أنه أول من سنَّ (٤) القتل ؛

(١) مسند أحمد : ٣٨٢/١ .

(٢) البيهقي : ، كتاب الأنبياء : ١٦٢/٤ ، وسلم ، كتاب القسمة : ١٠٧/٥ . وثقة الأحرش ، كتاب العلم : ٤٣٦/٧ . والنسائي ، كتاب التحريم : وابن ماجه ، كتاب القيمات الحديث : ٢٦١٦ / ٨٧٢/٢ .

(٣) تفسير الطبري : ٢٨١/١٠ .

(٤) المصدر السابق : ٢١٩/١٥ .

وقال إبراهيم النخعي : « ما من مقتول يقتل ظلما ، إلا كان على ابن آدم الأول والشیطان كيف منه » .

رواه ابن جرير (١) أيضا :

وقوله تعالى : (فبث الله غربا يبحث في الأرض ، ليريه كيف يورثه سواة أخيه ، قال : يا ويلتي : أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأورثه سواة أخى ؟ . فأصبح من التامنين) .

قال السلي باستاده المتقدم إلى الصحابة : لما مات الغلام تركه بالعراء ، ولا يعلم كيف يلدن ، فبث الله غربا بين اثنين ، فاقتلا ، فقتل أحدهما صاحبه ، فحضره ثم حتى عليه . فلما رآه قال : (يا ويلتي . أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب ، فأورثه سواة أخى ؟) (٢) .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قال : جاء غراب إلى غراب ميت ، فبحثت عليه من التراب حتى وراه ، فقال الذي قتل أخاه : (يا ويلتي . أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأورثه سواة أخى) . (٣)

وقال الضحاك ، عن ابن عباس : مكث يعمل أخاه في جراب على عاتقه سنة ، حتى بحث الله الغرابين ، فراهما يبحنان ، فقال : (أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب) فلفن أخاه (٤) .

وقال ليث بن أبي سليم ، عن مجاهد : وكان يحمله على عاتقه مائة سنة ميتا ، لا يدري ما يصنع به بحمله ، ويضعه إلى الأرض حتى رأى الغراب يلدن الغراب ، فقال : (يا ويلتي ، أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب ، فأورثه سواة أخى ، فأصبح من التامنين) . رواه ابن جرير وابن أبي حاتم .

وقال عطية العوفي : « لما قتل تدم ، فوضه إليه حتى أروح ، وعكفت عليه الطيور والسياب تنتظر متى يرمى به فأكله » . رواه ابن جرير (٥) .

وقال محمد بن إسحاق ، عن بعض أهل العلم بالكتاب الأول : « لما قتل سقط في يديه ، ولم يدرك كيف يورثه . وذلك أنه كان ، فإذ يزعمون ، أول قتل في بني آدم وأول ميت » ، (فبث الله غربا يبحث في الأرض ليريه كيف يورثه سواة أخيه قال : يا ويلتي . أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأورثه سواة أخى فأصبح من التامنين) - قال : وزم أهل الثورة أن قتيلا قتل أخاه هابيل ، قال له الله عز وجل : يا قين ، أين أخوك هابيل ؟ قال : قال : ما أدري ما كنت عليه وقيا . فقال الله : إن صوت دم أخيك لينادي من الأرض ، والآن أنت ملعون من الأرض التي فتحت فاهها فبعت دم أخيك من يدك ، فإن أنت عملت في الأرض ، فإنها لا تعود تعطيك حرثها حتى تكون فرحا تأنها في الأرض .

وقوله : (فأصبح من التامنين) ، قال الحسن البصري : علاه الله بئدامة بعد خسراته .

(١) تفسير الطبري : ٢٢٥/١٠ .

(٢) المصدر السابق : ٢٢٦/١٠ .

(٣) المصدر السابق : ٢٢٧/١٠ .

فهذه أقوال المفسرين في هذه القصة ، وكلهم متفقون على أن هذين ابنا آدم لصلبه ، كما هو ظاهر القرآن ، وكما
 نقل به الحديث في قوله : « ... إلا كان على [ابن آدم] الأول كَيْفَلٌ من دمها ، لأنه أول من سن القتل ؛ وهذا
 ظاهر جليّ ، ولكن قال ابن جرير :

حدثنا [ابن] وكيع ، حدثنا سهل بن يوسف ، عن عمرو ، عن الحسن - هو البصري - قال : « كان الرجلان اللذان
 في القرآن ، اللذان قال الله : (وائل عليهما يا ابني آدم بالحق) من بني إسرائيل ، ولم يكونا ابني آدم لصلبه ، وإنما كان
 الثريان في بني إسرائيل ، وكان آدم أول من مات » (١) .
 وهذا غريب جدا ، وفي إسناده نظر .

وقد قال عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن ابني آدم عليه السلام
 شُرَيَّا هذه الأمة مثلا فخلوا بالخير منهما » (٢) .

ورواه ابن المبارك ، عن عاصم الأحرول ، عن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله ضرب
 لكم ابني آدم مثلا ، فخلوا من خيرهم ودهروا للشر » (٣) .
 وكلنا أرسل هذا الحديث بكر بن عبد الله المزني ، روى ذلك كله ابن جرير .

وقال سالم بن أبي الجعد : لما قتل ابن آدم أخاه ، مكث آدم مائة سنة حزينا لا يضحك ، ثم أتى قبيلا له : حيّاك الله
 ويبيّاك . - أي : أضحكك

رواه ابن جرير (٤) ، ثم قال : حدثنا ابن حميد ، حدثنا سلمة ، عن غياث بن إبراهيم ، عن أبي إسحاق المسداني
 قال : قال حل بن أبي طالب : لما قتل ابن آدم أخاه ، بكاه آدم فقال :

تَغَيَّرَتِ الْبِلَادُ وَمَنْ عَلَيْهَا فَكَوُنَ الْأَرْضُ مُغْرًا قَبِيحًا
 تَغْيَرُ كُلُّ ذِي لَوْنٍ وَمَطْمٍ وَقُلُّ بِشَاشَةِ الرَّجُلِ لِلْبَيْحِ

فأجيب آدم عليه السلام :

أَبَا حَابِلٍ قَدْ قُتِلَا جَمِيعًا وَصَارَ لِي كَالْيَتِيمِ الْزَلِيلِ
 وَجَاءَ بِشْرَةٌ قَدْ كَانَ مِنْهَا عَلَى خَوْفٍ فَجَاءَهَا يَتَصِيحُ

(١) تفسير الطبري : ٢٢٨/١٠

(٢) المصدر السابق : ٢٢٠/١٠

(٣) المصدر السابق : ٢٠٩/١٠

والظاهر أن قابيل حوَّجِل بالعقوبة ، كما ذكره مجاهد بن جبير : « أنه علق ساقه بفخذيه يوم قتل ، وجعل الله وجهه إلى الشمس حيث دارت عقوبة له وتكليلاً به » . وقد ورد في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مامن ذنب أبشر أن يعجل الله عقوبته في الدنيا مع ما يدعّر لصاحبه في الآخرة ، من البني وقطيعه الرحم (١) » . وقد اجتمع [ق] فعل قابيل هذا وهذا ، فإنا لله وإنا إليه راجعون :

مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٥٥﴾ إِنَّمَا يَزِيدُ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَسُوءُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يَقْتُلُوا أَوْ يَسْلُبُوا أَوْ يَنْقُطِعُوا أَرْجُلَهُمْ وَارْتِلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُقْتَلُوا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لِمَنْ يَزِي فِي الدُّنْيَا وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٥٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْرَأَ طَلْعَهُمْ فَأَلَّوْا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٧﴾

يقول تعالى : (من أجل) قَتَلَ ابن آدم أعماه ظلمًا وعلوانًا : (كتبنا على بني إسرائيل) ، أي : شرعنا لهم وأعلمناهم (أنه من قتل نفسًا بغير نفس أو فساد في الأرض ، فكأنما قتل الناس جميعًا ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعًا) ، أي : ومن قتل [نفسًا بغير نفس أو فساد في الأرض ، واستحل قتلها بلا سبب ولا جناية ، فكأنما قتل] الناس جميعًا ، لأنه لا فرق هذه بين نفس ونفس ، (ومن أحياها) أي : حرم قتلها واعتقد ذلك ، فقد سلم الناس كلهم منه بسلام الاعتبار ، ولما قال : (فكأنما أحيا الناس جميعًا) :

وقال الأعشى وغيره ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : دخلت حل عثمان يوم الدار قُتِلت : جئت لأنصرك وقد طاب الضرب يا أمير المؤمنين . قال : يا أبا هريرة ، أيسرك أن تقتل الناس جميعًا وإياي معهم ؟ قلت : لا : قال : فانك إن قتلت رجلاً واحداً فكأنما قتل الناس جميعاً ، فانصرفت مأذوناً لك ، مأجوراً غير مأزور . قال : فانصرفت ولم أقاتل (٢) .

وقال حل بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : هو كما قال الله تعالى : (من قتل نفسًا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً) ، وإحيائها : ألا يقتل نفساً حرماً الله ، فذلك الذي أحيا الناس جميعاً ، يعني : أنه من حرم قتلها [إلا] بحق ، حيي الناس منه (٣) . وهكذا قال مجاهد : (ومن أحياها) أي : كف عن قتلها .

(١) سنن أبي داود ، كتاب الأدب : ٤٩٠٢ ، ٢٧٦/٤ . وابن ماجه ، كتاب الزهه ، الحديث ٤٢١١ : ١٢٤٠٨/٢ . وصححه عنه من أبي بكره : ٣٨ ، ٣٧/٥ .

(٢) استدل حبان ، رضي الله عنه - كما ترى - بهذه الآية على وجهة نظره في إثبات الكف من القتال ، وقد كان يستطيع أن يصحح العكس لو شاء ، فإن الآية تعلل بمفهومها على إباحة قتال المفسدين في الأرض ، غير أنه آثر أن يقي فيها خير للأمة ، وإن كان فيها إرادة لله ، رضي الله عنه .

(٣) تفسير الطبري : ٢٣٥/١٠ .

وقال العوفي عن ابن عباس ، في قوله : (فكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا) يقول : من قتل نفسًا واحدة حرمها الله ، فهو مثل من قتل الناس جميعًا^(١) .

وقال سعيد بن جببر : من استحل دمَ مُسْلِمٍ فكأنما استحل دماء الناس جميعًا ، ومن حرم دم مسلم فكأنما حرم [دماء] الناس جميعًا .

هذا قول ، وهو الأظهر ، وقال عكرمة والعوفي ، عن ابن عباس : « من قتل نبيًا أو إمامًا هكذا ، فكأنما قتل الناس جميعًا ، ومن شذَّ على عَصَدِ نبي أو إمام عدل ، فكأنما أحيأ الناس جميعًا » . رواه ابن جرير^(٢) .
وقال مجاهد في رواية أخرى عنه : « من قتل نفسًا بغير نفس.. فكأنما قتل الناس جميعًا » وذلك لأنه من قتل النفس لله النار ، فهو كما لو قتل الناس كلهم .

وقال ابن جريج ، عن الأعمش ، عن مجاهد في قوله : (فكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا) : « من قتل النفس المؤمنة متعمداً » جعل الله جزاءه جهنم ، وغضب الله عليه ولعنه ، وأعد له عذاباً عظيماً ، يقول : لو قتل الناس جميعاً لم يرد على مثل ذلك الطاب » .

قال ابن جريج : قال مجاهد (ومن أحيأها فكأنما أحيأ الناس جميعاً) قال من لم يقتل أحداً فقد حيَّي الناس معه وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : « من قتل نفساً فكأنما قتل الناس » يعني : قد وجب عليه التقصاص ، فلا فرق بين الواحد والجماعة (ومن أحيأها) أي : صفا من قاتل وليه ، فكأنما أحيأ الناس جميعاً » . وحكى ذلك عن أبيه ، رواه ابن جرير^(٣) .

وقال مجاهد - في رواية : (ومن أحيأها) أي : أحيأها من غرق أو حرق أو هلكه ،

و قال الحسن وتادة في قوله : (أنه من قتل نفساً بغير نفس أوفساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً) هذا تعظيم لما على القتل - قال قتادة : عظَّم الله وزرها ، وعظم الله أجرها .

وقال ابن المبارك ، عن سلام بن مسكين ، عن سليمان بن علي الرضي قال : قلت للحسن : « هذه الآية لنا يا أبا سعيد ، كما كانت لبني إسرائيل ؟ قال : إي واللي لا إله غيره ، كما كانت لبني إسرائيل . وما جعل دماء بني إسرائيل أكرم على الله من دمائنا (٣) ؟ »

وقال الحسن البصري : (فكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا) ، قال : وزرأ ومن أحيأها فكأنما أحيأ الناس جميعاً قال : أجزأ .

وقال الإمام أحمد : [حدثنا حسن] ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا حيَّي بن عبد الله ، عن أبي عبد الرحمن الحبلي ، عن عبد الله بن عمرو قال : « جاء حمزة بن عبد المطلب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا رسول الله ، اجعلني

(١) تفسير الطبري : ٢٣٣/١٠ .

(٢) المصدر السابق : ٢٣٧/١٠ .

(٣) المصدر السابق : ٢٣٩/١٠ .

على نبيه أموش به : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا حمزة ، نفس نحيها أحب إليك أم نفس نحيها ؟ قال : بل نفس أحيها . قال : عليك بفنك . (١)

وقوله : (ولقد جاءهم رسلنا بالبينات) ، أى : بالحجج والبراهين والدلائل الواضحة (ثم إن كثيرا منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون) ، وهذا تقرير لهم وتوبيخ على ارتكابهم المخارم بعد علمهم بها ، كما كانت بنو قريظة والتفسير وغيرهم من بني قيسنقاع ممن حول المدينة من اليهود ، الذين كانوا يقاتلون مع الأوس والخزرج إذا وقعت بينهم الحروب في الجاهلية ، ثم إذا وضعت الحروب أوزارها قتلوا من أسروه ، وودوا من قتلوه . وقد أنكر الله عليهم ذلك في سورة البقرة : حيث يقول : (وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ، ثم أقررتم وأنتم تشهدون) ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان ، وإن يأتوكم أسارى فتادوهم ، وهو عزم عليكم إخراجهم ، أقتلونهم ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ؟ فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا جحيم في الحياة الدنيا ، ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب ، وما الله بغافل عما تعملون) (٢) .

وقوله تعالى : (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا ، أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض) ... الآية . المجازية : هى المضادة والمخالفة ، وهى صادقة على الكفر ، وهل قطع الطريق وإخافة السبل ، وكلما الإفساد في الأرض يطلق على أنواع من الشر ، حتى قال كثير من السلف ، منهم صعيد بن المسيب : إن قرض الثروايم والذلتاير من الإفساد في الأرض ، وقد قال الله تعالى : (وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها وبهلك الحرث والنسل ، والله لا يحب الفساد) .

ثم قال بعضهم : نزلت هذه الآية للكرية في المشركين ، كما قال ابن جرير .

حدثنا ابن حميد ، حدثنا يحيى بن واضح ، حدثنا الحسين بن واقد ، عن يزيد ، عن عكرمة والحسن البصري قالا : (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله) إلى : (إن الله غفور رحيم) ، نزلت هذه الآية في المشركين ، فمن تاب منهم من قبل أن تغدوا عليه ، لم يكن عليه سيل ، وليست تحرز هذه الآية الرجل المسلم من الخلد ، إن قتل أو أفسد في الأرض أو حارب الله ورسوله ، ثم لحن بالكفر قبل أن يقتل عليه ، لم يمنعه ذلك أن يقام عليه الخلد الذى أصاب . (٣) .

ورواه أبو داود والنسائي ، من طريق عكرمة ، عن ابن عباس : (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا) : نزلت في المشركين ، فمن تاب منهم قبل أن يقتل عليه لم يمنعه ذلك أن يقام فيه الخلد الذى أصابه (٤) وقال هل ين أبى طلحة ، عن ابن عباس ، في قوله : (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا) ، قال : كان قوم من أهل الكتاب ، بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد وميثاق ، ففقدوا العهد وأفسدوا في الأرض ، فخبّر الله رسوله : إن شاء أن يقتل ، وإن شاء أن تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف . رواه ابن جرير (٥) .

(١) مسند أحمد : ١٧٥/٢ . وما بين القوسين سقط من مخطوئتنا ، ووقع فيها مكان «سى» : يسي ، وهو خطأ . وحسب هذا هو ابن عبد الله بن شريح الميمنى .

(٢) الآية : ٨٤ ، ٨٥ من سورة البقرة . وانظر : ١٧٣/١ ، ١٧٤ .

(٣) تفسير الطبري : ٢٤٤/١٠ .

(٤) سنن أبي داود ، كتاب الجهاد ، باب ما جاء في المحاربة ، الحديث ٤٣٧٢ : ١٧٣/٤ .

(٥) تفسير الطبري : ٢٤٣/١٠ .

وروى شعبة، عن منصور، عن هلال بن يساف، عن مصعب بن سعد، عن أبيه قال: نزلت في الحرورية (١)؛
([ما جازله الذين يخربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً] رواه ابن مردويه).

والصحيح أن هذه الآية عامة في المشركين وغيرهم ممن ارتكب هذه الصفات، كما رواه البخاري ومسلم من حديث أبي قلابة - واسمه عبد الله بن زيد الجعفي البصري - عن أنس بن مالك: «أن قرأ من حِكَل ثمانية، فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم [فبايعوه على الإسلام]، فاسترخوا (٢) الأرض، وصنعت أجسامهم، فشكروا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم»، فقال: «ألا تخرجون مع وعيتي إلى تضييوا من أبوالم (٣) وألبانها؟ فقالوا: بلى، فخرجوا، فشريوا من أبوالم وألبانها، فصنعتوا، فقتلوا الراعي وطردوا (٤) الإبل. فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبعث في آثارهم، فأدركوا، فجاء بهم، فأمر بهم فقطعت أيديهم وأرجلهم، وسُـمِّـيـت (هـ) أعينهم، ثم نبلوا في الشمس حتى ماتوا».

لفظ مسلم (١). وفي لفظ ما: «من حِكَل أو حرية» وفي لفظ: «وألقوا في الحرة فجهلوا يستسئون فلا يستئون» وفي لفظ مسلم: «والم يستسئون» (٢). وعند البخاري: «قال أبو قلابة: فجهلوا سرقوا وقتلوا وكفروا بعد إيمانهم، وسأروا الله ورسوله». ورواه مسلم من طريق هشيم، عن عبد العزيز بن صهيب وحيد، عن أنس.. وذكر نحوه، وعنده: «وارتدوا». وقد أخرجه من رواية قتادة عن أنس، بنحوه. وقال سعيد بن قتادة: «من حِكَل وحرية» ورواه مسلم من طريق سليمان التيمي، عن أنس قال: [إنما سَمَل النبي صلى الله عليه وسلم عين أولئك لأهم سملوا أعين الرعاة]. ورواه مسلم، من حديث معاوية بن قره عن أنس قال: «لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من حرية، فأسلوا وباعوه، وقد وقع بالمدينة الموم - وهو البرسام (٨) - ثم ذكر نحو حديثهم، وزاد: وعنده شباب من الأنصار، قريب من عشرين فارساً (٩) فأرسلهم، وبعث معهم قائداً يَتَحَسَّسُ أثرهم. وحده كلها ألفاظ مسلم رحمه الله، وقال حماد بن سلمة: حدثنا قتادة وثابت البناني وحُمَيد الطويل، عن أنس بن مالك أن ناساً من حرية قدموا المدينة، فاجتووها، فبعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في إبل الصدقة، وأمرهم أن يشربوا من أبوالم [وألبانها]

(١) الحرورية: هم الخوارج الذين فارقوا علياً - رضي الله عنه - لقبوله التحكيم، وقد كان به ظهورهم عقب معركة صفين، وحطه فلا يمكن أن تكون هذه الآية قد نزلت فيهم، اللهم إلا أن يقال: إن أعمالهم كانت شبيهة بأعمال من نزلت فيهم هذه الآية.

(٢) أي: استقبلوا أرضهم للبيعة، فلم يوافقوا هؤلاء أهلها.

(٣) أي: فقتلوا من أبوالم وألبانها. وفي هذا جواز التنازل بالمرم عند الضرورة، وقد ذهب عنه بن الحسن الشيباني إلى أن يول ما يول كل حبه طاهر.

(٤) أي: أخرجهوا واستقرحوا.

(٥) السمرقة في السبل، وهو قبة العين أي شيء كان.

(٦) مسلم: كتاب القسمة: ١٠٢/٥. والبخاري: كتاب النكاح: ١٢/٩، وكتاب الجلب: ١١٧/٧٠. ونظر كذلك في تفسير سورة المائدة: ٦٥/٩. وبقية الروايات التي ساقها ابن كثير في هذه المراتح.

(٧) الحسم: الذي نزع سبلان اللحم. ومن الحسم وضع اليد بعد القطع في زيت حار.

(٨) البرسام: ملة يئى فيها.

(٩) كلمة «فأرسلهم» ليست في صحيح مسلم: ١٠٣/٥.

فعلوا ، فصبروا فارتدوا عن الإسلام ، وقتلوا الراعي - واستأقوا الإبل ، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم في آثارهم ، فبقيهم قطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، وسَمَرَ أعينهم وأقامهم في الحرة - قال أنس : لقد رأيت أحكم يحكم الأرض بفيه عطشا حتى ماتوا ، ونزلت : { إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله } ... الآية .

وقد رواه أبو خالد (١) والترمذي والنسائي وابن مردويه - وهذا لفظه - وقال الترمذي : حسن صحيح ،

وقد رواه ابن مردويه من طرق كثيرة ، عن أنس بن مالك ، منها ما رواه من طريقين ، عن سلام بن أبي الصهباء ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك قال : ماتمت على حديث ماتمت على حديث سألني عنه الحجاج قال : أخبرني عن أشد عتوة عاقب بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال قلت : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قوم من عُرَيْنَة ، من البحرين ، فشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ماقتوا من بطونهم ، وقد اصفرت ألوانهم ، وضخمت بطونهم ، فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأثروا إبل الصدقة ، فيشربوا من أبوابها وألبانها ، حتى إذا رجعت إليهم ألوانهم وانضمت بطونهم عدّوا على الراعي فقتلوه ، واستأقوا الإبل ، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم في آثارهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسَمَرَ أعينهم ، ثم أقامهم في الرمضاء حتى ماتوا . فكان الحجاج إذا صعد المنبر يقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قطع أيدي قوم وأرجلهم ثم أقامهم في الرمضاء حتى ماتوا ليحلب ذؤود ، وكان يحجب بهذا الحديث أهل الناس ؟

وقال ابن جرير : حدثنا علي بن سهل ، حدثنا الوليد - يعني ابن مسلم - حدثني سعيد ، عن قتادة ، عن أنس قال : كانوا أربعة نفر من عُرَيْنَة ، وثلاثة نفر من عُكُل ، فلما أتى بهم قطع أيديهم وأرجلهم ، وسَمَلَ أعينهم ، ولم يحسمهم ، وتركهم يتشكّمون (٢) الحجارة بالحرة ، فأُتِلَ الله في ذلك : { إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله } ... الآية (٣) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن حرب الموصلي ، حدثنا أبو مسعود - يعني عبد الرحمن بن الحسن الزجاج - حدثنا أبو سعد - يعني البقال - عن أنس بن مالك قال : كان رهب من عُرَيْنَة أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وبهم جهنم ، مُصَمَّرَة ألوانهم ، عظيمة بطونهم ، فأمرهم أن يلمقوا بالإبل فيشربوا من أبوابها وألبانها ، فنصفت ألوانهم ونحمت بطونهم ، وسَمُوا ، وقتلوا الراعي واستأقوا الإبل ، فبعت النبي صلى الله عليه وسلم في طلبهم ، فأتى بهم ، فقتل بعضهم ، وسَمَرَ أعين بعضهم ، وقطع أيدي بعضهم وأرجلهم ، ونزلت : { إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله } ... إلى آخر الآية .

وقال أبو جعفر بن جرير : حدثنا علي بن سهل ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب : أن عبد الملك بن مروان كتب إلى أنس يسأله عن هذه الآية ، فكتب إليه أنس يخبره أن هذه الآية نزلت في أولئك

(١) سنن أبي داود ، كتاب المفرد ، باب ما جاء في الحاربة ، الحديث ٤٣٦٤ : ١٣٠ / ٤ . وثقة الإسماعيلي .
كتاب الطهارة ، باب ما جاء في بول ما يؤكل لحمه : ٢٤٧ / ١ - ٢٤٥ . والنسائي ، كتاب تحريم الدم : ١٠١ - ٩٣ / ٧ .
(٢) أي يشكّمون الحجارة في أفواههم من العطش ، كي تشكّم الرقيق .
(٣) تفسير الطبري : ٢٠٠ / ١٠ .

الفرعونيين ، وهم من مجيلة . قال أنس : فارتدوا عن الإسلام ، وقتلوا الراسي ، واستأثروا الإبل ، وأخذوا السبيل وأصابوا الفرج الحرام (١) .

وقال : حدثني يونس ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث ، عن سميد بن أبي هلال ، عن أبي الزناد ، عن عبد الله بن عبيد الله ، [عن عبد الله] بن عمر - أو : عمرو ، شك يونس - عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك - يعني بقصة المرتين - ونزل فيهم آية المأثرة (٢) . ورواه أبو داود والنسائي من طريق أبي الزناد ، وفيه : « عن ابن (م) هر » من غير شك .

وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن خلف ، حدثنا الحسن بن حماد ، عن عمرو بن هاشم ، عن موسى بن هبة ، عن محمد بن إبراهيم ، عن جرير قال : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قوم من عرية حفاة مضروبين ، فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما صحوا واشتدوا قتلوا وهاء القحاح [ثم خرجوا بالقحاح] عاملين بها إلى أرض قومهم ، قال جرير : فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من المسلمين حتى أدركتهم بعد ما أشرفوا على بلاد قومهم ، فقتلناهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، وسَمَل أعينهم ، فجعلوا يقولون : « الملاء » . ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « النار » حتى هلكتوا . قال : وكره الله عز وجل سَمَل العين ، فأنزل الله هذه الآية : (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله) ... إلى آخر الآية .

هذا حديث غريب ، وفي إسناده الرُبَيْدِيُّ وهو ضعيف ، وفيه فائدة وهو ذكر أمير هذه السرية ، وهو جرير ابن عبد الله البجلي . وتقدم في صحيح مسلم أن السرية كانوا حشرين فارسا من الأنصار . وأما قوله : « فكَرِهَ الله سَمَل الأَعين » ، فأنزل الله هذه الآية : « فانه منكر » ، وقد تقدم في صحيح مسلم أنهم سَمَلُوا أَعْيُنَ الرِّهَاءِ ، فكان ما فعل بهم قصاصا ، والله أعلم .

وقال عبد الرزاق ، عن إبراهيم بن محمد الأسلمي ، عن صالح مولى التوامة ، عن أبي هريرة قال : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء من بني فزارة قد ماتوا جزا ، فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى لقاحه عشيرة أُنْهَاجَ حتى صحوا ، ثم عدوا إلى لقاحه فسر قواها ، فظلموا ، فأبى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقطع أيديهم وأرجلهم ، وسَمَل أعينهم . قال أبو هريرة : فبقيهم نزلت هذه الآية : (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله) ، ففرك النبي صلى الله عليه وسلم سَمَل الأَعين بعد .

وروي من وجه آخر عن أبي هريرة :

وقال أبو بكر بن مردويه : حدثنا أحمد بن إسماعيل ، حدثنا الحسن بن إسماعيل الشَّعْبِيُّ ، حدثنا أبو التمام محمد ابن الوليد ، عن عمرو بن محمد اللبيني ، حدثنا محمد بن طلحة عن موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي ، عن أبيه ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن سلمة بن الأكوع قال : « كان النبي صلى الله عليه وسلم غلام يقال له : « يسار » ، فنظر إليه

(١) تفسير الطبري : ٢٥٠/١٠ .

(٢) للنسائي السابق ١٤٩/١٠ .

(٣) سبق أبي داود ، كتاب المفرد ، باب ما جاء في الحاربة ، الحديث ٤٣٦٩ ، ١٣١/٤ .

يُحْسِنُ الصَّلَاةَ فَاعْتَمِدْهُ ، وَبَعَثَ فِي قَتَاحٍ (١) لَهُ بِالْحَرَّةِ ، فَكَانَ بِهَا ، قَالَ : فَظَهَرَ قَوْمُ الْإِسْلَامِ مِنْ حُرِّيَّةٍ ، وَجَاءُوا وَمِنْ مَرْضَى مَوْعُودُونَ قَدْ عَظُمَتْ بَطُونُهُمْ ، قَالَ : فَبِئْسَ [بِهِمْ] الَّذِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى « يَسَار » فَكَانُوا يَشْرِيُونَ [مِنْ] أَهْلِيانَ الْإِبِلِ حَتَّى انْطَوَتْ بَطُونُهُمْ ، ثُمَّ عَلُوا عَلَى « يَسَار » فَلَحِقُوهُ ، وَجَسَّطُوا الشُّوكَ فِي عَيْنِهِ ، ثُمَّ أَطْرَدُوا الْإِبِلَ ، فَبِئْسَ الَّذِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَكْثَرِهِمْ خِيَلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، أَمِيرُهُمْ كُرْزُ بْنُ جَابِرٍ الْقَهْرَبَرِيُّ ، فَلَمَحْتَهُمْ فَنَجَّاهُ بِهِمْ إِلَيْهِ ، فَقَطَعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ وَسَمَّى أَعْيُنَهُمْ » ،

غريب جداً ، وقد روى قصة المرتين من حديث جماعة من الصحابة ، منهم جابر وعائشة وغير واحد : وقد احتج الحافظ الجليل أبو بكر بن مردويه بتطريق هذا الحديث من وجوه كثيرة جداً ، فرحمه الله ، وأتابه .

وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق : سمعت أبي يقول : سمعت أبا حمزة ، عن عبد الكريم - وسئل عن أيول الإبل - قال : حدثني سعيد بن جبش عن الحارث بن قيس : كان أناس أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا سيده على الإسلام : فبايعوه ، وهم كذبة ، وليس الإسلام يريدون : ثم قالوا : إنا نجشئ (٢) المدينة . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : هذه القتاح تنذرو عليكم وتروح ، فاشربوا من أيولها وألبانها : قال : فبينما هم كذلك ، إذ جاءهم الصريح (٣) ، فصرخ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : قتلوا الهامى ، واستأثروا التيم : فأمر النبي صلى الله عليه وسلم فتوثق في الناس : أن « يا عجيل الله لك » (٤) : قال : فركبوا لا ينتظر فارس فارساً ، قال : وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم على أثرهم ، فلم ير إلّا يابلونهم حتى أدخلوهم مائتهم ، فرجع صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أسروا منهم ، فأثروا بهم النبي صلى الله عليه وسلم ، فأثروا الله : [إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله] ، الآية ، قال : فكان نفثهم : أن تقوم حتى أدخلوهم مائتهم ولرضهم ، وتقوم من أرض المسلمين . وتل أبي الله صلى الله عليه وسلم منهم ، وقلب ، وقطع ، وسمر الأعين . قال : فما مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ولا بعد . قال : ونسي عن المثلة ، قال : ولا تخلفوا بشيء ، قال : وكان أنس يقول ذلك ، غير أنه قال : أفرقهم بالنار بعدما قطعهم . قال : وبعضهم يقول : هم ناس من بني سليم ، ومنهم من حرية ناس (٥) من بجيلة .

وقد اخطف الأتمة في حكم هؤلاء المرتين : هل هو منسوخ أم حكم ؟ فقال بعضهم : هو منسوخ بهذه الآية وزعموا أن فيها عتاباً للنبي صلى الله عليه وسلم كما في قوله : (هذا الله عنك لم أذنت لهم) . ومنهم من قال : هو منسوخ بتي النبي صلى الله عليه وسلم عن المثلة . وهذا القول فيه نظر ، ثم صاحبه مطالب ببيان تأخر التامخ الذي ادعاه عن المنسوخ . وقال بعضهم : كان هذا قبل أن تزول الجلود ، قاله محمد بن سيرين ، وفي هذا نظر ، فإن قصتهم متأخرة ،

- (١) القتاح - بكر اللام - جمع لقة - بكر فسكون - وهي ذوات الألبان من الترقه .
- (٢) أي أصابع المرمى ، وهو المرمى وده الجوف إذا تطاول ، وذلك إذا لم يوافقهم هولاءه . ويقال : اجترحت الهلك : إذا كرهت المقام فيه وإن كنت في نمة .
- (٣) الصريح والصارخ : المصحح . وللمنى أنه امتثل برسول الله صلى الله عليه وسلم .
- (٤) قال ابن الأثير في النهاية : مادة خيل : وهو على سلت مضات ، أراد : يا فرسان عجيل الله لك . وهذا من أحسن الحيايات وألقها .
- (٥) كلما في خطوطنا : وق تفسير الطبري ٢٤٧/١٠ : « ناس من بجيلة » بوار السلف : وما في خطوطنا هو الصواب ، فيمن حرية من بجيلة ، ينتظر جمهرة أنساب العرب : ٣٦٥ ، والآثر الذي يأتي بعد ذلك من أنس .

وفي رواية جريز بن عبد الله لقصتهم ما بئله على ثأنها ، فاته أسلم بعد نزول المائدة : ومنهم من قال : لم يسلم النبي صلى الله عليه وسلم أميهم ، وإنما حرم على ذلك ، حتى تزل القرآن فينحس حكم المشركين . وهذا القول أيضا فيه نظر ، فانه قد تقدم في الحديث المتفق عليه أنه سَمَلَ - وفي رواية : صمر - أميهم .

وقال ابن جرير : حدثنا علي بن سهل ، حدثنا الوليد بن مسلم قال : ذكرت البيت بن سعد ما كان من سَمَلَ النبي صلى الله عليه وسلم أميهم ، وتركه حَسَمَهم حتى ماتوا ، قال : سمعت عمدا بن حجلان يقول : أنزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم معاتبة في ذلك ، وعلمه عقوبة ملتهم : من القتل والقطع والثأني ، ولم يسلم بعضهم غيرهم . قال : وكان هذا القول ذكر لأبي عمرو - يعني الأوزاعي - فأنكر أن يكون نزلت معاتبة ، وقال : بل (١) كانت عقوبة أولئك الثغر بأبيهم ، ثم نزلت هذه الآية في عقوبة غيرهم من حرب بعضهم ، ووقع عنهم السمل ، :

ثم قد احتج بعموم هذه الآية جمهور العلماء في نهاهم إلى أن المحاربة في الأمصار وفي الديار (٢) على السواء ، لقوله (: ويسعون في الأرض فسادا) . وهذا ملهه مالك ، والأوزاعي ، والليث بن سعد ، والثاقي ، وأحمد ابن حنبل ، حتى قال مالك - في القتي يقتال الرجل فيخذه حتى يُلْخِطه بيتا فيقتله ، ويأخذ ما معه - : إن هذا عارية ، ودمه إلى السلطان لا إلى المقتول ، ولا اعتبار بغيره عنه في إغناذ القتل .

وقال أبو حنيفة وأصحابه : لا تكون المحاربة إلا في الطرقات ، فأما في الأمصار فلا ، لأنه يلحقه الفوت إذا استغاث ، بخلاف الطريق ليمده من يفيقه ويعيه .

وأما قوله : (أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض) : الآية ، قال [ابن أبي طلحة من ابن عباس في الآية] من شهر السلاح في قبة (٣) الإسلام ، وأخاف السيل ، ثم ظفر به ، وقتل عليه ، فأعلم المسلمين فيه بالخييار : إن شاء قتله ، وإن شاء صلبه ، وإن شاء قطع يده وأرجله .

وكذا قال سعيد بن المسيب ، وعباد ، وعطاء ، والحسن البصري ، وإبراهيم النخعي ، والفضحاك . وروى ذلك كله أبو جعفر بن جرير ، وحكى مثله عن [مالك بن أنس] رحمه الله . ومستند هذا القول [أن] ظاهره « أو » التخيير ، كما في نظائر ذلك من القرآن ، كقوله في جزاء الصيد : (فجزاء مثل ما قتل من أنتم يحكم به دوا عدل منكم هليا بالغ الكعبة ، أو كفارة طعام مساكين ، أو عدل ذلك صياما) وقوله في كفارة الرقة : (لمن كان منكم مريضا ، أو به أنى من رأسه ، فقهبة من صيام ، أو صدقة ، أو تسلك) . وكقوله في كفارة اليمين : (إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم ، أو كسوتهم ، أو تحرير رقية) . هذه كلها على التخيير ، فكذلك فلتكن هذه الآية . وقال الجمهور : هذه الآية منزلة على أحوال كما قال أبو عبد الله الشافعي : أنبأنا إبراهيم - هو ابن أبي يحيى ، عن صالح مولى التوامنة ، عن ابن عباس - في قطاع الطريق : « وإذا قتلوا المال قتلوا وصلبوا ، وإذا قتلوا ولم يفتكروا ولم يأخذوا المال قتلوا ولم يصلبوا ، وإذا أخذوا المال ولم يقتلوا قُطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف ، وإذا أخذوا السيل ولم يأخذوا مالا نفوا من الأرض » .

(١) في تفسير الطبري ٢٥٢/١٠ : « بل ، كانت ... »

(٢) لم يجلس بلان لما أتبع لنا من كتب المصنف . ولعله يعني بما جمع سيل ، وهو الطريق . والسيل جمع على سيل ، كطريق وطرق .

(٣) كذا في خطوطنا ، ومثله في تفسير الطبري : ٢٦٢/١٠ ، ومعنى في قبة الإسلام : في ظله .

وقد رواه ابن أبي شيبة ، عن عبد الرحمن بن سليمان ، عن حجاج ، عن حطية ، عن ابن عباس ، بنحوه . وعن أبي جابر ، وسعيد بن جبير ، وإبراهيم التيمي ، والحسن ، وقتادة ، والسدي ، وعطاء الخراساني ، نحو ذلك . وهكذا قال غير واحد من السلف والأئمة :

واختلفوا : هل يصلب حيا ويترك حتى يموت منه من الطعام والشراب ، أو يقتله برمح ونحوه ، أو يقتل أولاً ثم يصاب تنكيلا وتشديدا لغيره من المسلمين ؟ وهل يصلب ثلاثة أيام ثم يترك ، أو يترك حتى يسيل صليده ؟ في ذلك كله خلاف عرر في موضعه ، وبالله التفة وعليه التكلان .

وشهد لهذا التفصيل الحديث الذي رواه ابن جرير في تفسيره - إن صحح سننه - قال :

حدثنا علي بن سهل ، حدثنا الوليد بن مسلم [عن ابن أبيه ^(١)] عن يزيد بن أبي حبيب : « أن عبد الملك بن مروان كتب إلى أنس يسأله عن هذه الآية ، فكتب إليه يخبره : أن هذه الآية نزلت في أولئك الفرع العربيين - وهم من بجيلة - قال أنس : فارتدوا عن الإسلام ، وقتلوا الراعي ، واستاقوا الإبل ، وأتوا السيل ، وأصابوا القرح الحرام . قال أنس : فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام عن القضاء فيمن حارب ، فقال : من سرق [وأخاف السيل فاقطع يده بغيره ، ورجله بآخره ، ومن قتل فاقطع ، ومن قتل [وأخاف السيل واستحل القرح الحرام ، فاصله ^(٢)] .

وأما قوله تعالى : (أَوْ يَنْتَفِرُوا مِنَ الْأَرْضِ) ، قال بعضهم : « هو أن يطلب حتى يقتل عليه ، فيقام عليه الحد أو يجرى من دار الإسلام » .

رواه ابن جرير عن ابن عباس ، وأنس بن مالك ، وسعيد بن جبير ، والضحاك ، والربيع بن أنس ، والزهرى ، والليث بن سعد ، ومالك بن أنس ^(٣) .

وقال آخرون : هو أن ينفي من بلده إلى بلد آخر ، أو يخرج به السلطان أو نائبه من معاملته بالكلية . وقال الشعبي : يخيه [كما قال] ابن هبيرة من عمله كله . وقال عطاء الخراساني : ينفي من جنته إلى جند سنين ، ولا يخرج من أرض الإسلام . [وكلما قال سعيد بن جبير ، وأبو الشعثاء ، والحسن ، والزهرى ، والضحاك ، ومقاتل بن حيان : إنه ينفي ولا يخرج من أرض الإسلام] .

وقال آخرون : المراد بالنفي هاهنا السجن . وهو قول أبي حنيفة وأصحابه ، واختار ابن جرير : أن المراد بالنفي هاهنا أن يخرج من بلده إلى بلد آخر فيسجن فيه ^(٤) .

وقوله : (ذلك لم يخزى في الدنيا ولم في الآخرة عذاب عظيم) ، أي : هذا الذي ذكرته من قتلهم ، ومن صلبهم ، وقطع أيديهم ولرجلهم من خلاف ، وقضيم - خزى لم يبن الناس في هذه الحياة الدنيا ، مع ما أذخر الله لهم من العذاب العظيم يوم القيامة ، وهذا قد يتأيد به من ذهب إلى أن هذه الآية نزلت في المشركين ، فأما أهل الإسلام فقد ثبت في الصحيح

(١) من تفسير الطبري ، الأثر ١١٨١٦ : ٢٠٠/١٠ . وينظر التلخيص : ٣٧٤/٥ ، ٣١٨/١١ .

(٢) تفسير الطبري : ٢٠٠/١٠ ، ٢٦٧ ، الأثران : ١١٨١٦ ، ١١٨٥٤ . وما بين القوسين منه .

(٣) ينظر المصدر السابق : ٢٦٨/١٠ ، ٢٧٠ .

(٤) المصدر السابق : ٢٧٤/١٠ .

عند مسلم ، عن جادة بن الصامت قال : « أخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أخذ على النساء : ألا نترك بائنا شيئا ، ولا نسرقة ، ولا نزنى ، ولا نقتل أولادنا ولا نمنعهن^(١) بعضنا بعضاً ، فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئا فموجب فهو كفارة له ، ومن سره الله فأمره إلى الله إن شاء الله وإن شاء عقره له^(٢) » .

ومن حل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أذنب ذنباً في الدنيا ، [فموجب به ، فاقطع أمله من أن يبنى عقوبته على عبده ، ومن أذنب ذنباً في الدنيا] فستره الله عليه وعفا عنه ، فاقطع أكرام من أن يعود في شيء قد عفا عنه » .

رواه الإمام أحمد (٣) ، والترمذي ، وابن ماجه ، وقال الترمذي : « حسن غريب » ، وقد مثل الحافظ الدرراني من هذا الحديث ، فقال : روى مرفوعاً وموقوفاً - قال : ورغبه صحيح .

وقال ابن جرير في قوله : (ذلك لم يزنى في الدنيا) ، يعني : شرعاً ونكاحاً وقلعة وعقوبة في عاجل الدنيا قبل الآخرة ، (ولم في الآخرة عذاب عظيم) ، أي : إذا لم يزنى من فعلهم ذلك حتى حلوا - في الآخرة (٤) مع انجزاء الذي جازيهم به في الدنيا ، والعقوبة التي عاقبتهم بها فيها - « عذاب عظيم » ، يعني : عذاب جهنم (٥) .

وقوله : (إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم ، فاعلموا أن الله غفور رحيم) ، أما حل قول من قال : هي في أهل الشرك فظاهر ، وأما المخاريق المسلمون فاذا تابوا قبل القدرة عليهم فانه يسقط عنهم العقاب والصلب وقطع الرجل ، وهل يسقط قطع اليد أم لا ؟ فيه قولان للعلماء ، وظاهر الآية يقتضي سقوط الجميع ، وعليه عمل الصحابة ، كما قال ابن أبي حاتم .

حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو أسامة ، عن مجاهد ، عن الشعبي قال : كان حارثة بن بدر التميمي من أهل البصرة ، وكان قد أسند في الأرض وحارب ، فكلّم رجلاً من قريش منهم : الحسن بن علي ، وابن عباس ، وعبد الله بن جعفر ، فكلّموا علياً ، فلم يؤتمه . فأتى سعيد بن قيس المصنف فخافه في داره ، ثم أتى علياً فقال : يا أمير المؤمنين ، رأيت من حارب الله ورسوله وسعى في الأرض فساداً ، فقرأ حتى بلغ : (إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم) . قال : فكُتِب له أماناً . قال سعيد بن قيس : فانه حارثة بن بدر (٦) .

وكلاهما ابن جرير من غير وجه ، عن مجاهد ، عن الشعبي ، به : وزاد : قتال حارثة بن بدر .

أَلَا يَأْتِيَنَّ هَمَلَانِ إِذَا تَقَاتِيَا • عَلَى النَّاسِ لَا يَسْلَمُ حَتَّى يَسِيَهَا

(١) أي : لا يرميه بالضربة ، وهي البتة والكذب .

(٢) مسلم ، كتاب الحدود : ١٢٧/٥ .

(٣) مسند أحمد : ٩٩/١ ، ١٥٩ . ونسخة الأحرشي ، كتب الإيمان : ٣٧٧/٧ ، ٣٧٨ . وسنن ابن ماجه ، كتاب

الحدود ، الحديث : ٢٦٠٤ ، ٨٦٨/٢ .

(٤) أي : لم في الآخرة ...

(٥) تفسير الطبري : ٢٧٦/١٠ ، ٢٢٧ .

(٦) الأثر في القدر المشهور : ٢٧٩/٢ .

تَعَسَّرَ أَبُوبَها إِنَّ هَمْدَانَ تَنَبَّأَ إِلَهَ وَيَقْضَى بِالْكِتَابِ تَحْطِيطُهَا (١)

ودوي ابن جرير من طريق سفيان الثوري، عن السدي - ومن طريق أشعث، كلاهما عن عامر الشعبي قال: جاء رجل من مراد إلى أبي موسى، وهو على الكوفة في إمارة عثمان، رضى الله عنه، بعد ما صلى المكتوبة فقال: يا أبا موسى، هذا مقام المائل بك، أنا فلان بن فلان للرازي، وإني كنت حاربت الله ورسوله وسميت في الأرض فسادا، وإني ثبت من قبل أن يتخذ عليّ - فقام أبو موسى فقال: إن هذا فلان بن فلان، وإنه كان حاربه الله ورسوله، وسمى في الأرض فسادا، وإنه تاب من قبل أن يتخذ عليه، فنقيه فلا يعرض له إلا بخير، فإن بك صادقا فسيل من صدق، وإن بك كاذبا فتركه ذويه (٢)، فقام الرجل ما شاء الله، ثم إنه خرج فأحركه الله تعالى بذنوبه فقتله؛

ثم قال ابن جرير: حدثني عن حدثنا الوليد بن مسلم قال، قال الليث - وكلثمة حدثني موسى بن إسحاق المدني، وهو الأمير هناك: أن عليا الأسدي حارب وأنخاف السيل وأصاب الدم والمال، فطلبه الأئمة والامة، فامتنع ولم يتخذ عليه، حتى جاء ثانيا، وذلك أنه سمع وجلا يقرأ هذه الآية: (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا) إنه هو الغفور الرحيم، فوقف عليه فقال: يا عبد الله، أهد قرامنا: فأعادها عليه، ففقد سيفه، ثم جاء ثانيا: حتى قدم للمدينة من البحر، فاختلص، ثم أتى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فعمل الصبح، ثم قدم إلى أبي هريرة في خمار أصحابه، فلما أسرفوا حره الناس، فقاموا إليه، فقال: لا سيل لكم عليّ - جئت ثانيا من قبل أن تغفلوا عليّ: فقال أبو هريرة: صدق: وأخذ يديه أبو هريرة حتى أتى مروان بن الحكم - وهو أمير على المدينة، في زمن معاوية - فقال: هذا عليّ جاء ثانيا، ولا سيل لكم عليه ولا قتل: قال، فترك من [ذلك] (٣) كله [قال: وخرج عليّ تابا مجاهدا في سيل الله في البحر، فلقوا الروم، ففروا [سفينة إلى] سفينة من سفنهم، فاقصم على الروم في سفينتهم، فلهربوا منه إلى شقها الآخر] (٤)، فالت به وجههم، ففروا جميعا.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَنِّدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَ أَنَّ لَهُمْ مَانِيَ الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهٖ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَا تُقْبِلُ مِنْهُمْ وَهُمْ طَلَبُ أَلِيمٍ ﴿١١﴾ يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوكَ مِنَ الْأَرْضِ وَمَا هُمْ بِمُخْرِجِينَ مِنْهَا وَهُمْ طَلَبُ مُقِيمٍ ﴿١٢﴾

يقول تعالى آمرا عباده المؤمنين بتقواه، وهي إذا قرنت بالطاعة كان المراد بها الانكشاف عن المحارم وترك المنهيات. وقد قال بعدها: (وابتغوا إليه الوسيلة)، قال سفيان الثوري، [حدثنا (ه) أبي] عن طلحة، عن عطاء، عن ابن عباس: أي التبرية: وكلما قال مجاهد، وأبو وائل، والحسن، وقاعدة، وحيد الله بن كثير، والسدي، وابن زيد.

(١) تفسير الطبري: ٢٨٠/١٠ : ٢٨١.

(٢) من قوله: «إِنَّ بَكَ صَادَقًا» إلى «تَرَكَ قَرْبَهُ» ليست في تفسير الطبري: ٢٨٢/١٠.

(٣) من تفسير الطبري: ٢٨٤/١٠. ومكانه في الأصول: كلفه.

(٤) نص الطبري: ٢٨٤/١٠: «فَهَرَمُوا مِنْهُ إِلَى سَفِينَتِهِمُ الْآخَرَى...».

(ه) من تفسير الطبري، الأثر: ١١٩٠٠ : ٢٩١/١٠.

وقال قتادة : أبى عمرو إلى بطلاعه والعمل بما فيه . وقرأ ابن زيد (١) (أولئك الذين يدهون يفتون إلى ربهم الوسيلة) وهذا الذي قاله هؤلاء الأئمة لا خلاف بين المفسرين فيه . وأنشد ابن جرير عليه قول الشاعر :

إذا غشك الوائشون عهداً لموصلياً • وعاداً لتصافى بيتنا والوصال (٢)

والوسيلة : هي التي يتوصل بها إلى تحقيق المقصود ، والوسيلة أيضاً : حكم حل أهل منزلة في الجنة ، وهي منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وداره في الجنة ، وهي أقرب أمكنة الجنة إلى العرش ، وقد ثبت في صحيح البخاري ، من طريق محمد بن المنكدر ، عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة ، والصلاة القائمة ، آت محمداً الوسيلة والفضيلة ، وابنه مقاما محمودا الذي وعدته ، إلا حلت له الشفاعة يوم القيامة » (٣) .

حديث آخر في صحيح مسلم ، من حديث كعب بن علقمة ، عن عبد الرحمن بن جبير ، عن عبد الله بن عمرو ابن العاص أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلوا عليّ ، فانه من صلّى صلاة صلّى الله عليه [بها] عشرًا ، ثم صلوا [الله] في الوسيلة ، فانها منزلة في الجنة ، لا تنبني إلا ل عبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمّن سأل في الوسيلة حلت عليه الشفاعة » (٤) .

حديث آخر ، قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا سفيان ، عن ليث ، عن كعب ، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا صلّتم عليّ فقولوا في الوسيلة ، قيل : يا رسول الله ، وما الوسيلة ؟ قال : أهل درجة في الجنة ، لا ينالها إلا رجل واحد ، وأرجو أن أكون أنا هو » (٥) .

ورواه الترمذي ، عن ينداد ، عن أبي حاتم ، عن سفيان - هو الثوري - عن ليث بن أبي سلمة ، عن كعب قال : حدثني أبو هريرة ، به . ثم قال : غريب ، وكعب ليس بمعروف ، لا نعرف أحداً روى عنه غير ليث بن أبي سلمة (٦) . طريق آخر في : عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال أبو بكر بن مَرْثُويه : حدثنا عبد الله بن قانع ، حدثنا محمد ابن نصر الترمذي ، حدثنا عبد الحميد بن صالح ، حدثنا أبو شهاب ، عن ليث ، عن المولى ، عن محمد بن كعب ، عن أبي هريرة رفعه قال : « صلوا عليّ صلّاتكم ، وسلوا الله في الوسيلة . فضأوه واخبرهم : أن الوسيلة درجة في الجنة ، ليس ينالها إلا رجل واحد ، وأرجو أن أكونه » .

حديث آخر ، قال الحافظ أبو القاسم الطبراني : أخبرنا أحمد بن علي الأبار ، حدثنا الوليد بن عبد الملك الحارثي ، حدثنا موسى بن أعين ، عن ابن أبي حبيب ، عن محمد بن عمرو بن عطاء ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سلوا الله في الوسيلة ، فانه لم يسألني أحد في الدنيا إلا كنت له شهيداً - أو : شفيعاً - يوم القيامة » .

(١) الأثر من ابن زيد كما رواد البخاري ٢٩١/١٠ : « قال ابن زيد في قوله : « وارجعوا إليه الوسيلة » ، قال : الهبة ، تهبوا إلى الله . وقرأ : (أولئك الذين يدهون يفتون إلى ربهم الوسيلة) .

(٢) تفسير البخاري : ٢٩٥/١٠ .

(٣) البخاري ، كتاب الأذان : ١٠٩/١ . وألفظ المصحح : « اللهم وجهه ، حلت و دون ذكره إلا » .

(٤) مسلم ، كتاب الصلاة : ٤/٢ .

(٥) مسند أحمد : ٢٦٥/٢ .

(٦) تحفة الأحرفي ، كتاب المنهاج : ٨٠/١٠ ، ٨١ .

ثم قال الطبراني : « لم يروه عن ابن أبي ذئب إلا موسى بن أمين » . كلنا قال ، وقد رواه ابن مردويه : حدثنا محمد بن علي بن دحيم ، حدثنا أحمد بن حازم ، حدثنا عبيد الله بن موسى حدثنا موسى بن عبيدة ، عن محمد بن عمرو بن عطاء - فلنذكر بإستاده نحوه .

حديث آخر : روى ابن مردويه بإستاده عن عماره بن غزيرة ، عن موسى بن وردان : أنه سمع أبا سعيد الخدري يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الوسيلة درجة عند الله ، ليس فوقها درجة ، فسلوا الله أن يوتيكم الوسيلة على خلقه » .

حديث آخر : روى ابن مردويه أيضاً من طريقين ، عن عبد الحميد بن بحر : حدثنا شريك ، عن أبي إسحاق ، عن الحارث ، عن علي ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « في الجنة درجة تدعى الوسيلة ، فإذا سألتم الله فسلوا في الوسيلة . قالوا : يا رسول الله ، من يسكن معك ؟ قال : « علي وفاطمة والحسن والحسين » .

هذا حديث غريب منكر : من هذا الوجه ،

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا الحسن اللشتكي ، حدثنا أبو زهير ، حدثنا سعد بن طريف ، عن علي بن الحسين الأزدی - مولى سالم بن ثوبان - قال : سمعت علي بن أبي طالب ينادي على منبر الكوفة : يا أيها الناس ، إن في الجنة لورقين : إحداهما يضاء ، والأخرى صفراء ، أما الصفراء فأتيا إلى بطنك العرش ، والمقام المحمود من الورقة البيضاء سبعون ألف غرفة ، كل بيت منها ثلاثة أميال ، وغرفها وأبوابها وأسرمتها وكأنها من هرق واحد ، واسمها الوسيلة ، هي محمد صلى الله عليه وسلم وأهل بيته . [والصفراء فيها مثل ذلك ، هي لإبراهيم عليه السلام وأهل بيته] .

وهذا أثر غريب أيضاً .

وقوله : (وجاهدوا في سبيله لتكنم تفلحون) ، لا أمرهم بترك الحرام وفعل الطاعات ، أمرهم بقتال الأعداء من الكفار والمشركين الخارجين عن الطريق المستقيم ، التاركين للدين القويم ، ورغبهم في ذلك بالذي أعدّه للمجاهدين في سبيله يوم القيامة ، من القلاع والسعادة العظيمة الدالة المستمرة التي لا تئيد ولا تحول ولا تزول في الغرف العالية الرفيعة الآمنة ، [الحصة] مناظرها الطيبة مساكنها ، التي من سكنها ، ينعم لا يأس ، ويحيى لا يموت ، لا تلبى نياحه ، ولا يفتى شيابه .

ثم أخبر تعالى بما أعد لأعدائه الكفار والعلاب واللكال يوم القيامة ، فقال : (إن الذين كفروا لو أن لهم مائة الأرض جميعاً ومثله معه ليفتنوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم) ، أي : لو أن أحدهم جاء يوم القيامة على الأرض ذعباً ، ومثله ليفتنى بذلك من عذاب الله الذي قد أحاط به ، وتيقن وصوله إليه ، ما تعجل ذلك منه ، بل لا متلوحة عنه ولا يحصى له ولا مناص ، ولهذا قال : (ولهم عذاب أليم) أي : مريع (يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها) ، ولهم عذاب مقيم ، كما قال تعالى : (كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أميدوا فيها) ... الآية ، فلا يزالون يريدون الخروج مما هم فيه من شدته وأليم مسه ، ولا سبيل لهم إلى ذلك ، كلما دفعهم الله

فصاروا في أعلى جهنم ، ضربتهم الزبانية بالمقارع الحديد ، فإرسلهم إلى أسفلها ، (ولم حذاب مقيم) ، أي : دام مستمر لا يخرج لهم منها ، ولا يحيد لهم عنها .

وقد قال حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يؤقى بالرجل من أهل النار ، فيقول : يا ابن آدم ، كيف وجدت مضجعتك ؟ فيقول : شرّ مضجع ، فيقول : هل قتلتى بقرابيه الأرض ذمها ؟ قال ، فيقول : نعم ، يا رب ! فيقول : كلبت ! قد سألتك أهل من ذلك فلم تقبل ، فيؤمر به إلى النار » .
رواه مسلم (١) والنسائي من طريق حماد بن سلمة ، ينحوه : وكذا رواه البخاري ومسلم (٢) ، من طريق معاذ ابن هشام الدستوائي ، عن أبيه ، عن ثقاته ، عن أنس ، به . وكذا أخرجه (٣) من طريق أبي عمران الجوني ، واسمه عبد الملك بن حبيب ، عن أنس بن مالك ، به . ورواه مطر الوراق ، عن أنس بن مالك : ورواه ابن مردويه من طريقه ، عنه .

ثم رواه ابن مردويه ، من طريق السعدي ، عن يزيد بن صهيب القنبر ، عن جابر بن عبد الله ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يخرج من النار قوم فيدخلون الجنة » . قال ، فقلت لجابر بن عبد الله : يقول الله : (يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها) ، قال : إن أول الآية : (إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه ليقضوا به) ... الآية ، ألا إنيهم للذين كفروا .

وقد روى الإمام أحمد ومسلم هذا الحديث من وجه آخر ، عن يزيد القنبر ، عن جابر ، وهذا أبسط سياقا :

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا الحسين بن محمد بن شبة الواسطي (١) ، حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا مبارك بن فضالة ، حدثني يزيد القنبر قال : « جلست إلى جابر بن عبد الله ، وهو يحدث ، فحدث أن أناسا يخرجون من النار - قال : وأنا يومئذ أنكر ذلك ، فغضبت وقلت : ما أعجب من الناس ، ولكن أصعب منكم يا أصحاب محمد ! ترعون أن الله يخرج [ناساً] من النار ، والله يقول : (يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها) ... الآية . فانتهرني أصحابه ، وكان أحلمهم فقال : دعوا أقرجل ، إنما ذلك الكفار : (إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه ليقضوا به من حذاب يوم القيامة) حتى بلغ : (ولم حذاب مقيم) أما تقرأ القرآن ؟ قلت بلى قد جمعته . قال : أليس الله يقول : (ومن الليل يتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً) ، فهو ذلك المقام ، فإن الله يحبس أقواماً بخطاياهم في في النار ماشاء ، لا يكلمهم ، فإذا أود أن يخرجهم أخرجهم . قال : فلم أجد بعد ذلك إلى أن أكلب به » .

ثم قال ابن مردويه : حدثنا دعليج بن أحمد ، حدثنا عمر بن حفص السديسي ، حدثنا عاصم بن حلي ، حدثنا العباس بن الفضل ، حدثنا سعيد بن المهلب ، حدثني طلق بن حبيب قال : كنت من أشد الناس تكليفا بالشفاعة ، حتى لقيت جابر ابن عبد الله ، فقرأت عليه كل آية أتلذذ فيها يذكر الله فيها خلود أهل النار . فقال : يا طلق ، أنشأتك إقرأ لكتاب الله

(١) مسلم ، كتاب صفة القيامة : ١٣٥/٨ .

(٢) مسلم ، كتاب صفة القيامة : ١٣٤/٨ .

(٣) البخاري ، كتاب الرقاق : ١٤٣/٨ ، وكتاب الأنبياء : ١٦٢/٤ . ومسلم ، كتاب صفة القيامة : ١٢٤/٨ .

(٤) في غزوة الأحرار : « الحسن بن محمد بن أبي شيبة » والمثبت من البحر لابن أبي حاتم : ٦٥/٢١ .

وأعلم برسول الله مني؟ إن الذين قرأت هم أهلها، هم للمشركون، ولكن هؤلاء قوم أصحابنا ذنوبا فعلموا، ثم أخرجوا منها، ثم أمروا بيليه إلى آذنيه، قال: صمنا إن لم أكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: يخرجون من النار بعد ما دخلوا. ونحن قرأنا كما قرأت (١).

وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مَلَكٌ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦٠﴾

يقول تعالى حاكما وآمرًا بقطع يد السارق والسارقة، وروى الثوري عن جابر بن يزيد الجعفي، عن عامر، ابن شراحيل الشعبي: أن ابن مسعود كان يقرأها: (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما). (٢). وهذه قراءة شاذة، وإن كان الحكم عند جميع العلماء موافقا لها، لا بها، بل هو مستفاد من دليل آخر. وقد كان القطع معمولاً به في الجاهلية، فقرر في الإسلام وزيدت شروط أخر كما سنذكره، وإنشاء الله تعالى، كما كانت القسامة والدية والقرصان وغير ذلك من الأشياء التي ورد الشرع بتجريها على ما كانت عليه، وزيادات هي من تمام المصالح. ويقال: إن أول من قطع الأيدي في الجاهلية فريش، قطعوا رجلا يقال له: «دويك»، مولى لبني مكيح بن عمرو من خزاعة، كان قد سرق كثر الكعبة، ويقال: سرقه قوم فوضعه عنده.

وقد ذهب بعض الفقهاء من أهل الظاهر إلى أنه متى سرق السارق شيئا قطعت يده به، سواء كان قليلا أو كثيرا، لعدم هذه الآية: (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما). فلم يجزوا نصابا ولا حرزا، بل أخذوا بمجرد السرقة.

وقد روى ابن جرير وابن أبي حاتم عن طريق عبد المؤمن، عن مجلة الحنفى قال: «سألت ابن عباس عن قوله: (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما)، أخاص أم عام؟ فقال: بل عام» (٣).

وهذا يحتمل أن يكون موافقة من ابن عباس لما ذهب إليه هؤلاء، ويحتمل غير ذلك، فافقه أعلم:

ونسكوا عما ثبت في الصحيحين، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «نمن الله السارق، يسرق البيضة فيقطع يده، ويسرق الحبل فيقطع يده» (٤). وأما الجمهور فاعتبروا [للتصايف] [السرقة]، وإن كان قد وقع بينهم الخلاف في قدره، فذهب كل من الأئمة الأربعة إلى قول على حدة، فعند الإمام مالك بن أنس، رحمه الله: التصايف ثلاثة دراهم مضروبة خالصة، قضي سرقها أو ما يبلغ ثمنها فما فوقها وجب القطع، واحتج بذلك بما رواه عن نافع عن ابن عمر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قطع في ميجن ثمنه ثلاثة دراهم. أخرجه في الصحيحين (٥).

(١) الأثر في الفروع للثوري: ٢/٢٨٠.

(٢) تفسير الطبري، الأثر ١١٩١٠ : ٢٩٥/١٠.

(٣) المصدر السابق، الأثر ١١٩١٤ : ٢٩٦/١٠.

(٤) البخاري، كتاب الحدود: ١٩٨/٨، وصلي، كتاب الحدود أيضا: ١١٣/٥.

(٥) أخرجه في كتاب الحدود، فتنر البخاري: ٢٠٠/٨، وصلي، ١١٣/٥.

قال مالك رحمه الله: وقطع عثمان رضى الله عنه في أنثريجة (١) فَوُتَّتْ بثلاثة دراهم، وهو أحبه لمسمت في ذلك. وهذا الأثر عن عثمان، رضى الله عنه، قد رواه مالك عن عبد الله بن أبي بكر، عن أبيه، عن حمزة بنت عبد الرحمن أن سارقا سرق في زمان عثمان أنثريجة، فأمر بها عثمان أن تَفُوتَ، ففُوتَتْ بثلاثة دراهم [من] صرف اثني عشر درهما [بدينار] (٢)، فقطع عثمان يده (٣).

قال أصحاب مالك: ومثل هذا الصنيع يشهر، ولم ينكر، فمن مثله يحكى الإجماع السكوت، وفيه دلالة على القطع في النمار خلافا للحنفية. وعلى اعتبار ثلاثة دراهم خلافا لم في أنه لا بد من عشرة دراهم، وللشافعية في اعتبار ربع دينار، والله أعلم.

وذهب الشافعي، رحمه الله، إلى أن الاعتبار في قطع بالسارق ربع دينار أو ما يساويه من الألمان أو العروش فصاعدا. والحنفية في ذلك ما أخرجه الشيطان: البخاري ومسلم، من طريق الزهري، عن حمزة، عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «قطع يد السارق في ربع دينار فصاعدا» (٤).

ومسلم من طريق أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، عن حمزة، عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تقطع يد السارق إلا في ربع دينار فصاعدا» (٤).

قال أصحابنا: فهنا الحديث فاصل في المسألة ونص في اعتبار ربع الدينار لا ما سواه: قالوا: وحديث لمن المجن، وأنه كان ثلاثة دراهم، لا يثنى هذا، لأنه إذ ذلك كان الدينار يثنى عشر درهما، فبى ثمن ربع دينار، فأمكن الجميع بهذه الطريق.

ويروى هذا الملبس عن حمزة بن الخطاب، وعثمان بن حبان، وعلي بن أبي طالب، رضى الله عنهم: وبه يقول عمر بن عبد العزيز، والليث بن سعد، والأوزاعي، والشافعي، وأصحابه، وإسحاق بن راهويه - في رواية عنه - وأبو ثور، وداود بن علي الظاهري، رحمهم الله.

وذهب الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه - في رواية عنه - إلى أن كل واحد من ربع الدينار والثلاثة دراهم مَرْدٌ شرعي، فمن سرق واحدا منهما، أو ما يساويه، قطع عملا بحديث ابن عمر، وبحديث عائشة رضى الله عنهما. ووقع في لفظ عند الإمام أحمد، عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «اتقوا في ربع دينار، ولا تقطعوا فيها» (٥). وكان ربع الدينار يومئذ ثلاثة دراهم، والدينار اثني عشر درهما. وفي لفظ لتمامي لا تقطع يد السارق فيها دون ثمن المجن. قيل لمائنة: ما ثمن للمجن؟ قالت: ربع دينار (٦). فهذه كلها نصوص دالة على عدم اشتراط عشرة دراهم، والله أعلم.

(١) الأنثريجة - بضم النون وتشديد الهمزة - نوع من الفاكهة.

(٢) من الموطأ.

(٣) الموطأ، كتاب المفرد، باب ما يجب فيه القطع، ٨٣٢/٢.

(٤) أخرجه في كتاب المفرد. ينظر البخاري ٢٠٠/٨، ومسلم ١١٢/٥.

(٥) مسند أحمد: ٨٠/٦.

(٦) التلخيص، كتاب قطع السارق: ٨٠/٨.

وأما الإمام أبو حنيفة وأصحابه : أبو يوسف ، وعبد ، وزُفر ، وكلتا سقيان العورى وحملهم الله ، فاتهم ذهبوا إلى أن التصبب عشرة دراهم مضروبة غير مفضولة . واحتجوا بأن ثمن اللجن الذي قطع فيه السارق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان ثمنه عشرة دراهم . وقد روى أبو بكر بن أبي شيبة : حدثنا ابن عُسر وعبد الأمل عن محمد بن إسحاق ، عن [أبي] بن موسى ، عن حماد ، عن ابن عباس قال : « كان ثمن اللجن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم عشرة دراهم » .

ثم قال : حدثنا عبد الأمل ، عن محمد بن إسحاق ، عن [عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده] قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تقطع يد السارق في دون ثمن المسجين » . وكان ثمن اللجن عشرة دراهم : قالوا : فهذا ابن عباس وعبد الله بن عمرو قد خالفنا ابن عمر في ثمن اللجن ، فلا حياط الأخذ بالأكثر ، لأن الحديث ذكرنا بالشبهات .

ولم يرض بعض السلف إلى أنه يُقَطَّعُ يدُ السارق في عشرة دراهم ، أو دينار ، أو ما يبلغ قيمته واحدا منهما ، يُمَكِّي هذا من حل ، وابن مسعود ، وإبراهيم التيمي ، وأبو جعفر الباقر ، وحملهم الله تعالى ،

وقال بعض السلف : لا تقطع للحمس إلا في خمس ، أي في خمسة دنانير ، أو خمسين درهما ، ويقتل هذا من سعيه ابن جبير ، رحمه الله .

وقد أجاب الجمهور عما تمسك به الظاهرية من حديث أبي هريرة : « يَسْرَقُ الْبَيْضَةُ فَتُقَطَّعُ يَدُهُ ، وَيَسْرَقُ الْحَبْلُ فَتُقَطَّعُ يَدُهُ » ، بأجوبة .

أحدها : أنه منسوخ بحديث عائشة . وفي هذا نظر ، لأنه لا بد من بيان التاريخ .

والثاني : أنه مؤول ببغضة الحديد وحبل السفن ، قاله الأعمش في حكاية البخاري (١) وغيره عنه ،

والثالث : أن هذا وسيلة إلى التخرج في السرقة من القليل إلى الكثير . الذي تقطع فيه يده ، ويحتمل أن يكون هذا مخرج شرح الإختصار عما كان الأمر عليه في الجاهلية ، حيث كانوا يقطعون في القليل والكثير ، فلنن اسارق [الذي] يُبَيِّنُ يَدَهُ الثَّمَنِيَّةَ فِي الْأَشْيَاءِ الْمَهِيَّةِ .

وقد ذكروا أن أبا العلاء المعري ، لا قدم بغداد ، اشتهر عنه أنه أورد إشكالا على الفقهاء في جعلهم تصبب السرقة ربع دينار ، وتظن في ذلك شعرا دل على جهله ، وقلة عقله ، فقال :

يَدٌ بِخَمْسِ مِثْقَلِ صَجْدٍ وَدِيْنَتِ مَا بِالْأَلْفِ قُطِعَتْ فِي رُبْعِ دِينَارِ
تَنَاقُضٌ مَا لَنَا إِلَّا السَّكُوتُ لَهُ وَأَنْ تَمُودَ بِمَوَلَاتَا مِنْ النَّارِ

(١) ذكر البخاري يد هذا الحديث : « قال الأعمش : كانوا يرون أنه بيضة الحديد ، والحبل كانوا يرون أنه منها ما يساوي دراهم » . ينظر كتاب المأثور : ١٩٨/٨ .

والأولى ذلك واشتهر عنه تعلّجه الفقهاء فهرب منهم : وقد أجابه الناس في ذلك ، فكان جواب القاضي عبد الوهاب المالكي ، رحمه الله ، أنه قال : لا كانت أنية كانت ثمنية ، فلما خانت هانت . ومنهم من قال : هلمنا تمام الحكمة والمصلحة وأسرار الشريعة العظيمة ، فإنه في باب الجنائيات ناسب أن تعظم قيمة اليد بتمسكها دينار ثلاثين حتى عليها ، وفي باب السرقة ناسب أن يكون القدر الذي تقطع فيه ربع دينار ثلاثين صاع الناس في سرقة الأموال ، فهلمنا هو عين الحكمة عند ذوى الألباب . ولما قال : (جزاء ما كسبنا نكالاً من الله والله عزيز حكيم) ، أى : مجازاة على صنيعهما السيئ في أخلاصهما أموال الناس بأنفسهم ، فناسب أن يقطع ما استعانا به في ذلك (نكالاً من الله) ، أى : تنكيلاً من الله بهما على ارتكابه ذلك (والله عزيز) ، أى : في انتقامه (حكيم) أى : في أمره ونهيه وشرعه وقدره .

ثم قال تعالى : (فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح ، فإن الله يتوب عليه ، إن الله غفور رحيم) ، أى : من تاب بعد سرقة وأصاب إلى الله ، فإن الله يتوب عليه فيما بينه وبينه ، فأما أموال الناس فلا بد من ردّها إليهم أو بدلها عند الجمهور .

وقال أبو حنيفة : متى قطع وقد تلفت في يده فاته لا يرد بدلها . وقد روى الحافظ أبو الحسن الدارقطني من حديث [محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان (١)] عن أبي هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى سارق قد سرق شملة ، فقال : يا إناحله سرق ! فقال السارق : بلى ، يا رسول الله . قال : اخذوها به فاقطعوه ، ثم احسوه ، ثم اتوني به . فقطع فأتى به ، فقال : تب إلى الله . قال : تب إلى الله . فقال : تاب الله عليك (٢) .

وقد روى من وجه آخر مرسلًا ورجّح لإرساله على بن المنبهي وابن خزيمة ، رحمهما الله : وروى ابن ماجه من حديث ابن أبي ليحة ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن عبد الرحمن بن ثعلبة الأنصاري ، عن أبيه : أن عمرو بن سمرّة ابن حبيب بن عبد شمس جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، إنى سرقت جملًا لبني فلان ، فطهرني ! فأرسل إليهم النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : إنا اقتصدنا جملًا لنا . فأمر به فقطعت يده [قال ثعلبة : أنا أنظر إليه حين وقفت يده] (٣) وهو يقول : الحمد لله الذي طهرني منك ، أردت أن تدخل جسدني النار (٤) .

وقال ابن جرير : حدثنا أبو كريب ، حدثنا موسى بن داود ، حدثنا ابن أبي ليحة ، عن حبيب بن عبد الله ، عن ابن عبد الرحمن الحنكلى ، عن عبد الله بن عمرو قال : سرقت امرأة حلياً ، فجاه الذين سرقتها فقالوا : يا رسول الله ، سرقتنا هذه المرأة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقطعوا يدها اليمنى . فقالت المرأة : هل من توبة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنتد إليهم من خطيبتك كيوم ولدتك أمك ! قال : فأقر الله عز وجل : (لمن تاب من بعد ظلمه وأصلح ، فإن الله يتوب عليه ، إن الله غفور رحيم) (٥) .

(١) مكانه يابض في مخطوطة الأزهري ، والمكتبة من سنن الدارقطني .

(٢) سنن الدارقطني ، كتاب الحدود : ٣٣١ .

(٣) من سنن ابن ماجه ، وهو سقط نظر .

(٤) سنن ابن ماجه ، كتاب الحدود ، الحديث ٢٥٨٨ = ٨٦٣/٢ .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر ١١٩١٧ = ٣٩٦/١٠ .

وقد رواه الإمام أحمد بأبسط من هذا فقال : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثني حبيبي بن عبد الله ، عن أبي عبد الرحمن الحبلي ، عن عبد الله بن عمرو : أن امرأة سرقَتْ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء بها الذين سرقهم فقالوا : يا رسول الله ، إن هذه المرأة سرقتنا [قال قوما : فنحن نذهب . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقطعوا يدها] فقالوا : نحن نذهب بحياة دينار . قال : اقطعوا يدها . قال [(١) : قطعت يدها اليمى . فقالت المرأة : هل لي من توبة يا رسول الله ؟ قال : نعم ، أنت اليوم من خطيئتك كيوم ولدتك أمك . فأنزل الله في سورة المائدة : (فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح ، فإن الله يتوب عليه ، إن الله غفور رحيم) (٢) .

وهذه المرأة هي المغزوية التي سرقَتْ ، وحدثها ثابت في الصحيحين ، من رواية الزهري ، عن عروة ، عن عائشة : أن ثقيفاً أكرم شأنُ المرأة التي سرقَتْ في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، في غزوة الفتح ، فقالوا : من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالوا : ومن يستجري عليه إلا أسامة بن زيد حبيبُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فأثبى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكلَّمه فيها أسامة بن زيد ، فتلوّن وجهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أتشفعُ في أحد من حُدود الله عز وجل ؟ فقال له أسامة : استغفر لي يا رسول الله . فلما كان المصبيّ قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختلط ، فأثبى على الله بما هو أهله ، ثم قال : أما بعد ، فإنا أمك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيفُ أقاموا عليه الحد ، وإنني والله تقى بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقَتْ لقطعْتُ يدها : ثم أمر بتلك المرأة التي سرقَتْ لقطع يدها . قالت عائشة : فحسنتُ توبتها بعد ، وتزوجت ، وكانت تأتي بعد ذلك ، فأرْفَع حاجتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وهذا لفظ مسلم : (٣) وفي لفظ له عن عائشة قالت : كانت امرأة غزومية تستعير متاعاً مني ونجسده ، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقطع يدها (٤) .

وعن ابن عمر قال : كانت امرأة غزومية تستعير متاعاً مني ونجسده ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع يدها .

رواه الإمام أحمد ، وأبو داود ، والنسائي (٥) - وهذا لفظه - وفي لفظ له : أن امرأة كانت تستعير الخيل للناس ثم تحسكه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [لتب هذه المرأة إلى الله ورسوله وترد ما تأخذ من القوم ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم] (٦) : قم يا بلال فخذ يدها فاقطعها .

وقد ورد في أحكام السرة أحاديث كثيرة مذكورة في كتاب « الأحكام » ، وفي الحمد والمئة ،

(١) سقط من المخطوطة ، أثبتناه من المتن .

(٢) مسند أحمد : ١٧٧/٢ ، ١٧٨ .

(٣) مسلم ، كتاب الخدود : ١١٤/٥ ، ١١٥ . والبخاري ، كتاب الخدود : ١٩٩/٨ .

(٤) مسلم ، كتاب الخدود : ١١٥/٥ .

(٥) مسند أحمد : ١٥١/٢ ، وسنن أبي داود ، كتاب الخدود ، باب في الخد يشق فيه ، الحديث ٤٣٧٤ : ١٣٢/٤ .

(٦) وباب في القبط في السارية إذا جعدت ، الحديث ٤٣٩٥ : ١٣٩/٤ . والنسائي ، كتاب قطع السارق ، باب ما يكون حرزاً وما لا يكون : ٧١/٨ .

(٧) سقط من المخطوطة ، أثبتناه من النص .

ثم قال تعالى : ولم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض ، أى : هو المالك لجميع ذلك ، الحاكم فيه ، الذى لا مقب لحكمه ، وهو القهار لما يريد (يطلب من يشاء ، ويقرر من يشاء ، والله على كل شيء قدير) .

﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ لَا يَنْجِيكُمْ الَّذِينَ يَسْعُرُونَ فِي السُّمُورِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَقْوَامِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ بِحُجُجٍ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يَرِدِ اللَّهُ فِتْنَتُهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْءٌ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِ قُلُوبَهُمْ هُمْ فِي الضَّلَالَةِ بَرِئَ اللَّهُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ ﴿ سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ أَكْثَرُونَ لِلسَّحْتِ فَأَمَّا جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْقَاسِطِينَ ﴾ ﴿ وَكَيْفَ يُحْجِرُونَكَ وَعِنْدَهُمُ الْقُوَّةُ فِيمَا حَكَرُ اللَّهُ لَمْ يَقُولُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا الْقُرْآنَ فِيمَا هَدَىٰ وَنُورٌ يُحْكِرُ بِهَا الْيَهُودَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا مِنْ أُولَئِكَ هَادُوا وَكَرِهُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ بِمَا آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَكَرِهُوا أَنْ يُنْفِقُوا وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّذِينَ هَادُوا وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ فِي سُلُوكٍ مِثْلٍ ﴾ ﴿

ترتت هذه الآيات الكريمة على الملاحمين في الكفر ، الخارجين عن طاعة الله ورسوله ، القلمين آراهم وأهوامهم على شرائع الله عز وجل ، (من الذين قالوا : آمنا بأقوامهم . ولم تؤمن قلوبهم) أى : أظهروا الإيمان بالسهم ، وقلوبهم خراب غواية منه ، وهؤلاء هم المنافقون (ومن الذين هادوا) أعداء الإسلام وأمله . وهؤلاء كلهم (ساعون للكلب) ، أى : يستجيون له ، مغلوبون عنه (ساعون لقوم آخرين لم يأتوك) أى : يستجيون لأقوام آخرين لا يأتون مجلسك يا محمد ، وقيل : المراد أنهم يتسمعون الكلام ، ويشهرونه إلى أقوام آخرين عن لا يحضر صدك ، من أعدائك (يحرفون الكلم من بعد مواضعه) ، أى : يتأولونه على غير تأويله ، ويبدكونه من بعد ما علقوه وهم يعلمون (يقولون : إن أُوتِيتُمْ هذا فخذوه ، وإن لم تُؤْتَوْهُ فاحذروا) .

قيل : ترتت في أقوام من اليهود ، قتلوا قتيلًا ، وقالوا : تعالوا حتى نتحاكم إلى محمد ، فان أماننا بالدية فخلوا مائلا ، وإن حكم بالقصاص فلا نسعوا منه .

والصحيح أنها ترتت في اليهوديين الذين زيا - وكانوا قد بدلوا كتاب الله الذى بأيديهم ، من الأمر برجم من أحسن منهم ، فحرفوا واسطلحوا فيها بينهم على الجمل مائة جلطة ، والتجسس والإرهاب على حمار متولين . فلما وقعت تلك الكائنة بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم ، قالوا فيها بينهم : تعالوا حتى نتحاكم إليه ، فان حكم بالجلدة والتجسس (١) فخلوا عنه ، واجعلوه حجة بينكم وبين الله ، ويكون نبي من أنبياء الله قد حكم بينكم بذلك ، [وإن حكم بالبرجم فلا تبعوه في ذلك] .

وقال الزهري : سمعت رجلا من مزينة ، ممن يبيع العلم وبهيه ، ونحن عند ابن المسيب : عن أبي هريرة قال : زنى رجل من اليهود امرأة ، فقال بعضهم لبعض : اذهبوا إلى هذا النبي ، فانه يث بالتخفيف ، فان أفتانا بفتننا دون الرجم فليأمرنا ، واحتجبتنا بها عند الله ، قلنا : نبي [نبي من أنبيائك (١)] ، قال : فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد في أصحابه ، فقالوا : يا أبا القاسم ، ما تقول في رجل وامرأة منهم زنيا ؟ فلم يكلمهم كلمة حتى أتى بيت مدرّسهم ، فقام على الباب فقال : أنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى ، ما يعملون في التوراة على من زنى إذا لحصن ؟ قالوا : يُحْصَم ، وَيُجْبَى وَيُجْلَد . والنجية : أن يعمل قرأتين على حمار ، وتقال أقيمتها ، ويطلق بهما . قال : وسكت شاب منهم ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم سكت (٢) به رسول الله صلى الله عليه وسلم لتشدته ، فقال : اللهم إني تشللتنا ، فاننا نجد في التوراة الرجم . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : فما أولك ما لو حصن أمر الله ؟ قال : زنى ذو قرابة من ملك من ملوكنا ، فأخبر عنه الرجم ، ثم زنى رجل في أثر من الناس ، فأردججه ، فقال قومه فونه وقالوا : لا يرجم صاحبنا حتى نجى بصاحبك فزججه ! فاصطلحوا هذه العقوبة بينهم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : وفاني أحكم بما في التوراة ، فأمر بهما فزججا . قال الزهري : فبلغنا أن هذه الآية نزلت فيهم : (إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا) ، فكان النبي صلى الله عليه وسلم منهم ؛

رواه أحمد ، وأبو داود - وهذا لفظه - وابن جرير .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن عبد الله بن مرة : عن البراء بن عازب قال : مر على رسول الله صلى الله عليه وسلم يردى عجمي مجلود ، فقام فقال : أمكلا تجلون حد الزاني في كتابكم ؟ قالوا : لم ، فلما رجلا من علمائهم فقال : أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى ، أمكلا تجلون حد الزاني في كتابكم ؟ قال : لا ، والله ، ولولا أنك تشدني بهذا لم أنبئك ، نجد حد الزاني في كتابنا الرجم ، ولكنه كثر في أشرافنا ، فكنا إذا أخذنا الشرب تركناه ، وإذا أخذنا الضميمة أقمنا عليه الحد ، قلنا : صالوا حتى نجعل شيئا يقيم على الشريف والوضيع ، فاجتمعنا على التحميم والجلد . قال النبي صلى الله عليه وسلم : اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه . قال : فأمر به فزجم ، قال : فأنزل الله عز وجل : (يا أيها الرسول ، لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر) ... إلى قوله : (يقولون إن أوتيتم هذا فخلوه) ، يقولون : اتروا عملا ، فان أفتاكم بالتحميم والجلد فخلوه ، وإن أفتاكم بالرجم فاحلوه ، إلى قوله : (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) ، قال : في اليهود إلى قوله : (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) ، قال : في اليهود ، (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) ، قال : في الكفار كلها .

انفرد (٤) بإخراجه مسلم دون البخاري ، وأبو داود ، والسنائي ، وابن ماجه ، من غير وجه ، عن الأعمش ، به .

وقال الإمام أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي في مسنده : حدثنا سفيان بن حيينة ، عن مجاهد بن سعيد المحدثي ، عن الشعبي ، عن جابر بن عبد الله قال : زنى رجل من أهل فدك ، فكتب أهل فدك إلى ناس من اليهود بالمدينة :

(١) مكلف في المخطوطة : « في إسرائيل » وللتثنية عن سنن أبي طود .

(٢) أنشد به التثنية : إلح في رواه .

(٣) سنن أبي داود ، كتاب الجلود ، باب في دمع اليهوديين ، الحديث ٤٤٥٠ : ١٥٥/٤ .

(٤) مسند أحمد : ٢٨٦/٤ ، ومسلم ، كتاب الجلود : ١٢٢/٥ ، ١٢٣ .

أن سلوا عمداً من ذلك ، فإن أمركم بالجلد فخلوه عنه ، وإن أمركم بالرجم فلا تأخلوه عنه ، فسألوه من ذلك ، قال :
 أرسلوا إلى أهل رحيلين فيكم : فجاءوا برجل أعور - يقال له : ابن صوريا - وآخر ، فقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم :
 أنيا أعلم من قبلكما ؟ قالوا : بلى : فقال النبي صلى الله عليه وسلم : فأنشدكم بالنبي فلق البحر لبني إسرائيل ، وظلل عليكم
 الغمام ، وأتياكم من أك فرعون ، وأزل لنن والعلوى حل بني إسرائيل : ما تجدون في التوراة في شأن الرجم ؟ فقال
 أحدهما للآخر : ما تُشَدُّ بطنه قط : قال : نجد ترداد للنظر زنية والاعتناق زنية ، والقتل زنية ، فإذا شهد أربعة
 أنهم رأوه يبدى ويبيد ، كما يدخل الليل في اللسكنة ، فقد وجب الرجم : فقال النبي صلى الله عليه وسلم : هو ذلك :
 فأمر به فترجم ، فتركه : (فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم ، وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئاً ، وإن
 حاكمك فاحكم بينهم بالقسط ، إن الله يحب للمتقنين) .

رواه أبو داود (٢) وابن ماجه ، من حديث مجالد ، به نحوه : ولفظ أبي داود من جابر قال : جاءت اليهود برجل
 وامرأة منهم زنيا ، فقال : اتوني بأعلم رجلين منكم : فأتوه بابني صوريا ، فنشدهما : كيف تجدان أمر حلين في التوراة ؟
 قالوا : نجد في التوراة إذا شهد أربعة أنهم رأوا ذكره في فرجها مثل الليل في اللسكنة ، رجبا : قال : فما بمنكم أن
 توجروهما ؟ قالوا : ذهب سلطاننا ، فكرهنا القتل : فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشهود ، فجاءوا بأربعة ،
 فشهدوا أنهم رأوا ذكره في فرجها (٣) مثل الليل في اللسكنة ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم . برجمهما :

ثم رواه أبو داود ، عن الشعبي وإبراهيم التيمي ، مرسل (٤) ، ولم يذكر فيه : وقد دعا بالشهود فشهدوا : فهذه أحاديث
 دالة على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حكم بموافقة حكم التوراة ، وليس هذا من باب الإلزام لم بما يقتضونه صحتهم ،
 لأنهم مأمورون باتباع الشرع المسمى لا بحالة ، ولكن هذا يوحى خاصة من الله عز وجل إليه بذلك ، وسؤاله إياهم عن
 ذلك ليقرهم على ما بأيديهم ، مما تراشوا على كتمانته وجهده ، وحلم العمل به تلك الدور الطويلة . فلما ائتمروا به
 مع عسكرهم على خلافه ، بأن زينهم وعنادهم وتكذيبهم لا يقتضونه صحتهم من الكتاب للذي بأيديهم . وعلموا إلى تحكيم
 الرسول صلى الله عليه وسلم إنما كان عن هوى منهم وشهوة لموافقة آرائهم ، لا لاعتقادهم صحة ما يحكم به ، ولهذا
 قالوا : (إن أوتيتهم هذا) أي : الجلد والتجسيم (فخلوه) ، أي : اقبلوه (وإن لم يتؤثرو فاحلوه) أي : من قوله واتباعه ،
 قال الله تعالى : (ومن يرد الله فتنة فلن نملك له من الله شيئاً ، أولئك الذين لم يرد الله أن يظهر قلوبهم ، لم في الدنيا
 خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم ، ساعون للكذب) ، أي : الباطل (أكالون للسحت) ، أي : الحرام ، وهو الرشوة
 كما قاله ابن مسعود وغير واحد . أي : ومن كانت هذه صفته كيف يظهر الله قلبه ؟ وأنى يستجيب له

(١) في الأصول : « هه هنا قوما كذلك » وللتب من المطبوعات . وستن ابن ماجه ، كتاب الحدود ، الحديث
 ٨٥٥/٢ : ٢٥٥٨ . وستن أبي داود ، كتاب الحدود ، باب في رجم اليهوديين ، الحديث ٤٤٤٨ : ١٥٤/٤ .

(٢) سنن أبي داود ، كتاب الحدود ، باب ما جلد في رجم اليهوديين ، الحديث ٤٤٥٢ : ١٥٦/٤ .

(٣) من سنن أبي داود .

(٤) سنن أبي داود ، الكتاب ، والباب للختمان ، الحديث ٤٤٥٣ : ١٥٧/٤ .

ثم قال لبيبه : (فإن جاموك) ، أى : يتحكمون إليك (فاحكم بينهم أو أعرض عنهم ، وإن تعرض عنهم فلا يضررك شيئا) ، أى : فلا عليك أن لا تحكم بينهم لأنهم لا يتصلون بتحكمهم إليك اتباع الحق ، بل ما وافق هوامم :
قال ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، والحسن ، وقادة ، والسلي ، وزيد بن أسلم ، وحطاب الخراساني : هي منسوخة بقوله : (وإن أحكم بينهم بما أنزل الله) (١) (وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط) ، أى : بالحق والعدل ، وإن كانوا ظلمة خارجين عن طريق العدل (إن الله يحب القسط) .

ثم قال تعالى - منكرًا عليهم في آرائهم انقاصه ومقاصدهم اثر الله - في تركهم ما يعتقدون صحته من الكتاب الذي بأيديهم ، الذي يزعمون أنهم مأمورون بالتمسك به أبدا ، ثم خرجوا عن حكمه وعدلوا إلى غيره ، مما يعتقدون في نفس الأمر بطلانه وعدم لزومه لهم ، فقال : (وكيف يحكمولك وعندكم التوراة فيها حكم الله ، ثم يتولون من بعد ذلك ، وما أولئك بالمؤمنين) .

ثم مدح التوراة التي أنزلها على عبده ورسوله موسى بن عمران ، فقال : (إنا أنزلنا التوراة فيها هللى وفور ، يحكم بها النبيون الذين أسلموا للدين هادوا) ، أى : لا يخرجون عن حكمها ولا يبدلونها ولا يغيرونها (والرايون والأخبار) : أى : وكذلك الرايون منهم وهم العلماء ، والأخبار وهم العلماء (بما استحضروا من كتاب الله) ، أى : بما استودعوا من كتاب الله الذي أمروا أن يظهره ويمثلوا به (وكانوا عليه شهداء ، فلا تحشروا الناس وانحشروا) ، أى : لا تحشروا منهم وعافوا (ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) فيه قولان سيأتي بيانهما .

سبب نزول هذه الآيات الكريمة

قال الإمام أحمد : حدثنا إبراهيم بن العباس ، حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس قال : إن الله أنزل : (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) وأولئك هم الظالمون : وأولئك هم الفاسقون قال : قال ابن عباس : أنزل الله في الطائفتين من اليهود ، كانت إحداهما قد قهرت الأخرى في الجاهلية ، حتى ارتضوا أو اصطالحوا على أن كل قتيل قتله الغزوة من الذليلة [غلبته محسون وسقا ، وكل قتيل قتله الذليلة من الغزوة غلبته مائة وسق ، فكانوا على ذلك حتى قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ، فذهبوا بالملائكة كلئهما ، اتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويومئذ لم يظهر ، ولم يوطئهما عليه : وهو في الصلح ، فذهبت الذليلة (٢) من الغزوة قتلا ، فأرسلت الغزوة إلى الذليلة : أن ابشروا لنا مائة وسق . فقالت الذليلة : وهل كان [هنا] (٣) في حيتين [قط] (٤) دينهما واحد ، ونسبهما واحد ، وبلدنا واحد : دية بعضهم نصف دية بعض . إنما أعطيتكم هذا ضيا منكم لنا ، وقرقا منكم ، فأما إذ قدم محمد فلا نعطيك [ذلك] (٥) . فكانت الحرب بينهم ، ثم ارتضوا على أن يجعلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم ، ثم ذكرت الغزوة فقالت : والله ما محمد يعطيك منهم ضعف ما يعطيهم منكم ، وقد صدقوا ، ما أعطونا هذا إلا ضيا منا وقهرا لهم ، فلصوا إلى محمد : من يختبر لكم رابه ، إن أعطاكم ما تريدون حكمتوه وإن لم يعطكم جدوزتم فلم يحكموه . فصاروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ناسا من المنافقين ليتخيروا ولم رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما جاموا رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بأمرهم كله ، وما أودوا ، فأنزل الله تعالى . (يا أيها الرسول ، لا يعزك الذين يسارعون في الكفر) إلى قوله : (الفاسقون) ، فقيمهم - والله - أنزل ، وإياهم حتى الله عز وجل (٦) .

(١) ينظر تفسير الطبري : ٣٣٤/٣٣٠/١٠ .

(٢) سقط من المخطوطة ، أثبتته عن مسند الإمام أحمد .

(٣) مستأجد : ٢٤٦/١ .

ورواه أبو داود من حديث ابن أبي الزناد ، عن أبيه ، نحوه .

وقال أبو جعفر بن جرير ، حدثنا هناد بن السرى وأبو كريب قالوا : حدثنا يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق ، حدثني داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أن الآيات في « المائدة » ، قوله : (فاحكم بينهم أو أعرض عنهم) إلى : (للتوسط) ، إنما أنزلت في الآية في بني النضير وبني قريظة ، وذلك أن قتل بني النضير ، كان لم شرف ، تؤدى (١) الآية كاملة ، وأن قريظة كانوا يؤدون نصف الآية : فصحاكموا في ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر الله ذلك فيهم ، فحملهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحق في ذلك ، فجعل الآية في ذلك سواء - والله أعلم أي ذلك كان .

ورواه أحمد ، وأبو داود ، والنسائي من حديث ابن إسحاق ،

ثم قال ابن جرير : حدثنا أبو كريب ، حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن علي بن صالح ، عن سيك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : كانت قريظة والنضير ، وكانت النضير أشرف من قريظة ، فكان إذا قتل رجل من قريظة [رجلا من النضير] قتل به ، وإذا قتل رجل من النضير رجلا من قريظة ، ودى مائة وسق نحر . فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قتل رجل من النضير رجلا من قريظة ، فقالوا : ادفوه إلينا . فقالوا : يبتنا ويبتكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فترلت : (وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط) .

ورواه أبو داود (٢) ، والنسائي ، وابن حبان ، والحاكم في المستدرک ، من حديث عبيد الله بن موسى ، نحوه .

وهكذا قال قتادة ، ومقاتل بن حیان ، وابن زيد وغير واحد .

وقد روى العروى ، وحلى بن أبي طلحة الرازي ، عن ابن عباس : أن هذه الآيات تزلت في اليهوديين اللذين زنيا ، كما تقدمت الأحاديث بذلك . وقد يكون اجتماع هذين السببان في وقت واحد ، فترلت هذه الآيات في ذلك كله ، والله أعلم .

وهكذا قال بعد ذلك : (وكنتا عليهم فيها أن النفس بالنفس ، والعين بالعين) ... إلى آخرها . وهذا يقوى أن سبب التزول قضية القصاص ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

وقوله : (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) ، قال الرازي بن عازب ، وحذيفة بن اليان ، وابن عباس ، وأبو مجلز ، وأبو رجاء الطماردي ، وعكرمة ، وعبيد الله بن عبد الله ، والحسن البصري ، وغيرهم : تزلت في أهل الكتاب - زاد الحسن البصري : وهي علينا واجبة .

(١) في تفسير الطبري ٣٢٦/١٠ ، ٣٢٧ : « تؤدى » و « يؤدون » بمنزلة الواو . وفي شطوطة الأثر « يؤدون » بالهمز ، و « تؤدى » دون همز . والبيان يقتضى ما أثبتنا من غير همز . وقد تبين بعد ما أثبتنا هذا أنه قد وردت بهذا الرواية في النسخ ، في كتاب القسمة ، باب تأويل قول الله تعالى : (وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط) : ١٩/٨ .

(٢) سنن أبي داود ، كتاب الميثاق ، باب النفس بالنفس ، الحديث ٤٤٩٤ : ١٦٨/٤ . والنسائي ، كتاب القسمة ، باب تأويل قول الله تعالى : « وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط » : ١٨/٨ ، ١٩ . والمستدرک ، كتاب الحدود : ٣٦٧/٤ ، ٣٦٨ .

وقال عبد الرزاق ، عن سفیان الثوري ، عن منصور ، عن إبراهيم قال : قرئت هذه الآيات في بني إسرائيل ، وروى الله لهذه الأمة بها . رواه ابن جرير (١) .

وقال ابن جرير أيضا : حدثنا يعقوب ، حدثنا هشيم ، أخبرنا عبد الملك بن أبي سليمان ، عن سلمة بن كهيل ، عن طعمة ومسروق : أنهما سألا ابن مسعود عن الرشوة ، فقال : من السحت : قال قتالا ، وفي الحكم ؟ قال : ذلك الكفر . ١ ثم تلا : (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون (٢)) .

وقال السدي : (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) ، يقول : ومن لم يحكم بما أنزل الله ، فتركه هذا أو جاز وهو يعلم ، فهو من الكافرين (٣) .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله : (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) ، قال : ومن جحد ما أنزل الله فقد كفر . ومن أقر به ولم يحكم ، فهو ظالم فاسق : رواه ابن جرير (٤) .

ثم اختار أن الآية للمراد بها أهل الكتاب ، أو من جحد حكم الله المتزل في الكتاب (٥) .

وقال عبد الرزاق ، عن الثوري ، عن زكريا ، عن الشعبي : (ومن لم يحكم بما أنزل الله) ، قال : المسلمين (٦) .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن المنذر ، حدثنا عبد الصمد ، حدثنا شعبة ، عن ابن أبي السفر ، عن الشعبي : (ومن لم يحكم بما أنزل الله) فأولئك هم الكافرون (٧) ، قال : هذا في اليهود (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) ، قال : هذا في اليهود (ومن لم يحكم بما أنزل الله) فأولئك هم الفاسقون) ، قال : هذا في النصاري (٨) .

وكلما رواه هشيم والثوري ، عن زكريا بن أبي زائدة ، عن الشعبي .

وقال عبد الرزاق أيضا : أخبرنا ميمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه قال : سئل ابن عباس عن قوله : (ومن لم يحكم) ... الآية ، قال : هي به كفر - قال ابن طاوس : وليس كمن كفر بالله وملائكته وكتبه ورسوله (٩) .

وقال الثوري ، عن ابن جريج ، عن عطاء أنه قال : كفر دون كفر ، وظلم دون ظلم ، وفسق دون فسق : رواه ابن جرير (١٠) .

وقال وكيع [عن سفیان (١١)] عن سعيد المكي ، عن طاوس : (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) ، قال : ليس بكفر يقل من اللذة :

(١) تفسير العنبري ، الأثر ١٢٠٥٧ : ٣٥٦/١٠ .

(٢) المصدر السابق ، الأثر ١٢٠٦١ : ٣٥٧/١٠ .

(٣) المصدر السابق ، الأثر ١٢٠٦٢ : ٣٥٧/١٠ .

(٤) المصدر السابق ، الأثر ١٢٠٦٣ : ٣٥٧/١٠ .

(٥) المصدر السابق : ٣٥٨/١٠ .

(٦) ينظر تفسير العنبري ، الأثر ١٢٠٤٥ : ٣٥٥/١٠ .

(٧) تفسير العنبري ، الأثر ١٢٠٤٢ : ٣٥٤/١٠ - ولم يرد فيه تفسير الشيء لآية في حق اليهود ..

(٨) المصدر السابق ، الأثر ١٢٠٥٥ : ٣٥٦/١٠ .

(٩) المصدر السابق ، الأثر ١٢٠٤٧ : ٣٥٥/١٠ .

(١٠) من تفسير العنبري ، الأثر ١٢٠٥٢ : ٣٥٥/١٠ .

وقال ابن أبي حاتم ، حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ ، حدثنا سفيان بن حيينة ، عن هشام بن حجير ، عن عمار ، عن ابن عباس في قوله : (ومن يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) قال : ليس بالكافر الذي يلعبون إليه :
ورواه الحاکم في مستدرکه ، من حديث سفيان بن حيينة ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه (١) .

وَكُنْتُمْ عَلَيْهِمْ فِيمَا أَنْ النَّفْسُ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنُ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفُ بِالْأَنْفِ وَالْأَذُنُ بِالْأَذُنِ وَاللِّسَنُ بِاللِّسَنِ وَالْجُرُوحُ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٥﴾

وهذا أيضا ما وُجِدَتْ به اليهود وفرصوا عليه ، فان عتدتم في نص التوراة : أن النفس بالنفس . وهم يخالفون حكم ذلك عهدا وعنادا ، ويتخذون النضري من القرطى ، ولا يتقيدون القرطى من النضري ، بل يدلون إلى الذب ، كما شاقوا حكم التوراة المنصوص عندهم في رجم الزاني المحصن ، وعندوا إلى ما اصطصروا عليه من الجلد والتجميم والإشهار ، ولهذا قال هناك : (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) ، لأنهم جحدوا حكم الله قصدا منهم وعنادا وعدا ، وقال حاجتا : (فأولئك هم الظالمون) لأنهم لم ينصفوا المظلوم من الظالم [في الأمر] الذي أمر الله بالعدل والتسوية بين الجميع فيه ، فخذلوا وظلموا ، وتعدى بعضهم حل بعض (٢) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن آدم ، حدثنا ابن المبارك ، عن يونس بن يزيد ، عن أبي حنبل بن يزيد - أعمى يونس بن يزيد - عن الزهري ، عن أنس بن مالك : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأها : (وكنتما عليهم فيما أن أنفس بالنفس والعين بالعين) نصب النفس ورفع العين (٣) .

وكذا رواه أبو داود ، والترمذي ، والحاکم في مستدرکه ، من حديث عبد الله بن المبارك ، وقال الترمذي : حسن غريب .

وقال البخاري : تفرد ابن المبارك بهذا الحديث .

وقد امتثل كثير من ذهب من الأصوليين والفقهاء إلى أن شرع من قبلنا شرع لنا ، إذا حكى مقررا ولم يتبع ، كما هو المشهور عن الجمهور ، وكما حكاه الشيخ أبو إسحاق الإسفراييني عن نص الشافعي وأكثر الأصحاب ، بهذه الآية ، حيث كان الحكم حدثا على وفقها في الجنايات عند جميع الأئمة .

وقال الحسن البصري : هي عليهم وعلى الناس حكمة . رواه ابن أبي حاتم .

وقد حكى الشيخ أبو زكريا التوزي في هذه المسألة ثلاثة أوجه ، ثالثها : أن شرع إبراهيم حجة دون غيره ، وصحح منها عدم الحجية ، ونقلها الشيخ أبو إسحاق الإسفراييني أقوالا عن الشافعي ورجح أنه حجة عند الجمهور من أصحابنا فائدة أحمل .

(١) المستدرک ، تفسير سورة المائدة : ٣١٢/٢ .

(٢) لفظ المخلوطة : وتعدوا حل بعضهم بشيء ولا يستقيم مثل هذا الأسلوب حرية .

(٣) سنن أحمد : ٢١٥/٣ .

وقد حكى الإمام أبو نصر بن الصباغ ، رحمه الله ، في كتابه « الشامل » إجماع العلماء على الاحتجاج بهذه الآية على ما دلت عليه ، وقد احتج الأئمة كلهم على أن الرجل يقتل بالمرأة بعموم هذه الآية الكريمة ، وكذا ورد في الحديث الذي رواه النسائي وغيره : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب في كتاب عمرو بن حزم : « أن الرجل يقتل بالمرأة » (١) » وفي الحديث الآخر : « المسلمون متكافؤون دماءهم » (٢) ، وهذا قول جمهور العلماء :

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أن الرجل إذا قتل المرأة لا يقتل بها ، إلا أن يدفع وليها إلى أوليائه نصفت العدة ، لأن دينها على النصف من دية الرجل ، وإليه ذهب أحمد في رواية [وحكى عن الحسن ، وعطاء ، وعثمان ، أبي ، ورواية عن أحمد أن الرجل إذا قتل المرأة لا يقتل بها ، بل تجب ديتها :

وهكذا احتج أبو حنيفة ، رحمه الله تعالى ، بعموم هذه الآية على أنه يقتل المسلم بالكافر الذي ، وعلى قتل الحر بالبدد . وقد خالفه الجمهور فيها ، ففي الصحيحين عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يقتل مسلم بكافر » (٣) ، وأما العبد فمن السلف في آثار متعددة : أنهم لم يكونوا يقتلون العبد من الحر ، ولا يقتلون حرا بعبد ، وجاء في ذلك أحاديث لا تصح ، وحكى الشافعي الإجماع على خلاف قول الحنفية في ذلك ، ولكن لا ياتر من ذلك بطلان قولهم إلا بدليل يخص الآية الكريمة :

ويؤيد ما قاله ابن الصباغ من الاحتجاج بهذه الآية الكريمة الحديث الثابت في ذلك ، كما قال الإمام أحمد :

حدثنا محمد بن أبي حديد ، حدثنا حميد ، عن أنس بن مالك : أن الربيع حصة أنس كسرت نتيجه جارية ، فطليوا إلى القوم المغو ، فأبوا ، فأثروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : قصاص . فقال أخوها أنس بن النضر : يارسول الله ، تكسر نية فلانة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أنس ، كتاب الله القصاص : قال : قال : لا ، والذي بعثك بالحق ، لا تكسر نية فلانة . قال : فرضى القوم ، ففجروا وتركوا قصاص ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره (٤) .

أخرجاه في الصحيحين (٥) . وقد رواه محمد بن عبد الله بن المنثي الأنصاري ، في الجزء المشهور من حديثه ، عن حميد ، عن أنس بن مالك : أن الربيع بنت النضر حطمت حارية فكسرت نيتها ، ففجروا عليها الأرض ، فطليوا الأرض والفض فأبوا ، فأثروا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمرهم بالقصاص ، فجاء أخوها أنس بن النضر فقال : يارسول الله ، أنكسر نية الربيع ؟ والذي بعثك بالحق لا تكسر نيتها . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يا أنس ، كتاب الله القصاص . ففجروا القوم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره . رواه البخاري عن الأنصاري . فأما الحديث الذي رواه أبو داود :

(١) النسائي ، كتاب القسلة ، باب ذكر حديث عمرو بن حزم : ٥٨/٨ .

(٢) التلأل ، كتاب القسلة ، باب سقوط القود من المسلم للكافر : ٢٤/٨ . وابن ماجه ، كتاب الديات : الحديث

٣٦٨٣ ، ٨٩٥/٢ . ومسنده أحمد من حل ، رضي الله عنه : ١١٩/١ . ١٢٢ .

(٣) البخاري ، كتاب العلم : ٣٨/١ . وكتاب النيات : ١٤/٩ .

(٤) مسند أحمد : ١٢٨/٣ .

(٥) البخاري ، كتاب الصلح : ٢٤٢/٢ . وسلم ، كتاب القسلة : ١٠٥/٥ . ١٠٦ .

حدثنا أحمد بن حنبل، حدثنا معاذ بن هشام، حدثنا أبي، عن قتادة، عن أبي نضرة، عن عمران بن حصين، أن غلاماً لأناس قطع أذن غلام لأناس أغنياء، فأتى أمه النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا رسول الله، إنا أناس قراء، فلم يجل عليه شيئاً (١). وكلما رواه النسائي عن إسحاق بن راهويه، عن معاذ بن هشام البصري، عن أبيه، عن قتادة، به: وهذا إسناده قوي رجاله كلهم ثقات - فإنه حديث مشكل، اللهم إلا أن يقال: إن الجاني كان قبل البلوغ، فلا قصاص عليه، ولعله عجل لرض مائتص من غلام الأغنياء عن القراء، أو استفهام عنه.

وقوله تعالى: (والجروح قصاص)، قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قال: تقتل النفس بالنفس، وتنفق العين بالعين، ويقطع الأنف بالأنف، وتترع السن بالسن، وتقتص للجراح بالجراح.

فهذا يستوى فيه أحرار المسلمين فيما بينهم، ورجلهم ونسأولهم، إذا كان عمداً في النفس وما دون النفس ويستوى فيه العبيد ورجلهم ونسأولهم فيما بينهم إذا كان عمداً في النفس وما دون النفس، رواه ابن (٢) جرير وابن أبي حاتم.

[قاعدة مهمة]

الجراح ثارة تكون في مقتضيل، ليجب فيه القصاص بالإجماع، كقطع اليد والرجل والكف والقدم ومحو ذلك، وأما إذا لم تكن الجراح في مفصل بل في عظم، فقال مالك رحمه الله: فيه القصاص إلا في الضخد وشبهها، لأنه يخوف خطر. وقال أبو حنيفة وصاحبه: لا يجب القصاص في شيء من العظام إلا في السن. وقال الشافعي: لا يجب القصاص في شيء من العظام مطلقاً، وهو مروى عن عمر بن الخطاب، وابن عباس. وبه يقول عطاء، والثوري، والشافعي، والحنبل، والزهري، وإبراهيم النخعي، وعمر بن عبد العزيز. وإليه ذهب سفيان الثوري، والليث بن سعد. وهو المشهور من مذهب الإمام أحمد.

وقد احتج أبو حنيفة رحمه الله بحديث الربيع بنت النضر على مذهب أنه لا قصاص في عظم إلا في السن. وحديث الربيع لا حجة فيه؛ لأنه ورد بلفظ «كسرت» تسمية جارية. ويجاز أن تكون سقطت من غير كسر، فيجب القصاص - والحالة هذه - بالإجماع. وعموا الله لالة بما رواه ابن ماجه، عن طريق أبي بكر بن عتيق، عن دحيم بن قرقان، عن سمعان بن جارية، عن أبيه جارية بن قاهر الحنفي: أن رجلاً ضرب رجلاً على ساعده بالسيف من غير المقصص، فقتلها، فاستندى النبي صلى الله عليه وسلم، فامر له بالدية، فقال: يا رسول الله، أريد القصاص. فقال: «خذ [الدية]»، بارك الله لك فيها. ولم يقض له بالقصاص (٣).

قال الشيخ أبو عمر بن عبد البر: ليس لهذا الحديث غير هذا الإسناد، ودحيم بن قرقان السكلي ضعيف أعرابي، ليس حديثه بما يحتاج به، وتومان بن جارية ضعيف أعرابي أيضاً، وأبو جارية بن ظفر مذكور في الصحابة.

-
- (١) سنن أبي داود، كتاب العيالات، باب في جنابة السيد يكون للقراء، الحديث ٤٥٩٠: ١٩٦/٤.
- (٢) تفسير الطبري، الأثر ١٢٠٧٢: ٣٦١/١٠. وقد جمل المحقق من قوله: «فهذا يستوى» إلى نهاية النص، من كلام ابن جرير.
- (٣) سنن ابن ماجه، كتاب العيالات، الحديث ٢٦٣٦: ٨٨٠/٢.

ثم قالوا : لا يجوز أن يقتص من الجراحة حتى تتحمل جراحة المجنى عليه ، فإن اقتص منه قبل الإكمال ثم زاد جرحه ، فلا شيء له ، والدليل على ذلك ما رواه الإمام أحمد [حدثنا يعقوب ، حدثنا أبي ، عن محمد بن إسحاق ، فذكر حديثاً ، قال ابن إسحاق ، وذكر (١) عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده : أن رجلاً طعن رجلاً بقرن في ركبته (٢) ، فجهاد إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أقدنى .] فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تمجل حتى يبرأ جرحك : قال : فأتى الرجل إلا أن يستقيد (٣) فأتاه [رسول الله صلى الله عليه وسلم منه ، قال : فرج المستقيد وبرأ المستقيد منه فأتى للمستقيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) فقال [له] : يا رسول الله ، هرجت [ويرأ صاحبي] (٥) . فقال : قد نيتك فصحتي (٤) ، فأبى الله وبطل عرجك . ثم نبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقتص من جرح حتى يبرأ صاحبه . »
فرد به أحمد (٥) .

[مسألة]

فلو اقتص المجنى عليه من الجاني ، فأتى من التصاص ، فلا شيء عليه عند مالك ، والثالثي ، وأحمد بن حنبل . وهو قول الجمهور من الصحابة والتابعين وغيرهم . وقال أبو حنيفة : يجب الدية في مال المقتص . وقال حاكم النعمي ، وعطاء ، وطاوس ، وعمر بن دينار ، والحارث السكلي ، وابن أبي ليلى ، وحباد بن أبي سليمان ، والزهري ، والثوري : يجب الدية على حاقلة المقتص له . وقال ابن مسعود ، وإبراهيم النخعي ، والحكم بن عتيبة ، وثمان البتي : يسقط عن المقتص له قدر تلك الجراحة ، ويجب الباقي في ماله .

وقوله : (فمن تصدق به فهو كفارة له) ، قال على بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : (فمن تصدق به) يقول : لمن ضاعته ، وتصدق عليه فهو كفارة المطلوب ، وأجر الطالب .

وقال سفيان الثوري ، عن عطاء بن السائب ، عن سميد بن جبير ، عن ابن عباس : (فمن تصدق به فهو كفارة له) ، [قال : كفارة] للجراح ، وأجر للمجروح على الله ، عز وجل . رواه ابن أبي حاتم ، ثم قال : وروى عن عبيدة ابن عبد الرحمن ، ومجاهد ، وإبراهيم — في أحد قوله — وحامر الشعبي ، وجابر بن زيد — نحو ذلك الوجه الثاني ، ثم قال ابن أبي حاتم .

حدثنا حماد بن زاذان ، حدثنا حري — يعني ابن حمزة — حدثنا شعبة ، عن عمارة — يعني ابن أبي حفصة — عن رجل ، عن جابر بن عبد الله ، في قول الله ، عز وجل : (فمن تصدق به فهو كفارة له) ، قال : المجروح . وروى عن الحسن البصري ، وإبراهيم النخعي — في أحد قوله — وأبي إسحاق الميماني ، نحو ذلك . وروى ابن جرير ، عن حامر الشعبي وقادة ، مثله .

(١) ما بين القوسين سقط من مخطوئتنا ، وهو سقط من الملاحظات كذلك ، وقد أتيته من المسند ، ومكانه يوافق يسع كلثنين . ويبدو أن ابن كثير قد أصبل من اختصار المسند .

(٢) في المسند : في ركبته .

(٣) عن المسند .

(٤) نص المسند : [فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألم أترك أن لا تستد حتى يبرأ جرحك ، فصحتي ...] .

(٥) مسند أحمد : ٢/٢١٧ .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا يونس بن حبيب ، حدثنا أبو داود الطيالسي ، حدثنا شعبة ، عن قيس - يعني ابن مسلم - قال : سمعت طارق بن شهاب يحدث ، عن الحارث بن أبي العرياء التميمي قال : رأيت عبد الله بن عمرو عند معاوية أحمر هيبها بالملأى ، فسأله عن قول الله : (فمن تصدق به فهو كفارة له) ، قال : يهدم عنه من ذنوبه بقدر ما تصدق به . وهكذا رواه سفيان الثوري عن قيس بن مسلم ، وكلوا رواه ابن جرير من طريق سفيان وشعبة (٢) .

وقال ابن مردويه : حدثني محمد بن علي ، حدثنا عبد الرحمن بن محمد المجاشعي ، حدثنا محمد بن أحمد بن الحجاج المهرقي ، حدثنا يحيى بن سليمان الجعفي ، حدثنا ممل - يعني بن هلال (٣) - أنه سمع أبا نين تنظي ، عن أبي العرياء (١) الحارث بن الأسود ، عن عبد الله بن عمرو - وعن أبا نين تنظي ، عن الشعبي ، عن رجل من الأنصار عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : (فمن تصدق به فهو كفارة له) ، قال : هو الذي تكسر سه ، أو تقطع يده ، أو يقطع الشيء منه ، أو يجر في يده فيفجر عن ذلك ، قال : فينحط عنه قدر خطاياه ، قال : كان ريع الذبة ربيع خطاياه ، وإن كان الثلث نفل خطاياه ، وإن كانت الذبة سقطت عنه خطاياه كذلك .

ثم قال ابن جرير : حدثنا زكريا بن يحيى بن أبي زائدة ، حدثنا ابن فضيل ، عن يونس بن أبي إسحاق ، عن أبي السحر قال : ودفع رجل من قريش رجلاً من الأنصار ، فاندقت ثيابه ، فرسه الأنصاري إلى معاوية ، فلما ألح عليه الرجل قال : شأنك وصاحبك : قال : وأبو النرداء عند معاوية ، فقال أبو النرداء : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما من مسلم يصاب شيء في جسده ، فيهبه ، إلا رفته الله به درجة ، وحط عنه به خطيئة . فقال الأنصاري : أنت سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : سمعته أذنائي ورواه علي . فخل سبيل القرشي ، فقال معاوية : مروا به مال .

هكذا رواه ابن جرير (٤) ، ورواه الإمام أحمد قال :

حدثنا وكيع ، حدثنا يونس بن أبي إسحاق ، عن أبي السحر قال : كسر رجل من قريش سيف رجل من الأنصار ، فاستدعى (٥) عليه معاوية ، فقال [القرشي : إن هذا دق سيوف ؟ (٦)] قال : معاوية : إنا سنرضيه (٧) . قال الأنصاري : فقال معاوية : شأنك بصاحبك ، وأبو النرداء جالس ، فقال أبو النرداء : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

- (١) في غلطة الأثر : « الحارث بن العرياء » وهو خطأ ، والمثبت عن تفسير الطبري ، والتهذيب ٨٩/١١ ، واسمه : الحارث بن الأسود التميمي ، وأبو العرياء كنيته .
- (٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٢٠٨٥ : ٣٦٥/١٠ .
- (٣) في الغلطة : « ابن هلال » وهو خطأ . ينظر الجرح لابن أبي حاتم : ٣٣١/١٤ .
- (٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٢٠٨٥ : ٣٦٤/١٠ .
- (٥) أي : استأثرت بمعاوية حل الرجل .
- (٦) سقط من الغلطة ، والمثبت عن المستدرج . والرواية أن يقال : « فقال الأنصاري : إن هذا دق سيوف » . وفي نسخة الأخرى : « فقال لمعاوية ، يا أبا عبد المؤمن ، إن هذا دق سيوف » .
- (٧) كلمة : ومطه في المستدرج . وفي نسخة الأخرى : « فقال لمعاوية : إنا سنرضيه » .

« ما من مسلم بصاب بشيء في جسده ، فيصدق به ، إلا رضى الله به درجة وحطه بها خطيئة . قال الأنصاري (١) :
فأني . يعني قد عفوت .

وهكذا رواه الترمذي من حديث ابن المبارك ، وابن ماجه من حديث وكيع ، كلاهما عن يونس بن أبي إسحاق ،
به . ثم قال الترمذي : غريب [لا نعرفه إلا] من هذا الوجه ، ولا أعرف لأبي السمر مباحا من أبي البرداء (٢) :

وقال ابن مرويّه : حدثنا دعلج بن أحمد ، حدثنا محمد بن علي بن زيد ، حدثنا سعيد بن منصور ، حدثنا صفيان ،
عن عمران بن حطان ، عن عدي بن ثابت : « أن رجلا هتَمَ له (٣) رجل ، على عهد معاوية ، رضى الله عنه ، فأعطى
دية ، فأبى إلا أن يقتل ، فأعطى دينين ، فأبى ، فأعطى ثلاثا ، فأبى . فحدث رجل من أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من تصدق بدم فلأدونه ، فهو كفارة له من يوم ولد إلى يوم يموت » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سُرَيْج بن النعمان ، حدثنا هشيم ، عن المنيرة ، عن الشعبي أن جادة بن الصامت قال :
« سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما من رجل يجرح من جسده جراحة ، فيصدق بها ، إلا كفر الله عنه
مثل ما تصدق به (٤) .

ورواه النسائي ، عن علي بن حجر ، عن جرير بن عبد الحميد — ورواه ابن (٥) جرير ، عن محمود بن غسان ،
عن هشيم — كلاهما عن المنيرة ، به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد القطان ، عن مجاهد ، عن هابر ، عن الحرز بن أبي هريرة ، عن رجل
من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من أصعب بغيره من جسده ، فتركه ، كان كفارة له (٦) » .
وقوله : (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) ، قد تقدم عن طاوس وعطاء أنهما قالا : كَثُرَ دون كثر ،
وظلم دون ظلم ، وفسق دون فسق .

(١) لفظ المسبى : « آلت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم ، تهمة أذننى ، ورواه تاجي ،
يعني بغيره » .

(٢) مسند أحمد : ٤٤٨ / ٦ . وتحفة الأشراف ، أبواب النيات ، ٦٥٠ / ٤ ، ولين ماجه ، كتاب النيات ، الحديث
٢٦٩٢ : ٢ - ٨٩٨ .

(٣) حمّ له : ألقى مقدم أسنانه ، ودمه : أغمّ : يظلم .

(٤) مسند أحمد : ٣١٦ / ٥ .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر ١٢٠٨١ : ٣١٤ / ١٥ ، ٣٦٥ .

(٦) مسند أحمد : ٤١٧ / ٥ .

وَقَفِينَا عَلَى أَيْدِيهِمْ جَعَلْنَا أَيْمَانَهُمْ مَصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَأَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٠﴾ وَلِيَحْكُرَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ فِيهِ وَعَنْهُمْ لِيَحْكُمَ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١﴾

يقول تعالى: (وقفينا) ، أى : اتبنا (على آثامهم) يعنى : أتينا بني إسرائيل (بميسى ابن مريم ، مصدقا لما بين يديه من التوراة) ، أى : مؤثما بها حاكما بما فيها (وأتينا الإنجيل فيه هدى ونور) ، أى : هدى إلى الحق ، ونور يستضاء به في إزالة الشبهات وحل المشكلات : (ومصدقا لما بين يديه من التوراة) ، أى : متبنا لها ، غير مخالف لما فيها ، إلا في القليل مما بين يدي إسرائيل بعض ما كانوا يخطفون فيه ، كما قال تعالى إني أرى من السليح أنه قال لبني إسرائيل : (ولأهل لكم بعض الذي حرم عليكم) : ولما كان المشهور من قول العلماء أن الإنجيل نسخ بنسخ أحكام التوراة .
وقوله : (وهدى وموعظة للمتقين) ، أى : وجعلنا الإنجيل (هدى) يتدى به ، (وموعظة) أى : وزجرا من ارتكاب المحرم والمأثم (للمتقين) ، أى : لمن اتقى الله وخاف وعيده وعقابه .

وقوله : (وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه) ، قرئ (وليحكمكم) بالنصب ، حل أن اللام لام كي ، أى : وأتينا الإنجيل ليحكم أهل ملته به في زمانهم . وقرئ (وليحكمكم) بالجزم واللام لام الأمر ، أى : ليؤمنوا بجميع ما فيه ، وليقيموا ما أمروا به فيه ، وما فيه الشارة بيمتة محمد والأمر [باتباعه وتصديقه إذا وجد ، كما قال تعالى : (قل : يا أهل الكتاب ، لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم) : الآية : وقال تعالى : (الذين يتبعون الرسول الذي أتى الله يبدونه مكتوبا عندكم في التوراة) ... إلى قوله : (الفلحون) ، ولما قال هاهنا : (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) ، أى : الخارجون عن طاعة ربهم ، لياتلون إلى الباطل ، التاركون للحق . وقد نظم أن هذه الآية نزلت في ثلاث صاري ، وهو ظاهر السياق .

وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مَنكُرَ شَرِّعَةٍ وَمَنبَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلْنَا أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَقُوا أَمْرَكُمْ إِلَى اللَّهِ فَحُكْمُكُمْ جَمِيعًا فَيُنْزِلُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرْتُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُرِّيَّتِهِمْ وَإِنْ كَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿١٣﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ لَمَّا قَالُوا لَنُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَنُؤْتِيكَ الْبَكْرَةَ نِيْلًا وَقَالُوا لَنُؤْتِيَنَّكَ الْبَكْرَةَ نِيْلًا وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِأَعْيُنِنَا قَدْ جَاءَكُمُ الْبُرْهَانُ فِي أَنْفُسِكُمْ فَاصْبِرُوا لِمَا هُمْ بِفَاعِلِينَ ﴿١٤﴾

لا ذكر تعالى التوراة التي أنزلها على موسى عليه السلام ، ولمعها وأتى عليها ، وأمر باتباعها حيث كانت سائفة الاتباع ، وذكر الإنجيل ولمعها ، وأمر أهله باتباعه واتباع ما فيه ، كما تقدم بيانه - شرع تعالى في ذكر القرآن العظيم ،

الذي أنزل له حل عبده ورسوله الكريم ، فقال : (وأنزلنا إليك الكتاب بالحق) ، أي : بالصدق الذي لا ريب فيه أنه من عند الله ، (مصدقاً لما بين يديه من الكتاب) ، أي : من الكتب المتقدمة المتضمنة ذكره ومذبحه ، وأنه سيترك من عند الله حل عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، فكان نزوله كما أخبر به ، مما زادها صدقاً عند حاملها من ذوي البصائر ، الذين اتقادوا لأمر الله واتباعوا شرائع الله ، ومصدقوا رسول الله ، كما قال تعالى : (إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا بئى عليهم غيرون للأذقان سجداً . ويقولون : سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً) (١) ، أي : إن كان ما وعدنا الله حل أسنة الرسل المتقدمين ، من محبي محمد عليه السلام (لمفعولاً) ، أي : لكائنات لا محالة ولا بد (٢) .

وقوله : (ومهيئنا عليه) ، قال سميان الثوري وغيره ، عن أبي إسحاق ، عن التميمي ، عن ابن عباس - أي : مؤتمناً عليه (٣) .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : المهيمن : الأمن ، قال : القرآن ، آمن على كل كتاب قبله (٤) .

وروي عن عكرمة ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد ، وعبد بن لب ، وعطية ، والحسن ، وقادة ، وعطاء الخراساني والسدي ، وابن زيد ، نحو ذلك .

وقال ابن جريج : القرآن آمن على الكتب المتقدمة ، فما وافقه منها فهو حق ، وما خالفه منها فهو باطل .

وعن الزواي ، عن ابن عباس : (ومهيئنا) ، أي : شهيداً . وكلنا قال مجاهد ، وقادة ، والسدي .

وقال المولى عن ابن عباس : (ومهيئنا) ، أي : حاكماً على ما قبله من الكتب .

وهذه الأقوال كلها متقاربة المعنى ، فإن اسم المهيمن يتضمن هذا كله ، فهو آمن وشاهد وحاكم على كل كتاب قبله ، جعل الله هذا الكتاب العظيم ، الذي أنزل له آخر الكتب وخاتمها ، أحملها وأعظمها وأحكمها ، حيث جمع فيه محاسن ما قبله ، وزاده من الكمالات ما ليس في غيره ، فلهذا جعله شاهداً وأميناً وحاكماً عليها كلها . وتكفل تعالى بحفظه بحسه للكرامة ، فقال : (إننا نحن نزلنا الذكر وإننا له لحافظون) .

فأما ما حكاه ابن أبي حاتم ، عن عكرمة ، وسعيد بن جبير ، وعطاء الخراساني ، وابن أبي نجيب عن مجاهد : أنهم قالوا في قوله : (ومهيئنا عليه) ، يعني : محمداً صلى الله عليه وسلم آمين على القرآن ، فإنه صحيح في المعنى ، ولكن في تفسير هذا جهلاً بنظر ، وفي نزله عليه من حيث الرتبة أيضاً نظر . وبالجمل فالصحيح الأول ، قال أبو جعفر بن جرير ، بعد حكايته له عن مجاهد : « وهذا التأويل بعيد من المفهوم في كلام العرب ، بل هو خطأ ، وذلك أن المهيمن » عطف

(١) الإسراء : ١٠٧ - ١٠٨ .

(٢) ما من كتاب أنزل له الله - عز وجل - إلا وهو مصدق لما نزل قبله ، فالتوراة نزلت مصدقة لما في صفت إبراهيم ، والإنجيل نزل مصدقاً لما في التوراة ، والقرآن نزل مصدقاً لما نزل من السماء ، من الكتب والصحف . والمراد بالتصديق هنا هو الإقرار بأنها من عند الله ، لا أن كل ما انتهى إليها منها حق . فقد دخل على الكتب السابقة من التصحيح والتشريف ما جعل الحق يلتبس فيها بالباطل ، ومن أجل ذلك أنشئ لك القرآن مع التصديق وصف آخر ، وهو الهيمنة ، ومناها : أن القرآن أمين على ما نزل من الكتب ، فيقر منها ما هو حق ، وينكر منها ما هو باطل .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٢١٠٧ : ٣٧٨/١٠ .

(٤) المصدر السابق ، الأثر ١٢١١٤ : ٣٧٩/١٠ .

« حل » المصدق » ، فلا يكون إلا من صفة ما كان « المصدق » صفة له . قال : ولو كان كما قال مجاهد (١) لقال : « وأنزلنا إليك الكتاب مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ مَهْمِنًا عَلَيْهِ . يعني (٢) من غير عطف ،

وقوله : (فاحكم بينهم بما أنزل الله) ، أى : فاحكم يا محمد بين الناس : عربهم وعجمهم ، أميهم وكتابيهم . « بما أنزل الله » إليك في هذا الكتاب العظيم ، وبما قرره لك من حكم من كان قبلك من الأنبياء ولم ينسخه في شرعك . هكذا وجهه ابن جرير رحمه الله (٣) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن عمار ، حدثنا سعيد بن سليمان ، حدثنا عباد بن العوام ، عن سفيان بن حسين ، عن الحكم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : « كان النبي صلى الله عليه وسلم غيراً ، إن شاء حكم بينهم ، وإن شاء أعرض عنهم فقدم إلى أحكامهم ، فترلت : (وأن أحكم بينهم بما أنزل الله ، ولا تتبع أهوامهم) فأناب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحكم بينهم بما في كتابنا » .

وقوله : (ولا تتبع أهوامهم) ، أى : أترامهم إلى اصطلاحها عليها ، وتركوا بسبيلها ما أنزل الله على رسوله . ولهذا قال : (ولا تتبع أهوامهم عما جملك من الحق) ، أى : لا تتصرف عن الحق الذى أمرك الله به إلى أهواء هؤلاء من الجهلة الأتقياء .

وقوله : (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) ، قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو خالد الأحمر ، عن يوسف بن أبي إسحاق ، عن أبيه ، عن الثنيمى ، عن ابن عباس : (لكل جعلنا منكم شرعة) قال : سبيل . وحدثنا أبو سعيد ، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن الثنيمى ، عن ابن عباس : (ومنهاجا) ، قال : وسنة :

وكذا روى اللؤلؤ ، عن ابن عباس : (شرعة ومنهاجا) : سبيل وسنة . وكذا روى عن مجاهد ، وحكمة ، والحسن البصرى ، وقتادة ، والضحاك ، والسندي ، وأبي إسحاق السبيعي أنهم قالوا فى قوله : (شرعة ومنهاجا) ، أى : سبيل وسنة .

وعن ابن عباس ومجاهد أيضاً وعطاء الخراساني حكمه : (شرعة ومنهاجا) ، [أى : سنة وسبيل . والاول أنسب ، فإن الشرعة] وهى الشريعة أيضاً ، هى ما يبتدأ فيه إلى التثوية . ومنه يقال : « شرع فى كذا » أى : ابتدأ فيه . وكذا الشريعة وهى ما يشرح [منها] إلى الماء . أما « المنهاج » فهو الطريق الواضح السهل ، والسنن الطرائق . تفسير قوله : (شرعة ومنهاجا) بالسبيل والسنة أظهر فى المناسبة من العكس ، والله أعلم .

(١) نص البغرى ٣٨١/١٠ : « ولو كان معنى الكلام ما دوى عن مجاهد لقل ... » .

(٢) قال أبو حنيفة فى البحر الرقيق ٥٠٢/٣ : « قال البغرى : نمل هذا يكون (مهيناً) حالاً من الكاف فى (إليك) . وطعن فى هذا القول لوجود « الواو » فى (ومهيناً) لأنها صلت حل (مصفقا) . (مصفقا) حالاً من (الكتاب) لا من « الكاف » . إذ لو كان حالاً منها لكان التركيب : « ما بين يديك » بكاف التثنية . وهذا معنى قول ابن جرير الذى لم ينتقله ابن كثير ، قال : « لأنه لم يقتض من صفة « الكاف » التى فى (إليك) بعدها شيء سيكون (مهيناً) صفاً عليه » .

(٣) تفسير البغرى ٧٨٢/١٥ .

ثم هذا إخبار عن الأمم المختلفة الأديان ، باعتبار ما بعث الله به رسله الكرام من الشرائع المختلفة في الأحكام ، المنفذة في التوحيد ، كما ثبت في صحيح البخاري ، عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : نحن معشر الأنبياء إخوة لعلات ، ديننا واحد (١) . يعنى بذلك التوحيد ، الذى بعث الله به كل رسول أرسله ، وضمنه كل كتاب أنزله ، كما قال تعالى : (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون (٢)) ، وقال تعالى : (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا : أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت (٣)) ... الآية . وأما الشرائع المختلفة في الأوامر والنواهي ، فقد يكون الشيء في هذه الشريعة حرما ثم يحل في الشريعة الأخرى ، وبالعكس ، وخفيضا فيزداد في الشدة في هذه دون هذه ، وذلك لما له تعالى في ذلك من الحكمة البالغة ، والحجة الدامغة .

قال سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة : قوله (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) ، يقول : سيلا سنة : والشرع مختلفة : هي في التوراة شريعة (٤) ، وفي الإنجيل شريعة ، وفي القرآن شريعة ، يحل الله فيها ما يشاء ، ويحرم ما يشاء (هـ) ، ليعلم من يطعمه بمن يعصيه ، والدين (٥) الذى لا يقبل الله غيره : للتوحيد والإخلاص لله ، الذى جاءت به الرسل .

وقيل : الخطاب بهذا هذه الأمة ، ومعناه : (لكل جعلنا) القرآن (منكم) أيها الأمة (شرعة ومنهاجا) . أى : هو لكم حكمكم ، تقتنون به . وحذف الصبر المنصوب في قوله : (لكل جعلنا منكم) ، أى : جعلناه ، يعنى القرآن ، (شرعة ومنهاجا) ، أى : سيلا إلى المقاصد الصحيحة ، وسنة أى : طريقا ومسلكا واضحا بينا .

هذا مضمون ما حكاه ابن جرير عن مجاهد (٦) رحمه الله ، والصحيح القول الأول ، ويدل على ذلك قوله تعالى : (ولو شاء الله لجهلكم أمة واحدة) ، فأمر كان هذا خطابا لهذه الأمة لا صرح أن يقول : (ولو شاء الله لجهلكم أمة واحدة) [وهم أمة واحدة] ، ولكن هذا خطاب لجميع الأمم ، وإخبار عن قدرته تعالى العظيمة التى لو شاء لجمع الناس كلهم على دين واحد وشريعة واحدة ، لا ينسخ شيء منها . ولكنه تعالى شرع لكل رسول شرعة على حدة ، ثم نسخها أو بعضها برسالة الآخر الذى بعده ، حتى نسخ الجميع بما بعث به بعده ورسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ، الذى أبعثه إلى أهل الأرض قاطبة ، وجعله خاتم الأنبياء كلهم ، ولهذا قال تعالى : (ولو شاء الله لجهلكم أمة واحدة) ، ولكن ليلوكم فيها آياتكم) ، أى : أنه تعالى شرع الشرائع مختلفة ، ليختبر عباده فيها شرع لهم ، ويثبتهم أو يهلكهم على طاعته ومعصيته ، بما فعلوه أو هموا عليه من ذلك كله :

(١) ينظر : ٢٧٠/١ .

(٢) الأنبياء : ٢٥ .

(٣) التين : ٣٦ .

(٤) نص الطبري ، الأثر ١٢١٢٦ : « التوراة شريعة » .

(٥) نص الطبري : « ويرحم ما يشاء ابتداء » .

(٦) نص الطبري : « ولكن الذين الواحد الله ... » .

(٧) تفسير الطبري ، الأثر ١٢١٢٩ : ٢٨٦/١٠ .

وقال عبد الله بن كثير : (يا أيهااكم) ، يعني : من الكتاب (١) ، ثم إنه تعالى لهم إلى المسارعة إلى الخيرات والمبادرة إليها ، قال : (فاستبقوا الخيرات) ، وهي طاعة الله والطاعة لشرعه ، الذي جملة ناسنا لا قبله ، ولتصديق بكتابه القرآن الذي هو آخر كتاب أنزل له :

ثم قال تعالى : (إلى الله مرجعكم جميعا) ، أي : ما دمكم أيا الناس ومصدقكم إليه يوم القيامة (فيبينكم بما كنتم فيه تختلفون) ، أي : فيبينكم بما اختلفتم فيه من الحق ، فيجزى الصادقين بصدقهم ، ويعذب الكافرين الجاحدين المكذبين بالحق ، العاديين عنه إلى غيره بلا دليل ولا برهان ، بل هم معاندون للبراهين القاطنة ، والنجيب البالغة ، والأدلة الدامغة . وقال الضحاك : (فاستبقوا الخيرات) ، يعني : أمة محمد صلى الله عليه وسلم . والأظهر الأول ،

وقوله : (وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهوامهم) ، تأكيد لا تقدم من الأمر بذلك ، والنهي عن خلافه ، ثم قال : (واحلهم أن يفتوك عن بعض ما أنزل الله إليك) ، أي : احلهم أن يفتوك عن بعض ما أنزل الله عليكم الحق فيما يشهونه إليك من الأمور ، فلا تفرجهم ، فانهم ككثرة عقوبة . (فان تولوا) ، أي : عما لحكم به بينهم من الحق ، وخالفوا شرح الله (فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم) ، أي : فاعلم أن ذلك كان من قدر الله وحكمته فيهم أن يصرفهم عن الهدى لا عليهم من اللذوب للصالفة ، التي اقتضت إضلالهم ونكالمهم . (وإن كثيرا من الناس لفاسقون) ، أي : أكثر الناس خارجون عن طاعة ربهم ، مخالفون للحق ثامون عنه ، كما قال تعالى : (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) (٢) . وقال تعالى : (وإن تلعب أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله) (٣) .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، حدثني سعيد بن جبير أو عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال كسبه بن أسد ، وابن صلوا (٤) ، وعبد الله بن سوريا ، وشأس بن قيس ، بعضهم لبعض : اذهبوا بنا إلى محمد ، لعلنا نقتله من دبه ! فأخبره ، فقالوا : يا محمد ، إنك قد عرفت أنا أحياء يهود وأشرافهم وصادقهم ، وإننا إن اتبعناك اتبعنا يهود ولم يخالفونا ، وإن يتنا وبين قومنا خصومة (٥) ، فهاكمهم إليك ، ففضى لنا عليهم ، ولؤم لك وتصديقك ! فأن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله عز وجل فيهم : (وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهوامهم واحلهم أن يفتوك عن بعض ما أنزل الله إليك) .. إلى قوله : (لقوم يوقنون) .

وواه ابن جرير ، وابن أبي حاتم .

وقوله : (أمحكم الجاهلية يبغون) ، ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ، ينكر تعالى عل من مخرج من حكم الله المحكمات المشتمل على كل خير ، الناهي عن كل شر وحمل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات ، التي وضعها

(١) تفسير الطبري ، الأثر : ١٢١٤٨ = ٣٩٠/١٠ .

(٢) يوسف : ١٠٣ .

(٣) الأنعام : ١١٦ .

(٤) كلما في ضلوعنا ، ومثله في سورة ابن هشام : ٥٦٧/١ . وفي تفسير الطبري ، الأثر : ١٢١٥٠ = ٣٩٢/١٠ .

« ابن سوريا » .

(٥) في الضلوع : « حكومة » . وللتب من المرجعين السابقين .

الرجال بلا مستند من شريعة الله ، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الفضلات والجيالات ، مما يضعونها بأروامهم وأهوائهم ، وكما يحكم به القطار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكر خان ، الذي وضع لهم اليَسَاق (١) ، وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شيء ، من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية ، ولها كثير من الأحكام أصلها من مجرد نظره وهواه ، فصارت في بنه شرعا متبعا ، يقدمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . ومن فصل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله ، حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله ، فلا يحكم سواء في قليل ولا كثير ، قال الله تعالى : (أفحكم الجاهلية يبغون) أي يبتغون ويريدون ، وعن حكم الله يدلون . (ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) ، أي : ومن أعلم من الله في حكمه لمن حَقَّقَ عن الله شرعه ، وآمن به وأيقن وعلم أنه تعالى أحكم الحاكمين ، وأرحم بخلقهم من الوالدة يولدها ، فإنه تعالى هو العالم بكل شيء ، التقادر على كل شيء ، العادل في كل شيء . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا هلال بن فياض ، حدثنا أبو عبيدة النابجى ، قال : سمعت الحسن يقول : من حكم بغير حكم الله ، فحكم الجاهلية .

وأخبرنا تاورنس بن عبد الأعلى قرامة ، حدثنا سفيان بن حيينة ، عن ابن أبي نجيح قال : كان طائوس إذا سأله رجل : أنفصل بين ولدى في الحَقْل ؟ قرأ : (أفحكم الجاهلية يبغون) :: الآية .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني : حدثنا أحمد بن عبد الوهاب بن نجدة الخولطى ، حدثنا أبو اليان الحكم بن نافع ، أخبرنا شعب بن أبي حمزة ، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين ، عن نافع بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أبغض الناس إلى الله عز وجل متبع في الإسلام سنة الجاهلية ، وطالب دم امرئ بغير حق ليريق دمه » . وروى البخارى ، عن أبي اليان باسناده ، نحوه : (٢)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٌ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ يَتَوَلَّاهُمْ فَمَا لَهُمْ بَشِيرًا إِنَّا إِلَهُ لَّابْنِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ فَفَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَحْنُ صِدِّيقَاتُ اللَّهِ قُلْ فَمَا لَكُمْ أَنَّ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ جَنَدِهِ فَيُصِغِرُوا عَلَى مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا أَهْذَاهُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْإِلَٰهَ أَتْسَامًا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَٰؤُلَاءِ هُمْ لَكُمْ شُرَكَاءُ فِي مَا ظَنَنْتُمْ أَن يَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ حِجَابٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِمْ فَيَقْبَلُوا مِنْكُمْ مَا هُمْ بِخَائِفِينَ لَهُ ۖ فَيُخْرِجُهُم مِّنْ دِينِهِمْ وَيَقْتُلُهُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٥٢﴾ ۝٥٣﴾

ينهى تعالى عباده المؤمنين عن موالاة اليهود والنصارى ، الذين هم أعداء الإسلام وأمله ، [قاتلهم الله] ، ثم أخبر أن بعضهم أولياء بعض ، ثم نهد وتوعد من يتطاول ذلك فقال : (ومن يتوَلَّهُمْ فَمَا لَهُمْ بَشِيرًا) .

(١) في المخطوطة : « الياس » . ولقيت من مستخرج تاج العروس ، قلبه : « يساق كسحاب . وربما قيل : يسق » . جلدت الألف ، والأصل فيه : يساغ ، بالين للمجسة ، وربما غُفِّ نطقه ، وربما قلب قلأ . وهي كلمة تركية ، يبر بها من وضع قانون المعاملة ، كلما ذكره غير واحد ، ثم قتل الزبيري في ذلك نقلا من المقرئ من كتاب المخطوط ، ذكر له بشا من شريعة الياساق ملأ .

(٢) البخارى ، كتاب البيعات : ٧/٩ .

[قال (١) ابن أبي حاتم] حدثنا كثير بن شهاب ، حدثنا عمار - يعني ابن سعيد بن سابق - حدثنا عمرو بن أبي قيس ، عن
سماك بن حرب ، عن عياض : أن عمر أمر أبا موسى الأشعري أن يرفع إليه ما أخذ وما أعطى في آدم واحد ، وكان له كاتبه
نصراني ، فرفع إليه ذلك ، فحسبه عمر وقال : إن هذا لحفيظ ، هل أنت قارئ لنا كتابا في المسجد جاء من الشام ؟
فقال : إنه لا يستطيع . فقال عمر : اجنّب هو ؟ قال : لا ، بل نصراني . قال : فانتهرني وضرب فخذني ، ثم قال :
أنزجوه ، ثم قرأ : (يا أيها الذين آمنوا لا تتخلوا اليهود والنصارى أولياء) ... الآية .

ثم قال الحسن بن محمد بن الصباح : حدثنا عثمان بن عمر ، أنبأنا ابن حوثة ، عن محمد بن سيرين قال :
قال عبد الله بن حبة : إني أجدكم أن يكون يهوديا أو نصرانيا ، وهو لا يشعر . قال : فظنناه يريد هذه الآية :
(يا أيها الذين آمنوا لا تتخلوا اليهود والنصارى أولياء) ... الآية .

وحدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا ابن فضال ، عن حاصم ، عن حكيم ، عن ابن عباس : أنه مثل عن ذبائح نصاري
العرب ، فقال : كل ، قال الله تعالى : (ومن يطعم منك فإنه منهم) .

وروى عن أبي الزناد ، عن حماد ، عن ذلك :

وقوله : (شرى الذين في قلوبهم مرض) ، أي : شك ، وريب ، وثاق (يسارعون ليهيم) ، أي : يبادرون إلى
مآلاتهم ومودتهم في الباطن والظاهر ، (يقولون : نخشى أن تصيبنا دائرة) ، أي : يتولون في مودتهم ومآلاتهم أنهم
يخشون أن يقع أمر من ظفر الكفار بالمسلمين ، فتكون لهم أباد عند اليهود والنصارى ، فيضعفون ذلك ، عند ذلك قال الله
تعالى : (لحيى الله أن يأتي بالفتح) ، قال السدي : يعني فتح مكة . وقال غيره : يعني الفداء والتفصيل (أو أمر من عنده) ،
قال السدي : يعني ضرب الجزية على اليهود والنصارى (فيصيحوا) ، يعني : الذين والوا اليهود والنصارى من المنافقين
(هل ما أسروا في أنفسهم) من الموالاة (نادمين) ، أي : هل ما كان منهم ، بما لم يجد منهم شيئا ، ولا دفع عنهم حملوا ،
بل كان حين المقدرة ، فإنهم فصحوا وأظهروا الله أمرهم في الدنيا لعباده المؤمنين ، بعد أن كانوا مستورين لا يرى كيف
حالم . فلما انقضت الأسباب القاضية لهم ، تبين أمرهم لعباده المؤمنين ، فتصبروا منهم كيف كانوا يظهرهم أنهم من
المؤمنين ، ويخلفون حل ذلك ويتولون ، فيان كلهم والمراؤهم . ولهذا قال تعالى : (ويقول الذين آمنوا : هؤلاء الذين
أنصروا بالله جهد أيمانهم لئلا يملكهم ، حيث أمعالم فأصبحوا خاسرين) ،

وقد اختلف القراء في هذا الحرف ، فقرأ الجمهور بآيات الواو في قوله : (ويقول الذين) ، ثم منهم من رفع
(ويقول) على الابتداء ، ومنهم من نصبه عطفا على قوله : (فحيى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده) ، تقديره
« أن يأتي » « وأن يقول » ، وقرأ أهل المدينة : (يقول للذين آمنوا) يفر واو ، وكل ذلك هو في مصاحفهم على ما ذكره
ابن جرير ، قال ابن جرير ، عن مجاهد : (فحيى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده) ، حيث ، (يقول الذين آمنوا
أولاء الذين أنصروا بالله جهد أيمانهم لئلا يملكهم حيث أمعالم فأصبحوا خاسرين) (٢) .

(١) مكانه يضاف في ضلوة الأجر ، والمكتب من المطبوعات ، وكثير بن شهاب اللحيى يروي عن ابن أبي حاتم ،
ينظر البحر ، ١٠٤/٢/٣ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٢١٧٦ ، ١٠/٤٠٧ .

واختلف القسرون في سبب نزول هذه الآيات الكريكات ، فذكر السدي أنها نزلت في رجلين ، قال أحدهما لصاحبه بعد وفاة أحد : أما أنا فاني ذاهب إلى ذلك اليهودي ، فأوى إليه وأتهد منه ، لماه يفتنى إذا وقع أمر أو حدث حادث ! وقال الآخر : وأما أنا فأذهب إلى فلان النصراني بالشام ، فأوى إليه وأتصر منه . فأنزل الله : (يا أيها الذين آمنوا ، لا تتخلوا اليهود والنصارى أولياء) ... الآيات .

وقال حكيمه : نزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر ، حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني قريظة ، فسأله : ماذا هو صانع بنا ؟ فأشار بيده إلى حلقه ، أي : إنه اللص . رواه ابن جرير (١) ،

وقيل : نزلت في عبد الله بن أبي بن سلول ، كما قال ابن جرير .

حدثنا أبو كريب ، حدثنا بن إدريس قال : سمعت أبي ، عن عطية بن سعد قال : جاء عبادة بن الصامت ، من بني النضير ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، إن لي مولى من يهود كثير عدوهم ، وإنني أبرا إلى الله ورسوله من ولاية يهود ، وأتولى الله ورسوله . فقال عبد الله بن أبي : إنني رجل أشاف النواثر ، لا أبرأ من ولاية موالى . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن أبي : يا أيها الحبيب ، ما بتخلت به من ولاية يهود على عبادة بن الصامت فهو لك دونه . قال : قد قبلت ! فأنزل الله عز وجل : (يا أيها الذين آمنوا ، لا تتخلوا اليهود والنصارى أولياء) ... إلى قوله : (شرى الذين في قلوبهم مرض) .

ثم قال ابن جرير : حدثنا هناد ، حدثنا يونس بن بكير ، حدثنا هشام بن عبد الرحمن ، عن الزهري قال : لما أنزمت أهل بدر قال للمسلمون لأولياءهم من يهود : آمنوا قبل أن يصيبكم الله يبرم مثل يرم بدر ! فقال مالك بن السيف : أشرككم أنا أصبح رهطاً من غريش لا علم لهم بالقتال ! أما لو أمرنا (٢) للزعة أن نستجمع عليكم ، لم يكن لكم يدٌ بقتالنا (٣) . فقال عبادة : يا رسول الله ، إن أوليائي من اليهود كانت شديدة أنفسهم ، كثير سلاحهم ، شديدة شوكتهم ، وإنني أبرا إلى الله وإلى رسوله من ولاية يهود ، ولا مولى لي إلا الله ورسوله . فقال عبد الله بن أبي : لكني لا أبرأ من ولاء يهود ، أنا وجل لا بد لي منهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أيها الحبيب ، أرأيت الذي نعتت به من ولاء يهود على عبادة بن الصامت ، فهو لك دونه ؟ قال : إننا أقبل ! قال : فأنزل الله : (يا أيها الذين آمنوا ، لا تتخلوا اليهود والنصارى أولياء) إلى قوله : (والله يصمكم من الناس) .

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٢١٦٠ : ٣٩٨/١٠ .

(٢) كنا في غزوة الأحرار ، وحنه في تفسير الطبري ، الأثر ١٢١٥٧ : ٣٩٦/١٠ . ومنى أمرنا للزعة : أعنتها . من قولهم : امر الحبل يرمه إمراراً . : فنه خلا قويا عكاً . وكان في العلمات السابقة : « أسرنا للزعة » وهو خطأ .

(٣) في غزوة الأحرار : « يد بقتالنا » فأنبتناه « يد » بالياء للثناء ، ومثناه : لم يكن لكم قدرة على قتالنا . وفي تفسير الطبري : « لم يكن لكم يد أن تقاطعونا » .

وقال محمد بن إسحاق : فكانت أول قبيلة من اليهود تقبضت ما بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم [بنوه قريظة (١) : فحدثني حاصم بن عمر بن قتادة قال : فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم] حتى تزلوا على حكمه ، فقام إليه عبد الله بن أبي بن سلول ، حين أمكنه الله منهم ، فقال : يا محمد ، أحسن في مَوَالِي : وكانوا حلفاء الأنزرج ، قال : فأبى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا محمد ، أحسن في موالى . قال : فأعرض عنه . فدخل يده في جيب درع رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرسلني . وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رثى (٢) لوجهه ظللاً ، ثم قال : وعليك أرسلني . قال : لا ، والله لا أرسلك حتى تحسن في مَوَالِي ، أربعمائة حاسر (٣) ، وثلاثمائة دارع ، قد تمنوني من الأحمر والأسود ، تحصلهم (٤) في غداة واحدة ؟ إني امرؤ أعشى اللوارق . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هم لك .

قال محمد بن إسحاق : فحدثني ابن إسحاق بن يسار ، عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت قال : لما حاربت بني قينقاع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تثبت بأمرهم عبد الله بن أبي ، وقام دونهم ، ومثى عبادة بن الصامت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أحد بني حوث بن الأنزرج ، له من حلفهم مثل الذي لعبد الله بن أبي ، فخلعهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتبرأ إلى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم من حلفهم ، وقال : يا رسول الله ، أئبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم ، وأقول الله ورسوله والمؤمنين ، وأبرأ من حلف الكفار ولايتهم . فقبه وفي عبد الله بن أبي نزلت الآيات في القاعة : (يا أيها الذين آمنوا ، لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض) ... إلى قوله : (ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون) (٥) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا قتيبة بن [سعيد] ، حدثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة ، عن محمد بن إسحاق ، عن جرير ، عن عروة ، عن أسامة بن زيد قال : دخلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حل عبد الله بن أبي نعوذه ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : قد كنت أمهلك من حب يهود . فقال عبد الله : فقد أبغضهم أسعد بن زراراة ، فمات (٦) .

وكذا رواه أبو حنيفة ، عن حديث محمد بن إسحاق . (٧) .

(١) سيرة ابن هشام : ٤٧/٢ .

(٢) قال السهيلي في الفروض : ١٢١/٢ : « ظللا : جمع ظلة ، والظلة ما حجب منك شدة الشمس وصمو السيام ، وكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مشرقاً يسلماً ، فلما غضب تلون ألوانا ، فكانت تلك الألوان حاللة دون الإفراف والملاحة والقيامة المنتشر عنه تبسمه ، وذكر السهيلي رواية أخرى في هذه الكلمة ، وهي : « سئ رأوا لوجهه ظللا ، وقال إنه جمع ظلة أيضاً . »

(٣) الحاسر : الذي لا درع له ، والدارع : الذي عليه الدرع .

(٤) في المطبوعة : « ويصنف » ، والليث من سيرة ابن هشام : ٤٨/٢ .

(٥) تفسير الجبري : الأثر ١٢١٠٨ - ٣٩٦/١٠ - ٣٩٧ . وسيرة ابن هشام : ٤٧/٢ : ٥٠ .

(٦) مسند أحمد : ٢٠١/٥ .

(٧) سنن أبي داود : كتاب المناقب ، باب في القيادة ، الحديث : ٣٠٩٤ : ١٨٤/٣ .

يَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ رَبِّكَ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى
 الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَحْزَنُونَ لَوْ مَا لَاحَظَ ذَلِكَ فَفَضَّلَ اللَّهُ يَوْمَئِذٍ مَنِيسًا ۖ وَاللَّهُ وَسِعَ عِلْمُهُ
 كُلَّهُ وَلِيَكْرِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ۖ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ
 وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٦﴾

يقول تعالى غيراً عن قدرته العظيمة أنه من تولى عن نصرته دينه وإقامة شريعته ، فإن الله يستبدل به من هو خير لما
 منه ، وأشد مئة وأقوم سيلاً ، كما قال تعالى : (وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم (١) ، وقال
 تعالى : (إن يشأ يذهبكم أي الناس ويأت بآخرين) (٢) ، وقال تعالى : (إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد : وما ذلك
 على الله بعزيز) (٣) ، أي : بمتنع ولا صعب . وقال تعالى هاهنا : (يا أيها الذين آمنوا من يرد منكم من دينه) ، أي :
 يرجع عن الحق إلى الباطل .

قال محمد بن كعب : تزلت في الولاية من قريش . وقال الحسن البصري : تزلت في أهل الردة أيام أبي بكر .
 (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) ، [قال الحسن : هو والله أبو بكر وأصحابه . رواه ابن أبي حاتم .
 وقال أبو بكر بن أبي شيبة : سمعت أبا بكر بن عباس يقول في قوله : (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه)] أم أهل
 القادسية . وقال ليث بن أبي سليم ، عن مجاهد ، هم قوم من سبأ .
 وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا عبد الله ابن الأجلح ، عن محمد بن عمرو ، عن سالم ، عن سعيد
 ابن جبير ، عن ابن عباس قوله : (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) ، قال : ناس من أهل اليمن ، ثم من كتنة ،
 ثم من السكون (٤) .

وحدثنا أبي ، حدثنا محمد بن المصفي ، حدثنا معاوية - يعني ابن حفص - عن أبي زياد الحفائي ، عن محمد بن
 المنكدر ، عن جابر بن عبد الله قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله : (فسوف يأتي قوم يحبهم ويحبونه) ،
 قال : هؤلاء قوم من أهل اليمن ، ثم من كتنة ، ثم من السكون ، ثم من نجيب .
 وهذا حديث غريب جداً .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا عمر بن شبة ، حدثنا عبد الصمد - يعني ابن عبد الوارث - حدثنا شعبة ، عن معاذ ،
 سمعت أبا عبد الله يحدث عن الأشعري قال : لا تزلت : (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) ، قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم : هم قوم هلم : ورواه ابن جرير من حديث شعبة بنحوه (ه) .

(١) محم : ٣٨ .

(٢) انفص : ١٣٣ .

(٣) لبراهيم : ١٩ ، ٢٠ .

(٤) السكون هو ابن أشرس بن كتنة ، ومن بطون السكون : بنو علي وبنو سعد ابن أشرس بن شبيب بن السكون ،
 أمهم نجيب بنت ثوبان من ميسج ، نسبوا إليها . ينظر جبهة أنساب العرب : ٤٠٣ .

(ه) تفسير الطبري ، الأكثر : ١٢١٨٨-١٢١٩٢ : ٤١٤/١٠ ، ٤١٥ .

وقوله تعالى : (أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَمْرَةٌ مِنَ الْكَافِرِينَ) ، هذه صفات المؤمنين الكُفَّال ، أن يكون أحدهم متواضعا لأخيه ووليّه ، متواضعا على خصمه وعدوه ، كما قال تعالى : (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) يبقّى جملة النبي صلى الله عليه وسلم أنه : « الضحوك اقتتال » ، فهو ضحوك لأوليائه قتال لأعدائه .
وقوله : (يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) ، أى : لا يردعهم عما هم فيه من طاعة الله ، وقال أعداءه ، وإقامة الحدود ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لا يردعهم عن ذلك راد ، ولا يصدمهم عنه صادم ، ولا يحك فيهم لوم لائم ، ولا حذل حاذل .

قال الإمام أحمد : حدثنا صفوان ، حدثنا سلام أبو المنذر ، عن محمد بن واسع ، عن عبيد الله بن الصامت ، عن أبي ذر قال : « أمرني خليلي صلى الله عليه وسلم بسبع ، أمرني بحب المساكين والفقراء منهم ، وأمرني أن أنظر إلى من هو دوني ولا أنظر إلى من هو فوقى ، وأمرني أن أواصل للرحم وإن أدبرت ، وأمرني أن لا أسأل أحدا شيئا ، وأمرني أن أقول الحق (١) وإن كان مرا ، وأمرني أن لا أخاف في الله لومة لائم ، وأمرني أن أكثر من قول : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فأتين من كثر تحت العرش (٢) » .

وقال الإمام أحمد أيضا : حدثنا أبو البرقة ، حدثنا صفوان عن أبي الخثعم (٣) أن أبا ذر قال : يا معلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبا ووالثى (٤) سبعا ، وأشهد الله على تسعا ، أتى (٥) لا أخاف في الله لومة لائم . قال (٦) أبو ذر : فحدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : هل لك إلى يمة وراك الجنة ؟ قلت : نعم ، قال : وبسعت يدى ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم وهو يشترط : هل أن لا تسأل الناس شيئا ؟ قلت : نعم ، قال : ولا سوطك وإن (٧) سقط منك . حتى تنزل إليه فتأخذه (٨) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن الحسن ، حدثنا جعفر ، عن المعلى القُرْدوسى ، عن الحسن ، عن أبي سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا لا يضمن أحدكم رهبةً للناس أن يقول بحق إذا وآه أو شهد ، فإنه لا يقرب من أجل ، ولا يهلك من رزق أن يقول بحق أو يذكر بحظيم » ، ثم دبه أحمد (٩) .

وقال أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا سفيان ، عن زيد ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي بصير ، عن أبي سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يحقرن أحدكم نفسه أن يرى أمرا لله فيه مقال ، فلا يقول فيه ،

(١) في المسند : « بالحق » .

(٢) مسند أحمد : ١٥٩/٥ . وقد رواه الإمام أحمد من وجه آخر عن أبي ذر ، ينظر : ١٧٣/٥ .

(٣) في المسند : « حدثنا صفوان عن أبي إيمان وأبي المنذر » ، فليخصر ابن كثير المسند .

(٤) في المسند : « وأوثنى » .

(٥) في المسند : « أن لا ... » .

(٦) تباه في المسند : « ثم قال أبو المنذر » .

(٧) نص المسند : « ولا سوطك إن سقط منك » ، حتى تنزل إليه فتأخذه .

(٨) مسند أحمد : ١٧٢/٥ .

(٩) مسند أحمد : ٥٠/٢ .

فيقال له يوم القيامة : ما تمك أن تكون قلت في كذا وكذا ؟ فيقول : غافلة الناس . فيقول : إياي أحق أن تغاف (١) .
ورواه ابن ماجه (٢) من حديث الأعمش ، عن سمروين مرة ، به .

وروى أحمد وابن ماجه ، من حديث عبد الله بن عبد الرحمن أبي طرفة ، عن نهار بن عبد الله العدلى المدني ، عن أبي سعيد الخدري ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله يسأل المبد يوم القيامة ، حتى إنه يسأله يقول له : أي عبدي ، وأيت منكرا فلم تذكره ؟ فإذا لقن الله عبدا حجته ، قال : أي رب ، وثقت بك وثقت الناس (٣) » .
وثبت في الصحيح : « ما ينبغي لأحد أن يذل نفسه . قالوا : وكيف يذل نفسه يا رسول الله ؟ قال : يتحمل من البلاد ما لا يطيق (٤) » .

(ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) ، أي : من انصف بهله الصنات ، فأما هو من فضل الله عليه ، وتوفيقه له .
(والله واسع عليم) ، أي واسع القدر ، علم من يستحق ذلك من يتحرمه إياه .
وقوله : (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) ، أي : ليس اليهود بأوليائكم ، بل ولايتكم راجعة إلى الله ورسوله وللمؤمنين .

وقوله : (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة) ، أي : المؤمنون المتصفون بهله الصفات ، من إقام الصلاة إلى هي أكبر أركان الإسلام ، وهي له وحده لا شريك له ، ولإتاء الزكاة التي هي حق المفلوكين ومساعدة المحتاجين من الضعفاء والمساكين .

وأما قوله : (وهم راكعون) ، فقد توم بعضهم أن هذه الجملة في موضع الحال من قوله : (ويؤتون الزكاة) ، أي : في [حال] ركوعهم : ولو كان هذا كذلك ، لكان دفع الزكاة في حال الركوع أفضل من غيره ، لأنه مملوح : وليس الأمر كذلك عند أحد من العلماء من نطمه من أئمة الفتوى ، وحتى إن بعضهم ذكر في هذا أثرا عن علي بن أبي طالب : أن هذه الآية تزلت فيه : أنه مر به سائل في حال ركوعه ، فأعطاه خاتمه .
وقال ابن أبي حاتم : حدثنا الربيع بن سليمان المرادي ، حدثنا أيوب بن سويد ، عن حنبل بن أبي حكيم في قوله : (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) قال : « هم المؤمنون وعلى بن أبي طالب » .

وحدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا الفضل بن دكين أبو نعيم الأحول ، حدثنا موسى بن قيس الحضرمي ، عن سلمة ابن كهيل قال : تصدق علي بن أبي طالب وهو راكع ، فثقلت : (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون .

(١) مستد أحد : ٧٢/٢ .

(٢) سنن ابن ماجه ، كتاب القنن ، الحديث ٤٠٠٨ : ١٣٢٨/٢ .

(٣) مستد أحد : ٧٧/٣ . وسنن ابن ماجه ، كتاب القنن ، الحديث ٤٠١٧ : ١٣٢٢/٢ .

(٤) سنن ابن ماجه ، كتاب القنن ، الحديث ٤٠١٦ : ١٣٣١/٢ . ونسخة الأحمد ، أبواب القنن : ٥٣١/٦ .
ومستد أحد من حنيفة : ٤٠٥/٥ .

وقال ابن جرير : حدثني الحارث ، حدثنا عبد العزيز ، حدثنا غالب بن عبيد الله ، سمعت جابله يقول في قوله : (إنما وليكم الله ورسوله) : الآية : تزلت في حل بن أبي طالب ، تصديق وهو رابع (١) ،

وقال عبد الرزاق : حدثنا عبد الوهاب بن مجاهد ، عن أبيه ، عن ابن عباس في قوله : (إنما وليكم الله ورسوله) ... الآية : تزلت في حل بن أبي طالب .

عبد الوهاب بن مجاهد لا يحتاج به .

وروى ابن مردويه ، من طريق سفیان الثوري ، عن أبي سنان ، عن الضحاک ، عن ابن عباس قال : كان حل بن أبي طالب قائماً يصلي ، فرسائل وهو رابع ، فأعطاه خاتمه ، فتزلت : (إنما وليكم الله ورسوله) ... الآية .

الضحاک لم يلق ابن عباس .

وروى ابن مردويه أيضاً من طريق محمد بن السائب الكلبي - وهو متروك - عن أبي صالح ، عن ابن عباس قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسجد ، ولناس يصلون ، بين رابع وساجد وقام وقاعد ، وإذا مسكين يسأل ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أعطاك أحد شيئاً ؟ قال : نعم : قال : من ؟ قال : ذلك الرجل القائم ، قال : حل بن أبي طالب ؟ قال : وهو رابع ، قال : وذلك عن بن أبي طالب قال : فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك ، وهو يقول : (ومن يتول الله ورسوله ولذين آمنوا ، فإن حزب الله هم الغالبون) .

وهذا إسناد لا يفيح به .

ثم رواه ابن مردويه ، من حديث حل بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، نفسه ، وعمار بن ياسر ، وأبي رافع ، وليس يصح شيء منها بالكلية ، لضعف أسانيدنا وجهالة رجالها : ثم روى بسنده ، عن ميمون بن مهران ، عن ابن عباس في قوله : (إنما وليكم الله ورسوله) : تزلت في المؤمنين ، وحل بن أبي طالب أولهم .

وقال ابن جرير : حدثنا هناد ، حدثنا حيدة ، عن عبد الملك ، عن أبي جعفر قال : سأله عن هذه : (إنما وليكم الله ورسوله ولذين آمنوا الذين يقومون الصلاة ويؤتون الزكاة ، وهم رابعون [قلنا : من الذين آمنوا ؟] قال : الذين آمنوا ! قلنا : يائنا أنها تزلت في حل بن أبي طالب ! قال : حل من الذين آمنوا (٢) .

وقال أسباط ، عن السدي : تزلت هذه الآية في جميع المؤمنين ، ولكن حل بن أبي طالب مر به سائل وهو رابع للمسجد ، فأعطاه خاتمه (٣) .

وقال حل بن أبي طلحة الوالي ، عن ابن عباس : من أسلم فقد تولى الله ورسوله ولذين آمنوا - رواه ابن جرير .

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٢٢١٤ : ٤٢٦/١٠ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٢٢١١ : ٤٢٥/١٠ ، ٤٢٦ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٢٢١٠ : ٤٢٥/١٠ .

وقد تقدم في الأحاديث التي أوردنا أن هذه الآيات كلها نزلت في حادثة بين الصامت رضى الله عنه ، حين تبرأ من حليف يهود ، ورضى بولاية الله ورسوله والمؤمنين ، ولهذا قال تعالى بعد هذا كله : (ومن يقول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون) ، كما قال تعالى : (كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز : لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ، أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ، ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه ، أولئك حزب الله ، إلا أن حزب الله هم المقطعون (١) .

فكل من رضى بولاية الله ورسوله والمؤمنين فهو مفلح في الدنيا والآخرة ولهذا قال تعالى في هذه الآية الكريمة (ومن يقول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون) .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلِبَاسًا مِنَ الدِّينِ أُوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكِتَابُ الْأَوَّلِيُّ
وَأَتُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّا نَادِيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُؤًا وَلِبَاسًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢١﴾

وهذا تنبيه من موالاة أمته الإسلام وأهله ، من الكتابيين والمشرقيين ، اللذين يتخللون أفضل ما يمسله العاملون ، وهى شرائع الإسلام المطهرة المحمكة للشمعة على كل خير ديني وأخروي ، يتخللونها هُزُؤًا يستهزئون بها ، وللباء يتخللون أنها نوع من اللعب في نظرم الفاسد ، وفكرهم البارد ، كما قال القائل (٢) :

وَكَمْ مِنْ عَالِمٍ قَوْلًا صَحِيحًا • وَافْتَنَّهُ مِنَ الْقَهْمِ السَّعِيمِ

وقوله : (من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار) «من» ها هنا لبيان الجنس ، كقوله : (فاجتنبوا الرجس من الأوثان) وقرأ بعضهم (والكفار) بالخفض (٣) عطفاً ، وقرأ آخرون بالنصب على أنه معمول (لا تتخللوا الذين اتخللوا دينكم هُزُؤًا ولباساً من الدين أوتوا الكتاب من قبلكم) تنديده : «ولا الكفار أولياء» ، أى : لا تتخللوا هؤلاء ولا هؤلاء أولياء ،

والراد بالكفار ها هنا للمشركون ، وكذلك وقع في قراءة ابن مسعود ، فيأرواه ابن جرير : (لا تتخللوا الذين اتخللوا دينكم هُزُؤًا ولباساً من الدين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشر كوا (٤) .

(١) المائدة : ٢١ ، ٢٢ .

(٢) هوأبير الطيب الحنفي

(٣) نسب ابن جرير هذه القراءة إلى جماعة من أهل الحجاز والبصرة والكوفة ، أما قراءة النصب فقال إنها قراءة عامة أهل المدينة والكوفة . ينظر تفسير الطبري : ٤٣١/١٠ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٢٢١٧ : ٤٣٠/١٠ .

وقوله : (واتقوا الله إن كنتم مؤمنين) ، أي : اتقوا الله أن تتخلوا هؤلاء الأعداء لكم ولديكم أولياء . (إن كنتم مؤمنين) يشرح الله الذي اتقوه هؤلاء هم أولياء ، كما قال تعالى : (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فلايس من الله شيء إلا أن تتقوا منهم فقات) ، ويحذركم الله نفسه ، وإلى الله المصير (١) .

وقوله : (وإذا ناديت إلى الصلاة اتخلوها همزوا ولما) : أي : وكذلك إذا أذنتم داعين إلى الصلاة التي هي أفضل الأعمال لمن يقبل ويسلم من ذوى الألباب (اتخلوها) أيضا (همزوا ولما ، ذلك بأنهم قوم لا يفقهون) ممانى حياة الله وشرائعه ، وهذه صفات اتباع الشيطان الذى إذا سمع الأذان أدير وله حصاص - أي : ضراط ، حتى لا يسمع التاذين ، فإذا قضى التاذين أقبل ، فإذا ثوب بالصلاة أدير ، فإذا قضى التشريب أقبل حتى يخطر بين المرء وقلبه ، فيقول : اذكر كذا ، اذكر كذا ، لا لم يكن يذكر - حتى يظلل الرجل إن يلدئ (٢) كم صلى ، فإذا وجد أحدكم ذلك ، فليسجد سجدتين قبل السلام ، متفق عليه (٣) .

وقال القرطبي : قد ذكر الله التاذين في كتابه فقال : (وإذا ناديت إلى الصلاة اتخلوها همزوا ولما ذلك بأنهم قوم لا يفقهون) رواه ابن أبي حاتم ،

وقال أسباط ، عن السدي ، في قوله : (وإذا ناديت إلى الصلاة اتخلوها همزوا ولما) ، قال : كان رجل من النصارى بالندبة إذا سمع المئذنة ينادى : « أشهد أن محمداً رسول الله » قال : « حرق الكاذب ! فسلخت خادمه ليلة من الليالي ينار وهو تائم وأهله نيام ، فسقطت شرارة فأحرقت البيت ، فأحرق هو وأهله .

رواه ابن (٤) جرير وابن أبي حاتم .

وذكر محمد بن إسحاق بن يسار في السيرة : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة عام الفتح ، ومعه بلال ، فأمره أن يؤذن ، وأبو سفيان بن حرب وعتاب بن أسيد والحارث بن هشام جلوس ببناء الكعبة ، فقال عتاب بن أسيد : لقد أكرم الله أسيدا أن لا يكون صمعا هذا ، فسمع منه ما يفيظه . وقال الحارث بن هشام : أما والله لو أعلم أنه مُحَنٌ لأجبهته . قال أبو سفيان : لا أقول شيئا ، لو تكلمتُ لأخبرت حتى هذه الحصى . فخرج عليهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال : قد طمست الذي قاتم ، ثم ذكر ذلك لهم ، فقال الحارث وعتاب : نشهد أنك رسول الله ، ما أطلع على هذا أحد كان معنا ، فنقول أخبرك (٥) »

وقال الإمام أحمد : حدثنا روح بن حيدة ، حدثنا ابن جريج ، أخبرنا عبد العزيز بن عبد الملك بن أبي عميرة : أن عبد الله بن محبّر أخبره - وكان يشا في حجر أبي عميرة - قال قلت لأبي عميرة : يا عم ، إني خارج إلى الشام ،

(١) آل عمران : ٢٨ . وينظر : ٢٣/٢ .

(٢) إن : ثانية ، أي : لا يدري كم صلى .

(٣) البخاري ، كتاب الأذان ، باب فضل التاذين : ١٥٨/١ . ومسلم ، كتاب الصلاة ، باب فضل الأذان وهرب للشيطان منه صباه : ٥/٢ . ومن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب رفع الصوت بالأذان ، الحديث رقم ٥١٦ / ١٤٢/١ . والتمسك ، كتاب الأذان ، باب فضل التاذين : ٢١/٢ . ومسنّد أحمد من أبي هريرة : ٣١٢/٢ ، ٣٩٨ ، ٤٨٢ ، ٥٠٣ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر : ١٢٢١٨ : ٤٢٢/١٠ .

(٥) سيرة ابن هشام : ٤١٣/٢ .

وَأَخْشَى أَنْ أَسْأَلَ عَنْ تَأْذِينِكَ : فَأَخْبَرَنِي أَنَّ أَبَا عَمَلَةَ قَالَ لَهُ : نَحْنُ نَخْرُجُ فِي نَهْرٍ ، وَكُنَّا يَبْعَثُ طَرِيقَ حَنِينٍ ، مَقْبُولٍ (١) رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ حَنِينٍ ، فَلَقِينَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ ، فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالصَّلَاةِ حَتَّى رَسَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَصَمِعْنَا صَوْتَ الْمُؤَذِّنِ وَنَحْنُ مُتَنَبِّهُونَ ، فَصَرَخْنَا نَحْكِيهِ وَنَسْتَهْزِئُ بِهِ ، فَصَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، [الصَّوْتِ] (٢) فَأَرْسَلَ إِلَيْنَا إِلَى أَنْ وَقَفْنَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَيُّكُمْ الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ قَدْ ارْتَفَعَ ؟ فَأَشَارَ لِقَوْمٍ كَلَّمَهُمْ إِلَيَّ ، وَصَلُّوا ، فَأَرْسَلَ كَلَّمَهُمْ وَحَسِبْنِي . وَقَالَ : ثُمَّ فَأَذَّنَ [بِالصَّلَاةِ] (٣) : قَصَمْتُ وَلَا شَيْءَ أَكْرَهُ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَا عَمَّا يَأْمُرُنِي بِهِ ، قَصَمْتُ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَتَانِي عَلَى (٤) رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْآذِينَ هُوَ بَنَسَهُ ، قَالَ : قُلْ : اللَّهُ أَكْبَرُ ، اللَّهُ أَكْبَرُ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، أَشْهَدُ أَنْ عَمَدًا رَسُولَ اللَّهِ ، أَشْهَدُ أَنْ عَمَدًا رَسُولَ اللَّهِ ، [ثُمَّ قَالَ لِي : ارْجِعْ فَاغْدِدْ مِنْ صَوْتِكَ : ثُمَّ قَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، أَشْهَدُ أَنْ عَمَدًا رَسُولَ اللَّهِ ، أَشْهَدُ أَنْ عَمَدًا رَسُولَ اللَّهِ] (٥) حَتَّى عَلَى الصَّلَاةِ ، حَتَّى عَلَى الصَّلَاةِ ، حَتَّى عَلَى الْفَلَاحِ ، حَتَّى عَلَى الْفَلَاحِ ، اللَّهُ أَكْبَرُ ، اللَّهُ أَكْبَرُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . ثُمَّ دَعَانِي حِينَ قَضَيْتُ التَّأْذِينَ ، فَأَعْطَانِي صِرَةً فِيهَا شَيْءٌ مِنْ نَفْسَةٍ ، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى نَاصِيَةِ أَبِي عَمَلَةَ ، ثُمَّ أَمَرَا (٥) عَلَى وَجْهِهِ ، ثُمَّ بَيْنَ نَفْسِيهِ ، ثُمَّ عَلَى كِبِدِهِ حَتَّى بَالَتْ يَدُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِرَّةَ أَبِي عَمَلَةَ ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ وَبَارَكَ عَلَيْكَ . قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مُرَّنِي بِالتَّأْذِينِ بِمَكَّةَ . فَقَالَ : قَدْ أَمَرْتُكَ بِهِ : وَذَهَبَ كُلُّ شَيْءٍ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ كِرَامَةٍ ، وَحَادَ ذَلِكَ كُلَّهُ عَنِّي لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَتَدَمَّعْتُ عَلَى خُتَابِ ابْنِ أَبِي سَيْدٍ حَامِلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [بِمَكَّةَ] (٦) فَأَذَّنَتْ مَعَهُ بِالصَّلَاةِ عَنْ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَخْبَرَنِي ذَلِكَ مِنْ أَدْرَكْتُ مِنْ أَهْلِ مَنْ أَدْرَكَ أَبَا عَمَلَةَ ، عَلَى مَحَرٍّ مَا أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو (٧) .

[هَكَذَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ ، وَقَدْ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٨) فِي صَحِيحِهِ ، وَأَهْلُ السُّنَنِ الْأَرْبَعَةُ مِنْ طَرِيقٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُخَبَّرٍ] ، عَنْ أَبِي عَمَلَةَ — وَسَمِعَهُ : سَمِعَهُ مِنْ مَعْبَرٍ بْنِ لَوْذَانَ — أَحَدِ مُؤَذِّنِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَرْبَعَةِ ، وَهُوَ مُؤَذِّنُ أَهْلِ مَكَّةَ ، وَامْتَنَعْتُ أَيَّامَهُ ، وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَلِرِضَاهُ ،

(١) فِي الْمُسْنَدِ : « قَتَلَ رَسُولُ اللَّهِ ... » .

(٢) عَنْ الْمُسْنَدِ .

(٣) فِي الْمُسْنَدِ : « فَأَتَانِي إِلَيْ » .

(٤) مَقْبُولٌ مِنْ غُلُوطَةِ الْأُخْرَى ، وَأَثْبَتَهُ مِنَ الْمُسْنَدِ . وَهُوَ مَقْبُولٌ نَظَرٌ .

(٥) نَصَرُ الْمُسْنَدِ : « ثُمَّ أَمَرَا عَلَى وَجْهِهِ مَرَّتَيْنِ ، ثُمَّ مَرَّتَيْنِ عَلَى يَدَيْهِ (كَتَبًا وَيَعْنِي أَنَّهُ : عَلَى هَيْبَةٍ) ثُمَّ عَلَى كِبِدِهِ ، ثُمَّ بَالَتْ يَدُ رَسُولِ اللَّهِ ... » .

(٦) عَنْ الْمُسْنَدِ .

(٧) مُسْنَدُ أَحْمَدَ : ٤٠٨/٣ ، ٤٠٩ .

(٨) مُسْلِمٌ ، كِتَابُ الصَّلَاةِ ، بَابُ صِفَةِ الْآذَانِ : ٣/٢ . وَتَحْقِيقُ الْأَوْصِي ، بَابُ الصَّلَاةِ ، بَابُ مَا جَاءَ فِي التَّرْجِيحِ فِي الْآذَانِ : ٥٧٢/١ ، وَابْنُ مَاجَةَ ، كِتَابُ الْآذَانِ ، بَابُ التَّرْجِيحِ فِي الْآذَانِ : الْحَدِيثُ ٧٠٨ : ٢٣٤/١ ، وَمَنْ أَيْ حَدَّثَهُ ، كِتَابُ الصَّلَاةِ ، بَابُ كَيْفِ الْآذَانِ ، الْحَدِيثُ ٥٠٣ : ١٣٧/١ . وَهَلَسَانِي ، كِتَابُ الْآذَانِ ، بَابُ كَيْفِ الْآذَانِ : ٤/٢ ،

قُلْ يٰٓأَهْلَ الْكِتٰبِ هَلْ تَنْفَعُونَ مَنَآ اِلَّا اَنۡ اٰمَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا اُنۡزِلَ اِلَيْنَا وَمَا اُنۡزِلَ مِنۡ قَبْلُ وَاَنۡ اَكْثَرُكُمْ
فٰسِقُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ هَلْ اُنۡبِئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنۡ ذٰلِكَ مَثۡوَةً عِنۡدَ اللّٰهِ مَنۡ لَعَنَ اللّٰهُ وَغَضِبَ عَلَیْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ
وَالتَّنٰزِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ اُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَاَضَلُّ عَنۡ سَوَآءِ السَّبِيلِ ﴿١٨﴾ وَاِذَا جَاۤءَهُمْ قَالُوۡا اٰمَنَّا وَقَدْ
دَخَلُوۡا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوۡا بِهٖ وَاَللّٰهُ اَعْلَمُ بِمَا كَانُوۡا يَكۡتُمُوۡنَ ﴿١٩﴾ وَرَئٰی كَثِيْرًا مِّنۡهُمْ يَسْرِعُوۡنَ
فِي الْاِثۡمِ وَالْعُدُوۡنِ وَاَعۡلَمُ الشَّحۡتَ لَيْسَ مَا كَانُوۡا يَعۡمَلُوۡنَ ﴿٢٠﴾ لَوۡلَا يَنْهٰهُمُ الرَّبِّیُّوۡنَ وَالْاَحۡبَارُ عَنۡ قَوْلِهِمُ
الْاِثۡمُ وَاَعۡلَمُ الشَّحۡتَ لَيْسَ مَا كَانُوۡا يَصۡنَعُوۡنَ ﴿٢١﴾

يقول تعالى : قل يا محمد ، فاولاء الذين اخلوا دينكم هزوا ولعبا من اهل الكتاب : (هل تقومون منا إلا أن آمتنا بالله
وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل) ، أي : هل لكم علينا ملعن أو عيب إلا هذا ؟ وهذا ليس بيب ولا حلقة ، ،
فيكون الاستثناء مطلقا ، كما في قوله : (وما قموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد) (١) ، وقلوه : (وما
قموا إلا أن آفئهم الله ورسولن فصله) (٢) . وفي الحديث المنقذ عليه : « ما يتم ابن جميل إلا أن كان فقيرا
فأفئاه الله (٣) » .

وقوله : (وأن أكثرهم فاسقون) مطوف على (أن آمتنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل) ، أي : وآمتنا بأن
أكثرهم فاسقون ، أي : خارجون عن الطريق المستقيم .

ثم قال : (قل : هل أنبئكم بشر مع ذلك مثوبة عند الله) ، أي : هل أنبئكم بشر جزاء عند الله يوم القيامة مما
فعلوه بنا ؟ وهم أنم الذين هم متصفون بهذه الصفات القصيرة : قوله : (من لعه الله) ، أي : أبغده من رحمته
(وغضب عليه) ، أي : غضبا لا يرضى بعده أبدا ، (وجعل منهم القردة والتنازير) ، كما تقدم بيانه في سورة
البقرة (٤) ، وكما سيأتي إيضاحه في سورة الأعراف . (٥) .

(١) البروج : ٨ .

(٢) هجزة : ٧٤ .

(٣) البخارى ، كتاب الزكاة : ١٥١/٢ . ومسلم ، كتاب الزكاة ، باب في تقديم الزكاة ومنها : ٦٨/٣ . وسنن
أبي داود ، كتاب الزكاة ، باب في تسجيل الزكاة ، الحديث ١٦٢٣ : ١٥/٢ . وسنن أحمد من أبي هريرة : ٣٢٢/٢ .
حذا ، وابن جميل المذكور في المسألة بكنية ، ولم يذكر له ابن الأثير في ترجمته غير هذا الحديث من مسلم ، ينظر
أحد النابذة الروحية : ٣٢٥/٥ .

(٤) آية : ٦٥ ، ينظر : ١٥٣/١٠٠/١ .

(٥) آية : ١٦٦ .

وهذا قال سفيان الثوري ، عن علقمة بن مرثد ، عن المنيرة بن عبد الله ، عن المروء بن مويذ ، عن ابن مسعود قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القرعة والختانير ، أمي ما نسخ الله ؟ قال : إن الله لم يسخ قوما - أو قال : لم يسخ قوما - فيجعل لهم نسلا ولا حنيا ، وإن القرعة والختانير كانت قبل ذلك .

وقد رواه مسلم من حديث سفيان الثوري ومسعر كلاهما ، عن منيرة (١) بن عبد الله البشكري ، به ؛

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا داود بن أبي القرات ، عن عماد بن زيد ، عن أبي الأعين المديني عن أبي الأحوص ، عن ابن مسعود قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القرعة والختانير ، أمي من نسل اليهود ؟ فقال : لا ، إن الله لم يلمن قوما فيمسخهم فكان لهم نسل ، ولكن هذا خلق كان ، فلما غضب الله على اليهود فسحهم ، جعلهم مثلهم . ورواه أحمد (٢) من حديث داود بن أبي القرات ، به .

وقال ابن مردويه : حدثنا عبد الباقي ، حدثنا أحمد بن صالح ، حدثنا الحسن بن محبوب ، حدثنا عبد العزيز ابن المختار ، عن داود بن أبي هند ، عن حكمة ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحيات مسخ الجن ، كما مسخت القرعة والختانير » . هذا حديث غريبه جدا .

وفيه : (وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ) ، وقرئ : (وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ) على أنه فعل ماضٍ ، « والطَّاغُوتُ » منصوب به ؛ أي : وجعل منهم من عبد الطَّاغُوتَ . وقرئ : (وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ) بالإضافة على أن المذنب : وجعل منهم علم الطَّاغُوتَ ، أي : خدامه وعبيده . وقرئ : (وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ) على أنه جمع الجمع ؛ عبد وعبيد وعبدٌ ، مثل ثمار وثمرٌ : حكاه ابن جرير عن الأعمش (٣) . وحكى ابن جرير أنه كان يقرأها : (وعابد الطَّاغُوتَ) (٤) ، وعن أبي ، وابن مسعود : (وعبدا) ، وحكى ابن جرير عن أبي جعفر القاري (٥) أنه كان يقرأها ، (وعبدَ الطَّاغُوتَ) على أنه مفعول مالم يسم فاعله ، ثم استبد منهاها . والظاهر أنه لا يحد في ذلك ، لأن هذا من باب التمرض بهم ، أي : وقد صعدت الطَّاغُوتَ فيكم ، وكنتم أنتم الذين تصاعقوا ذلك .

وكل هذه القراءات يرجع منهاها إلى أنك يا أهل الكتاب الطَّاغُوتَ في ديننا ، والذي هو توحيد الله وإفراجه بالعبادة دون سواه ، كيف يصدر منكم هذا وأنتم قد وجدتم منكم جميع ما ذكر ؟ . ولما قال : (أولئك شر مكانا) ، أي : ما تظنون بنا (وأضل عن سواه السبيل) .

وهذا من باب استسمال أفضل التفضيل هيا ليس في الطرف الآخر مشاركة ، كقوله : (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا ولحسن مقيلا) .

(١) كلا قال : « من منيرة » ، والصواب أن يقال : « من علقمة بن مرثد » . ينظر مسلم ، كتاب القدر ، باب بيان أحوال الأجيال والأرزاق وغيرها لا تترك ولا تنقص عما سبق به القدر ، ٥٦/٨ ، ٥٦ .

(٢) سند أحده : ٣٩٥/١ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٤٢١ .

(٣) تفسير البصري ، الأثر ١٢٢٢٧ : ٤٤٠/١٠ .

(٤) للمصدر السابق ، الأثر ١٢٢٢٩ : ٤٤١/١٠ .

(٥) للمصدر السابق ، الأثر ١٢٢٢٨ : ٤٤٠/١٠ .

وقوله : (وإنا جاءكم قالوا : آتنا ، وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به) ، وهذه صفة المنافقين منهم ،
 (يهم يصابون المؤمنون في الظاهر وقلوبهم متطوية على الكفر ، ولهذا قال : (وقد دخلوا) ، أي : عندك يا محمد
 (بالكفر) ، أي : مستصحبين الكفر في قلوبهم ، ثم خرجوا وهو كامن فيها ، لم يتصفوا بما قد سمعوا منك من العلم ،
 ولا نجحت فيهم للوعظ ولا الترواجر ، ولهذا قال : (وهم خرجوا به) فخصهم به دون غيرهم .

وقوله : (والله أعلم بما كانوا يكتمون) ، أي : والله عالم بسر أئمتهم وما تتطوى عليه ضمائرهم ، وإن أظهرنا
 خلقه خلاف ذلك ، وتربنا بما ليس فيهم ، فإن الله عالم الغيب والشهادة أعلم بهم منهم ، وسيجزيهم على ذلك أتم الجزاء .
 وقوله : (ويري كثيرا منهم يسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم السحت) ، أي : يبادرون إلى ذلك من تطامى
 المآثم والشامم والاعتناء على الناس ، وأكل أموالهم بالباطل (ليس ما كانوا يعملون) ، أي : ليس العمل كان عملهم ،
 وليس الاعتناء اهتمامهم .

وقوله : (لولا ينهاهم الرائيون والأخبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت ليس ما كانوا يصنعون) ، يعني :
 هلاكهم ينهاهم الرائيون والأخبار عن تطامى ذلك . والرائيون منهم وهم : العلماء المال أرباب الولايات عليهم ،
 والأخبار : وهم العلماء فقط .
 (ليس ما كانوا يصنعون) .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « يعني الرائيين ، أنهم : ليس ما كانوا يصنعون » . . يعني : في تركهم
 ذلك .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : قال هؤلاء حين لم يتنهوا ، وغولاه حين حملوا . قال : وذلك الأركان (١) ،
 قال : « يعملون » و « يصنعون » واحد : رواه ابن أبي حاتم .

وقال ابن جرير : حدثنا أبو كريب ، حدثنا ابن عطية ، حدثنا قيس ، عن العلاء بن السائب ، عن خالد بن دينار
 عن ابن عباس قال : ما في القرآن آية تشد توبيخا من هذه الآية : (لولا ينهاهم الرائيون والأخبار عن قولهم الإثم
 وأكلهم السحت ليس ما كانوا يعملون) ، قال : كلما قرأ (٢) .

وكذا قال الضحاك : ما في القرآن آية ، أخوف عندى منها : أنا لا نهي : رواه ابن جرير (٣) .

وقال ابن أبي حاتم : ذكره يونس بن حبيب ، حدثنا أبو داود ، حدثنا [محمد بن] (٤) مسلم بن أبي الرضاح
 حدثنا ثابت بن سعيد الحمدي ، قال : رأيته بالري فحدث عن يحيى بن عيسى قال : خطب علي بن أبي طالب فحمد
 الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، إنما هلك من كان قبلكم يركبهم للمعاصي ، ولم ينههم الرائيون والأخبار [فلما

(١) كلما في خطوطة الأثر ، وضلوني دار الكتب : ١ ، ٨٥ - تفسير .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٢٢٣٩ : ٤٤٩/١٠ .

(٣) تفسير الطبري الأثر ١٢٢٣٨ : ٤٤٩/١٠ .

(٤) سقط من الخطوطة ، وللخروج من البرج لابن أبي حاتم : ٧٦/٢/٤ .

تمادوا في المعاصي ولم ينتههم الربانيون والأحبار [(١) أخذتهم الضغيات فتمسروا بالمعروف وانتهوا عن المنكر ، قبل أن يترل بكم مثل الذي نزل بهم ، واعلموا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقطع رزقا ولا يقرب أجلا .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن حارون ، أنبأنا شريك ، عن أبي إسحاق ، عن المتلبر بن جرير ، عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من قوم يكون بين أظهرهم من يعمل بالمعاصي هم أضر منه وأمنع ، لم يغيروا ، إلا أصابهم الله مته بطلب » .

فرد به أحمد من هذا الوجه (٢) .

ورواه أبو داود ، عن مسدد ، [عن أبي الأحوص ، عن أبي إسحاق ، عن المتلبر (٣) بن جرير ، عن جرير قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي ، يقولون أن يغيروا . عليه فلا يغيروا] إلا أصابهم الله بقطب قيل أن يموتوا (٤) » .

وقد رواه ابن ماجه عن علي بن محمد ، عن وكيع ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عبيد الله بن جرير ، عن أبيه ، به (٥) .

قال الحافظ المزني وهكذا رواه شعبة ، عن أبي إسحاق ، به ،

وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَقْلُوبَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَمَّا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُبَدِّلُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالْقِيَامَةُ إِلَيْنَا وَالْبِقَاعَةُ إِلَيْنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا أَقْبَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ كَانُوا يَسْمَعُونَ أَوْ يَفْقَهُونَ مَا أَتَوْا آلَهُمْ سَاعَةَ لَّيْلَةٍ وَأَنَّهُمْ سَاعَتُهُمْ سَاعَةٌ وَلَا تَجْنُتُهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴿٦١﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِن رَّبِّهِمْ لَأَكْلُوا مِن فَرْوِهِمْ وَمَن تَحْتَ أَرْجُلِهِمْ مِّمَّ أُمَّةٌ مَّقْصُودَةٌ وَّكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٦٢﴾

يغير تعالى عن اليهود - عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة - بأنهم وصفوا الله عز وجل تعالى عن قولهم علوا كبيرا ، بأنه يغير . كما وصفوه بأنه قدير وهم أغنياء . وعبروا عن البخل بقولهم : (يد الله مقلوبة) .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو عبد الله الطهراني حدثنا حفص بن عمر العدني ، حدثنا الحكم بن أبان ، عن عكرمة قال : قال ابن عباس : (مقلوبة) ، أي : غيلة .

(١) سقط من المخطوطة ، والتثبت عن القدر المنشور : ٢٩٦/٢ .

(٢) مسند أحمد ٣٦٣/٤ ويظهر ٣٦١/٤ ، ٤٦٤ ، ٣٦٦ .

(٣) في سنن أبي داود : « حدثنا أبو إسحاق ، أنه عن ابن جرير » .

(٤) سنن أبي داود ، كتاب الملاحم ، باب الأمر والنهي ، الحديث رقم ٤٣٣٩ ، ١٢٢/٤ ، ١٢٢ . وما بين القوسين .

(٥) سنن ابن ماجه ، كتاب القنن ، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، الحديث رقم ٤٠٠٩ ، ١٢٩٢/٢ .

وقال حل بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : (وقالت اليهود يد الله مغلولة) ، قال : لا يمتون بذلك أن يد الله موقفة ، ولكن يقولون ، خيل أسلك ما عنده ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا (١) .

وكذا روى عن عكرمة ، وقادة ، والسدي ، وجماد ، والضحاك وقرأ (٢) : (ولا تجعل يدك مغلولة إلى جفك ولا تبسطها كل البسط فتعند ملوما محسورا) ، يعنى : أنه بنى عن البخل وعن التبذير ، وهو الزيادة في الإفاق في خير عمله ، وخير من البخل بقوله : (ولا تجعل يدك مغلولة إلى جفك) :

وهذا هو الذي أراد هؤلاء اليهود عليهم لعائن الله . وقد قال عكرمة : (إنها نزلت في فتاحين اليهودى (٣)) ، عليه لمة الله . وقد تقدم أنه الذي قال : (إن الله قدير ونحن أغنياء) فضربه أبو بكر الصديق رضى الله عنه (٤) .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني محمد بن أبي محمد ، عن سعيد أو عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال رجل من اليهود ، يقال له : شامي بن قيس : إن ربك خيل لا ينفق ، فأنزل الله : (وقالت اليهود يد الله مغلولة ، خلّت أيديهم ولمنوا عما قالوا) بل يباه مبسوطان ينفق كيف يشاء .

وقد رد الله عز وجل عليهم ما قالوه ، وقابلهم فيما اختفوه والفرهوا واشتكروه ، فقال : (خلّت أيديهم ولمنوا عما قالوا) . وهكذا وقع لهم ، فإن عندهم من البخل والحسد والجبن واللالة أمر عظيم ، كما قال تعالى : (أم لهم نصب من الملك فإنا لا يؤتون الناس نفرا . أم يحملون الناس على ما آتاهم الله من فضله (٥) الآية) ، وقال تعالى : (ضربت عليهم اللثة) (٦) الآية .

ثم قال تعالى : (بل يباه مبسوطان ينفق كيف يشاء) ، أى : بل هو الواسع الفضل الجزيل العطاء ، الذي ما من شيء إلا عنده خزائنه ، وهو الذي ما يخلفه من لمة فته وحده لا شريك له ، الذي خلقنا كل شيء مما نحتاج إليه ، في ليلنا ونهارنا ، وحضرنا وسفرنا ، وفي جميع أحوالنا ، كما قال : (وآتاكم من كل ما سألتموه ، وإن تعدوا لمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظالم كفار) . (٧) والآيات في هذا كثيرة ، وقد قال الإمام أحمد بن حنبل :

حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن همام بن منبه قال : هذا ما حدثنا أبو هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن عين الله مسلّاة لا يفيضها (٨) نفقة مسجأة الليل (٩) والنهار ، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض ، فإنه لم يفيض ما في عينه ، قال : وعرشه على الماء ، وفي يده الأخرى القتبس ، يرفع ويخفض قال :

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٢٢٤٢ : ٤٥٢/١٠ .

(٢) أثر الضحاك في الطبري ، رقم ١٣٢٤٨ : ٤٥٢/١٠ : ٤٥٤ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٢٢٤٧ : ٤٥٢/١٠ .

(٤) ينظر الآية ١٨١ من سورة آل عمران : ١٥٣/٢ .

(٥) سورة النساء : ٥٣ : ٥٤ . ينظر : ٧٩٥/٢ .

(٦) البقرة آية : ٦١ ، وآل عمران آية : ١١٢ . ينظر : ١٤/٥١ : ١٤٦ : ٨٦/٧٧/٢ .

(٧) إبراهيم ، آية : ٣٤ .

(٨) لا يفيضها : لا يتصبها .

(٩) مسجأة : مائة الصب والحلل بالسطاء .

وقال الله تعالى : أَنَتَى أَفْتَى عَلَيْهِ (١) أَخْرَجَهُ فِي الصَّحِيحِ ، الْبَاطِلَى فِي التَّوْحِيدِ ، عَنْ عَلِي بْنِ الْحُسَيْنِ (٢) - وَمُسْلِمٌ فِيهِ ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الرَّافِعِ - وَكُلَاهُمَا عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ ، بِهِ .

وقوله : (وَلِيُزَيِّنَ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَتَزَلُ إِلَيْكَ مِنْ رِيكِ طَعْيَانَا وَكَفَرًا) ، أَيْ : يَكُونُ مَا آتَاكَ اللَّهُ بِأَمْرٍ مِنْ التَّعْدَةِ ثَقَمَةً فِي حَقِّ أَحَدَاكَ مِنَ الْيَهُودِ وَأَشْيَاهُمْ ، فَكَمَا يَزِدُّهُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ تَصَدِيقًا وَعَمَلًا صَالِحًا وَعِلْمًا نَافِعًا ، يَزِدُّهُمْ مِنَ الْكُفَرَةِ الْحَاسِلَةِ لَكَ وَلِأَمَّتِكَ (طَعْيَانَا) ، وَهُوَ : الْمُبَالَغَةُ وَالْمُجَاوِزَةُ لِأَحَدٍ فِي الْأَشْيَاءِ « وَكَفَرًا » ، أَيْ : تَكْلِيْفًا ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : (قُلْ : هُوَ الَّذِينَ آمَنُوا هَدَى وَغَضَا ، وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آفَاتِهِمْ وَغَرَّ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمَى ، أُولَئِكَ يَتَدَوَّنُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ) . (٣) ، وَقَالَ تَعَالَى : (وَنَزَلَ مِنْ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شَفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا) (٤) .

وقوله : (وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْمَدَاوِةَ وَالْيَنْفُسَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) ، يَعْنِي : أَنَّهُ لَا يَجْتَمِعُ قُلُوبُهُمْ ، بَلِ الْمَدَاوِةُ وَاقِعَةٌ بَيْنَ قِرْفَتِهِمْ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ دَائِمًا . لِأَنَّهُمْ لَا يَجْتَمِعُونَ عَلَى حَقٍّ ، وَقَدْ خَالَفُوا وَكَلَبُوا .

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ : (وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْمَدَاوِةَ وَالْيَنْفُسَاءَ) قَالَ : الْخُصُومَاتُ وَالْجِدَالُ فِي الدِّينِ : رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ .

وقوله : (كَلِمًا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْلَعَهَا اللَّهُ) ، أَيْ : كَلِمًا عَقَلُوا أَسْيَابًا يَكِيدُونَ بِهَا ، وَكَلِمًا أَبْرَمُوا أُمُورًا يَحَارِبُونَ بِهَا يَطْلَعُهَا اللَّهُ وَيُرِدُّ كَيْدَهُمْ عَلَيْهِمْ ، وَيَحْرِقُ مَكْرَهُمُ السَّيِّئَ بِهِمْ . (وَيَسْمُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْلِفِينَ) ، أَيْ : مَنْ سَجَّيْتَهُمْ أَنَّهُمْ دَائِمًا يَسْعَوْنَ فِي الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ مِنْ عِلَّةٍ صَفَتَهُ .

ثُمَّ قَالَ جَل وَعَلَا : (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا) ، أَيْ : لَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَاتَّقَوْا مَا كَانُوا يَتَطَاوَنُونَ مِنَ الْخَارِجِ وَالْمَأْمَنِ (لَكُنَّا عَنْهُمْ سَبِيلًا وَلَا نَخْلُتُهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ) ، أَيْ : لَأَكْرَمْنَا عَنْهُمْ الْخُلُوفَ وَلِحَصْنَتَهُمُ الْمُقْصُودَ .

(وَلَوْ أَنَّهُمْ آتَاوَا الثَّورَةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ، وَغَيْرُهُ : يَعْنِي الْقُرْآنَ .

(لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ) ، أَيْ : لَوْ أَنَّهُمْ عَمِلُوا بِمَا فِي الْكِتَابِ الَّتِي بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ، حَلَّ مَا هِيَ عَلَيْهِ ، مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَغْيِيرٍ وَلَا تَبْدِيلٍ ، لَقَادِمُ ذَلِكَ إِلَى اتِّبَاعِ الْحَقِّ وَالْعَمَلِ بِمَقْصُودِ مَا بَشَّرَ اللَّهُ بِهِ عِبْدًا صَلَّي اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَإِنَّ كَيْدَهُمْ نَاطِقَةٌ بِتَصْدِيقِهِ وَالْأَمْرُ بِاتِّبَاعِهِ حَيًّا لَا عَمَالَةً .

وقوله : (لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ) ، يَعْنِي ذَلِكَ : كَثْرَةُ الرِّزْقِ الْآتَاوَلِ طَائِفَةٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْثَابِتِ لَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ .

(١) مسند أحمد من حديث طويل : ٣١٤ / ٢

(٢) البهاري ، كتاب التوحيد ، باب « وكان عرشه على الماء » : ١٥٢ / ٩ . ومسلم ، كتاب الزكاة ، باب « الحث على

التفقه وتغيير المتفق بالخلف » : ٧٧ / ٣ .

(٣) فصلت ، آية : ٤٤ .

(٤) الإسراء ، آية : ٨٢ .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: «لأكلوا من فوقهم» يعني: لأرسل عليهم ملأوا (ومن تحت أرجلهم) يعني: يخرج من الأرض يركبها (١).

وكذا قال مجاهد، وسعيد بن جبير، وقتادة، والسدي، كما قال: «ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم يركات من السماء والأرض» (٢)... الآية. وقال: «ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس» (٣)... الآية.

وقال بعضهم: معناه «لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم» يعني: من غير كد ولا تعب ولا شقاء ولا عناء.

وقال ابن جرير: قال بعضهم: معناه «لكانوا في الخير» (٤) كما يقول القائل: «هو في الخير من قرنة» (٥) إلى قدمه. ثم رد هذا القول لخالفته أقوال السلف.

وقد ذكر ابن أبي حاتم، عند قوله: «ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل» حديث حكمة، عن صفوان بن عمرو، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير، عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يوشك أن يرفع العلم. فقال زياد ابن ليبيد: يا رسول الله، وكيف يرفع العلم وقد قرأنا القرآن وعلمناه أبناءنا؟ قال: «تكتلك أملك يا ابن ليبيد! إن كنت لأراك من أمة أمل للمدينة، أو ليست للتوراة والإنجيل بأيدي اليهود والنصارى، فما أغنى عنهم حين تركوا أمر الله. ثم قرأ: «ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل».

هكذا أورده ابن أبي حاتم حديثاً معقفاً (٦) من أول إسناده، مرسلًا في آخره. وقد رواه الإمام أحمد بن حنبل متصلاً موصولاً، فقال:

حدثنا وكيع، حدثنا الأعمش، عن سالم بن أبي الجعد، عن زياد بن ليبيد قال: «ذكر النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً فقال: وذلك عند ضباب العلم. قال قلنا: يا رسول الله، وكيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن ونُفسرُه أبناءنا ويُفسرُه أبناءنا أبناءهم إلى يوم القيامة؟ قال: «تكتلك أملك يا ابن أم ليبيد، إن كنت لأراك [من] أمة رجل بالمدينة، أو ليس هذه اليهود والنصارى يقرمون التوراة والإنجيل ولا ينتفعون بما فيها بشيء» (٧).

وكذا رواه ابن ماجه، عن أبي بكر بن أبي ذئبة، عن وكيع بإسناده نحوه (٨). وهذا إسناده صحيح.

وقوله: «منهم أمة مفصلة وكثير منهم ساء ما يحملون» كقوله تعالى: «ومن قوم موسى أمة يملكون بالحق وبه يعدلون» (٩). وكقوله عن أتباع عيسى: «فأتينا الذين آمنوا منهم أجرهم» (١٠)... الآية. فحصل أعلى مقاماتهم

(١) تفسير الطبري، ١٢٢٥/١٠ : ٤٦٣/١٠.

(٢) الأعراف، آية: ٩٦.

(٣) الروم، آية: ٤١.

(٤) نص ابن جرير ٤٦٤/١٠ : «وكان يشبههم يقول: إنما أراد بقوله: (لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) التوسعة، كما يقول القائل... وتقال هذه الثلاثة هو الفراء، ينظر معاني القرآن ٣١٥/١.

(٥) القرن: حد الراس وجانبها.

(٦) ينظر: ٥/٢.

(٧) مسند أحمد: ١٦٠/٤ : ٢١٨ : ٢١٩. وأسد الغابة بصحيفتنا، الترجمة رقم ١٨٠٩ : ٢٧٣/٢ : ٢٧٤.

(٨) سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب ضباب القرآن والعلم، الحديث ٤٠٤٨ : ١٣٤٤/٢.

(٩) الأعراف، آية: ١٥٩.

(١٠) الحديد، آية: ٢٧.

الاقتصاد ، وهو أوسط مقامات هذه الأمة ، وفوق ذلك رتبة السابقين ، كما في قوله تعالى (لم نؤت الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ، فهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ، ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ، ذلك هو الفضل الكبير . جنتنا عدن يدخلونها (١)) :: الآية : والصحيح أن الأقسام الثلاثة من هذه الأمة يدخلون الجنة .

وقد قال أبو بكر بن مَرْزُوق : حدثنا عبد الله بن جعفر ، حدثنا أحمد بن يونس القاضي ، حدثنا حاتم بن حل ، حدثنا أبو معشر ، عن يعقوب بن يزيد بن طلحة ، عن زيد بن أسلم ، عن أس بن مالك قال : « كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : تفرقت أمة موسى على إحدى وسبعين ملة ، سبعون منها في النار وواحدة في الجنة وتفرقت أمة عيسى على اثنين وسبعين ملة ، واحدة منها في الجنة وإحدى وسبعون منها في النار . وتعلم أمتي حل هاترين جميعا ، واحدة في الجنة ، واثنان وسبعون في النار . قالوا : من هم يا رسول الله ؟ قال : الجماعات الجماعات . »

قال يعقوب بن يزيد : كان حل بن أبي طالب إذا حدث هذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تلا فيه قرآنا : (ولو أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكرناهم سيئاتهم لأدخلناهم جنتنا النعيم) ، إلى قوله تعالى : (منهم أمة مقتصد وكثير منهم ساء ما يعملون) ، وتلا أيضا : (ومن خلقنا أمة يهدون بالحن وبهدى) ، يعني أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

وهذا حديث غريب جدا من هذا الوجه وبهذا المياق : وحديث أفراف الأم إلى بضع وسبعين مَرَوِي من طرق حديدة ، وقد ذكرناه في موضع آخر (٢) ، والله الحمد ولله .

﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾

يقول تعالى عابدا عبده ورسوله محمدا صلى الله عليه وسلم باسم الرسالة ، وأمره له بالإبلاغ بجميع ما أرسله الله به ، وقد امتثل صلوات الله وسلامه عليه ذلك ، وقام به أتم القيام .

قال البخاري عند تفسير هذه الآية : حدثنا محمد بن يوسف ، حدثنا سليمان ، عن إسماعيل ، عن الشعبي ، عن مسروق ، عن عائشة قالت : من حدثك أن محمدا كتم شيئا ما أنزل عليه فقد كذب ، الله (٣) يقول : (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) :: الآية (٤) .

(١) طبر ، كآ : ٣٢ ، ٣٣ .

(٢) هذه الآية رقم ١٠٥ من سورة آل عمران ، ينظر ٢ / ٧٥ ، ٧٦ .

(٣) في المخطوطة : وهو يقول . والمثبت عن الصحيح .

(٤) البخاري ، كتاب التفسير ، تفسير سورة المائدة ، باب : « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك » : ٦١/٦ .

هكذا رواه هاهنا مختصراً ، وقد أخرج في مواضع (١) من صحيحه مطولاً . وكذا رواه مسلم في « كتاب الإيمان » (٢) ، والترمذي (٣) والنسائي في « كتاب التفسير » من مستهما من طرق . عن حاتم الشعبي . عن مسروق بن الأجدع ، عنها : رضي الله عنها .

وفي الصحيحين عنها أيضاً أنها قالت : لو كان محمد صلى الله عليه وسلم كاتباً من القرآن شيئاً لكم هذه الآية : (ونحى في نفسك ما الله بهديه ، ونحى الناس والله أحق أن نحشاه) (٤) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن منصور الرمادي ، حدثنا سعيد بن سليمان ، حدثنا عباد ، عن هارون بن عتبة ، عن أبيه قال : كنت عند ابن عباس ، فجاء رجل فقال له : إن ناساً يأوتونا فيخبرونا أن عندكم شيئاً لم يده رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس . فقال : ألم تعلم أن الله تعالى قال : (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) ، والله ماؤركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة في يمينه .

وهذا إسناد جيد ، وهكذا في صحيح البخاري من رواية أبي جحيفة وهب بن عبد الله السوائي قال : قلت لعلي ابن أبي طالب رضي الله عنه : « هل عندكم شيء من الوحي مما ليس في القرآن ؟ » قال : لا ، والذي ظن الحبة وبرأ النسيمة ، إلا فيما يعطيه الله رجلاً في القرآن ، وما في هذه الصحيفة . قلت : وما في هذه الصحيفة ؟ قال : العقل ، وفككك الأسير ، ولأن لا يقتل مسلم بكافر (٥) .

وقال البخاري : قال الفرعي : من الله الرسالة ، وعلى الرسول البلاغ ، وعلينا السليم (٦) .
وقد شهدت له أنه ببلاغ الرسالة وأداء الأمانة ، واستنطقهم بذلك في أعظم الماحل . في خطبة يوم حجة الوداع ، وقد كان هناك من الصحابة نحو من أربعين ألفاً ، كما ثبت في صحيح مسلم ، عن جابر بن عبد الله : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبته يومئذ : « أيها الناس ، إنكم مسئولون (٧) عني ، فما أنتم قائلون ؟ » قالوا : نشهد أنك قد بلغت وأدبت ونصحت . فجعل يرفع إصبعه إلى السماء ويقول (٨) إليهم ويقول : اللهم هل بلغت ، اللهم هل بلغت (٩) .

(١) البخاري ، كتاب التفسير ، تفسير سورة التيمم ، ١٧٥/٩ ، ١٧٦ ، وكتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : (يا أيها الرسول بلغ ...) : ١٩٠/٩ .

(٢) مسلم ، كتاب الإيمان ، باب معنى قول الله عز وجل : (ولقد آتينا قرآنك) : ١١٠/١ .

(٣) تحفة الأعراف ، كتاب التفسير ، تفسير سورة الأنعام : ٤٤١/٨ - ٤٤٥ . وتفسير سورة التيمم : ١٦٦/٩ - ١٦٨ .

(٤) البخاري ، كتاب التوحيد ، باب « وكان مرثه على الملائكة » : ١٥٢/٩ . ومسلم كتاب الإيمان : ١١٠/١ .

(٥) البخاري ، كتاب العلم ، باب كتابه العلم : ٣٨/١ . وكتاب الجهاد ، باب فككك الأسير : ٨٤/٤ . وكتاب التهاديات ، باب المعلقة : ١٣/٩ ، ١٤ ، وباب لا يقتل مسلم بكافر : ١٦/٩ .

(٦) البخاري ، كتاب التوحيد : ١٩٠/٩ .

(٧) في صحيح مسلم : « وأنتم تسألون عني » .

(٨) كذلك في غرر الحديث ، وفي صحيح مسلم : « يتكلم » . وقال النووي عن القاضی : « وهو بهي الله » وصوابه يتكلم ، بهي موحدة ، ومنه : « يتكلم » . وفي النهاية لابن الأثير : « ويتكلم إلى الناس : أي يعيها إليهم ، يريد بذلك أن يشهد الله عليهم » .

وكذلك الرواية في ابن ماجة : كتاب المناسك ، باب حجة التيمم ، الحديث ٣٠٧٤ : ١٠٢٥/٢ : « يتكلمها بالياء الموحدة » .

(٩) في صحيح مسلم ، كتاب الحج ، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم : ٤١/٤ : « اللهم اشهد » ، اللهم اشهد .

وقال الإمام أحمد : حدثنا ابن نمير ، حدثنا فضيل - يعني ابن غزوان - عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع : « يا أيها الناس ، أي يوم هذا ؟ قالوا : يوم حرام . قال : أي بلد هذا ؟ قالوا : بلد حرام . قال : فأي شهر هذا ؟ قالوا : شهر حرام . قال : فإن أموالكم ومداكم وأمر أضيكم عليكم حرام ، كحرمه يومكم هذا ، في بلدكم هذا ، في شهركم هذا . ثم أعادها مراراً ، ثم رفع إصبعه إلى السماء فقال : اللهم هل بلغت ! مراو - قال : يقول ابن عباس : والله لو صعد إلى دبه حر وجبل - ثم قال : ألا فليبلغ الشاهد الغائب ، لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض (١) » .

وقد روى البخاري ، عن حل بن المثنى ، عن يحيى بن سعيد ، عن فضيل بن غزوان ، به نحوه (٢) .

وقوله : (وإن لم تفعل فإبلى رسالتك) ، يعني : وإن لم تؤد إلى الناس ما أرسلتك به ، (فإبلى رسالتك) ، أي : وقد عصى ما يترتب على ذلك لو وقع .

وقال حل بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : (وإن لم تفعل فإبلى رسالتك) ، يعني : إن كنت آية بما أنزل إليك من ربك لم تبلغ رسالتك (٣) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا ليصة بن عتبة - حدثنا سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد قال : « قرأت : يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك » قال : يا رب ، كيف أصنع وأنا وحدي ؟ فيجتمعون على : فترلت : (وإن لم تفعل فإبلى رسالتك) .

ورواه ابن جرير ، عن طريق سفيان - وهو الثوري - به (٤) .

وقوله : (والله يصمكم من الناس) ، أي : بلغ أنت رسالتك ، وأنا حافظك وناصرك ومؤيدك على أعدائك ومفترقهم ، فلا تخف ولا تحزن ، فإن يصل أحد منهم إليك بسوء يردك .

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم قبل نزول هذه الآية يحرس ، كما قال الإمام أحمد :

حدثنا يزيد ، حدثنا يحيى ، سمعت عبد الله بن عامر بن ربيعة يحدث : أن عائشة كانت تحدث : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سهر ذات ليلة ، وهي إلى جنبه ، قالت قلت : ما شأنك يا رسول الله ؟ قال : ليت رجلاً صالحاً من أصحابي يحرسني الليلة ؟ قالت : فينا أنا على ذلك إذ سمعت صوت السلاح ، قال : من هذا ؟ قال : أنا سعد ابن مالك . قال : ما جاء بك ؟ قال : جئت لأحرسك يا رسول الله . قالت : فسمعت غصيط رسول الله صلى الله عليه وسلم في لومه (٥) أخرجه في الصحيحين عن طريق يحيى بن سعيد الأنصاري ، به (٦) .

(١) مسند أحمد : ٢٣٠/١ .

(٢) البخاري ، كتاب الحج ، باب ليلة أيام منى : ٢١٥/٢ ، ٢١٦ .

(٣) تفسير الطبري ، الآثار ١٢٧٧٠ : ٤٦٨/١٠ ، وفيه : « لم تبلغ رسالتك » .

(٤) تفسير الطبري ، ١٢٧٧٢ : ٤٦٨/١٠ .

(٥) مسند أحمد : ١٤١٠١٤٠/٦ .

(٦) البخاري ، كتاب الجهاد ، باب الحرمة في القزو : ٤١/٤ ، ومسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب في فضل سعد

ابن أبي وقاص - وهو سه بن مالك - : ١٢٤/٧ .

وقى لفظ : سهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة مَعْتَدِمَةً لِلدَّيَةِ . يعنى ١ على أثر هجرته بعد دخوله بمائشة رضى الله عنها ، وكان ذلك فى سنة تثنى منها :

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا إبراهيم بن مرزوق البصرى تزيل مصر ، حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا الحارث بن عبيد - يعنى أبى قدامة - عن الجريرى ، عن عبد الله بن شقيق ، عن عائشة قالت : كان النبي صلى الله عليه وسلم يُحْرَسُ حتى تزلت هذه الآية : (والله يصمكم من الناس) . قالت : فأخرج النبي صلى الله عليه وسلم رأسه من القُبَّة ، وقال : يا أيها الناس ، انصرفوا فقد عصمى الله عز وجل .

وهكلا رواه الترمذى ، عن عبد بن حميد وعن نصر بن على الجهضمى ، كلاهما عن مسلم بن إبراهيم . به . ثم قال : وهذا حديث غريب (١) .

وهكلا رواه ابن جرير (٢) ، والحاكم فى مستدركه ، عن طريق مسلم بن إبراهيم ، به : ثم قال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه (٣) . وكلا رواه سعيد بن منصور ، عن الحارث بن عبيد أبى قدامة ، عن الجريرى ، عن عبد الله بن شقيق ، عن عائشة ، به .

ثم قال الترمذى : وقد روى بعضهم هذا عن الجريرى ، عن ابن شقيق قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم [بحرس (٤)] . ولم يذكر عائشة .

قلت : هكلا رواه ابن جرير من طريق إسماعيل ابن علية (٥) ، وابن مردويه من طريق وهيب ، كلاهما عن الجريرى ، عن عبد الله بن شقيق مرسل ، وقد روى هذا مرسل عن سعيد بن جبهر وعمد بن كعب القرظى ، رواهما ابن جرير (٦) ، والريبع بن أنس رواه ابن مردويه ، ثم قال :

حدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا أحمد بن رشد بن المصرى ، حدثنا خالد بن عبد السلام الصدقى ، حدثنا الفضل بن المنذر ، عن عبد الله بن موهب ، عن عصمة بن مالك الخنطلى قال : كنا نحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل حتى تزلت : (والله يصمكم من الناس) ، فترك الحرس .

حدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا حمد بن محمد بن محمد أبو نصر الكاتب البغدady ، حدثنا كردوس بن محمد الراسطى ، حدثنا يعلى بن عبد الرحمن ، عن فضيل بن مرزوق ، عن عطية ، عن أبى سعيد الخدرى قال : « كان يقاسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن يحرسه ، فلما تزلت هذه الآية : (والله يصمكم من الناس) ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم الحرس » .

(١) رواية الترمذى عن عبد بن حميد فى كتاب أبواب التفسير ، تفسير سورة المائدة . ينظر نسخة الأسوش : ٤١٠/٨ ، ٤١١ .

(٢) تفسير الطبرى ، الأثر : ١٢٢٧٦ : ٤٦٩/١٠ .

(٣) المستدرک ، كتاب التفسير : ٣١٣/٢ .

(٤) عن الترمذى ، نسخة الأسوش : ٤١١/٨ .

(٥) تفسير الطبرى ، الأثر : ١٢٢٧٤ : ٤٦٩/١٠ .

(٦) أثر سيد بن جبهر فى تفسير الطبرى ، رقم : ١٢٢٧٣ : ٤٦٨/١٠ ، وأثر محمد بن كعب ، رقم : ١٢٢٧٥ : ٤٦٩/١٠ .

حدثنا علي بن أبي حماد الملقب ، حدثنا أحمد بن محمد بن مسدد ، حدثنا محمد بن مفضل بن إبراهيم الأحمري ، حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن معاوية بن عمار ، حدثنا أبي قال : سمعت أبا الزبير المنكي يحدث ، عن جابر بن عبد الله قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خرج يمشي معه أبو طالب من يكلؤه ، حتى تزلت : (والله يصمك من الناس) ، فذهب ليصم معه ، فقال : يا عم ، إن الله قد عصمتك ، لا حاجة لي إلى من يصم . وهذا حديث غريب وفيه لكارة ، لأن هذه الآية مدنية ، وهذا الحديث يقتضي أنها مكية .

ثم قال : حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم ، حدثنا محمد بن يحيى ، حدثنا أبو كريب ، حدثنا عبد الحميد الحماني ، عن النضر ، عن حكمة ، عن ابن عباس قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجرس ، فكان يرسل معه أبو طالب كل يوم رجلا من بني هاشم يجرسوه ، حتى تزلت عليه هذه الآية : (يا أبا الرسول ، بلغ ما أنزل إليك من ربك ، وإن لم تفعل فإني بلغك رسالتي والله يصمك من الناس) ، قال : فأراد عمه أن يرسل معه من يجرسه ، فقال : إن الله قد عصمتني من الجن والإنس .

ورواه الطبراني عن يعقوب بن خيثم عن أبيه عن ابن كريب ، به .

وهذا أيضا غريب . والصحيح أن هذه الآية مدنية ، بل هي من أواخر ما نزل بها ، والله أعلم .

ومن عصمة الله لرسوله حفظه له من أهل مكة وصناديقها وحصادها ومخازنها ومن فيها ، مع شدة العداوة والبغضاء ونصب المخاربة له ولا وئارا ، بما خلقه الله تعالى من الأسباب العظيمة بقدرة وحكمته العظيمة . فصاته في ابتداء الرسالة بمعه أبي طالب ، إذ كان رئيسا مطاعا كبيرا في قريش ، وخلق الله في قلبه هبة طيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا شرعية ، ولو كان أسلم لاجترأ عليه كفارها وكبارها ، ولكن لما كان بينه وبينهم قدر مشترك في الكفر هابره واحترموه فلما مات أبو طالب نال منه المشركون أدنى يسيرا ، ثم قبض الله له الأنصار ليأبوه على الإسلام ، وعلى أن يتحول إلى دارهم - وهي المدينة ، فلما صار إليها حتموه من الأحمر والأسود ، فكلما هم أحد من المشركين وأهل الكتاب يسوء كادهم الله ورد كيده عليه ، لا كادهم اليهود بالسحر حماه الله منهم ، وأنزل عليه سورته للمؤذنين دواء لذلك الداء . ولا سمّ اليهود ذراع تلك الشاة نجبر ، أعلمه الله به ، وحماه منه ، ولهذا أشباه كثيرة جئنا بطول ذكرها ، فمن ذلك ما ذكره المفسرون عند هذه الآية الكريمة :

فقال أبو جعفر بن جرير : حدثنا الخارث ، حدثنا عبد العزيز ، حدثنا أبو مشر ، عن محمد بن كعب القرظي وغيره قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل منزلا ، اختار له أصحابه شجرة ظليّة فيقبل تحتها . فأتاه أعرابي فاغترط (١) سيفه ثم قال : من يمتك مني ؟ فقال : الله عز وجل : فترجعت (٢) يد الأعرابي وسقط السيف منه ، قال : وضرب برأسه الشجرة حتى انتثر كعافه ، فأنزل الله عز وجل : (والله يصمك من الناس) . (٣) »

(١) ينظر : ٢/٣٦٠ ، الصليق رقم : ٢ .

(٢) قال الأستاذ عبد شاكّر في تلميحته على هذا القبط : « ولم أجد من « الرعدة » ثلاثيا » رده « بالياء مجهول » ، بل الذي دونه وأقبلوا عليه « أرمه » (بالياء مجهول) . فإن صح الخبر ، فالظاهر للمبني المجهول ما يزداد على مادة القلة » .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٢٢٧٨ : ١٠/٤٧٠ .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد القطان : حدثنا زيد بن الحباب ، حدثنا موسى بن عبيدة ، حدثني زيد بن أسلم ، عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال : لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بني أنمار ، نزل ذات الرقاع بأعلى نخج ، فبينا هو جالس على رأس بئر قد دلى رجليه ، فقال [غَوْرَثَ (١) بن الحارث] من بين التجار : لأظن عملاً . فقال له أصحابه : كيف قتله ؟ قال : أقول له : أعطى سيفك . فإذا أعطاني قتله به ، قال : فأتاه فقال : يا عم ، أعطى سيفك أشيئمه (٢) . فأعطاه إياه ، فترعدت يده حتى سقط السيف من يده ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حال الله بينك وبين ما تريد : فأترك الله زوجك ! (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس) :

وهذا حديث غريب من هذا الوجه . وقصة « غَوْرَثَ بن الحارث » مشهورة في الصحيح (٣) ،

وقال أبو بكر بن مردويه : حدثنا أبو عمرو أحمد بن محمد بن إبراهيم ، حدثنا محمد بن عبد الوهاب ، حدثنا آدم ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : كنا إذا صحبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر تركنا له أعظم شجرة وأظفها . فيترك تحتها . فترك ذات يوم تحت شجرة وعلقت سيفه فيها ، فجاء رجل فأخذه فقال : يا عم ، من يملك مني ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله يمنك ، وضع السيف . فوضعه ، فأترك الله عز وجل : (والله يعصمك من الناس) :

وكذا رواه أبو حاتم بن حبان في صحيحه ، عن عبد الله بن محمد ، عن إسحاق بن إبراهيم ، عن الزمّل بن إسماعيل ، عن حماد بن سلمة ، به :

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، سمعت أبا إسرائيل - يعني الجشعي - سمعت جملة - هو ابن خالد بن الصمة الجشعي - رضى الله عنه قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم ، ورأى رجلاً سمياً ، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يرمي إلى بطنه بيده ويقول : لو كان هذا في غير هذا لكان خيراً لك . قال : وأبى النبي صلى الله عليه وسلم برجل فقال : هذا أراد أن يقتلك . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : لم تُرْعَ (٤) ، [لم تُرْعَ (٥)] ولو أردت ذلك لم يسلطك الله (٦) على .

وقوله : (إن الله لا يهدي القوم الكافرين) ، أى : بلغ أنت ، والله هو الذى يهدي من يشاء ، ويضل من يشاء . كما قال : (ليس عليك هداهم ، ولكن الله يهدي من يشاء (٧)) وقال : (فأما عليك البلاغ وعلينا الحساب (٨))

(١) مكانة في غزوة الأحرار : « الوارث » . والمكتب عن غير المنشور : ٢/٢٩٨ .

(٢) شام السيف : استه وأغصه ، من الأضداد . وشبه أيضاً : نظر إليه .

(٣) البشاري ، كتاب المغازي ، باب غزوة ذات الرقاع : ١٤٧/٥ .

(٤) ينظر شرح هذا اللفظ في : ١/٢٦٣ .

(٥) من مسته أسد : .

(٦) مسته أسد : ٤٧١/٣ .

(٧) سورة البقرة : آية : ٢٧٢ ، وينظر : ١/٧٨٨ من هذا التفسير .

(٨) سورة الفرق : آية : ٥٠ .

قُلْ يٰٓأَهْلَ الْكِتٰبِ لِمَ تَكْفُرُ بِآيٰتِ اللّٰهِ الّٰتِيَتْكُمْ مِنْ رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كُفْرَكُمْ هٰذَا الَّذِيْ اَنْتُمْ مُّٰمِنُوْنَ وَلَيُنْزِلَنَّ عَلَيْكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ بَرَصٌ مِّمَّنْ لَّيْسَ عَلَيْهِمْ اِلٰهٌ غَيْرُ اللّٰهِ وَلَيَكُونَنَّ مِنَ الْخٰسِرِيْنَ ۝١٤٧

يقول تعالى : قل يا محمد : (يا أهل الكتاب ، لستم على شيء) . أى : من الدين ، (حتى تقيموا التوراة والإنجيل) ، أى : حتى تؤمنوا بجميع ما بأيديكم من الكتب للترلة من الله على الأنبياء ، وتساوا بما فيها وما فيها الأمر باتباع محمد صلى الله عليه وسلم والإيمان بحجته ، والافتناء بشريعته : ولهذا قال ليث بن أبي سليم ، عن مجاهد ، فى قوله : (وما أنزل إليكم من ربكم) ، يعنى : القرآن العظيم .

وقوله : (وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا) تقدم تفسيره (فلا تأس على قوم الكافرين) ، أى : فلا تحزن عليهم ولا يهينك (١) ذلك منهم .

ثم قال : (إن الذين آمنوا) ، وهم : للمسلمون (والذين هادوا) وهم : حملة التوراة (والصابرون) — لا طالع الفصل حسن الطلف بالرفع . والصابرون : طائفة بن (٧) النصرى والمجوس ، ليس لهم دين . قاله مجاهد ، وحته : بن (٧) اليهود والمجوس . وقال سعيد بن جبير : بن (٧) اليهود والنصارى ، وعن الحسن : إياهم كالمجوس . وقال قتادة : هم قوم يبدلون الملائكة ، ويصلون إلى غير القبلة ، ويقرون الزبور . وقال ذهب بن منبّه : هم قوم يهتفون بالله وحده ، وليست لهم شريعة يملكون بها ، ولم يحشوا كفرا .

وقال ابن وهب : أخبرني ابن أبي الزناد ، عن أبيه قال : للصابرون قوم مما إلى العراق ، وهم بكوثى ، وهم يرمنون أباثنين كلهم ، ويصومون كل سنة ثلاثين يوما ، ويصلون إلى اليمن كل يوم خمس صلوات . وفيل غير ذلك (٢) .

وأما النصرى فمروفون ، وهم حملة الإنجيل .

والمقصود : أن كل فرقة آمنت بالله وباليوم الآخر — وهو للماد والجزاء يوم الدين ، وعملت عملا صالحا ، ولا يكون ذلك كفرك حتى يكون موافقا للشريعة الحميدة بعد إرسال صاحبها للبعث إلى جميع النّامين . فمن انصف بذلك (فلا خوف عليهم) فيما يستقبلونه ، ولا على ما تركوا وراء ظهورهم ، (ولاهم يحزنون) . وقد تقدم الكلام على نظيرتها فى سورة البقرة ، بما أغنى عن إعادته .

(١) تقدم تفسيره فى : ٣٢١/١ ، ١٥٤/٢ .

(٢) فى خطلوة الآخر ، وخطلو فى دار الكتب : ٨٥ ، تفسير : « طائفة من » فاستدلنا بن « بين » ينظر التليق التال ، فقد قلتمت هذه الآثار على النسب إلى أبيه .

(٣) قلتمت هذه الآثار عن الآية ١٢ من سورة البقرة ، ينظر : ١٤٨/١٤٨ .

لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا قُلْنَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٢٥﴾ وَحَسِبُوا أَنَّ تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٢٦﴾

يذكر تعالى أنه أخذ اليهود والوثائق حل بني إسرائيل ، حل الصمخ والطاعة لله ولرسوله ، ففرضوا تلك اليهود والوثائق ، وانبعوا آرامهم وأهوامهم وقدموها على الشرائع ، فما وافقهم منها قبلوه ، وما خالفهم ردوه . ولهذا قال : (كلما جاءهم رسول بما لا ينهون أنفسهم فريقتا كلوا وفريقا يقتلون : وحسبوا أن لا تكون فتنة) ، أى : وحسبوا أن لا يترتب لهم شر على ما صنعوا ، فترتب ، وهو أنهم عموا عن الحق وصموا ، فلا يسمعون حقا ولا يمتثلون إليه . (ثم تاب الله عليهم) ، أى : بما كانوا فيه (ثم عموا وصموا) ، أى : بعد ذلك (كثير منهم ، والله بصير بما يعملون) ، أى : مطلع عليهم وعليم بمن يستحق العقوبة عن يستحق التوبة :

ثُمَّ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ بَنِيَّ إِسْرَءِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ثُمَّ مَنَّ بِكُمْ عَلَى اللَّهِ قَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَا فِيهَا النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٢٧﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمِمَّنْ إِلَهُ إِلَّا إِلَهُ وَحْدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٩﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ مَرْيَمُ بَيِّنَةٌ كَإِتِّفَاقٍ نَبِيِّنَا لَمْ نَقِمْ أَهْلَ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظَرْنَا أَنْ يُؤْمِنُوا ﴿٣٠﴾

يقول تعالى حاكما بتكفير فرق النصارى ، من الملكية واليقينية والتمسورية ، عن قال منهم : بأن المسيح هو الله - تعالى الله عن قولهم وتزده وتقدس علوا كبيرا .

هنا وقد تقدم إليهم المسيح بأنه عبد الله ورسوله ، وكان أول كلمة نطق بها وهو صغير في المهد أن قال : (إني عبد الله) ، ولم يقل : أنا الله ، ولا : ابن الله : بل قال : (إني عبد الله أتاني الكتاب وجئني بها) ، إلى أن قال : (وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم (١))

وكذلك قال لهم في حال كهولته وليوته ، آمراهم بعبادة الله ربه وربهم وحده لا شريك له . ولهذا قال تعالى : (وقال المسيح : يا بني إسرائيل ، اعبدوا الله ربي وربكم ، إني من يشرك بالله) ، أى : فيعبد [إس] غيره (قد حرم الله عليه الجنة وماؤها النار) : فقد أوجب له النار ، وحرم عليه الجنة ، كما قال تعالى : (إن الله لا يفتقر أن يشرك

به ويفر مادون ذلك لمن (١) يشاء : وقال تعالى : (وتادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفوضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين (٢))

وفى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث منادياً يتادى فى الناس : إن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة ... وفى لفظ : مؤمنة (٣) .

وتقدم فى أول سورة النساء عند قوله : (إن الله لا يفرق بين من يشرك به) حديث يزيد بن بابتوس عن عائشة : الدواوين ثلاثة ، فذكر منهم ديوان لا يفرقه الله ، وهو الشرك بالله ، قال الله تعالى : (من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة (٤)) . الحديث فى مسند أحمد .

ولهذا قال تعالى إخباراً عن المسيح أنه قال لبنى إسرائيل : (إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ، ومأواه النار وما للظالمين من أنصار) ، أى : وما له عند الله ناصر ولا معين ولا منقل بما هو فيه .

وقوله : (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة) ، قال ابن أبي حاتم :

حدثنا علي بن الحسن الهيثمى ، حدثنا سعيد بن الحكم بن أبي مريم ، حدثنا الفضل ، حدثني أبو صخر فى قول الله : (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة) ، قال : هو قول لليهود : (عزيز ابن الله) ، وقول النصارى (المسيح ابن الله) فجعلوا الله ثالث ثلاثة .

وهذا قول غريب فى تفسير الآية : أن المراد بذلك طائفتا اليهود والنصارى : [والصحيح : أنها أثرت فى النصارى] خاصة ، قاله مجاهد وغير واحد :

لم يختلفوا فى ذلك فقول : المراد بذلك كفارهم فى قولهم بالأقانيم الثلاثة ، وهو أتوم الأب ، وأتوم الابن ، وأتوم الكلمة المنبثقة من الأب إلى الابن ، تعالى الله عن قولهم هؤلاء كبيراً ، قال ابن جرير وغيره : والطرائف الثلاث من الملكية واليقويونية والسلطوية تقول هذه الأقانيم : وهم يحتفون فيها اختلافاً متبايناً ليس هذا موضع بسطه ، وكل فرقة منهم تكفر الأخرى ، والحق أن الثلاث كافرة

وقال السدى وغيره : أثرت فى جعلهم المسيح وأمه إلين مع الله ، فجعلوا الله ثالث ثلاثة بهذا الاعتبار ، قال السدى : وهى كقولهم تعالى فى آخر السورة : (وإذ قال الله : يا عيسى ابن مريم ، أأنت قلت الناس : أتحتلون وأى إلين من دون الله . قال : سبحانك (٥)) ... الآية .

وهذا القول هو أظهر ، والله أعلم . قال الله تعالى : (وما من إله إلا إله واحد) ، أى : ليس متعدداً ، بل هو وحده لا شريك له ، إله جميع الكائنات ومسائر الموجودات :

(١) سورة النساء ، آية : ٤٨ ، ويعنى ٢/٢٨٦ - ٢٩١ مع هذا التفسير .

(٢) سورة الأعراف ، آية : ٥٥ .

(٣) مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان غلط تحريم قتل الإنسان نفسه : ١/٧٣ ، ٧٤ ، وابن ماجه ، كتاب السلام ، باب ما جاء فى النهى من صيام التثنية ، الحديث ١٧٢٠ : ١/٤٨٨ . ومسنده أحمد من أبى بكر : ٣/١ .

(٤) يعنى ٢/٢٨٦ ، وتخرج الحديث هناك .

(٥) الآية : ١١٦ من هذه السورة .

ثم قال تعالى متوحدا لم ومتعلدا : (وإن لم يتبها عما يقولون) ، أى : من هذا الافتراء والكذب (ليمسن الذين كفروا منهم حلاب أليم) ، أى : فى الآخرة من الأغلال والتكال .

ثم قال : (أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه ، والله غفور رحيم) . وهذا من كرمه تعالى وجوده ولطفه ورحمته عظمته ، مع هذا اللب التعليل وهذا الافتراء والكذب والإنك ، يلحوم إلى التوبة والمغفرة ، فكل من تاب إليه تاب عليه . ثم قال : (ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) ، أى : له سوية (١) أمثاله من سائر المرسلين المتقدمين عليه ، وأنه جسد من عباد الله ورسول من رسله الكرام ، كما قال : (إن هو إلا جسد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني إسرائيل (٢)) .

وقوله : (وأمه صليقة) ، أى : مؤمنة به مصلدة له . وهذا أعلى مقاماتها ، فكل حل أنها ليست بتنية ، كما زعمه ابن حزم وغيره ممن ذهب إلى نبوة سارة أم إسماعيل ، ونبوة أم موسى ، ونبوة أم عيسى استدلالا منهم بخطاب الملائكة لسارة ومريم ، ويقولون : (ولوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه (٣)) ، وهذا معنى النبوة ، والذي عليه الجمهور أن الله لم يعش نبياً إلا من الرجال ، قال الله تعالى : (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم من أهل القرى (٤)) ، وقد حكى الشيخ أبو الحسن الأشعري رحمه الله الإجماع على ذلك .

وقوله : (كانا ياكلان الطعام) ، أى : يحتاجان إلى التغذية به ، وإلى خروجه منهما . فهما عبدان كغائر الناس وليسا بالهين كما زعمت فرق النصارى الجهالة ، عليهم لعائن الله المتابعة إلى يوم القيامة .

ثم قال تعالى : (انظر كيف نبين لهم الآيات) ، أى : نوضحها ونظهرها ، (ثم انظر أنى يفكركن) ، أى : ثم انظر بعد هذا البيان والوضوح والجلالة أين يلهيون ؟ وبأى قول يتمسكون ؟ وإلى أى مذهب من الضلال يلهيون ؟ .

﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَكُم بِكَفَرٍ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ قُلْ يَتَأَمَّلِ الْكُتُبُ لَا يَفْعَلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ۝ ﴾

يقول تعالى منكرا حل من عباده من الأصنام والأنداد والأوثان ، ومبيئا له أنها لا تستحق شيئا من العبادة : (قل) ، أى : يا محمد لهؤلاء العابدين غير الله من سائر فرق بني آدم ، ومعل في ذلك التصاوى وغيرهم : (أتعبدون

(١) يقال : هم حل موية ، أى : استولوا (القاموس المحيط) .

(٢) سورة الفرقان : آية : ٥٩ .

(٣) سورة القصص : آية : ٧ .

(٤) سورة يوسف : آية : ١٠٩ .

من دون الله ما لا يملك لكم ضررا ولا نفعاً ، أى : لا يقدر على إيصال ضرر إليكم ، ولا إيجاد نفع (والله هو السميع العليم) أى : فلم يعلم من أفراد السبع لأحوال عباده ، العليم بكل شيء إلى عبادة جَمَاعَد لا يسمع ولا يبصر ولا يعلم شيئا ، ولا يملك ضررا ولا نفعاً لغيره ولا لنفسه .

ثم قال : (قل : يا أهل الكتاب ، لا تتلوا في دينكم غير الحق) ، أى : لا تجاوزوا الحد في اتباع الحق ، ولا تُطَرِّفُوا من أمرهم بتنظيمه فبالعوا فيه ، حتى تخرجوه عن حيزِ النبوة إلى مقام الإلهية ، كما صنعتم في المسيح ، هو بنى من الأنبياء فجعلتموه إلهاً من دون الله ، وما ذلك إلا لاختلافكم بشيوخ الضلال ، الذين هم سلفكم ممن ضل قديماً ، (وأضلوا كثيراً ، وضلوا عن سواء السبيل) ، أى : وخرجوا عن طريق الاستقامة والاعتدال ، إلى طريق القوابة والضلال .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن ، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس قال : وقد كان قائم قائم عليهم ، فأخذ بالكتاب والسنة زماناً ، فأناه للشيطان فقال : إنما تركب أثراً أو أمراً قد ضلّ قلبك ، فلا تجتمد عليه ، ولكن ابتلع أمراً من قبلك نفسك وادع إليه وأجر الناس عليه ، ففعل ، ثم اذكر بعد فعله زماناً فأراد أن يتوب فخلع ملكه ، وسلطانه وأراد أن يتبع قلب في عبادته أياماً ، فألقى قلب له : لو أنك تبت من خطيئة عملنا فيما بينك وبين ربك عسى أن يتاب عليك ، ولكن ضل فلان وفلان وفلان في سبيك حتى فارقوا الدنيا وهم على الضلالة ، فكيف لك بهلهم ، فلا توبة لك أبداً . ففيه سمعنا ونرى لشباهه هذه الآية : (يا أهل الكتاب ، لا تتلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل) (١)

لَمِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦٧﴾
كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٦٨﴾ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ
لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يَخِذُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ ثُمَّ خُلِيفُوا ﴿٦٩﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِآلِهِ وَآتَيْنَا إِبْرَءِيلَ
مَّا أَخَذْنَاهُمْ أُولَئِكَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَسَقُونَ ﴿٧٠﴾

غير تعالى أنه لمن الكافرين من بنى إسرائيل من دهر طويل ، فيما أنزل على داود نبيه عليه السلام ، وعلى إسماعيل عيسى ابن مريم ، بسبب عصيانهم لله واحتسابهم على خلقه .

قال القرطبي : عن ابن عباس : لعنوا (٦٧) في التوراة والإنجيل وفي الزبور ، وفي الفرقان :
ثم بين حالهم فيما كانوا يمتدنون في زمانهم ، فقال : (كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) ،
أى : كان لا ينهى أحد منهم أحدا عن ارتكاب المأثم والمحرم . ثم فهم على ذلك ليحذر أن يتركب مثل الذى ارتكبوها ،
فقال : (لبئس ما كانوا يفعلون) .

(١) الأثر في الدر المنثور : ٣٠٠/٢ .

(٢) في ضلوة الأثر ، وضلوة دار الكتب : تفسير : وأحوا : ، والمثبت من ضلوة البار : ٨٥ .

وقال الإمام أحمد، رحمه الله : حدثنا يزيد ، حدثنا شريك بن عبد الله ، عن علي بن بدعة ، عن أبي حنيفة ، عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي ، نهتهم علماءهم فلم ينتهوا ، فجاءهم في مجالسهم فقال يزيد : وأحسبه قال « وألصقهم - وواكلهم وشاريهم . فغضب الله قلوب بعضهم ببعض ، ولمنهم على لسان داود وعيسى بن مريم (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) » ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متكئا فجلس فقال : لا والله نقي يده حتى تأطروهم على الحق أطرا (١) »

وقال أبو داود : حدثنا عبد الله بن محمد التميمي ، حدثنا يونس بن راشد ، عن [علي] بن بكعة ، عن [أبي حنيفة] ، عن [عبد الله بن مسعود] قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل كان الرجل يلتقي الرجل فيقول : يا هذا ، أتت الله ودع ما تصنع ، فإنه لا يعمل لك . ثم يقاتهم الفدلا بمنه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقبيحه ، فلما فعلوا ذلك غرِبَ الله قلوب بعضهم ببعض ، ثم قال : (لمن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم) : (إلى قوله :) (فاستقون) » ، ثم قال : كلا ، والله لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر ، ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا - أو تقصرنه على الحق قصرا (٢) »

وكذا رواه الترمذي (٣) وابن ماجه ، عن طريق علي بن بدعة ، به . وقال الترمذي : « حسن غريب » . ثم رواه هو وابن ماجه ، عن بندار ، عن ابن مهدي ، عن صفيان ، عن علي بن بكعة ، عن أبي حنيفة مرسل (٤) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج وهارون بن إسحاق الميموني قالا : حدثنا عبد الرحمن بن محمد الهجري ، عن العلاء بن السائب ، عن عبد الله بن عمرو بن مرة ، عن سالم الأفلس ، عن أبي حنيفة ، عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الرجل من بني إسرائيل كان إذا رأى أخاه على اللذبة نهاه عنه بعلما ، فإذا كان من الغد لم يمنعه ما رأى منه أن يكون أكيله وخشيته وشريكه - وفي حديث هارون : « وشريبه ، ثم انفقا في المن - فلما رأى الله ذلك منهم ، ضرب قلوب بعضهم على بعض ، ولمنهم على لسان نبيهم داود وعيسى ابن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله نقي يده لتأمرن بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، ولتأخذن على يد المسيء ولتأطرنه على الحق أطرا ، أو ليضربن الله قلوب بعضهم على بعض ، أو ليلصقن كما لهن . » والسياق لأبي سعيد . كلا قال في رواية هذا الحديث .

- (١) في غلظة الأثر : « حتى تأطروهم على الحق أطرا » ، وللتب من مسند الإمام أحمد : ٣٩١/١ .
وسن تأطروهم على الحق : تعاقبهم وتعلمهم إليه . يقال : أطرت الشيء أطرا : إذا حلقته (الترمذي الهروي : ٥٤/١) .
والقباية لابن الأثير : ٥٣/٣ .
- (٢) سنن أبي داود : كتاب اللصم ، باب الأمر والنهي ، الحديث رقم ٤٣٣٦ : ١٢١/٤ ، ١٢٢ .
- (٣) تحفة الأحراف ، تفسير سورة المائدة : ٤١٢/٨ ، ٤١٣ . وابن ماجه ، كتاب القتن ، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : ١٣٢٨/٢ .
- (٤) تحفة الأحراف ، تفسير سورة المائدة : ٤١٤/٨ ، وابن ماجه ، الكتاب والباب المختصان ، الحديث رقم ٤٠٠٦ : ١٣٢٧/٢ ، ١٣٢٨ .

وقد رواه أبو داود أيضا ، عن خلف بن هشام ، عن أبي شهاب الخياط ، عن العلاء بن الحبيب ، عن عمرو بن مرة ، عن سالم - وهو ابن جعلان الأقطس - عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود ، عن أبيه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بتحوه . ثم قال أبو داود : وكلنا رواه خالد ، عن العلاء ، عن عمرو بن مرة ، به : ورواه البخاري ، عن العلاء ابن الحبيب ، عن عبد الله بن عمرو بن مرة ، عن سالم الأقطس ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله (١) .

قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي : وقد رواه خالد بن عبد الله الواسطي ، عن العلاء ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي موسى (٢) .

والأحاديث في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كثيرة جدا ، ولقد ذكر منها ما ياسب هذا المقام قد تقدم حديث جرير عند قوله : (لولا ينهاكم الربانيون والأخبار (٣)) ، وسيأتي عند قوله : (يا أيها الذين آمنوا ، عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اعتديتم (٤)) حديث أبي بكر الصديق وأبي ثعلبة الخشني - فقال الإمام أحمد :

حدثنا سليمان المشي ، أنبأنا إسماعيل بن جعفر ، أنبأني عمرو بن أبي عمرو ، عن عبد الله بن عبد الرحمن الأشول ، عن حذيفة بن اليمان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر ، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا من عنده ، ثم لتنهضن فلا يستجيب لكم (٥) » .

ورواه الترمذي عن علي بن حجر ، عن إسماعيل بن جعفر ، به . وقال : هذا حديث حسن (٦) .

وقال أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا معاوية بن هشام ، عن هشام بن سعد ، عن عمرو (٧) بن عثمان ، عن حاصم بن عمر بن عثمان ، عن حروة ، عن عائشة قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مروا بالمعروف ، وانهاؤا المنكر ، قيل أن تدعوا فلا يستجاب لكم (٨) » .

لفرد به ، وحاصم هذا مجهول .

وفي الصحيحين من طريق الأعمش ، عن إسماعيل بن رجاء ، عن أبيه ، عن أبي سعيد - وعن قيس بن مسلم ، عن طارق ابن شهاب ، عن أبي سعيد الخدري - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فليسهه فان لم يستطع فليقلبه ، وذلك أضعف الإيمان (٩) » . رواه مسلم .

(١) سنن أبي داود ، كتاب اللامع ، باب الأمر والنهي ، الحديث رقم ٤٣٣٧ : ٤ : ١٢٢٢٤ .

(٢) يؤخذ من هذه الروايات التي من مصاحبة أهل المأوى ومؤاكلتهم ، فإن علماء بني إسرائيل قد نوا الصلوة من مصاحبتهم ، ولكنهم صاحبهم ، وشاركهم الطعام والشراب ، فلفوا على لسان داود وصي ابن مريم .

(٣) الآية رقم : ٦٣ من طه السورة .

(٤) الآية رقم : ١٠٥ من طه السورة .

(٥) مسند أحمد : ٣٨٨/٥ .

(٦) تحفة الأحرف ، أبواب الفتن ، باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٣٩١/١ .

(٧) في سنن ابن ماجه : « عمر بن عثمان ، والصواب ما في المطبوعة ، وترجيح عمرو ، في التذييل : ٣٧/٧ .

(٨) سنن ابن ماجه ، كتاب الفتن ، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، الحديث ٤٠٠٤ : ١٢٢٧/٢ .

(٩) مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان كون النبي من المنكر من الإيمان : ٥٠٤١ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا ابن عمر ، حدثنا سفيان - هو ابن أبي سليمان سمعت عدي بن حديك الكندي يحدث من جاهد قال : حدثني مولى لنا أنه سمع جدي - يعني : عدي بن حميرة رضي الله عنه - يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله لا يطلب العامة بعمل الخاصة ، حتى يروا للسكرين ظهرا تهم ، وهم قادرون على أن ينكروهم فلا ينكروه . فاذا فعلوا ذلك طلب الله العامة والخاصة (١) » .

ثم رواه أحمد ، عن أحمد بن الحجاج ، عن عبد الله بن المبارك ، عن سيف بن أبي سليمان عن عدي (٢) بن عدي [الكندي] (٣) حدثني مولى لنا أنه سمع جدي يقول : [سمعت] (٤) رسول الله صلى الله عليه وسلم [يقول] (٥) [(٦) فذكره] (٧) هكذا رواه الإمام أحمد من طريقين .

وقال أبو داود حدثنا [عبد بن] (٨) حدثنا العلماء ، حدثنا أبو بكر ، حدثنا مغيرة بن زياد الوصل ، عن عدي بن عدي ، عن العرّس - يعني ابن حصيرة - عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا عملت الخليفة في الأرض كان من شهدها فكرهها - وقال مرة : فأنكرها - كان كمن غاب عنها ، ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها (٩) » .

فرد به أبو داود . ثم رواه عن أحمد بن يونس ، عن أبي شهاب ، عن مغيرة بن زياد ، عن عدي بن عدي ، مرسل (١٠) قال أبو داود : حدثنا سليمان بن حرب وحفص بن عمر قالا : حدثنا شعبة - وهذا لفظه - عن عمرو بن مرة ، عن أبي الليثي - قال : أخبرني من سمع النبي صلى الله عليه وسلم - وقال سليمان : حدثني رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لن يهلك الناس حتى يُمَدُّوا أو يُعَلَّدُوا من أنفسهم (١١) » . وقال ابن ماجه : حدثنا عمران بن موسى ، حدثنا حماد بن زيد ، حدثنا علي بن زيد بن جندب ، عن أبي نصره ، عن أبي سعيد الخدري : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام خطيباً ، فكان فيما قال : « ألا لا يمننَّ رجلاً هية الناس أن يقول الحق (١٢) إذا علمه » . قال : فيكي أبو سعيد وقال : قد والله - رأينا أشياء ، فهيجنا (١٣) .

وفي حديث إسرائيل : [عن محمد بن حجاجه] (١٤) ، عن عطية ، عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » .

(١) مسند أحمد : ١٩٢/٤ .

(٢) في خطوطة الأثر وخطوطة البزار : ٨٥ : « عدي بن عدي » . ولم نجده . والمثبت عن مسند أحمد ، وخطوطة البزار لتفسير . وينظر التلخيص : ١٦٨/٧ .

(٣) عن مسند أحمد .

(٤) مسند أحمد : ١٩٢/٤ .

(٥) مكانه في الخطوط : « أبو » والمثبت عن سنن أبي داود . وترجمة محمد بن الوليد في التلخيص : ٣٨٥/٩ .

(٦) سنن أبي داود ، كتاب اللباس ، باب الأمر والنهي ، الحديث رقم ٤٣٤٥ : ١٢٤/٤ .

(٧) الحديث رقم ٤٣٤٦ ، من كتاب اللباس : ١٢٤/٤ .

(٨) الحديث رقم ٤٣٤٧ ، من كتاب اللباس : ١٢٥/٤ .

(٩) في سنن ابن ماجه : أنه يقول بحق .

(١٠) سنن ابن ماجه ، كتاب الفتن ، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، الحديث : ٣٠٧ : ١٣٢٨/٢ .

(١١) سقط عن الخطوطة أنبتاه عن كتب السنة الآتية

رواه أبو داود ، والترمذى (١) ، وابن ماجه ، وقال الترمذى : حسن غريب من هذا الوجه ،

وقال ابن ماجه : حدثنا راشد بن سعيد الرملى ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن أبي غالب ، عن أبي أمامة قال : عرضَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجلٌ عند الجعرة الأولى فقال : يا رسول الله ، أى للجهاد أفضل ؟ فسكت عنه . فلما روى الجعرة الثانية سأله ، فسكت عنه . فلما روى جعرة النخبة ، ووضع وجهه فى التفرز لركب ، قال : أين السائل ؟ قال : أنا يا رسول الله ، قال : كلمة حق تقال عند ذى سلطان جائر (٢) . تفرد به .

وقال ابن ماجه : حدثنا أبو كريب ، حدثنا عبد الله بن عمر وأبو معاوية ، عن الأعشى ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي البختري ، عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يحقر أحدكم نفسه . قالوا : يا رسول الله كيف يحقر أحدنا نفسه ؟ قال : يرى أمراً لله فيه مقال : ثم لا يقول فيه . فيقول الله له يوم القيامة : مامنك أن تقول فى كذا وكذا ؟ فيقول : خشية الناس . فيقول : فابى كنتَ أن تَخْشَى » (٣) . تفرد به .

وقال أيضاً : حدثنا علي بن محمد ، حدثنا محمد بن فضَّيل ، حدثنا يحيى بن سعيد ، حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن أبو مَرْثَدَةَ ، حدثنا نَهْكَرُ الْعَبْدِيِّ ، أنه سمع أبا سعيد الخدري يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله يسأل العبد يوم القيامة : حتى يقول : ما منعتك إذ رأيت المنكر أن تنكره ؟ فاننا لَنَعْنُ الله هبداً حججه ، قال : يا رب ، ورجوتك وفرقتُ [من] (٤) الناس » تفرد به أيضاً ابن ماجه ، وإسناده لا بأس به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عمرو بن عاصم ، عن حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن الحسن ، عن جُندُب ، عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا ينبغي لمسلم أن يملك نفسه . قيل : وكيف يملك نفسه ؟ قال : يترعى من البلاد ما لا يطيق (٥) » .

وكلا رواه الترمذى (٦) وابن ماجه جميعاً ، عن محمد بن يشار ، عن عمرو بن عاصم ، به . وقال الترمذى : هذا حديث (٧) حسن صحيح غريب .

وقال ابن ماجه : حدثنا العباس بن الوليد اللخثي ، حدثنا زيد بن يحيى بن حَبِيد الخزازي ، حدثنا الميمون بن حميد ، حدثنا أبو معبد حفص بن غيلان الرُّعَيْنِيُّ ، عن مكحول ، عن أنس بن مالك قال : قيل : يا رسول الله ، متى يترك

(١) سنن أبي داود ، كتاب الملاحم ، باب الأمر والنهي ، الحديث رقم ٤٣٤٤ : ١٢٤/٤ ، وفيها : « كلمة عدل » .
 ونخبة الأشراف ، أبواب القتلى ، باب أفضل للجهاد : ٣٩٥/٦ ، ٣٩٦ ، وفيها : « إن من أسلم للجهاد كلمة عدل ... »
 وابن ماجه ، كتاب القتلى ، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، الحديث ٤٠١١ : ١٣٢٩/٢ ، وفيها أيضاً : « كلمة عدل » .
 (٢) سنن ابن ماجه ، للكتاب والباب اللغزان ، الحديث ٤٠١٢ : ١٣٣٠/٢ ، وفيها : « كلمة حق عند ذى سلطان جائر »
 والتفرز : ركاب الإبل .

(٣) سنن ابن ماجه ، للكتاب والباب اللغزان ، الحديث ٤٠٠٨ : ١٣٢٨/٢ .

(٤) من سنن ابن ماجه ، للكتاب والباب اللغزان أيضاً ، الحديث ٤٠١٧ : ١٣٣٢/٢ .

(٥) مستند أحمد : ٤٠٥/٥ .

(٦) نخبة الأشراف ، أبواب القتلى ، الباب ٥٨ : ٥٣١/٦ . وسنن ابن ماجه ، كتاب القتلى ، باب قوله تعالى :
 (يا أيها الذين آمنوا طيعوا الله وطيعوا الرسول واولي الأمر منكم) ، الحديث ٤٠١٦ : ١٣٣١/٢ ، ١٣٣٢ .

(٧) كذا في نسخة الأثر . وفي الترمذى : « هذا حديث حسن غريب » .

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟ قال : إذا ظهر فيكم ما ظهر في الأمم قبلكم . قلنا يا رسول الله ، وما ظهر في الأمم قبلنا ؟ قال : السلوك في صفاركم ، والقاحشة في كباركم ، والطمع في رؤسكم . قال زيد : تفسير معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم : « والطمع في رؤسكم » (١) إذا كان العالم في التقاسق .

تفرد به ابن ماجه (٢) . وسألت في حديث أبي نعيلة ، عند قوله : (لا يضركم من ضل إذا احتلتم) شاهد لهذا ، إن شاء الله تعالى وبه الثقة .

وقوله : (ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا) ، قال مجاهد : يعنى بذلك المنافقين : وقوله : (ليس ما قلعت لهم أنفسهم) يعنى بذلك موالاتهم للكافرين ، وتركهم موالات المؤمنين ، التي أعقبتهم نفاق في قلوبهم ، وأعطت الله عليهم صفحا مستمرا إلى يوم معادهم ، ولذا قال : (أن سخط الله عليهم) فسر بذلك ماذهبهم به . ثم اعتبر أنهم (في اللباب هم خاللون) يعنى يوم القيامة .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا مسلمة (٣) بن حلي ، عن الأعشى باسناد ذكره قال : « يا معشر المسلمين ، إياكم والرتا فان فيه ست خصال ، ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة ، فأما التي في الدنيا فانه يلحق البهائم ، ويورث الفقر ، وينقص العمر . وأما التي في الآخرة ، فانه يوجب سخط الرب ، وسوء الحساب ، والخلود في النار . ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ليس ما قلعت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العلاب هم خاللون) ،

هكذا ذكره ابن أبي حاتم ، وقد رواه ابن مردويه عن طريق هشام بن عمار ، عن مسلمة (٣) ، عن الأعشى ، عن شقيق ، عن حذيفة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم - فذكره . وسأله أيضاً عن طريق سعيد بن شعير ، عن مسلمة عن أبي عبد الرحمن الكوفي ، عن الأعشى ، عن شقيق ، عن حذيفة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم - فذكر مثله .

وهذا حديث ضعيف على كل حال ، والله أعلم ثم قال تعالى : (ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما لخلوهم أولياء) أي : لو آمنوا حق الإيمان بالله والفرقان لا لتركبوا ما لتركبوه من موالات الكافرين في الباطن ، ومعاداة المؤمنين بالله والنبي وما أنزل إليه (ولكن كثيراً منهم فاسقون) ، أي : خارجون عن طاعة الله ورسوله ، يخالفون لأيات وحيه وتوبيه .

(١) في سنن ابن ماجه : « في رؤسكم » .

(٢) سنن ابن ماجه ، كتاب الفتن ، باب قوله تعالى : (يألم الذين آمنوا عليكم أنفسكم) ، الحديث رقم ٤٠١٥ : ١٣٣١/٢ .

(٣) في مخطوطة الأثر : « مسلم بن حل » ولا يوجد من يلى هذا ، والمثبت من البحر لابن أبي حاتم ٢٦٨/١٠٤ . والتعليق : ١٠٤٦/١٠ ، وهو : مسلمة بن حل بن خلف الكشي أبو سيد .

(٤) في المخطوطة : « مسلم » . وفيه لدينا عليه .

﴿ تَجِدُنَ أَشَدَّ النَّاسِ عَدُوًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي ذَلِكَ إِنَّ مَعَهُمُ قَيْسِينَ وَرَهْبَانًا وَاتَّهَمُوا لَيْسَتُكَرُونَ ﴾ (٤٧) وَإِنَّا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا مِنَ الرُّسُولِ فَرَأَيْنَا كِبَاسَهُمْ تَفِيفُ مِنَ الْقَمَرِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٤٨﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٤٩﴾ فَأُنْذِرُكُمْ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٠﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥١﴾

قال حل بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : نزلت هذه الآيات في النجاشي وأصحابه ، الذين حين تلا عليهم جعفر بن أبي طالب بالحبيشة القرآن بكوا حتى أخضروا (١) لحام . وهذا القول فيه نظر ، لأن هذه الآية ملئية ، وقصة جعفر مع النجاشي قبل الهجرة .

وقال سعيد بن جبّار السدي وغيرهما : نزلت في وفد منهم النجاشي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليمسوا كلامه ، ويروا صفاته فلما قرأ عليهم النبي صلى الله عليه وسلم القرآن أسلموا وبنكوا وغشوا . ثم رجعوا إلى النجاشي فأنصروه . قال السدي : فهاجر النجاشي لمات في الطريق .

وهذا من أفراد السدي ، فإن النجاشي مات وهو ملك الحبيشة ، وصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم يوم مات ، وأعتبر به أصحابه ، وأعتبر أنه مات بأرض الحبيشة .

ثم اختلف في حدة هذا الورد ، فقيل : اثنا عشر ، سبعة فصول وخمسة وعشرين . وقيل بالعكس . وقيل : خمسون وقيل بضع وستون . وقيل : سبعون رجلا . فلهذا أحاط ،

وقال عطاء بن أبي رباح : هم قوم من أهل الحبيشة ، أسلموا حين قدم عليهم مهاجرة الحبيشة من المسلمين .

وقال قتادة : هم قوم كانوا على دين عيسى بن مريم ، فلما أولوا المسلمين وسمعوا القرآن أسلموا ولم يمتنعوا ،

واختار ابن جرير أن هذه نزلت في صفة أقوام بهذه المظابة ، سواء كانوا من الحبيشة أو غيرها ،

فقرره : (تجدن أشد الناس عدواة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا) ما ذاك إلا لأن كفر اليهود عتاد وجعده ومباينة الحق ، وخطأ الناس وتنقص بحيلة العلم . ولهذا قتلوا كثيرا من الأنبياء حتى هوى بقتل الرسول صلى الله عليه وسلم غير مرة وسحره ، وأبى عليه أشباههم من المشركين -- عليهم ما نزل الله للنجاشي إلى يوم القيامة .

وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه عند تفسير هذه الآية : حدثنا أحمد بن محمد بن العري ، حدثنا محمد بن علي ابن حبيب الرقي ، حدثنا علي بن سعيد السلاط ، حدثنا أبو النصر ، عن الأشجسي ، عن صفيان ، عن يحيى بن عبد الله عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما خلا يهودي قط يسلم إلا هم يقتله »
ثم رواه عن محمد بن أحمد بن إسحاق البشكري ، حدثنا أحمد بن سهل بن أيوب الأوزاعي ، حدثنا فرج ابن عبيد ، حدثنا عباد بن الرعام ، عن يحيى بن عبيد الله ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما خلا يهودي يسلم إلا حدثت نفسه يقتله »
وحدثنا حبيب خريب جنا .

وقوله : (ووجدنا أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا : إنا نصاري) ، أي : الذين زعموا أنهم نصارى من أتباع المسيح ومن محتاج إيجله ، فيهم مودة للإسلام وأهله في الجملة ، وما ذاك إلا في قلوبهم ، إذ كانوا على دين المسيح من الرقة والرأفة ، كما قال تعالى : (وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة) وفي كتابهم : من ضربك على خدك الأيمن فأدره هكذا الأيسر . وليس القتال مشروعاً في ملتهم ، ولهذا قال تعالى : (ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون) ، أي : يوجد فيهم القسيسون - وهم عبطاؤهم وعلمائهم ، واحدهم : قسيس وقسّ أيضاً . وقد جمع على قسوس - والرهبان : جمع راهب ، وهو : العابد مشتق من الرعبة ، وهي الخوف ، كراكب وركبان ، وقاريس وفرسان .

قال ابن جرير : وقد يكون الرهبان واحداً وجمعه رهابي ، مثل قربان وقرباني ، وجردان وجرداني (١) . وقد جمع على رهبانة ، ومن الدليل على أنه يكون عند العرب واحداً قول الشاعر :

لَوْ مَا يَكُنُّ رَهْبَانٌ حَيَّرَنِي لَكُنْتُ (٢)

وقال الحافظ أبو بكر الزمار : حدثنا بشر بن آدم ، حدثنا نُصَيْر بن أبي الأشعث ، حدثني صلته الدهان ، عن حامية بن رئاب قال : سألت سلمان عن قول الله : (ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا) ، قال : دع القسيسين في البعث والخراب ، أنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ذلك بأن منهم صديقين ورهبانا »
وكلا رواه ابن مردويه عن طريق يحيى بن عبد الحميد الحافظ ، عن نُصَيْر بن زياد الطائي ، عن صلته الدهان ، عن حامية بن رئاب ، عن سلمان ، به .

وقال ابن أبي حاتم : ذكره ابن ، حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني ، حدثنا نُصَيْر بن زياد الطائي ، حدثنا صلته الدهان ، عن حامية بن رئاب قال : سمعت سلمان وسئل عن قوله : (ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا) : قال : هم الرهبان الذين هم في الصوامع والخراب ، قد هودم فيها ، قال سلمان : وقرأت على النبي صلى الله عليه وسلم : (ذلك بأن منهم قسيسين) ، فأنزلني : « ذلك بأن منهم صديقين ورهبانا »

(١) في خطبة الأرم : « وجردان وجرداني » ولم تجده . والكتب من تفسير الطبري ٤/١٠٣ ، والجردان ما يسمى من ذكره من الإنسان وغيره .

(٢) حزين الله ، نظر إليه بعينه مراجعة . والقتال : جمع قلة ، وهي رأس البجل .

يُنَافِئُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا يُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَحْتَسِبُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُتَعِدِّينَ ﴿٥٧﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « تزلت هذه الآية في رطب من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، قالوا : قطع مكدأ كبرنا ، ونترك شهوات الدنيا ، ونسحق في الأرض كما يعمل قريهتان ، فبلغ ذلك نبي صلى الله عليه وسلم ، فأرسل إليهم ، فذكر لهم ذلك ، فقالوا : نعم . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لكني أصوم وأفطر وأنام ، وأنكح النساء ، فمن أعتد بسنني فهو مني ، ومن لم يؤخذ بسنني فليس مني » ورواه ابن أبي حاتم (١) .

وروى ابن مردويه عن طريق الثوري ، عن ابن عباس نحو ذلك .

وفي الصحيحين ، عن عائشة (٢) ، رضى الله عنها : أن ناساً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سألوا الزواج النبي صلى الله عليه وسلم عن عمله في السر ، فقال بعضهم : لا أكل اللحم . وقال بعضهم : لا أتزوج النساء . وقال بعضهم : لا أنام على فراش . فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم . فقال : « ما بال أقوام يقول أحدهم كذا وكذا ، لكني أصوم وأفطر ، وأنام وأقوم ، وأكل اللحم ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنني فليس مني » .

وقال ابن أبي حاتم ، حدثنا أحمد بن عاصم الأنصاري ، حدثنا أبو حاتم الضحاك بن غنم ، عن عثمان - يعني ابن سعد - أنه سأل عن امرأة ، عن ابن عباس : أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ، يا رسول الله ، إنني إذا أكلت اللحم انتشرت النساء ، وإنني حرمت على اللحم ، فترلت : (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) .

وكذا رواه الترمذي (٣) وابن جرير جميعاً ، عن عمرو بن حفص التميمي ، عن أبي حاتم التميمي ، به . وقال : حسن غريب . وقد روى من وجه آخر مرسلًا وروى موقوفاً على ابن عباس ، فافهم .

وقال سفیان الثوري ووكيع ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم ، عن عبد الله بن مسعود قال : كنا نتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس منّا نساء ، قلنا : ألا نستنهي ؟ فنهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، وخص لنا أن نتكح المرأة بالوطب إلى أجل ، ثم قرأ عبد الله : (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) ... الآية .

أنرجاه (٤) من حديث إسماعيل : وهذا كان قبل تحريم نكاح المتعة ، والله أعلم .

(١) وكنك رواه ابن جرير ، الأثر ١٣٢٤٦ : ١٠ / ١٨٠ .

(٢) وكذا ، والمحدث في الصحيحين من أنس بن مالك ، ينظر مسلم ، كتاب النكاح : ١٢٩ / ٤ . والبيهقي ، كتاب النكاح ، باب التريب في النكاح : ٢ / ٧ .

(٣) تحفة الأئمة ، تفسير سورة المائدة : ٤١٥ / ١٠ . وتفسير الطبري ، الأثر ١٢٣٥٠ : ١٠ / ٢٠ .

(٤) البيهقي ، كتاب النكاح ، باب ما يكره من التبتل والنكاح : ٥ / ٧ . ومسلم ، كتاب النكاح أيضاً ، باب نكاح المتعة وبيان أنه أيجح ثم نسخ ، ثم أيجح ثم نسخ ، ولم يشر تحريمه : ٤ / ١٣٠ .

وقال الأعشى ، عن إبراهيم ، عن همام بن الخاثر ، عن عمرو بن شرحبيل قال : جاء مقتل يوم مُقرَّب إلى عبد الله ابن مسعود فقال : إني حرمت فراشي . فخلا هذه الآية : (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) . . . الآية :

وقال الثوري ، عن منصور ، عن أبي الضمى ، عن مسروق قال : كنا [عند] عبد الله بن مسعود ، فسمع بصريح ، ففتحي وجيل ، فقال عبد الله : أدن . فقال : إني حرمت أن أكله . فقال عبد الله : أدن فاطمته وكنز حنينة ، وتلا هذه الآية : (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) . . . الآية :
رواه ابن أبي حاتم . وروى الحاكم هذا الأثر الأخير في مستدركه ، من طريق إسحاق بن راهويه ، عن جرير ، عن منصور ، به . ثم قال : على شرط الشيخين ولم يخرجاه (١) .

ثم قال ابن أبي حاتم : حدثنا يونس بن عبد الأعلى ، حدثنا ابن وهب ، أخبرني هشام بن سعد : أن زهد بن أسلم حدثه : أن عبد الله بن ربيعة ضايف (٢) ضيف من أهله ، وهو عند أبي حنبل له عليه وسلم ، ثم رجع إلى أهله فوجدهم لم يطمعوا ضيفهم انتظارا له ، فقال لامراته : حيث ضيفي من أجل : هو على حرام . فقالت امرأته : هو على حرام وقال الضيف هو على حرام . فلما رأى ذلك وضع يده ، وقال : كلوا باسم الله : ثم ذهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر الذي كان منهم ، ثم أنزل الله : (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) ، وهذا أثر متقطع .

وفي صحيح البخاري في قصة الصديق مع أخيه شيء بهذا (٣) . وفيه ، وفي هذه القصة دلالة في ذهب من الطهارة كالشامي وغيره إلى أن من حرم ما أكل أو شرب أو شربا ما عدا النساء أنه لا يحرم عليه ، ولا كفارة عليه أيضا : وقوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) . ولأن الذي حرَّم الله على نفسه كما في الحديث انقطع لم يأمره النبي صلى الله عليه وسلم بكفارة . وذهب آخرون منهم الإمام أحمد بن حنبل إلى أن من حرم ما أكل أو شربا أو شربا من الأشياء فإنه يجب عليه بذلك كفارة عين : كما إذا حرم تركه باليمين فكذلك يؤخذ بمجرد تحريمه على نفسه ، إلزاما له بما التزمه ، كما أني بذلك ابن عباس ، وكافي قوله تعالى : (يا أيها النبي ، لم تحرم ما أحل الله لك فتبني مرشدا أزواجك والله غفور رحيم) ، ثم قال : (قد فرض الله لكم تحلة آياتكم) الآية . وكفدت هذا ما ذكره هذا الحكم عليه الآية المبينة لتكفير اليمين ، فقد على أن هذا متروك منزلة اليمين في انقضاء التكفير ، والله أعلم .

وقال ابن جرير : حدثنا القاسم : حدثنا الحسين ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء قال : أراد رجال منهن عثمان بن مظعون وعبد الله بن عمرو ، أن يتناولوا ونخصوا أنفسهم ويلبوا اللوح (٤) . فخرت هذه الآية إلى قوله : (واقرأوا الله الذي أنتم به مؤمنون) - قال ابن جريج ، عن عكرمة : أن عثمان بن مظعون ، وعلى بن أبي طالب

(١) مفي هذا الأثر في سورة البقرة : من الآية ١٦٨ : ٢٩٢/١ .

(٢) المستدرک ، تفسير سورة المائدة : ٣١٢/٢ ، ٣١٤ .

(٣) في خطوطة الأثر : « أضافه ضيفا » وهو غلط . والمثبت من أثر المثنوي ٣٠٩/٢ . وفي تلخيص العروس : « وفدت - بالكسر - ضيفه ضيفا وضيفا - بالكسر - : أي نزلت عليه ضيفا » ملت إليه .

(٤) البخاري ، كتاب الأدب ، باب ما يكره من التنبؤ والجرح عند تصنيف : ٤٠/٨ .

(٥) للمسوح : جميع مسح - يمسح فمسحون - وهو كساء من شعر يليه الرميان .

وابن مسعود ، ولقداد بن الأسود ، وسأله عن أبي حليمة في أصحابه ، بنظروا ، فجلسوا في البيوت ، واعتزلوا النساء ، وألبسوا المسوح ، وحرموا [طيبات] الطعام واللباس إلا ما يأكل ويلبس أهل السياسة من بني إسرائيل ، وحرما بالإحصاء مجموعاً قيام الليل وقيام النهار ، فترلت : (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) ، يقول : لا تسبوا بغير صفة للمطبخ ، يريد : ما حرّموا من النساء والطعام واللباس ، وما أجمعوا له من قيام الليل وقيام النهار وما حرّموا به من الإحصاء فلما ترلت فيهم بحث [إليهم] رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : **إِنَّ لَا تَنْفَكُمْ حَتَّى** . وَإِنْ أَحْبَبْتُمْ حَتَّى : صوموا وأطعروا ، وصلوا واناموا فليس منا من ترك سبتنا . فقالوا : اللهم سلمنا واتهمنا ما أنزلت (١) .

وقد ذكر هذه القصة خبر واحد من التابعين مرسلة ، ولها شاهد في الصحيحين من رواية عائشة (٢) أم المؤمنين ، كما قدم ذلك ، وفي الحمد ولله .

وقال أسيد : عن المدنى : في قوله : (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) : وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس يوماً فذكر الناس . ثم قام ولم يرحم على التعريف ، فقال ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، كانوا عشرة منهم علي بن أبي طالب ، وعثمان بن مظعون : ماخفتا (٣) إن لم نحدث عملاً ، فإن القصدارى قد حرّموا حل أنفسهم ، فمن نحرّم : فحرم بعضهم أن يأكل اللحم والورد (٤) ، وأن يأكل يشترك وحرم بعضهم النوم ، وحرم بعضهم النساء . فكان عثمان بن مظعون ممن حرم النساء وكان لا يدنو من أهله ولا تلذّبه . فأتته امرأته عائشة رضي الله عنها وكان يقال لها : الحولاء فقالت لها عائشة ومن صنعنا من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم : ما بال يا حولاء متبصرة اللون ، لا تمتطين ولا تطيقين ؟ قالت : وكيف أمتشط وأطيب وما وقع عكلى زوجي وما رجع عني ثوباً ، منذ كلاً وكلاً . قال : فجلن بصحكن من كلامها . فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن بصحكن ، قال : ما يصحكن ؟ قالت : يا رسول الله ، إن الحولاء سألنا عن أمرها . فقالت : ما رجع عني زوجي ثوباً منذ كلاً وكلاً . فأرسل إليه فلهاء ، قال : مالك يا عثمان ؟ قال : إني تركته ، لكني أغلقت الباب . وقص عليه أمره ، وكان عثمان [قد] أراد أن يجيب نفسه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنست [عليك] لأرجعت فراقنت أهلك . فقال : يا رسول الله ، إني صائم . فقال : أفطر . فأفطر ، وأتى أهله ، فرجعت الحولاء إلى عائشة وقد امتشطت واكتشطت وتطليت ، فضحكت عائشة وقالت : مالك يا حولاء ؟ فقالت : إنه أتانا أمس وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما بال أقوام حرّموا النساء والطعام والنوم ؟ ألا أتى أنام وأقوم ، وأفطر وأصوم ، وأنكح النساء . فمن رعب عني فليس مني . فترلت : (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا)

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٣٣٤٨ ١٠٩٧/١٠ .

(٢) بنظر تليقنا حل نسبة هذه الرواية إلى عائشة .

(٣) في المخطوطة : والله للمشور ٣٠٨/٢ ، ما حقه . وما أفتحه عن تفسير الطبري ١٠٩٧/١٠ ، وكان في طبعه الأول : ما سئمت . أيضاً ، وفي مخطوطه : ما حقه . يقول الأستاذ محمود شاكر : « وسوابق قرأته ما أتيت ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خروجه من مقام الله ، فقالوا : لا نبلغ من الخوف مبلغاً يرضاه ربنا ، إن لم نصل عملاً يدل على شدة العبادة » .

(٤) التوكيد - يفتح - ، ضم الهم ودهه الذي يستخرج منه .

يقول: لعنات : لا نجيب نفسك ، فإن هذا هو الاعتداء ومهم أن يخشعوا لعناتهم ، قل : (لا يؤمنكم الله بطارائكم)
أعانيكم ، ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان) .
رواه ابن جرير (١) .

وقوله : (ولا تصدوا) يعمد أن يكون المراد منه : ولا تبالغوا في التضييق على أنفسكم في تحريم المباحات عليكم .
كما قاله من قاله من السلف : ويحتمل أن يكون المراد : كما لا تحرموا إخوانكم فلا تصدوا في تناول الحلال ، بل هذا
منه بقدر كفايتكم وحاجتكم ، ولا تجاوزوا الحد فيه ، كما قال تعالى : (وكأوا وأشيروا ولا تملحوا) (٢) الآية .
وقال : (والذين إذا أنفروا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ٢٠ : فشر الله سبل بين الظالمين فيه والجان منه .
لا إغراط ولا تطريط : ولذا قال : (لا تحرموا حيات ما أحل الله لكم ولا تصدوا إن الله لا يحب المتطبعين) .

ثم قال : (وكأوا عما رزقكم الله حلالا طيبا) أي : في حال كونه حلالا طيبا ، (واتقوا الله) أي : في جميع
أحوالكم ، واتقوا طاعته ورضوانه ، واتقوا مخالفة وعصيانه ، (لننسى أنتم به مؤمنون) .

لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِالْفِتْنَةِ إِنَّمَا يَأْخِذُكُم بِمَا عَمِلْتُمْ فِي الْإِيمَانِ فَكَفَرْتُمْ ۚ يَوْمَ تُطْلَعُ عَشْرَةُ مَسْجِدٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ ۖ أَمَّا عِدَّتُمْ أَوْ كُتِبَتْمْ أَوْ مُخْتَرِفَةٌ قَلِيلٌ كَثِيرٌ ۚ فَمَنْ يُرِيدِ فَلْيَسْلِمْ لِنَافِعِهِ ۚ وَمَنْ يَكْفُرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَهُ سُلْطَانٌ مُبِينٌ ۚ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨﴾

قد تقدم في سورة البقرة (٤) الكلام على لغو اليمين ، وأنه قول الرجل في الكلام من غير قصد : لا والله ، وعلى والله .
وهذا مذهب الشافعي (١٥) . وقيل : هو في الفزل ، وقيل : في المصيبة . وقيل : على غاية التشن وهو قول ابن حنيفة
وأحمد . وقيل : اليمين في الغضب . وقيل : في النسيان . وقيل : هو الخلف على ترك الأكل والشرب والمالين ونحو
ذلك . واستدلوا بقوله : (لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) .

والصحيح أنه اليمين من غير قصد ، بدليل قوله : (ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان) أي : بما صممتم عليه مع
الأيمان وقصدتموها ، (فكفارته عشرة مساكن) أي : ما يوجب من افتقاره ، ومن لا يجد ما يكتبه ،
وقوله : (من أوسط ما تطعمون أهليكم) قال ابن عباس : وسيد بن جبير ، وعكرمة ، أي من أعدك ما تطعمون
أهليكم .

(١) تفسير الطبري : الأعر ١٢٣٤ : ١٧/١٥ : ١٨ .

(٢) سورة الأعراف : آية : ٣١ .

(٣) سورة الفرقان : آية : ٦٧ .

(٤) ينشر : ٣٨١/١ - ٣٩٢ منه الآية : ٢٢٥ .

(٥) الأعر ٧/٧ .

وقال أبو حنيفة : **لصاح صاع بر ، وصاح مائة عده** .

وفد قال أبو بكر بن مسعود : حدثنا محمد بن أحمد بن أنحن : أنحن : حدثنا عبد بن الحنفى ، حدثنا عبد بن يوسف ، حدثنا محمد بن معاوية ، حدثنا زياد بن عبد الله بن الفضل بن سفيان بن أنس : حدثنا حماد بن زيد ، عن ابن عمر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : **كُتِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِصَاعٍ مِنْ تَمْرٍ ، وَلَمْ يُؤْكَلْ مِنْهُ** .

ورواه ابن ماجه ، عن النّسائي بن يزيد ، عن زياد بن عبد الله الكائى عن حماد بن عبد الله بن زيد النّسائي ، عن ابن النّسائي بن عمرو ، به ١١١ .

لا يصح هذا الحديث . قال حماد بن عبد الله هذا فإنه جمع على ضمة ، وذكروا أنه كان يقرب التمر ، والله الدارقطني : **موقوف** .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا ابن جديس : عن داود - يعني ابن أبي هند - عن معمر ، عن ابن عباس : **صَاعٌ مِنْ تَمْرٍ - يَعْنِي لِكُلِّ مَسْكِينٍ - وَمَعَهُ إِدَامَةٌ** (١) .

ثم قال : **وَرُوِيَ عَنْ ابْنِ عَمْرٍ ، وَزَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ، وَسَعِيدِ بْنِ الْمُسَبِّحِ ، وَجَاهِدٍ ، وَعَدْنَةَ ، وَابْنِ الْفُضَّاءِ ، وَالْقَاسِمِ ، وَصَالِمٍ ، وَابْنِ سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، وَسَابِيَةَ بْنِ يَسَارٍ ، وَالْحَسَنَ ، وَعُمَرَ بْنَ سَبْرِينَ ، وَالزُّهْرِيَّ - نَحْوُ ذَلِكَ .** وقال الشافعي : **الرَّاجِعُ فِي كِفَارَةِ الْيَمِينِ مَدَّ يَمِينُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِكُلِّ مَسْكِينٍ** (٢) . ولم يتعرض الأقدم . واحتج بأمر النبي صلى الله عليه وسلم الذي جامع في رمضان بأن يطعم ستين مسكيناً من مكيل سبع خمسة عشر صاعاً لكل واحد منهم (٣) مد .

وقد ورد حديث آخر صريح في ذلك ، قال أبو بكر بن مردويه : حدثنا أحمد بن علي بن الحسين القرشي ، حدثنا محمد بن إسحاق السراج ، حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا أنس بن زُكْرَةَ الكوفي . عن عبد الله بن عمر الضمري ، عن نافع ، عن ابن عمر : **أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقِيَمُ كِفَارَةَ ثَمِينٍ مَدًا مِنْ حَنَظَلٍ بِلَدِّ الْأَوَّلِ** . إسناده ضعيف ، خاله أنس بن زُكْرَةَ بن عبد الأكرم النخعي الكوفي زيل يلقب ، قال فيه أبو حاتم الرزقي : **وهو مجهول مع أنه قد روى عنه غير واحد** ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال : **روى عنه قتيبة بن سعيد أشياء مستقيمة** . **فلا والله أعلم** . ثم إن شيخه الضمري ضعيف أيضاً .

وقال أحمد بن حنبل : **الرَّاجِعُ مَدٌّ مِنْ يَرٍ ، أَوْ مِلْحٌ مِنْ غَيْرِهِ : وَاللَّهُ أَعْلَمُ** .

(١) سنن ابن ماجه ، كتابه الكفارات ، باب كم يطعم في كفارة اليمين ، الحديث ٢١١٢ : ٦٨٢/١ .

(٢) في تفسير البكري . وقد رواه ابن جرير ، عن حماد ، عن أبي معاوية ، عن داود - يعني ابن أبي هند - : **رَبْعَةٌ إِدَامَةٌ** .

(٣) الأم : ٥٨/٧ .

(٤) الأم : ٥٨/٢ ، ٥٨/٧ .

وقوله : (أو كسوتهم) ، قاله تضافي وحده الله ! لو دفع إلى كل واحد من العشرة ! يصدق عليه اسم الكسوة من قميص أو سراويل أو إزار أو عمامة أو مشتمة أجزاءه ذلك (١) . ولتختلف أوضاعه في القاسوة : هل تجزى أم لا ؟ هل وجوبه ، فنهم من طفق إلى الجواز ، احتجاجاً بما رواه ابن أبي حاتم :

حدثنا أبو سعيد الأشج وعمر بن عمار الواسطي قالا : حدثنا التمام بن مالك ، عن محمد بن الزبير ، عن أبيه قال : سأله عمران بن حصيب عن قوله : (أو كسوتهم) ، قال : لو أن وفداً قدموا على أميركم وكماهم قلنسوة قلنسوة ، فلم يلبسوها ،

ولكن هذا إسناده ضعيف لأن محمد بن الزبير (٢) ، هذا ، والله أعلم ؛ وهكذا حكى الشيخ أبو حامد الإسفرائيلي في الكفعمي وجهه أيضاً ، والصحيح عدم الإجزاء .

وقال مالك وأحمد بن حنبل : لا بد أن يدفع إلى كل واحد منهم من الكسوة ما يصح أن يصلى فيه ، إن كان رجلاً أو امرأة ، كل بحسبه ، والله أعلم .

وقال للفرق عن ابن عباس : حاشية لكل عسكري أو فداء .

وقال مجاهد : أدناه ثوبه ، وأحلاه ما شئت .

وقال ليث ، عن مجاهد : يحرقه في كفارة اليمين كل شيء إلا الثياب (٣) .

وقال الحسن ، وأبو جعفر الطاهر ، وعطاء ، وعلاوس ، وإبراهيم النخعي ، وحمام بن أبي سايان ، وأبو مالك : ثوب ثوب .

وعن إبراهيم النخعي أيضاً : ثوب جامع كالملبسة والرداء ، ولا يرى الدرع والقميص والخمار ونحوه جاءها .

وقال الأنصاري (٤) : عن ثمة ، عن ابن سيرين والحسن : ثوبان .

وقال الثوري ، عن داود بن أبي هند ، عن سعيد بن المسيب : حاشية يلبس بها رأسه ، وعباءة يلبس بها .

وقال ابن جرير : حدثنا هناد ، حدثنا ابن المبارك ، عن عاصم الأحول ، عن ابن سيرين ، عن أبي موسى : أنه سأل علي بن يقطين ، فكما ثوبين من منقعة البحرين (٥) .

وقال ابن مردويه : حدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا أحمد بن الملق ، حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا إسماعيل بن عياش ،

(١) الأيم : ٥٩/٧ - وللملقة - يكسر الميم - ما تفتح به المرأة وأسماء .

(٢) محمد بن الزبير انتهى المختار البصري . قاله تضافي : ضعيف . وقال ابن معين : لا شيء . وقال أبو حاتم : ليس بالقوي ، في حديثه إنكار ، وقال البخاري : روى عنه حماد بن زيد ، منكر الحديث ، وفيه نظر . (ميزان الاعتدال النسي : ٤٧/٣) .

(٣) الثياب - يقم الثاء وتشديد الباء - : سراويل مشيرة بمقدار شبر ، يستر العودة المطلقة فقط ، يكون للملاحين .

(٤) هو محمد بن عبد الله الأنصاري ، ينتشر تفسيره الطبري ، الأثر ١٢٣٥٨ : ٤٧/١٠ .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر ١٢٤٦٣ : ٤٨/١٥ - وللملقة : نوع من برود هبيرة .

عن مقاتل بن سليمان ، عن أبي عثمان ، عن أبي حنيفة ، عن عائشة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله : (أو كسوتهم) ، قال : « حياة لكل مسكين (١) » ،
حدثت غريب .

• قوله : (أو تحرير رقية) أخذ أبو حنيفة بإطلاقها ، فقال : تجزئ الكفارة كما تجزئ للزينة : وقال الشافعي وآخرون : لا بد أن تكون مؤمنة . وأخذ تقييدها بالإيمان من كثرة القتل ، لاتحاد الوجوب وإن اختلفت السبب ، ولحديث معاوية بن الحكم السلمي ، قال : هو في موطن (٢) مالك ومسد الشافعي وصحيح مسلم : أنه ذكر أنه عليه حق رقية ، وجاء به بجارية سوداء ، فقال لما رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أين الله ؟ قالت : في السماء : قال : من أنا ؟ قالت : أنت رسول الله . قال : أعدتها فأتها مؤمنة » . الحديث يعوله .

فيه خصال ثلاث في كفارة يمين ، أيها فَمَكَّ الحائضُ أجراً حقه بالإجماع ، وقد بدأ بالأسهل فالأسهل ، فالإطعام يسر من الكسوة ، كما أن الكسوة أيسر من البس ، فركب فيها من الأدنى إلى الأعلى ، فإن لم يقدر لمكنت من واحدة من هذه الخصال الثلاث كفر بصيام ثلاثة أيام ، كما قال تعالى : (فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام)

وروى ابن جرير ، عن سعيد بن جبير والحسن البصري أنها قالت : من وجد ثلاثة دراهم فزومه بالإطعام وإلا صام (٣) وقال ابن جرير حاكماً عن بعض متأخري متفقيه زمانه أنه قال : « جاز لمن لم يكن له فضل عن رأسه ما يصرفه » [به] (٤) . فلهذا ما يكفر به بالإطعام ، أن يصوم إلا أن يكون له كفاية ، ومن المال ما يصرف به لحاشه (٥) . ومن الفضل على ذلك ما يكفر به عن يمينه .

ثم انظر ابن جرير : أنه الذي لا يقدر من قوته وقوت حياله في يومه ذلك ما يخرج به كفارة اليمين (٦) . وانظف العلماء : هل يجب فيها التتابع ، أو يستحب ولا يجب ويجزئ الضيق ؟ هل قولان : أحدهما أنه لا يجب التتابع ، هذا منصوص الشافعي (٧) في كتاب « الأيمان » ، وهو قول مالك ، لإطلاق قوله : (فصيام ثلاثة أيام) وهو صادق على المجموعة والمفرقة ، كما في قضاء رمضان ، لقوله : (فعدة من أيام أخر) : ونص الشافعي في موضع آخر : في الأم ، على وجوب التتابع ، كما هو قول الحنفية والمطالعة ، لأنه قد روى عن أبي بن كعب وغيره أنهم كانوا يقرءونها : (فصيام ثلاثة أيام متتابعات) .

(١) ما قال المفسر - كما ترى - أقوالاً مختلفة للمفسرين والمفسره ، في تحميمه ما يشبه للتكرار المسكين من الطعام والكسوة ، ومقداره ، ونحوه ، ويبدو لنا أن المرت هو التيسير في حلاله ، وأنت إذا راجعت هذه الأقوال ، تبين لك أن هذا الاتباع هو الثاني عليها . والله أعلم .

(٢) الموطأ ، كتاب البس ، باب ما لا يجوز من البس في الرقاب الواردة : ٧٧٦/٢ . وسلم ، كتاب المساجد ، بابها تخرج التذام في الصلاة ونسخ ما كان من ليلته : ٧٠/٢ .

(٣) تفسير الطبري : الأثر ١٢٤٩٢ : ١٢٤٩٤ : ٥٥٨/١٥ .

(٤) سقط من خطورة الأثر ، أجهت من تفسير الطبري : ٥٥٨/١٥ .

(٥) تفسير الطبري : ٥٥٩/١٥ .

(٦) قال الشافعي في الأم ٦٠/٧ : « كل من وجب عليه صوم ، ليس بشروط في كتابه الله عز وجل أن يكون متتابعاً ، لبيزاً أن يكون متفرقاً ، فيما حل من قول الله عز وجل في قضاء رمضان : (فعدة من أيام أخر) ، والعدة : أن يأتي بعد صوم لا ولا » .

قال أبو جعفر الرزقي ، عن الربيع ، عن أبي العلاء ، عن أبي بن كعب أنه كان يقرأ ما : (فصيام ثلاثة أيام متتابعات) (١) .

وسكانها مجاهد ، والشعبي ، وأبو إسحاق عن عبد الله بن مسعود .

وقال إبراهيم : في قراءة عبد الله بن مسعود : (فصيام ثلاثة أيام متتابعات) .

وقال الأعمش : كان أصحاب ابن مسعود يقرؤونها كذلك :

وعده إذا لم يثبت كونها قرأتاً متواتراً ، فلا أقل من أن يكون خبر واحد ، أو ضميراً من الصحابي ، وهو في حكم اللزوم .

وقال أبو بكر بن مردويه : حدثنا محمد بن علي ، حدثنا محمد بن جعفر الأشعري ، حدثنا الميثم بن خالد القرشي ، حدثنا يزيد بن قيس ، عن إسماعيل بن يحيى ، عن ابن عباس قال : « لا تزل آية الكفارات قال حطيفة : يا رسول الله ، نحن بالخيار ؟ قال : أنت بالخيار ، إن شئت أصقت ، وإن شئت كسوت ، وإن شئت أطعمت ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام متتابعات » .

وهذا حديث غريب جداً .

وقوله : (ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم واحفظوا أيمانكم) ، قال ابن جرير : معناه لا تركوها بغير تكفير . (كذلك يبين الله لكم آياته) ، أي : يوضحها وينشرها (٢) (لعلكم تشكرون) .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْغَنَمُ وَالْمَيْسَرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ وَجَسٌّ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْمَدَوَّةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْحَمْرِ وَالْمَيْسَرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا إِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾

يقول تعالى تأميا عباده المؤمنين عن تناول الخمر والميسر ، وهو القمار .

وقد ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أنه قال : الشطرنج من الميسر : رواه ابن أبي حاتم ، عن أبيه ، عن حبيب بن مروح ، عن حاتم ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن علي ، به .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي ، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ليث ، عن عطاء ومجاهد وطاوس - قال سفيان : أو اثنين منهم - قالوا : كل شيء من القمار فهو من الميسر ، حتى لعب الصبيان بالجزر .

(١) تفسير طبري ، الأثر ١٣٤٩٨ : ٥٩٩/١٠ : ٥٦٠ .

(٢) لم يكتبها ويوضحها ، قال قرطبي في تبه تبارك : (بل يريد كل امرئ منهم أن يقرى مصفاً مشفرة) : ... رواه بالصحف للشرع : الكتابات الظاهرة المكشوفة ، ينظر الكشاف : ٥٢٤/٤ .

وروي عن : إمام بن معد وحزمة بن حبيب ، وقالوا : حتى للكعب (١) ، والجور : ونيفس إلى تلبس بها نصيبات .

وقد موسى بن عقبة ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : ليس هو القبر .

وقال القسطنطين ، عن ابن عباس قال : ليس هو القبر ، كانوا يتفكرون في الجاهلية إلى مجيء الإسلام ، فهم أنه

عن هذه الأحاديث القبيحة

وقال مالك ، عن داود بن الحصين ، أنه سمع سعيد بن المسيب يقول : كان يمر أهل الجاهلية بين التيمم بأشاة

والثابتين .

وقال الثوري ، عن الأخرج قال : ليس القبر بالفتح على الأموات ، القبر .

وقال القاسم بن محمد : كل ما ألقى من ذكر الله وعن الصلاة فهو من ليس .

رواه ابن أبي حاتم .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن منصور الرمادي ، حدثنا هشام بن عمرو ، حدثنا صدقة ، حدثنا حنين بن أبي

العائكة . عن علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي ثعلبة ، عن أبي موسى الأشعري . عن أبي صالح أنه عليه وسلم قال :

« اجتنبوا هذه الكعاب للوسوسة التي يزجر بها زجرا فلانها من ليس » .

حديث غريب .

وكان المراد بهذا هو الرد الذي ورد في الحديث [به] في صحيح مسلم ، عن بريرة بن الحبيب الأسلمي قال :

« قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من لعب بالترد شمر فكأنما صبغ يده في لحم عذير وذمه » (٢) .

وفي موطأ مالك ومسنود أحمد ، وسنن أبي داود وابن ماجه ، عن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم : « من لعب بالرد قد عصى الله ورسوله » (٣) . وروي موقفا عن أبي موسى من قوله ، فإنه أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا مخي ^٤ بن إبراهيم ، حدثنا الجعيد ، عن موسى بن عبد الرحمن الخطمي ، أنه سمع

محمد بن كعب وهو يسأل عبد الرحمن يقول : أخبرني . ما سمعت أبالك يقول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال

عبد الرحمن : سمعت أبي يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مثل الذي يلعب بالرد ، ثم يقوم

فيصلي . مثل الذي يتوضأ بالتيمم وهم لا يتيمم ثم يقوم فيصلي » (٥) .

(١) الكعاب : جمع كعب وكعبة : وهي فصوص الرد . وقد رُوِّت في حديث أخرجه الإمام أحمد في مسند أبي موسى

الأشعري ٣٩٢/٤ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من لعب بالكعب فقد عصى الله ورسوله » .

(٢) مسلم ، كتاب التيمم ، باب تحريم القرب بالترديد ٥٠/٧ .

(٣) اللوطا : كتاب الرؤيا ، باب ما جاء في الرد : ٩٥٨/٣ . ومسند أحمد : ٣٩٤/٤ ، ٣٩٧ ، ٤٠٠ .

(٤) في غرر الحديث : ٣٩٢/١٠ . وهو خطأ ، ولعلبت من اللبت ، واللبت : ٣٩٢/١٠ .

(٥) مسند أحمد : ٣٧٠/٥ .

ولما الشطر قد قال عبد الله بن عمر : إنه شر من الرد : وتقدم من على أنه قال : هو من اليسر : ونص على تحريمه مالك ، وأبو حنيفة ، وأحمد ، وكرهه الشافعي رحمه الله تعالى .

وأما الأصباب فقال ابن عباس : وعطاء ، وسعيد بن جبير ، والحسن ، وغير واحد : هي حجارة كانوا يلعبون قرايبهم عنها .

وأما الأكرام فقالوا أيضاً : هي قدام كانوا يستقسمون بها .

وترويه : (رجس من عمل الشيطان) ، قال حل بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : أي سخط من عمل الشيطان .

وقال سعيد بن جبير : إثم : وقال زيد بن أسلم : أي شر من عمل الشيطان .

(فاجتنبوه) ، القسبر عائد على الرجس ، أي : أتركوه (لعلكم تفلحون) : وهذا ترهيب .

ثم قال تعالى : (إنا يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخسر واليسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ، فهل أنتم متبهون) وهذا تهديد وترهيب .

[ذكر الأحاديث الواردة في تحريم الخمر]

قال الإمام أحمد : حدثنا مسرج ، حدثنا أبو معشر ، عن أبي وجبه مولى أبي هريرة ، عن أبي هريرة قال : حرمت الخمر ثلاث مرات ، قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم للنبية ، وهم يشربون الخمر ويأكلون اليسر ، فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها ، فأئذ قال : (يسألونك عن الخمر واليسر قل فهما إثم كبير ومنافع الناس) : إلى آخر الآية : فقال الناس : ما حرم علينا ، إنما قال : (فيهما إثم كبير) : وكانوا يشربون الخمر ، حتى كان يوم من الأيام صلى رجل من المهاجرين ، لم أصحبه في الغرب ، خلط في قراحته ، فأئذ قال الله آية أغلظ منها : (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) : وكان الناس يشربون ، حتى يأتي أحدهم الصلاة وهو مغشوق (١) ، ثم أنزلت آية أغلظ من ذلك (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأصاب والأكرام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) ، قالوا : انتهينا وبنا : وقال الناس : يا رسول الله ، ناس نقاروا في سبيل الله ، وماتوا على صرفهم (٢) ، كانوا يشربون الخمر ويأكلون اليسر ، وقد جعله الله رجساً من عمل الشيطان ؟ فأئذ قال الله تعالى : (ليس على الذين آمنوا وعلوا الصالحات جناح فيما طعموا) : إلى آخر الآية ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : «لو حرم عليهم لتركوه كما تركتم (٣)» .

انفرد به أحمد .

(١) يعني في حالة انجلاء السكر عنهم .

(٢) في اللغة : «لو ماتوا على قرحهم» .

(٣) مسند أحمد ٤ : ٢٠١ ، ٢٠٢ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا خلف بن الوليد ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي ميسرة ، عن عمر بن الخطاب أنه قال : لما نزل نحرّم الخمر قال : اللهم بين لنا في الخمر بيناً شافياً ، فترت ملة الآية التي في البقرة : (يسألك عن الخمر وليس قل فيها إثم كبير) ، فدعى عمر فترت عليه ، فقال : اللهم بين لنا في الخمر بيناً شافياً ، فترت الآية التي في سورة النساء : (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكراني) ، فكان مئذ رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتم الصلاة نادى : [أن] لا يقرب الصلاة سكران : فدعى [عمر] فترت عليه ، فقال : اللهم بين لنا في الخمر بيناً شافياً ، فترت [الآية] التي في المائدة ، فدعى عمر ، فترت عليه فلما بلغ : (فهل أنتم متبهون) قال عمر : اللهم ! (١) .

١. وهكذا رواه (٢) أبو داود ، والترمذي ، والنسائي مع طرق ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق عَمْرُو بْنُ عَبْدِ اللَّهِ السَّيِّمِيِّ عَنْ أَبِي مَيْسَرَةَ - وَاسْمُهُ عَمْرُو بْنُ شَرَحْبِيلَ الْمُدَنَانِ - عَنْ عُمَرَ ، بِه . وليس له عنه سواه ، قال أبو زرعة : ولم يسمع منه ، وصحح هذا الحديث علي بن الحسين والترمذي (٣) .

وقد ثبت في الصحيحين عن عمر بن الخطاب أنه قال في خطبته على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أيها الناس ، إنه نزل نحرّم الخمر وهي من خمسة : من الغيب ، والسكر ، والحمية ، والشعر ، والخمر ما غامر العقل (٤) .

وقال البخاري : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدثنا محمد بن يونس ، حدثنا عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، حدثني لافع ، عن ابن عمر قال : نزل نحرّم الخمر وإن بالمدينة يومئذ خمسة أشربة ما فيها شراب الغيب (٥) .

حدثني آخر ، قال أبو داود الطيالسي : حدثنا محمد بن أبي حميد ، عن المصري - يعني أبا طعمة قارئه مصر - قال : سمعت ابن عمر يقول : نزلت في الخمر ثلاث آيات ، فأول شيء نزل : (يسألك عن الخمر وليس : الآية) ، فقيل : حرمت الخمر : فقالوا : يا رسول الله ، نتنع بها كما قال الله تعالى : قال : فسكت عنهم ، ثم نزلت هذه الآية : (لا تقربوا الصلاة وأنتم سكراني) فقيل : حرمت الخمر ، فقالوا : يا رسول الله ، إننا لا نشراب قرب الصلاة ، فسكت عنهم ، ثم نزلت : (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حرمت الخمر .

حدثني آخر ، قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى ، حدثنا محمد بن إسحاق ، عن القعقاع بن حكيم : أن عبد الرحمن ابن عوف قال : سألت ابن عباس عن بيع الخمر ، فقال : كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم صليقان من قريظ

(١) تقدم الحديث منه الآية ٢١٩ من سورة البقرة : ٢٢٢/١ ، فانظر تحريمه هناك .

(٢) سنن أبي داود ، كتاب الأشربة ، باب في تحريم الخمر ، الحديث ٣٦٧٠ : ٣٢٠/٣ ، والنسائي ، كتاب الأشربة ، باب تحريم الخمر : ٢٨٦/٨ : ٢٨٧ ، وثقة الأسوفي ، تفسير سورة المائدة : ٤١٧ - ٤١٥/٨ .

(٣) وأيت أن الخمر قد حرمت تحريماً تدريجياً ، ولم تحرم تحريماً سلباً لأول مرة . ويرجع هذا إلى أن تعاطيها في المجتمع العربي قد وسع رموزه المأدبة والمباحات لا يمكن اقتضاء ملها إلا بهذه الطريقة من التمتع ، حتى يكون هجرها لسهل على الطوائف .

(٤) البخاري ، تفسير سورة المائدة : ٦٧/٦ ، وكتاب الأشربة ، باب الخمر من الغيب : ١٣٦/٧ ، وباب ما جاء في الخمر ما غامر العقل من الشراب : ١٣٧/٧ . ومسلم ، كتاب التفسير ، باب في تحريم الخمر : ٢٤٥/٨ .

(٥) البخاري ، تفسير سورة المائدة : ٦٧/٦ .

— لو : من موسى — فكتبه يوم اتتبع يراوية^(١) [غير] يندبإ إليه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا فلان ، لما علمت أن الله حرمها ؟ فأقبل الرجل على غلامه فقال : لأخبر فيجاء . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا فلان ، ماذا أمره ؟ قال : أمره أن يبيها . قال : إن الذي حرم شرابها حرم بيها : فأمر [بها] فأغرقت في البطحاء^(٢) ،

رواه^(٣) مسلم من طريق ابن وهب ، عن مالك ، عن زيد بن أسلم : ومن طريق ابن وهب أيضاً ، عن سليمان بن بلال ، عن يحيى بن سعيد كلاهما — عن عبد الرحمن بن وهككة ، عن ابن عباس ، به . ورواه النسائي ، عن قتبية ، عن مالك ، به .

حديث آخر ، قال الحافظ أبو يعلى الموصلي : حدثنا محمد بن أبي بكر القندي ، حدثنا أبو بكر الحنفي ، حدثنا عبد الحميد ابن جعفر ، عن شهر بن حوشب ، عن نعيم الدري : أنه كان يندى لرسول الله صلى الله عليه وسلم رواية من آخر ، فلما أنزل الله تحريم الخمر جاء بها ، فلما رأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك وقال : إنها قد حرمت بملك . قال : يا رسول الله ، فأبيها وأنشع بشئها ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لمن الله اليهود ، حرم عليهم شحوم البقر والغنم ، فأخبروه ، والله حرم الخمر وثمنها .

وقد رواه أيضاً الإمام أحمد قال : حدثنا روح ، حدثنا عبد الحميد بن برام قال : سمعت شهر بن حوشب قال : حدثني عبد الرحمن بن شهم : أن الدري كان يندى لرسول الله صلى الله عليه وسلم كل عام رواية من آخر ، فلما كان عام حرمت جاه يراوية ، فلما نظر إليه ضحك فقال : لأخبرت أنها قد حرمت بملك ؟ قال : يا رسول الله ، ألا أبيها وأنشع بشئها ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لمن الله اليهود ، انطلقوا إلى ما حرم عليهم من شحوم البقر والغنم فأخبروه ، فإصروا به ما ياكلون . وإن الخمر حرام وثمنها حرام ، وإن الخمر حرام ، وإن الخمر حرام وثمنها حرام^(٤) .

حديث آخر ، قال الإمام أحمد : حدثنا قتبية بن سعيد ، حدثنا ابن أبيه ، عن سليمان بن عبد الرحمن ، عن نافع ابن كيسان أن أبيه أخبره : أنه كان يتجر في الخمر في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه أتبل من الشام ومعه خمر في الزقاق ، يريد بها التجارة ، فأتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، إني يشكك بشراب طيب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا كيسان ، إنها قد حرمت بملك . قال : فأبيها يا رسول الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنها قد حرمت وحرم ثمنها . فأتى كيسان إلى الزقاق ، فأتخذ بأرجلها ثم هراقها^(٥) .

(١) عن مسند أحمد .

(٢) مسند أحمد : ٢٢٠/١ . وأخرجه الإمام أحمد بن حنبل من وجه آخر عن يونس بن عيسى إلى عبد الرحمن بن وطة : ٢٤٤/١ .

(٣) مسلم ، كتاب البيوع ، باب تحريم بيع الخمر : ٤٠/٥ . ولولمناً ، كتاب الأخرية ، باب جليل تحريم الخمر : ٨٤٦/٢ . والشمس ، كتاب البيوع ، باب بيع الخمر : ٣٠٧/٧ . ٣٠٨ .

(٤) مسند أحمد : ٢٢٧/٤ .

(٥) مسند أحمد : ٣٣٧/٤ .

حديث آخر ، قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد ، عن حميد ، عن أنس قال : « كنت لثني أباً حيدة بين الجراح ، ولبي بن كعب - وسهيل بن بيضاء ، ونقرأ من أصحابه عند أبي طلحة وأنا أسقيهم حتى كادوا لشراباً بأخذ منهم ، فأتى آت من المسلمين فقال : أما شعرت أن الخمر قد حرمت ؟ فما قالوا : حتى ننتشر ونسأك ، فقالوا : يا أنس أكف ما بيني وإنا لك ، فوالله ما عادوا فيها ، وما هي إلا القم واليسر ، وهي خمير يومئذ .^(١) »

أخرجاه^(٢) في الصحيحين - مع غير وجه - عن أنس : وفي رواية حماد بن زيد ، عن ثابت ، عن أنس قال : « كنت مالى القوم يوم حرمت الخمر في بيت أبي طلحة ، وما شرابهم إلا القصب^(٣) اليسر والتمر ، فاذا نادى بنادى ، قال : لنخرج فانظر : فاذا نادى بنادى : ألا إن الخمر قد حرمت ، فحجرت في سبيلك اللبنة ، قال : فقال لي أبو طلحة : اخرج فأعزقها ، فعرقتها ، فقالوا - أو : قال بعضهم - : قتل فلان وفلان وهي في بطونهم : قال فأقول الله : (ليس على الذين آمنوا وعمالوا الصالحات جناح فيما طعموا) الآية . »

وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن بشر ، حدثني عبد الكبير بن عبد المجيد ، حدثنا هبة بن راشد ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك قال : « بينا أنا أدير الكأس على أبي طلحة ، ولبي حيدة بين الجراح ، ومعاذ بن جبل ، وسهيل بن بيضاء ، ولبي دُبجانة ، حتى مالت وحوهم من غليظ بَسْر^(٤) وتمر : فسمعت منادياً ينادى : ألا إن الخمر قد حرمت ! قال : فما دخل علينا داخل ولا يخرج منا خارج ، حتى أهرقنا الشراب ، وكسرنا القلال^(٥) ، وتوضأ بعضنا ، وبخضل بعضنا ، وأصبنا من طيبه أم سليم ، ثم خرجنا إلى المسجد ، فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ : (يا أيها الذين آمنوا ، إذا الخمر واليسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) إلى قوله : (فهل أنتم متبهون) ، قال رجل : يا رسول الله ، فما مترلة من مات وهو يشربها ؟ فأقول الله : (ليس على الذين آمنوا وعمالوا الصالحات جناح فيما طعموا) : الآية ، قال رجل قتادة : سمعت من أنس بن مالك ؟ قال : نعم : وقال رجل لأنس بن مالك : أنت سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم - أو : حدثني من لم يكتب ، ما كنا نكتب ، ولا نذكرى ما الكلب^(٦) . »

(١) مسند أحمد : ١٨١/٣ ، ١٨٢ .

(٢) البخاري ، كتاب الأضحية ، باب نزل تحريم الخمر وهي من اليسر والتمر : ١٣٦/٧ . ورواه من رأى أن لا يخلط اليسر والتمر إذا كان مسكراً : ١٤٠/٧ . ومسلم ، كتاب الأضحية ، باب تحريم الخمر : ٨٧/٦ .

(٣) القصب : شراب يشد من اليسر المنفوخ ، أي : المشدوخ .

(٤) اليسر - بضم الياء وسكون السين - : التمر قبل أن يربط .

(٥) القليل : جمع قلة - بضم القاف - وهي : القيرة الكعيرة .

(٦) تفسير الطبري ، الأثر ١٢٥٢٧ : ٥٧٨/١٠ . وفيه : « قال : نعم ، وحاشي » وبارز دون : أو : والكتب من ضربة الأثر ، وضبوطي دار الكتب : ١ : ٨٥ . تصح . ورجح القزويني : ٥٢/٥ .

حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن إسحاق ، أنس بن يحيى بن أيوب ، عن عبد الله بن زحر ، عن بكر بن سواد ، عن قيس بن سعد بن عبادة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن ربّي تبارك وتعالى حرم عليّ الخمر ، والكوبة (١) ، والقنينة ، وإياكم والفيتراء فإنها ثلث خمر العالم (٢) » .

حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا قرج بن فضالة ، عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن الوليد ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله حرم على أمتي الخمر ، [والميسر] ، والميزور ، والكوبة ، والقنينة ، وزادني صلاة الوتر - قال يزيد : القنينة الرباط (٣) » .
تقدمه أحمد (٤) .

وقال أحمد أيضاً : حدثنا أبو عاصم - وهو الثبيل - أخبرنا عبد الحميد بن جعفر ، حدثنا يزيد بن أبي حبيب ، عن عمرو بن الوليد ، عن عبد الله بن عمرو : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من قال على ما لم يقل فليتبوأ مقعده من جهنم » قال : وسمت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله حرم الخمر والميسر والكوبة والفيتراء ، وكل سكر حرام » .

تقدمه (٥) به أحمد أيضاً .

حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا عبد العزيز بن حمزة بن عبد العزيز ، عن أبي طعمة - مولى له - وعن عبد الرحمن بن عبد الله الثعالبي أنهما سمعا ابن عمر يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لئمت الخمر على عشرة وجوه : لئمت الخمر بعينها ، وشاربها ، وساقها ، وباتنها ، ومبتاعها ، وعاصرها ، ومعتصرها ، وحاملها والحاملة لئمة (٦) لئمتها » .

ورواه أبو حنيفة وابن (٧) ماجة ، عن حديث وكيع ، به .

(١) الكوبة - يتم الكاف - : الفرد . وقيل : القليل . والقنينة - بكر التثنية والنون المشددة - : لعبة القوم يقامرون بها . وقيل : هو الخمر بالحبشية . والقنينة : القنينة : والنيرة - يتم النون وفتح الهمزة - : ضرب من الشراب يشتمل الخمر من اللذة ، وهي السكر ، وتسمى السكركة .

(٢) ستة أسد : ٤٢٢/٤ .

(٣) الرباط : جمع رباط ، وهو : ملهة تشبه البود ، وهو قارص مريب . وأصله : بريت : لأن القنينة به يشبه على صدره . وأسم القنينة : بر . وهذا التشبيه القنينة يشبه القنينة التي تشبه القنينة التي تشبه القنينة .

(٤) ستة أسد : ١٦٢/٢ .

(٥) ستة أسد : ١٧١/٢ .

(٦) ستة أسد : ٢٥٠/٢ .

(٧) سنن أبي حنيفة ، كتاب الأضحية ، باب الشب بصر الخمر : الحديث ٣٦٧٤ : ٣٢٦/٢ . وابن ماجة ، كتاب الأضحية : باب : لئمت الخمر على عشرة أوجه : الحديث ٣٣٨٠ : ١٢٢١/٢ .

وقال أحمد : حدثنا حماد ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا أبو موشة (١) ، سمعت ابن عمر يقول : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المريد ، فخرجت معه فكتبت عن عيته ، وأقبل أبو بكر ضاحكاً (٢) . عنه ، فكان من عيته وكنت عن يساره . ثم أقبل عمر فتحدثت له ، فكان عن يساره . فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم المريد ، فأتاه (٣) . فأتاه على المريد فيها خمر - قال ابن عمر - فحدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم باللبدة (٤) - قال ابن عمر : وما عرفت اللبدة إلا يومئذ - فأمر بالزقاق فشقت ، ثم قال : ه لست الخمر : وشربها ، وساقها ، وباشها ، ومباها ، وحامها ، والمحمولة إليه ، وعاصرها ، ومعتصرها ، وأكل ثمنها (٥) .

وقال أحمد حدثنا الحكر بن ثابت حدثنا أبو بكر بن أبي مريم عن شمسة بن حبيب قال : قال عبد الله بن عمر لم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أتبه بعبدة وهي الشفرة فأتيته بها فأرسل بها فأرسلت ثم أعطتها . وقال : هذا على بها ، فقبلت فخرج بأصحابه إلى أسواق المدينة وفيها زقاق الخمر قد جلبت من الشام فأنشد المدينة منى ففق ما كان من ذلك الزقاق بخضرة ثم أعطتها وأمر أصحابه الذين كانوا معه أنضوا مئى وأن يمانونى وأمرنى أن آتى الأسواق كلها فلا أجد فيها زق خمر إلا شققت فقلت فلم أترك في أسواقها زقاً إلا شققت .

حديث آخر ، قال عبد الله بن وهب : أخبرني عبد الرحمن بن شريح ، وابن لهيعة وإليه بن سعد ، عن خالد بن يزيد ، عن ثابت بن يزيد النخولاني أخبره : أنه كان له عم يبيع الخمر ، وكان يصدق ، فبعت عنها ظم يته ، فقدمت المدينة فظلمت ابن عباس ، فسأله من الخمر وثمنها ، قال : هي حرام وثمنها حرام . ثم قال ابن عباس رضي الله عنهما : يامعشر أمة محمد ، إنه لو كان كتاب بعد كتابكم - ونبي بعد نبيكم ، لأترك فيكم كما أتزل فبين قبلكم ، ولكن (٦) أخبر ذلك من أكرمكم إلى يوم القيامة ، ولعمري لو أتت عليكم - قال ثابت : فظلمت عبد الله بن عمر فسأله من ثمن الخمر ، فقال : سأخبرك من الخمر ، إني كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ، فبينما هو يحب حك (٧) حيوة (٨) ثم قال : من كان هذه من هذه الخمر شيء فليأتها بها . فجهلوا يأتونه ، فيقول أحمد : عن رواية ، وقول الآخر : هتدى زقاً لو ، ما شاء الله أن يكون هذه - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اجمعوا يبيع كلوا وكلنا ثم أذنوني ففعلوا ، ثم أذنوه (٩) . فقام وقت معه ، فشيت من عيته وهو متكئ على ، فلحقنا أبو بكر رضي الله عنه ، فأخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم . فجلني عن شياه ، وجعل أبا بكر مكانى . ثم لحقنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأخبرني وجعله عن يساره ، فشي بينهما . حتى إذا وقف على الخمر قال قناس : أتمروا هذه ؟ قالوا : نعم ، يا رسول الله ، هذه

(١) يمه في المسند : « قال ابن لهيعة : « لا أعرف أين اسمه » يعني أبا موشة .

(٢) في المسند : « ضاحكاً له » .

(٣) في المسند : « بالزقاق » .

(٤) يعني قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ماتت المدينة » وللبدة : هي السكنى والشفرة .

(٥) مسند أحمد : ٧١/٢ .

(٦) في سنن البيهقي : « ولا لغير » .

(٧) في مشطوة الأثر : « على حيوة » . ولثبت من سنن البيهقي .

(٨) الاحمد : أن ينم الإنسان رجليه إلى يمينه وجوب جسمهما مع شعرة ، ويشده عليهما .

(٩) في سنن البيهقي : « ثم أتوه » .

الخمر : قال : صدقتم : قال : لأن الله لمن الخمر وعاصرها ومعصرها ، وشاربها وسائقها ، وحاملها والمحمولة إليه ، وبائعها ومشتريها وأكل ثمنها : ثم دعا يسكين فقال : اشطوها . فصاروا ، ثم أخذنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يفرق بها الرقاق ، قال : فقال الناس : في هذه الرقاق منعة ، قال : أجل ، ولكني إنما أفعل ذلك غضباً لله عز وجل ، لا فيها من منخله : فقال عمر : أنا أكفيك يا رسول الله . قال : لا .

قال ابن وهب : وبعضهم يزيد على بعض في قصة الحديث وواء البيهقي (١) .

حديث آخر : قال الحافظ أبو بكر البيهقي : أنبأنا أبو الحسن بن بشران ، أنبأنا إسماعيل ، محمد الصفار ، حدثنا محمد بن عبيد الله اللثام ، حدثنا وهب بن جرير ، حدثنا شعبه ، عن عياض ، عن مصعب بن سعد [عن سعد] : قال : أنزلت في الخمر أربع آيات - فذكر الحديث قال : وصنع رجل من الأنصار طعاماً ، فدعانا فشرينا الخمر قبل أن نحرّم حتى انتشينا ، فضاخرنا ، فقالت الأنصار : نحن أفضل . وقالت قريش : نحن أفضل . فأخذ رجل من الأنصار طي جوره ، فغضب به أنت سعد فزوره [وكان أنت سعد مفزوراً] (١٧/٢) فزلت آية الخمر : (إنما الخمر والميسر) : : : : إلى قوله تعالى : (فهل أنتم متهون) (٢) .

أخرجه مسلم من حديث شعبه

حديث آخر : قال البيهقي : وأخبرنا أبو نصر بن قتادة ، أنبأنا أبو عبد الله الرقاء ، حدثنا علي بن عبد العزيز ، حدثنا حجاج بن منهل ، حدثنا ديمية بن كلثوم ، حدثني أبي ، عن معبد بن جبير ، عن ابن عباس قال : (إنما نزل تحريم الخمر في قريتين من قبائل الأنصار ، شربوا فلما أن ثمل القوم عث بعضهم ببعض ، فلما [أن] صبحوا جعل الرجل يرى الآخر يوجهه وإنه وسه عليه ، فيقول : صنع لي هذا شيء فلا - وكانوا إخوة ليس في قلوبهم ضغائن - [والله لو كان لي رموفاً وحيداً ما صنع هذا لي ، حتى وقعت الضغائن في قلوبهم]^{١٤}) فأنزل الله هذه الآية : (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان) . . . إلى قوله تعالى : (فهل أنتم متهون) : فقال : ناس من الكلفين هي رجس ، وهي في بطن فلان ، وقد قتل يوم أحد ؟ فأنزل الله : (ليس على الذين آمنوا واصلوا الصالحات جناح فيما طعموا) : : : : إلى آخر (هـ) الآية .

ورواه النسائي في التفسير عن محمد بن عبد الرحمن صائفة ، عن حجاج بن منهل .

(١) سنن البيهقي ، كتاب الأشربة ، باب ما جاء في تحريم الخمر : ٢٨٦/٨ ، ٢٨٧ .

(٢) عن سنن البيهقي .

(٣) سنن البيهقي ، كتاب الأشربة ، باب ما جاء في تحريم الخمر : ٢٨٥/٨ .

(٤) عن سنن البيهقي .

(٥) سنن البيهقي ، الكتاب والباب للمتعمدان : ٢٨٥/٨ ، ٢٨٦ .

حدثنا آخر ، قال ابن جرير : حدثني محمد بن خلف ، حدثنا سعيد بن محمد الجعفي ، عن أبي حمزة ، عن سلام مولى حفص بن القاسم ، عن ابن بريدة ، عن أبيه قال : بينما نحن قعود على شرب لنا ، ونحن على رخصة (١) ، ونحن ثلاثة أو أربعة ، وعندما باطية لنا ، ونحن نشرب الخمر حياءً ، إذ قمنا حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم عليه ، إذ نزل بحرم الخمر : (يا أيها الذين آمنوا ، إننا لنخمر ولنيس) ، إلى آخر الآيتين : (فهل أنتم متهمون ؟) فبحث إلى أصحابه قرأتها إلى قوله : (فهل أنتم متهمون ؟) قال : ويض القوم شرهته في يده ، قد شرب بعضها وبقي بض في الإثاء ، فقال (٢) بالإثاء تحت شفة العليا ، كما يفعل الحجام ، ثم صبا ما في باطنهم فقالوا : انتهينا ربنا (٣) !

حديث آخر ، قال البخاري : حدثنا صدقة بن الفضل ، أخبرنا ابن عتيبة ، عن عمرو ، عن جابر قال : أصبح ناس غداة أحد الخمر ، فقتلوا من يومهم جميعاً شهلاء ، وذلك قبل تحريمها (٤) ،

حدثنا رواه البخاري في تفسيره من صحيحه ، وقد رواه الحافظ أبو بكر البزار في مسنده : حدثنا أحمد بن حنبل ، حدثنا ثمانيان ، عن عمرو بن دينار سمع جابر بن عبد الله يقول : اصطحب ناس الخمر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قتلوا شهلاء يوم أحد ، فقالت اليهود : قد مات بض الذين قتلوا وهي في بطونهم . فأقول الله : (ليس على الذين آمنوا وعمالوا الصالحات جناح فيما طعموا) ، ثم قال : وهذا إسناده صحيح . وهو كما قال ، ولكن في سياقه قرأه (٥) .

حديث آخر ، قال أبو داود الطيالسي : حدثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن البراء بن عازب قال : لا تزال تحرم الخمر قالوا : كيف بمن كان يشربها قبل أن تحرم ؟ فقلت : (ليس على الذين آمنوا وعمالوا الصالحات جناح فيما طعموا) ، الآية ورواه الرملي ، عن يونس بن عُمر ، عن شعبة ، عن شعبة ، عن شعبة ، وقال : حسن صحيح (٦) .

حديث آخر ، قال الحافظ أبو يعلى الموصلي : حدثنا جعفر بن حميد الكوفي ، حدثنا يعقوب الحمصي ، عن عيسى بن جارية ، عن جابر بن عبد الله قال : كان رجل يعمل الخمر من خببر إلى المدينة فيبيعها من المسلمين ، فعمل منها عاكاً قدم بها للمدينة ، فلقبه رجل من المسلمين فقال : يا فلان ، إن الخمر قد حرمت فخرجتها حيث انتهى على كل ، وصحى عليها بأكية ، ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، بلغني أن الخمر قد حرمت ؟ قال : أجل . قال : لي أن أرحمها على من ابتعها منه ؟ قال : لا يصح رحما . قال : لي أن أعتبها إلى من يكافئ منها ؟ قال : لا . قال : فإن فيها مالا يبتى في حجري ؟ قال : إذا أتانا مال البحرين أتانا نوحاً أيتك من ملقم . ثم تأذى بليلة ، فقال رجل : يا رسول الله ، الأوعية تنفع بها ؟ قال فحللوا أوكيتها (٧) . فانصبت حتى استقرت في بطن الوادي ،

هذا حديث غريب :

-
- (١) أي : رخصة منية مربة . والبالغة : إزاء عظم من ذجاج ، وتوضع بين الشرب يفرغون منها ويحرمون .
 - (٢) قال بالإثاء : أي أماله ثم ترجمه .
 - (٣) تفسير الطبري : الأثر ١٢٥٢٣ : ٥٧٢/١٥ .
 - (٤) البجلي ، تفسير سورة المائدة : ٦٧/٦ .
 - (٥) تحفة الأحوص ، تفسير سورة المائدة : ٤١٩/٨ .
 - (٦) الأوكية جمع وكاء وهو : عيط يشد به فر الوحاء . وقد مضى في ٥٢/١ .

حديث آخر ، قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان ، عن السدي ، عن ابن هبيرة - وهو يروي عن سفيان الأصبغى - عن أنس بن مالك : أن أبا طلحة سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن أيتام^(١) في حجره وورثوا خيراً ، قال : أمرتها ، قال : ألا يغفلها خلا ؟ قال : لا . (٢) »

ورواه مسلم (٣) ، وأبو داود ، والترمذي ، مع حديث الثوري ، به نحوه .

حديث آخر ، قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو حاتم ، حدثنا عبد الله بن رجاء ، حدثنا عبد العزيز بن [أبي] سلمة : حدثنا هلال بن أبي هلال ، عن عطاء بن يسار ، عن عبد الله بن عمرو قال : « إن هذه الآية التي في القرآن (يا أيها الذين آمنوا ، إذا أنزل عليكم أوامر والأحكام والأحكام والأحكام) ، فليكن قلوبكم ، قال : هي في سورة : « إن الله أنزل الحق لينجي به الباطل ، ويضل به القلب ، والزمير ، والقرآن^(٤) ، والكليات - يعني البراءة - والزمائر - يعني في الفتن - والطائير - والشعر ، والخمر مرة لمن طعمها : أقسم الله بيمنه وعزة [حيله] » (٥) مع شربها بعد ما حرمتها لأعطته يوم القيامة ، ومن تركها طعمها حرمتها لأقمتها إياها في حظيرة القدس » .
وهذا إسناد صحيح .

حديث آخر ، قال عبد الله بن وهب : أخبرني عمرو بن الحارث ، أن عمرو بن شعيب حدثهم ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من ترك الصلاة سكرًا مرة واحدة ، فكأنما كانت له الدنيا وما عليها فليها ، ومن ترك الصلاة سكرًا أربع مرات ، كان حقًا على الله أن يسيقه من طينة الخيل » .
قيل : وما طينة الخيل ؟ قال : عصارة أهل جهنم^(٦) .
ورواه أحمد ، مع طريق عمرو بن شعيب^(٧) .

حديث آخر ، قال أبو داود : حدثنا محمد بن رافع ، حدثنا إبراهيم بن عمر الصنعاني قال : سمعت النعمان - هو ابن أبي شبة الجبتي - يقول عن طلوس ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « كل خمر خمر ، وكل مسكر حرام ، ومن شرب مسكرًا غشت صلاته أربعين صباحًا ، فإن تاب تاب الله عليه ، وإن عاد الزابطة كان حقًا على الله أن يسيقه من طينة الخيل » . قيل : وما طينة الخيل يا رسول الله ؟ قال : صديد أهل النار ، ومن سقاها صغيرًا لا يعرف حلاله من حرامه ، كان حقًا على الله أن يسيقه من طينة الخيل » .

(١) للغة المسنة : « من أيتام وورثوا خيراً » .

(٢) مسند أحمد ١١٩/٣ .

(٣) مسلم ، كتاب الأثرية ، باب ترميم تقليل الخمر : ٨٩/٦ . وأبو داود ، كتاب الأثرية ، باب ما جاء في الخمر تقطع ، الحديث ٣٦٧ : ٣٢٦/٣ . ونهضة الأوصاف ، أبواب البيوع ، باب ما جاء في بيع الخمر والخبث من ذلك : ١٦/٤ .

(٤) القرآن : الرقص . والكليات : لعله جميع كبار . وكبار جمع كبير . مثل : جبل وجبال وجبال . والكبر : هو الطبل .

(٥) ما بين القوسين من لغة المتنور ٣١٧/٢ . والمجلد كما في القافية : القصة .

(٦) سنن البيهقي ، كتاب الأثرية ، باب ما جاء في تحريم الخمر : ٢٨٧/٨ .

(٧) مسند أحمد ١٧٨/٢ .

شربه به أيوداد(١) .

حديث آخر ، قال لشافعي رحمه الله : أنبأنا مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من شرب الخمر في الدنيا ، لم يمت بها حرمها في (٢) الآخرة » .

أخرجه البخاري (٣) ومسلم ، من حديث مالك ، به .

وروى مسلم عن أبي الربيع ، عن حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل مسكر خمر ، وكل مسكر حرام » . ومن شرب الخمر فأت وهو يكرهها ولم يمت بها ، (٤) منها لم يشرها في الآخرة (٥) .

حديث آخر ، قال ابن وهب : أخبرني عمر بن محمد ، عن عبد الله بن يسار أنه سمع سالم بن عبد الله يقول : قال عبد الله بن عمر : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة : العاق لوالديه ، والمكذب ، والمنكر » . وللمعان بما أعطى (٦) .

ورواه الترمذي ، عن عمرو بن حل ، عن يزيد بن ربيع ، عن عمر بن محمد المصري ، به .

وروى أحمد ، عن غنتر ، عن شعبة ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن مجاهد ، عن أبي سعيد ، عن أبي عبد الله عليه وسلم قال : « لا يدخل الجنة ، مثان ولا لحاق ، ولا ملعن خمر » (٧) .

ورواه أحمد أيضاً ، عن عبد الصمد ، عن عبد العزيز بن مسلم (٨) عن يزيد بن أبي زياد ، عن مجاهد (٩) ، به . وروى مروان بن شجاع ، عن خصيف ، عن مجاهد ، به . ورواه الترمذي عن القاسم بن زكريا عن الحسين الجعفي عن زائدة عن ابن أبي زياد ، عن سالم بن أبي الجعد ومجاهد كلاهما عن أبي سعيد ، به .

(١) سنن أبي داود ، كتاب الأكرية ، باب لعن من السكر ، الحديث ٣٦٨٠ : ٣٢٢٧/٢ .

(٢) مسند الشافعي ج ١ : ٢٢٨/٦ .

(٣) البخاري ، كتاب الأكرية : ١٢٥/٧ . ومسلم ، كتاب الأكرية أيضاً ، باب عقوبة من شرب الخمر إذا لم يمت بها يومه ليلها في الآخرة : ١٠١/٦ . والحديث في اللوغا ، كتاب الأكرية ، باب تحريم الخمر : ٨١٦/٢ .

(٤) لفظ مسلم : « وهو يكرهها لم يمت بها » أخرجه في الآخرة .

(٥) مسلم ، كتاب الأكرية ، باب بيان أن كل مسكر خمر وأن كل خمر حرام : ١٠٠/٦ .

(٦) سنن البيهقي ، كتاب الأكرية ، باب لتنديد من لعن الخمر : ٢٨٨/٨ .

(٧) مسند أحمد : ٤٤/٢ .

(٨) في غروة الأثر : « بن أبي » وهو خطأ ، وللهفت من مسند أحمد ، ويظهر التلاصق .

حديث آخر ، قال أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا شفيان ، عن منصور ، عن سلم بن أبي الجعد ، عن جابر ، عن عبد الله بن عمرو ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا يدخل الجنة عاق ، ولا ملعن خمر ، ولا مان ، ولا ولد وثنية » (١) .

وكذا رواه عن يزيد ، عن همام ، عن منصور ، عن سلم ، عن جابر ، عن عبدالله بن (٢) عمرو ، به : وقد رواه أيضاً عن شترو وغيره عن شعبة عن منصور عن سلم عن قتيبة بن شريط ، عن جابر ، عن عبد الله بن عمرو ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا يدخل الجنة مان - ولا عاق والملعن ، ولا ملعن خمر » (٣) .
ورواه الترمذي ، من حديث شعبة كلثك ، ثم قال : ولا يكلم أحدا تابع شعبة عن نويث بن شريط :
وقال البيهقي : لا يعرف لجابر مراع من عبد الله ، ولا سلم من جابر ولا قتيبة .

وقد روى هذا الحديث من طريق جاهد : عن ابن عباس - ومن طريقه أيضاً - عن أبي هريرة ، فانه أعلم :
وقال الثوري : حدثني أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، أن أباه قال : سمعت عثمان بن عفان يقول : « اجتنبوا الخمر فانها ألم الخياث ، إنه كان رجل فبينم خلا قبلكم يتبعه ويحول الناس ، فمكثته امرأة غريبة ، فلو سلت إليه جاريها قالت : إنا ندعوك لك بهادة . فدخل معها ، ففقت كلما دخل بابا أغلقت دونه ، حتى أفضى إلى امرأة وشبهت معها غلام وباطية خمر ، قاتت : إلى والله ما دهرت لك لشهادة [ولكن] دعوتك لتفح عك أو تقتل هذا الغلام ، أو تشرب هذا الخمر . فسكت كلساً ، فقال : زيدوني ، فلم يرم حتى وقع عليها ، وقتل النفس . فاجتنبوا الخمر فانها لا تجتمع مع الإيمان أبداً إلا أوشك أحدهما أن يخرج صاحبه » (٤) .

رواه البيهقي ، وهذا إسناد صحيح . وقد رواه أبو بكر بن أبي الدنيا في كتابه « ذم للمسكر » عن محمد بن عبد الله ابن بريح ، عن الفضيل بن سليمان القيرى ، عن عمر بن سعيد ، عن الثوري ، به مرفوعاً . والموقوف أصبح ، والله أعلم ، وله شاهد في الصحيحين ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن » (٥) .

وقال أحمد بن حنبل : حدثنا أسود بن (٦) عامر ، أنبأنا إسرائيل ، عن مياك ، عن حكيم ، عن ابن عباس قال : لما حرمت [الخمر] قال أناس : يا رسول الله ، أصحابنا الذين ماتوا وهم يشربونها ؟ فأنزل الله : (ليس على الذين آمنوا

(١) مسند أحمد : ٢٠٢/٢ .

(٢) مسند أحمد : ١٦٨/٢ .

(٣) مسند أحمد : ٢٠١/٢ .

(٤) سنن أبي يعلى ، كتاب الأثارية ، باب ما جاء في تحريم الخمر : ٢٨٧/٨ ، ٢٨٨ .

(٥) البيهقي ، كتاب الأثارية : ١٣٥/٧ ، ١٣٦ ، وكتاب الخمر : باب لا يشرب الخمر : ١٩٥/٨ ، ١٩٦ .
ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون : ٥٤/١ ، ٥٥ . وسنن أبي داود ، كتاب القسمة ، باب القليل من زيادة الإيمان ، الحديث ٤٦٨٩ : ٢٢١/٤ . والبيهقي ، كتاب طلع السارق ، باب تعظيم السرقة : ٤/٨ ، وكتاب القسمة ، باب ما جاء في كتاب القسمة من المجازي : ٦٤/٦٣/٨ . وابن ماجه ، كتاب القسمة ، باب التبع عن التبعة ، الحديث ٣٩٢٦ : ١٢٩٨/٢ ، ١٢٩٩ . ومسند أحمد عن أبي هريرة من حديث طويل : ٣١٧/٢ ، وعن أبي هريرة أيضاً : ٢٨٦/٢ ، ٢٩٧ . وعن عبد الله بن أبي أوفى : ٣٥٢/٤ ، ٣٥٣ .

وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا (الآية قال ١ - « ولا حُوت القيلة قال أناس : يارسول الله ، أصحنا الذي ماروا وهم يصلون إلى بيت المقدس ؟ فأقول الله : (وما كان الله ليضيق عاتقكم) (١) » .

وقال الإمام أحمد ، حدثنا خلاد بن مهران البياض ، حدثنا خلاد - يعني السلول - عن ابن شبيب ، عن شهر بن حوشب ، عن أسماء بنت يزيد ، أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « من شرب الخمر لم يرض الله عنه أربعين ليلة ، إن مات مات كافراً ، وإن تاب تاب الله عليه : وإن عاد كان خطاً على الله أن يقبضه من طينة الخبال » قالت ، قلت : يارسول الله ، وما طينة الخبال ؟ قال : صديد أهل النار (٢) » .

وقال الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله بن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تزل (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا) ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : قيل لي : أنت منهم ، وهكذا رواه مسلم (٣) ، والترمذي ، والنسائي ، من طريقه :

وقال عبد الله بن الإمام أحمد ، قرأت على أبي ، حدثنا علي بن حاصم ، حدثنا إبراهيم المجري ، عن أبي الاحمر ، عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إياكم وماتان الكبتان (٤) الموسمان اللتان ترجران زجراً ، فأنهما ميسر الصميم (٥) » .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَبِيتُمْ أَفْئِدَتِي مِنَ الصِّيدِ تَتَاهَوُ أَبْدِكُمْ وَرِمَاحَكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مِنْ بَيْنَاكُمْ بِالْغَيْبِ
فَمَنْ أَهْدَيْتُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصِّيدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ
مُتَعَمِّداً جَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عِلَلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّرَ طَعَاماً مُسْكِناً
لِلَّذِينَ آمَنُوا ذَلِكَ صِيْلًا لِيَتَلَوْنَ وَيُؤَدُّوا أَمْرَهُمْ عَلَى اللَّهِ عَسَى يَصْلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمِ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو
الْإِنْفَاقِ ﴿٧﴾

قال الوابي ، عن ابن عباس قوله (لبيتكم أفئدتى من الصيد تتاهو أبديكم ورماحكم) ، قال : هو الضمير مع الصيد وصغيره ، يبتلى الله به عباده في إحصائهم ، حتى لو شاموا يتناولونه بأيديهم : فنهام الله أن يقرؤهم (٦) .
وقال مجاهد : (تاهو أبديكم) ، يعنى : صغار الصيد وفرانحه (ورماحكم) ، يعنى : كبره (٧) .
وقال مقاتل بن حيان : أنزلت هذه الآية في ضمرة الحديبية ، فكانت الوحش والطير والصيد تتشامق في رحلهم ، لم يروا مثله قط فيما خلا ، فنهام الله عن قتله وهم محرمون .

(١) مسند أحمد : ٢٩٥/١ .

(٢) مسند أحمد : ٤٦٠/٦ .

(٣) مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب من قتال عبد الله بن مسعود : ٤٧/٧ . وثقة الأحرف ، تفسير سورة

للأنعام : ٤١٩/٨ ، ٤٢٠ .

(٤) الكبتان : حتى كبة ، وحى نص الفرد لكلى يلبس به .

(٥) مسند أحمد : ٤٤٦/١ .

(٦) تفسير الطبري ، الأثر ١٢٠٤٢ : ٥٨٤/١٠ .

(٧) المصدر السابق ، الأثر ١٢٠٢٧ : ٥٨٢/١٠ .

(يعلم الله من عكابه الغيب) ، يعني : أنه تعالى يطعمهم بالصيد يتشام في رحطهم ، يتمكون من أكله بالأبلى والرماح مرأً وجهرأً ، ليطهر طاعة من ينبع منهم في سره وجهره . كما قال تعالى : (إن الذين يحشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير) .

وقوله هاجتا : (فن اعتدى بعد ذلك) ، قال السدي وغيره : يعني بعد هذا الإعلام والإنذار والتخديم (قله عذاب أليم) أي : شاقته أمر الله وشرحه .

ثم قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا ، لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم) : وهذا تحريم منه تعالى لقتل الصيد في حال الإحرام ، ونهى عن تعاطيه فيه . وهذا إنما يتناول من حيث المصلحة للأكل وما يتولمته ومن عبده ، فأما غير الأكل من حيوانات البر فمعد الشافعي يجوز للمحرم قتلها . والجمهور على تحريم قتلها أيضاً ، ولا يستثنى من ذلك إلا ما ثبت في الصحيحين من طريق الثوري ، عن عروة ، عن عائشة أم المؤمنين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : خمس فواسق يقتلن في الخل والحرم : الغراب والحداثة ، والقرب ، والقارة ، والكلب العقور (١) .

وقال مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : خمس من الدواب ليس على المحرم قتلن جثث : الغراب ، والحداثة ، والقرب ، والقارة ، والكلب العقور .
لمعناه (٢) .

ودواه أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر ، مثله . قال أيوب ، قلت لنافع : فالحية ؟ قال : لحية لاشك فيها ، ولا يختلف في قتلها .

ومن العلماء كمالك وأحمد - من ألحق بالكلب العقور الذئب ، والسم ، والفهر ، والقهد ، لأنها أشد ضرراً منه ، فأنه أعلم . وقال سفيان بن عيينة وزيد بن أسلم : الكلب العقور يشمل هذه السباع العاجية كلها . واستأنس من قال بهذا بما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دعا على حبة ين أبي لب قال : « اللهم سلط عليه كلبك بالشام . فأكله السبع بالزرقاء ، قالوا : فإن قتل ما عداهن فداها كالضبع والعلب وهو البر (٣) ونحو ذلك .

قال مالك : وكلما يستثنى من ذلك صغار هذه الخمس المنصوص عليها ، وصغار الملحق بها من السباع العواشي .

وقال الشافعي : يجوز للمحرم قتل كل ما لا يؤكل لحسه ، ولا فرق بين صغره وكباره . وجعل الحلة الجامعة كونها لا يؤكل .

وقال أبو حنيفة : يقتل المحرم الكلب العقور والذئب ، لأنه كلب برى ، فإن قتل غيرهما قتله ، إلا أن يصول عليه صبح غيرهما فيقتله فلا فداء عليه . وهذا قول الأوزاعي ، والحسن بن صالح بن حجي .

(١) البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب خمس من الدواب فواسق يقتلن في الحرم : ١٥٧/٤ . ومسلم ، كتاب الحج ، باب ما ينتب للمحرم وغيره قتله من الدواب في الخل والحرم : ١٧/٤ ، ١٨ .

(٢) اللوغا ، كتاب الحج ، باب ما يقتل المحرم من الدواب : ٣٠٦/١ . ومسلم ، كتاب الحج ، باب ما ينتب للمحرم وغيره ، قتله من الدواب في الخل والحرم : ١٧/٤ .

(٣) في غرر الحفظ : ١ : تفسير وهو آكله . ولطيف عن مسطرة الهار : ٨٥ .

وقال زفر ابن اللؤلؤ : يفتدى ماسوى ذلك وإن صال عليه .

وقال بعض الناس : المراد بالغراب جاحداً الأبقع - وهو الذى فى بطنه وظهوره بياض - دون الأدرع وهو الأسود ، والأععم وهو الأبيض ، لما رواه التستلى عن عمرو بن على القلاس ، عن يحيى القطنان ، عن شعبة ، عن قتادة ، عن سعيد ابن المسيب ، عن عائشة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « خمس يقتلن الحرم : الحية ، والثائرة ، والحذأة ، والغراب ، والأبقع ، والكلب المقور » .

والجمهور على أن المراد به أعم من ذلك ، لما ثبت فى الصحيحين من إطلاق لفظه .

وقال مالك رحمه الله : لا يقتل الحرم للغراب إلا إذا صال عليه وآذاه .

وقال مجاهد بن جبر وطائفة : لا يقتله بل يرميه : ويروى مثله عن حنبل .

وقد روى هشيم : حدثنا يزيد بن أبى زياد ، عن عبد الرحمن بن أبى لؤثم ، عن ثوبان بن سعيد ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه مثل ما يقتل الحرم ، قال : « الحية ، والقرب ، والنموسة ، ويرى الغراب ولا يقتله ، والكلب المقور ، والحذأة ، والسبع العادى » .

رواه أبو داود (١) عن أحمد بن حنبل ، والترمذى عن أحمد بن منيع ، كلاهما عن هشيم - وإليه ماجه ، عن أبى كريم ، عن محمد بن فضيل - كلاهما عن يزيد بن أبى زياد - وهو ضعيف - به ، وقال الترمذى : هذا حديث حسن .

وقوله تعالى : (ومن قتلهم متعمداً فجزاءه مثل ما قتل من النعم) - قال ابن أبى حاتم - حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا ابن علية ، عن أيوب قال : ثبت عن طلوس قال : « لا ينكم على من أصاب صيداً خطأ ، إنما يحكم على من أصابه متعمداً » .

وهذا ملحق غريب عن طلوس ، وهو متمسك بظاهر الآية ،

وقال مجاهد بن جبر : للراد بالصيد هنا القاصد إلى قتل الصيد ، التامس لإحرامه : فاما المتعمد لقتل الصيد مع ذكره لإحرامه ، فذلك أمره أعظم من أن يكتفى ، وقد بطل إحرامه ،

رواه ابن جرير عنه من طريق ابن أبى نجيب وليث بن أبى سليم وغيرهما ، عنه (٢) : وهو قول غريب أيضاً ، والذي عليه الجمهور أن المامد والتامس سواء فى وجوب الجزاء عليه : قال الزهرى : دل الكتاب على المامد ، وجرت السنة على التامس : ومعنى هذا أن القرآن دل على وجوب الجزاء على المتعمد وعلى تأنيبه بقوله : (ليلقوا وبال أمره ، عفا الله عما سلف) ومن عاد فيستقم الله منه (وجاءت السنة من أحكام النبي صلى الله عليه وسلم وأحكام أصحابه بوجوب الجزاء

(١) سنن أبى داود ، كتاب المصالح ، باب ما يقتل الحرم من المواشى ، الحديث ١٨٤٨ ، ١٤٠/٢ . ونسفة الأحوش ، أبواب الحج ، باب ما جاء ما يقتل الحرم من المواشى : ٥٧٦/٣ ، ٥٧٧ . وابن ماجه ، كتاب المصالح ، باب ما يقتل الحرم ، الحديث ٣٠٨٩ ، ١٠٣٢/٢ . ومسنده أحمد : ٣/٣ .

(٢) تفسير الطبرى ، الآثار ١٢٥٤٤ - ١٢٥٥١ ، ٨/١١ ، ٩ .

في النسخة كما ذكر الكتاب عليه في التمهيد ، وأيضاً فإن قتل الصيد إتلاف ، وإتلاف مضمون في العمدة وفي التبيين ، لكن النسخة مأثوم والنسخة غير مأثوم »

وقوله : (جزاء مثل ما قتل من النعم) - وحكي ابن جرير أن ابن مسعود قرأها : (جزاءه مثل ما قتل من النعم) ، وفي قوله : (جزاء مثل ما قتل من النعم) على كل من القتلين دليل لما ذهب إليه مالك ، والشافعي ، وأحمد ، والجمهور مع وجوب الجزاء مع مثل ما قتله الحرم ، إذا كان له مثل من الحيوان الإنسي ، خلافاً لأبي حنيفة رحمه الله ، حيث أوجب القيمة سواء كان الصيد للقتول مثلاً أو غير مثلي ، قال : وهو غير إن شاء تصدق بشفته ، وإن شاء اشترى به هلياً ، والذي حكم به الصحابة في المثل أولى بالإتيان ، فإنهم حكموا في الثعالب ببدنة ، وفي بقرة الوحش ببقرة ، وفي النزال بتمرة وذكر قضايا الصحابة وأساتيدها مقرر في كتابه الأحكام ، وأما إذا لم يكن الصيد مثلياً فقد حكم ابن عباس فيه بشفته ، وعمل إلى مكة ، ورواه البيهقي .

وقوله : (يحكم به ذوا عدل منكم) ، يعني أنه يحكم بالجزاء في المثل ، أو القيمة في غير المثل ، عدلان من المسلمين ، واختلف العلماء في القتال ، هل يجوز أن يكون أحد الحكمين ؟ على قولين : أحدهما : لا ، لأنه قد يفتنهم في حكمه على نفسه ، وهذا ملحق بمالك ، والثاني : نعم ، لسوء الآية وهو ملحق بالشافعي ، وأحمد ، وأصح الأولون بأن الحاكم لا يكون محكوماً عليه في صورة واحدة .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو يوسف الفضل بن دكين ، حدثنا جعفر - هو ابن برقان - عن ميمون بن مهران : أن أورياً أتى أبا بكر قال : قتل صيداً وأنا حرم ، فما ترى علي من الجزاء ؟ قال أبو بكر رضي الله عنه لأبي بن كعب وهو جالس عنده : ما ترى علياً قال : قال الأعرابي : أتيتك وأنت خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم تسألك ، فأنا أنت تسأل غيرك ؟ قال أبو بكر : وما تتكر ؟ يقول الله تعالى : (جزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم) فسأورت صاحب [حتى] إذا اتفقتا على أمر لم تترك به .

وهذا إسناد جيد ، لكنه منقطع بين ميمون وبين الصديق ، ومثله يحتمل هاتين ، فربن له الصديق الحكم برفق وتؤددة ، لآراء أورياً جاهلاً ، وإنما دواء للجهل التعليم ، فأما إذا كان للمرء منسوباً إلى العلم ، فقد قال ابن جرير :

حدثنا هناد وأبو هشام الرقاعي قالا : حدثنا وكيع بن الجراح ، عن المسعودي عن عبد الملك بن عمرو ، عن قيسية ابن جابر قال : خرجنا صيداً ، فكا إذا صليت الغداة اتفقتا وواحدة تأنى نتحدث ، قال : فبينما نحن ذات غداة إذ منع (٧) لنا علي - أو : برح - فرماه وجل كان معنا بحجر فأتينا غصناً (٨) فركبته ودعاه ميتاً ، قال فمضتاً عليه ،

(١) تفسير الطبري ١٢/١١ .

(٢) من الطي : أنك من يشارك . ويرج : أنك من يمينك .

(٣) أنشأ - بنى الله وتشيد السين - : النظم الفتيق الساري من الشر ، التناق : خلف الأذن . وركب دمه : حر لوجهه على حده ، وأمل الرمح ما تلخ به التي من زهران أو غيره ، ومنى وكرهه عليه : أن الله يصل ثم يفر عليه صرياً .

فلما قلنا مكة خرجت معه حتى أتينا حجر (رضي الله عنه) قال: قطع عليه القصة قال: إني جبرئيل كأن وجهه نُسِبَ قصة (١) - يعني عبد الرحمن بن حوف - فالتقت عمر إلى صاحبه فكلمه قال: ثم أقبل على الرجل فقال: أعمداً ففاته أم خطأ قال الرجل: لقد تملت رمية، وما أُرحت قطه، فقال عمر: ما أراك إلا قد أشركت بيني العمد ولعلنا، أعمداً إلى شاة فاذبحها فتصلق بلحمها واستيق (٢) إلهاباً قال: قمتا من عنده، قلت لصاحبي: إلهاب الرجل، عظم شاعر الله، فإدري أمير المؤمنين ما ينتيك حتى سألك مبلجه، أعمداً إلى تاتك فلانحرا، قتل ذلك (٣) [قال: قيسمة] ولا أذكر الآية من سورة المائدة (يحكم به ذوا حدل منكم) قال فبلغ عمر مقاتلي، فلم يضجأنا منه إلا ومعه للذرة قال: فملا صاحبي ضرباً بالذرة لوجعل يقول: [أظنت في الحرم وسفّهت الحكم؟ قال: ثم أقبل على قتلتي يا أمير المؤمنين، لا أحل لك اليوم شيئاً يستمر عليك (٤) مني قال: يا قيسمة بن جابر، إني أراك شابت السن، فسيح الصلوة، يدك اللسان، وإن الشاب يكون فيه تسعة أخلاق حسنة وخلق سيء، فيفسد الخلق السيء الأخلاق الحسنة، فأياك وعشرات الشباب (٥).

وقد روى هشيم هذه القصة، عن عبد الملك بن حمير، عن قيسمة بنحوه (٦)، ورواها أيضاً عن حصين، عن الشعبي، عن قيسمة بنحوه (٧)، وذكرها مرسله من حمير، بكر (٨) بن عبد الله القرني، وعومد بن سريين (٩).

وقال ابن جرير: حدثنا ابن بشار، حدثنا عبد الرحمن، حدثنا شعبة، عن منصور، عن أبي نوح وأبيل، أخبرني أبو جرير (١٠) البجلي قال: أسبغت ظيماً وأنا عرم، فذكرت ذلك لعمر، قال: أتت رجلين من إخوانك فليحكما عليك، فأثبت عبد الرحمن وسعدا، فصكما على أبيس (١١) أمفره.

(١) القلب: سوار يكون ليا واحداً. وقد كلاً وجه عبد الرحمن بن حوف أبيس مشرباً حيرة.

(٢) كلاً في خطوطة الأثر، وخطوطة دار الكتب ١، ٨٥ تفسير. وفي تفسير الطبري، الأثر ١٢٥٨٨/١١/٢٤: «وأسق إلهاباً» ومثله في سنن البيهقي، كتاب الحج، باب جزاء الصيد ١٨١/٥، ونصه: «وأسق إلهاباً سقاء». ويقول الأستاذ محمود شاكر: «أسق إلهاباً»، يعني: أسق إلهاباً من يدهنه ويضد من جلده سقاء. «والسقاء»: ظرف للآدم من الجلد. «والإلهاب»: الجلد من الفئر والتم والوشح، ما لم يبلع.

(٣) كلاً في خطوطة الأثر، ودار الكتب: تفسير. وفي نسخة النار ٨٥: «فلم ذلك». ومثله في تفسير الطبري ٢٥/١١. وها وقد وقع في مطبوعات تفسير ابن كثير النص كما يأتي: «فلم ذلك» يعني أن يجرى منك.

(٤) يعني: أن يبلع من ضرب بشرة هي عليه حرام إلا يعضها.

(٥) تفسير الطبري، الأثر ١٢٥٨٨: ١٢/١١: ٢٤: ٢٥.

(٦) المصدر السابق، الأثر ١٢٥٧٣: ١٦/١١.

(٧) المصدر السابق، الأثر ١٢٥٧٤: ١٧/١١.

(٨) المصدر السابق، الأثر ١٢٥٧٦: ١٢/١١: ١٧: ٢٣.

(٩) المصدر السابق، الأثر ١٢٥٩٥: ٢٧/١١: ٢٨.

(١٠) في خطوطة الأثر، وخطوطة دار الكتب ١، ٨٥ تفسير: «ابن جرير». والثبت من تفسير الطبري.

(١١) تفسير الطبري، الأثر ١٢٥٩٤: ٢٧/١١.

وقا ابن جرير: حدثنا ابن وكيع ، حدثنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن طارق قال : أوثأ^(١) - أريد طلياً^(٢) قتله وهو عرم فأنى عمر ليحكم عليه ، فقال له عمر : احكم مى . فحكموا فيه جدياً ، فجمع الماء والشجر^(٣) . ثم فأن عمر : (يحكم به ذوا عدل) (٤) (منكم) .

وفى هذا دلالة على جواز كين القتال لحكم الحَكَمين : كما قاله الشافعي وأحمد ، رحمهما الله ،

واختلفوا هل تستأنف الحكومة في كل ما يصيب الحرم ، فيجب أن يحكم فيه ذوا عدل ، وإن كان قد حكم من قبله الصحابة ، أو يمكن بأحكام الصحابة المقتضية ؟ على قولين ، قال الشافعي وأحمد : ينبع في ذلك ما حكمت به الصحابة ، وجعلها شرعاً مقررأ لا يبدل منه ، وما لم يحكم فيه الصحابة يرجع فيه إلى عدلين . وقال مالك وأبو حنيفة : بل يجب الحكم في كل فرد فرد ، سواء وجد للصحابة في مثله حكم أم لا . قوله تعالى : (يحكم به ذوا عدل منكم) وقوله تعالى : (هكذا بالغ الكمية) ، أى : واصلا إلى الكمية ، والمراد وصوله إلى الحرم ، بأن يذبح هناك ، ويفرق لحمه على مساكن الحرم : وهذا أمر متفق عليه في هذه الصورة .

وقوله : (أو كفارة طعام مساكين ، أو عتدك ذلك صياماً) ، أى : إذا لم يبد الحرم مثل ماقتل من التعم ، أو لم يكن الصيد لقتول من ذوات الأفعال ، أو قلنا بالتخير في هذا المقام من الجزاء والإطعام والصيام ، كما هو قول مالك ، وأبي حنيفة ، وأبي يوسف ، وعبد بن الحسن ، وأحمد قول الشافعي ، والمشهور عن أحمد رحمهم الله لظاهر الآية (أو فاتها بالتخير) والقول الآخر : أنها على الترتيب .

فصورة ذلك أن يبدل إلى القيمة ، فيقوم الصيد المقتول عند مالك ، وأبي حنيفة - وأصحابه ، وحماة ، وإبراهيم - وقال الشافعي : يقوم مثله من التعم لو كان موجوداً ، ثم يشتري به طعام ويتصدق به ، فيصرف لكل مسكين سد منه عند الشافعي ، ومالك ، وقضاء الحجاز ، واختاره ابن جرير .

وقال أبو حنيفة وأصحابه : يطعم كل مسكين مدين ، وهو قول مجاهد .

وقال أحمد : مدين من حنطة ، أو مدنان من غيره .

فإن لم يبد ، أو قلنا بالتخير ، صام من إطعام كل مسكين يوماً .

وقال ابن جرير : وقال آخرون : يصوم مكان كل صاع^(٥) يوماً . كما في جزاء المرفه بالخلق ونحوه ، فإن الشارح لركب بن عبدة^(٦) أن يطعم قرناً بين ستة ، أو يصوم ثلاثة أيام ، والقرن ثلاثة أصح .

(١) أوثأ: بدل دابه حتى دشت الطير ، أى دامت . وأريد هو ابن عبد الله الجبل ، ترجم له ابن سير في الإصابة : ١١٠/١ ، وذكر هذا الأثر في ترجمته .

(٢) طلياً : في تفسير الطبري : هـ صبا .

(٣) شجر : غل ، وروى لك والشجر . كما فسره الأستاذ محمود شاكر في تحفته لتفسير الطبري .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٢٥٨٩ : ٢٦/١١ .

(٥) تفسير الطبري : ٢٦/١١ .

(٦) ينظر : ٢٢٦/١ - ٢٢٨ .

وانتظروا في مكان حلال الإطعام ، فقال الشافعي : عليه الحرم . وهو قول عطاء : وقال مالك^(١) : يطعم في المكان الذي أُنسب فيه الفيد . أو أقرب الأماكن إليه . وقال أبو حنيفة : إن شاء أطعم في الحرم ، وإن شاء أطعم في غيره .

[ذكر أقوال السلف في هذا المقام]

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا يحيى بن المنبرة ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس في قوله : (فجزاء مثل ما قتل من النعم ، يحكم به ذوا عدل منكم حديثاً بالغ الكعبة ، أو كفارة طعام مساكين ، أو عدل ذلك صياماً) قال : إذا أصاب الحرم الصيد حُكم عليه جزاؤه من النعم ، فإن لم يجد جزاءه ، ذممه فتصدق^(٢) به . وإن لم يجد تقرر كرم الله ، ثم قُوم ثمه طعاماً ، فصام مكان كل نصف^(٣) صاع يوماً ، قال : (أو كفارة طعام مساكين) أو عدل ذلك صياماً ، قال : إنما أريد بالطعام الصيام ، إنه إذ وجد الطعام وجد جزاؤه .

ورواه ابن جرير ، عن طريق جرير ،

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : (حديثاً بالغ الكعبة ، أو كفارة طعام مساكين ، أو عدل ذلك صياماً) إذا قتل الحرم شيئاً من الصيد ، حُكم عليه فيه . فإن قتل طلياً أو نحوه ، فعليه شاة تليح بمكة . فإن لم يجد فأطعام ستة مساكين ، فإن لم يجد فصيام ثلاثة أيام : فإن قتل أَيْلاً أو نحوه ، فعليه بقرة . فإن لم يجدها أطعم عشرين مسكيناً . فإن لم يجد صام عشرين يوماً : وإن قتل نعاماً أو حملاً وحشاً أو نحوه ، فعليه بقرة من الإبل . فإن لم يجد أطعم ثلاثين مسكيناً . فإن لم يجد صام ثلاثين يوماً .

ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير ، و زاد : « والطعام مائة تسبيحة »^(٤) .

وقال جابر الجعفي ، عن عامر الشعبي وعطاء ومجاهد (أو عدل ذلك صياماً) ، قالوا : « إنما الطعام إن لا يبلغ للبدن »^(٥) . ورواه ابن جرير .

وكذا روى ابن جريج عن مجاهد ، وأبسط من المسمى أنها على الترتيب^(٦) .

وقال عطاء ، وعكرمة ، ومجاهد ، في رواية الضحاك — وإبراهيم التيمي : « هي على المليار » . وهو رواية الأثر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس . وانتظر ذلك ابن جرير رحمه الله تعالى .

(١) في غرلة الأثر ، ودار الكتب تفسير : « وقال مجاهد » . « الشئ من شاة الفار : ٥٥ .

(٢) سقط من غرلة الأثر ، وخطوط دار الكتب ، أثبتته من تفسير الطبري ، الأثر ١٢٦٠٢ : ٣٢/١١ . وهو سقط نظر .

(٣) في تفسير الطبري : مكان كل صاع يوماً .

(٤) تفسير الطبري الأثر ١٢٦٠٠ : ٣١/١١ .

(٥) المصدر السابق ، الأثر ١٢٦٠٣ : ٣٢/١١ . وفيه : « إن لا يجد المني » .

(٦) المصدر السابق ، الأثر ١٢٦٠٦ : ١٢٦٠٧ : ٣٢/١١ .

(٧) المصدر السابق ، الأثر ١٢٦١٧ : ٣٥/١١ .

وقوله : (ليلوق وبك أمره) ، أي : أوجبنا عليه الكفارة ليلوق عقوبة فعله الذي ارتكبه فيه المخالفة (عفا الله عما سلفه) أي : في زمان الجاهلية ، لمن أحسن في الإسلام واتبع شرع الله ، ولم يرتكب المعصية .
ثم قال : (ومن عاد يقتص الله منه) ، أي : ومن فعل ذلك بعد تحريمه في الإسلام وبلغ الحكم الشرعي إليه (فقتصم الله منه) ، (والله عزير ذو انتقام) .

قال ابن جرير ، قلت لسأله : ما (عفا الله عما سلف) ؟ قال : مما كان في الجاهلية : قال ، قلت : وما (ومن عاد يقتصم الله منه) ؟ قال : ومن عاد في الإسلام ، يقتصم الله منه [وعليه مع ذلك الكفارة : قال ، قلت : فهل في العود بعد توبته ؟ قال : لا . قال ، قلت : فمضى حقاً على الإمام أن يعاقبه ؟ قال : لا ، هو ذنب أذنبه فيما بينه وبين الله عز وجل ، ولكن يفتدى] .

رواه ابن جرير (١) .

وقيل معناه : يقتصم الله منه بالكفارة : قاله (٢) سعيد بن جبير ، وعطاء .

ثم الجبهود من السلف والخلف ، على أنه متى قتل المحرم الصيد وجب الجزاء ، ولا فرق بين الأولى والثانية ، وإن تكرر ما تكرر ، سواء أخطأ في ذلك والصيد .

وقال ابن جرير ، حدثنا علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قال : من قتل شيئاً من الصيد خطأ ، وهو حرم ، يحكم عليه فيه كلما قتله وإن قتله خطأ يحكم عليه فيه مرة واحدة ، فإن عاد يقال له : « يقتصم الله منك » ، كما قال الله عز وجل (٣) .

وقال ابن جرير : حدثنا عمرو بن حل ، حدثنا يحيى بن سعيد وابن أبي عمير ، عن هشام - هو ابن حسان - عن حكيم ، عن ابن عباس فيمن أصاب صيداً فحكم عليه ثم عاد ، قال : لا يحكم عليه ، يقتصم الله (٤) منه .

وحكاه قال شريح ، وعطاء ، وسعيد بن جبير ، والحسن البصري ، وإبراهيم النخعي : رواه (٥) ابن جرير ، ثم اختار لقول الأول .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا العباس بن يزيد العمري ، حدثنا الثعلبي بن سليمان ، عن زيد أبي المعل ، عن الحسن البصري أن رجلاً أصاب صيداً ، فخرجه عنه . ثم عاد فأصاب صيداً آخر ، فزلت ناز من الصياح فأحرقت فهو قوله (ومن عاد يقتصم الله منه) .

وقال ابن جرير في قوله : (والله عزير ذو انتقام) ، يقول عز ذكره والله منيع في سلطانه لا يقهره قاهر ، ولا يمنعه من الانتقام من اتقى منه ، ولا يمن عقوبة من أراد عقوبته مانع ، لأن الخلق خلقه ، والأمر أمره ، له العزة والمنعة .
وقوله : (ذوات انتقام) ، يعني : الله ذو عقوبة لمن عصاه على معصيته إياه .

(١) تفسير الطبري ، الأثران ١٢٦٣٦ = ١٢٦٣٧ = ٤٨٪ .

(٢) المصدر السابق ، الأثر ١٢٦٤٩ = ١٠٠٪ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٢٦٥٠ = ١٠٠٪ ، ٥١ . ونسب الطبري وقع فيه سقط نظر .

(٤) المصدر السابق ، الأثر ١٢٦٦١ = ٥٢٪ .

(٥) ينظر تفسير الطبري : ١٨١ - ٥٧ .

أَمْلَ لَكُمْ صَيْدَ الْبَحْرِ وَطَعْلَهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَارَةِ وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٧﴾ * جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْيَتَّى الْحَرَامَ فَيْسَاءَ لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْأَمْثَلِ وَالْقَلْبَ ذَلِكَ لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٨﴾ اَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩﴾ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٠﴾

قال ابن طحطه ، عن ابن عباس - في رواية عنه - وسعيد بن المسيب ، وسعيد بن جبير ، وغيرهم في قوله : (أمل لكم صيد البحر) ، يعني : ما يصلطه طرياً (وطعامه) ما يتزود منه ملجأ يابساً ،

وقال ابن عباس في الرواية المشهورة عنه : صيده ما أخذ منه حياً (وطعامه) ما قطفه (١) متاعاً .

وهكلاً روى عن أبي بكر الصديق وزيد بن ثابت ، وعبد الله بن عمر ، وأبي أيوب الأنصاري رضي الله عنهم . وعكرمة ، وأبي سلمة بن عبد الرحمن ، وليراهيم النخعي ، والحسن البصري ،

قال سفیان بن عیینة ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن أبي بكر الصديق أنه قال : (طعامه) كل ما فيه رزاه ابن جرير وابن أبي حاتم .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن مياك قال : حدثت عن ابن عباس قال : خطب أبو بكر الناس فقال : (أمل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم) وطعامه ما قطف (٢) .

قال : وحدثنا ياقوب ، حدثنا ابن علية ، عن سليمان التيمي ، عن أبي مجلز ، عن ابن عباس في قوله : (أمل لكم صيد البحر وطعامه) ، قال : (طعامه) ما قطف (٣) .

وقال عكرمة ، عن ابن عباس قال : (طعامه) ما قطف من ميتة . ورواه ابن (٤) جرير أيضاً ،

وقال سعيد بن المسيب : وطعامه ما قطفه حياً ، أو حرسه . فثبته رواه ابن أبي حاتم .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن بشار ، حدثنا عبد الوهاب ، حدثنا أيوب ، عن قافع : أن عبد الرحمن بن أبي هريرة سأل ابن عمر قال : إن البحر قد قطف حيثما كبراً ميتةً أفأكله؟ فقال : لا تأكلوه . فلما رجع حدث الله إلى أمه أخذ للصالحين قرأ سورة المائدة ، فأتى هذه الآية : (وطعامه متاعاً لكم وللسيارة) . فقال : اخذت قتل فلأكله ، فانه (طعامه) .

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٢٦٨٨ - ١٢٦٩١ : ١٢/١١ - ١٢ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٢٦٨٦ : ١٢/١١ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٢٦٨٩ : ١٢/١١ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٢٦٩١ : ١٢/١١ .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر ١٢٧٠٠ : ١٢/١١ .

ومكنا لئلا ينحصر أن المراد بطلانه مامات فيه (١) ، قال : « وقد روى في ذلك خبر » وإن بعضهم يرويه مرفوعاً :

حدثنا هناد بن السرى قال : حدثنا عبد بن سليمان ، عن محمد بن عمرو ، حدثنا أبو سلمة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « (أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم) » ، قال : « طعامه مائقة (٢) ميتاً » . ثم قال : « وقد وثق بعضهم هذا الحديث عن أبي هريرة »

حدثنا هناد ، حدثنا ابن أبي زائدة ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة في قوله : « (أحل لكم صيد البحر وطعامه) » قاله طعامه مائقة (٣) ميتاً .

وقوله « متاعاً لكم والسيارة » ، أي : منفعة وقرباً لكم أياً لمخاطبون (والسيارة) ، وهو جمع سيرة ، قال حكمة : لمن كان غصيرة البحر [والسيارة (١) : السيرة] .

وقال غيره : « الطير » من يصطاده من حاضرة البحر ، « وطعامه » : مامات فيه أو اصطيده منه وملح وكنداد وأذا للسائرين ولقائن عن البحر .

وقد روى نحوه عن ابن عباس ، وعبد الله بن عمر ، والسدي وغيرهم : وقد استدل جمهور العلماء على حل ميتة البحر بهذه الآية الكريمة ، وما رواه الإمام مالك بن أنس ، عن وهب بن كيسان ، عن جابر بن عبد الله قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً قبيل الساحل ، فلما عليهم أبا عبيدة بن الجراح ، وهم ثلاثمائة ، قال : وأنا فيهم . قال : فخرجنا ، حتى إذا كنا ببعض الطريق في الزاد ، فلما أبو عبيدة يأزواد ذلك الجيش ، فجمع ذلك كله ، فكان مزوداً في تمر ، قال فكان يمشوننا كل يوم قليلاً قليلاً حتى نسي ، فلم يكن يصيبنا إلا تمر تمر : [فقلت : وما نفعي تمر ؟] (٥) قال : فقد وجدنا فنداداً حين نلت ، قال : ثم انتهينا إلى البحر ، فلما حوت مثل الطير (٦) ، فأكل منه ذلك الجيش ثمان عشرة ليلة . ثم أمر أبو عبيدة بضلعين من أضلعه فصبا ، ثم أمر برحلة فرحلت ، ومرت تحتها فلم تصبهما ، وهذا الحديث يخرج في الصحيحين (٧) ، وله طرق عن جابر .

(١) تفسير الطبري ، الأثر : ٦٩٧/١١ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر : ١٢٧٢٩ : ٧٠٧/١١ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر : ١٢٧٣٠ : ٧٠/١١ ، ٧١ .

(٤) مكانه في غلظة الأثر : « ولغيره » . والثبت من تفسير الطبري ، الأثر : ١٢٧٣١ : ٧١/١١ . ونس حكمة لتفسير طبرستان بأنهم السائرون .

(٥) من المرفوعة كتاب صفة النبي صلى الله عليه وسلم ، باب جامع ما جاء في الطعام والشراب : ٩٣٠/٢ ، ٩٣١ .

(٦) القرب : القليل .

(٧) البيهقي ، باب اشتركة في الطعام : ١٨٠/٢ . ومسلم ، كتاب الصيد ، باب إباحة ميتة البحر : ٩٢/٦ . ومسنده أحمد : ٣ : ١٢٢٢ .

وفي صحيح مسلم من رواية أبي الزبير ، عن جابر : « قالوا على ساحل البحر مثل الكبيبة (١) ، فأتيناها فإنا
 بداية يقال لها المنبر قال : قال أبو عبيدة : مينة ، ثم قال : لا ، نحن رسول الله صلى الله عليه وسلم [وفي سبيل الله] (٢) ،
 وقد اضطررتم فلكلوا قال : فأقمنا عليه شهرا ونحن ثلاثمائة حتى سمنا : ولقد رأيتنا نفر من وكبته (٣) أحيته القاتل الدخن ،
 وتقطع منه القيد (٤) كالثور (٥) أو كقندر الثور (٦) ، قال : ولقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلا ، فأخذهم
 في وكب عيته ، وأخذ ضيلعا من أضلاعه فألقاها ، ثم رحل أعظم جبر منها فر من تحتها وتروذا من لحمه وشاقي (٧) ،
 فلما قمنا للمدينة أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكرنا ذلك له ، قال : هو رزق أخرجه الله لكم ، هل معكم
 من لحم شيء فقتلعونا قال : قرمنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منه (٨) فأكله وفي بعض روايات مسلم :
 أنهم كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم حين وجئوا هذه السمكة : فقال بعضهم : هي واقعة أخرى ، وقال
 بعضهم : بل هي فقية واحدة ، ولكن كانوا أولاء مع النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم بعضهم سوية مع أبي عبيدة ،
 فرجلوا هذه في صرهم تلك مع أبي عبيدة ، والله أعلم »

وقال مالك ، عن صفوان بن سليم ، عن سعيد بن مسكمة - من آل ابن الأرقم - أن المغيرة بن أبي بردة - وهو
 من بني عبد الدار - أخبره ، أنه سمع أبا هريرة يقول : سألت رجلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله
 إنا نركب البحر ، ونحمل معنا القليل من الماء ، فإن تشبنا به حططنا ، فأنشأ ماء البحر ؟ فقال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم : « هو الطهور ماؤه الحل ميتته » (٩) »

وقد روى هذا الحديث الإمامان الثعالفي (٨) ، وأحمد بن حنبل ، وأهل السنن الأربعة ، وصححه البخاري ،
 والترمذي ، وابن خزيمة ، وابن حبان ، وغيرهم ، وقد روى عن جماعة من الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، نحوه .
 وقد روى الإمام أحمد ، وأبو داود ، والترمذي ، وابن ماجه ، من طرق ، عن حماد بن سلمة : حدثنا أبو الهيثم -
 هو يزيد بن سفيان - سمعت أبا هريرة يقول : « كما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجاج - أو : حرة - فاستقبلنا
 وجلس جراد ، فجعلنا نضربن بعضنا [وسياطنا] فقتلن فأستط في أيدينا قلنا : ما نصنع ونحن محرمون ؟ فإنا
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : لا بأس بصيد البحر » (٩) »

(١) لفظ مسلم : « فرخ لنا على ساحل البحر كبيبة الكبيبة » .

(٢) عن صحيح مسلم .

(٣) التوب - يفتح فسكون - هو داخل عيته ونقرتها . وقتلوا : جمع قتل ، وهي : الجرة الكبيرة .

(٤) القدر - بكسر القاف وفتح الهاء - جمع قدر - بكسر فسكون - وهي القنطرة من كل شيء .

(٥) الرثاق - جمع - حقيقة - وهي : أن يذبح اللحم فيل قليلا ولا يتنضج ، ويحل في الأسفار . وقيل : هي القنطرة .

(٦) مسلم : كتاب الصيد ، باب لإهانة ميتة البحر : ٦١/٦ .

(٧) الموطأ ، كتاب الطهارة ، باب الطهور لقوضه : ٢٢/١ .

(٨) مسند الثعالفي على كتاب الأم : ٢/٦ . ومسند أحمد : ٣٦١/٢ . وسنن أبي داود ، كتاب الطهارة ، باب الوضوء
 بماء البحر : الحديث ٨٣ : ٢١/١ . وتحفة الأحرف ، كتاب الطهارة ، باب ما جاء في ماء البحر أنه طهور : ٢٢٤/١ ، ٢٢٥ .
 والسنن ، كتاب الطهارة ، باب ماء البحر : ٥٠/١ . وابن ماجه ، كتاب الطهارة ، باب الوضوء بماء البحر : الحديث ٢٨٦ .
 ١٣٦/١ . وكتاب الصيد ، باب الحائض من صيد البحر : الحديث ٢٢٤٦ : ١٠٨١/٢ .

(٩) مسند أحمد : ٣٠٦/٢ ، ٣٦٤ ، ٣٧٤ ، ٤٠٧ . وتحفة الأحرف ، كتاب الحج ، باب ما جاء في صيد البحر
 لغيره ٥٨٦/٢ . وابن ماجه ، كتاب الصيد ، باب صيد الحيتان والجراد : الحديث ٢٢٢٢ : ١٠٧٤/٢ .

أبو الصَّهْبَانِيَّ حَبِيبٌ ، وَفِيهِ أَمَلٌ ،

وقال ابن ماجه : حدثنا حارون بن عبد الله الحمَّال ، حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا زياد بن عبد الله بن عجلان ، عن موسى بن محمد بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن جابر ونُفَس بن مالك : أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا دعا على الجراد قال : اللهم أهلك كباره ، واقتل صغره ، وأفسد يرقه ، واقطع دابره ، وخذ بأقواحه عن معاشنا وأرزاقنا ، إنَّك سميع الدعاء : قال خالد (١) : يارِض الله ، كيف تقهر على جند من أجناد الله بقطع دابره ؟ قال : إنَّ الجراد نُكْرَةٌ لِمَوْتِ فِي الْبَحْرِ . قال هاشم : قال زياد : فحدثني من رأى الموت (٢) يتره .

فَرَدَّ بِهِ ابْنُ مَاجَةٍ :

وقد روى الثَّانِثِيُّ ، عن سعيد ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس : أَنَّهُ أَنْكَرَ حُلَّ مِنْ يَصِيدُ الْجَرَادَ فِي الْفَرَمِ .

وقد احتج بهذه الآية الكريمة من ذهب من الفقهاء إلى أَنَّهُ يُؤْكَلُ دَوَابُّ الْبَحْرِ ، ولم يستثن من ذلك شيئاً : وقد تقدم عن الصَّديق أَنَّهُ قَالَ : (مَلَأَهُ كُلُّ مَا فِيهِ .

وقد استثنى بعضهم الضفادع وأباح ما سواها ، لا روله الإمام أحمد ، وأبو داود ، والنسائي من رواية ابن أبي كريب ، عن سعيد بن خالد ، عن سعيد بن المسيب ، عن عبد الرحمن بن عثمان التيمي : أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَبَيَّنَ عَنْ قَتْلِ الضَّفَدِ (٣) .

والتَّانِثِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ : تَبَيَّنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَتْلِ الضَّفَدِ ، وَقَالَ : تَقْبِضُهَا تَسْبِيحٌ ، وَقَالَ آخَرُونَ : يُؤْكَلُ مِنْ صَيْدِ الْبَحْرِ الْمَسْكُ ، وَلَا يُؤْكَلُ الضَّفَدُ . واختلفوا فيما سواها ، قيل : يُؤْكَلُ سائر ذلك . وليل : لَا يُؤْكَلُ . وقيل : مَا أَكَلَ شَيْءٌ مِنَ الْبَحْرِ أَكَلَ مِثْلَهُ فِي الْبَحْرِ ، وَمَا لَا يُؤْكَلُ شَيْءٌ لَا يُؤْكَلُ . وهله كلها وجوه في مذهب الثَّانِثِيِّ رحمه الله .

وقال أبو حنيفة رحمه الله : لَا يُؤْكَلُ مَا مَاتَ فِي الْبَحْرِ ، كَمَا لَا يُؤْكَلُ مَا مَاتَ فِي الْبَرِّ ، لِعُمُومِ قَوْلِهِ : (حَرَّمَ عَلَيْكَ الْمَيِّتَ) :

وقد ورد حديث ينحو ذلك ، قال ابن مودود :

حدثنا عبد الباقي - هو ابن قانع - حدثنا الحسين بن إسحاق التستري وعبد الله بن موسى بن أبي عثمان قال : حدثنا الحسين بن يزيد الطحان ، حدثنا حمص بن عياض . عن ابن أبي ذئب . عن جابر بن جابر ، عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَا صَدَعُوهُ وَهُوَ حَيٌّ فَاتُ فَكُلُوهُ ، وَمَا أَتَى الْبَحْرَ مَيْتاً فَلَا تَأْكُلُوهُ .

(١) في متن ابن ماجه : قتال رجل .

(٢) متن ابن ماجه ، الكتاب والباب للطحان ، الحديث ٣٧٣١ : ١٠٧٣/٢ ، ١٠٧٤ .

(٣) مسند أسد : ٤٥٢/٣ ، ٤٤٩ . وسنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب قتل الضفدع ، الحديث ٥٢٦٩ : ٣٦٨/٤ .

والنسائي ، كتاب الصيد ، باب الضفدع : ٢١٠/٧ .

ثم رواه من طريق إسماعيل بن أبية ، وبني بن أبي أنيسة ، عن أبي الزبير عن جابر به ، وهو منكرو .
وقد احتج الجمهور من أصحاب مالك ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل ، بنحوه « السَّيِّئُ » لتقديم ذكره ، وبخبره :
« هو الطهور ماؤه الحلال ميتة » ، وقد تقدم أيضاً .

وروى الإمام أبو عبد الله الشافعي ، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن ابن عمر قال : قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم : « أحلت لنا ميتتان ودمان ، فأما الميتتان فالخولت والجراد ، وأما الدمان فالكلب والطحال » (١) .
ورواه أحمد وابن ماجه ، والدارقطني والبيهقي : وله شواهد ، وروى موقوفاً ، والله أعلم .

وقوله : (وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صِيدَ الْبَرِّ مَا دَعَمَ حَرَمًا) ، أي : في حال إحرامكم يحرم عليكم الاصطياد : فيه دلالة على
تحريم ذلك ، فإذا اصطاد المهرم الصيد متمداً أثم وغرم ، أو غنطاً غرم وحرم عليه أكله ، لأنه في حقه كلبية ،
وكلنا في حق غيره من المهرمين والمطهرين عند مالك والشافعي — في أحد قوله — وبه يقول : عطاء ، والقاسم ، وسالم ،
وأبو يوسف ، ومحمد بن الحسن ، وغيرهم : فإن أكله أو شربه منه ، فهل يلزمه جزاء ؟ فيه قولان للعلماء .

أحدهما : نعم ، قال عبد الرزاق ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، قال : إن ذبحه ثم أكله فكفارته ، وإليه ذهب طائفة
والثاني : لا جزاء عليه بأكله ، نص عليه مالك بن أنس .

قال أبو عمر بن عبد البر : وعلى هذا مذاهب فقهاء الأصناف ، وجمهور العلماء : ثم وجهه أبو عمر ما رووه
ثم وطئ ثم وطئ قبل أن يذبح ، فأثماً عليه حد واحد .
وقال أبو حنيفة : عليه قيمة ما أكل .

وقال أبو ثور : إذا قتل المهرم الصيد فضليه جزأه ، وحلال أكل ذلك الصيد ، إلا أني أكرهه للذي قتله ، والخبر
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صيد البر لكم حلال ، ما لم تصيدوه أو يصد لكم » (٢) .
وهذا الحديث سيأتي بيانه . وقوله باباحته للقتل غريب ، ولما أنفذه فيه خلاف ، قد ذكرنا المنع عن تقدمه ،
وقال آخرون : بإباحته لنهر القتال ، سواء المهرمون والمطهرون ، لهذا الحديث : والله أعلم .

وأما إذا صاد حلال (٣) صيداً فأحدهما إلى محرم ، فقد ذهب ذاهبون إلى إباحته مطلقاً ، ولم يستصلوا بين أن يكون
قد صاده لأجله أم لا . حكى هذا القول أبو عمر بن عبد البر ، عن عمر بن الخطاب ، وأبي هريرة ، وأبي الزبير بن العوام ،
وكعب الأحمري ، وعبيد الله ، وعطاء — في رواية — وسعيد بن جبير . قال : « وبه قال الكوفيون »

(١) مضى هذا الحديث عنه الآية وقم ٣ من هذه السورة ، وفيه خرجته هناك . ينظر ١٢/٣ .

(٢) سنن أبي داود ، كتاب المنيك ، باب لم الصيد المحرم ، الحديث ١٨٥١ : ١٧١/٢ . ونقطة الأخرى : أبواب
الصيد ، باب ما جلد في أكل الصيد المحرم : ٥٨٤/٣ . ونصه : « صيد البر لكم حلال وأنتم حرم ما لم تصيدوه أو يصد لكم » .
والشافعي ، كتاب المنيك ، باب إذا نثر المهرم إلى الصيد قتله الحلال : ١٨٧/٥ . وسنة أحمد : ٣٢٢/٣ ، ٣٨٧ .

(٣) شخص حلال ، أي غير محرم . يقال : هو حلال ، وعمل — من أجل — وحل ، بكسر الهمزة .

قال ابن جرير : حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع ، حدثنا بشر بن النضر ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، أن سعيد بن المسيب حدثه ، عن أبي هريرة : أنه سئل عن لحم صيد حلال ، أياكله للمحرم ؟ قال : فأخبرهم بأكله ، ثم أتى عمر بن الخطاب فأخبره بما كان من أمره ، فقال : لو أفتيتهم بغير هذا لأوجعت لك رأسك (١) .

وقال آخرون : لا يجوز أكل الصيد المحرم بالكلية ، ومنعوا من ذلك مطلقاً ، لعدم هذه الآية الكريمة .

وقال عبد الرزاق ، عن معمر ، عن ابن طاووس وعبد الكريم بن أبي أمية ، عن طاووس ، عن ابن عباس : أنه كره أكل لحم الصيد للمحرم ، وقال : هي مبهمة : يعني قوله : (وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرماً) :

قال : وأخبرني معمر ، عن الزهري ، عن ابن عمر : أنه كان يكره للمحرم أن يأكل من لحم الصيد على كل حال .

قال معمر : وأخبرني أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر ، مثله .

قال ابن عبد البر : وبه قال طاووس ، وجابر بن زيد ، وإليه ذهب الثوري ، وإسحاق بن راهويه - في رواية - . وقد روى نحوه عن علي بن أبي طالب ، ورواه ابن جرير من طريق سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب : أن علياً كره لحم الصيد للمحرم على كل حال (٢) .

وقال مالك ، والثوري ، وأحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه - في رواية - والجمهور : إن كان الحلال قد تصدأه من ذلك الصيد ، لم يجر للمحرم أكله ، لحديث الصبغ بن جثمة : أنه أهدى لابي صلى الله عليه وسلم حملاً ، وحقيقاً ، وهو بالأيوذ - أو : يزدان - فردده عليه ، فلما رأى ما في وجهه قال : إنا لم نردّه عليك إلا أنا حرم (٣) .

وهذا الحديث يخرج في الصحيحين ، وله ألفاظ كثيرة ، قالوا : فوجهه أن النبي صلى الله عليه وسلم ظن أن هذا إنما صاده من أبله ، فردده لذلك ، فلما إن لم يقصده بالاصطيد فانه يجوز له الأكل منه ، لحديث أبي قتادة حين صاده حملاً وحشاً ، كان حلالاً لم يحرم ، وكان أصحابه يحرمين ، فترقبوا في أكله . ثم سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : هل كان منكم أحد أشار إليها ، أو أمان في قتلها ؟ قالوا : لا . قال : فكلوا وأكل منها رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) .

(١) تفسير الطبري ، الأثر : ١٢٧٥ : ٧٩/١١ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر : ١٢٧٤ : ٧٩/١١ .

(٣) البخاري ، كتاب الحية ، باب قول حية الصيد : ٢٠٣/٣ . ومسلم ، كتاب الحج ، باب تحريم الصيد المحرم : ١٢/٤ . والترمذي ، تحفة الأوصاف ، كتاب الحج ، باب ما جاء في كراهية لحم الصيد المحرم : ٥٨٦/٣ . والبيهقي ، كتاب المناسك ، باب ما لا يجوز للمحرم أكله من الصيد : ١٨٤/٥٠ . وابن ماجه ، كتاب المناسك ، باب ما ينهي عنه المحرم من الصيد : الحديث : ٣٠٩٠ : ١٠٣٢/٢ . ومسنود أحمد بن أبي حنبل : ٢١٦/١ : ٣٦٢ . وعن الصبغ بن جثمة نفسه : ٣٧/٤ : ٣٨ : ٧١ : ٧٣ . وللأول : كتاب الحج ، باب ما لا يحل للمحرم أكله من الصيد : ٣٥٣/١ .

هذا ، وينظر له الفتاوى : ترجمة الصبغ بن جثمة : ٢٠/٣ . وصحيفتنا .

وحلة الصمة ثابتة أيضاً في الصحيحين بالناظر كثيرة :

وقال الإمام أحمد : حدثنا سعيد بن منصور وثيبة بن سعيد قالا : حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن ، عن عمرو بن أبي عمرو ، عن المطلب بن عبد الله بن حنطب ، عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - وقال ثيبة في حديثه : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم - يقول : « عید البر لكم حلال » قال سعيد : وأنتم حرم - ما لم تصيدوه أو يصد لكم (١) :

وكذا رواه أبو داود والترمذي والنسائي جميعاً ، عن ثيبة . وقال الترمذي : لا نعرفه المطلب سماعاً من جابر . ورواه الإمام محمد بن إدريس الشافعي ، من طريق عمرو بن أبي عمرو ، عن مولاة المطلب ، عن جابر : ثم قال : وهذا أحسن حديث روى في هذا الباب وأبسط :

وقال مالك ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال : رأيت عثمان بن عفان والعمر بن الخطاب ، قد غلبوا وجهه بقطيفة أرجوان ، ثم أتى بهم صيد فقال لأصحابه : كلوا : فقالوا : لا نأكل أنت ؟ فقال : إني لست كهيتكم ، إنما صيد من أجل (٢) :

[هـ] وقد نقل ابن جرير خلافاً في صفة الصيد الذي حرمه الله تعالى على المفهم ، فقال بعضهم : « صيد البر » كل ما كان يعيش في البر والبحر ، وإنما صيد البحر ما كان يعيش في الماء دون البر ويلوئ إليه [هـ] .

[و] روى عمران بن جرير ، عن أبي بجر أنه قال في قوله تعالى : (وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرماً) قال : ما كان يعيش في البر والبحر فلا تصده ، وما كان حياته في الماء فلا (٣) :

[ز] ومن صلاه قال : « ما كان يعيش في البر فأصابه المفهم فعليه جزاءه ، نحو السلماء ، والسرطان ، والفضفاد (٤) » وقال بعضهم : صيد البر ما كان كونه في البر أكثر من كونه في البحر [ز] :

[ح] روى عن ابن جرير قال : « سألت عطاء عن ابن الماء ، أصيد بر أم بحر ؟ وعن أشباهه . فقال : حيث يكون أكثر ، فهو صيده (٥) » .

[ط] وعن عطاء بن أبي رباح قال : أكثر ما يكون حيث يفرخ ، فهو منه (٦) :

[ث] وقوله تعالى : (واتقوا الله الذي إليه تحشرون) :

[ث] قال ابن جرير : « يقول تعالى ذكره : واتقوا الله ، أي الناس ، واحذروا بطاعته فيما أمركم به من أمر الله ،

(١) مضي تخريج هذا الحديث .

(٢) الموطأ ، كتاب الحج ، باب ما لا يحل للمسلم أكله من الصيد : ٣٥٤/١ .
 • لم يكل لفظ ابن كثير رحمه الله شرح هذه الآيات ، وقد وقف عند قوله تعالى : (وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرماً)
 وقد تأكد ذلك بالرجوع إلى مشطوط دار الكتب : ١ تفسير ، فلم نجد فيها أيضاً تفسير بقية الآية ٩٦ والآيات ٩٨ ، ٩٩ .
 ودافع برون أنه ذكرها مستعين بالإحسان كله على تفسير الإمام ابن جرير الطبري ، وباعث التوفيق .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٢٧٧٣ : ٨٧/١١ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٢٧٧٤ : ٨٧/١١ .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر ١٢٧٧٨ : ٨٨/١١ .

(٦) تفسير الطبري ، الأثر ١٢٧٧٩ : ٨٨/١١ .

وفيا نهاكم عنه في هذه الآيات التي أنزلها على نبيكم صلى الله عليه وسلم ، من النهي عن الخمر والميسر والأنصاب والأزلام ، وعن إصابة عيد الله وقته في حال إحرامكم وفي غيرها . فإن الله معصيتكم ومرجعكم ، فيما تبتكح بمعصيتكم إياه ، وينال بكم فيصيبكم على مآصيتكم له (١١) . :

(وقوله تعالى) : (جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس والشهر الحرام والحدي والقتل) :

أ يقول تعالى ذكره : صير الله الكعبة البيت الحرام قواماً للناس الذين لا قوام لهم ، من رئيس يحجز قوهم عن ضيعتهم - ومسيئهم من محسنهم ، ونظلمهم عن مظلومهم - والشهر الحرام والحدي والقتل - ، فحجز بكل واحد من ذلك بعضهم عن بعض ، إذ لم يكن لهم قيام غيره ، وجعلها معاماً لدينتهم ، ومصالح أمورهم (١٢) .

أولاد روى عن مجاهد قال : « إنما سميت الكعبة [لأنها مربعة ١٣] ، وروى مثله عن عكرمة (١٤) .

قال ابن جرير : « وأما (الكعبة) فالحرم كله . وسماها الله تعالى حراماً ، لتحريره إياها أن يصاد صيدها أو تخلى خلها ، أو يعصد شجرها (١٥) .

أ وقد فس ابن جرير (قياماً للناس) بالقوام : وروى في ذلك آثاراً منها :

أ حدثنا هناد قال ، حدثنا ابن أبي زائدة قال ، أخبرنا من سمع حصيفاً يحدث ، عن مجاهد في : (جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس) : قال : قواماً للناس (١٦) .

أ وقال سعيد بن جبر : (قياماً للناس) ، قال : صلاحاً لدينتهم (١٧) . وعنه أيضاً : « شدة لدينتهم » (١٨) .

أ وعنه ابن عباس قال : « قيامها : أن يأمن من توجه إليها (١٩) . » وعنه أيضاً : « قياماً لدينتهم ، ومعامل لحجهم » (٢٠) . وقال السدي : « جعل الله هذه الأريكة قياماً للناس ، هو قوام أمرهم (٢١) .

أ قال ابن جرير : « وهذه الأقوال وإن اختلفت من ألفاظ قائلها ألفاظها ، فإن معانيها آيلة إلى ما قلنا من ذلك ، من أن القوام : الشيء ، هو الذي به صلاحه ، كما أن الملك الأعظم ، قوام رعيته ومن في سلطانه ، لأنه مدبر أمرهم ، وحاجز ظلمهم عن مظلومهم ، والدافع عنهم مكرهه من بغاهم وعاداهم . وكذلك كانت الكعبة والشهر الحرام والحدي والقتل ، قوام أمر العرب الذي كان به صلاحهم في الجاهلية ، وحى في الإسلام لأهل معام حجهم ومناسكهم ومتوجههم لصلاتهم ، وقيلتهم التي يستقبلونها يوم فرضهم (٢٢) .

(١) تفسير الطبري : ٨٩/١١ .

(٢) تفسير الطبري : الأثر ١٢٧٨٠ : ٩٠ / ١١ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٢٧٨٠ : ٩٠/١١ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٢٧٨١ : ٩٠/١١ .

(٥) تفسير الطبري : ٩١/١١ . وينظر فيما تقدم الآثار المروية في هذا المعنى في سورة البقرة : ٢٤٩/١ وما بعدها .

(٦) تفسير الطبري ، الأثر ١٢٧٨٢ : ٩١/١١ .

(٧) تفسير الطبري ، الأثر ١٢٧٨٣ : ٩١/١١ .

(٨) تفسير الطبري ، الأثر ١٢٧٨٥ : ٩٢/١١ .

(٩) تفسير الطبري ، الأثر ١٢٧٨٧ : ٩٢/١١ .

(١٠) تفسير الطبري ، الأثر ١٢٧٨٨ : ٩٢/١١ .

(١١) تفسير الطبري ، الأثر ١٢٧٨٩ : ٩٢/١١ .

(١٢) تفسير الطبري : ٩٢ / ١١ .

[ثم قال ابن جرير : ويشعر الآية قلنا في ذلك قالت جماعة أهل التلويل] ،

[حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا جامع بن حماد ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله :
(جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس والشهر الحرام والحدي والقتل) ، حواجز أبقاها الله بين الناس في الجاهلية ،
فكان الرجل لو جر كل جريرة لم لجأ إلى الحرم لم يتناول ولم يقرب . وكان الرجل لو قُتِل قاتل أبيه في الشهر الحرام
لم يعرض له ولم يقرب . وكان الرجل إذا أراد البيت فهدد فلاة من شعر فأحتمه ومنعه من الناس ، حي بأبي أمه ، حواجز
أبقاها الله بين الناس في الجاهلية (١)] .

[وروى نحوه عن ابن زيد ، وابن جسر (٢)] ،

[وقد مضى في أول السورة ذكر (الشهر الحرام) و (للدي) و (القتل) (٣)] .

[وقوله تعالى : (اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم)] .

[قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره : اعلموا ، أيها الناس ، أن ربكم الذي يعلم ما في السموات وما في الأرض ،
ولا يخفى عليه شيء من سرائر أعمالكم وعلايتكم ، وهو يحصيها عليكم ليجزيكم بها . شديد عقابه من عصاه ونحوه
عليه ، حل مصيبته إياه - وهو غفور لغيوب من أخطاه وأثاب إليه ، فاستر عليه وتارك غضبه به رحيم به أن يعاقبه
على ما سلف من ذنوبه ، بعد إتابته وتوبته منها (٤)] .

[وقوله : (ما على الرسول إلا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكنون)] ،

[هنا من الله تعالى ذكره - تهديد لعاده ووعيد ، يقول تعالى ذكره : ليس على رسولي أن أرسله إليكم ، أيها
الناس ، بل أنلزمكم عقاباً بين يدي عذاب شديد ، وإعلمونا إليكم بما فيه قطع حججكم - إلا أن يؤدى إليكم رسالته ،
ثم إيتنا الثواب على الطاعة ، وعلينا العقاب على المعصية] .

[(والله يعلم ما تبدون وما تكنون)] ،

[يقول : وغير خفي علينا الملح منكم ، القابل رسالته الصالح بما أمره بالعمل به - من الأشخاص التي رسالته ،
التي لم يعمل بما أمره بالعمل به ، لأننا نعلم ما عمله الصالح منكم فأنه لم يجره ونطق به لسانه . (وما تكنون) ،
يعني : وما تخفون من أنفسكم من إيمان وكفر ، أو يقين وشك وفاق] .

[يقول تعالى ذكره : فمن كان كذلك ، لا يخفى عليه شيء من ضائر الصدور ، وظواهر أعمال النفوس ، وما في
السموات وما في الأرض ، ويبدد الثواب والعقاب - فحق أن يتقنى ، وأن يطاع ، فلا يعصى (٥)] .

(١) تفسير الطبري : الأثر ١٢٧٩٠ : ٩٣/١١ .

(٢) تفسير الطبري : الأثر ١٢٧٩١ : ١٢٧٩٢ : ٩٤/٩٣/١١ .

(٣) ينظر : ١/٣ - ٥ .

(٤) تفسير الطبري : ٩٥/١١ .

(٥) تفسير الطبري : ٩٥/١١ : ٩٦ .

قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكُمُ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَأُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٦٠﴾
يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تَبْدَلَكُمْ سُؤُرَةٌ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُقْرَأُ الْقُرْءَانُ تَبْدَلُكُمْ عَنَّا
اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٦١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿١٦٢﴾

يقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم : (قل) يا محمد : (لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبكم) ، أى :
يا أيها الإنسان (كثرة الخبيث) . يعنى أن القليل الحلال النافع خير من الكثير الحرام الفاسد ، كما جاء فى الحديث : « ما قل
وكفى » ، غير مما ذكره ونسب .

وقال أبو القاسم الباقى فى معجمه : حدثنا أحمد بن (١) زهير ، حدثنا الحوطى ، حدثنا محمد بن شعيب ، حدثنا معاذ
ابن وقاعة ، عن أبى عبد الملك على بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبى أمامة أنه أخبره عن ثعلبة بن حاطب الأنصارى أنه قال :
« رسول الله ، أذن الله أن يبرزنى مالا » قال النبي صلى الله عليه وسلم : « قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تشيئه »
(فافقوا الله يا أولى الألباب) ، أى : يا ذى العقول الصحيحة المستقيمة ، وحبذوا الحرام ودعوا ، واتقوا بالحلال
واكتفوا به (لعلمكم تفلسون) ، أى فى الدنيا والآخرة .

ثم قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا ، لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤم) : « هذا تأديب من الله لعباده المؤمنين ،
وسمى لهم عن أن يسألوا (عن أشياء) مما لا تامة لهم فى السؤال والتقصي عنها ، لأنها إن أظهرت لهم تلك الأمور ربما
صالحهم وحق عليهم صانعها ، كما جاء فى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يئسكن أحد عن أحد
شيئاً » ، وإن أحب أن يخرج إليكم وأنا سليم الصدر (٢) » .

وقال البخارى : حدثنا مسلم بن الوليد بن عبد الرحمن الجارودى ، حدثنا أبى ، حدثنا شعبة ، عن موسى بن أنس ،
عن أنس بن مالك قال : « خطب النبي صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلاً قط » قال : (لو تعلمون ما أعلم لضحكتم
قليلاً ولبيكم كبراً) قال : فضلت أمسحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم لهم حين (٣) : فقال رجل : من
بني ؟ قال : فلان ، فترت هذه الآية : (لا تسألوا عن أشياء) (٤) .

- (١) كلا . وفى أحد النسخة : « أحمد بن الأثر » من مروان بن محمد . من عهد بن شيب . ينظر أحد النسخة ٢٨٤/١ بصرفتنا .
- (٢) صته أحمد عن عبد الله بن مسعود . ٣٩٦/١ . وسنن أبى داود ، كتاب الأدب ، باب فى رفع الحديث عن المجلس . الحديث ٤٨٦٠ : ٢٦٥/٤ .
- (٣) يروى أيضاً : « لم خن » بالهاء . واثنين : نوع من البكاء دون الانتحاب . وأصل اثنين : خروج الصوت من الأنف ، كالخين - بالهاء - من الخن .
- (٤) البخارى ، تفسير سورة المائدة ١٠٨/٦ .

رواه **الغنى** وروى عن عباد، عن شعبة - وقد رواه **البخارى** في غير هذا الموضع (١)، ومسلم، وأحمد، والترمذي، والنسائي من طرق عن شعبة بن الحجاج - به .

وقال **ابن جرير** : حدثنا **يحيى** ، حدثنا **زيد** ، حدثنا **سعيد** ، عن **قاعة** في قوله : (يا أيها الذين آمنوا ، لا تأكلوا من أموالكم التي تبذلكم تسوكم) : : الآية ، قال : **حدثنا** أن **أنس** بن **مالك** حدث : أن **رسول الله صلى الله عليه وسلم** سأله حتى أخفوه بالمسألة ، فخرج عليهم ذات يوم فصدوا للنبي ، قال : لا تأكلوا اليوم من شيء إلا بيته لكم ، فاشتق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون بين يدي أمر قد حضر ، فجلست لأنتض عينا ولا أخالا إلا وجدت ككلاً لا تأكله في ثوبه يبي . فأننا رجل كان يأتيني فيبني لي غير أبيه ، قال : يا بني الله ، من أين ؟ قال : أبوك حلقة . قال : ثم قام عمر - أوفال : فأنشأ عمر - قال : رضى الله ربا ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد رسولا ، فأنشأ بالله - أوفال : أمرو بالله - من شيء لئن قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لم أر في الخير والشر كاليرم قط ، صوّرت في الجنة والشر حتى رأيتهما دون الحائط (٢) .

أخرجاه من طريق **سعيد** (٣) .

ورواه **معمر** ، عن **الزهري** ، عن **أنس** بنو ذلك - أوفالاً منه - قال **الزهري** : قالت أم عبد الله بن حنيفة : ما رأيت ولداً أحسن منك قط ، أكتس ثياباً أن لا تكوناً أمك قد قرئت ما قرئت أهل الجاهلية ففرضها على **عمر** بن **الناض** ، قال : والله لو أشتى بعد لسود لحيته (٤) .

وقال **ابن جرير** أيضاً : حدثنا **الحارث** ، حدثنا **عبد العزيز** ، حدثنا **قيس** ، عن **أبي بصير** ، عن **أبي صالح** ، عن **أبي هريرة** قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غضبان **بجمل** وجهه حتى جلس على المنبر ، قام إليه رجل فقال : أين لي؟ قال : في النار . قام آخر فقال : من أين ؟ قال : أبوك حلقة . قام عمر بن الخطاب فقال : رضى الله ربا ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد نبياً ، وبأقرآن إماماً ، وإنا برسول الله حديث عهد بجاهلية وشرك ، والله أعلم من آبائنا قال : فسكن غضبه ، وتزلت هذه الآية : (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا من أموالكم التي تبذلكم تسوكم) (٥)

إسناده جيد ، وقد ذكر هذه القصة مرحلة غير واحد من السلف ، منهم **أصحاب** من السلف الله قال في قوله : (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا من أموالكم التي تبذلكم تسوكم) ، قال : غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً من الأيام ، قام خطيباً فقال : سلوني ، فأتاكم لا تأكلون من شيء إلا أتاكم به . قام إليه رجل من **قريش** ، من بني **مهم** ، يقال له : **عبد الله بن حنيفة** ، وكان بطعن فيه ، فقال : يا رسول الله ، من أين ؟ قال : أبوك فلان . فقام إليه ، فقام

(١) البخارى ، كتاب الرقاق ، باب قوله النبي صلى الله عليه وسلم : « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً » . ١٢٧/٨ . وسعد أسد = ٢١٠/٢ .

(٢) تفسير البكري ، الأثر ١٢٧٩٧ = ١٠٠/١١ = ١٠١ .

(٣) البخارى ، كتاب الفتن ، باب التمرد من الفتن : ٦٦/٩ ، ٦٧ . ومسلم ، كتاب الفضائل ، باب توثيقه صلى الله عليه وسلم وترك إكله مؤلفه = ٩٤/٧ . وسعد أسد من طريق عثمان من قاعة = ١٢٧/٢ .

(٤) تفسير البكري ، الأثر ١٢٨٠٠ = ١٠٢/١١ .

(٥) للمصنف السابق ، الأثر ١٢٨٠٢ = ١٠٢/١١ .

وقال ابن جرير أيضا : حدثني زكريا بن يحيى بن أبيان المصري قال : حدثنا أبو زيد عبد الرحمن بن أبي الفوارس ، حدثنا أبو مطيع معاوية بن يحيى (١) ، عن صفوان بن عمرو ، حدثني سلم بن حارث قال : سمعت أبا أمامة الباهلي يقول : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فقال : كتب عليكم الحج : فقام رجل من الأعراب فقال : أي كل عام ؟ قال : فتكلم (٢) . كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمسكت واستنصت ، ومكث طويلا ، ثم تكلم فقال : من السائل ؟ فقال الأعرابي : أنا ذا . فقال : وعليك : ماذا يؤمّنك أن أقول : نعم ، والله لو قلت : نعم ، لوجبت ، ولو وجبت لكفرتم ، ألا إنه إنما أهلك للذين من قبلكم آفة الحرج ، والله لو أني أحطت لكم جميع ما في الأرض ، وحرمت عليكم منها موضع خشف ، لو قسم فيه : قال : فأقول الله عند ذلك : (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤم) إلى آخر الآية (٣) .

في إسناده ضعفه .

وعظم الآية التي هي عن السؤال عن الأشياء التي إذا علم بها الشخص صاته ، فالأولى الإعراض عنها وتركها : وما أحسن الحديث الذي رواه الإمام أحمد حيث قال :

حدثنا حجاج قال : سمعت إسرائيل بن يونس ، عن الوليد بن أبي هشام مولى المصنف ، عن زيد بن زائد ، عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : لا يبلغي أحد من أحد شيئا ، فقلت أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر . . . الحديث (٤) .

وقد رواه أبو داود والترمذي ، عن حديث إسرائيل - قال أبو داود : عن الوليد - وقال الترمذي : عن إسرائيل ، عن السدي ، عن الوليد بن أبي هشام - به - ثم قال الترمذي : غريب من هذا الوجه .

وقوله : (وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبدلکم) ، أي : وإن تسألوا عن هذه الأشياء التي هي من السؤال عنها حين ينزل الوحي على الرسول تبدل لكم ، وذلك يسير .

ثم قال : (عفا الله عنها) ، أي : عما كان منكم قبل ذلك ، (والله خفور حلیم) .

وقيل : المراد بقوله : (وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبدلکم) أي : لا تسألوا عن أشياء تستأفون السؤال عنها ، قلله قد ينزل بسبب سؤالكم تشديد أو تضييق . وقد ورد في الحديث : « أعظم المسلمين جرما من سأل عن شيء لم يحرم فحرم من أجل مسأله » (٥) . ولكن إذا نزل القرآن بها جملة فساتم عن بيانها حيث : تبين لكم احتياجكم إليها .

(١) سقط من خطوة الأثر : أجهته من تفسير البصري .

(٢) في خطوة الأثر : ودار الكتب ، تفسير : « فعلن » والمثبت عن تفسير البصري ، يقال : « خلق فلان في حقه » أي : نسب ، ويقال لكل شيء تشبى به فلان : قد خلق . ومنه استغرق الرجل : إذا أرتج عليه ولم يتكلم ، ومنه أنه انقلب كلامه . . .

(٣) تفسير البصري ، الأثر ١٢٨٠٧ : ١١/١٠٧ : ١٠٨ .

(٤) سند أحمد : ٣٩٥/١ ، ٣٩٦ . وسنن أبي داود ، كتاب الأدب : باب في رفع الحديث ، الحديث ٤٨٦٠ : ٢٦٠/٤ .

(٥) البخاري ، كتاب الاعتصام ، باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلفه ما لا ينبغي : ١١٧/٩ . وسنن ، كتاب التماسيل .

باب توقير رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك أكثر سؤاله : ٩٢/٧ . وسنن أبي داود ، كتاب السنة : باب لزوم السنة : الحديث ٤١٥٠ : ٢٥١/٤ : ٢٥٢ . ومنه أحمد عن سعد بن أبي وقاص : ١٢٦/١ : ١٢٦ .

(حفا الله عنهم) ، أي : ما لم يذكره في كتابه فهو مما حفا عنه ، فاسكتوا أنتم عنها كما سكت عنها : وفي الصحيح ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « خروني ما تروكهم » فإنما أهلك من كان قبلكم كره سؤلهم واختلافهم على أنبيائهم (١) »

وفي الحديث الصحيح أيضاً : « إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحد حدوداً فلا تعتدوها ، وحرم أشياء فلا تنتهكوها ، وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها » .

ثم قال : (قد سألنا قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين) ، أي : قد سأل هذه المسائل التي عنها قوم من قبلكم ، فاجيبوا عنها ثم لم يؤمنوا بها ، فأصبحوا بها كافرين ، أي : بسببها ، أي : بينت لهم ولم يتصموا بها لأنهم لم يسألوا على وجه الاسترشاد ، وإنما سألوا على وجه التفتت والتماد .

قال العوفي ، عن ابن عباس قوله : (يا أيها الذين آمنوا ، لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤم) ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن في الناس فقال : يا قوم ، كتب عليكم الحج . فقام رجل من بني أسد فقال : يا رسول الله ، أتى كل عام ؟ فأنشعب رسول الله صلى الله عليه وسلم غضبا شديداً فقال : والذي نفسي بيده لو قلت : نعم ، لوجبت ، ولو وجبت ما استطعتم ، وإذا لكرهتم ، فأتروني ما تركتم ، وإذا أمرتكم بشئ فافعلوا ، وإذا نهيتكم عن شيء فانهضوا عنه . فأتوا الله : (يا أيها الذين آمنوا ، لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤم) . فبهم أن يسألوا عن مثل الذي سألت الصابري من اللاتة ، فأصبحوا بها كافرين . فنهى الله عن ذلك وقال : لا تسألوا عن أشياء إن نزل القرآن فيها تنظيلاً ساءكم ذلك ، ولكن انتظروا ، فإذا نزل القرآن فأنكم لا تسألون عن شيء إلا وجدتم نياته (٢) »

رواه ابن جرير .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : (يا أيها الذين آمنوا ، لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤم) ، وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم) ، قال : لما نزلت آية الحج ، نادى النبي صلى الله عليه وسلم في الناس فقال : يا أيها الناس ، إن الله قد كتب عليكم الحج فاحضروا . فقالوا : يا رسول الله ، أعلنا واحداً أم كل عام ؟ قال : لا ، بل عاماً واحداً ، ولو قلت : كل عام ، لوجبت ، ولو وجبت لكرهتم . ثم قال الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء) . . . إلى قوله : (ثم أصبحوا بها كافرين) (٣) .

رواه ابن جرير .

وقال خصيف ، عن حماد ، عن ابن عباس (لا تسألوا عن أشياء) قال : هي البحيرة والوصيلة والسائمة والحمام ، ألا ترى أنه يقر بعد ذلك : ما جعل الله من بحيرة ولا كلاً ولا كلاً - قال : وأما بحيرة قال : إنهم كانوا يسألونه عن الآيات ، فهو من ذلك . ثم قال : (قد سألنا قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين) (١) .

رواه ابن جرير .

(١) مسلم ، الكتاب والباب المختصان : ٩١/٧ ، ٩٢ . والتمسك ، باب وجوبه الحج : ١١٠/٥ . وابن ماجه ، للمقمة ، الحديث ٢ : ٢/١ وستة أسد من أبي حمزة : ٢٤٧/٢ .

(٢) تفسير الطبري : الأثر ١٢٨٠٨ : ١٠٩/١١ : ١١٥ .

(٣) تفسير الطبري : الأثر ١٢٨٠٩ : ١١٠/١١ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٢٨١١ : ١١١/١١ .

يعني عكرمة رحمه الله : أن المراد بهذا النبي عن سؤال وقوع الآيات ، كما سألت فریش أن يجري لم أنهارا ، وأن يجعل لم الصفا دعيا وغير ذلك . و كما سألت اليهود أن يتزل عليهم كتابا من السماء . وقد قال الله تعالى : (وما معنا أن نوحل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون ، وأتينا نوحل الثالثة مبصرة فظلموا بها . وما نوحل بالآيات إلا تخويفا^(١)) وقال تعالى : (وأقسموا بالله جهد أيمانهم ، لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها ، قل : إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون . ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون . ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم بالوقح وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون^(٢)) .

مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَذَّبَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا قَوْلًا حَسَبْنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا تَالَوْكَ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَحْكُمُونَ ﴿١٤١﴾

قال البخاري : حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا إبراهيم بن سعد ، عن صالح بن كيسان ، عن ابن شهاب : عن سعيد بن المسيب قال : « البحيرة » : التي يمتنع ذرعا للطواغيت ، فلا يتحلبها أحد من الناس . « والسائبة » : كانوا يستبيونها لأفئدتهم ، لا يحمل عليها شيء . قال : وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رأيت عترة بن عامر الخزاعي يجرّ قصبة في النار ، كان أول من سيب السوابب . و « الوصيلة » : الناقة البكر ، تكثر في أول نتاج الإبل ، ثم تفتق بعد يأتي ، وكانوا يستبيونها لطواغيتهم ، إن وصلت إحدى^(٣) الأخرى ليس عليها ذكر . « والحام » : فحل الإبل يضرب الضراب المحدود ، فأنما قضى ضرابه ودعوه للطواغيت ، وأغفوه عن الحمل . فلم يحكم عليه شيء ، وسموه الحامي^(٤) .

وكتا رواه مسلم^(٥) والتسائي ، عن حديث إبراهيم بن سعد ، ٩٤ .

ثم قال البخاري : وقال لنا أبو البيان : أخبرنا شيب ، عن الزهري قال : سمعت سعيدا يغير بهذا . وقال أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، نحوه . ورواه ابن اللاد ، عن ابن شهاب ، عن سعيد ، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم^(٦) .

قال الحاكم : أراد البخاري أن يزيد بن عبد الله بن اللاد رواه عن عبد الوهاب بن بخت ، عن الزهري : كذا حكاه شيخنا أبو الحجاج المزني في « الأطراف » وسكت ولم يبه عليه . وفيما قاله الحاكم نظر ، فإن الإمام أحمد وأبو جعفر بن جرير^(٧) ورواه من حديث الليث بن سعد ، عن ابن اللاد . عن الزهري نفسه ، والله أعلم .

(١) الإسراء : آية ٥٩ .

(٢) الأنعام : الآيات : ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ .

(٣) البخاري ، تفسير سورة المائدة : ٦٨/٦ ، ٦٩ . والتعصب - يضم فككون - : الأماء كلها .

(٤) مسلم ، كتاب البعثة ، باب النار يدخلها الجبارون ، والجنة يدخلها الصفاة : ١٥٥/٨ .

(٥) مسند أحمد : ٢/٣٦٦ . وتفسير الطبري ، الأثر : ١٢٨١٩ : ١١/١١٦ .

ثم قال البخاري : حدثنا محمد بن أبي يعقوب أبو عبد الله الكرمانى ، حدثنا حسان بن إبراهيم ، حدثنا يونس ، عن أنس بن مالك ، عن هروة أنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رأيت جهنم يحيط بها بعضا ، ورأيت حمترا يمر قصبه ، وهو أول من سيب السوائب » .

فرد به البخاري .

وقال ابن جرير : حدثنا هناد ، حدثنا يونس بن بكير ، حدثنا محمد بن إسحاق ، حدثني محمد بن إبراهيم بن الخلوث ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأكرم من الجن : « يا أكرم ، رأيت عمرو بن لحي بن قحمة بن خنيفة يمر قصبتي النار ، فأرأيت رجلا أشبه رجلا منك به » . ولبه منك : فقال أكرم : تخشى (١) أن يضرني شبهة يا رسول الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا ، إنك مؤمن (وهو كافر ، إنه أول من غيّر دين إبراهيم ، وبجر البصرة ، وسبب السائبة ، وحصى الحصى (٢) : ثم رواه عن [هناد ، عن هبة ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بنحوه (٣) أو مثله »

ليس هناك طريقان في الكتب ،

وقال الإمام أحمد : حدثنا عمرو بن ميسرة ، حدثنا إبراهيم الهجري ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله بن مسعود ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن أول من سيب السوائب ، وعبد الأصنام ، أبو خزيمة عمرو بن حمار ، وإن رأيت يمر أعمامه (٤) في النار » .

فرد به أحمد من هذا الوجه .

وقال عبد الرزاق : أنبأ مسمر ، عن زيد بن أسلم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن لأحرف أول من سيب السوائب أول من غير دين إبراهيم عليه السلام . قالوا : من هو ، يا رسول الله ؟ قال : عمرو بن لحي بن قحمة بن خنيفة ، لقد رأيت يمر قصبه في النار يؤتى ربه أهل النار : ولقد لأحرف أول من يمر البساتر : قالوا : من هو ، يا رسول الله ؟ قال : رجل من بني مدلج ، كانت له ناقتان ، فجعل كلأتهما ، وحرم ألباتهما ، ثم شرب ألباتهما بعد ذلك ، فلقد رأيت في النار وهما يعضان بأفواههما ويخطان بأخفافهما (٥) » .

فمرو هذا هو ابن لحي بن قحمة ، أحد رؤساء غزاة اللين ولوا لبيت بعد جثهم ، وكان أول من غير دين إبراهيم لخليل ، فأدخل الأصنام إلى البساتر ، ودعا الرعاع من الناس إلى عبادتها والتقرب بها ، وشرع لهم هذه الشرائع

(١) في تفسير الطبري : وسيرة ابن هشام ٩٦/١ « صلى أن يضرني شبهة » .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٢٨٢٠ : ١١٧/١١ : ١١٨ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٢٨٢٢ : ١١٩/١١ .

(٤) مسند أحمد : ٤٤٦/١ .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر ١٢٨٢٨ : ١١٩/١١ .

الجاهلية في الأنام وغيرها ، كما ذكره الله تعالى في سورة الأنام ، عند قوله تعالى : (وجعلوا لله ما ذرأ من الحنث والأنام نصيباً^(١)) إلى آخر الآيات في ذلك .

فأما البحيرة فقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : هي أئانة إذا نُسجت حمة أبطن نظروا إلى الخامس ، فإن كان ذكراً نَحَوْه ، فأكله الرجال دون النساء . وإن كان أنثى جَدَّوْا آذَانَهَا ، فقالوا : هذه غيرة .

وذكر السدي وغيره قريباً من هذا :

وقد السائية فقال مجاهد : هي من النعم نحو ما قسر من البحيرة ، إلا أنها ما ولدت من ولديها وبين سنة أولاد كان على هبتها ، فإذا ولدت السابع ذكراً أو ذكرين ، نَحَوْه ، فأكله وجلتم دون نسأهم .

وقال محمد بن إسحاق : «السائية هي الأئانة إذا ولدت عشر إناث من الولد ليس بينهما ذكر ، سَبَّبت فلم تركب ، ولم يُجترَّ ويرها ، ولم يحلب لبنها إلا المضيف^(٢)» :

وقال أبو روق : «السائية : كان الرجل إذا خرج فَنَصُفَّت حاجته ، سَبَّبت من ماله ثلاثة أو غيرها ، فجعلها لطواغيت : فأولدت من شيء كان لها » .

وقال السدي : «كان الرجل منهم إذا قَصُصَتْ حاجته أو حُقِّق من مرض أو كثر ماله سَبَّبت شيئاً من ماله للأولاد ، فن عرض^(٣) له من الناس عَوَاقبه بقوة في الدنيا » :

وأما الوصلة فقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : هي الشاة إذا نُسجت سيمة أبطن نظروا السابع ، فإن كان ذكراً أو أنثى وهو ميت لَشَرَكَ فيه الرجال دون النساء وإن كان أنثى استحيوها ، وإن كان ذكراً وأنثى في بطن استحيوها وقالوا : وصلته أخوه فخرته علينا .

رواه ابن أبي حاتم .

وقال عبد الرزاق : أنبأنا معمر ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب : (ولاوصلة) ، قال : فالوصلة من الإبل ، كانت الأئانة تَجَرُّك بأني ، ثم تنثى بأني ، فيسمونها الوصلة ، ويقولون : «وصلت أنثيين ليس بينهما ذكر ، فكانوا يَجْدُوْنَهَا لطواغيتهم^(٤)» .

وكذا روى عن الإمام مالك بن أنس ، رحمه الله .

(١) آية : ١٣٦ .

(٢) سورة ابن حاتم : ٨٩/١ . وفيها : «ولم يشرع لبنها إلا ضيقه» .

(٣) أي : ملأ الذي سببه . ونصه في الطبري : الأثر ١٢٨٣٩/١١/١٣٠ : «ولما السائية ، فهو الرجل يسب من ماله ما له على وجه الفسك ... فلا يعرض لها أحد من العرب إلا أصبح عتوة في الدنيا» .

(٤) تفسير الطبري : الأثر ١٢٨٤٠ : ١٣١/١١ .

وقال محمد بن إسحاق : إرحبناه من انعم إذا ولدت عشر إناث في خمسة أبطن ، تؤمن تؤمن في كل بطن ، سميت الوصلة ونركت . وما ولدت بعد ذلك من ذكر أو أنثى ، جعلت للذكور دون الإناث . وإن كانت ميتة اشتركوا فيها^(١) .

وأما الحام فقال الحنفى . عن ابن عباس قال : كان الرجل إذا لقي فحله عشرة ، قيل : حام ، فتركوه^(٢) . وكلما قال أبو روى . وفتادة . وقال على بن أبي طلحة . عن ابن عباس : وأما الحام فالحامل من الإبل ، إذا ولد ولده قالوا : حمى هذا ضره . فلا يحملون عليه شيئاً ، ولا يجوزون له وبراً ، ولا يمنونه من حمى رعى ، ومن حوض يشرب منه ، وإن كان الحوض لغير صاحبه .

وقال ابن وهب : سمعت مالكاً يقول : أما الحام فن الإبل كان يضرب في الإبل ، فإذا انقضى ضرابه جعلوا عليه ویش الطواويس وسبيوه .

وقد قيل غير ذلك في تفسير هذه الآية . وقد ورد في ذلك حديث رواه ابن أبي حاتم ، من طريق أبي إسحاق السبيعي ، عن أبي الأحوص الجبلي ، عن أبيه مالك بن نضلة قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في غلمان^(٣) من الثياب ، فقال لي : هل لك من مال ؟ قلت : نعم . قال : من أين المال ؟ قال : ضلت ، من كل لال ، من الإبل والغنم والخليل والرفيق . قال : فإذا أتاك الله مالا فكثير عليك^(٤) . ثم قال : نتج إيلك وافية آذانها ؟ قال : قلت : نعم . قال : وهل نتج الإبل إلا كذلك ؟ قال : فلك تأخذ للمولى قطع آذان طائفة منها وتقول : « هذه بحيرة » وتشن آذان طائفة منها ، وتقول : « هذه حرم » ؟ قلت : نعم . قال : فلا تفعل : إن كل ما أتاك الله لك حل ، ثم قال : (ما جعل الله من بحيرة ولا سابة ولا وصيلة ولا حام) ، أما البحيرة فهي التي يندعون آذانها ، فلا تنفع امرأته ولا بناته ولا أحد من أهل بيته بصرفها ولا أولادها ولا شملها ولا أنبائها ، فإذا ماتت اشتركوا فيها . وأما السابة فهي التي يسيون لأكتهم ، ويذهبون إلى أكتهم فيسيونها ، وأما الوصلة فالشاة تلد ستة أبطن ، فإذا ولدت السابع ، جئحت وقطع قرنبا ، فيقولون : « وقد وصلت » فلا يذبحونها ولا تضرب ولا تمنع منها وودت على حوض . هكذا يذكر تفسير ذلك مدرجاً في الحديث .

وقد روى من وجه آخر عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص عوف بن مالك ، من قوله ، وهو أشبه .

وقد روى هذا الحديث الإمام أحمد ، عن سفيان بن عيينة ، عن أبي الزعرار عمرو بن عمرو ، عن عه أبي الأحوص صوف بن مالك بن فضالة ، عن أبيه ، به^(٥) : وليس فيه تفسير هذه ، والله أعلم .

وقوله : (ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون) ، أي : ما شرع الله هذه الأشياء ولا هي عنده قرينة ، ولكن المشركون افتروا ذلك ، وجعلوه شرعاً لهم وقربة يفترون بها إليه . وليس ذلك بحاصل لهم ، بل هو وبال عليهم .

(١) سورة ابن هشام : ٨٩/١ .

(٢) تفسير الطبري : الأثر ١٢٨٣٦ : ١٢٩/١١ .

(٣) الغلمان - بضم فككون - جمع غلام - بفتح - وهو : البال .

(٤) في المخطوطة : ذكر عليك . وللمت من سنة أحد : ٤٧٣/٣ ، والله للثور : ٢٢٧/٢ .

(٥) سنة أحد : ١٣٧/٤ : ١٣٧ .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا : حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ﴾ ، أى : إذا دعوا إلى دين الله وشرعه وما أوجبه ونزله ما حرمه ، قالوا : يكتبنا ما وجدنا عليه الآباء والأجداد من الطرائق والمساك ، قال الله تعالى ١ : (أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا) ، أى : لا يفهمون حقًا ، ولا يعرفونه ولا يتدبرون إليه ، فكيف يتبعونهم والحالة هذه ؟ ، لا يتبعهم إلا من هو أجهل منهم ، وأضل سبيلًا .

مِثْلُهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مِنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مِنْ جِهَتِكُمْ . جَمِيعًا فَيَنْبَغِيكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾

يقول تعالى أمرا عباده المؤمنين أن يصلحوا أنفسهم ويعملوا الخير بجهدهم وطاقتهم ، وغبرا لهم أنه من أصلح أمره لا يضره فساد من فسد من الناس ، سواء كان قريبا منه أو بعيدا .

قال الفوق عن ابن عباس عند تفسير هذه الآية : يقول تعالى : إِذَا مَا الْعِدَةُ أَطَاعَتْ مَا آمَرْتَهُ بِهِ مِنَ الْخَلَالِ وَالْغُرَمِ ، فَلَا يَضُرُّهُ مِنْ ضَلَّ بِهِ ، إِذَا عَمِلَ بِمَا آمَرْتَهُ بِهِ (١) .

وكذا روى الوالي ، عنه . وهكذا قال مقاتل بن حبان . قوله : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ) نصب على الإغراء (٢) (لَا يَضُرُّكُمْ مِنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مِنْ جِهَتِكُمْ) جَمِيعًا فَيَنْبَغِيكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ، أى : فيجوزى كل عاص بعمله ، إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر .

وليس في الآية مستدرك على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، إِذَا كَانَ ضَلَّ ذَلِكَ مَعْنَاً ، وقد قال الإمام أحمد رحمه الله ١ :

حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا زهير - يعنى ابن معاوية - حدثنا إسماعيل بن أبى خالد ، حدثنا قيس قال : قام أبو بكر رضي الله عنه فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّكُمْ تَقْرَعُونَ هَذِهِ الْآيَةَ : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مِنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مِنْ آخِرِ الْآيَةِ ، وَإِنَّكُمْ تَقْصِبُونَهَا عَلَى غَيْرِ مَوْضِعِهَا ، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (إِنْ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الْمُنْكَرَ لَا يَضُرُّوهُ) أَوْشَكَ اللَّهُ أَنْ يَزُولَ عَنْ بَعْضِهِمْ بَقَاةٌ - قال : وصعد أبو بكر يقول : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِيَّاكُمْ وَالْكَلْبَ ، فَإِنَّ الْكَلْبَ يَنْجِبُ الْإِيمَانَ (٣) .

وقد روى هذا الحديث أصحاب السنن الأربعة (٤) ، وابن حبان في صحيحه ، وغيرهم ، من طرق كثيرة عن

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٢٨٦٤ : ١٤٧/١١ .

(٢) قال أبو حنيفة في البحر المحيط ٣٦/٤ : ٣٧ ، « وطعنكم من كل الإغراء ، وله باب مقود في القصور ، وهو سفره في أسيا الأئصال ، فإن كان الضلل متعصيا كان اسمه متعصيا ، وإن كان لازما كان لازما . وعليكم اسم لتوكل والزم » ، غير أنه ، فذلك نصب المقصود به ، والتأخير هنا ، عليكم إصلاح أنفسكم ، أو « غاية أنفسكم » .

(٣) مستدرك أحمد ، ١/٦ .

(٤) سنن أبي داود ، كتاب التلاوة ، باب الأمر وقيل ، الحديث ١٣٣٨ : ٢٢/٤ . ونسخة الأحرشي ، أبواب التفسير ، باب ما جاء في نزول الملائكة إذا لم يبين المنكر ، ٢٨٨/٦ : ٢٨٩ . وتفسير سورة المائدة : ١٢٢/٨ ، ١٢٢ . وابن ماجه ، كتاب التفسير ، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، الحديث ١٢٢٧/٢١٤٠٠٠ .

جماعة كثيرة، عن إسماعيل بن [إبي] خالد، به متصلاً مرفوعاً، ومنهم من رواه عنه به موقوفاً على الصديق، وقد رجح رحمه الله تعالى وغيره، وذكرنا طرقة والكلام عليه مطولاً في مستند الصديق رضي الله عنه،

وقال أبو عيسى الترمذي: حدثنا سعيد بن يعقوب الطائفي، وحدثنا عبد الله بن المبارك، حدثنا عتبة بن أبي حكيم، حدثنا عمرو بن جارية اللخمي، عن أبي أمية الشَّعْبَانِي قال: «أتيت أبا عبد الله عليه السلام فقلت له: كيف تصنع في هذه الآية؟ قال: «أية؟ قلت: قوله: (يا أيها الذين آمنوا، عليكم أنفسكم، لا يضركم من ضل إذا اعتديتم)» فقال: أما والله قد سألت عنها خيراً، سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: بل اتسمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحاطعاً، وهو مقيم، ودنيا مؤثرة، ولعجاب كل ذي رأى برأيه، فليكن غمامة نفسك، ودع العوام، فإن من ورائكم أئمة الصبر فيهن مثل القريض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر حسين رجلاً يعملون كعملكم» - قال عبد الله بن المبارك: وزاد غير عتبة: «قيل: يا رسول الله، أجر حسين رجلاً منهم أو منا؟ قال: بل أجر جميع منكم».

ثم قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب صحيح (١).

وكذا رواه أبو داود من طريق ابن المبارك: ورواه ابن ماجه، وابن جرير، وابن أبي حاتم، عن عتبة بن أبي حكيم (٢). وقال عبد الرزاق: أثبتنا معمر، عن الحسن أن ابن مسعود سأله رجل عن قوله: (عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اعتديتم) فقال: إن هذا ليس بزمانها، إنها اليوم مقبولة، ولكنه قد أوشك أن يأتي زمانها، تأمرون فيصنع بهم كلها وكلاً - أو قال: فلا يضل منكم - فحيث (عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل) (٣).

ورواه أبو جعفر الرازي، عن الربيع، عن أبي العالية، عن ابن مسعود في قوله: (يا أيها الذين آمنوا، عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اعتديتم) الآية، قال: كانوا عند عبد الله بن مسعود جلوساً، فكان بين رجلين بعض ما يكون بين الناس، حتى قام كل واحد منهما إلى صاحبه، فقال رجل من جلساء عبد الله: ألا أقوم قدامهما بالمعروف وأنهاهما عن المنكر؟ فقال آخر إلى جنبه: عليك بنفسك، فإن الله يقول: (عليكم أنفسكم) الآية - قال: فسمعها ابن مسعود فقال: «ه»، لم يبق (٤) تأويل هذه بعد: إن القرآن أنزل حيث أنزل، ومعه آي قد مضى تأويلهن قبل أن يتزلن، ومعه آي قد وقع تأويلهن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومعه آي قد وقع تأويلهن بعد النبي صلى الله عليه وسلم يسير، (ومعه آي يقع تأويلهن بعد اليوم، ومعه آي يقع تأويلهن عند الساعة على ما ذكر من الساعة) (٥)، ومعه آي يقع تأويلهن يوم الحساب على ما ذكر من الحساب والجنة والنار، فما دلت قلوبكم واحدة، وأهواؤكم واحدة.

(١) تحفة الأعراف، تفسير سورة الثالثة: ٢٣/٨، ٢٣٦. ولقد التزمى: «هذا حديث حسن غريب».

(٢) سنن أبي داود، كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، الحديث ٤٣٤١: ١٢٣/٤. وابن ماجه، كتاب القتين: باب قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا، عليكم أنفسكم) الحديث ٤٠١٤: ١٢٣/٢، ١٢٣١. وتفسير الطبري، الأثر: ١٤٥/١١.

(٣) تفسير الطبري، الأثر ١٧٨٥٥: ١٤١/١١.

(٤) في تفسير الطبري: «هذا محكي».

وَلَمْ تَلْبِسُوا شَيْئًا ، وَلَمْ يَكُنْ بِمَعْصِيَةِ بَاسٍ بِمَعْصِيَةِ فَارُوقٍ وَأَنْبِيَا : فَإِذَا انْطَلَقْتَ الْغُتُوبَ وَالْأَهْوَاءَ ، وَأَلْبَسْتُمْ شَيْئًا ، وَذَاقَ بِمَعْصِيَةِ بَاسٍ بِمَعْصِيَةِ فَارُوقٍ (١) وَتَقَسَمَ . عِنْدَ ذَلِكَ جَاءَهُمَا تَأْوِيلُ هَذِهِ الْآيَةِ (٢) .

رواه ابن جرير ،

وقال ابن جرير ، حدثنا الحسن بن عرفة ، حدثنا شبابة بن سَوَّكٍ ، حدثنا الربيع بن صبيح ، عن سليمان بن حجاج قال : قيل لابن عمر : لو جلست في هذه الأيام فلم تلمس ولم تتع ، لَظَنَ اللَّهُ قَالَ ، (عَلَيْكُمْ أَنْتُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مِنْ ضَلِّ إِذَا اعْتَدَيْتُمْ) ؟ فقال ابن عمر : إِنَّمَا لَيْسَتْ لِي وَلَا لِأَصْحَابِي إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ، : لَا يَلِيغُ الشَّاهِدَ الْعَالِي ، فَكُنَّا نَحْنُ الشُّهُودُ وَأَنْتُمْ الْغُتُوبُ ، وَلَكِنْ هَذِهِ الْآيَةُ لِأَقْوَامٍ يَجُتُونَ مِنْ بَعْدِنَا ، إِنْ قَالُوا لَمْ يَقُلْ (٣) مِنْهُمْ :

وقال أيضاً : حدثنا محمد بن بشر ، حدثنا محمد بن جعفر وأبو حاتم قال : حدثنا عوف ، عن سوار بن شبيب قال : كنت عند ابن عمر ، إِذَا أَنَّهُ رَجُلٌ جَلِيدٌ فِي الْعَيْنِ ، شَدِيدُ اللَّسَانِ ، فَقَالَ : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، تَقْرَأُ هَذِهِ كَلِمَةً لَدُنْكَ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَطَرَسَ فِيهِ ، وَكَلِمَةً يَجْعِدُ لَا يَأْتِي ، وَكَلِمَةً يَفِيضُ إِلَيْهِ أَنْ يَأْتِيَ ذِكَاةً ، وَهِيَ أَنَّ ذَلِكَ يَشْهَدُ بِمَعْصِيَةِ عَلَى بَعْضِ الشَّرِّ : [قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ : وَاتَّقِ ذِكَاةً تَرِيدُ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يَشْهَدَ بِمَعْصِيَةِ عَلَى بَعْضِ الشَّرِّ ؟] .

فَقَالَ الرَّجُلُ : إِنِّي لَسْتُ بِإِيَّاكَ مُسَالِّمًا ، إِذَا سَأَلَ الشَّيْخَ . فَأَعَادَ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَدِيثَ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : لَعَلَّكَ تَرَى لَا أَبَالِكَ ، أَنِّي سَأَرْتُكَ أَنْ تَلْبِسَ فَعَطَّيْتُمْ عَلَيْهِمْ وَأَنْتُمْ ، فَإِنَّ مَعَكُمْ عَلَيْكَ نَفْسُكَ ، فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّجٌ بِقَوْلِهِ : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْتُمْ) ... (الآيَةُ (٤)) .

وقال أيضاً : حدثني أحمد بن محمد ، حدثنا للحسن بن سليمان ، سمعت أبا ، حدثنا قتادة ، عن أبي مازن قال : اتصلت على عهد عثمان إلى للبيعة ، فَإِذَا قَوْمٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ جُلُوسٌ ، فَقَرَأَ أَحَدُهُمْ هَذِهِ الْآيَةَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، عَلَيْكُمْ أَنْتُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مِنْ ضَلِّ ، قَالَ أَكْبَرْتُمْ : لَمْ يَجِبْ تَأْوِيلُ هَذِهِ الْآيَةِ الْيَوْمَ (٥) ،

وقال : حدثنا القاسم ، حدثنا الحسن بن فضالة ، عن معاوية بن صالح ، عن جُبَيْرِ بْنِ نَفَرٍ قَالَ : كُنْتُ فِي حَلْقَةٍ لَهَا أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَإِنِّي لِأَخْشَرُ الْقَوْمِ ، خَلَا كَرُوا بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ، قُلْتُ أَنَا : أَلَيْسَ اللَّهُ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْتُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مِنْ ضَلِّ إِذَا اعْتَدَيْتُمْ) ؟ فَأَقْبَلُوا عَلَيَّ بِلِسَانٍ وَاحِدٍ وَقَالُوا : تَرَى (٦) آيَةً مِنَ الْقُرْآنِ لَا تَضُرُّنَا ، وَلَا تَنْزِي مَا تَوَلَّيْنَا ۖ ۖ حَتَّى تَغْنِيَتْ أَنْتُمْ أَكُنْ نَكَلْتُ وَأَقْبَلُوا بِمَحْدُوثُونَ ، فَلَمَّا حَضَرَ قِيَامُهُمْ قَالُوا : إِنَّكَ غَلَامٌ حَدَّثَ النَّبِيَّ ، وَإِنَّكَ تَرَعْتَ بَابَهُ وَلَا تَدْرِي مَا هِيَ ؟ وَصَى أَنْ تَلْعَكَ ذَلِكَ الزَّمَانَ ، إِذَا رَأَيْتَ شَيْئًا مَطْعَاً ، وَهَوًى مَتَباً ، وَأَصْحَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بَرَبِي ، فَلْيَكُ بِمَعْصِيَةِكَ ، لَا يَضُرُّكَ مِنْ ضَلِّ إِذَا اعْتَدَيْتَ (٧) .

(١) عن تفسير الطبري .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٢٨٥٩ : ١٢٢/١١ : ١٤٤ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٢٨٥١ : ١٢٩/١١ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٢٨٥٤ : ١٤٠/١١ : ١٤١ .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر ١٢٨٥٢ : ١٤٠/١١ . وفيه : «فَقَالَ أَكْبَرْتُمْ ، بِاللَّهِ .

(٦) يعني : أَيْتِي . بَابُهُ مِنَ الْقُرْآنِ وَأَقْتَدَ لَا تَضُرُّنَا ۖ ۖ ؟

(٧) تفسير الطبري ، الأثر ١٢٨٥٨ : ١٢٢/١١ .

وقال ابن جرير : حدثنا علي بن سهل ، حدثنا شعرة بن ربيعة قال : تلا الحسن هذه الآية : (يا أيها الذين آمنوا ، عليكم أنفسكم ، لا يضركم من ضل إذا اعتديتم) ، فقال الحسن : الحمد لله بها ، والحمد لله عليها ، ما كان مؤمن فإيا دفعي ، ولا مؤمن فإيا يني ، إلا وإلى جانيه مثاق يكره عمله (١) .

وقال سعيد بن المسيب : إذا لموت بالمروءة ونهت عن الذنكر ، فلا يضرك من ضل إذا اعتديت (٢) .
رواه ابن جرير ، وكذا روى من طريق سفيان الثوري ، عن أبي العباس ، عن أبي البختري ، من حطية ، مثله (٣) .
وكذا قال غير واحد من السلف :

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو ، حدثنا هشام بن خالد العمشني ، حدثنا الوليد ، حدثنا ابن خزيمة ، عن يزيد بن أبي حبيب عن كعب بن قرفة : (عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اعتديتم) ، قال : إذا علمت كسبة عمشني (٤) ، فبطلت مسجداً ، وظاهر ليس النصب ، فحيث تأول هذه الآية :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا سَهَوْتُ يُنْكَرُ إِنْ ضَرَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الرُّسُومَةِ لَتَسْلِيَنَّ فَيَا عَدُوَّ
يُنْكَرُ أَوْ كَاتِبِينَ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَاصْبِرْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْمِلُونَهَا مِنْ بَعْدِ الْفَصْلَةِ
فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرَبْتُمْ لَا تَسْخَرُونَ مِنْهُنَّ وَلَوْ كَانَتْ أَقْرَبُ وَلَا تَكُنَّ سَهْوَةً إِنَّ إِيَّانَا لَأَلِيمِينَ (٥)
فَإِنْ مَرَّ عَلَىٰ نَحْوِهَا اسْتَخَفَّ إِنَّمَا أَفْكَحْنَاهُنَّ لِقَوْمٍ أَحْسَنَ مَقَالَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَرْثُ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ
لَشَدِيدَتُنَا أَخْبَرْنَاهُنَّ بِمَا عَاهَدْنَا إِنَّ إِيَّانَا لَأَلِيمِينَ (٦) ذَلِكَ أَذَقْنَاهُنَّ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا
أَوْ يَحْلِفُوا أَنْ تَرُدَّ أَيْمَانُنَّ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَآمَنُوا بِأُوْلَاهِمْ وَأَطَاعُوا اللَّهَ لَا يُؤْمِنُ الْقَوْمُ الْفَاسِقِينَ (٧)

اشتملت هذه الآية الكريمة على حكم جزئي ، قيل : إنه منسوخ رواه الموفق عن ابن عباس (٨) . وقال حاد بن أبي سليمان ، عن إبراهيم (٩) : إنها منسوخة . وقال آخرون : وهم الأكثرون ، فإنا قلنا ابن جرير : بل هو حكم ، ومن ادعى نسخ قبله البيان .

قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا ، عليكم أنفسكم) إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية (الثان) هذا هو النص لقوله : (شهادة بينكم) قبل قوله : (شهادة اثنين) ، سلف للنص ، وأتم للنص إليه حكمه وقيل : دل الكلام على تقدير أن يشهد الثان .

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٧٨٦٨ : ١٤٨/١١ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٧٨٦٩ : ١٤٨/١١ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٧٨٧٠ : ١٤٨/١١ .

(٤) في ضغطة الأثر ، وضغطة دار الكتب ، تفسير ١ : « علمت كسبة مسجدة » . وفيه أنها ما في الليالي السابقة . ولم نجد هذا الأثر فيما أتبع لنا . والنصب - كما في اللسان - : « فرب من يروى ابن ، من صبا لأن غزله يصعب » . أي : يخرج ثم يصح ثم يترك . ولا يجمع إنا يقال : يرد حسب . ويروى حسب .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر ١٧٩٨٥ : ٢٠٧/١١ .

(٦) تفسير الطبري ، الأثر ١٧٩٨٦ : ٢٠٧/١١ .

وقوله : ﴿فُواْءُ عِدَّتِكُمْ﴾ ، وصفنا الاتية ، بأن يكونا عديتين .

وقوله (منكم) ، أى : من المسلمين . قال الجمهور : قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله (فُواْءُ عِدَّتِكُمْ) ، قال : من المسلمين ، رواه ابن أبي حاتم ، ثم قال : روى عن عبيدة ، وسعيد بن المسيب ، والحسن ، ومجاهد ، ويحيى بن يمر ، والسدى ، وقتادة ، ومقاتل بن حيان ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، نحو ذلك .
وقال ابن جرير : وقال آخرون : حتى : ذلك (فُواْءُ عِدَّتِكُمْ) ، أى : من حتى الموصى : وذلك قول روى عن
عكرمة وعبيدة وعدة ضربهما (١) .

وقوله : ﴿أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ ، قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا سعيد بن حون ، حدثنا عبد الواحد بن
زيد ، حدثنا حبيب بن أبي حمزة ، عن سعيد بن جبير قال : قال ابن عباس في قوله : ﴿أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ ، قال :
من غير المسلمين ، يبنى : أهل الكتاب .

ثم قال : وروى عن عبيدة ، وشريح ، وسعيد بن المسيب ، وعبد بن سيرين ، ويحيى بن يمر ، وعكرمة ، ومجاهد
وسعيد بن جبير ، والشعبي ، وإبراهيم النخعي ، وقتادة ، وأبي مجاز ، والسدى ، ومقاتل بن حيان ، وعبد الرحمن بن
زيد بن أسلم ، نحو ذلك .

وحل ما حكاه ابن جرير عن عكرمة وعبيدة في قوله : ﴿منكم﴾ ، أى : المراد من قبيلة الموصى ، يكون المراد هاتين :
(أو آخران من غيركم) ، أى : من غير قبيلة الموصى . وقد روى عن ابن أبي حاتم مثله عن الحسن البصري ، والزهري ،
رحمهما الله .

وقوله : ﴿إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ ، أى : سافرتن ، (فَأَصَابَتْكُم مَّصِيبَةُ الْمَوْتِ) ، وهذان شرطان لجواز استشهاد
اللمين عند فقد المؤمنين ، أن يكون ذلك في سفر ، وأن يكون في وصية ، كما صرح بذلك شريح القاضي :

قال ابن جرير : حدثنا عمرو بن علي ، حدثنا أبو معاوية ووكيع قالوا : حدثنا الأعمش ، عن إبراهيم ، عن شريح
قال : لا يجوز شهادة اليهودي والنصراني إلا في سفر ، ولا يجوز في سفر إلا في وصية (٢) .

ثم رواه عن أبي كريب ، عن أبي بكر بن عياش ، عن أبي إسحاق السبيعي قال : قال شريح ، فذكر (٣) مثله :
وقد روى مثله عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى . وحله المسألة من أفرادها ، وخالفه الثلاثة فقالوا : لا يجوز
شهادة أهل الامة على المسلمين ، وأجازها أبو حنيفة لما بين بعضهم بعضاً .

وقال ابن جرير : حدثنا عمرو بن علي ، حدثنا أبو داود ، حدثنا صالح بن أبي الأخضر ، عن الزهري قال :
مضت السنة أنه لا يجوز شهادة كافر في حضر ولا سفر ، إنا هي في المسلمين (٤) .

(١) تفسير الطبري : ١٠٦/١١ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر : ١٢٩١١ : ١١٢/١١ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر : ١٢٩٢٥ : ١١٤/١١ : ١٦٥ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر : ١٢٩٣٣ : ١١٦/١١ .

وقال ابن زيد : نزلت هذه الآية في رجل توفى وليس عنده أحد من أهل الإسلام ، وذلك في أول الإسلام ، والأرض حرب ، والناس كفار ، وكان الناس يتوارثون الوصية ، ثم نُسخت الوصية وفرضت القرانص ، وعمل الناس (١) بها ، ورواه ابن جرير ، وفي هذا (٢) نظر ، والله أعلم .

وقال ابن جرير : اختلف في قوله : (شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو أكثران من غيركم) هل المراد أن يوصي إليهما ، أو يشهدهما على قولين :

أحدهما : أن يوصي إليهما ، كما قال [عبد بن إسحاق ، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط قال : مثل ابن مسعود رضي الله عنه ، عن هذه الآية قال :] هذا رجل سافر ومعه مال ، فأدركه قهره ، فإن وجد رجلين من المسلمين دفع إليهما تركته ، وأشهد عليهما عدلين من المسلمين .

ورواه ابن أبي حاتم ، وفيه انقطاع .

والقول الثاني : أنهما يكونان شاهدين (٣) : وهو ظاهر سياق الآية الكريمة ، فإن لم يكن وصي ثالث معهما اجتمع ليهما الرضا : الرضاية والشهادة ، كما في قصة نعيم النخعي ، وعدى بن يده ، كما سيأتي ذكرها آنفاً ، إن شاء الله وبه التوفيق .

وقد استشكل ابن جرير كونهما شاهدين ، قال : ولأننا لا نعلم حكماً يَحْكُمُ فيه الشاهد : وهذا لا يمنع الحكم للذي نضمته هذه الآية الكريمة ، وهو حكم مستقل بنفسه ، لا يلزم أن يكون جباراً على قياس جميع الأحكام ، على أن هذا حكم خاص بشهادة خاصة في عمل خاص ، وقد اختلف فيه من الأمور ما لم يضطر في غيره ، فإذا قامت قرائن الرية حلف هذا الشاهد بمقتضى ما حلت عليه هذه الآية الكريمة .

وقوله تعالى : (فمبسوئهما من بعد الصلاة) قال : ابن عباس يعني صلاة العصر .

وكذا قال سعيد بن جببر ، وإبراهيم النخعي ، وقتادة ، وعكرمة ، وعبد بن سيرين ،

وقال الزهري : يعني صلاة المسلمين .

وقال السدي ، عن ابن عباس : يعني صلاة أهل دينهما .

ولقصد : أن يقام هذان الشاهدان بعد صلاة اجتمع الناس فيها بمحضتهم ، (فيقتسمان بالله) ، [أي : فيحلفان بالله] (إن أرتبتم) أي : إن ظهرت لكم منهما رية ، أنهما قد خانا أو خلا ، فيحلفان حينئذ بالله (لا تشري به) ، أي : بأمانتنا . قال مقاتل بن حيان (ثمتاً) ، أي : لا تنقض عنه بروض قليل من الدنيا الباقية الزائلة ، (ولو كان ذا قرين) ، أي : ولو كان المشهود عليه قريباً إلينا لأحاييه ، (ولا تكتم شهادة الله) ، أضافها إلى الله تشريفاً لها ، وتنظيماً لأمرها ،

(١) تفسير النخعي ، الأثر ١٢٩٣١ : ١٦٦/١١ . وقد نقل ابن جرير هذا الأثر عن زيد بن أسلم .

(٢) توفيق هذا النظر هو أن سورة المائدة سورة مكية ، بل هي من أوامر السور المدنية نزولاً . وهذا أكبر مما عارض هذه الحقيقة : فإنه يذكر أن هذه الآية نزلت في أول الإسلام والأرض حرب والناس كفار ١١ .

(٣) تفسير البكري ، ١٥٧/١١ .

وقرأ بعضهم : (ولاتكن شهادة آفة) ، مجرداً على القسم : رواها ابن جرير ، عن عمر الشعبي (١) : وحكى عن بعضهم أنه قرأ : (ولاتكن شهادة الله) ، والقراءة الأولى هي المشهورة ،

(إذا إذا لمن الآتين) ، أى : إن قلنا شيئاً من ذلك ، من تحريف الشهادة ، أو تبديلها ، أو تغييرها ، أو كتمانها بالكلية ،

ثم قال تعالى : (فإن عثر على أيهما استحقا إثماً) ، أى : فإن اشتهر وظهر وتحقق من الشاهدتين الوصيتين ، أيهما خانا أو غشاً شيئاً من المال للموصى به إليهما ، وظهر عليهما بذلك ، فاختران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأوليان : هذه قراءة الجمهور : (استحق عليهم الأوليان) : وروى عن علي ، وأبي ، ولمس البصرى أنهم قرؤوها : (استحق عليهم الأوليان) ،

وقد روى الحاكم في المستدرک من طريق إسحاق بن محمد القزوينى ، عن سليمان بن بلال ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن عبيد الله بن أبي رافع ، عن علي بن أبي طالب أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ : (من الذين استحق عليهم الأوليان) ،

ثم قال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه (٢) ،

[وقرأ بعضهم ، وسنهم ابن عباس : (من الذين استحق عليهم الأولين) ، وقرأ الحسن : (من الذين استحق عليهم الأولان) ، حكاه ابن جرير]

فصل قراءة الجمهور بكون المعنى بذلك : أى متى تحقق [ذلك] بالجبر الصحيح على خيانتها ، فليقم الثامن من الورثة المستحقين لقرعة وليكونوا من أول من يرث ذلك المال (فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما) ، أى : لقررتنا أيهما خانا أحق وأصح وأثبت من شهادتهما للقرعة (وما اعتديتا) ، أى : فإنا قلنا من الخيانة (إذا إذا لمن الظالمين) ، أى : إن كنا قد كذبنا عليهما ،

وهذا التحليف الورثة ، والرجوع إلى قولنا والحالة هذه ، كما عطف أولياء المقتول إذا ظهر ثبوت (٣) في جانب القاتل ، فيقسم المستحقون على القتال فيدفع برمته إليهم ، كما هو مقرر في باب « القسامة » من الأحكام ،

وقد وردت السنة بمثل ما دلت عليه هذه الآية الكريمة ، فقال ابن أبي حاتم :

حدثنا أبو حنيفة الحسين بن زياد ، حدثنا محمد بن سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن [أبي] القاسم ، عن باذان - يعنى أباه صالح مولى أم حانئ بنت أبي طالب - عن ابن عباس ، عن نعيم الدارى في هذه الآية : (يا أيها الذين آمنوا) ،

(١) تفسير الطبرى ، الأثر ١٢٩٥٦ ، ١١/١٢٧٧ .

(٢) يسن أن طبراً قرأ قراءة ثالثة . ينظر تفسير الطبرى ، الأثر ١٢٩٥٧ ، ١١/١٧٨ . وينظر البحر المحيى ٤٤/٢ .

والغضب لابن جنى : ٢٢١/١ .

(٣) المستدرک . كتاب التفسير ، القراءات ٢/٢٣٧ .

(٤) الموت : أن يشهد شاهد واحد على إقرار المقتول قبل أن يموت أن خلافاً تلقى ، أو يشهد شاهدان على طاعة بينهما ، أو يشهد منه له ، أو نحو ذلك .

شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت) ، قال : بَرَى ناس منها غيры وغير عدى بن بداه ، وكانا نصرانيين ، فخطبا إلى الشام قبل الإسلام ، فأبى الشام لتجارتهما وقدم عليهما مولى لىي سهم ، يقال له : بداه بن أبى مريم ، بتجارة ومعه جام (١) من فضة يريد به الملك ، وهو عظم تجارته : فرض فلوضى لىيها ، وأمرهما أن يعلنا ما ترك أهلهم قال : نعم : فلما مات أخذنا ذلك الجام ، فبناه بألف درهم ، ثم اقتسمناه أنا وعدى بن بداه . فلما قدمنا إلى أهلنا فخطبا إليهم ما كان معنا ، وقتلوا (٢) الجام فسالونا عنه ، قلنا : ما ترك غير هذا ، وما دفع لىينا غيره . قال نعم : فلما أسلمت بعد قدوم اتى صلى الله عليه عليه وسلم المدينة ، تأتت (٣) من ذلك ، فأبى أهلنا فاعتبرهم الخبر ، ودفعت إليهم خمسمائة درهم ، وأنشروهم أن عند صاحبى مثله فوثقوا إليه ، أن يستحقوه بما يعتظم به على أهل دينه : فخطف فأزول الله : (يا أبى الذين آمنوا شهادة بينكم) إلى قوله : (فقيسان بالله لشهادتنا أشق من شهادتهما) . فقام عمرو بن العاص ورجل آخر منهم فحلفا ، فنزعت الخصمالة من عدى بن بداه .

وهكذا رواه أبو حمزة (٤) الترمذى وابن جرير كلامهما عن الحسن بن أحمد بن أبى شعيبه الحرانى ، عن محمد بن سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، به فذكره . وعنه : « فأبى به رسول (٥) الله صلى الله عليه وسلم فأسلم المدينة ، فلم يجدوا ، فأمرهم أن يستحقوه بما يعتظم به على أهل دينه ، فخطف فأزول الله : (يا أبى الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت) إلى قوله : (فقيسان بالله لشهادتنا أشق من شهادتهما) ، فقام عمرو بن العاص ورجل آخر ، فحلفا . فنزعت الخصمالة من عدى بن بداه »

ثم قال : هذا حديث غريب ، وليس إسناده بصحيح ، وأبو النضر الذى روى عنه محمد بن إسحاق هذا الحديث هو عدى بن محمد بن السائب الكلبي ، يكنى أبى النضر ، وقد تركه أهل العلم بالحديث ، وهو صاحب التفسير ، سمى محمد بن إسماعيل بقوله محمد بن السائب الكلبي ، يكنى أبى النضر ، ثم قال : ولا نعرف لسلم أبى النضر رواية عن أبى صالح مولى لم حاف ، وقد روى عن ابن عباس شئ من هذا على الاختصار من غير هذا الوجه :

حدثنا سفيان بن وكيع ، حدثنا يحيى بن آدم ، عن ابن أبى زائدة ، عن محمد بن أبى القاسم ، عن عبد الملك بن سعيد بن جبيرة ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : خرج رجل من بيني سهم مع نعيم الداروى وعدى بن بداه ، فأتا السهمى بأرض ليس بها سلم ، فلما قدما بركه قدما جكأ من فضة مَحْزُومًا (٦) بالذهب ، فأعطاهما رسول الله صلى الله

(١) الجاه : إياه . وعظم : بضم العين للمهلة وسكون اللام المحجمة - لى : معتم أموال تجارتهم هذا الإثناء ، أى أنه كان أنفها .

(٢) أى : قد أهل بيل الجاه المذكور ولم يحطه في متاعه .

(٣) تأتت : خرجت .

(٤) شقة الأحوص ، تفسير سورة المائدة : ٤٢٧/٨ - ٤٢٧ . وتفسير الطبري ، الأثر ١٢٩٦٧ : ١٨٦/١١ : ١٨٧ .

(٥) الزيادة مكانها به قوله : « فوثقوا إليه » فأبى به رسول الله .

(٦) أى : متروك فيه خطوط دقائق طوال كالنوس .

عليه وسلم ، ووجدوا (١) الجاه بمكة ، قليل : اشتريته من نعيم وعدي : قدام رجلا من أولياء السهمي فطلقا بالله لشهادتنا لحن من شهادتهما ، وإن الجاه يصالحهم : وفيهم قول : (يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم) ٢١ .

وكذا رواه أبو داود (٢) ، عن الحسن بن علي : عن يحيى بن آدم : به . ثم قال الرملي : هذا حديث حسن غريب ، وهو حديث ابن أبي زائدة .

ومحمد بن أبي القاسم ، كوفي ، قليل : إنه صالح الحديث : وقد ذكر هذه القصة مرسله غير واحد من التابعين ، منهم : عكرمة ، ومحمد بن سيرين ، وقتادة . وذكروا أن التحليف كان بعد صلاة العصر ، رواه ابن جرير . وكذا ذكرها مرسله : مجاهد ، والحسن ، والفضال ، وهذا يدل على اشتغالها في السلف وصحتها .

ومن الشواهد لصحة هذه القصة أيضا ما رواه أبو جعفر بن جرير :

حدثني يعقوب حدثنا هشيم ، أنبأنا زكريا ، عن الشعبي : أن رجلا من المسلمين حضره الوفاة بكوفة (٣) ، قال : لحضرته الوفاة ولم يجد أحدا من المسلمين يشهده على وصيته ، فأشهد رجلين من أهل الكتاب . قال : قلتما الكوفة . فأتيا الأشمري - يعني أبا موسى الأشمري رضي الله عنه - فأنجزه ، وقبلما يتركه ووصيته ، فقال الأشمري : هذا أمر لم يكن بعد الذي كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم : قال : فأنقضها بعد العصر : والله ما خلت ولا كملت ولا بد ولا كفا ولا غيرا ، وإنما لوصية الرجل وتركه : قال : فأنقض شهادتهما (٤) .

ثم رواه عن عمرو بن علي الفلاس ، عن أبي داود الطيالسي ، عن شعبة ، عن مغيرة الأزرق ، عن الشعبي : أن أبا موسى قضى بالخوف (٥) .

وهذان إسنادان صحيحان إلى الشعبي ، عن أبي موسى الأشمري .

فقوله : « هذا أمر لم يكن بعد الذي كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم » الظاهر - والله أعلم - أنه إنما أراد بذلك قصة نعيم وعدي بن بكاء ، وقد ذكروا أن إسلام نعيم بن أوس البجلي رضي الله عنه كان في سنة تسع من الهجرة (٦) ، قبل هذا يكون هذا الحكم متغيرا ، عجيب مدعي نسبه إلى دليل فاصل في هذا المقام ، والله أعلم .

وقال أسباط ، عن السدي (يا أيها الذين آمنوا) : شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حيث الوصية اثنتان فواحد منكم) ، قال : هذا في الوصية عند الموت ، يوصي ويشهد رجلين من المسلمين حل ماله وما عليه ، قال : هذا في

(١) لفظ الرملي : « ثم وجدوا ... » .

(٢) نسخة الأحرشي : تفسير سورة المائدة : ٤٣٢/٨ : ٤٣٤ .

(٣) سنن أبي داود ، كتاب الأقبية ، باب شهادة أهل الكوفة ، الحديث ٣٩٠٦ : ٢٠٩/٢ : ٣٠٨ .

هذا وقد أخرجه البخاري هذا الحديث في كتاب الوصايا ، باب قول الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا) : شهادة بينكم ...) .

١٦/٤ عن علي بن عبد الله ، عن يحيى بن آدم : به .

(٤) نقول : ودقته : مائة بين لعل ويخلد .

(٥) تفسير الطبري : الأثر ١٢٩٢٦ : ١٦٥/١١ : والأثر ١٢٩٤٨ : ١٧٤/١١ .

(٦) تفسير الطبري : الأثر ١٢٩٢٧ : ١٦٥/١١ .

(٧) لمد الثانية : ٢٥٩/١ : بصحيفة .

لحضر - (أو أكثر من غيركم) في السفر - (إن أنتم ضريتم في الأرض فأصابكم مصيبة الموت) « هذا الرجل يهلكه (الموت) في سفره ، وليس يضربه أحد من المسلمين ، فيلحق رجلين من اليهود والنصارى والمجوس ، فيوصي إليهما ، ويبلغ إليهما ميراثه ، فيقبلان به ، فان رضى أهل الميت الوصية وعرفوا تركوا الرجلين : وإن ارتابوا دفعواهما إلى السلطان ، فذلك قوله تعالى : (نحبسهما من بعد الصلاة فيسلمان بالله إن لربنم) » قال عبد الله بن عباس : كأنني أنظر إلى المسلمين (١) حين انتهى بها إلى أبي موسى الأشعري في داره ، ففتح الصحيفة ، فانكر أهل الميت ونحوتهما ، فأراد أبو موسى أن يستحلفها بعد العصر ، فقلت له : إنها لا يزالان صلاة العصر ، ولكن استحلفها بعد صلاتها في دينها ، فيسوّق الرجلان بعد صلاتها في دينها ، فيحلفان : بالله لا نشتري به ثمناً قليلاً ولو كان ذا قرين ، ولا نكتم شهادة الله إذا دنا من الأكابر ، أن صلحهم ليهذا أوصى ، وأن هذه لركته ، فيقول لها الإمام قبل أن يحلفا : إني كما أن كنتم أو غشيتا فضحتكما في قومكما ، ولم تجز لكما شهادة ، وعاقبتكما ، فإذا قال لها ذلك ، فإن ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجوهها (٢) .

رواه ابن جرير .

وقال ابن جرير : حدثنا المسبح ، حدثنا هشيم ، أخبرنا مقبرة ، عن إبراهيم وسعيد بن جبر : أنها قالت في هذه الآية : (يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم) « الآية ، قال : إذا حضر الرجل الوفاة في سفر ، فليشهد رجلين من المسلمين ، فإن لم يجد رجلين من المسلمين فرجلين من أهل الكتاب فإذا قلما يركته ، فإن صدقها الورثة قبل قولها ، وإن اتهموها أحلفا بعد صلاة العصر : بالله ما كنتم ولا كلبنا ولا غشيتا ولا غيرنا (٣) .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، في تفسير هذه الآية : (إن لربيت في شهادتها استحلفا بعد الصلاة بالله : ما اشترينا بشهادتنا ثمناً قليلاً ، قال أطلع الأولياء على أن الكافرين كلبا في شهادتها ، قام رجلان من الأولياء فحلفا بالله : إن شهادة الكافرين باطلة ، وإن لم نعد ، وذلك قوله : (فإن حشر على أنها استنحاً لئلاً) ، يقول : إن أطلع على أن الكافرين كلبا (فانصرفا يقومان مقامهما) ، يقول : من الأولياء ، فحلفا بالله : إن شهادة الكافرين باطلة ، وإن لم نعد ، فرد شهادة الكافرين ، ونحو شهادة الأولياء (٤) .

وهكذا روى العوفي ، عن ابن عباس (٥) ورواهما ابن جرير .

وهكذا قرّر هذا الحكم على مقتضى هذه الآية غير واحد من أئمة التبيين والسلف ، ورضي الله عنهم ، وهو مذهب الإمام أحمد رحمه الله ،

وقوله : (ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجوهها) ، أي : شرعية هذا الحكم على هذا الوجه المرضي لـ من تحليف الشاهدين للمسيح [قد] استريبهما ، أقرب إلى إقامتهما الشهادة على الوجه المرضي .

(١) الباج - بكر مسكون - : الرجل من كبار السجم .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٢٩٤٥ : ١٧٥/١١ : ١٧٦ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٢٩٥٢ : ١٧٥/١١ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٢٩٦١ : ١٨١/١١ .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر ١٢٩٦٣ : ١٨٢/١١ .

وقوله : (أَوْ يَخْتَلُوا أَن يُرَدَّ آيَاتُ هَذَا أَوْ يَحْمِلُوا أَمْرًا بِهِمْ أُتِيَ كُتُبًا قَبْلَهُمْ) ، أى يكون الحامل لهم على الإتيان بالشهادة على وجهها ، وهو تنظيم الخلف بالله ومرضاه جانيه وإبلاغه ، والكوف من القضيحة بين الناس إذا ردت اليدين على الورقة ، فيظنون أنهم يفتنون مايدعون . ولهذا قال : (أَوْ يَخْتَلُوا أَن يُرَدَّ آيَاتُ هَذَا أَوْ يَحْمِلُوا أَمْرًا بِهِمْ أُتِيَ كُتُبًا قَبْلَهُمْ) .

ثم قال: (واتقوا الله)، أي في جميع أموركم (ومسعوا)، أي: وأطيعوا (والله لا يهدي القوم الظالمين)، أي: الخارجين عن طاعته ومطابقة شريعته.

• يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمْ^ط قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿٥٠﴾

هَذَا اخِيارُ عَمَّا غَاطِبَ اللهُ بِهِ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، عَمَّا اخْبَرُوا بِهِ مِنْ أَفْهَمِ الَّذِينَ ارْتَضَاهُمُ اللَّهُ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : (فَتَنْتَهِنَ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنْتَأْتِيَ الْمُرْسَلِينَ) (١) وَقَالَ تَعَالَى : (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِمَا يُعْمَلُونَ) (٢) وَتَقُولُ الْمَرْسَلُ : (لَأَعْلَمُ لَكُمْ) ، قَالَ مُجَاهِدٌ ، وَالْحَسَنُ الْبَصَرِيُّ ، وَالسُّدِّيُّ : إِذَا قَالُوا ذَلِكَ مِنْ هَوْلِ ذَلِكَ الْيَوْمِ (٣) . قَالَ حَبِيبُ الرَّزَاقِ ، مِنْ الثَّوْرِيِّ ، مِنْ الْأَعْمَشِ ، مِنْ مُجَاهِدٍ : (يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الْمُرْسَلِينَ يَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمْ) فَيُفْرَحُونَ بِمَقُولِهِمْ (٤) (لَأَعْلَمُ لَكُمْ) رَوَاهُ ابْنُ جُرَيْجٍ (٥) وَإِبْنُ أَبِي حَاتِمٍ .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا حكام ، حدثنا عتبة قال : سمعت شيباً يقول : سمعت الحسن يقول في قوله (يوم يجمع الله الرسل) . . الآية ، قال : من حول ذلك اليوم (٣) .

وقال أنسب ، عن السدي : (يرمي بجمع الله الرسل فيقول ماذا أحبهم قالوا لا أعلم لنا) ، فذلك ؛ أنهم قرأوا متزلاً دخلت فيه العقول ، فلما استلوا قالوا : (لا أعلم لنا) ، ثم قرأوا متزلاً آخر ، فنهضوا على قلوبهم .

رواه ابن جریر (۴).

ثم قال ابن جرير : حدثنا القاسم ، حدثنا الحسين ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج قوله : (يوم يجمع الله الرسل فيقول ما أنا أجيب) ، ما أنا عملوا بهدكم ؟ وما أنا أخذوا بهدكم ؟ قالوا : (لآلهم لنا إنك أنت علام الغيوب) (٥) .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : (يرد يجمع الله الرسل فيقول ماذا أنجيت قالوا لا أعلم لنا إنك أنت حليم الغيوب) ، يقولون الرب عز وجل : لا أعلم لنا ، لا أعلم أنا أعلم أهل بيتي (١) .

رواه ابن جرير . ثم اختاره على هذه الأقوال الثلاثة : ولا شك أنه قول حسن ، وهو من باب التأنيب مع الرعية
مخزوم ، أي : لا علم لنا بالنسبة إلى علمك الخفي بكل شيء ، ضمن وإن كنا قد أجبتا وعرفنا من أجابنا ، ولكن منهم

(١) الأعراف، آية ٦.

(٢) الحبر، آية: ٩٢، ٩٣.

(٢) قصر الجدي ، الأثر ١٢٩٨٨-١٢٩٨٦ : ٢١٠/١١ .

(٤) قسم الطرق ، الأثر ١٢٩٨٩ : ٢١١/١١ .

(٥) قصر الطيرى ، الأثر ١٣٩٩١ : ٢١١/١١ .

(٦) قسم الطير، الأثر، ١٢٩٩: ٢١١/١١.

من كان ذا فطن فطن على ظاهره ، لا علم لنا بباطنه ، وأنت العليم بكل شيء ، المطلع على كل شيء : ففهمنا بالنسبة إلى علمك
كلنا علم ، فإلك (أنت علام الغيوب) ،

إِذْ قَالَ اللَّهُ يَحْيَى ابْنُ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آبَدَتِكَ إِذْ أَبَدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ نَحْنَمُ الْإِنْسَ فِي
الْمَهْدِ وَكَهْنًا وَإِذْ عَلَّمْنَا الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالنُّورَ وَالْإِيمَانَ وَإِذْ تَخَفْتَ مِنَ الْإِطْعَامِ كَهْمَةً الطَّيْرِ
بِإِذْنِي فَتَنَعَجَ فِيهَا فَتَكُونُ طَعْمًا بِإِذْنِي وَتَبْرَأُ الْأَعْمَى وَالْأَبْرَصُ بِإِذْنِي وَإِذْ تَخْرُجُ الْمَوْتُ بِإِذْنِي وَإِذْ
كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنَّا هَذَا إِلَّا خَيْمٌ مُبِينٌ ﴿١١١﴾
وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْغُورِيْنَ أَنَّ هَٰؤُلَاءِ بَنِي آدَمَ وَأَقْبَدُ بَنَاتَهُمْ مِلْئُونَ ﴿١١٢﴾

يذكر تلك ما سَمِعَ به على عبده ورسوله عيسى ابن مريم ما أجراه على يديه من المعجزات وغوارق العادات ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ لِمَ بَعَثْتُكَ هَاهُنَا فِي خَلْقِي إِذْكَ مِنْ أَمِّ بَلَا ذَكَرَ ، وَجَعَلِي إِيَّاكَ آيَةً وَدَلَالَةً فَاضْمَعْ عَلَى كَالِ ثَمَرِي عَلَى الْأَشْيَاءِ (وعلى الذنوك) سِبْ جَعَلْتُكَ لَهَا بَرَهَانًا عَلَى بَرَاهِنِهَا مَا نَسِبَهُ الظَّالِمُونَ الْجَاهِلُونَ إِلَيْهَا مِنْ الْقَاسِحَةِ ، (إِذْ أَبْلُغْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ) ، وَهُوَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَجَعَلْتُكَ نَبِيًّا دَائِمًا إِلَى اللَّهِ فَتُصَرِّفْ كَرَمَكَ ، فَأَنْطَلِقْتُ فِي الْبَلَدِ صَغِيرًا ، فَهَدَيْتُكَ بِرَهْمَةِ لَدُنْكَ مِنْ كُلِّ صَبَبٍ ، وَاصْطَرَفْتُ لِي بِالْمَعْبُودِيَةِ ، وَتَجَرَّبْتُ مِنْ رَسَائِلِي إِيَّاكَ وَدَعَوْتُكَ إِلَى عِبَادَتِي ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى : (تَكَلَّمَ النَّاسُ فِي الْمَدِينَةِ وَكَلَامًا) ، أَيْ : تَدْعُو إِلَى اللَّهِ النَّاسُ فِي صَفَرِكَ وَكَرَمِكَ ، وَغَضِبَ وَتَكَلَّمَ ، وَنَحْوُ ، لِأَنَّ كَلَامَهُ النَّاسُ فِي كَهَوْلَةٍ لَيْسَ بِأَمْرٍ حَسَبِيٍّ .

وقوله : « وإذ علمتكم الكتاب والحكمة » ، أى : الخط والفهم (والثروة) ، وهى المترلة على موسى بن هرون
الكليم . والله تبارك وتعالى الخبير بما هو أعم من ذلك .

وقوله : ﴿وَالَّذِينَ خَلَقُوا مِنْ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ يُدَافِقُونَ﴾ ، أى : تصوره ونشكله على هيئة الطائر يذوقون له في ذلك فيكون طائرًا يذوق ، أى : يفتتح في تلك الصورة التي شكلها يذوق له في ذلك ، فيكون طيرًا ذا روح لأن الله خلقه ، وقوله : ﴿وَتَرَى الْأَكْمَامَ وَالْأَبْرَصَ يُدْفَعُونَ عَلَى الْأَتْنِ وَالْأَعْنِ﴾ ، فقد تقدم الكلام على ذلك في سورة آل عمران ، هنا أضاف عن إحاطته (١) .

وقوله : ﴿ وَافْخُجْ لِرَبِّكَ الْوَقْدَ ﴾ أي : تلحوم فيقومون من قبورهم يأذن الله وقدره ، وإرادته ومشيته ؛ وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا مالك بن إسماعيل ، حدثنا عبد بن طلحة - يعني ابن مصرف - عن أبي بشر ، عن ليلى اللطيل قال : كان عيسى بن مريم عليه السلام إذا أراد أن يحيي الموتى صلى ركعتين ، يقرأ في الأولى : تبارك الذي بيده الملك ، وفي الثانية : (ألم : تنزيل) السجدة . فإذا فرغ منهما مدح الله وأثنى عليه ، ثم دعا بسبعة أسماء : يا قديم ، يا باقئ ، يا دائم ، يا فرد ، يا قوت ، يا أحد ، يا صمد - وكان إذا أصابته شديدة دعا بسبعة آخر : يا حي ، يا قيوم ، يا الله ، يا رحمن ، يا ذا الجلال والإكرام ، يا نور السموات والأرض وما بينهما ورب العرش العظيم ، يا رب ، وهذا أثر عجيب جدٌ .

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٤٩ . ينظر : ٣٦/٢ .

وقوله : (وإذ كففت بين إسرائيل منك إذ جنتهم بالبنات ، قتال الذين كفروا منهم) إن هذا إلا سحر مبین ، أتى ؛ إذ ذكر نعى عليك في كفي إياهم منك حين جنتهم بالبراهين والحجج القاطعة على نيوئك ورسائلك من الله إليهم ، فكذبوك وأجهلوك بأنك ساحر ، وسعوا في قتلك وعلبك ، فنجيتك منهم ، ورفضك إلى ، وطهرتك من ذنوبهم ، وكفيتهم شرهم ، وهذا يدك على أن هذا الإنسان كان من الله إليه بعد رفضه إلى السماء الدنيا ، أو يكون هذا الإنسان وأما يوم القيامة ، وعبرته بصيغة الماضي دلالة على وقوعه لاعتاة : وهذا من أسرار التوب التي أطلع الله عليها رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم .

وقوله : ﴿ وَإِنَّا أَوْحَيْتُ إِلَى الْخَوَارِجِ أَنَّ تُتَوَلَّوْا بِهِ وَيُرْسَوْا ﴾ ، وهذا أيضاً من الاستئذان عليه ، عليه السلام ، بأن
 يجعل له أصحاباً وأنصاراً ، ثم قيل : لمراد بهذا الوحي وحى إلهاء ، كما قال : ﴿ وَأَوْحَيْتُ إِلَى ثَمَرِمْسَى أَنْ أَوْضِعْهُ ﴾^(١)
 الآية ، وهذا وحى إلهام بلاخوف ، وكما قال تعالى : ﴿ وَأَوْحَى رَبُّهُ إِلَى النَّحْلِ أَنْ امْكُتِي مِنَ الْجِبَالِ يَوْمَئِذٍ وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا
 يَرْمُونَ ، ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَتَكُونِ سَيْبِلَ رَبِّكِ خَالِئَةً ﴾^(٢) الآية . وهكذا قال بعض السلف في هذه الآية :
 ﴿ وَإِنَّا أَوْحَيْتُ إِلَى الْخَوَارِجِ أَنَّ تُتَوَلَّوْا بِهِ وَيُرْسَوْا ﴾ قالوا : أمنا ، وشهدنا بأننا ممنون . أى : آمناوا ذلك فاستولوا فلما

قال الحسن البصري : أَلَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ وَجَلٍ ذَلِكَ ؟

وقال السلي : قلبك في قلوبهم ذاك :

ويعمل أن يكون المراد : وإذ أوجبت إليهم يومئذ ملكة ، فدعوتهم إلى الإيمان بالله وبرسوله ، واستجابوا لك وانقادوا
وتابعوك ، فقالوا (آتينا بالله واشهد بأنتا مسلمون) :

لَإِنَّمَا قَالَ الْخَوَارِجُ وَنَجَّيْنِي أَيْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُزِيلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ أَنفِقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٠﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَنَطْمِئَن قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنَّكَ صَدَقْتَ وَتَكُونُ عَلَيْنَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١١﴾ قَالَ عِيسَى أَيْنَ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَوَّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٢﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مَرْفَعُكَ عَنْ سَقَرِكَ ثُمَّ يُنْفِخُ بِمِثْقَلِ ذَرَّةٍ فِي أُطُرٍ عَلَاءًا لَا أُطْعِمُ لِعُلَمَاءٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٣﴾

هذه قصة الثلاثة ، وإليها تسب السورة بهذا : (سورة الثلاثة) : وهي لما أمد الله به على عبده ورسوله موسى عليه السلام لما أجاب دعاه بتوبوا ، فأمرنا الله آية ودلالة معجزة بأمره وحجة قاطعة ،

وقد ذكر بعض الأئمة أن قصة الثلاثة ليست مذكورة في الإنجيل ، ولا يعرفها النصارى إلا من المسلمين ، فلهذا أحرم

(۱) التمسك بالآية : ۷ .

(۲) فصل، آية و ۱۵.

قوله تعالى: (إِذْ قَالَ الْفٰرُوقُ) ، وهم اتباع عيسى عليه السلام : (يا عيسى ابن مريم ، هل يستطيع ربك)
 هذه قراءة كثيرين . وفراء آخرون : (هل تستطيع^(١)) ربك) . أى : هل نستطيع أن نسال ربك وأن يتزل علينا مائدة
 من السماء .

والمائدة هى : الخوان عليه طعام : وذكر بعضهم أنهم إنما سألوا ذلك لحاجتهم وقهرهم ، فسألوا أن يتزل عليهم
 مائدة كل يوم يقتاتون منها . ويضوون لها أكل العبادة .

قال : (اتقوا الله إن كنتم مؤمنين) ، أى : فلجأهم للمسيح عليه السلام فأتاكم : اتقوا الله ، ولا تسألوا هذا ، فساء أن
 يكون منه لكم ا وتوكلوا على الله فى طلب الرزق إن كنتم مؤمنين .

(قالوا : نريد أن نأكل منها) ، أى : نحن محتجون إلى الأكل منها (وقطعتم قلوبنا) إذا شاهدنا ترومها وزنا لنا
 من السماء (ونعلم أن قد صدقتا) ، أى : وترداد إيماننا بك وعلمنا برسالتك . (ونكون عليها من الشاهدين) ، أى :
 ونشهد أنها آية من عند الله . ودلالة وحجة على نبوتك وصدق ما جئت به .

(قال عيسى ابن مريم : اللهم ربنا ، أتزل علينا مائدة من السماء ، تكون لنا حيلة لأولنا وآخرنا) .

قال السدى : أى تتخذ ذلك اليوم الذى تزلت فيه حيلة تتعلمه نحن ومن بعدنا .

وقال سفيان الثوري : يعنى يوماً نصل فيه .

وقال قتادة : لو اعدوا أن يكون ليعيهم من بعدهم .

وعن سلمان الفارسي : عظة لنا ولبن بعدنا .

وليل : كناية لأولنا وآخرنا .

(وآبائكم) ، أى : حلياً تصب على قدرتك على الأشياء ، وعلى إيجابتك دعوى ، فيصدقون بها أبائهم منك (ولو زنا)
 أى : من عندك وزناً حقيقاً بلا كلفة ولا تعب (وأتت غير الفارقين . قال الله : إلى منزلنا عليكم فن يكفر بعد منكم) ، أى :
 فن كلب بها من لطفك يا عيسى ، وعاندها (فإن أعطيها طلباً لا أحلبه لسعداً من المألوفين) ، أى : من على زمانكم ،
 كقولهم : (ويوم القيامة أدخلوا آل فرعون أشدّ تحلباً^(٢)) . وقوله : (إن المتقين فى الدرك الأسفل من النار)^(٣) .

وقد روى ابن جرير ، من طريق صوف الأحرابي ، عن أبي المنيرة القنوس ، عن عبد الله بن عمرو قال : إن أشد
 الناس حلياً يوم القيامة ثلاث : المتأقون ، ومن كفر من أصحاب المائدة ، وآل فرعون^(٤) .

(١) رواه الطبري عن سفيان بن جبير . ينظر الأثر ١٢٩٩ : ٢١٩/١١ .

وقال أبو حيان فى البحر المحيط ٥٤/٤ : « وفراء الكسالى : (هل تستطيع ربك) بالفتح من فوق ، (ربك) بتعصب
 إليه وحى . قراءة حل ، ومغلا ، وابن جيس ، وحاشة وابن جبير ... وصلى هذه القراءة : هل تستطيع سؤال ربك
 وأن يتزل : معول لواء علوف ، إذ هو حلف لا يتم للمضى إلا به » .

(٢) غافر : آية : ٤٦ ..

(٣) النساء : آية : ١٤٥ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٣ : ٢٥ : ٢٢٢/١١ .

[ذكر أخبار رويت عن السلف في نزول المائدة على الحواريين]

قال أبو جعفر بن جرير : حدثنا القاسم ، حدثنا الحسين ، حدثني حجاج ، عن ليث ، عن عقيل ، عن ابن عباس : أنه كان يحدث عن عيسى ابن مريم أنه قال لبي إسرائيل ، هل لكم أن تصوموا لله ثلاثين يوماً ، ثم نسأله فيعطيك ما سألت ؟ فإن أجر العامل على من عمل له : فعلوا ، ثم قالوا : يا معلم الخير ، قلت لنا : إن أجر العامل على من عمل له وأمرتنا أن نصوم ثلاثين يوماً ، ففعلنا ، ولم تكن تعمل لأحد ثلاثين يوماً إلا أخذتنا حين نقترب طعاماً . فهل يستطيع ربك أن يترك علينا مائدة من السماء ؟ قال عيسى : (اتقوا الله إن كرم مؤمنين) . قالوا : نريد أن نأكل منها ونطمئن قلوبنا ، ولعل أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين . قال عيسى ابن مريم : اللهم ربنا ، أنزل علينا مائدة من السماء ، تكون لنا عيداً لأولئنا وآخرنا ، وآية منك ، ولزقنا وأنت خير الزايقين . قال الله : إني مترطاً عليكم . فن يكثر بعد منكم فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من الملائكة . قال : فأقبلت الملائكة تطير بمائدة من السماء ، عليها سبعة أسحوات وسبعة أرغفة ، حتى وضعتها بين أيديهم ، فأكل منها آخر الناس كما أكل منها أولهم (١) .

كذا رواه ابن جرير : ورواه ابن أبي حاتم ، عن يونس بن عبد الأعلى ، عن ابن وهب ، عن الليث ، عن عقيل ، عن ابن شهاب ، قال : كان ابن عباس يملئ ، فذكر نحوه .

وقال ابن أبي حاتم أيضاً : حدثنا سعد بن عبد الله بن عبد الحكم ، حدثنا أبو زرعة وهيب الله بن راشد ، حدثنا عقيل ابن خالد ، أن ابن شهاب أخبره عن ابن عباس ، أن عيسى ابن مريم قالوا له : ادع الله أن يزل علينا مائدة من السماء ، قال : فزلت الملائكة بمائدة يحملونها ، عليها سبعة أسحوات ، وسبعة أرغفة ، فأكل منها آخر الناس كما أكل منها أولهم ،

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا الحسن بن قزعة الباهلي (٢) ، حدثنا سفيان بن حبيب ، حدثنا سعيد بن أبي هريرة ، عن قتادة ، عن غلاس ، عن عمر بن ياسر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أنزلت المائدة من السماء ، عليها خبز ولحم ، وأمروا أن لا يخزنوا ولا يرفضوا لئلا يفسدوا ، فذائقوا وادخروا ورفضوا ، ففسدوا قردة وخنزير .

وكذا رواه ابن جرير ، عن الحسن بن قزعة (٣) : ثم رواه ابن جرير ، عن ابن بشر ، عن ابن أبي حنيفة ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن غلاس ، عن عمر ، قال : أنزلت المائدة وعليها ثمر من ثمار الجنة ، فأمروا أن لا يخزنوا ولا يخشوا ولا يدخروا ، قال : فذائقوا الأثوم وخبثوا وادخروا ، ففسد لهم قردة وخنزير (٤) .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن (٥) اللقي ، حدثنا عبد الأعلى ، حدثنا داود ، عن سيالك بن حرب ، عن رجل مع بني عجل ، قال : صليت إلى جنب عمارة بن ياسر ، فلما فرغ قال : هل تدرى كيف كان شأن مائدة بني إسرائيل ؟

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٢٩٩٥ : ٢٢٢/١١ .

(٢) كذا ، وفي المرح لاين أبي حاتم ٣٤/٢ : « أبو علي البصري » . وفي التهذيب ٢١٦/٢ : « الملقبي » .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٣٠١٢ : ٢٢٨/١١ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٣٠١٤ : ٢٢٩/١١ .

(٥) في تفسير الطبري : « حدثنا اللقي » .

قال قلت : لا : قال : إنهم سألوا عيسى ابن مريم مائدة يكون عليها طعام يأكلون منه لا بقدر : قال : قيل لم : فأبى مقبلة لكم ما لم تختاروا ، أو تفرغوا ، أو تفرغوا ، فإن فطم فإن سلبكم عليها لا أحطه أحد من الملائكة . قال : فما مضى يومهم حتى هبتوا ورموا ونشأوا ، فطعموا عليها لم يطفح أحد من الملائكة : وإنيكم - معشر العرب - كنتم تبيون أذناب الإبل والشاة ، فبنت الله فيكم ومولا من أنفسكم ، تعرفون حسبه ونسبه ، ولتبركم (١) أنكم ستظهرون على الحجج ، ونهاكم أن تكثروا اللحم والفضة . وأن الله لا يلهب الليل والنهار حتى تكثرزوما ، ويطلبكم الله عليها أليماً (٢) .

وقال : حدثنا القاسم ، حدثنا حسين ، حدثني حجاج ، عن أبي معشر ، عن إسحاق بن عبد الله : أن الملائكة نزلت على عيسى ابن مريم ، عليها سبعة أرغفة وسبعة أموات ، يأكلون منها ما شاموا : قال : فسرق بعضهم منها وقال : أعطوا لا تزك غداً ، فرسخت (٣) .

وقال السرق : عن ابن عباس : نزلت على عيسى ابن مريم والمخوليين ، شوان عليه غيرة وسلك ، يأكلون منه أينما أولوا إذا شاموا (٤) .

وقال عصب : عن عكرمة وميشم ، عن ابن عباس : كانت الملائكة سمكة وأرغفة .

وقال جلعاد : هو طعام كان ينزل عليهم حيث نزلوا .

وقال أبو عبد الرحمن السلمي : نزلت الملائكة غيرة وسكاً .

وقال حطية السرق : الملائكة سمك فيه طعم كل شيء .

وقال وهب بن منبه : أنزلوا من السماء على بني إسرائيل ، فكان ينزل عليهم في كل يوم في تلك الملائكة من ثمار الجنة ، فأكلوا ما شاموا من صروب شئ ، فكان ينفخ عليها أرغفة آلاف ، فإذا أكلوا أبدل الله مكان ذلك للثمن ، فلبثوا بذلك ما شاء الله من وجل .

وقال وهب بن منبه : نزل عليهم فرصة من شجر وأحوات ، وحشا الله بين أنصافهم البركة ، فكان قوم يأكلون ثم يخرجون ، ثم يجيء آخرون فيأكلون ثم يخرجون ، حتى أكل جميعهم وانفضوا .

وقال الأعمش ، عن مسلم ، عن سعيد بن جبيرة : أنزل عليها كل شيء إلا اللحم .

وقال سفيان الثوري ، عن عطاء بن الساجي ، عن زاذان وميسرة ، وجبر عن عطاء ، عن ميسرة قال : كانت الملائكة إذا وضعت لبن إسرائيل انتفعت عليهم الأيدي بكل طعام إلا اللحم .

وعن عكرمة : كان غيرة الملائكة من الأرز ، وواه ابن أبي حاتم .

(١) في تفسير الطبري : ولتبركم حل لسان فيكم أنكم ستظهرون حل العرب : ١٢ .

(٢) تفسير الطبري : الأثر ١٣٠١١ : ٢٢٨/١١ .

(٣) تفسير الطبري : الأثر ١٣٠١٠ : ٢٢٨/١١ .

(٤) تفسير الطبري : الأثر ١٣٢٢٦ : ٢٢٧/١١ .

وقال ابن أبي حاتم 1 أخبرنا جعفر بن علي فيا كتب إلى ، حدثنا إسماعيل بن أبي أوفى ، حدثني أبو عبد الله عبد القدوس بن إبراهيم بن عبيد الله بن مرداس العبدي - مولى أبي عبد الله - عن أبيه إبراهيم بن عمر ، عن وهب بن منبه ، عن أبي عثمان الهذلي ، عن سلمان الخير أنه قال 2 : سألت الحلوين عيسى ابن مريم الملقاة ، كره ذلك جداً وقال : انقضا ما رزقكم الله في الأرض ، ولا تسألوا الملائكة من السماء ، فإنها إن نزلت عليكم كانت آية من ربكم ، وإنما حكيت ثمود حين سألوهم نبيهم آية ، فأنابوا بها حتى كان يتوكلهم فيها . فأبوا إلا أن يأتيهم بها ، فلذلك قالوا : (تريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا) 3 الآية 4 .

فلما رأى موسى أن قد أبرأ إلا أن يدعو لهم بها ، قام فألقى عنه الصوف ، ولبس الشعر الأسود ، ووجهه من شعر ، وعباءة من شعر ، وتوضأ واغتسل ، ودخل معبداً فصل ما شاء الله ، فلما قضى صلاته قام قائماً مستقبل القبلة وحشاً قديمه حتى استويا ، فألقى الكتب [بالكعب] وحاذى الأصابع ، ووضع يده اليمنى على اليسرى فوق صدره ، وغض بصره ، وغطاً رأسه خوفاً ، ثم أرسل حينئذ بالكعب ، فما زالت دمعه تسيل على خديه وتقطر من أطراف لحية حتى ابشت الأرض حبيال وجهه من خشوعه ، فلما رأى ذلك دعا الله فقال : ﴿ اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء ﴾ ، فأنزل الله عليهم مائدة حمراء بين غمامتين : غمامة فوقها وغمامة تحتها ، وهم ينظرون إليها في الهواء متفحين في ذلك الساء تهوى إليهم ، وحينئذ ينكس خوفاً للشروط إلى اختفاء الله عليهم - فيها : أنه يندب من يكرهها منهم بعد أنزولها عليها لم يعلبه أحد من الملائك - وهو يدعو الله من مكانه ويقول : اللهم اجعلها رحمة ، إلى أن يجعلها عذاباً ، إلى أن يرضى لكم من حبيب : سألناك فأعطيتني ، إلى أن يجعلنا لك شكرا ، إلى أن تكون بك أنزلنا غضباً وجزاء ، إلى أن يجعلها سلاماً وحافاة ، ولا تجعلها فتنة ومثلة ،

فأزاد اليدهوى استمرت السفرة بين يدي عيسى والحواريين وأصحابه حوله ، يجلبون راحة طيبة لم يجدوا فيها طيباً
والراحة مثلها قط ، وختر عيسى والحواريون قد سجدوا شكراً بما رزقهم من حيث لم يخطرأ ، وأعلم فيه آية عظيمة ذات حجب
وعبرة . وأقبلت اليهود ينظرون فرأوا أمراً عجبياً أورثهم كدّاً وغماً ، ثم انصرفوا يغيظ شديد . وأقبل عيسى والحواريون
وأصحابه حتى جلسوا حول السفرة ، فإذا عليها متدبل منظر . قال عيسى : من أجروا على ما كشف للتدبل من هذه السفرة ،
وأوقتها بنقسه ، وأسمتنا بلاه عند ربّه ؟ فليكشف من هذه الآيّة حتى نراها ، ونحمد ربنا ، ونذكر باسمه ، ونأكل
من رزقه الذى رزقنا : فقال الحواريون : يا ربّ الله وكلّمته ، أنت أولنا بذلك ، وألحقنا بالكشف عنها . فقام عيسى
عليه السلام ، واستأنف وضوءاً جليداً ، ثم دخل صلاه فضلى تلك وكلمات ، ثم بكى [بكاء] طويلاً ، ودعا الله
أن يأذن له فى الكشف عنها ، ويعمل له ولقومه فيها بركة ورزقاً . ثم انصرف فيجلس إلى السفرة وتناول للتدبل ، وقال :
يا سم الله خير الرازقين ، وكشف عن السفرة ، فإذا هو عليها سمكة ضخمة مشوية ، ليس عليها بواصر ، وليس فى
جوفها شوك ، يسيل السمن منها سيلاً : قد نفذ حوالها بقول من كل صنف غير الكراث ، وعند رأسها خل ، وعند
ذنبها ملح ، وحول القبول خمسة أرغفة ، على واحد منها زيتون ، وعلى الآخر تمرات ، وعلى الآخر خمر ، ومائات

قال شيون رأس الخواريين لميى : يا روح الله وكلته ، أمن طعام الدنيا هذا أم من طعام الجنة ؟ فقال : أما أن لكم أن تتبوا بما ترون من الآيات ، وتستهوا عن تغير الملال ؟ ما أنصرفي عليكم أن تعابوا من هبل هذه الآلة ؟ قال

همون : وإله إسرائيل ما أردت بها سوالاً يا ابن الصديقة : فقال عيسى عليه السلام : ليس شيء مما ترون من طعام أجنة ولا من طعام الدنيا ، إنما هو شيء ابتلعه الله في الهواء بالقدره العاليه القادرة : وقال له : كن فكان أسرع من ضربة عين ، فكلوا مما سألتهم باسم الله ، واحمدوا عليه ربكم يملئكم منه ويرزقكم ، فانه بليغ قادر شاكِر .

فقالوا : ياروح الله وكلمته ، إنا نحب أن نربنا آية في هذه الآية : فقال عيسى : سبحان الله ! لما اكفتم بما وُيِّم في هذه الآية حتى تسألوا فيها آية أخرى ؟ ثم أنزل عيسى عليه السلام حل السمكة ، فقال : باسمكة ، عودي بإذن الله حية كما كنت ، فأجابه الله بقدرته ، فاضطربت وحادت بإذن الله حية طرية ، وتكلمت كما كلمت الأسد ، وتورع حينها لما بهبص ، وحادت عليها يوسبرها ، فززع لقوم منها وانفأزوا : فلما رأى عيسى ذلك منهم قال : ماكنم تسألون الآية ، فإذا أراكموها ربكم كرهتموها ؟ ما أنصوني عليكم أن تصاقوا بما تصنعون ! باسمكة ، عودي بإذن الله كما كنت ، فهاجت بإذن الله مشوية كما كانت في خلقها الأول .

فقالوا ليسى : كن أنت ياروح الله الذى تبع الأكل منها ، ثم نحن بعد : فقال عيسى : معاذ الله من ذلك ! يدا بالأكل من طلبها : فلما رأى الحواريون وأصحابهم لمتاع نبيهم منها : خافوا أن يكون ترولاً مسخطة وفي أكلها مأكلة ، فحملوها : فلما رأى ذلك عيسى دعا لما الفقراء والزمنى ، وقال : كلوا من رزق ربكم ، ودعوة ليكن واحمدوا الله الذى أنزلها لكم ، فيكون منهوتها لكم ، وحوتها حل غيركم : وإفحصوا أكلكم باسم الله ، وانصوبوه بحمد الله : ففعلوا ، فأكل منها الكلب وثلاثمائة إنسان بين رجل وامرأة ، يمدون منها كل واحد منهم شبعان بيشاً ، ونظر عيسى والحواريون فإذا ما عليها كهيئة إذ أنزلت من السماء ، لم يتنص منها شيء ، ثم إنها رفعت إلى السماء وهم ينظرون ، فاستنى كل قبر أكل منها ، ويرى كل زمين أكل منها ، فلم يزالوا أغنياء صيحات حتى خرجوا من الدنيا .

ولم الحواريون وأصحابهم الذين أئوا أن يأكلوا منها تلامه ، صالت منها أنفلارهم ، وبقيت حسرتها في قلوبهم إلى يوم اللامت ، قال : فكانت للمائة إذا نزلت بعد ذلك أقبلت بنو إسرائيل إليها من كل مكان يسمون بزاسم بعضهم بعضاً : الأغنياء والفقراء ، والصخر والكبر ، والأصماء والرضى ، يركب بعضهم بعضاً : فلما رأى ذلك جعلها نواب ، تنزل يوماً ولا تنزل يوماً : فظفروا في ذلك أربعين يوماً ، تنزل عليهم غيباً عنداً (١) لرفاع الضمى ، فلا تزال موضوعة يؤكل منها ، حتى إذا قاموا ارتفعت عنهم بإذن الله إلى جو السماء ، وهم ينظرون إلى ظليها في الأرض حتى توارى عنهم .

قال : فأوحى الله إلى نبيه عيسى عليه السلام : أن يجعل رزق للمائة ، ليعتق والفقراء والزمنى (٢) دون الأغنياء من الناس : فلما فعل ذلك لوتاب بها الأغنياء من الناس ، وغضبوا (٣) ذلك ، حتى شكوا فيها في أنفسهم وشكروا فيها الناس ، وأنذروا في أمرها القبح والمنكر ، وأدرك الشيطان منهم حيلته ، وقلعت وصوله في قلوب المترابن ، حتى قالوا ليسى : أخبرنا عن المائة ، ونزولها من السماء أثنى ، فإنه قد لوتاب بها بشر منا كثير ؟ فقال عيسى عليه السلام : ملكتم وإله المسيح : طلبتم للمائة إلى نبيكم أن يظليها لكم إلى ربكم ، فلما أن فعل وأنزلها عليكم رحمة ورزقا ،

(١) قلب في الزيادة : أن تكون كل أسبوع . وفي الحديث : ما تأخذ يوماً . ويصح يوماً .

(٢) الزمنى : جمع زمن ، من الزمالة : وهي الملة .

(٣) غلب الغلبة - كسح وضرب - : وطردها ولم يشكرها وحقرها .

ولراكم فيها الآيات والمعجزات كنتم بها ، وشككنم فيها ، فأبشروا بالعذاب ، فإنه نزل بكم إلا أن يرحمكم الله وأن يحسب الله إلى عيسى ، إن أخذ للكافرين بشرط ، فإني معذبهم من كفر بلائكة بعد نزولها علياً لا أحلبه لحماً من الطلح ، قال : فلما أسس المراتبون بها ونزلوا مضاجعهم في أحسن صورة مع لباسهم أمتيت ، فلما كان في كثر الليل مسحهم الله خنازير ، فأصبحوا يجرئون الأعداء في الكنائس .

هذا أثر غريب جداً ، قطعته ابن أبي حاتم في مواضع من هذه القصة ، وقد جمعت أنا له ليكون مباحاً أم وأكل ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

وكمل هذه الآثار دالة على أن لئلا نزلت على بني إسرائيل ، أيام عيسى ابن مريم ، إجابة من الله لدعوته ، وكما ذكره في ذلك ظاهر هذا السياق من القرآن العظيم : (قال الله إني مترقا عليكم) الآية .

وقد ذكره قالون : إنها لم تترك ، فروى ليث بن أبي سليم ، عن مجاهد في قوله : (أنزل علينا مائدة من السماء) ، قال : هو مثل ضربته ، ولم يترك في (١) .

رواه ابن أبي حاتم ، وابن جرير .

ثم قال ابن جرير : حدثني للحارث ، حدثنا القاسم - هو ابن سلام - حدثنا حجاج ، عن ابن جرير ، عن مجاهد ، قال : مائدة عليها طعام ، أبرزها جبرئيل عرض عليهم المائدة إن كفروا ، فأبوا أن تتنزل عليهم (٢) .

وقال أيضاً : حدثنا ابن المنذر ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن منصور بن زاذان ، عن الحسن ، أنه قال في المائدة : لم تترك (٣) .

وحدثنا بشر ، حدثنا يزيد ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : كان الحسن يقول : لا قيل لم : (فمن ينكر بعد منكم فإني أحلبه علياً لا أحلبه أحداً من الطلح) ، قالوا : لا حاجة لنا فيها ، فلم تترك (٤) .

وحده أماليه صحيحة إلى مجاهد والحسن ، وقد يقوى ذلك بأن خبر المائدة لا تعرفه التصاريح وليس هو في كتابهم ، ولو كانت قد نزلت لكان ذلك مما يجرى التواصي على نقله ، وكان يكون موجوداً في كتابهم متواتراً ، ولا أقل من الآحاد ، والله أعلم . ولكن [الذي عليه] الجمهور أنها نزلت ، وهو الذي اختاره ابن جرير ، قال : لأنه تعالى أنزلها بقوله

(١) تفسير الطبري ، الآثار ١٩-١٣٠ و ١١/٢٣٢-٢٣١ .

(٢) تفسير الطبري ، الآثار ٢٢-١٣٠ و ١١/٢٣١ .

(٣) تفسير الطبري ، الآثار ٢١-١٣٠ و ١١/٢٣١ .

(٤) تفسير الطبري ، الآثار ٢٥-١٣٠ و ١١/٢٣١ .

تعالى : (إله متوا عليكم ، فمن يكسر يد منكم فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالم) قال : ووعده الله ووعده حق وصدق : ١٠

وهذا القول هو - والله أعلم - انصواب ، كما دلت عليه الأخبار والآثار من السلف وغيرهم ، وقد ذكر أهل التاريخ أن موسى بن نصير غالب بين أمية في فروع بلاد المغرب ، وجد للمائدة هناك مرصعة باللكم وأنواع الجواهر ، فبعث بها ابن أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك . باني جامع دمشق ، فأتى وهي في الطريق ، فحملت إلى أخيه سليمان بن عبد الملك الخليفة بعده ، فرأها الناس وتمجّبوا منها كثيراً لا فيها من الياقوت النفيسة والجواهر القيمة ، ويقال : إن هذه للمائدة كانت لسليمان بن داود عليها السلام ، فآفقه أعلم .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، عن هروان بن الحكم ، عن ابن عباس قال : قالت قريش للنبي صلى الله عليه وسلم : ادع لنا ربك ، أن يجعل لنا الصفا ذهباً ونؤمن بك ؟ قال : وتضعون ؟ قالوا : نعم . قال : ففدا ، فأتاه جبريل فقال : إن ربك يقرأ عليك السلام ، ويقول لك : إن شئت أصبح لم الصفا ذهباً ، فن كثر منهم بعد ذلك عذبة عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين ، وإن شئت ففدت لم باب التوبة والرحمة ؟ قال : بل باب الشهوة والرحمة (١٢) .

ثم رواه أحمد ، وابن مردويه ، والحاكم في مستدركه ، من حديث سفيان الثوري ، به .

وَأَذَّكَ قَالَ اللَّهُ يَسْمَعُ ابْنُ مَرْيَمَ أَنَّ قُلْتَ لِلنَّاسِ الْخَيْرُ وَأَيُّ النَّهْيِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سَخَّرْتُكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَتُكَلِّمَ مَالِيسَ لِي يَحْيَىٰ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١١﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا مَرَّ بِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مِمَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٢﴾ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَلَهُمْ عَذَابُهُمْ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الْحَكِيمُ ﴿١١٣﴾

هذا أيضاً لما خاطب الله تعالى به عبده ورسوله عيسى ابن مريم عليه السلام ، قائلا له يوم القيامة بحضرة من انقله

(١) وهذا القول هو الأقرب إلى ظاهر الآية ، وقولهم : إن الخواصين لما تخدمهم الله بالعذاب إن هم كفروا به إنزالها ، قالوا : لا حاجة لنا فيها ، كلام يعوزه هليل .

هذا ويقضي أن فيه إلى أنه لا دلائل في ظاهر القرآن إلا حل أن الخواصين سألو إنزال مائدة من السماء ، وأن الله قد أجابهم إلى ذلك ، وحدهم بالعذاب الشديد إنهم كفروا به بتحقيق هذه الرغبة . لما وصف هذه المائدة ، وما كان عليها ، وكيفية نزولها ، وحدهم من أكلوا منها ، وكمر مرة نزلت ، فلم يمرض له القرآن بصريح ولا تلويح . والأول الاختصار على ما ورد في الكتاب العزيز ، وما ثبت في السنة الصحيحة .

(٢) مستأخذ : ٢٤٢/١ .

ولم يلبس من دون الله : (يا عيسى ابن مريم ، أنت قلت الناس : انخلوني وأني لبلغ من دون الله) ؟ وهذا تهديد بالتصلي وتوبيخ وتزجيج على رموس الأتجاه . هكذا قاله كنده وغيره ، واستدل فتاة على ذلك بقوله تعالى : (هذا يوم نضع للصائغين صلبهم) :

وقال السدي : هذا الخطاب والجواب في الدنيا :

قال ابن جرير : وهذا هو الصواب ، وكان حين رفعه الله إلى مياه الدنيا : وصح ابن جرير على ذلك بمعني :

أحدما : أن لفظ الكلام لفظ للنبي :

والثاني : قوله : (إن تعلمهم) و (إن تقرر لهم) (١) .

وهذان الدليلان فيهما نظر ، لأن كثيراً من امور يوم القيامة ذكر باللفظ للنبي ، ليدل على الوقوع واليقين : ومن قوله : (إن تعلمهم فانهم يحادق) ... الآية : التبري منهم ورود للنبي فيهم إلى الله ، وتعين ذلك على الشرط لا يقتضي وقوعه ، كما في تعلق ذلك من الآيات :

والذي قاله كنده وغيره هو الظاهر ، والله أعلم : أن ذلك كائن يوم القيامة ، ليدل على تهديد التصلي وتوبيخهم رموس الأتجاه يوم القيامة . وقد روى بذلك حديث مرفوع ، رواه الحافظ ابن حبان في ترجمة أبي عبد الله ، مولى عمر بن عبد العزيز ، وكان ثقة ، قال : سمعت أبا هريرة يحدث عمر بن عبد العزيز ، عن أبيه أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا كان يوم القيامة دعي بالأنبياء وأئمتهم ، ثم يدعى يحيى فيذكره الله تسمته عليه ، فيقر بها ، فيقول : (يا عيسى ابن مريم ، اذكر نعمتي عليك وعلى والدك) » الآية ثم يقول : (أنت قلت الناس : انخلوني وأني لبلغ من دون الله) ؟ فينكر أن يكون قال ذلك ، فيؤتى بالتصلي فيسألون ، فيقولون : نعم ، مو لم نأمرنا بذلك . قال : فيطول شعر عيسى عليه السلام . فيأخذ كل ملك من الملائكة بشرة من شعر ولحمه وجسده ، فيجانبهم بين يدي الله عز وجل مقفلة ألف حلق . حتى ترفع عليهم الحسبة ، ويؤلف لهم الصليب ، وينطق بهم إلى النار .

وهذا حديث غريب عزيز .

وقوله : (سبحانه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق) هذا توفيق للتأديب في الجواب الكامل ، كما قال ابن أبي حاتم :

(١) قال ابن جرير في المصنف : لم يلقه الله ، أو المائدة الثالثة ١١/٢٢٦ . أن عيسى لم يشك هو ولا أحد من الأنبياء ، أن الله لا يغير لشرك ما كان عليه ، فيجوز أن يتوهم على موسى أن يقول في الآية : يا رب تعال ذكره . إن تعلم من انخل وأني لبلغ من دون الله ، وأن تقرر لهم ، وأن تقرر لهم فذلك أنت العزيز الحكيم .

حدثنا ابن أبي هريرة، حدثنا سفيان، عن عمرو، عن طلوس، عن أبي هريرة قال: بقي عيسى حجته، وقلناه (١) الله في قوله: (وإذ قال الله: يا عيسى ابن مريم، أأنت قلت للناس: اتخذوني وأبي إلهين من دون الله)؟ قال أبو هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم: (فقداه الله: سبحانه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق) (٢) إلى آخر الآية. وقد رواه الثوري، عن معمر، عن ابن طلوس، عن طلوس، بنحوه.

وقوله: (إن كنت قلت قد علمته)، أي: إن كان صدق من هذا فقد علمته بأوبى، فإنه لا يخفى عليك شيء مما قلته ولا أودعته في نفسي (ولا أضمرته: ولملأ قال: (تعلم ما في نفسي) ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب. ما قلت لم إلا ما أمرني به) بإبلاغه (أن أعبدا الله ربهم وربكم) (أي: ما دعوتهم إلا إلى الله الذي أرسلني به وأمرني بإبلاغه: (أن أعبدا الله ربهم وربكم) (أي: أي: هذا هو الذي قلت لهم، (وكتب عليهم شهيدا ما دمت فيهم)، (أي: كنت أشهد على أهلهم حين كنت بين أظهرهم)، (فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد).

قال أبو داود الطيالسي: حدثنا شعبة قال: سألت أبا سفيان الثوري إلى لغيرة بن النعمان فأعلمه على سفيان وأما معه، فلما قام اتسفت من سفيان، فحدثنا قال: سمعت سعيد بن جبير يحدث عن ابن عباس قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمرحطة، فقال: يا أيها الناس، إنكم معشرون إلى الله عز وجل حفاة [حفاة: خروفا] (١) كما بدأنا أول خلق نبيه، وإن أول الخلق يكسوا لإبراهيم، ألا وإنه بجاء برجال من أمي فيؤخذ بهم ثلث الليالي فاعلوا، فيقال: إنك لا تدري ما أحضروا بك: فأقول كما قال العبد الصالح: (وكتب عليهم شهيدا ما دمت فيهم، فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد. إن تعلمهم فلهم حياتك وإن تغفر لهم فلنك أنت العزيز الحكيم)، فيقال: إن هؤلاء لم يزالوا مرتلين على أعقابهم منذ فارقتهم.

ورواه البخاري (٢) عن هذه الآية عن الوليد عن أبي شعبة - وعن محمد بن كبير، عن سفيان الثوري، كلاما عن لغيرة بن النعمان، هـ.

(١) لكاه القبر، والتمه إليه، وللمن: أن الله تعالى أئتمره، حل أن يجنب بما أجاب به. وفيه وؤذ في رواية ابن جرير عن سفيان عن معمر، عن ابن طلوس، عن طلوس، عن الأثر: ١٣٠٣: ٢٣٩/١١: ٢٤٠: و«الله» بتشديد اللام. وللمن: أن الله علمه ما لم يكن يعلم.

(٢) خلا: جمع الخمر، وهو الذي لم يشرب.

(٣) البخاري، تفسير سورة المائدة: ٦٩/٦: ٧٠. وفيه رواه البخاري أيضا في كتاب الأيمان عن محمد بن يوسف عن سفيان، باب (والذكر في الكتاب مريم): ٢٠٤/٤. ورواه مسلم من طريق شعبة في كتاب الجنة، باب ذهاب الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة: ١٠٧/٨. و«نخرجهم» من طريق سفيان في أبواب القبلة، باب ما جاء في شأن الحشر: ١١٠٤١: ٧/٧. ورواه الإمام أحمد من طريق شعبة: ٢٣٥/١: ٢٥٣.

وقوله : (إن تعلمهم لآثم حادك ، وإن تنفر لم فذلك أنت العزيز الحكيم) ، هذا الكلام تضمن رد الشيخ إلى الله عز وجل . فإنه أفعال لما يشاء ، الذي لا يسأل عما يفعل وهم يسألون . وتضمن الشري من التصرفي القائلين كلوا على الله . وعلى رسوله . وجعلوا لله ندا وصاحبه ووليا . طعن الله عما يقولون علوا كبيرا . وهذه الآية لما شأن عظيم وبرا صبيب . وقد ورد في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام بها ليلة إلى الصباح يرددها :

قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن فضيل ، حدثني ثابت العامري ، عن جسر^(١) العامري ، عن أبي ذر رضى الله عنه قال : « صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة [قرأ بآية حتى أصبح يركع بها ويسجد بها : (إن تعلمهم لآثم حادك وإن تنفر لم فذلك أنت العزيز الحكيم) . فلما أصبح قلت : يا رسول الله . ما زلت تقرأ هذه الآية حتى أصبحت تركع بها وتسجد بها ؟ قال : « إني سألت ربي عز وجل الشفاعة لأمتي . فأعطانيها . وهي آتية إن شاء الله بن لا يشرك بالله شيئا » (٢) .

طريق أخرى وسيلان آخر : قال أحمد : حدثنا يحيى ، حدثنا إدناه بن عبد الله ، حدثني جسر بنت دجاجة : أنها انطلقت معصرة ، فانتهت إلى الريلة ، فسمعت أبا ذر يقول : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة من الليالي في صلاة المشاء ، فقبل بالقوم ، ثم تخلف أصحاب له يصلون ، فلما رأى قيامهم وتخلّفهم انصرف إلى رحله . فلما رأى القوم قد انصرفوا للكان رجع إلى مكانه فصل : فبغت فغتم خلفه ، فأومأ إلى يمينه ، فغتم عن يمينه ، لم جاءه ابن مسعود فقام خلفي وخلفه . فأومأ إليه بشأله . فقام عن شماله ، فغتم ثلاثا يصل كل واحد ما يشاء ، وظهر من القرآن ما شاء الله أن يطلع . وقام بآية من القرآن يردد حتى صلى الفللة . فلما^(٣) أصبحت أومأت إلى عبد الله بن مسعود : أن سلم ما أريد إلى ما صنع البوحد ؟ قال ابن مسعود [يده] : لا أملكه عن شيء حتى يحدث لي . قلت : باني [أنت] وأبي ، فمت بآية من القرآن ومعك القرآن ، لو فعل هذا بعضنا لوجدنا عليه . قال : دعوت لأمتي . قلت : فإذا أجبت ؟ - أو ما فادد عليك ؟ - قال : أجبت باللي لو استلم عليه كبريئهم ملحة تركوا الصلاة . قلت : أفلا أيشر الناس ؟ قال : بلى . فانطلقت ممتنقا^(٤) قريبا من فكة بجر . فقال عمر : يا رسول الله ، إنك إن تيمت إلى الناس بهذا تكفروا عن العبادة ... فتاداه أن يرجع . فرجع . وذاك الآية : (إن تعلمهم لآثم حادك وإن تنفر لم فذلك أنت العزيز الحكيم) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا يونس بن عبد الأعلى ، حدثنا ابن وهب ، أن شريك عمرو بن الحارث ، أن بكر بن سوادة حدثه ، عن عبد الرحمن بن جبر - عن عبد الله بن عمرو بن العاص : أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول عيسى :

(١) في نسخة : « جسر العامري » . وهو خطأ ، ينظر الجاهل : ٤٠٦/١٢ .

(٢) منه أحمد : ١٤٩/٥ .

(٣) في نسخة : « فبعد أن أصبحت » .

(٤) قال يده : أشار .

(٥) مخطأ : مرسما . وينظر : ١٢٨/٢ ، ٣٣٢ .

(إن تصبهم فإنهم عبادك وإن تقهرهم فإنك أنت العزيز الحكيم) - فرجع إليه فقال : اللهم أنى : وبكى ، فقال الله : يا جبريل ، اذهب إلى محمد - وديت أحلم - فأنشأه : ما يبكيه ؟ فأتاه جبريل ، فأنشأه ، فأنشأه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : قال الله : يا جبريل ، اذهب إلى محمد فقل : إنا سرنا فيك في أمك ولا نعلمك .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن ، حدثنا ابن خزيمة ، حدثنا ابن هبيرة : أنه سمع أبا عيم الجيثاني يقول : حدثني سعيد بن المسيب ، سمعت حليفة بن اليمان يقول : « غاب عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فلم يخرج حتى قلنا أن لن يخرج ، فلما خرج سجد سجدة قلنا أن نفسه قد قبضت فيها ، فلما رفع رأسه قال : إن ربى عز وجل استشارني في أمي ؟ قلت : ما شئت أمي ربهم عفتك وعبادك ، فاستشارني الثانية ، فقلت له كذلك ، قال : لا أنزلك^(١) في أمك يا محمد ، ويشري [أن] أول من يدخل [الجنة] من أمي من سبعون ألفاً ، مع كل ألف سبعون ألفاً ، ليس عليهم حساب : ثم أرسل إلى فقال : ادع نجيبه ، وسأل تسأل : فقلت لرسوله : لو أعطى ربى سؤالاً ؟ قال : ما أرسلى إليك إلا لأعطيك ، ولقد أعطاني ربى ولا فخر ، وغفر لي ما تقدم من ذنبى وما تأخر ، وأنا أنسى [حيا] صبيحت ، وأصافى أن لا تجوع أمي ولا تطلب ، وأصافى لكثير ، وهو نهر في الجنة يسيل في حوضي ، وأعطاني الز والنصر والرحب يسرى بين يدي أمي شهراً ، وأعطاني [أنى] أول الأتية بدخل الجنة ، وطيبه لي ولأمي انتيمة ، وأهل لكثيراً عما شئت هل من قبلنا ؟ ولم ينجل علينا في الدين من سرج^(٢) .

قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمَ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ هُمُ جَنَّاتُ نَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَوَّضُوا عَنْ ذَلِكَ الْقَوَارِعَ الْعَظِيمِ ۖ هَٰذَا مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۖ

يقول تعالى نبيا لبيده ورسوله عيسى ابن مريم ، فإنا أنباه إليه من اتبرى من انصارى للمسلمين ، الكافرين على الله وعلى رسوله ، ومن رد المشقة فيهم إلى ربه عز وجل ، فعند ذلك يقول تعالى : (هذا يوم ينفع الصادقين صدقتهم) .

قال الفضلك : عن ابن عباس يقول : (يوم) ينفع للمؤمنين ترحيلهم .

(هم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً) ، أى : ما كذب فيها لا يحولون ولا يزولون ، ورضى الله عنهم وروضوا عنه ، كما قال تعالى : (وروضوا من الله أكبر)^(٣) .

وسألق ما يقتضيه تلك الآية من الحديث .

(١) في نسخة : ولا أنزلك .

(٢) مسند أحمد : ٢٩٣/٥ .

(٣) لقوة : آية : ٧٢ .

وقد روى ابن أبي حاتم هاتين حديثاً فقال : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا الخاريج ، عن ليث ، عن عثمان بن عيسى عن عبد الله بن أبي ليلى ، عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثم يتجلى لم الرب تعالى : فيقول : سلوني سلوني أعطكم : قال : فيسألونه الرضا (فيقول : رضائي أعطكم هلوى ، وأتاكم كرامتي ، فسلوني أعطكم : فيسألونه الرضا ، قال : فيشهدهم أنه قد رضى عنهم » ،

وقوله : (ذلك الفوز العظيم) ، أي : هذا هو الفوز الكبير الذي لا أعظم منه ، كما قال تعالى : (لكل هذا فيعمل الصالحون) (١) ، وكما قال : (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون) (٢) .

وقوله : (لله ملك السموات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير) ، أي : هو الخالق للأشياء ، الملك لما التصرف فيها القادر عليها ، فالجميع ملكه وتحت قهره وقدرته وفي مشيئته ، فلا نظير له ولا وزير ، ولا عدل ، ولا والد ولا ولد ولا صاحبة ، فلا إله غيره ولا رب سواه .

قال ابن وهب : سمعت حبيب بن عبد الله يحدث ، عن أبي عبد الرحمن الحبلي ، عن عبد الله بن عمرو قال : « آخر سورة أنزلت سورة المائدة » (٣) .

(١) السافات ، آية : ٦١ .

(٢) الملقين ، آية : ٢٦ .

(٣) من تخریج هذا الأثر في أول سورة : بطر : ٣/٣ .

تمت سورة المائدة

تفسير سورة الأنعام

قال القرطبي وعكرمة وعطاء ، عن ابن عباس : أنزلت سورة الأنعام بمكة .

وقال الطبراني : حدثنا علي بن عبد الوهيد ، حدثنا حجاج بن منهال ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن علي بن يزيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس ، قال : أنزلت سورة الأنعام بمكة ليلة جمعة ، حول ما سبى ألف ملك يجارون حول ما التسيح .

وقال مكيان الثوري ، عن ليث ، عن شهر بن حوشب ، عن أسامة بنت يزيد قالت : أنزلت سورة الأنعام على النبي صلى الله عليه وسلم ليلة جمعة وأنا آنحط بزمان فأنزل النبي صلى الله عليه وسلم ، إن كادت من قلها لتكسر عظام الثلاثة ،

وقال شريك ، عن ليث ، عن شهر ، عن أسامة قالت : أنزلت سورة الأنعام على رسول الله صلى الله عليه وسلم [وهو في مسير في زجر (١) من اللاتكة وقد نظفوا ما بين السماء والأرض] .

وقال السدي ، عن سرة ، عن عبد الله قال : أنزلت سورة الأنعام يشيعها سبعون ألفاً من اللاتكة .

وروى نحوه من وجه آخر ، عن ابن مسعود .

وقال الحاكم في مستدركه : حدثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ ، وأبو الفضل الحسن بن يعقوب العدل قالا : حدثنا محمد بن عبد الوهاب البدي ، أنبأنا جعفر بن عون ، حدثنا إسماعيل بن عبد الرحمن السدي ، حدثنا محمد ابن المنكر ، عن جابر قال : لما أنزلت سورة الأنعام سبّح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : « لقد شيع هذه السورة من اللاتكة ما سد الأكين » .

ثم قال : صحيح على شرط مسلم (٢) .

وقال أبو بكر بن مردويه : حدثنا محمد بن معمر ، حدثنا إبراهيم بن درستويه القراملي ، حدثنا أبو بكر بن أحمد ابن محمد بن سالم ، حدثنا ابن أبي قتيبة ، حدثني عمر بن طلحة الرقاشي ، عن نافع بن مالك أبي سهيل ، عن أنس ابن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنزلت سورة الأنعام معها موكب من اللاتكة ، سد ما بين الخلقين ، لم تجل بالتسيح والأرض بهم ترتج ، ورسول الله يقول : « سبحانه الله العظيم سبحانه ، الله العظيم » .

(١) الأرجل : صوت رقيق حال .

(٢) المستدركه ، تفسير سورة الأنعام : ٣١٤/٢ ، ٣١٥ .

ثم روى ابن مردويه عن الطبراني ، عن إبراهيم بن نائلة ، عن إسماعيل بن عمرو ، عن يوسف بن عطية ، عن ابن عون ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تزلت على سورة الأنعام جملة واحدة ، وشيها سهون ألفاً من الملائكة ، لم تجل بالشيح والتعديد » (١) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْلَمُونَ ﴿١﴾
هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ مُعْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي
الْأَرْضِ يَعْلَمُ مِرْقَةً وَجَهْرًا وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾

يقول تعالى مادحاً نفسه الكريمة ، وحامداً لما خلقه السموات والأرض قراراً لعباده ، وجعل الظلمات والنور مضة لعباده في ليالهم ونهارهم ، فجمع قسط الظلمات ووجد قسط النور ، لكونه أشرف ، كما قال (عن اليسين والشمال) (٢) وكما قال في آخر هذه السورة : (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) (٣) .

وقوله : (ثم الذين كفروا بربهم يعلمون) ، أي : ومع هذا كله كفر به بعض عباده ، وجعلوا معه شريكاً وعدلاً ، واتخذوا له صاحبة وولداً ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

وقوله : (هو الذي خلقكم من طين) ، يعني : أباهم آدم الذي هو أصلهم ومنه خرجوا ، فانتشروا في المشارق والمغارب

وقوله : (ثم قضى أجلاً وأجل مسمى عنده) ، قال سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : (ثم قضى أجلاً) ، يعني : الموت . (وأجل مسمى عنده) ، يعني : الآخرة .

وهكذا روى عن مجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، والحسن ، وقاعدة ، والفصاحك ، وزيد ، بن أسلم ، وعطية ، واللسي ، ومقاتل بن حيان ، وغيرهم .

وقول الحسن - في رواية عنه : (ثم قضى أجلاً) قال : ما بين أن يُخلَقَ إلى أن يموت (وأجل مسمى عنده) : ما بين أن يموت إلى أن يبعث (٤) - هو يرجع إلى ما تقدم ، وهو تقدير الأجل الخاص ، وهو عمر كل إنسان ، وتقدير الأجل العام وهو عمر الدنيا بكاملها ثم انتهائها وانقضاءها وزوالها ، والمصير إلى الدار الآخرة .

وعن ابن عباس ومجاهد : (ثم قضى أجلاً) ، يعني : مدة الدنيا ، (وأجل مسمى عنده) ، يعني : عمر الإنسان إلى حين موته ، وكأنه مألوف من قوله تعالى بعد هذا : (وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار) ... (٥) الآية .

(١) الحد المنتشر : ٢/٢ .

(٢) الفصل : آية : ٤٨ .

(٣) الأنعام : آية : ١٥٣ .

(٤) تفسير الطبري الآخر ١٣٠٥ : ٢٠٦/١١ .

(٥) الأنعام : آية : ٦٥ .

وقال حطية ، عن ابن عباس : (ثم قضى أجلاً) ، يعني : « النوم » ، يقبض فيه الروح ثم يرجع إلى صاحبه عند اليقظة ، (وأجل مسمى حطيه) ، يعني : أجل موت الإنسان ، . وهذا قول قريب .

ومعنى قوله : (حطيه) أى : لا يعلمه إلا هو كقوله تعالى : (إنما علمها عند ربى لا يعلمها إلا هو) (١) ، وكقوله : (سألتك عن الساعة أيا نمراسها . فم أنت من ذكرها . إلى ربك مستهاها) (٢) .

وقوله : (ثم أتم فترون) ، قال السلى وغيره : يعنى فتشكون فى أمر الساعة ؛

وقوله : (وهو الله فى السموات وفى الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكبون) : اختلف مفسرو هذه الآية على أنوال بعد الاتفاق على تخطئة قول الجهمية الأول القائلين بأنه — تعالى عن قولهم علواً كبيراً — فى كل مكان ، حيث حملوا الآية على ذلك فأصبح الأقوال أنه : للدهو الله فى السموات وفى الأرض ، أى : يعلمه ويوحده ويقدره بالإلهية من فى السموات ومن فى الأرض ، ويسمونه الله ، ويدعونه رغباً ورجباً ، إلا من كفر من الجن والإنس ، وهذه الآية على هذا القول كقوله تعالى : (وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله) (٣) ، أى : هو له من فى السماء وإله من فى الأرض ، وعلى هذا فيكون قوله : (يعلم سركم وجهركم) غيراً أو حلالاً .

والقول الثانى : أن المراد أنه الله الذى يعلم ما فى السموات وما فى الأرض ، من سر وجهركم : فيكون قوله يعلم متصلاً بقوله : (فى السموات وفى الأرض) ، تقديره : وهو الله يعلم سركم وجهركم فى السموات وفى الأرض ويعلم ما تكبون .

والقول الثالث : أن قوله : (وهو الله فى السموات) وقف تام ، ثم استأنف الخبر فقال : (وفى الأرض يعلم سركم وجهركم) . وهذا اختيار ابن جرير .

وقوله : (ويعلم ما تكبون) ، أى : جميع أعمالكم سرها وشرها .

وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿١﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمُ الْبُيُوتُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَرَّمْنَا شِمْلَهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ مُلْكٍ لَّا يَنْتَفِعُونَ مِنَهَا وَالْأَرْضُ بِنُحُسْرِهَا أَتْلَا حَبْلَهُمْ بِكُلِّ شَرْبَةٍ فَقَدْ لَازَمُوا أَبْصَارَهُمْ لَوْلَا أَنَّا لَجَدْنَا فِي الْأَرْضِ أَجْنَادًا يَتَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾

يقول تعالى خبراً عن المشركين المكذبين للعالمين : إلهم مهنا أنهم (من آية) ، أى : دالة ومعجزة وحجة ، من الدلالات على وحدانية الرب عز وجل ، وصدق رسله الكرام ، لإلهم يرضون عنها ، فلا ينظرون فيها ولا يبالون

(١) الأعراف ، آية : ١٨٧ .

(٢) التنازع ، آية : ٤٢ / ٤٤ .

(٣) الزمر ، آية : ٨٤ .

ما - قال الله تعالى: (قد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون) : وهذا تهديد لم ووحيد شديد على تكذيبهم بالحق ، بأنه لابد أن يأتيهم خبر ما هم فيه من التكذيب ، وليجدن غيبة ، ولينوقن وبآله :

ثم قال تعالى واحفظوا عذر آلهم أن يصيبهم من العذاب والنعك الدنيوي ما حل بأسيابهم ونظرانهم من القرون السالفة الذين كانوا أشد [منهم] قوة ، وأكثر جمعا ، وأكثر أموالا وأولادا ومستنلا للأرض وعمارة لها ، فقال : (ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم تحسبوا) ، أي : من الأولاد والأولاد والأعمار ، والجاه العريض ، والسعة والجنود ، (وأهلكنا الساء عليهم مدرارا) ، أي : شيئا بعد شيء ، (وجعلنا الأنهار تجري من تحته) ، أي : أكثرنا عليهم لطائر الساء وينابيع الأرض ، أي : استدرابا وإبلاء لهم (فأهلكناهم بذنوبهم) ، أي : خطاياهم وسيأتهم إلى اجتروها (وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين) ، أي : فذهب الأولون كلهم النساب وجعلناهم أحاديث ، (وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين) ، أي : جيلا آخر لنختبرهم ، فعملوا مثل أعمالهم ، فهلكوا كهلاكهم . فاحطروا بها لخطيئتهم أن يصيبكم ما أصابهم ، فما أنتم بأحر حل الله منهم ، والرسول الذي كتبتموه أكرم حل الله من رسوله ، فأنتم أولى بالعذاب ومجاجة العقوبة منهم ، لولا الله وإحسانه (١) :

وَلَوْ زُنَّا عَلَيْكَ كَيْدًا فِي فِرْعَانَ فَلْيَسِّرْهُ وَيُذَيِّقْهُمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا كَيْدٌ مِمَّنْ ۖ وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنَّا زُنَّا لَمَلَكْنَا لَفِئِ الْأَمْرِ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ ۝ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِ مَاءً يَلِيْسُونَ ۝ وَلَقَدْ اسْتَفْزَىٰ رِمْلِي مِنْ فَيْكٍ لِّخَلْقِ الْبَلَيْنِ يَخْرُؤُا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَفْزِؤْنَ ۝ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ۝

يقول تعالى خبرا عن كفر المشركين وعنادهم ومكابرتهم الحق ومبايعتهم [ومنازعتهم] فيه : (ولو زلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم) ، أي : عاينوه ، وورأوا نزوله ، وياشروا ذلك ، فقال (الذين كفروا : إن هذا إلا سحر مبين) وهذا كما قال تعالى خبرا عن مكابرتهم المحسوسات : (ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون : فقلوا : إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون) (٢) وقال تعالى : (وإن يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مرقوم) (٣) .

(١) في هذه الآية - كما ترى - تهديد المشركين ووعد لم بالملك ، كما أهلك الماسون من قبلهم ، مع الفرق بين هؤلاء وأولئك في القوة والنفوذ والتمكن في الأرض . وهي تهديد يفهمونها أن الكوف هو الممر الأول لكل مجتمع ، فإن القرون التي أهلكها الله في الماضي كانت تستكن في الأرض ، وكانت الساء ، أي السحاب ، ينزل عليهم مدرارا ، وكانت الأنهار تجري من تحته ، وكان ذلك يفضيهم إلى الغلبان والظلم . فأهلكهم الله بذنوبهم ، وهذه قاعدة عامة تشمل كل من ساد وفتنته المظاهر من الحقائق .

(٢) الحجر ، آية : ١٤ ، ١٥ .

(٣) الطور ، آية : ٤٤ .

(وقالوا : لولا أنزل عليه ملك) ، قال الله : (ولو أنزلنا ملكا لنقض الأمر ثم لا ينظرون) ، أي : لو أنزلنا للملائكة على ما هم عليه لجاءهم من الله الغلب ، كما قال تعالى : (ما تنزل للملائكة إلا بالحق ، وما كانوا إذا منظرين)^(١) ، قال تعالى : (يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين) ... الآية .

وقوله : (ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا ولنبسأ عليهم ما يأمرون) ، أي : ولو أنزلنا مع الرسول البشري ملكا ، أي : لو بسأنا إلى البشر رسولا ملكيا ، لكان على هيئة رجل لئلا يفتهم غيابه والافتقار بالأخذ عنه ، ولو كان كذلك لانتفى عنهم الأمر كما يأمرون على أنفسهم في قبول رسالة البشري كما قال تعالى : (قل : لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين ، لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا^(٢)) فمن رحمة الله تعالى خلقه أنه يرسل إلى كل صنف من المخلوقات رسلا منهم ، ليحضر بعضهم بعضا ، وليمكن بعضهم أن يتفهم بعض في الحاجة والسؤال ، كما قال تعالى : (لقد من الله على المؤمنين إذ بث فيهم رسولا من أنفسهم ينطق عليهم آياته ويزكيهم)^(٣) ... الآية ،

قال الضحاك ، عن ابن عباس في الآية : « يقول : لو أنهم ملك ما أنهم إلا في صورة رجل ، لأنهم لا يستطيعون النظر إلى الملائكة »^(٤) من الثور (ولبست عليهم ما يأمرون) ، أي : وخلطنا عليهم ما يغلطون .

وقال الواحلي ، عنه : ولشبهنا عليهم^(٥) .

وقوله : (ولقد استهزئ به يرسل من قبله فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون) ، هذا تسلية لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم في تكليب من كلبه من قومه ، ووعد له والمؤمنين به بالنصرة والعاقبة الحسنة في الدنيا والآخرة .

ثم قال : (قل : سيروا في الأرض ، ثم انظروا كيف كان عاقبة للذين) ، أي : فكروا في أنفسكم ، وانظروا ما أحل الله بالقرون الماضية للذين كتبوا رسله وعاندهم ، من الغلب والشكال ، والعقوبة في الدنيا مع ما ادخر لهم من العذاب الأليم في الآخرة ، وكيف نجى رسله وعياده للمؤمنين^(٦) .

(١) الحجر : آية ٨ .

(٢) الإسراء : آية ٩٥ .

(٣) آل عمران : آية ١٦٤ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٣٠٨٤ : ١١ / ٢٦٨ : ٣٦٩ .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر ١٣٠٨٩ : ١١ / ٢٧٠ .

هذا ، وفي هذه الآية دليل على أن طبيعة البشر وطبيعة الملائكة مختلفتان ، وأن البشر لا يتعاملون رؤية الملائكة على حقيقتهم ، ولا يتعارض هذا ولما كان الرسي ، لأن الله تعالى يزود الأنبياء بما يستكون به من رؤية الملائكة والحق منهم .

(٦) رأيت في قوله تعالى : (ألم يروا كم أهلكتنا من قبلهم من قرون) ... إلخ أمر الآية ، كيف لفت انظر أن نظر هذه الآية إلى دراسة المجتمعات الإنسانية لمعرفة أسباب القوة والضعف فيها . وفي هذه الآية يلفت نظرنا إلى دراسة للتاريخ السطحي والباطني . وهذا دليل قائم على أن الحضارة الحديثة قد قتلت على عالمي ، ووسعت نهجها وحددت أهدافها على أنه وقوامه .

قُلْ لِمَنْ مَافِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كُتِبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ هُمْ لَأُؤْمِنُونَ ﴿١٥﴾ • وَلَمْ يَأْكُنْ فِي الْبَيْتِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٦﴾ قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ وَجْهًا غَيْرَ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُعَلِّمُ وَلَا يُعَلَّمُ قُلْ إِنِّي أَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُنْكَرِينَ ﴿١٧﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨﴾ مَنْ يَصْرِفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ نَفَقَةً رَحِمَ وَذَلِكَ الْفُتُورُ الْمُبِينُ ﴿١٩﴾

غير تعالى أنه مالك السموات والأرض ومن فيهن ، وأنه قد كتب على نفسه الرحمة ، كما ثبت في الصحيحين ، من طريق الأحمد ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن الله لا خلق الخلق كتب كتاباً عنده فوق العرش ، إن وحىي نطلب غضي (١) »

وقوله : (ليجمعتكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه) ، هذه الالام هي المرحلة تقسم ، فاقسم بنفسه الكرامة ليجمعتكم عباده ليثبت يوم معلوم ، الذي لا ريب فيه ولا شك عند عباده المؤمنين ، فلما الباحدون للكثيرين فهم في ريبهم يترددون ، وقال ابن مردويه عند تفسير هذه الآية : حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم ، حدثنا عبيد الله بن أحمد بن حنبل ، حدثنا عباس بن محمد ، حدثنا حسين بن محمد ، حدثنا حصن بن عتبة الباني ، عن الزبير بن شبيب ، عن عثمان بن حاضر ، عن ابن عباس قال : « سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوقوف بين يدي رب العالمين ، هل فيه ما ؟ قال : « والذي نفسي بيده إن فيه ما ، إن أولياء الله ليردون حياض الأنبياء ، ويبعث الله تعالى سبعين ألف ملك في أيديهم عصي من نار ، يلدون الكفار من حياض الأنبياء » .

هذا حديث غريب . وفي الترمذي : « إن لكل نبي حوضاً [ولهم يتباعون لهم أكثر وأردأ] وأرجو أن أكون أكثرهم ولودة (٢) » .

ولمذا قال : (الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون) ، أي : لا يصدقون بالمعاد ، ولا يخافون شر ذلك اليوم . ثم قال تعالى : (وله ما سكن في الليل والنهار) ، أي : كل دابة في السموات والأرض ، الجميع عباده وخلقه ، وتحت قهره وتديره ، ولا إله إلا هو .

(وهو السميع العليم) ، أي : السميع لأحوال عباده ، العليم بحركاتهم وضائرهم وسرائرهم :

ثم قال لعبدته ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، الذي به التوحيد العظيم والشرع القويم ، وأمره أن يدعو الناس إلى صراطه المستقيم : (قل أغير الله آتخذ ولياً فاطر السموات والأرض) كما قال : (قل أغير الله تأمروني أعبد أباها الجاهلون) (٣) ، والنفى : لا أعبد ولياً إلا الله وحده لا شريك له ، فانه فاطر السموات والأرض ، أي : خالقهما ومبدعهما على غير مثال سبق .

(١) البخاري ، كتاب التوحيد : ١١٧/٩ ، ١٥٢ . وكتاب بدء الخلق : ١٢٩/٤ . ومسلم ، كتاب التوبة : باب في سنة وحدة الله تعالى وأنها سبقت خلقه : ٩٥/٨ ، ٩٦ .

(٢) نسخة الأحمد ، أبواب القيامة ، باب ما جاء في صفة الحوض : ١٣٢/٧ ، وما بين القوسين عنه : ولهم يتبعونهم عصي الأنبياء .

(٣) الزمر ، آية : ٦٥ .

(وهو يعلم ولا يعلم) ، أى : وهو الرزاق خلقه من غير احتياج إليهم ، كما قال تعالى : (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) (١) الآية .

وقرأ بعضهم هاماً (وهو يعلم ولا يتعظم) (٢) ، أى : لا يأكل .

وإن حديث سهيل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : دعا رجل من الأنصار من أهل نَجِيعِ النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : فأتناقتنا معه ، فلما طعم النبي صلى الله عليه وسلم وغسل يديه قال : والحمد لله الذي يطعم ولا يتعظم ، ومن علينا فهدانا ، وأطعمنا وسقانا وكل بلاد حسن أبلاتا : الحمد لله خير مودع ولا مكافأ ولا مكتور ولا مستغنى عنه : الحمد لله الذي أطعمنا من الطعام ، وسقانا من الشراب ، وكفانا من العرى ، وهدانا من الضلال وبصرتنا من العمى ، وفضلنا على كثير من خلقك تفضيلاً . الحمد لله رب العالمين . (٣)

(قل : إني أمرت أن أكون أول من أسلم) ، أى : من هذه الأمة (ولا تكونون من المشركين : قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم) يعنى يوم القيامة (من يصرف عنه) يعنى : السلب (يومئذ فقد رحمه) ، يعنى : قد رحمه الله (وذلك هو الفوز العظيم) ، كما قال : (فن زحج من النار وأهل الجنة قد فاز) (٤) والفوز : هو حصول الربح ونفى الخسارة .

وإن يمسك الله بضرب فلان عكاف له إلا هو وإن يمسك بخير فهو على كل شيء وقير ﴿٥٧﴾ وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير ﴿٥٨﴾ قل أى شيء أكبر شهرة قل الله شهيد بيني وبينكم وأبى إلى هذا القرءان لأتوكل به ومن بلغ أشكر لئن شهدون أن مع الله إلهة أخرى قل لا أشهد قل إنما هو إله واحد وإنني بريء مما يشركون ﴿٥٩﴾ الذين آتينهم الكتاب يعرفون كتابهم يعرفون أبناءهم الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون ﴿٦٠﴾ ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بآياته إنه لا يفتح الظالمون ﴿٦١﴾

يقول تعالى خبراً أنه مالك الضر والنفع ، وأنه المتصرف فى خلقه بما يشاء ، لا معقب لحكمه ، ولا راد لقضائه (وإن يمسك الله بضرب فلان عكاف له إلا هو ، وإن يمسك بخير فهو على كل شيء وقير) كما قال تعالى : (ما يفتح

(١) القاريات ، آية : ٥٦ .

(٢) هذه قراءة مجاهد ، وابن جبير ، والأعمش ، وأبو حنيفة ، وعمر بن حبيب ، وأبو عمرو ، فى رواية عنه . ينظر

البحر المحيط لأبي حنيفة : ٨٥/٤ ، ٨٦ .

(٣) رواه الحاكم فى مستدركه ، كتاب الصلاة : ٥٤٦/١ ، وقال : وهذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجه . وقد روى البزارى نحوه من أبى ألفة فى كتاب الأسماء ، باب ما يقول إذا فرغ من طهارة : ١٠٦/٧ ، ورواه ابن ماجه من أبى ألفة أيضاً فى كتاب الأسماء ، باب ما يقول إذا فرغ من الطعام ، الحديث : ٣٢٨٤ ، ١٠٦٢/٢ ، ١٠٩٣ . ورواه الإمام أحمد من رجل من بني سليم ، للمصنف : ٢٣٦/٤ ، وعن أبى ألفة : ٢٥٢/٥ ، ٢٥٦- ، ٢٦١ .

(٤) سورة آل عمران ، آية : ١٨٥ .

الله للناس من رحمة فلا يمسك لها ، وما يمسك فلا يرسل له من بعده) : (١١) الآية ، وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « اللهم لا مانع لما أعطيت ، ولا معطي لما منعت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد » (٢) ، ولما قال تعالى : (وهو القاهر فوق عباده) ، أي : هو الذي خضعت له الرقاب ، وذلت له الجبابرة ، وعنت له الوجوه ، ونهر كل شيء ودانت له الخلائق ، وتواضعت لعظمة جلاله وكبريائه وعظمته وعلمه وقدرته الأشياء ، واستكانت وقضابلت بهن يديه ونحت حكمه ونهره :

(وهو الحكيم) ، أي : في جميع ما يفعله ، (الخبير) بمواضع الأشياء ومعالها ، فلا يعطي إلا لمن يستحق ولا يمنع إلا من يستحق :

ثم قال : (قل أي شيء أكبر شهادة) ، أي : من أعظم الأشياء (قل الله شهيد بيني وبينكم) ، أي : هو العالم بما جتكم به ، وما أنتم قائلون لي : (وأوصي إلى هذا القرآن لأتذكركم به ومن بلغ) ، أي : وهو نذير لكل من بلغه ، كما قال تعالى : (ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده) (٣) :

قال ابن أبي عمير : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا وكيع وأبو أسامة وأبو خالد ، عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب في قوله : (ومن بلغ) : من بلغه القرآن فكانما رأى النبي صلى الله عليه وسلم - زاد أبو خالد - : وكلمته :

ورواه ابن جرير من طريق أبي معشر ، عن محمد بن كعب قال : من بكته القرآن فقد أبلىه محمد صلى الله عليه وسلم (٤) :

وقال عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة في قوله : (لأتذكركم به ومن بلغ) : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « بلغوا عن الله ، فمن بلغه آية من كتاب الله فقد بلغه أمر الله » .

وقال الربيع بن أنس : حق على من أتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن يدعو كالذي دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن ينظر كالذي أنظر .

وقوله : (أنتم تشهدون) أي المشركون (أن مع الله كلمة أخرى ؟ قل : لا أشهد) كما قال تعالى : (فإن شهدوا فلا تشهد معهم) ، (قل : إنما هو إله واحد وإنني بريء مما تشركون) .

ثم قال غيرنا من أهل الكتاب أنهم يعرفون هذا الذي جتتهم به كما يعرفون آياتهم ، بما عندهم من الأخبار والآيات

(١) فاطر ، آية : ٢ .

(٢) البخاري ، كتاب الاحتصام ، باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يهني : ١١٨/٩ . وكتاب الفتن ، باب لا مانع لما أعطى الله : ١٥٧/٨ ، وكتاب الدعوات باب الدعاء بعد الصلاة : ٩٠/٨ . ومسلم ، كتاب الصلاة ، باب احتفال أركان الصلاة وتقليبها في تمام : ٤٥/٢ ، وباب ما يقول إذا رغب رأسه من الركوع : ٤٧/٢ ، وكتاب المساجد ، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبين صفته : ٩٥/٢ ، ٩٦ .

وممن قوله : (لا ينفع ذا الجد منك الجد) ، أي : لا ينفع ذا الذي عندك غناه ، وإنما ينفعه العمل بطاعتك .

(٣) هود ، آية : ١٧ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٣١٢٤ : ٢٩١/١١ .

لأن المرسلين المخلصين والأنبياء ، فإن الرسل كلهم بشروا بوجود محمد صلى الله عليه وسلم ويصه وصفته ، وبلده ومهاجره ، وصفة أمته . ولهذا قال بعد هذا : (الذين خسروا أنفسهم) ، أى : خسروا كل الخسارة ، (م فهم لا يؤمنون) بهذا الأمر الجلي الظاهر الذى بشرت به الأنبياء ، وتوheet به فى قديم الزمان وحديثه .

ثم قال : (ومن أظلم ممن اتقى على الله كلباً أو كلباً [بآياته) ، أى : لا أظلم ممن تكوّن على الله ، فادعى أن الله أرسله ولم يكن أرسله ، ثم لا أظلم عن كلب [بآيات الله وحججه وبراهينه ودلالاته ، (إنه لا يفلح الظالمون) ، أى : لا يفلح حالاً ولا هنا ، لا لفقري ولا لكليب .

وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاءُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ لَمْ يَكُنْ فَتَحْتُمُ إِلَّا أَنْ قَالُوا اللَّهُ وَرَبُّنَا مَا كُنَّا مَشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ أَنْظَرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٦٨﴾ وَبَيْنَهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلِمَةً لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءَهُكَ يَخْبِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطُورُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٩﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْعَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُبْهِكُونَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَسْمَعُونَ ﴿٧٠﴾

يقول تعالى خبراً عن المشركين : (يوم نحشرهم جميعاً) يوم القيامة فيسلمون عن الأصنام والانداد التى كانوا يعبدونها من دونه قالوا : (أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون) كما قال تعالى فى سورة القصص : (يوم يناديهم فيقول أين شركائ الذين كنتم تزعمون (١)) .

وقوله : (ثم لم تكن فتنتهم) ، أى : حججهم .

وقال عطية السمراسى ، عن ابن عباس : أى معلميهم : وكلما قال فتادة .

وقال ابن جرير ، عن ابن عباس : أى قيلهم . وكلما قال الضميمة .

وقال عطية السمراسى : ثم لم تكن يلبثهم حين ابتلوا (إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين) .

وقال ابن جرير : والصواب ثم لم يكن قيلهم عند فتنتنا إياهم ، اعتلوا بما سلف منهم من الشرك بالله (إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين (٢)) .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو يحيى الرازى ، عن عمرو بن أبى قيس ، عن مطرث ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : أتاه رجل فقال يا أبا عباس . سمعت الله يقول : (والله ربنا ما كنا مشركين) ؟ قال : أما قوله : (والله ربنا ما كنا مشركين) فإني رأوا أنه لا يدخل الجنة إلا أهل الصلاة ، فقالوا : تمالوا فلنجسد ، فيجحدون ، فيختم الله على أفواههم ، وتشهد أيديهم وأرجلهم ولا يكتمون الله حديثاً ، فهل فى قلبك الآن شيء ؟ إنه ليس من القرآن شيء إلا قد نزل فيه شيء ، ولكن لا تعلمون وجهه .

(١) القصص ، آية : ٦٢ .

(٢) تفسير الطبري ، ١١ / ٣٠٠ .

وقال الضحاك، عن ابن عباس : هذه في المنافقين .

وفي هذا نظر ، فإن هذه الآية مكية ، والمنافقون إنما كانوا بالمدينة ، والتي تزلت في المنافقين آية المجادلة : (يوم يمشي الله جميعاً فيحلفون له (١)) : الآية . وهكذا قال في سنن حذاف : (انظر كيف كذبوا على أنفسهم وصل منهم ما كانوا يفترون) كما قال : (ثم قيل لم أين ما كنتم تشركون . من دون الله ، قالوا : ضلوا عنا (٢)) : الآية .

وقوله : (ومنهم من يستمع إليك ، وجعلنا على قلوبهم أكمة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا ، وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها) ، أي : يجئوك ليسمعا قرأنا لك ، ولا يجزى عنهم شيئاً ، لأن الله جعل (على قلوبهم أكمة) ، أي : أغشية لتلا يفهموا القرآن (وفي آذانهم وقرا) ، أي : صمما عن السماع النافع ، فهم كما قال الله تعالى : (ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعى بما لا يسمع إلا دعاء ونداء (٣)) : الآية .

وقوله : (وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها) ، أي : مهاروا من الآيات والدلالات والحجج البينات ، لا يؤمنوا بها . فلا تفهم - عندهم ولا إصاف ، كما قال تعالى : (ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم (٤)) : الآية .

وقوله : (حتى إذا جاءوك مجادلوك) ، أي : يحاجونك ويناطرونك في الحق بالباطل (يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين) ، أي : ما هذا الذي جئت به إلا مأخوذ من كتب الأوائل ومقول من قبلهم .

وقوله (وهم يفتنون عه ويتأون عه) ، وفي معنى (يفتنون عه) قولان :

أحدهما أن لراد أنهم يفتنون الناس عن اتباع الحق ، وتصديق الرسول والإتياد للقرآن ، ولا يتركون أحداً يتضغ .

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : (وهم يفتنون عه) قال : يفتنون الناس عن محمد صلى الله عليه وسلم أن يؤمنوا به (٥) .

وقال محمد بن الحنفية : كان كفار قريش لا يأتون النبي صلى الله عليه وسلم ، ويفتنون (٦) عه ،

وكذا قال جاهد وقادة ، والضحاك ، وغير واحد . وهذا القول أظهر ، والله أعلم ، وهو اختيار ابن جرير ،

والقول الثاني رواه سفيان الثوري ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن سمع ابن عباس يقول في قوله : (وهم يفتنون عه) ، قال : تزلت في أبي طالب كان ينهى عن النبي صلى الله عليه وسلم أن يؤذى (٧) .

(١) المجادلة : آية : ١٨ .

(٢) غافر : آية : ٧٣ ، ٧٤ .

(٣) البقرة : آية : ١٧١ .

(٤) الأنفال : آية : ٢٣ .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر ١٣١٦٠ : ١١/٣١١ .

(٦) تفسير الطبري ، الأثر ١٣١٥٩ : ١١/٣١١ ، ونصه : « قال : يختلفون من النبي صلى الله عليه وسلم ولا يجيبونه ، ويفتنون الناس عه » .

(٧) تفسير الطبري ، الأثر ١٣١٧٠ : ١١/٣١٢ . وكذا أخرجه الحاكم في مستدركه من طريق سفيان . ينظر تفسير صورة الأقسام : ٣١٥/٢ .

وكلما قال **انصدم بين يمينه** ، وحبيب بن أبي ثابت ، ومطاء بن ديار : أنها زلت في أبي طالب ، وقال سعيد بن أبي حلال : زلت في حمزة النبي صلى الله عليه وسلم ، وكانوا عشرة ، فكانوا أشد الناس معه في العزاية وأشد الناس عليه في السر (٤١) .
رواه ابن أبي حاتم .

وقال محمد بن كعب القرظي : (وم يهترون عه) ، أي : يهترون الناس عن خطه .
وقوله : (ويأتون عه) ، أي : يبتاعون عه . (وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون) ، أي : وما يهلكون إلا
الصنيع ، ولا يعود وباله إلا عليهم . وما يشعرون .

وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَقُولُ عَلَى الْغُرِّ فَلَيْلَتَنَا لُدًّا وَلَا تَنْكِبُ وَيَأْتِيَتْ رَبَّنَا بِكُلِّ آيَةٍ بِأَقْصَىٰ
 مَا كَانُوا يَحْشَوْنَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ دَعَا لَعَدُوًّا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالُوا إِذْ مَنَّا إِلَّا جِئْنَاكَ الْغَنِيَّةَ
 وَمَا عَلَّمْنَا مَبْعُوثِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَقُولُ عَلَى رَيْبٍ قَالَ النَّبِيُّ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ رَدِينَا قَالُوا فُلُوقُ
 الظَّالِمِ يَمَّا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٥٧﴾

يذكر تعالى حال الكفار إذا وقوا يوم القيامة على النار ، وشاعلوا ما فيها من السلاسل والأغلال ، وورثوا بأعينهم ثلث الأمور البظام والأموال ، فعند ذلك قالوا : (يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين) ، يتمنون أن يُرْثَوْا إلى الدار الدنيا ، ليمسوا حلالها ، ولا يكذبوا بآيات ربهم ويكونوا من المؤمنين . قال تعالى : (يا ليتنا لم نكنوا بخنوخ من قبل) : أى : بل ظهر لهم حينئذ ما كانوا يخنوخون أن أنفسهم من الكفر والتكذيب والممانعة ، وإن أنكروها في الدنيا أو في الآخرة ، كما قال قبل هذا يسير : (ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا : والله ربنا ما كنا مشركين . انظر كيف كذبوا على أنفسهم) .

وَعَمَلُ أَهْلِ ظَهْرٍ لَمْ يَكُنْ يَكُونُ الرَّدَّاءُ مِنْهُمْ مِنْ صَدَقَ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ فِي الدُّنْيَا ، وَإِنْ كَانُوا يَظْهَرُونَ
لِلْأَنْبِيَاءِ خِلَافَهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى غَيْرًا مِنْ مُوسَى أَنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ : (لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِ اتُّرِكَ هَؤُلَاءِ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
بِصَارٍ (٢)) ... الآية . قَالَ تَعَالَى غَيْرًا مِنْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ : (وَجَعَلُوا بِهَا أَسْتِغْنَاءً أَنْفُسِهِمْ ظُلُمًا عُلُومًا) (٣) .
وَعَمَلُ أَنْ يَكُونَ الرَّدَّاءُ بِهَؤُلَاءِ لِمَنْ يَظْهَرُونَ لِقَائِهِمُ الْإِيمَانَ وَيُطِيعُونَ الْكُفْرَ ، وَيَكُونُ هَذَا إِشْبَارًا
مَا يَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ كَلَامٍ طَائِفَةٍ مِنَ الْكُفَّارِ ، وَلَا يَنْتَهِى هَذَا كَوْنُ هَذِهِ مَكِيَّةٍ ، وَالْعَاقِبَةُ إِنَّمَا كَانَ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ
وَمَنْ حَوْلَهَا مِنَ الْأَعْرَابِ ، فَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ [مَكِيَّةٍ] وَهِيَ السَّنَكُوتُ ، فَقَالَ : (وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ

(١) لم يكن أحكام رسول الله صلى الله عليه وسلم حشرة . وإنما كانوا نسمة . فإذا حده المطلب لم يتجلب فيه حشرة أبداً . بما فهمه هذا وقد انتهى عليه السلام . ولم يرض هؤلاء الأعمام تقسمة جيباً حتى يثبت على التماسيطيولم . في منبهم من ملك صغيراً أو مات فيه بعت . وخلافاً بقوله لم يكن هؤلاء في الجهر وعليه في السر . وإن من حلاله عداوة مرأ وجهر . وكذلك من والاه . ولو كان أبو طالب بين كنانين لم يزل فيهم وعليه في الجهر وعليه في السر . وقد كانوا صغيرين . وكان يسكن من ذلك لو أراد . ولو كان أبو طالب كذلك لما شئت حزن عليه عليه وسلم لم يزل عليه .

(٢) الإجراء : آية ١٠٢ .

(۳) الفصل : آية : ۱۴ .

أمنوا وليعلمن المنافقين) (١) ، وعلى هذا فيكون هذا اختياراً عن حال المنافقين في النار الآخرة ، حين يمايئون المذابح يظهر لهم حيلتد شب ما كانوا يظنون من الكفر والشقاق وانخدع ، والله أعلم .

وأما معنى الإسراب في قوله : (بل يعلم ما كانوا يخفون من قبل) فهم ما طلبوا المرد إلى الدنيا رغبة في الإيمان ، بل عرفاً من المذابح الذي مانيه . جزء على ما كانوا عليه من الكفر ، فسألوا الرجعة إلى الدنيا لينتظروا ما شاهدوا من النار ، ولهذا قال : (ولودوا لعادوا لما نوا عنه وإنهم لكاذبون) ، أي : في تمنيتهم الرجعة رغبة وعجبة في الإيمان .

ثم قال خبراً عنهم : (إنهم لو ردوا إلى النار الدنيا ، لعادوا لما نوا عنه (وإنهم لكاذبون) ، أي : في قولهم : (يا ليتنا اردوا نكلب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين . وقالوا : إنا هي إنا حياتنا الدنيا وما نحن بمؤمنين) .

أي : لعادوا لما نوا عنه ، إنهم لكاذبون وقالوا : (إن هي إنا حياتنا) أي : ما هي إلا هذه الحياة الدنيا ، ثم لا معاد بعدها . ولهذا قال (وما نحن بمؤمنين (٢)) .

ثم قال : (ولو ترى إذ أقفوا على رءبهم) ، أي : أوقفوا بين يديه قال : (أليس هذا يا قوم ؟) ، أي : أليس هذا المادح وليس يبال كما كنتم تظنون ؟ (قالوا : بل وربنا . قال : فلو قوا المذابح بما كنتم تكفرون) ، أي : بما كنتم تكذبون به ، فلو قوا اليوم متمه (أفسر هذا أم أنتم لا تبصرون (٣)) .

قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَدُئُوا يَحَسِرُونَ عَلَى مَا قَرَّبُوا فِيهَا وَمِمَّ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ ﴿١٠﴾ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَبَّ وَهْوٌ وَلِلدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١١﴾

يقول تعالى خبراً عن عسكرة من كذب بقاء الله ، وعن عيبه إذا جاءته الساعة بئنة ، وعن لدائه على ما فرط من العمل ، وما أسلف من قبيل الضلال ، ولهذا قال : (حتى إذا جاءتهم الساعة بئنة قالوا : يا حسرتنا على ما فرطنا فيها) .

وهذا الضمير يحمل عتوه على الحياة وعلى الأعمال ، وعلى الدار الآخرة ، أي : في أمرها .

وفعله : (وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ، ألا ساء ما يزرون) ، أي : يحملون .

وقال قتادة : يمدون (٤) :

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو خالد ، عن عمرو بن قيس ، عن أبي مرزوق قال : ويستقبل الكافر - أو : الفاجر - عند خروجه من قبره كأقبح صورة وأما وأنت رجلاً ، فيقول : من أنت ؟ فيقول : أو ما تعرفني ؟ فيقول : لا ، إلا أن الله قبح وجهك وتثن رجلك . فيقول : أنا مهلك الخبيث ، هكذا [كنت] في الدنيا بحيث العمل منته ، طالما ركبني في الدنيا ، علم أوكيك ، فهو قوله : (وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم) . . . الآية (٥) .

(١) المنكوت ، آية : ١١ .

(٢) في هذه الآية بعد لياست الدليل على استحقاق هؤلاء اللذين البقاء في المذابح . فقد أنبأنا الملوك سبحانه أن نفوس هؤلاء مطبوعة على الشر ، وأنها لا تتفتح بائق إلا رغبة من العقوبة ؛ فهي إذا ما بينت التناز وشاهدت هولاً طليت المودة إلى الدنيا لتسارع في التبرأت وتسل المصالحات . وهي إذا عادت إلى الدنيا عادت كما كانت طاللة آتمة ، وانكثرت ما رآه وإلى البيان .

(٣) الطود ، آية : ١٥ .

(٤) تفسير البكري : الأثر ١٣١٨٩ ، ١١ / ٣٢٨ .

(٥) الله المتشور ، ٩ / ٤ .

وقال أسباط عن السدي أنه قال : ليس من رجل ظالم [يموت] (١) فيدخل قبره [إلا جاءه رجل فيبيع الوجه ، أسود اللون ، من الرائحة ، عليه ثياب دسمة ، حتى يدخل معه قبره ، فإذا رآه قال : ما أتبع وجهك ! قال : كذلك كان لك قبيحاً ! قال : ما أنن رجلك ! قال : كذلك كان عمك ميتاً ! قال : ما أدنس ثيابك ، قال فيترك : إن عمك كان دنساً . قال له : من أنت ؟ قال : أنا عمك ! قال : فيكون معه في قبره ، فإذا بعث يوم القيامة قال له : إن كنت أحملك في الدنيا بالذات والشهوات ، وأنت اليوم تحملني . قال : فركب على ظهره فيسوقه حتى يدخله النار ، فلما قال : فذلك قوله : (وهم يعملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما يزرون) (٢) .

وقوله : (وما الحياة الدنيا إلا لعب ولغو) ، أي : إنما غالبها كلك (ولله الأخرة خير للذين يوقنون أفلا تعقلون)

قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَاءَاتِ اللَّهِ يَحْجِدُونَ ﴿١﴾ وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبِرُوا عَلَى مَا كُتِبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الْأُرْسَلِينَ ﴿٢﴾ وَإِنْ كَانَ كِبَرُ عِلْمِكَ إِغْرَاضَهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْنِي نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَامًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ فَلَا تَكُونُ مِنَ الْخَالِئِينَ ﴿٣﴾ إِنْهَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتُ يَسْمِعُهُمْ اللَّهُ أَمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤﴾

يقول تعالى سلباً لنبيه صلى الله عليه وسلم ، في تكذيب قومه له ومخالفتهم إياه : (قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون) ، أي : قد أحزننا حالاً بتكذيب قومه لك ، وحزنك وتأسفك عليهم ، (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) (٢) ، كما قال تعالى في الآية الأخرى : (لعلك بائع نفسك أن لا يكونوا مؤمنين) (٤) (فلعلك بائع نفسك على آثامهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً) (٥) .

وقوله : (فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) ، أي : لا يهتمونك بالكذب في نفس الأمر (ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) ، أي : ولكنهم يمانعون الحق ويدفعونه بصدورهم ، كما قال مكيان الثوري ، عن أبي إسحاق ، عن ناجية بن كعب ، عن علي [قال] : قال أبو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم : إننا لا نكذبك ، ولكن نكذب بما جئت به ، فأقول الله : (فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) .

ورواه الحاكم ، من طريق إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، ثم قال : صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه (٦) ،

(١) عن تفسير الطبري .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٣١٨٨ : ٣٢٨/١١ .

(٣) سورة طه ، آية ٨ .

(٤) سورة الشعراء ، آية ٣ .

(٥) سورة النكتة ، آية ٧ .

(٦) المتطوع ، تفسير سورة الأنعام : ٣١٥/٢ . وأخرجه الطبري ، ولكن وقف به على ناجية . ينظر تفسير الطبري .

الأثر ١٣١٩٥ : ٣٢٤/١١ .

يصنعوا بكم شيئا - فيؤخذ من معنى الأخص (١) ، وكان اسمه « أبى » فالتقى الأخص وأبو جهل ، فخلا الأخص بأبى جهل فقال : يا أبأ الحكم ، أخبرنى عن محمد : أصادق هو أم كاذب ؟ فإنه ليس هاهنا من قريش خيرى وغيرك يسمع كلامنا . فقال أبو جهل : ويحك ! والله إن محمداً لصادق ، وما كلب محمد قط ، ولكن إذا ذهبت بنو قصصى بالواه والسقاية والحجاب والنوبة ، فإذا يكون لسائر قريش ؟ فلذلك قوله : (ظنهم لا يكلونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) فآيات الله : محمد صلى الله عليه وسلم (٢) .

وقوله : (ولقد كذبتم رسول من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرتنا) . هذه تلمية لتبى صلى الله عليه وسلم وتزينة له فيمن كلبه من قومه ، وأمر له بالصبر كما صبر أولو الزم من الرسل ، ووعد له بالنصر ، كما نصروا وبالعنف حتى كانت لهم العاقبة ، بعدما نالهم من التكليب من قومهم والأذى البالغ ، ثم جاءهم النصر في الدنيا ، كما لهم النصر في الآخرة ، ولها قال : (ولا يبدل لكلمات الله) ، أى : التى كتبها بالنصر في الدنيا والآخرة لعباده المؤمنين ، كما قال : (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين . ولأنهم لم ينصروا . وإن جندنا لهم الغالبون) (٣) ، وقال تعالى : (كتب الله لعلين أنا ورسلى إن الله قوى عزيز) (٤) .

وقوله : (ولقد جاءكم من نبي المرسلين) ، أى : من غيرهم كيف نصبروا وأبتدوا على من كلبهم من قومهم ، فك فيهم أسوة وبهم لقوة .

ثم قال تعالى : (وإن كان كبر عليك إعراضهم) ، أى : إن كان شق عليك إعراضهم عنك (فإن استطعت أن تقتضى نفقا إلى الأرض أو سلا في السماء) قال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « التقت » : السرب ، فطلب فيه (فتأتيهم بآية) أو تجعل لك سلما في السماء فتصعد فيه فتأتيهم بآية أفضل مما أتيتهم به ، فافعل (٥) . وكذا قال قتادة ، والسدى ، وغيرهما .

وقوله : (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين) كما قال تعالى : (ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا) (٦) ... الآية قال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس في قوله : (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) ، قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحرص أن يؤمن جميع الناس ويتابعوه على الهدى ، فأخبر الله أنه لا يؤمن إلا من قد سبق له من الله السعادة في الذكر الأول (٧) .

(١) ينظر سورة ابن هشام : ٢٨٢/١ .

(٢) تفسير الطبرى ، الأثر ١٣١٩٢ : ٣٣٣/١١ . هذا ، وقد كان المشركون ينكرون دعوة محمد صلى الله عليه وسلم وما يقوله من ربه . وكان محمد صلى الله عليه وسلم يحرثه هذا الإنكار ، لا لأنه علم موجه إليه بالكلب ، ولكن لأن هذا الإنكار يحول بينهم وبين الإيمان . فغالبه ربه سلبا ومزيدا بأن تقوم لا يكذبونه ، لأنهم لا يشكون في أنه لم يكذب ولا مرة واحدة في حياته ، ولكن الظالمين من شأنهم جسود آيات الله وحكم الإقرار بها . وهذه قاعدة ملعة في هؤلاء المشركين ، وفي غيرهم من مشركي الأمم السالفة . وعليه فيكون في تفسير آيات الله بأنها محمد صلى الله عليه وسلم نظر ، والله اعلم .

(٣) المسافات ، آية : ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ .

(٤) للجدالة ، آية : ٢٩ .

(٥) تفسير الطبرى ، الأثر ١٣٢٠١ : ٣٣٧/١١ : ٣٣٨ .

(٦) يونس ، آية : ٩٩ .

(٧) كلما ، وقد ذكر الطبرى رواية على بن أبى طلحة عن ابن عباس في الأثر ١٣٢٠٥ : ٣٤٠/١١ ، وحى : « يقول الله سبحانه : لو شئت لجمعهم على الهدى لجمعين » .

وقوله : (إنما يستجيب الذين يسمعون) ، أى : إنما يستجيب للمعاليك يا محمد من يسمع الكلام ويحبه ويفهمه ، كقوله : (لينزل من كان حياً ويحيى القول على الكافرين) (١) ، وقوله : (والقرى يبينهم الله) ، يعنى بذلك الكفار ، لأنهم مولى القلوب ، فشبههم الله بأصوات الأجساد ، فقال : (والقرى يبينهم الله ثم إليه يرجعون) ، وهذا من باب التمهيم بهم ، والإزواء عليهم :

وَقَالُوا لَوْلَا تَرَكْ عَلَيْهِ آيَةً مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنْ أَلَّهِ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾
وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَقْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ نَبِيٍّ ثُمَّ إِنَّكُمْ
فَرِيسْتُمْ بِخُشْرُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايُنِنَا صُمْ وَبَكَرُوا فِي الظُّلُمَاتِ مِنْ يَسَاءِ اللَّهِ يُضِلُّهُ وَمَنْ يُسَاءِ يَجْعَلْهُ عَلَى
صِرَاطٍ مُسْتَبِيرٍ ﴿٣٨﴾

يقول تعالى عبراً عن المشركين أنهم كانوا يقولون (لولا ترك آية من ربه) ، أى : خارق على مقتضى ما كانوا يريدون ، وما يستحسنون كما قالوا ، (لن نؤمن بك حتى تضع لنا من الأرض نبواً) (٢) . . . الآيات .

(قل إن الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون) ، أى : هو تعالى قادر على ذلك ، ولكن حكته تعالى تقتضى تأخير ذلك ، لأنه لو أنزلها وفق ما طلبوا ثم لم يؤمنوا ، لما جاهد بالمقوبة ، كما فعل بالأسف الساقطة ، كما قال تعالى : (وما نمنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا نمود الناقة مبصرة فظلموا بها ، وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً) (٣) ، وقال تعالى : (إن نشأ نزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين) (٤) .

وقوله : (وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم) ،

قال مجاهد : أى أصناف مُصَنَّفَةٌ تُسَرِّفُ بِأَمَانِهَا (٥) .

وقال قتادة : الطير أمة ، والإنس أمة ، والجن أمة (٦) .

وقال السلي : (إلا أمم أمثالكم) ، أى : خلق أمثالكم (٧) .

وقوله : (ما فرطنا في الكتاب من شيء) أى : الجميع حلمهم عند الله ، ولا ينسى واحداً من جميعها من رزقه وتدبيره ، سواء كان برياً أو جرياً ، كما قال : (وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين) ، أى : مُصَنَّفٌ بِأَسْمَائِهَا وَأَعْدَادِهَا وَمَقَانِهَا ، وحاصر لحركاتها وسكناتها ، وقال تعالى : (وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها ويؤاخرهم وهو السميع العليم) .

(١) سورة يس ، آية ٢ : ٧٠ .

(٢) الإسراء ، آية ٩٠ .

(٣) الإسراء ، آية ٥٩ .

(٤) الشعراء ، آية ٤ .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر ١٣٢١١ : ٣٤٥/١١ .

(٦) تفسير الطبري ، الأثر ١٣٢١٣ : ٣٤٥/١١ .

(٧) تفسير الطبري ، الأثر ١٣٢١٤ : ٣٤٥/١١ .

تفسير صورة النظام

٢٤٨

وقد قال الحافظ أبو يعلى : حدثنا محمد بن المنصور ، حدثنا عبيد بن واقد القيسي أبو جباد ، حدثني محمد بن عيسى ابن كيسان ، حدثنا محمد بن المنصور ، عن جابر بن عبد الله قال : قتل الجراد في سنة من سني عمر رضي الله عنه التي ولى فيها ، فسأل عنه فلم يجبه بشيء ، فاضم لذلك : فأرسل راجعا إلى كذا ، وأتى إلى الشام ، وأتى إلى العراق يسأل : هل روي من الجراد شيء أم لا ؟ فأتاه الراسب الذي من قبل اليمن بقبضة جراد ، فألقاها بين يديه ، فلما رآها كبر ثلاثا ، ثم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « خلق الله عز وجل ألف أمة ، منها سبائة في البحر ، ولربمائة في البر : وأول شيء يهلك من هذه الأمم الجراد ، فإذا هلكت تاهت مثل النظام إذا قطع سلكه » .

وقوله : (ثم إلى ربهم يحشرون) ، قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو نعيم ، حدثنا سفيان ، عن أبيه ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله : (ثم إلى ربهم يحشرون) ، قال : حشرها للموت ، وكلا رواه ابن جرير من طريق إسرائيل عن سعيد ، عن مسروق ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : موت البهائم حشرها . وكلا رواه العوفي ، عنه (١) :

قال ابن أبي حاتم : وروى عن مجاهد والفسحاك ، مثله ،

والقول الثاني : إن حشرها هو يوم القيامة كما قال تعالى : (وإذا الوحوش حشرت) ؛

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن سليمان ، عن منير الثوري ، عن أشباح لم ، عن أبي ذر : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى شابين يتسلحان ، فقال : يا أبا ذر ، هل تدرى فيم يتسلحان ؟ قال : لا . قال : لكن الله يدري ، وسيقضى بينهما (٢) » .

ورواه عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الأعمش ، عن ذكره عن أبي ذر قال : « بينا أنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ انتطحت حتران ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتدرون فيم انتطحا ؟ قالوا : لا ندري . قال : لكن الله يدري ، وسيقضى بينهما (٣) » . رواه ابن جرير ، [ثم رواه] من طريق منير الثوري ، عن أبي ذر ، فذكره وزاد : قال أبو ذر : « ولقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يقاب طائر جناحيه في السماء إلا ذكرنا منه علما (٤) » .

وقال عبد الله ابن الإمام أحمد في مسند أبيه : حدثني عباس بن محمد وأبو يحيى الزبيري قالوا : حدثنا حجاج بن نصير ، حدثنا شعبة ، عن العوام بن مراحم — من بني قيس بن ثعلبة — عن أبي عثمان النهدي ، عن عثمان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الجماء لتفص من القرآن يوم القيامة (٥) » .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، عن جعفر بن يرقان ، عن يزيد بن الأصم ، عن أبي هريرة في قوله : (إلا ألهم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء) ثم إلى ربهم يحشرون ، قال : يحشر الخلق كلهم يوم القيامة ، البهائم والدواب

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٣٢١٩ ، ١٣٢٢٠ : ٣٤٦/١١ .

(٢) مسند أحمد : ١٦٢/٥ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٣٢٢٣ : ٣٤٧/١١ ، ٣٤٨ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٣٢٢٤ : ٣٤٨/١١ .

(٥) مسند أحمد : ٧٢/١ . ويظهر شرح الجمل فيها تفص : ٢٩٨/٢ .

والطبر وكل شيء ، فيبلغ من حد الله يومئذ أن يأخذ الجمام من الترناء . قال : ثم يقول : كوني ترابا . قال : فذلك يقول الكافر : (يا ليتني كنت ترابا) (١) .

وقد روى هذا مرفوعا في حديث الصور .

وقوله : (والذين كذبوا بآياتنا هم وبكم في الظلمات) ، أى : مثلهم في جهلهم وقلة علمهم وعدم فهمهم كمثل أصم - وهو الذى لا يسمع - أبكم - وهو الذى لا يتكلم - وهو مع هذا في ظلام لا يبصر ، فكيف يتنبأ مثل هذا إلى الطريق ، أو يخرج مما هو فيه ؟ . كما قال تعالى : (مثلهم كمثل الذى استوقد نارا ، فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم ، وتركهم في ظلمات لا يبصرون : هم بكم عى فهم لا يرجعون (٢)) . وكما قال : (أو كظلمات في بحر لجى يشاء موج من فوقه موج من فوقه سحاب ، ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ، ومن لم يجعل الله له نورا فإنه من (٣) نور) . ولهذا قال تعالى : (من يشأ الله يضلله ومن يشأ الله يجعله على صراط مستقيم) ، أى : هو المتصرف في خلقه بما يشاء .

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَنْتُمْ السَّاعَةُ أَعْبَرُ اللَّهُ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَمَكْشُفٌ مَّا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَسْأَلُونَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَآخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالْفُسَاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤﴾ فَلَمَّا سَأَلُوا مَادْرُؤَاهُ فَتَضَخَّ عَلَيْهِمْ أَبُو بَكْرٍ كُلُّ شَيْءٍ حَقٌّ إِذَا قُرْءُوا بِمَا أُوتُوا آخَذْنَاهُمْ بِغَتَّةٍ فَإِنَّمَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٥﴾ فَطُغِعَ دَارُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾

غير تعالى أنه القهار لا يريد ، المتصرف في خلقه بما يشاء ، وأنه لا معقب لحكمه ، ولا يقدر أحد على صرف حكمه عن خلقه ، بل هو وحده لا شريك له ، الذى إذا سئل بحبيب لمن يشاء ، ولهذا قال : (قل : أرايكم إن أتاكم حذاب الله أو أتاكم الساعة) ، أى : أتاكم هذا أو هذا (أغير الله تدعون إن كنتم صادقين) ، أى : لاتدعون غيره لعلمكم أنه لا يقدر أحد على دفع ذلك سواء ، ولهذا قال : (إن كنتم صادقين) ، أى : في اتخاذكم كلمة معه (بل إياه تدعون ، ليكشف ما تدعون إليه إن شاء وتسعون ما تنشركون) ، أى : في وقت الضرورة لاتدعون أحدا سواه وتذهب عنكم أصنامكم وأندادكم كما قال : (وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا (٤) إياه . . .) الآية

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٣٢٢٢ : ١١ / ٣٤٧ .

(٢) البقرة ، آية : ١٧ ، ١٨ .

(٣) النور ، آية : ٢٥ .

(٤) الإسراء ، آية : ٦٧ .

وقوله : (ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخضعناهم بالأساء) ، يعنى : افقر والضعف في العيش (والنفراء) وهي الأمراض والأقسام والآلام (لعلمهم يتضرعون) ، أى : يدعون الله ويتضرعون (١) إليه ويخشعون ، قال الله تعالى (فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا) ، أى : فهلا إذا ابتليناهم بذلك تضرعوا إلينا ونعسكوا إلينا (ولكن فسدت قلوبهم) أى : مارقت ولا خشعت (وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون) ، أى : من الشرك واللعاصي

(فلما نسوا ماذكروا به) ، أى : أعرضوا عن توبتأسوه وجعلوه وراء ظهورهم (فتحتنا عليهم أبواب كل شيء) ، أى : فتحتنا عليهم أبواب الرزق من كل ماغتنارون : وهذا استدرج منه تعالى وإملاء لهم ، عازفاً بالله من مكروهه ، ولهذا قال : (حتى إذا فرحوا بما أوتوا) ، أى : من الأموال والأولاد والأرزاق (أغلناهم بقتة) ، أى : على ظلة (فإذا هم مبسوثون) ، أى : آيسون من كل غير

قال الواهبى ، عن ابن عباس اللبس : الآيس :

وقال الحسن البصرى : من وسع الله عليه فلم ير أنه يكره به ، فلا رأى له : ومن قتر عليه فلم ير أنه ينظر له ، فلا رأى له ، ثم قرأ : (فلما نسوا ماذكروا به فتحتنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أغلناهم بقتة فإذا هم مبسوثون) ، قال الحسن : سكر بالقوم ورب الكعبة ، أعطوا حاجتهم ثم أغلوا ، رواه ابن أبي حاتم :

وقال قتادة : بقت القوم أمر الله وما أخذ الله قوما قط إلا عند سكرتهم وجرتهم ولعيمهم : فلا تنفروا بالله ، إنه لا يقدر بالله إلا القوم الفاسقون
رواه ابن أبي حاتم أيضاً :

وقال مالك ، عن الزهري : (فتحتنا عليهم أبواب كل شيء) قال : لإرخاء الدنيا وسرحتها
وقد قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن خيلان ، حدثنا رسلين - يعنى ابن سعد أبا الحجاج المهري - عن حملة ابن عمران التميمي ، عن عتبة بن مسلم ، عن عتبة ابن عامر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إذا رأيت الله يعطى للمعبود من الدنيا على معاصيه مايجب ، فلما هو استدرج - ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم : (فلما نسوا ماذكروا به فتحتنا عليهم أبواب كل شيء) ، حتى إذا فرحوا بما أوتوا أغلناهم بقتة فإذا هم مبسوثون) (٢)

ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم ، من حديث حملة وابن لهيعة ، عن عتبة بن مسلم ، عن عتبة بن عامر ، به وقال (٣) : ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا عمار بن خالد بن يزيد ، حدثني أبي ، عن إبراهيم بن أبي عبلة ، عن عباد بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : (إن الله إذا أراد بقوم بقاء : أو - نادم - رزقهم القصد والعفاف ، وإذا أراد الله بقوم [اقتطاعاً فتح لهم - أو : فتح عليهم - باب حياة]

(١) في هذا الموضع قد دون غيره ، دليل على أن أروعته مركزة في القدر ، مكتوبة في الطابع ، حتى لقد قيل : إنه لمن ملحد يتشكك في الله إلا ويكشف من الحادثة عنما يقترب من الموت وتنتزح به سكراته ، ويص بصفه ألم قوة الله القاهرة ، متأكد بخلص له سبيله النجاة بقلبه أو بلسانه ، وإن كان ذلك لا يجنيه نقما ، فقد جاء الأجل وانتقل الأمل .

(٢) مسند أسد : ١٤٥/٤ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر : ١٣٢٤١ ، ١٣٢٤١ ، ٣٦١٦ ، ٣٦٢٢ .

(حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبسورون) ، كما قال : (قطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين) .

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَبَصَرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِهِ أَنْظَرُ كَيْفَ نَصَرْتُ الْإِسْلَامَ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٣١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لَنْ نَأْمَنَ وَاصْلَحَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايُنِنَا إِنَّمَا جَاءُوا يُفْسِدُونَ ﴿٣٤﴾

يقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم : قل لولا المكلبين للعالمين : (أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم) أي : سلبكم إياها كما أصطا قومها : فإنه (هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار (١)) . . . الآية ويحتمل أن يكون هذا عبارة من منع الانتفاع بها الضع للشرعي ، ولهذا قال : (وختم على قلوبكم) ، كما قال : (أمن يملك السمع والأبصار (٢)) وقال : (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه (٣))

وقوله : (من إله غير الله يأتيكم به) ، أي : هل أحد غير الله يقدر على رد ذلك إليكم إذا سلبه الله منكم ؟ لا يقدر على ذلك أحد سواه ، ولهذا قال : (انظر كيف نصرفت الآيات) ، أي : فينبينا وتوضيحها وتفسيرها دالة على أنه لا إله إلا الله ، وأن ما يبدون من دونه باطل وضلال (ثم هم يصدفون) ، أي : ثم هم مع هذا البيان يعرضون عن الحق ، ويصدون الناس عن اتباعه .

قال القرطبي ، عن ابن عباس (يصدفون) يصدلون (٤) !

وقال مجاهد ، وقطادة : يعرضون (٥)

وقال السدي : يصدلون (٦)

وقوله : (قل أرأيتم إن أتاكم عذاب الله بغتة) ، أي : وأنتم لا تشعرون به حتى يفتكم وفجأكم (أو جهرة) ، أي : ظاهراً عياناً (هل يهلك إلا القوم الظالمون) ، أي : إنما كان يحيط بالظالمين أنفسهم بالشرك بالله ، وينجو الذين كانوا يصدون الله وحده لا شريك له ، فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون كما قال تعالى : (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) (٧) الآية .

(١) سورة المائدة ، آية : ٣٣ .

(٢) سورة يونس ، آية : ٣١ .

(٣) سورة الأنفال ، آية : ٢٤ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٣٢٤٦ : ١١ / ٣٦٧ .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر ١٣٢٤٤ : ١٣٢٤٥ : ١٣٢٤٧ : ١١ / ٣٦٧ .

(٦) تفسير الطبري ، الأثر ١٣٢٤٨ : ١١ / ٣٦٨ .

(٧) وهذا دليل على أن الظلم - وهو تجاوز الحد في المصبة - هو السبب في ما ينزل بالأمم من العقاب ، وما يحيط بها ساحتها من التكاليف ، وأنت إذا استعرضت آيات القرآن بدا لك هذا الرأي واضحاً لا يحتاج إلى دليل . ونذكر لك حل سبيل المثال قوله تعالى : (وكم قسمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا فيها قوماً آخرين . فلما آسروا بأمتنا إذ هم منها يركضون لا تركضوا وادبروا إلى ما أنزقم فيه وسلككم لملككم تسألون . قالوا : يا ويلنا إننا كنا ظالمين) (الأنبياء : ١١/١٤) ، فانظر كيف كان الظلم هو علة هذا العار ، وكيف تكرر هذا السبب في هذه الآية مرتين ليظهر ويذكر ؟ .

وقوله : (وما أرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين) ، أى : مبشرين حياد الله المؤمنين بالمفريات ، ومنذرين من كفر بالله التفات والعقوبات . ولهذا قال : (فمن آمن وأصلح) ، أى : فمن آمن قلبه بما جاءوا به وأصلح عمله باتباعه لإمامهم ، فلا خوف عليهم) ، أى : بالنسبة إلى ما يستقبلونه (ولا هم يحزنون) أى : بالنسبة إلى ما فاتهم وتركوه وراء ظهورهم من أمر الدنيا وصنيتها ، الله وليهم فيما خفوه ، وحافظهم فيما تركوه .

ثم قال : (والذين كذبوا بآياتنا يسهم المصاب بما كانوا يفسقون) ، أى : ينالهم المصاب بما كفروا بما جاءت به الرسل ، وخرجوا عن أوامر الله وطاعاته ، وإرتكبوا معاصيه ومناهيه وانتهاك حرماته .

قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي ثَوَابٌ أَوْ لَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنِّي أَنْتَبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿١﴾ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُبْعَثُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَيْعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢﴾ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣﴾ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِيُتَوَلَّوْا أَمْثُلَآءَ مَنْ أَفْءَدَ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٤﴾ وَإِذَا جَاءَهُمْ أُنْذَارٌ يُوْخُونَ بِهَا نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ مَثَلَاتٍ مِمَّا كُنْتُمْ تُكْفِرُونَ ۚ أَمْثَلُآءَ مَنْ كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ۚ قُلْ مَنْ يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ فَاغْوُواهُ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥﴾

يقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم : (قل : لا أقول لكم : عني خزائن الله) ، أى : لست أملكها ولا أنصرت فيها ، (ولا أعلم الغيب) ، أى : ولا أقول : إنني أعلم الغيب إنما ذلك من علم الله عز وجل ، لا أعلم منه إلا حل ما أعلمني عليه ، (ولا أقول لكم : إنني ملك) ، أى : ولا ادعى أني ملك ، إنما أنا بشر من البشر ، يوحى إليّ من الله عز وجل ، شرفني بملك ، وأنتم حل به . ولهذا قال : (إن أتبع إلا ما يوحى إليّ) ، أى : لست أنخرج عنه قيد شبر ولا أدنى منه (١) .

(قل : هل يستوى الأعمى والبصير) ، أى : هل يستوى من أتبع الحق وهدى إليه ، ومن ضل عنه ولم يتقده ؟ (أفلا تفكرون) ، وهذه كقوله تعالى : (ألئن يعلم أمثلكم من ربك الحق كمن هو أعمى ، إنما يذكر أولو الآلآب (٢)) .

وقوله : (وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ، ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع) ، أى : وأنذر جهلاء القرآن يا محمد (الذين هم من خشية ربهم مشفقون) (٣) والذين يحشرون بهم ويخافون سوء الحساب (٤) .

(١) جرد الله نبيه في هذه الآية من كل ما يحيط به أدماء الكلب أنفسهم من الصفات التي تخرجهم من دائرة الإنسان ، من القدرة على التصرف في ملكوت السموات والأرض ، ومعرفة الغيب ، والارتفاع إلى صفات الملائكة . وذكر سبحانه أن نبيه ليس إلا بشرا مقبلا باتباع ما يوحى إليه . وهذه المنزلة التي يوحى الله نبيه دليل قائم على صدق رسالته ، وأنه لا يمتنع في نشر تلاميذ حل فيه الإتباع العقل الذي لا يمتع بسبب إلى الامتداع الخارجة من حدود الخلق والواقع .

(٢) الروم ، آية : ١٩ .

(٣) المؤمنون ، آية : ٥٧ .

(٤) الروم ، آية : ٢١ .

(الذين يثاقون أن يحشروا إلى رحيم) ، أى : يوم القيامة (ليس لهم) ، أى : يومئذ (من دونه ولا شفيع) ، أى : لا قريب لهم ولا شفيع فيهم من عذابه إن أراداه بهم ، (لهم يتقون) ، أى : أنذر هذا اليوم الذى لاحاكم فيه إلا الله عز وجل (لهم يتقون) ، فيعملون في هذه الدار عملًا يتجنبهم الله به يوم القيامة من عذابه ، ويضاعف لهم به الجزيل من ثوابه .

وقوله : (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) ، أى : لا تبع هؤلاء المنصفين بهله الصفة عنك ، بل اجعلهم جسدك وأعصابك ، كما قال : (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) ، ولا تعد حينئذ عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ، ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً) (١) .

وقوله : (يدعون ربهم) ، أى : يمدونه ويسألونه (بالغداة والعشي) ، قال سعيد بن المسيب ، ومجاهد ، والحسن ، وقاعدة : المراد بذلك الصلوات المكتوبات .

وهذا كقوله : (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم) (٢) ، أى : أقبل منكم .

وقوله : (يريدون وجهه) ، أى : يبتغون بذلك العمل وجه الله الكريم ، فهم غفلون فيما هم فيه من العبادات والطاعات .

وقوله : (ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء) كما قال نوح عليه السلام في [جواب] الذين قالوا : (أنؤمن بك واتبعك الأرذلون) : (وما علمى بما كانوا يعملون . إن حسابهم إلا على ربى لو تشعرون) (٣) ، أى : إنما حسابهم على الله ، عز وجل ، وليس علكى من حسابهم من شيء ، كما أنه ليس عليهم من حسابى من شيء .

وقوله : (فطردهم فتكون من الظالمين) ، أى : إن فطمت هذا والحالة هذه .

قال الإمام أحمد : حدثنا أسباط - هو ابن عمه - حدثنا أشعث ، عن كركوس ، عن ابن مسعود قال : مر للأمام قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعنده : غياث ، وصهيب ، وبلال ، وعمار . فقالوا : يا محمد أرضيت هؤلاء ؟ فترك فيهم القرآن : (وأنذر به الذين يثاقون أن يحشروا إلى رحيم) إلى قوله : (أليس الله بأعلم بالشاكرين) (٤) .

رواه ابن جرير ، من طريق أشعث ، عن كركوس ، عن ابن مسعود قال : مر للأمام قريش برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعنده : صهيب ، وبلال ، وعمار ، وغياث ، وغيرهم من ضغفاء المسلمين ، فقالوا : يا محمد ، أرضيت هؤلاء ؟ أهؤلاء الذين من الله عليهم من بيننا ؟ ونحن نكون تبعاً لهؤلاء ؟ اطردهم [عنه] ، فطاعك إن طردتهم .

(١) الكهف ، آية : ٢٨ .

(٢) غافر : آية : ٦٠ .

(٣) الشعراء : آية : ١١٣ .

(٤) مستدركه ٤٢٠/١ ، وفيه : (وإنك تعلم بالظالمين) وهو خطأ .

أن تملك : فترت هذه الآية : (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) - (و كذلك فتا بعضهم ببعض) ... إلى آخر الآية (١) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد بن يحيى ، بن (٢) سعيد القطان ، حدثنا عمرو بن محمد المنقري ، حدثنا أسباط بن نصر ، عن السدي ، عن أبي سعيد الأزدي - وكان قارئ الأزد - عن أبي الكتود ، عن خباب في قوله الله عز وجل : (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) ، قال : جاء الأقرع بن حابس التيمي وعيينة بن حصن القرظي ، فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع صهيب وبلال وعمار وخباب قاعدا في ناس من الضفءاء من المؤمنين ، فلما رأوهم حول النبي صلى الله عليه وسلم حرقوم ، فأثوه فخلوا به ، وقالوا : إنا نريد أن نجعل لك منك مجلسا تعرف لنا به العرب فضلا ، فإن وفرد العرب تأتيك فتستحي أن ترائنا العرب مع هذه الأعداء ، فإذا نحن جئناك فأنهم عنا ، فإذا نحن فرخنا فأنهم معهم إن شئت : قال : نعم . قالوا : فاكذب [لنا] عليك كتابا . قال : فلما بالصحيفة ودها عليها ليكتب ، ونحن نعود في ناحية ، فترى جبريل فقال : (ولا تطرد الذين يدعون ربهم) ... الآية ، فرى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصحيفة ، ثم دعانا فأتيناه .

ورواه ابن جرير ، من حديث أسباط ، به (٣) .

وهذا حديث غريب ، فإن هذه الآية مكية ، والأقرع بن حابس وعيينة إنما أسلما بعد الهجرة بدر .

وقال سفيان الثوري عن القدام بن شرحبيل ، عن أبيه قال : قال سعد : ترثت هذه الآية في سنة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، منهم ابن مسعود ، قال : كنا نسبق إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وتدفق منه ونسمع منه ، فقالت قریش : يلقى هؤلاء هونا . فترت : (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) (٤) .

رواه الحاكم في مستدرکه من طريق سفيان ، وقال : على شرط الشيخين (٥) . وأخرجه ابن حبان في صحيحه من طريق القدام بن شرحبيل ، به .

وقوله : (و كذلك فتا بعضهم ببعض) ، أي : ابتلينا واختبرنا وامتنعنا بعضهم ببعض (ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا) ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان غالباً من أتباعه في أول البعثة ضعفاء الناس من الرجال والنساء والبيد والإماء ، ولم يجه من الأشراف إلا قليل ، كما قال قوم نوح نوح : (وما نراك أتيتك إلا للذين

(١) تفسير القرطبي ، الأثر ١٣٢٥٥ - ١٣٢٥٧ : ٣٧٤/١١ : ٣٧٥ .

(٢) في المخطوطة : حدثنا أبو سعيد بن يحيى ، حدثنا سيد القطان ، وهو خطأ ما روت عليه البيهقي . والصواب ما أجهته . وأبو سعيد بن يحيى هو : أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد القطان . روى عن جده يحيى بن سعيد ، ومن عمرو المنقري . ينظر المرح لاين أبي حاتم : ٧٤/١/١ : ٢٩٢/١/٣ .

(٣) تفسير القرطبي ، الأثر ١٣٢٥٨ : ٣٧٦/١١ .

(٤) تفسير القرطبي ، الأثر ١٣٢٦٣ : ٣٧٨/١١ .

(٥) المستدرک ، كتاب معرفة الصحابة : ٣١٩/٢ .

هم أولادنا يادى الرأى^(١) :: الآية ، وكما قال هرقل ملك الروم لأبي سفيان حين سأله المسائل ، قال له : فهل اتهمه غشاه الناس أو أشرفهم ؟ قال : بل غشاهم . فقال : هم أتباع الرسل^(٢) .

والغرض أن مشركي قريش كانوا يسخرون من آمن من ضعفائهم ، ويعلمون من يقدرون عليه منهم ، وكانوا يقولون : أهولاء من الله عليهم من بيننا ؟ أى ما كان الله يهدى هؤلاء إلى الخير - لو كان ما صاروا إليه خيراً - ويعدنا كما قالوا : (لو كان غيرا ما سبقونا إليه)^(٣) . وكما قال تعالى : (وإذا تولى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا الذين آمنوا أى الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً)^(٤) .

قال الله تعالى في جواب ذلك : (وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثاً وردياً)^(٥) : وقال في جوابهم حين قالوا : (أهولاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين) ، أى : أليس هو أعلم بالشاكرين له بأقوالهم وأفعالهم وشمالهم ، فيؤتهم ويهديهم سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور ويهديهم إليه صراطاً مستقيماً ، كما قال تعالى : (والذين جاءوا فإنا نهدىهم سبيلنا وإن الله لم يهمل المحسنين)^(٦) . وفي الحديث الصحيح : (إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى ألوانكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأفعالكم)^(٧) .

وقال ابن جرير : حدثنا القاسم : حدثنا الحسين ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة في قوله : (وأول به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم) ... الآية ، قال : جاء عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، ومطعم بن عدي ، وأخابر بن نوفل ، وقريظة بن [عدي] عمرو بن نوفل ، في أشرف [من] بنى عبد مناف من أهل الكفر ، إلى أبي طالب فقالوا : يا أبا طالب ، لو أن ابن أخيك عمداً يطرد عنه موليته وحلفاءنا ، فإنا هم حينئذ وحشواًنا^(٨) ، كان أعظم في صدورنا ، وأطوع له عندنا ، وأذى لاتباعنا إياه ، وتصديقنا له . قال : فأتى أبو طالب النبي صلى الله عليه وسلم فحدثه بالذي كلموه ، فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لو فعلت ذلك ، حتى تنظر ما الذى يريدون ، وإلى ما يصبرون من قولهم ؟ فأول الله عز وجل هذه الآية : (وأول به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم) ... إلى قوله : (أليس الله بأعلم بالشاكرين) . قال : وكانوا بلالا ، وعمار بن ياسر ، وسالم مولى أبي حذيفة ، وصبيحة مولى أسيد

(١) سورة هود : آية : ٢٧ .

(٢) وإنما كان غشاه الناس هم الذين يمارعون إلى إجابة الرسل ، لأنهم هم الذين يحسون بالذين ، ويماثرون في الجمع ومائة الأتقياء وظل دونه للزأام لكبراه والأفنديه لأن رسالة الرسل تسندف فيها تسندف إقرار العدل ، ورفق قبضة الظلم ، وتفر أسواء الحرية والساواة . وأنت إذا راجست الآيات التي تنازلت هذه القضية رأيت هذا للنبي وانساباً لايتحتاج إلى برهان .

(٣) سورة الأحقاف : آية : ١١ .

(٤) سورة مريم : آية : ٧٣ .

(٥) سورة مريم : آية : ٧٤ .

(٦) سورة التنبكوت : آية : ٦٩ .

(٧) مسند أحمد من أبي هريرة : ٢٨٥/٢ : ٣٩٩ . وسلم ، كتاب البر ، باب تحريم ظلم المسلم وعذله واحتقاره ووجه وعرضه وماله : ١١/٨ . وابن ماجه ، كتاب الزكوة ، باب القناعة ، الحديث ٤١٤٣ : ١٣٨٨/٢ . وفي كل أولئك : (إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ...) .

(٨) السلفاء ، جيع صيف ، وهو القبه ، والأجبر .

— ومن الخلفاء ابن مسعود ، والقناد بن عمرو ، وسعد بن القنارى ، وواقد بن عبد الله الحنظلي ، وعمرو بن عبد عمرو
وفو الثعالبي ، ومروث بن أبي مروث — وأبو مروث من غنى حليف حمزة بن عبد المطلب — وأشياهم من الخلفاء ،
وتزلت في أئمة أكثر من قريش والموال والخلفاء : (وكذلك فَتَنَّا بعضهم ببعض ليقولوا أهولاء من الله منَ الله عليهم مِن
يبتا) ... الآية . فلما تزلت ، أجبل عرض الله عنه فاحطرو من مقالته ، فأقول الله عز وجل : (وإذا جاءك الذين يؤمنون
بآياتنا (١)) ... الآية .

وقوله : (وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا قل : سلام عليكم) ، أى : فأكرمهم برّد السلام عليهم ، وبخبرهم
برحمة الله الواسعة الشاملة لهم . ولهذا قال : (كتب ربكم على نفسه الرحمة) ، أى : أوجبها على نفسه الكرمية ، تفضلا
منه وإحسانا وامتنانا .

(أنه من عمل منكم سوأ بمجاهلة) ، قال بعض السلف : كل من عصى الله فهو جاهل .

وقال معتمر بن سليمان ، عن الحكم بن أبان ، عن حكمة في قوله : (من عمل منكم سوأ بمجاهلة) ، قال :
الفتيا كلها بمجاهلة . رواه ابن أبي حاتم .

(ثم تاب من بعده وأصلح) ، أى : رجع عما كان عليه من الماضي ، وأقلع وعزم على أن لا يعود ، وأصلح
العمل في المستقبل (فإنه خفور رحيم) .

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر عن همام بن منبّه قال : هلما ما حدثنا أبو هريرة قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لما قضى الله الخلق ، كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش : إن رحمتى غلبت
غضبي (٢)) :

أخرجاه في الصحيحين (٣) . وهكذا رواه الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة (٤) . ورواه موسى بن عقبة
عن الأخرج ، عن أبي هريرة . وكلا رواه الليث وغيره . عن محمد بن عجلان ، عن أبيه ، عن أبي هريرة (٥) .
عن النبي ﷺ .

وقد روى ابن مردويه ، عن طريق الحكم بن أبان ، عن حكمة ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ص
عليه وسلم : (إذا فرغ الله من القضاء بين الخلق ، أخرج كتابا من تحت العرش : إن رحمتى سبقت غضبي ، وأنا لرحم
الراحمين . فيقبض قبضة أو قبضتين ، فيخرج من النار خلقا لم يعملوا خيرا ، مكتوب بين أيديهم . عتقاه الله .)

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٣٢٦٤ : ٣٧٩/١١ ، ٧٨٠ .

(٢) سند أحد من حيث طويل : ٣١٣/٢ . وفي المخطوطة : (لما قضى الله على الخلق كتب كتاباً ...) . والمثبت من المسند
وهو رواه الإمام أحمد من غير وجه عن أبي هريرة . ينظر : ٢٤٢/٢ : ٢٦٠ ، ٣٥٨ ، ٣٨١ ، ٣٩٧ ، ٤٢٣ ، ٤٦٦ .
(٣) البيهقي ، كتاب بدء الخلق ، باب ما جاء في قول الله تعالى : (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده) : ١٢٩/٤ . وفيه :
« لما قضى الله الخلق ، كتب في كتابه ... » ، وكتاب التوحيد ، باب ما يذكر في القات والموت : ١٤٧/٨ . وفيه : « لما خلق
الله الخلق ، كتب في كتابه ، هو يكتب على نفسه ، وهو وضع عنده على العرش : إن رحمتى تغلب غضبي . » . وينظر أيضاً في
كتاب التوحيد : ١٥٣/٨ ، ١٦٥ ، ١٩٦ . وسلم ، كتاب التوبة ، باب في سنة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه : ٩٥/٨ .
٩٦ . وفيه : « لما خلق الله الخلق كتب في كتابه ... » .

(٤) رواية الأعمش في المسند : ٣٩٧/٢ .

(٥) رواية محمد بن عجلان في المسند : ٤٢٢/٢ .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، عن عاصم بن سليمان ، عن أبي عثمان النهدي ، عن سلمان في قوله : (كتبكم على أنفسكم رحمة) ، قال : إنا نجد في التوراة عطفين : أن الله خلق السموات والأرض ، وخلق مائة رحمة - أو : جعل مائة رحمة - قبل أن يخلق الخلق ، ثم خلق الخلق ، فوضع بينهم رحمة واحدة ، وأسلم الله تسعة وتسعين رحمة ، قال : فيها يترحمون ، وبها يضاعفون ، وبها يثابرون ، وبها يتراوون ، وبها تحسن الفتاة ، وبها تنجي (١) الفقرة ، وبها تنقو الشاة ، وبها تتناجى الطير ، وبها تتناجى الحيتان في البحر . فإذا كان يوم القيامة جمع الله تلك الرحمة إلى ما عنده ، ورحمته أفضل وأوسع .

وقد روى هذا مرفوعا من وجه آخر (٢) . وسأيت كثير من الأحاديث الموافقة لهذا عند قوله : (ورحمني وصحت كل شيء) (٣) .

وما يناسب هذه الآية من الأحاديث أيضا قوله صلى الله عليه وسلم لماذا بن جبل : « أتدري ما حق الله على العباد ؟ أن يعبدوه لا يشركوا به شيئا » ، ثم قال : « أتدري ما حق العباد على الله إذا هم فعلوا ذلك ؟ أن لا يعذبهم » (٤) ، وقد رواه الإمام أحمد ، من طريق جميل بن زياد ، عن أبي هريرة (٥) .

وَكَلَّاكَ نَفْصِلَ الْآيَاتِ وَلِنَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمَجْرِمِينَ ﴿٥٠﴾ قُلْ إِنِّي نَبِيٌّ أَن أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا آتِيْعَ أُمُورًا كُمْ قَدْ ضَلَلْتُمْ إِذَا مَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿٥١﴾ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عَيْدِي مَا تَسْتَعْمِلُونَ بِهِ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضِي الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴿٥٢﴾ قُلْ لَوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْمِلُونَ بِهِ لَفَقِىَ الْأَرْضَ بِرَبِّي وَيَنْكَرَ اللَّهُ أَعْلَمَ بِالظَّالِمِينَ ﴿٥٣﴾ وَنَعْتَمُ مَقَاتِلَ الْقَبْرِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا يَظِلُّ وَلَا يَأْبِسُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مَبْنُوعٍ ﴿٥٤﴾

يقول تعالى : وكما بيننا ما تقدم بيانه من الحجج والدلائل على طريق الهداية والرشاد وذم المجادلة والعداء ، (كذلك تفصل الآيات) ، أي : التي يحتاج المخاطبون إلى بيانها (ولنستبين سبيل المجرمين) أي ونظهر طريق المجرمين المخالفين للرسول وقرئ (ولنستبين سبيل المجرمين) ، أي : ولنستبين (٦) يا محمد - أو يا مخاطب - سبيل المجرمين .

(١) في مخطوطة الأهر : « تبيع » والمثبت من مخطوطة دار الكتب ١٥ « تسمير » .

(٢) أخرج مسلم نحوه من الحديث عن موسى بن مسعود عن أبي عثمان النهدي ، عن سلمان مرفوعاً . ينظر كتاب التوبة ، باب في سنة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه ، ٩٦/٨ . كما أخرج نحوه من أبي هريرة مرفوعاً في نفس الباب . وكذلك أخرجه الإمام أحمد وابن ماجه عن أبي هريرة مرفوعاً . ينظر المسند : ٢٤٤/٢ وسنن ابن ماجه ، كتاب الزهد ، باب ما يرجي من رحمة الله يوم القيامة ، الحديث ٤٢٩٣ : ١٤٣٥/٢ .

(٣) سورة الأعراف ، آية : ١٥٦ .

(٤) سنة أحمد : ٢٦٠/٢ ، ٢٦١ . وقد انحصر ابن كثير من الحديث . وقد أخرجه البيهقي في كتاب التوسيع ، باب ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم آتته إلى توحيد الله : ١٤٠/٨٠ . ومسلم في كتاب الإيمان ، باب من لقى الله بالإيمان ، وهو غير شاك دخل الجنة وحرم على النار : ٤٣/١ ، ٤٤ .

(٥) سنة أحمد : ٣٠٩/٢ ، ٥٢٥ ، ٥٢٥ .

(٦) كذا مخطوطة الأهر (ولنستبين) بالياء . وهي قراءة الأخوين ولها بكر . ينظر البحر المحيط لأبي حنيفة : ١٤١/٤ .

وقوله (١) : (قل : إني على بينة من ربي) ، أي : على بصيرة من شريعة الله التي أوحاها إلي (وكتبه به) ، أي : بالحق الذي جاءني من الله (ما عندي ما تستعجلون به) ، أي : من الملأب ، (إن الحكم إلا لله) ، أي : إننا يرجع أمر ذلك إلى الله إن شاء جعل لكم ما سألتوه من ذلك ، وإن شاء أنظركم وأجلكم ، لا له في ذلك من الحكمة العظيمة ، ولهذا قال (إن الحكم إلا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين) ، أي : وهو خير من فصل القضايا وخير الفاضلين الحاكمين بين حياده ؛

وقوله : (قل : لو أن عندي ما تستعجلون به لقضيت الأمر بيني وبينكم) ، أي : لو كان مرجع ما تستعجلون به إلي ، لأقضت بكم [ما تستحقونه] من ذلك (والله أعلم بالظالمين) ؛

فإن قيل : فما الجمع بين هذه الآية ، وبين ما ثبت في الصحيحين من طريق ابن وهب ، عن يونس ، عن الزهري ، عن مروءة ، عن عائشة أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ، هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟ فقال : لقد لقيت من قومك ، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة ، إذ عرضت نفسي على ابن عبد (٢) يا ليل ابن عبد كلال ، فلم يجبي إلي ما أردت : فانطلقت وأنا مهموم على وجهي (٣) ، فلم أستفق إلا بقرن الصالح (٤) فرجعت رأس فلذا أنا بسجدة قد أظلمتني ، (فنظرت) (٥) فإذا فيها جبريل عليه السلام ، فناداني فقال : إن الله قد سمع قول قومك لك ، وما ردوا عليك ، وقد بعث إليك ملكك الجبال لتأمره بما شئت فيهم . قال : فناداني ملكك الجبال وسلم على ، ثم قال : يا عابد ، إن الله قد سمع قول قومك لك ، وقد بعثي إليك ، لتأمرني بأمرك ، فما شئت (٦) ؟ إن شئت ألبقت (٧) عليهم الأعرشين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله ، لا يشركه شيئاً (٨) .

وهذا لفظ مسلم .

(١) لم يعرض الإمام ابن كثير تفسير الآية ٥٦ من هذه السورة ، وهي قوله تعالى : (قل : إني نذيت أن أحد الذين تتعونون من دون الله ، قل : لا أتبع أهواءكم) قد ضللت إذا وما أنا من المهتدين .

وقد قال الإمام أبو جعفر بن جرير عندهما ٣٩٦/١١ ، ٣٩٧ : « يقول تعالى لنبيه عبد صلى الله عليه وسلم : قل ، يا عابد ، طردوا المشركين يرجع من قومك ، الصالحين به الأوثان والأنداد ، الذين يأمركم إلى موافقتهم على دينهم وعبادة الأوثان : إن الله ينفق أن أحد الذين تتعونون من دونه ، فلن أتبعكم على ما تدعونني إليه من ذلك ، ولا أوافقكم عليه ، ولا أصليكم بحكمكم وهماكم فيه . وإن ضللت ذلك ، فقد تركت حجة الحق ، وسكت على غير الحق ، فصرتم ضالاً مثلكم على غير استقامة » .

(٢) ابن عبد ياليل كان من أكابر ثقف ، واسمه كنانة .

(٣) أي : على الجهة المواجهة لي .

(٤) قرن الصالح : ميقات أهل نجد ، ويقال له : قرن المنازل أيضاً . ويبيت وبين مكة يوم وليلة .

(٥) من صحيح مسلم .

(٦) أي : فاشتت فأمرق به .

(٧) لفظ مسلم : « إن شئت أن ألبق عليهم الأعرشين » وحل هذا جواب الفطر مقترن ، أي : ضللت ذلك .

(٨) مسلم ، كتاب الجهاد ، باب ما لقى النبي صلى الله عليه وسلم من أئمة المشركين والمنافقين : ١٨١/٥ . والبخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السجدة ، فوافقت إسماها الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه : ١٣٩/٤ ، ١٤٠ .

فقد عرض عليه طلبهم واستصالحهم ، فاستأق^(١) بهم ، وسأل لم التأخير ، لعل الله أن يخرج من أصلابهم من لا يشرك به شيئا - فما الجمع بين هذا ، وبين قوله تعالى في هذه الآية الكريمة : (قل لو أن عندى ما تستعجلون به لقضى الأمر بينى وبينكم والله أعمل بالظالمين) ؟

فالجواب - والله أعلم - أن هذه الآية دلت على أنه لو كان إليه وقروح 'الطلاب' الذى يطلبونه حال طلبهم له ، لأوقعهم بهم : ولما الحديث فليس فيه أنهم سأله وقروح الطلاب بهم ، بل عرض عليه ذلك الجبال أنه إن شاء أطبق عليهم الأخشبين - وما جلا مكة لآلئ اللان لا يكتفانها جنوبا وشمالا ، فلها استأق بهم وسأل الرق لم .

وقوله : (وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو) ، قال البخارى : حدثنا عبد العزيز بن عبد الله ، حدثنا إبراهيم ابن سعد ، عن ابن شهاب ، عن سالم بن عبد الله ، عن أبيه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها » (٢) إلا الله ، (إن الله عنده علم الساعة ، ويتزل علم الأرحام ، وما تلتوى نفس ماذا تكسب خلدًا ، وما تلتوى نفس بأى أرض تموت ، إن الله علم غيب) (٣) :

وفي حديث عمر : أن جبريل حين تبلى له في صورة أعراب فسأل عن الإسلام والإيمان والإحسان ، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال له : « خمس لا يعلمهن إلا الله ، ثم قرأ : (إن الله عنده علم الساعة) » : الآية .
وقوله : (ويعلم ما فى البر والبحر) ، أى : يحيط علمه الكريم بجميع الموجودات برّيا وبحريا ، لا يحق عليه من ذلك شيء ، ولا مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء وما قال الصرصرى :

فَكَأَيُّ بَحْثٍ عَلَى الذَّرِّيَّةِ ؟؟؟ تَرَائى لِنَوَاطِرِ أَوْ تُؤَكِّرِى

وقوله : (وما تسقط من ورقة إلا يعلمها) ، أى : ويعلم الحركات حتى من الجادات ، فما ظنك بالحيوانات ، ولا سائر المخلوقات منهم من جهنم ولهم ، كما قال تعالى : (يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور) :
وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا الحسن بن الربيع ، حدثنا أبو الأحوص ، عن سعيد بن مسروق ، عن حسان التمرى ، عن ابن عباس فى قوله : (وما تسقط من ورقة إلا يعلمها) ، قال : ما من شجرة فى بر ولا بحر إلا ومالك موكل بها ، يكتب ما يسقط منها (٤) :

وقوله : (ولا حية فى ظلمات الأرض ولا طير ولا يابس إلا فى كتاب مبين) :

قال محمد بن إسحاق ، عن يحيى بن النضر ، عن أبيه ، سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول : إن تحت الأرض الثالثة وفوق الرابعة من الجن ما لو أنهم ظهوروا - بينى لكم - لم تروا معهم نورا ، على كل زاوية من زوايا [الأرض] خاتم من خواص الله ، عز وجل ، على كل خاتم ملكك من الملائكة يبيت الله ، عز وجل ، إليه فى كل يوم ملكا من عنده : أن احتفظ بما عندك :

(١) يقال : استأق به ، أى : انتظر به ولم يسجله .

(٢) لفظ البخارى : « مفاتيح الغيب خمس : إن الله عنده ... » .

(٣) صحيح البخارى ، تفسير سورة الأنعام : ٧١/٦ .

(٤) اندر المشور السورى : ١٥/٢ .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن لسور الزهرى ، حدثنا مالك بن سبيع ، حدثنا الأعمش ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الله بن الحارث قال : ما فى الأرض من شجرة ولا مغرر إبرة إلا عليها ملك موكل بأمر الله يعلمها ، وطوتها إذا رطبت ، وبيسها إذا يبست ، وكذا رواه ابن جرير عن أبي الخطاب زياد بن عبد الله الحسائى (١) ، عن مالك بن سبيع ، به .

ثم قال ابن أبي حاتم : ذكر عن أبي حليفة ، حدثنا سفيان ، عن عمرو بن قيس ، عن رجل ، عن سعيد بن جبر ، عن ابن عباس قال : خلق الله التوت ، - وهى اللواة - وعناق الألواح ، فكتب فيها أمر الدنيا حتى يقضى ما كان من خلق مخلوق ، أو رزق حلال أو حرام ، أو عمل ير أو فجور ، وقرأ هذه الآية (وما تسقط من ورقة إلا يعلمها) إلى آخر الآية .

وَهُوَ الَّذِي يُتَوَفَّكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِبُقْعٍ أَجَلَ مَسْمُومٍ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢) وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عَرْشِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ (٣) ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْمُلْكُ وَهُوَ أَسْرِعُ الْبَاسِ (٤)

يخبر تعالى أنه يتوفى عباده فى منامهم بالليل ، وهذا هو التوفى الأصغر ، كما قال تعالى : (إِذَا قَالَ اللَّهُ : يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ تَوَفَّاكْ وَارْفُكْ إِلَى (٢)) ، وقال تعالى : (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَإِلَى لِمَ تَحْتَ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِى قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ إِلَى الْآخِرَى إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى (٣)) ، فذكر فى هذه الآية الوفاة : الكبرى والصغرى ، وهكذا ذكر فى هذا المقام حكم الوفاة الصغرى ثم الكبرى ، فقال : (وَهُوَ الَّذِى يُتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ) ، أى : ويعلم ما كسبتم من الأعمال بالنهار . وهذه جملة معترضة دلت على إحاطة علمه تعالى بحظه فى ليالهم ونهارهم ، فى حال سكوتهم وفى حال حركتهم ، كما قال : (سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ، ومن هو مستخف بالليل وسار به بالنهار) ، وكما قال تعالى : (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه) ، أى : فى الليل (وليتقوا من فضله) (٤) ، أى : فى النهار ، كما قال : (وجعلنا الليل لباساً وجعلنا النهار معاشاً) (٥) . ولهذا قال تعالى ها هنا : (وَهُوَ الَّذِى يُتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ) ، أى : ما كسبتم بالنهار (ثم يبعثكم فيه) ، أى : فى النهار . قاله مجاهد ، وقادة ، والسدى (٦) .

(١) فى تفسير الطبرى ، الآثار ١٣٣٠٨ / ١١ / ٤٠٤ : «زيد بن يحيى الحسائى» ويقول الحق : «جاء فى الخطوط وتفسير ابن كثير : «زيد بن عبد الله الحسائى أبو الخطاب» وهو خطأ لا شك به ، فإن الذى يروى عن مالك بن سبيع هو «زيد بن يحيى الحسائى أبو الخطاب» فضلاً عن أنه ليس فى الرواة من يسمى : «زيد بن عبد الله الحسائى أبو الخطاب» .

(٢) سورة آل عمران ، آية : ٥٥ .

(٣) سورة الزمر ، آية : ٤٢ .

(٤) سورة القصص ، آية : ٧٣ .

(٥) سورة قناب ، آية : ١٠ و ١١ .

(٦) تفسير الطبرى ، الآثار ١٣٣١٥ - ١٣٣١٨ - ١١ / ٤٠٧ و ٤٠٨ .

وقال ابن جرير ، عن عبد الله بن كثير : أتى في المنام (١) :
والأول أظهر ، وقد روى ابن مردويه بسنده ، عن الفضلك ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« مع كل إنسان ملك إذا نام أخذ نفسه ، ويردّ إليه فإن أذن الله في قبض روحه قبضه ، وإلا ردّ إليه (٢) » ، فذلك
قوله : (وهو الذي يتوفاكم بالليل) :
وقوله : (ليقتسى أجل مسمى) ، يعني به أجل كل واحد من الناس ، (ثم إليه مرجعكم) ، أي : يوم القيامة ،
(ثم يبيحكم) ، أي : فيخبركم بما كنتم تعملون) ، أي : ويجزيكم على ذلك إن خيراً فخير وإن شراً فشر :
وقوله : (وهو القاهر فوق عباده) ، أي : هو الذي قهر كل شيء ، وخضع لجلاله وعظمته وكبريائه كل شيء :
(ويرسل عليكم حفظة) ، أي : من الملائكة يحفظون بدن الإنسان ، كما قال : (له معقبات من بين يديه ومن خلفه
يحفظونه من أمر الله) (٣) ، وحفظة يحفظون عمله ويحفظونه ، كما قال : (وإن عليكم لحافظين) (٤) . : الآية ،
وقال : (عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) (٥) :
وقوله : (حتى إذا جاء أحدكم الموت) ، أي : احتضر وحان أجله (توفته رسلنا) ، أي : ملائكة موكلون
بذلك :

قال ابن عباس وغير واحد : لملك الموت أحوان من الملائكة ، يخرجون الروح من الجسد ، فيقبضها ملك الموت إذا
انتهت إلى الخلقوم : وسيلاني عند قوله تعالى : (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) (٦) ، الأحاديث المتعلقة بذلك ،
الشامدة لهذا الروي عن ابن عباس وغيره بالصحة :

وقوله : (وهم لا يفرطون) ، أي : في حفظ روح المتوفى ، بل يحفظونها ويترلوها حيث شاء الله عز وجل ، إن
كان من الأبرار في حلين ، وإن كان من الفجار في سجين ، عياذا بالله من ذلك .

وقوله : (ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق) قال ابن جرير : (ثم ردوا) يعني الملائكة (إلى الله مولاهم الحق) (٧) :
ونذكر ها هنا الحديث الذي رواه الإمام أحمد حيث قال : حدثنا حسين بن محمد ، حدثنا ابن أبي ذئب ، عن محمد
ابن عمرو بن عطاء ، عن سعيد بن يسار ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن
لميت تحضره الملائكة ، فإذا كان الرجل الصالح قالوا : أخرجي أيتها النفس الطيبة (٨) كانت في الجسد الطيب ، أخرجي
حبيبة ، وأبشري بروح وريحان ، وربّ غير غضبان . فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ، ثم يترجّح بها إلى السماء

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٣٣١٩ : ٤٠٨/١١ .

(٢) لفظ الحديث كما في الدر المنثور ١٥/٣ : « مع كل إنسان ملك إذا نام يأخذ نفسه ، فإن أذن الله في قبض روحه قبضه ،
وإلا ردّ إليه ... » .

(٣) سورة الفرق ، آية : ١١ .

(٤) سورة الانشطار ، آية : ١٠ .

(٥) سورة ق ، آية : ١٧ : ١٨ .

(٦) سورة إبراهيم ، آية : ٢٧ .

(٧) لفظ ابن جرير ٤١٣/١١ : « ثم ردت الملائكة اللتين توفرن قبضوا نفوسهم وأرواحهم إلى الله منهم الحق » .

(٨) في غزوة الأخر : « أخرجي أيتها النفس المطمئنة » وللميت من عند الإمام أحمد .

فيستفتح (١) لما ، فيقال : [من هنا ؟ فيقال : فلان ، فيقال : مرحبا بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب ، ادخل حنيفة وابشري بروح وريحان ، ورب خير ضحيان . فلا يزال يقال لما ذلك حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله عز وجل ، وإذا كان الرجل السود قالوا : انخرجي أبينا النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث ، انخرجي ذبيمة وابشري بجميع وعدائق ، وآخر من شكله أزواج . فلا يزال يقال لما ذلك حتى تخرج ، ثم يخرج بها إلى السماء ، فيستفتح لما ، فيقال : من هنا ؟ فيقال : فلان ، فيقال : لا مرحبا بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث ، ارجعي ذبيمة ، فإنه لا يفتح لك أبواب السماء . ففرس من السماء ثم تعبر إلى القبر ، فيجلس الرجل الصالح فيقال له مثل ما قيل له في الحديث الأول ، ويجلس الرجل السود فيقال له مثل ما قيل في الحديث الأول (٢) .

هنا حلت غريب .

ويحتمل أن يكون المراد بقوله : (ثم ردوا إلى الله) ، يعني : الخلائق كلهم إلى الله يوم القيامة ، فيحكم بينهم بعلمه ، كما قال : (قل : إن الأولين والآخرين ليهودون إلى ميقات يوم معلوم) (٣) وقال : (وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً) إلى قوله : (ولا يظلم ربك أحداً) (٤) . وغلما قال : (مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين) ،

قُلْ مَنْ يَنْجِيكُمْ مِنْ ظِلْمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَضَرُّوا وَخَفِيَ لَكُمْ الْخِشْيَاءُ مِنْ هَٰؤُلَاءِ لَسَكُونُ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٥﴾
قُلْ اللَّهُ يَنْجِيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُشْكِرُونَ ﴿١٦﴾ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِمَّنْ قَبْلُكُمْ
أَوْ مِنْ نَحْتِ أَيْدِيكُمْ أَوْ يُلْهِكَكُمْ أَوْ يُلْبِسَكُمْ زِينًا وَلِيَقُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ بَلَى بَعْضُ النَّاسِ لَظُفْرٌ كَيْفَ تَصَرَّفُ إِلَّا يَنْتَ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿١٧﴾

يقول تعالى ممثلاً على عباده في إجماعه المضطرين منهم (من ظلمات البر والبحر) ، أي : الحائزين الواقعين في المهامة البرية ، وفي الفج البحرية إذا حاجت الريح العاصفة ، فيضربون البحر الدماء له وحده لا شريك له ، كما قال : (وإذا مسك الفجر في البحر غل من تدعون إلا إياه) (٥) ، : الآية . وقال تعالى : (هو الذي يسركم في البر والبحر ، حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم يريخ طية وانفروا بها . جامها ربح حاصف ، وجامم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم ، دعوا الله عاصفين له الذين أنجيتنا من هذه لتكونن من الشاكرين) (٦) . . . الآية وقال تعالى : (أمن يجزيكم في ظلمات البر والبحر ، ومن يرسل الرياح يشراً بين يدي رحمته ، أإله مع الله تعالى الله عما يشركون) (٧) .

(١) في خطوطة الأهر : : فيستفتح فيفتح لما ، والظلمات من مسد أسد .

(٢) مسد أسد : ٣٦٤/٢ ، ٣٦٥ .

(٣) سورة الواقعة ، آية : ٥٠ .

(٤) سورة المكيف ، آية : ٤٩ .

(٥) سورة الإنشراء ، آية : ٦٧ .

(٦) سورة يونس ، آية : ٢٢ .

(٧) سورة النمل ، آية : ٦٢ .

وقال في هذه الآية الكريمة : (قل من ينجيكم من ظلمات البحر والبحر تدعوه تضرعا وخفية) ، أى : جهرا وسرا (لئن أنجيتنا (١) من هذه) ، أى : من هذه الضائقة (لنكونن من الشاكرين) ، أى : بعد ما يخلصنا ، قال الله : (قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم) ، أى : بعد ذلك (تشركون) ، أى : تدعون معه في حال الرقابة لكافة أخرى :

وقوله : (قل هو القادر على أن يبعث عليكم طوبا من فوقكم أو من تحت أرجلكم) ، لا قال : (ثم أنتم تشركون) هتف به بقوله : (قل هو القادر على أن يبعث عليكم طوبا) ، أى : بعد إنجائه إياكم ، كما قال في سورة مبحان : (وبكم اللئى يترجي لكم الله في البحر لئن جئنا من فضله إنه كان بكم رحيما . وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه ، فلما نجاكم إلى البر أمرهم ، وكان الإنسان كفورا . أن أنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصبا ، ثم لا تجدوا لكم وكلا : أم أنتم أن يبعثكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيفرقكم عما كنتم ، ثم لا تجدوا لكم عليا به شيئا) (٢) :

قال ابن أبي حاتم : ذكر عن مسلم بن إبراهيم ، حدثنا هارون الأعور ، عن جعفر بن سليمان ، عن الحسن في قوله : (قل هو القادر على أن يبعث عليكم طوبا من فوقكم أو من تحت أرجلكم) ، قال : هذه المشرقين :

وقال ابن أبي نجيع ، عن مجاهد : (قل هو القادر على أن يبعث عليكم طوبا من فوقكم أو من تحت أرجلكم) لأمة همد صلى الله عليه وسلم ، فها هم :

ونذكر هنا الأحاديث الواردة في ذلك والآثار ، وبالله التمسنا ، وعليه التكلان ، وبه التقة :

قال البخاري رحمه الله في قوله تعالى : (قل هو القادر على أن يبعث عليكم طوبا من فوقكم أو من تحت أرجلكم) أو يلبسكم شيئا ويليق بفضلكم بأشياء انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون) : يلبسكم : يخلط بكم ، من الالتباس ، يلبسوا : يخلطوا ، شيئا : فرقا :

حدثنا أبو النعمان ، حدثنا حماد بن زيد ، عن عمرو بن دينار ، عن جابر بن عبد الله قال : لا تزل هذه الآية : (قل هو القادر على أن يبعث عليكم طوبا من فوقكم) ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أعوذ بوجهك . (أومن تحت أرجلكم) » ، قال : أعوذ بوجهك . (أو يلبسكم شيئا ويليق بفضلكم بأشياء) » ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هذا أهون - أو قال : هذا أيسر » (٣) .

وهكذا رواه أيضا في « كتاب التوحيد » (٤) عن قتية ، عن حماد ، به ،

(١) كذا في غزوة الأحرار ، ويقول أبو حيان في البحر المحيط ١٥٠/٤ : « وقرأ الكوفيون (لئن أنجيتنا) مل الدائب ، وأما الأعرابي ، وقرأ باقي السبعة مل المطلب » .

(٢) سورة الإسراء ، الآية : ٦٦ - ٦٩ .

(٣) صحيح البخاري ، تفسير سورة الأنعام : ٧١/٦ . ورواه البخاري أيضا في كتاب الاحتصام ، باب قول الله تعالى : « أو يلبسكم شيئا » ١٢٥/٩ من مل بن عبد الله ، عن سليمان ، عن عمرو ، عن جابر ، به نحوه .

(٤) البخاري ، كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : « كل شيء عندنا إلا وجهي » ١٤٨/٩ .

ورواه النسائي في «التفسير» ، عن قتبية ، وعبد بن الفضل بن مسعود ، ويحيى بن حبيب بن حرب أربعم (١) ، عن حماد بن زيد ، به .

وقد رواه الحميدي في مسنده ، عن سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، سمع جابرا عن النبي صلى الله عليه وسلم ، به .

ورواه ابن حبان في صحيحه ، عن أبي يعلى الموصلي ، عن أبي خيثمة ، عن سفيان بن عيينة ، به .

ورواه ابن جرير في تفسيره عن أحمد بن الوليد القرشي وسعيد بن الربيع ، وسفيان بن وكيع كلهم ، عن سفيان ابن عيينة به (٢) .

ورواه أبو بكر بن مردويه ، عن حديث آدم بن أبي إياس ، ويحيى بن عبد الحميد ، وعاصم بن حلى ، عن سفيان ابن عيينة ، به .

ورواه سعيد بن منصور ، عن حماد بن زيد ، وسفيان بن عيينة ، كلاهما عن عمرو بن دينار ، به .

طريق أخرى ، قال الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره : حدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا مقلد بن داود ، حدثنا عبد الله بن يوسف ، حدثنا بن أبي عمير ، عن خالد بن يزيد ، عن أبي الزبير ، عن جابر قال : لما نزلت : (قل هو القادر على أن يبعث عليكم هليك من فوقكم) ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أمرؤ بالله من ذلك . [أو من تحت أرجلكم] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أمرؤ بالله من ذلك [أو يلبسكم شيئا] قال : هذا أيسر . ولو استأذنه لأحاذه » .

ورتلقي بهذه الآية أحاديث كثيرة ،

أحدها : قال الإمام أحمد بن حنبل في مسنده : حدثنا أبو اليان ، حدثنا أبو بكر — هو ابن أبي مريم — عن راشد — هو ابن سعد المخرنبي — عن سعد بن أبي وقاص قال : سئِلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية : (قل هو القادر على أن يبعث عليكم هليك من فوقكم أو من تحت أرجلكم) فقال : «أما [إنها] كائنة ، ولم يأت تأويلها» (٣) .

وأخرجه الترمذي ، عن الحسن بن عرفة ، عن إسماعيل بن عياش ، عن أبي بكر بن أبي مريم ، به . ثم قال : هذا حديث غريب (٤) .

حديث آخر ، قال الإمام أحمد : حدثنا يعلى — هو ابن هيب — حدثنا عثمان بن حكيم ، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص ، عن أبيه قال : أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى مرونا على مسجد بني معاوية ، فدخل فصل

(١) كلما قال : أربعم . ولم يبلغ كتاب التفسير لينا طبع من متن السلف .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٣٣٦٥ ، ١٣٣٦٦ ، ١٣٣٦٧ ، ١٣٣٦٨ ، ١٣٣٦٩ .

(٣) سند أسعد : ١٧٠/١ ، ١٧١ .

(٤) نسخة الأحوصي ، تفسير سورة الأنعام : ٤٢٩/٨ .

وكتبين ، فصلتا معه ، فأتى به وزجل طويلا . قال : سألت ربي ثلاثا : « سأله أن لا يهلك أمي بالفرق فأعطانيها ، وسأله أن لا يهلك أمي بالسنة » (١) فأعطانيها ، وسأله أن لا يجعل بأسهم بينهم فتنة » (٢) .

انفرد بإخراجه مسلم ، فرواه في « كتاب الفتن » عن أبي بكر بن أبي شيبة ، ومحمد بن عبد الله بن ثُمَر [كلاهما من عبد الله بن نعيم] - وعن محمد بن يحيى بن أبي حنيفة ، عن مروان بن معاوية ، كلاهما عن حسان بن حكيم ، به (٣) حديث آخر : قال الإمام أحمد : قرأت على عبد الرحمن بن مهدي ، عن مالك ، عن عبد الله بن عبد الله بن جابر ابن حنيفة ، [عن جابر بن حنيفة] أنه قال : جئنا عبد الله بن عمر بن أبي موسى - [قرية] من قرى الأنصار - فقال لي : هل تلوي أين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجدكم هذا ؟ قلت : نعم ، فأثرت إلى ناحية منه ، فقال : هل تلمس الملائكة التي دعا يمينك ؟ قلت : نعم . فقال : وأخبرني بهن ؟ قلت : دعا أن لا يظهر عليهم عدوا من غيرهم ، ولا يهلكهم بالسنة فأعطانيها ، ودعا بأن لا يجعل بأسهم بينهم فتنة . قال : صدقت ، فلا يزال المرحل إلى يوم القيامة ، (٤) .

ليس هو في شيء من الكتب الستة ، وإسناده جيد قوي ، والله الحمد والمنة .

حديث آخر ، قال محمد بن إسحاق ، عن حكيم بن حكيم بن حباد بن حنيفة ، عن حل بن عبد الرحمن ، أخبرني حليقة بن إيمان قال : خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حرة بني معاوية ، قال : فصل ثمان ركعات ، فأطال فيهن ، ثم التفت إلي فقال : جئتك ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : إني سألت الله ثلاثا ، فأعطاني اثنين ومنعني واحدة ، سأله أن لا يسلب علي أمي عدوا من غيرهم ، فأعطاني . وسأله أن لا يهلكهم بفرق ، فأعطاني . وسأله أن لا يجعل بأسهم بينهم ، ففني .

رواه ابن مردويه من حديث ابن إسحاق .

حديث آخر ، قال الإمام أحمد : حدثنا حبيدة بن حميد ، حدثني سليمان الأحمر ، عن رجاء الأنصاري ، عن عبد الله ابن شداد ، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم [أطلبه] فقبل لي : فخرج قبل . قال : فجعلت لأمر بأحد إلا قال : مر قبل . حتى مروت فوجدته قائما يصلي ، قال : فبحثت حتى قمت خلفه ، قال : فأطال الصلاة ، [فلما قضى] صلاته قلت : يا رسول الله ، لقد صليت صلاة طويلة ؟ . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني صليت صلاة رغبة ورحمة ، سألت الله عز وجل ثلاثا فأعطاني اثنين ومنعني واحدة ، سأله أن لا يهلك أمي خرفا فأعطاني ، وسأله أن لا يظهر عليهم عدوا ليس منهم فأعطانيها ، وسأله أن لا يجعل بأسهم بينهم فردا حل (٥) . ورواه ابن ماجه في « الفتن » عن محمد بن عبد الله بن نعيم وعلي بن محمد كلاهما عن أبي معاوية ، عن الأحمر ، به (٦) .

(١) السنة : الجذب والقطب .

(٢) مسند أحمد : ١٧٥/١ .

(٣) مسلم ، كتاب الفتن ، باب هلاك هذه الأمة بمقتل يميني : ١٧١/٨ ، ١٧٢ .

(٤) مسند أحمد : ٤٤٥/٥ .

(٥) مسند أحمد : ٢٤٥/٥ .

(٦) سنن ابن ماجه ، كتاب الفتن ، باب ما يكون من الفتن : الحديث ٣٩٥١ ، ١٣٠٢/٢ .

ورواه ابن مردويه من حديث أبي حوالة ، عن عبد الله بن عمر ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن معاذ بن جبل ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بحظه أو نحوه .

حديث آخر ، قال الإمام أحمد : حدثنا هارون بن معروف ، حدثنا عبد الله بن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث ، عن بكير بن الأشج ، أن الفصحاك بن عبد الله القرشي حدثه ، عن أنس بن مالك أنه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر صلى سُبْحَةَ^(١) الفجر ثلثي ركعات ، فلما انصرف قال : إني صليت صلاة رغبة ورهبة ، سألت ربي ثلاثاً فأعطاني اثنين ومنعني واحدة : سأله أن لا يضل أمي بالسنين ففعل ، وسأله أن لا يظهر عليهم عدوهم قتل ، وسأله أن لا يكسبهم شيئاً فأبى علي^(٢) .

رواه النسائي في الصلاة ، عن محمد بن سلمة ، عن ابن وهب ، به .

حديث آخر ، قال الإمام أحمد : حدثنا أبو إيمان ، أخبرنا شعيب بن أبي حمزة قال : قال الزهري : حدثني عبد الله بن عبد الله بن الحارث بن نوفل ، عن عبد الله بن خباب ، عن أبيه خباب بن الأرت - مولى بني زهرة ، وكان قد شهد بدرًا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم - أنه قال : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي لَيْلَةِ صَلَاتِهِ^(٣) كَلِمًا ، حَتَّى كَانَ مَعَ الشَّجَرِ فَلَمْ يَسْمَعْ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ صَلَاتِهِ . قُلْتُ^(٤) : يارسول الله ، لقد صليت الليلة صلاة مارأيتك صليت مثلها^(٥) . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أجل ، إنها صلاة رَغَبٍ وَرَهَبٍ . سألت ربي عز وجل فيها ثلاث خصال فأعطاني اثنين ومنعني واحدة : سألت ربي عز وجل أن لا يهلكنا بما آهلك به الأمم قبلنا ، فأعطانيها ، وسألت ربي عز وجل أن لا يظهر علينا عدوان من غيرنا فأعطانيها . وسألت ربي عز وجل أن لا يكسبنا شيئاً ، فمنعنيها^(٦) .

ورواه النسائي من حديث شعيب بن أبي حمزة ،^(٧) به . ومن وجه آخر وابن حبان في صحيحه ، بإسنادها عن صالح ابن كيسان - والترمذي في «الفتن» من حديث الثعلبي بن راشد - كلاهما عن الزهري ، به . وقال : حسن صحيح^(٨) .

حديث آخر مع قال أبو جعفر بن جرير في تفسيره : حدثني زياد بن حبيد الله الزرق ، حدثنا مروان بن معاوية الفزاري ، حدثنا أبو مالك ، حدثني نافع بن خالد الخزاعي ، عن أبيه : أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى صلاة خفيفة تامة الركوع والسجود ، فقال : قد كانت صلاة رَغْبَةٍ وَرَهَبَةٍ ، سألت الله عز وجل فيها ثلاثاً ، أعطاني اثنين ومنعني^(٩) واحدة .

(١) السبحة : صلاة الليل .

(٢) مسند أحمد : ١٢٩/٢ ، ورواه الإمام أحمد أيضاً عن حسين بن غيلان ، عن رشتين ، عن عمرو بن الحارث ، به نحوه . المسند : ١٥٦/٣ .

(٣) في مسند الإمام أحمد : ... في ليلة صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٤) في المسند : ... من صلته ، جاء خباب فقال : يارسول الله ، بأبي أنت وأمي . لقد صليت

(٥) في المسند : ... ما رأيتك صليت نحوها .

(٦) مسند الإمام أحمد : ١٠٨/٥ ، ١٠٩ .

(٧) النسائي ، كتاب قيام الليل ، باب إيراد الليل : ٢١٦/٣ ، ٢١٧ .

(٨) تحفه الأخرى ، أبواب الفتن ، باب سؤال النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثاً من أمته : ٢٩٨ ، ٢٩٧/٦ .

(٩) في تفسير الطبري : ... وبقي واحدة .

سألت الله أن لا يصيبكم بعلب أبصاء به من قبلكم ، فأعطانيها : وسألت الله أن لا يسلط عليكم عدوا يستطيع يفتنكم ، فأعطانيها : وسألته أن لا يلبسكم شيئا ويليق بفسخكم بأش بعض فتنتها - قال أبو مالك : فقلت له : أبوك سمع هذا من في رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم ، سمعت يحدث بها القوم أنه سمعها من في رسول الله صلى الله عليه وسلم (١)

حديث آخر ، قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق قال ، قال معمر ، أنبأني أيوب ، عن أبي قلابة ، عن أبي الأشعث الصنعاني ، عن أبي أمية الرحبي ، عن شداد بن أوس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله زوّي (٢) في الأرض حتى رأيت مشارقتها ومظاربا ، وإن ملك أمي سيبلغ مأزوي لي منها ، وإني أعطيت الكثيرين الأيضي والأحر ، وإني سألت ربّي عز وجل أن لا يهلك أمي بسنة بعامه (٣) وأن لا يسلط عليهم عدوا فيهلكهم بعامه ، [أن] لا يكتسبهم شيئا ، وأن لا يلق بفسخهم بأش بعض . قال : يا بعدد ، إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد ، وإني قد أعطيتك لأمك أن لا أهلكهم بسنة بعامه ، وأن لا أسلط عليهم عدوا ممن سواهم فيهلكهم بعامه ، حتى يكون بعضهم يهلك بعضها وبفسخهم يقتل بعضها وبفسخهم يسبي بعضها . قال : وقال النبي صلى الله عليه وسلم : [و] إني لا أخاف على أمي إلا الأئمة القليلين ، فإذا وضع السيف في أمي لم يرفع عنهم إلى يوم القيامة (٤) . »

ليس في شيء من الكتب الستة ، وإسناده جيد قوي . وقد رواه ابن مردويه من حديث حماد بن زيد وعبد بن منصور ، وقائدة ، ثلاثهم عن أيوب ، عن أبي قلابة ، عن أبي أمية ، عن ثوبان ، (٥) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بنحوه ، والله أعلم .

حديث آخر ، قال الحافظ أبو بكر بن مردويه : حدثنا عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم الهاشمي وميمون بن إسحاق ابن الحسن الحنفى قالا : حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا محمد بن فضيل ، عن أبي مالك الأشجعي ، عن نافع بن خالد الخزاعي ، عن أبيه قال - وكان أبوه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان من أصحاب الشجرة - : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى والناس حوله ، صلى صلاة خفيفة تأمة الركوع والسجود - قال : فجلس يوما فأطال الجلوس حتى أوما بعضنا إلى بعض : أن اسكتوا ، إنه يتزل عليه . فلما فرغ قال له بعض القوم : يا رسول الله ، لقد أطلت الجلوس حتى أوما بعضنا إلى بعض : إنه يتزل عليك . قال : لا ، ولكننا كانت صلاة رغبة ورحمة ، سألت الله فيها ثلاثا فأعطاني اثنين ومتنى واحدة ، سألت الله أن لا يلبسكم بعلب أبصاء به من كان قبلكم ، فأعطانيها . وأن لا يسلط

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٣٢٦٧ : ٤٣٣/١١ .

(٢) زوى : هم وجيع .

(٣) السنة : البسبب والفتنة . وبسنة : أي يقطع عام يوم جسيم ، وإليه في « بعامه » زائد .

(٤) مسند الإمام أحمد : ١٢٣/٤ .

(٥) رواه الإمام مسلم في صحيحه عن أبي القريب التيمي وتبعه ابن سعد بن زيد بإسناده إلى ثوبان مثله . مسلم ، كتاب الفتن ، باب هلاك هذه الأمة بفسخ بعض : ١٧١/٨ . والترمذي في كتاب الفتن ، باب سؤال النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثا في أمه ونفقة الأحوص ، ٣٩٧/٦ ، ٢٩٨ . ورواه ابن ماجه في كتاب الفتن أيضا ، باب ما يكون من الفتن . الموطأ ٣٩٥٢ : ١٢٠٤/٢ ، عن هشام بن حمار ، عن عبد بن شيبان بن شاپور ، عن سيد بن بشير ، عن قائدة ، عن أبي قلابة .

على أمي عدوا يستيحها ، فأعطيناها ، وسألته أن لا يكتبكم شيئا وأن لا يلقى بعضكم بأس بعض ، ففتنيها . قال ، قلت له : أبوك سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم ، سمعته يقول : إنه سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم عند أصحابي ، هذه عشر أصابع .

حديث آخر ، قال الإمام أحمد : حدثنا يونس - هو ابن محمد المؤدب - حدثنا ليث - هو ابن سعد - عن أبي وهب الخولاني ، عن رجل قد ساه ، عن أبي بصرة الغفاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « سألت ربي عز وجل أن يعطيني ثلاثا ، ومتننى واحدة : سألت الله أن لا يجمع أمي على ضلالة ، فأعطيناها . وسألت الله أن لا يظهر عليهم عدوا من غيرهم ، فأعطيناها (١) : وسألت الله أن لا يهلكهم بالسنين كما أهلك الأمم قبلهم ، فأعطيناها . وسألت الله عز وجل أن لا يلبسهم شيئا وأن لا يلقى بعضهم بأس بعض ، ففتنيها (٢) » . لم يخرج أحد من أصحاب الكتب الستة .

حديث آخر ، قال الطبراني : حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا متجاب بن الحارث ، حدثنا أبو حليفة التلمبي ، عن زياد بن علاقة ، عن جابر بن سمرة السوائي ، عن علي : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « سألت ربي ثلاث خصال ، فأعطاني اثنين ومتننى واحدة ، قلت : يارب ، لا تهلك أمي جوعا : فقال : هذه لك : قلت : يارب ، لا تسلط عليهم عدوا من غيرهم - يعني أهل الشرك - فيجتاحهم . قال : ذلك لك . قلت : يارب ، لا تهللك بأسمهم يلبسهم . قال : ففتني هذه » .

حديث آخر ، قال الحافظ أبو بكر بن مردويه : حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم ، عن أحمد بن محمد بن حاصم ، حدثنا أبو الدوداء المروزي ، حدثنا إسحاق بن عبد الله بن كيسان ، حدثني أبي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « دعوت ربي عز وجل أن يرفع عن أمي أريبا ، فرفع الله عنهم اثنين ، وأبي علي أن يرفع عنهم اثنين . دعوت ربي أن يرفع الرجم من السماء والفرق من الأرض ، وأن لا يلبسهم شيئا ، وأن لا يلقى بعضهم بأس بعض . فرفع الله عنهم الرجم من السماء والفرق من الأرض ، وأبي الله أن يرفع الاثنين : القتل ، والمزج » . طريق أخرى عن ابن عباس أيضا ، قال ابن مردويه : حدثني عبد الله بن محمد بن زيد ، حدثني الوليد بن أبان ، حدثنا جعفر بن منير ، حدثنا أبو بكر شجاع بن الوليد ، حدثنا عمرو بن قيس ، عن رجل ، عن ابن عباس قال : لما نزلت هذه الآية : (قل هو الله) على أن يعث عليكم عدائكم من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيئا ويلقى بعضهم بأس بعض) قال : فقام النبي صلى الله عليه وسلم خروضا ، ثم قال : « اللهم لا ترسل على أمي عدائا من فوقهم ، ولا من تحت أرجلهم ، ولا تلبسهم شيئا ، ولا تلق بعضهم بأس بعض - قال : فأتاه جبريل فقال : يا محمد ، إن الله قد أجاز لك أن يرسل عليهم عدائا من فوقهم أو من تحت أرجلهم » .

حديث آخر ، قال ابن مردويه : حدثنا أحمد بن محمد بن عبد الله البزاز ، حدثنا عبد الله بن أحمد بن موسى ، حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد ، حدثنا عمرو بن محمد المقرئ ، حدثنا أسباط ، عن السدي ، عن أبي المنهال ،

(١) قوله : « وسألت الله أن لا يظهر لهم عدوا من غيرهم » فأعطيناها « سائلة من سنة الإمام أحمد .

(٢) سنة أحمد : ٣٩٦/٦ .

عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « سألت ربي لأمتي أربع خصال ، فأعطاني ثلاثا ومنعني واحدة : سأله أن لا تكفر أمي واحدة ، فأعطانيها : وسأله أن لا يعلبهم بما علب به الأمم قبلهم ، فأعطانيها . وسأله أن لا يظهر عليهم عدوا من غيرهم ، فأعطانيها . وسأله أن لا يجمل بأسهم بينهم ، ففنيها » (١)

ورواه ابن أبي حاتم ، عن ابن سعيد بن يحيى بن سعيد القطان ، عن حمرو بن محمد المقرئ ، به نحوه :

طريق أخرى ، وقال ابن مردويه : حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم ، حدثنا محمد بن يحيى ، حدثنا أبو كريبه ، حدثنا زيد بن الحباب ، حدثنا كثير بن زيد اللثمي ، حدثني الوليد بن رباح مولى آل أبي ذؤيب ، سمع أبا هريرة يقول : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « سألت ربي ثلاثا ، فأعطاني الثنتين ومنعني واحدة . سأله أن لا يسقط حل أمي عدوا من غيرهم : وسأله أن لا يجلهم بالسيف ، فأعطاني . وسأله أن لا يلبسهم شيئا وأن لا يدين بعضهم بأس بعض ، ففني »

ثم رواه ابن مردويه بإسناده عن سعد بن سعيد بن أبي سعيد المقبري ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بنحوه : ورواه الزيار من طريق صهر بن سلمة ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بنحوه :

أثر آخر ، قال سفيان الثوري ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالقة ، عن أبي بن كعب قال : أربعة من هذه الأمة : قد مضت نبتان ، وبقيت نبتان : (قل هو القادر على أن يعث عليكم عدائكم من فوقكم) قال : الرجم ، (أو من تحت أرجلكم) قال : الخسف ، (أو يلبسكم شيئا ويلين بعضكم بأس بعض) ، قال سفيان : يعني الرجم والخسف .

وقال أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالقة ، عن أبي بن كعب : (قل هو القادر على أن يعث عليكم عدائكم من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيئا ويلين بعضكم بأس بعض) ، قال : فهي أربع خلال ، منها نبتان بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس وعشرين سنة ، ألبسوا شيئا ، وذاق بعضهم بأس بعض ، وبقيت اثنتان لا بد منها والنبتان : الرجم والخسف .

ورواه أحمد ، عن وكيع ، عن أبي جعفر . ورواه ابن أبي حاتم :

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا المنذر بن شاذان ، حدثنا أحمد بن إسحاق ، حدثنا أبو الأشهب ، عن الحسن ، في قوله : (قل هو القادر على أن يعث) . . . الآية ، قال : حُبِسَتْ عقوبتها حتى عمل ذنبا ، فلما عمل ذنبا أرسلت عقوبتها . وهكذا قال سعيد بن جبير ، وأبو مالك مجاهد ، والسدي وابن زيد في قوله : (عدائكم من فوقكم) يعني : الرجم ، (أو من تحت أرجلكم) ، يعني : الخسف . وهذا هو اختيار ابن جرير :

ودوى ابن جرير ، عن يونس ، عن ابن وهب ، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله : (قل هو القادر على أن يعث عليكم عدائكم من فوقكم أو من تحت أرجلكم) ، قال : كان عبد الله بن مسعود يصيح وهو في المجلس - أو : على المنبر -

(١) القدر المتصور لقيسوط : ١٩/٣ .

(٢) سنة أحمد : ١٢٤/٥ ، ١٢٥ .

يقول : **أَلَا أَلِهَا النَّاسُ** ، إنه قد نزل بكم : **إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ** : (قل هو القادر على أن يبعث عليكم هدايا من فوقكم) ، لو جاءكم غلاب من السماء لم يَبْقِ منكم أحداً - (أو من تحت أرجلكم) ، لو خسف بكم الأرض أهلكنكم ، لم يَبْقِ منكم أحد (أو يلبسكم شيئا ويليق بمعضكم بأس بعض) ، **أَلَا إِنَّهُ نَزَلَ بِكُمْ أَسْوَ الثَّلَاثِ (١)**

قول ثان ، قال ابن جرير وابن أبي حاتم : حدثنا يونس بن عبد الأعلى ، أخبرنا ابن وهب ، سمعت خلاد بن سليمان يقول : سمعت حامر بن عبد الرحمن يقول : إن ابن عباس كان يقول في هذه الآية : (قل هو القادر على أن يبعث عليكم هدايا من فوقكم) [فأنما الغلاب من فوقكم] (٢) : **فَأَمَّا السَّوءُ - (أو من تحت أرجلكم)** فخدم السوء (٣) . وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : (هدايا من فوقكم) يعني : أمراءكم ، (أو من تحت أرجلكم) يعني : حبيدكم وسكنتكم (٤) .

وحكى ابن أبي حاتم ، عن أبي سنان وعمر بن هانئ ، نحو ذلك :

وقال ابن جرير : وهنا القول وإن كان له وجه صحيح ، لكن الأول أظهر وأقوى :

وهو كما قال ابن جرير ، رحمه الله ، ويشهد له بالصحة قوله تعالى : (**أَلَمْ نَمُنْ** من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور . **أَمْ نَمُنْ** من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف ندير (٥)) ، وفي الحديث : « ليكون في هذه الأمة قذائف وخسوف ومسح » (٦) . وذلك مذكور مع نظائره في آمارات الساعة وأشراطها وظهور الآيات قبل يوم القيامة ، وستأتي في موضعها إن شاء الله تعالى .

وقوله : (**أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيئا**) ، أي : يجعلكم ملتبسين شيئا فرقا متخالفين :

قال الرازي ، عن ابن عباس : يعني الأحواء (٧) . وكلها قال مجاهد وغير واحد :

وقد ورد في الحديث المروي من طرق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « **وستنقر هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا واحدة** » .

وقوله : (**ويليق بمعضكم بأس بعض**) قال ابن عباس وغير واحد : يعني يسلط بمعضكم على بعض بالمعاب والقتل :

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٣٣٤٨ : ٤١٧/١١ . وكان في خطورة الأثر : « هدايا من فوقكم أو من تحت أرجلكم لو جاءكم غلاب ... وفيها أيضا : » أو من تحت أرجلكم يخسف بكم الأرض » وهو موافق لخطورة ابن جرير . ولا يستقيم عليه النص فأنشأنا ما أنشأه السيد عتق تفسير الطبري ، موافقا بذلك المطبوعة . ونوافق بهذا أيضا ما طبع من تفسير ابن كثير .

(٢) من تفسير الطبري .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٣٣٤٩ : ٤١٧/١١ ، ٤١٨ .

(٤) المصدر السابق ، الأثر ١٣٣٥٠ : ٤١٨/١١ .

(٥) سورة الملك ، آية : ١٦ ، ١٧ .

(٦) سنن أبي داود ، كتاب اللباس . ونقطة الأحوص ، أبواب الفتن ، باب ما جاء في الخسف : ٤١٨/٦ . وابن ماجه ، كتاب الفتن أيضا ، باب الخسوف ، الأحاديث ٤٠٥٩ ، ٤٠٦٢ : ١٢٥٠/٢ . وسند أحمد عن عبد الله بن عمر : ١٢٦/٢ ، ١٢٧ . وعن عبد الله بن عمرو : ١٦٢/٢ .

(٧) تفسير الطبري ، الأثر ١٣٣٥٦ : ٤٢٠/١١ .

وقوله : (انظر كيف نصرفت الآيات) ، أى : نيتها ونوعها ونقبرها (لهم يتقون) ، أى : يفهمون ويعلمون من الله آياته وحججه وبراهينه .

قال زيد بن أسلم : « قلت : (قل هو الله) على أن يمت عليكم علماء من فوقكم) : الآية ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض بالسيف » . قالوا : ونحن نشهد أن لا إله إلا الله ، وأنت رسول الله : قال : نعم : فقال بعض الناس : لا يكون هذا أبداً ، أن يقتل بعضنا بعضاً ونحن مسلمون ، فتلت : (انظر كيف نصرفت الآيات لهم يتقون) . وكلب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل . لكل نيا مستقر وسوف تعلمون) .

رواه ابن أبي حاتم وابن جرير (١) .

وَكَلَّبَ بِهِ قَوْمَكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٧﴾ لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَفْزِعٌ وَمَوَاقِفُ تَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُ الْآزْوَاجَ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حَتِّهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنَّ ذِكْرًا لِّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٠﴾

يقول تعالى : (وكلب به) ، أى : بالقرآن الذى جهتم به ، والمضى واليان : (قومك) ، أى : قريشا . (وهو الحق) ، أى : الذى ليس وراءه حق : (قل لست عليكم بوكيل) ، أى : لست عليكم بحفيظ ، ولست بموكل بكم ، كقوله : (وقال الحق من ربي فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) (٢) ، أى : إنما حل البلاغ ، وعليكم السمع والطاعة . فمن أبغى سعد في الدنيا والآخرة ، ومن خالفنى فقد شقى في الدنيا والآخرة ، ولهذا قال : (لكل نيا مستقر) .

قال ابن عباس وغير واحد : أى ، لكل نيا حقيقة ، أى لكل خبر وقوع ولو بعد حين ، كما قال (وتعلمن نياه بعد حين) (٣) ؟ وقال : (لكل أجل كتاب) (٤) .

وعلى تهديد ووحيد أكيد ، ولهذا قال بعده (وسوف تعلمون) .

ثم قال : (وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا) ، أى : بالتكذيب والاستهزاء (فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره) ، أى : حتى يخالطوا في كلام آخر غير ما كانوا فيه من التكذيب ، (وإما ينسبك الشيطان) ، والمراد بهذا كل فرد فرد من آحاد الأمة أن لا يجلسوا مع الكافرين الذين يعرفون آيات الله ويضعونها على غير مواضعها لأن جلس أحد منهم ناسيا (فلا تقعد بعد الذكرى) [بعد التذكير] (مع القوم الظالمين) .

(١) التفسير الطبري ، الأثر ١٣٣٧٨ ، الأثر ٤٣٠/١١ .

(٢) سورة الكهف ، آية : ٢٩ .

(٣) سورة ص آية ٨٨ .

(٤) سورة الرعد آية ٢٧ .

ولهذا ورد في الحديث : « رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » (١) .

وقال السدي ، عن أبي مالك ومعيد بن جبير في قوله : (وإما يسئلك الشيطان) ، قال : إن لبيت فذكرت فلا تجلس معهم . وكذا قال مقاتل بن حيان (٢) .

وهذه الآية هي للشار إليها في قوله : (وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستعجل بها فلا تسمعوا همهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم) (١٣) الآية ، أي : إنكم إذا طمسهم همهم والرد تهمهم حل ذلك ، فقد ساءوا بضمهم في الذي هم فيه .

وقوله : (وما على الذين يثبون من حسابهم من شيء) ، أي : إذا تجبوا فلم يحطوا معهم في ذلك ، فقد برئوا من عهدهم ، وتخلصوا من إثمهم .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن السدي ، عن أبي مالك ومسيب بن جبير ، قوله : (وما على الذين يفترون من حبه من شيء) ، قال : ما عليك أن تخوضوا في آيات الله إذا لمثل ذلك ، أي : إذا تمجنهم وأعرضت عنهم .

وقال آخرون : بل معناه : وإن جلسوا معهم فليس عليهم من حسابهم من شيء ، وزعموا أن هذا منسوخ بأية النساء المدنية ، وهي قوله : (إنكم إذا ملتم ^(٤)) ، قاله جاهد ، واللسي ، وابن جرير ، وغيرهم . وحمل قولهم يكون قوله : (ولكن ذكرى لعلهم يتقون) ، أى : ولكن أمرناكم بالإعراض عنهم حيثما تذكرناهم مما هم فيه ، لعلهم يتقون ذلك ، ولا يودون إليه .

وَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِمْ يُبَيِّنُ لَهَا آيَاتِ اللَّهِ وَأَعْلَمُ الْأُمُورَ الْعَلِيَّةَ ۚ وَمَنْ يَعْصِ أَمْرَهُ فَقَدْ اتَّخَذَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سُلْطَانًا ۚ وَلَنْ يُجْعَلَ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سُلْطَانٌ مِمَّا كَانُوا يَعْمُرُونَ ﴿٥٧﴾

يقول تعالى : (وذر الذين اتخذوا دينهم لعباً وغرثهم الحياة الدنيا) ، أى : دعهم وأعرض عنهم وأمهالهم قليلاً ، فإنهم حائرون إلى عذاب عظيم . ولما قال : (وذكر به) ، أى : وذكر الناس بهذا القرآن ، وحلهم بقمة الله وهذا اليوم القيامة .

وقوله : (أن تبذل نفس بما كسبت) ، أى : لتلا تبذل : قال الضحاك عن ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، والحسن ، والسدي : تبذل : تُسلم .

(١) رواه ابن ماجه في كتاب الطلاق ، باب طلاق المكره والناسي ، من أبي ذر الغفاري ، الحديث ٢٠٤٣ / ١ / ٦٥٩ ،
ولله : « إن الله تجاوز من أمي الخطأ ... » .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٣٢٩٠ : ٤٣٨/١١ .

(۳) سورة النساء ، آية : ۱۴۰ .

(٤) سورة النساء ، آية : ١٤٠ ، وينظر فيما تقدم : ٣٨٧/٢ .

وقال الرباني ، عن ابن عباس : تَنَضَّحَ :

وقال قتادة : تَنَحَّيَسَ . وقال مرة وابن زيد : تَوَاعَدَ . وقال الكلبي : تَجَاوَزَى .

وكل هذه العبارات متعارفة في المعنى ، وحاصلها الإسلام للهلكة ، والنجس عن الخير ، والارتباك من حرك المطلوب ، كما قال : (كل نفس بما كسبت رهينة ، إلا أصحاب اليمين (١)) .

وقوله : (ليس لنا من دون الله ولي ولا شفيع) ، أى : لا قريب ولا أحد يشفع فيها ، كما قال : (من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة للكافرين هم (٢) المفللون) .

وقوله : (وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها) ، أى : ولو بليت كل ميلوك ما قبل منها كما قال : (إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أجهم ملء الأرض ذبها (٣)) ... الآية . وهكذا قال هاهنا : (أولئك الذين أيسلوا بما كسبوا لم شراب من حميم وعلب لهم ما كانوا يكفرون) .

قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُذِرْ عَلَىٰ أَهْقَابِنَا بِمَا إِذْ هَدَيْنَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَاهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْمُنَىٰ ائْتِنَا قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهَدَىٰ وَأَمْرًا نَسْلِمُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ وَإِنِ اتَّبِعُوا الْاَسْوَءَ وَاتَّقَوْهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُنُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عِلْمُ الْغَيْبِ وَاللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾

قال السدي : قال المشركون للمؤمنين : اتبعوا سبلنا ، واتركوا دين محمد . فانزل الله عز وجل : (قل أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُذِرْ عَلَىٰ أَهْقَابِنَا) ، أى : في الكفر (بعد إذ هَدَانَا اللَّهُ) ، فيكون مثلنا مثل الذي استهواه الشياطين في الأرض ، يقول : مثلكم ، إن كفرتم بعد الإيمان ، كمثل رجل كان مع قوم على الطريق ، فضل الطريق ، فحبرته الشياطين ، واستهوته في الأرض ، وأصحابه على الطريق ، فاجعلوا يدعوه إليهم يقولون : ائتنا ، فتركنا على الطريق ، قال أن يأتيهم . فذلك مثل من يتجه بعد المعرفة بمحمد ، صلى الله عليه وسلم ، وعمد هو الذي يدعو إلى الطريق ، والطريق هو الإسلام .

رواه بن جرير (٤) .

وقال قتادة : (استهوه الشياطين في الأرض) ، أضلته في الأرض ، أى استهوته ، مثل قوله : (سمى إليهم (٥)) ،

وقال حل بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : (قل أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا) ... الآية : هذا مثل ضربه الله للآفة ومن يدعو إليها ، والدعاة الذين يدعون إلى الله ، عز وجل ، كمثل رجل ضل عن الطريق تأمها

(١) سورة البقرة : آية : ٢٨ ، ٣٩ .

(٢) سورة البقرة : آية : ٢٥٥ .

(٣) سورة آل عمران : آية : ٩١ .

(٤) تفسير الطبري : الأثر ١٣٤٢٢ : ١١/٢٥٢ .

(٥) أثر قتادة كما في تفسير الطبري ١٣٤٢٤/١١/٢٥٢ : (استهوه الشياطين في الأرض) ، قال : أضلته في الأرض سيران .

قالا ، إذ ناداه متاد : « يا فلان بن فلان » فلم إلى الطريق » وله أصحاب يدعونه : « يا فلان » فلم إلى الطريق » فإن اتبع الداعي الأول انطلق به حتى يلقاه إلى الملكة ، وإن أجاب من يدعوه إلى الهدى امتنع إلى الطريق . وهذه اللصاحبة التي تدعو في البرية من النيران . يقول : مثل من يهد هذه الآفة من دون الله ، فإنه يرى أنه في شيء حتى يأتيه الموت ، فيستقبل الملكة والندامة . وقوله : (كالذي استهوته الشياطين في الأرض) ، هم « النيران » ، يدعونه باسمه واسم أبيه وجده ، فيتميمها وهو يرى أنه في شيء ، فيصبح وقد ألقته في حلقة ، وربما أكلته — أو تلقته في مضلة من الأرض ، يهلك فيها عطشا . فهذا مثل من أجاب الآفة التي تُعبد من دون الله عز وجل » .
رواه ابن جرير (١) .

وقال ابن أبي نجیح ، عن مجاهد : كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران ، قال : رجل حيران يدعوه أصحابه إلى الطريق ، وذلك مثل من يضل بعد أن هدى (٢) .

وقال العوفي ، عن ابن عباس ، قوله : (كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب) ، هو الذي لا يستجيب لهدى الله ، وهو رجل أطاع الشيطان ، وعمل في الأرض بالمصعب ، وجار (٣) من الحق وضل عنه ، وله أصحاب يدعونه إلى الهدى ، ويذمون أن الذي يأمرونه هدى ، يقول الله ذلك لأوليائهم من الإنس ، يقول : (إن الهدى هدى الله) ، والضللال ما يدعو إليه الجن .

رواه ابن جرير ، ثم قال : وهذا يقتضى أن أصحابه يدعونه إلى ضلال ، ويذمون أنه هدى — قال : وهذا خلاف ظاهر الآية ، فإن الله أخبر أن أصحابه يدعونه إلى الهدى ، فغير جائز أن يكون ضلالا ، وقد أخبر الله أنه هدى (٤) .

وهو كما قال ابن جرير ، وكان سياق الآية يقتضى أن هذا الذي استهوته الشياطين في الأرض حيران ، وهو منصوب على الحال ، أى : في حال حيرته وضلاله وجهه وجهه الجبحة ، وله أصحاب على المشبهة مائلون ، فجعلوا يدعونه إليهم وإلى اللصاحبة معهم على الطريقة المثل وتقليد الكلام ، فيأبى عليهم ولا يلتفت إليهم ، ولو شاء الله لهداه ، ولرد به إلى الطريق . ولهذا قال : (قل إن هدى الله هو الهدى) ، كما قال : (ومن يهد الله فلا اله من مضل) (٥) ، وقال : (إن نمرحس على هدام فإن الله لا يهدي من يضل ومالم من (٦) تاصرين) ، وقوله : (وأمرنا لنسلم لرب العالمين) ، أى نخلص له العباد وحده لا شريك له .

(وأن أقيموا الصلاة واتقوا) ، أى : وأمرنا بإقامة الصلاة ويتقوا في جميع الأحوال ، (وهو الذي إليه عثرون) ، أى : يرم القيامة .

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٣٤٢٣ : ٤٥٢/١١

(٢) المصدر السابق ، الأثر ١٣٤٢٦ : ٤٥٢/١١ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ٤٥٤/١١/١٣٤٢٩ : « وحوار من الحق » باطلا . والمصاحبة ما في ضلوفتنا ، أى النهاية لابن الأثير : « وفي حديث ميقات الحج » وهو جور من طريقنا ، أى : مائل عنه ليس على بجمته ، من جار مجرور ، إما ضل ومال » .

(٤) تفسير الطبري : ٤٥٤/١١ .

(٥) سورة الزمر ، آية ٣٧ .

(٦) سورة النمل ، آية ٣٧ .

(وهو الذي خلق السموات والأرض بالحق) ، أى : بالعدل ، فهو خالقها ومالكها ، والمدير لها ولأن فيها ، وقوله : (ويدبر قول من فيكون) ، يعنى يوم القيامة ، الذى يقول الله : « كن » فيكون عن أمره كلمح البصر ، أو هو أقرب .

« ويوم » منصوب إما على العطف على قوله : (واقوه) ، وتعليقه ؛ واقوا يوم فيكون : وإما على قوله : (خلق السموات والأرض) ، أى : وخلق يوم يقول من فيكون . فذكر بدء الخلق وإعادته ، وهذا مناسب ، وإما على إظهار فعل تعليقه : وا ذكر يوم يقول من فيكون .

وقوله : (قوله الحق) ، وله الملك (جملتان محلها الجر ، على أنها صفتان لرب العالمين .

وقوله : (يوم ينفخ الصور) يحتمل أن يكون بدلا من قوله : (ويوم يقول من فيكون يوم ينفخ في الصور) ، ويحتمل أن يكون ظرفا لقوله (وله الملك يوم ينفخ في الصور) ، كقوله : (لن الملك اليوم لله الواحد القهار) (١) ، وكقوله : (الملك يومئذ الحق للرحمن ، وكان يوما على الكافرين صبرا) (٢) وما أشبه ذلك ..

واختلف المفسرون في قوله : (يوم ينفخ في الصور) فقال بعضهم : المراد بالصور ما هنا جميع « صورة » أى : يوم ينفخ فيها جميعا .

قال ابن جرير : كما يقال : سور - لسور البلد - هو جمع سورة (٣) .

والصحيح أن المراد بالصور « الصور » الذى ينفخ فيه إسرائيل عليه السلام ، قال ابن جرير : والصواب عندنا ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن إسرائيل قد انضم الصور وسنى جبهته ، ينتظر من يؤمّر فيضج » (٤) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل (٥) ، حدثنا سليمان التيمي ، عن أسلم السعدي ، عن بشر بن شفاف ، عن عبد الله ابن عمرو قال : قال أعرابي : يا رسول الله ، ما الصور ؟ قال : قرن ينضج فيه (٦) .

وقد روينا حديث الصور بطوله ، من طريق الحافظ أبى القاسم الطبراني ، في كتابه «المعجم» قال : حدثنا أحمد بن الحسن المصري (٧) الأديلي حدثنا أبو حاتم التميمي ، حدثنا إسماعيل بن رافع ، عن محمد بن يزيد ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو في طائفة من أصحابه ، فقال : «إن الله لا يفرغ من خلق السموات والأرض ، خلق الصور فأعطاه إسرائيل ، فهو واضعه على فيه شخصاً بصراً إلى العرش ، ينتظر مني

(١) سورة طه : آية ١٦ .

(٢) سورة الفرقان : آية ٢٦ .

(٣) تفسير الطبري : ١١ / ٤٦٣ .

(٤) تفسير الطبري : ١١ / ٤٦٣ . « وقد ورد في الطائفة السابقة لهذا التفسير منه هذا الحديث : « دواء مسلم في مصيحه » على حين علت منها خطوطة الأثر التي اعتدنا عليها . ويقول السيد محقق تفسير الطبري ، وهو يخرج هذا الحديث ، إن ابن كثير قال : « دواء مسلم في مصيحه » ولم أستطع أن أعرف مكانه في مصيحه مسلم . وهذه العبارة لا تشك في أنها مقبولة على من ابن كثير .

(٥) في نسخة قال الإمام أحمد : « حدثنا يحيى بن سعيد » .

(٦) نسخة الإمام أحمد : ٢ / ١٩٢ .

(٧) في الخطوطة : « قهيري » والمثبت من المصنف الطبراني : ١ / ٨٣ ، وميزان الاعتدال : ١ / ٨٩ .

يَوْمَ . قلت : يا رسول الله ، وما المصور ؟ قال : القترن . قلت : كيف هو ؟ قال : عظيم ، والذي بعثني بالحق إن عظم طرة فيه كعرض السموات والأرض ، ينفخ فيه ثلاث نفخات : النفخة الأولى نفخة الفزع ، والثانية نفخة الصعق ، والثالثة نفخة القيام لرب العالمين ، يأمر الله إسرائيل بالنفخة الأولى ، فيقول : اتبع . فينفخ نفخة الفزع ، فيفزع أهل السموات والأرض إلا من شاء الله ، ويأمره فليدعها ويطلقها ولا يقتر . وهي كقول الله : (وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فراق) (١) فيسير الله الجبال ، فتزهر من السحاب فتكون سرايا ..

لم ترجع الأرض بأهلها رجعة فتكون كالسفينة المرمية في البحر تضربها الأمواج ، تكأ بأهلها كالكنديل المعلق بالعرش ، وجرجه الرياح ، وهي التي يقول : (يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة . قلوب يومئذ رجاسة (٢)) ، فيسجد الناس على ظهورها ، وتلعل المراضع ، وتضع الحوامل ، وتشيب الولدان ، وتطير الشياطين حارية من الفزع ، حتى تأتي الأقطار ، فتأبها للاملكة تضرب وجوها ، فترجع ، ويولى الناس مدبرين ما لم من أسرافه من حاصم ، ينادى بعضهم لبعض [بعضا] ، وهو الذي يقول الله تعالى : (يوم التناد) :

فبينما هم على ذلك إذ انصدعت الأرض من قطر إلى قطر ، فربوا أمرا عظيما يروا مثله ، وأخلم لذلك [من] الكروب والمولود بالله به علم ، ثم نظروا إلى السماء فإذا هي كالهلل ، ثم انشقت فانتشرت بنجرها ، وانفشت شمسها وقمرها . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الأموات لا يطعمون بشئ من ذلك . قال أبو هريرة : يا رسول الله ، من استثنى الله عز وجل حين يقول : (ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله) (٣) ؟ قال : أولئك الشهداء ، وإنما يصل الفزع إلى الأحياء ، وهم أحياء عند الله يرزقون ، وقام الله فزع ذلك اليوم ، وآمنهم منه ، وهو حطاب الله يمه على شرار خلقه ، قال : وهو الذي يقول الله عز وجل : (يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة هي عظيم . يوم ترونها تلهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن حطاب الله شديد) (٤) ، فيكونون في ذلك الحطاب ما شاء الله ، إلا أنه يطول .

ثم يأمر الله إسرائيل بنفخة الصعق ، فينفخ نفخة الصعق ، فيصعق أهل السموات والأرض إلا من شاء الله ، فإذا هم قد خلدوا ، وجاء ملك الموت إلى الجبار ، عز وجل ، فيقول : يا رب ، قد مات أهل السموات والأرض إلا من شئت ، فيقول الله - وهو أعلم بمن ين - : فمن ين ؟ فيقول : يا رب ، بقيت أنت الحي الذي لا تموت ، وبقيت حملة العرش ، وفي جبريل وميكائيل ، [وبقيت أنا . فيقول الله عز وجل : لمت جبريل وميكائيل] : فيُنْطَقُ الله العرش فيقول : يا رب ، بموت جبريل وميكائيل !! فيقول : استك ، فإن كنت الموت على كل من كان تحت عرشى ، فيموتان ؟ ثم يأتي ملك الموت إلى الجبار فيقول : يا رب ، قد مات جبريل وميكائيل . فيقول الله - وهو أعلم بمن ين - : فمن ين ؟ فيقول : بقيت أنت الحي الذي لا تموت ، وبقيت حملة عرشك [وبقيت أنا] . فيقول الله : لمت حملة عرشى

(١) سورة مريم : آية : ١٥ .

(٢) سورة التازعات ، آية : ٦ ، ٧ ، ٨ .

(٣) سورة البقر ، آية : ٨٧ .

(٤) سورة الحج ، آية : ٢ .

ليموتوا ، ويأمر الله العرش فيقبض الصور من إسرائيل ، ثم يأتي ملك الموت . فيقول : يا رب ، قد مات حملة عرشك . فيقول الله - وهو أعلم بمن يبي - : فمن يبي ؟ فيقول : يا رب ، بقيت أنت الهى الذى لا تموت ، وبقيت أنا . فيقول الله : أنت عشتى من خلقى ، خلقتك لما رأيت ، فميت . فيموت . فإذا لم يبق إلا الله الواحد القهار الأحد ، الذى لم يلد ولم يولد ، كان أمراً كما كان أولاً ، طوى السموات والأرض على السجل الكتب ، ثم دحاهما ثم يلقها ثلاث مرات ، ثم يقول : أنا الجبار ، أنا الجبار ، أنا الجبار ، ثلاثاً . ثم تحف بصوته : (لمن الملك اليوم) ، ثلاث مرات ، فلا يجيبه أحد ، ثم يقول لنفسه : (لله الواحد القهار) ، يقول الله : (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات) ، فيسطعها وسطعها ، ثم يمدحها مد الأديم المكافى (١) (لا ترى فيها حوجاً ولا أمناً) .

ثم يجر الله الخلق زجرة ، فإذا هم فى حلة [الأرض] الملبدة مثل ما كانوا فيها من الأولى ، من كان فى بطنها كان فى بطنها ، ومن كان على ظهرها كان على ظهرها ، ثم يتزل الله عليهم ماء من تحت العرش ، ثم يأمر الله السماء [أن] تمطر ، فتمطر أربعين يوماً ، حتى يكون الله فوقهم الى عشر ذواحا ، ثم يأمر الله الأجساد أن تثبت فتثبت كتابات الطرائث (٢) - أو : كتابات البقل - حتى إذا تكاملت أجسادهم فكانت كما كانت ، قال الله عز وجل : (لىحيى حملة عرشى . فيحيون) ، ويأمر الله إسرائيل فيأخذ الصور ، فيضه على فيه ، ثم يقول : لىحي جبريل وميكائيل . فيحييان ، ثم يدعو الله الأرواح ، فيؤتى بها تنهيج لأرواح المسلمين نورا ، ولأرواح الكافرين ظلمة ، فيقبضها جميعاً ثم يلقها فى الصور .

ثم يأمر الله إسرائيل أن يضع قسعة البعث ، [فيضع قسعة البعث] ، فتخرج الأرواح كأنها التحل قد ملأت ما بين السماء والأرض ، فيقول : وعز وجللى ليرجعن كل روح إلى جسده ، فتدخل الأرواح فى الأرض إلى الأجساد ، فتدخل فى الجواهر ، ثم تمضى فى الأجساد كما يمضى السم فى اللبغ ، ثم تنشئ الأرض حنكهم ، وأما أول من تنشئ الأرض عنه ، فتخرجون سراحاً إلى ربكم تسلون ، (مهطعين إلى الناح يقول الكافرون هذا يوم حسر) (٣) حركات عرلاً ، فتفتون موقفاً واحداً مقلدوه سجون حاما ، لا يَنْظُر إليكم ولا يقضى بينكم ، فهيكرون حتى تقطع الدروع ، ثم تلمعون دما وتعترون حتى يلجكم [العرق] ، أو يلع الأذنان ، وتقولون : من يشفع لنا إلى ربنا فيقبض بيننا ؟ فتقولون : من أحق بذلك من أياكم آدم ، خلفه الله يده ، وفتح فيه من روحه ، وكلمه قىلا : فيأتون آدم ، فيطلبون ذلك إليه قىلا ، ويقول : ما أنا بصاحب ذلك . فيستقرون الأنبياء نيا نيا ، كلما جاموا نيا أبى عليهم - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حتى يأتون فأنطلق إلى القصص فأتى ساجداً - قال أبو هريرة : يا رسول الله ، وما القصص ؟ قال : قدام العرش حتى يبعث الله إلى ملكاً فيأخذ بعضدى ، فيرفعى ، فيقول لى : يا محمد ، فأقول : نعم ، يا رب : فيقول الله عز وجل : ما سألك ؟ وهو أعلم ، فأقول : يا رب ، وعدنى الشفاعة قسعة عشتى فى خلقك ، فاقض بينهم . قال : قد شفعتك ، أنا أتيكم أقتضى بينكم .

(١) الأديم المكافى : مرسوم إلى حظاء ، أشهر أموات العرب ، كان يحمل الأديم إليها ويبيع فيها .

(٢) طرائث : جمع طرلوث - بهم لىكون - وهو : نبت دمل طويل سطة ، يضرب إلى الحمرة وليس .

(٣) سورة القمر ، آية : ٥ .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأرجع فألق مع الناس ، فيبئنا نحن وقومك إذ سمعنا حسنا من السماء حديثا ، فهاتنا فنزل أهل السماء [الدنيا] بتلى من في الأرض من الجن والإنس ، حتى إذا دنوا من الأرض أشرفت الأرض بنورهم ، وأدخلوا مصافهم ، وقتلنا لهم : أفبكم ربنا ؟ قالوا : لا ، [وهو آت] ؟

ثم ينزل أهل السماء الثانية بتلى من نزل من الملائكة ، ويبتلى من فيها من الجن والإنس ، حتى إذا دنوا من الأرض أشرفت الأرض بنورهم ، وأدخلوا مصافهم ، وقتلنا لهم : أفبكم ربنا ؟ فيقولون : لا ، وهو آت] :

ثم ينزلون على قدر ذلك من التضييف ، حتى ينزل الجبار عز وجل في ظل كل من النعام والملائكة ، ويصل مرشه يومئذ لثمانية - وهم اليوم أربعة - أقدامهم في تخوم الأرض السفلى ، والأرض والسماوات إلى حُجُزَتِهِمْ (١) ، والعرش على متكبيهم ، لم يزل في تسييحهم ، يقولون : سبحان ذي العرش والجبروت ، سبحان ذي الملك والملكوت ، سبحان الحمى الذى لا يموت ، سبحان الذى يبيت الخلاق ولا يموت ، سُبُوحٌ قَدُوسٌ قَدُوسٌ قَدُوسٌ ، سبحان ربنا الأعلى ، رب الملائكة والروح ، سبحان ربنا الأعلى ، الذى يبيت الخلاق ولا يموت : فيضع الله كرسيه حيث يشاء من أرضه ، ثم يجف بصوته : يا معشر الجن والإنس ، إني قد أنصت لكم منذ خلقتكم إلى يومكم هذا ، أسمع قولكم وأبصر أعمالكم ، [فأنصروا إلى ، فأنما هي أعمالكم] وصحفكم قرأ عليكم ، فمن وجد خيرا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه ؛

ثم يأمر الله جهنم ، فيخرج منها حُتَّىٰ (٢) صاطع : ثم يقول : (ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين . وأن اعبدوا هذا صراط مستقيم . ولقد أضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون : هل جهم إلى كنتم توعدون) [أو : بها تكليدون] - [شك أبو حاتم] (ولما تزوا اليوم أيها المجرمون (٣)) فيميز الله الناس ويجوزهم الأمم يقول الله تعالى : (وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها اليوم يحزون ما كنتم تعملون (٤)) فيقضى الله عز وجل بين خلقه ، إلا الثقلين الجن والإنس ، فيقضى بين الوحش والبهائم ، حتى إنه يقضى للحياء (٥) من ذات القرون ، فإذا فرغ من ذلك فلم يبق تيمة عند واحدة لاخرى قال الله : كوفي ترابا : فمد ذلك يقول الكافر : (يا ليتني كنت ترابا) (٦) :

ثم يقضى الله بين العباد ، فكان أول ما يقضى فيه للعامة ، ويأتى كل قتيل في سبيل الله عز وجل ، ويأمر الله كل قتيل فيحمل رأسه تَشْتَبِ (٧) أوداجه يقول : يا رب ، فم قتلى هذا ؟ فيقول - وهو أعلم - : فم قتلهم ؟ فيقول : قتلهم لتكون البرة لك . فيقول الله له : صدقت . فيجبل الله وجهه مثل نور الشمس ، ثم تخر به للملائكة إلى الجنة .

(١) السجدة - يتم فسكون ففتح - : سقط الإعراب .

(٢) يخرج منها حتى ، أي قطعة منها .

(٣) سورة يس ، آية : ٦٠ - ٦٤ .

(٤) سورة الجاثية ، آية : ٢٨ .

(٥) ينظر التفسير هذه الكلمة فيما تقدم : ٢٩٨/٢ .

(٦) سورة نبيأ ، آية : ٤٠ .

(٧) ينظر تفسير هذه الكلمة فيما تقدم : ٣٣٤/٢ .

ويأتي كل من قُتل غير ذلك يحمل رأسه تشبیه أوجاهه ، فيقول : يارب ، قتلى هذا : فيقول - وهو أعلم - : لم تقتلهم ؟ فيقول : يارب ، تقتلهم تشكرن العزة لك ولي : فيقول : نعمت : ثم لا تبقى نفس قتلتها إلا قتل بها ، ولا مظلمة ظلمها إلا أعاد بها ، وكان في مشيئة الله إن شاء عليه وإن شاء رحمه .

ثم يقضى الله تعالى بين من بين من خلقه حتى لا تبقى مظلمة لأحد عند أحد إلا أعادها للمظلوم من الظالم ، حتى إنه ليكلف شاباً الله بلقاء ثم يبيحه إلى أن يخلص الدين من لقاء .

إذا فرغ الله من ذلك نادى متاد يسع الخلائق كلهم : ألا ليحق كل قوم بآلهم [وما كانوا يعملون من دون الله ، فلا يبقى أحد عبد من دون الله إلا ملئت له كلمة بين يديه ، ويجعل يومئذ ملك من الملائكة على صورة عزير ، ويجعل ملك من الملائكة على صورة عيسى ابن مريم ، ثم يتبع هذا اليهود وهذا النصراني ، ثم قاتلهم أجمعهم] إلى النار : وهو الذي يقول : (لو كان هؤلاء كلمة ماوردوها ، وكل فيها خالفون) (١) .

إذا لم يبق إلا المؤمنون فيهم الملائقون ، جامعهم الله فيا شاء من هيئته ، فقال : يا أيها الناس ، ذهب الناس فالحقوا بآلكنكم وما كنتم تعملون : فيقولون : والله ما لنا إله إلا الله ، وما كنا نعبد غيره [فيصرف عنهم ، وهو الله الذي يأتيهم فيمكث ما شاء الله أن يمكث ، ثم يأتيهم فيقول : يا أيها الناس ، ذهب الناس فالحقوا بآلكنكم وما كنتم تعملون : فيقولون : والله ما لنا إله إلا الله وما كنا نعبد غيره] ، فيكشف لهم عن سائه ، ويتجلى لهم من عظمتهم ما يعرفون أنه بهم ، فيخرون سجداً على وجوههم ، وبغير كل منافق على قتاه ، ويجعل الله أصلاً لهم كصاوي (٢) البقر : ثم يأذن الله لهم فيرففون ، ويشرب الله الصراط بين ظهري جهنم كحد الشفرة - أو : كحد السيف - عليه كلاليب وخطاطيف وحسك كحسك السمعان (٣) ، دونه جسر دحش (٤) مزلّة ، فيمرون كطرف العين ، أو كلمح البرق ، أو كمر الريح ، أو كجباد الخيل ، أو كجباد الركب ، أو كجباد الرجال : فتاج عالم ، وناج غدوش ، ومكرس (٥) على وجهه في جهنم .

إذا أفضى أهل الجنة إلى الجنة قالوا : من يشفع لنا إلى ربنا فندخل الجنة ؟ فيقولون : من أحق بذلك من أبيكم آدم عليه السلام ، خلقه الله بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وكلمه فيلا ؟ فيأتون آدم فيطلبون ذلك إليه ، فيذكر ذنباً ويقول : ما أنا بصاحب ذلك ، ولكن عليكم بنوح ، فإنه أول رسل الله : فيوثق نوح فيطلب ذلك إليه ، فيذكر ذنباً ويقول : ما أنا بصاحب ذلك ، ويقول عليكم إبراهيم ، فإن الله اتخذ خليلاً : فيوثق إبراهيم فيطلب ذلك إليه ، فيذكر ذنباً ويقول : ما أنا بصاحب ذلك ، ويقول : عليكم موسى ، فإن الله قربته نجيباً ، وكلمه وأثّر عليه التوراة : فيوثق موسى فيطلب ذلك إليه ، فيذكر ذنباً ويقول : لست بصاحب ذلك ، ولكن عليكم يروح الله وكلمته عيسى ابن مريم : فيوثق عيسى ابن مريم فيطلب ، ذلك إليه ، فيقول : ما أنا بصاحبك ، ولكن عليكم محمد - قال رسول الله صلى الله عليه

(١) سورة الأنبياء : آية ٩٩ .

(٢) صاوي البقر : قرونها ، واسطها : صيغة ، بكسر فسكون فكسر فتح فتح الله .

(٣) السمعان : نبت من أشجار مراعى الإبل ، وله شوك تشبه به حلقة القبر .

(٤) جسر دحش ، ومكان دحش : زلق ، لا يثبت منه القدم .

(٥) المكرس : الذي سميت بهاء ورجلاه ، وأثنى في موضع .

وسلم : فيأتونك ولي عند ربك ثلاث شفاعات فأنطلق فأتى الجنة ، فأخذ بحلقة الباب ، فاستفتح [ففتح] إلى فاجي ويرحب بي . فإذا دخلت الجنة فنظرت إلى ربك خروث ساجداً ، فإذا أنت في من حمده وتبجلده بشيء ما أذن به لأحد من خلقه ، ثم يقول : ارفع [أرسل] ، يا محمد ، واشفع نفسك ، وسل تعطه : فإذا رفعت رأسك يقول الله - وهو أعلم - ما شئت ؟ فأقول : يارب ، وعدني الشفاعة ، فشفعتني في أهل الجنة فيدخلون الجنة ، فيقول الله : قد شفعتك وقد أذنت لهم في دخول الجنة .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « والذي نفسي بيده ، ما أتم في الدنيا بأمر من أزواجكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم ، فيدخل كل رجل منهم على اثنين وسبعين زوجة ، سبعين مما ينشئ الله عز وجل ، واثنين آدميين من ولد آدم ، لما فضل على من أنشأ الله ، لمباذنها الله في الدنيا : فيدخل على الأولى في غرفة من ياقوته ، على صرير من ذهب مكلل بالؤلؤ ، عليها سبعون زوجاً من سندس وإستبرق ، ثم إنه يضع يده بين كتفها ، ثم ينظر إلى يده من صدرها ، ومن وراءها فيأبها وجلدتها ولحمها ، وإنه لينظر إلى مسخ ساقها كما ينظر [أحدكم إلى] السلك في قصبة الياقوت ، كبدنها له امرأة وكبدنها لها امرأة : فيبنا هو عندنا لا عليها ولا تحله ، ما يأتيها من مرة إلا وجدناها علهاء ، ما يتغير ذكره ، وما تشكي قلبها : فيبنا هو كذلك إذ توتى : إنا قد عرفنا أنك لا تمل ولا تمل ، إلا أنه لا متبى لامتبىة إلا أن لك أزواجاً غيرها . فيخرج فيأتيهن واحدة واحدة ، كلما أتى واحدة قالت : والله ما أرى في الجنة شيئاً أحسن منك ، ولا في الجنة شيء أحب إلى منك »

وإذا وقع أهل النار في النار ، وقع فيها خلق من خلق ربك أوبقتهم أعمالهم ، لنعم من تأخذ النار قديمه لا يجاوز [ذلك] ، ومنهم من تأخذها إلى أنصاف صافيه ، ومنهم من تأخذها إلى ركبتيه ، ومنهم من تأخذها إلى حنقيته (١) ، ومنهم من تأخذ جسده كله ، إلا وجهه حرم الله صورته عليها - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تقول : يا رب ، من وقع في النار من أمي : فيقول : أخرجوا من حرقم ، فيخرج أولئك حتى لا يبق منهم أحد ، ثم يأتى الله في الشفاعة فلا يبق نبي ولا شهيد إلا شفع ، فيقول الله أخرجوا من وجدتم في قلبه زنة البينار إيماناً - فيخرج أولئك حتى لا يبق منهم أحد : ثم يشفع الله فيقول : أخرجوا من في قلبه إيماناً ثلثي دينار : ثم يقول : لث دينار : ثم يقول : ربع دينار : ثم يقول : قيراطاً : ثم يقول : حبة من خرط : فيخرج أولئك حتى لا يبق منهم [أحد] ، وحتى لا يبق في النار من عمل لله خيراً قط ، ولا يبق أحد له شفاعة إلا شفع ، حتى إن إبليس ليطاول مما يرى من رحمة الله رجاء أن يشفع له ، ثم يقول : بقيت وأنا أرحم الراحمين : فيدخل يده في جهنم فيخرج منها مالا يحصي فيه ، كلهم حسم (٢) ، فيلقون على نهر يقال له : نهر الحيوان ، فيبتون كما تبت الحية في حميل (٣) السبل ما بين الشمس منها أنصهر ، وما على الظل منها أصفر ، فيبتون كنبات الطرائث ، حتى يكونوا أمثال اللز ، مكتوب في رقابهم : « الجهنميون »

(١) أظفر - يفتح فسكون ، وبكسر فسكون أيضاً - للكشف والإقرار .

(٢) الحسم - يفتح - الرماط والحسم ، وكل ما احترق من النار .

(٣) سبل السبل : ما يجيء به السبل من طين أو فناء وغيره ، فلما انفتحت فيه حية واستقرت حل شط جري السبل ، فلما تلبث في يوم وليلة . فشيء به مرة حرد أبغلتهم وأجسلهم إليهم بعد إسراق النار لها .

هؤلاء الرحمن ، يعرفهم أهل الجنة بذلك الكتاب ، ما علوا خيراً الله قط . فيمكون في الجنة ما شاء الله ، وذلك الكتاب في رعايتهم ، ثم يقولون ربنا أصح هذا الكتاب : فيسموه الله عز وجل عنهم :

هذا الحديث ، وهو غريب جداً ، ولبعظه شواهد في الأحاديث المتفرقة ، وفي بعض ألفاظه نكارة : تترد به إسماعيل ابن رافع قاص من أهل المدينة ، وقد اختلف فيه ، ففهم من وقته ، ومنهم من ضعفه ، ونص على نكارة حديثه غير واحد من الأئمة ، كأحمد بن حنبل ، وأبي حاتم الرازي ، وعمر بن علي القلاص ، ومنهم من قال فيه : هو متروك . وقال ابن عدي : أحاديث كلها فيها نظر ، إلا أنه يكتب حديثه في جملة الضعفاء :

قلت : وقد اختلف عليه في إسناد هذا الحديث على وجوه كثيرة ، قد أفرقتها في جزء على حدة ، وأما سياقه لغريب جداً ، ويقال : إنه جمعه من أحاديث كثيرة ، وجعله سياقا واحدا ، فأكثر عليه سبب ذلك : وسمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي يقول : إنه رأى الوليد بن مسلم مصفا قد جمع فيه كل الشواهد لبعض مفردات هذا الحديث ، فافقه أهل :

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ إِذْ أَخَذَ أَهْلًا مَعَ اللَّهِ إِلَىٰ أَنْبَاءِ الْمَسْكُونَةِ وَالْأَرْضِ وَيَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٧﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْإِفْلَاقَ ﴿١٢٨﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿١٢٩﴾ فَلَمَّا رَأَى النَّجْمَ بِرُفْعَةٍ قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿١٣٠﴾ إِلَىٰ وَجْهٍ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ حِينَئِذٍ نَأْتِيهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣١﴾

قال الضحاك ، عن ابن عباس : إن أبا إبراهيم لم يكن اسمه آزر ، إنما كان اسمه تارح : رواه ابن أبي حاتم :

وقال أيضا حدثنا أحمد بن عمرو بن أبي حاتم التتيل ، حدثنا أبي ، حدثنا أبو حاتم شبيب ، حدثنا عكرمة ، عن ابن عباس في قوله : (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ) يعني يآزر الصنم ، وأبو إبراهيم اسمه تارح وأمه اسمها مثالي وامراته اسمها سارة ، وأم إسماعيل اسمها هاجر ، وهي صرية إبراهيم :

وهكذا قال غير واحد من علماء التفسير : إن اسمه تارح :

وقال مجاهد والسدي : آزر : اسم صنم :

قلت : كأنه غلب عليه آزر فسميته ذلك الصنم ، فافقه أهل :

وقال ابن جرير : وقال آخرون : « هو سب وحبب بكلامهم ، ومعناه : معوجج » (١) ولم يستند ولا حكاه عن أحد :

وقال ابن أبي حاتم : ذكر عن محترم بن سليمان ، سمعت أبي يقرأ : (وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر) فقال :
بني أنها أخرج ، وأنها تشد كلمة قالها إبراهيم عليه السلام .

ثم قال ابن جرير ، والصواب أن اسم أبيه آزر . ثم أورد على نفسه قول الثعلبي أن اسمه تارح ، ثم أجاب بأنه قد
يكون له إيمان ، كما لكثير من الناس ، أو يكون أحدهما لقباً (١) . وهذا الذي قاله جيد ، قرئ والله أعلم .

واختلف القراء في أداء قوله تعالى : (وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر) ، فحكى ابن جرير عن الحسن البصري وأبي
زيد اللخمي أنهما كانا يقرأان : (وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتخذ أصناماً) ، معناه : يا آزر أتخذ أصناماً لك .

وقرأ الجمهور بالفتح ، إما على أنه علم أعجمي لا ينصرف ، وهو يدل من قوله (لأبيه) ، أو عطف بيان ،
وهو أنشبه .

وعلى قول من جملة نحا لا ينصرف أيضاً كأحمرو وأسود ،

فأما من زعم (أنه) منصوب لكونه مفعولاً لقوله : (أتخذ أصناماً) ، فليدبره : يا أبت ، أتخذ آزر أصناماً
لك - فإنه قول بعيد في اللغة ، لأن ما بعد حرف الاستفهام لا يعمل فيما قبله ، لأن له صدر الكلام ، كلبا قرره ابن جرير
ونجده . وهو مشهور في قواعد العربية .

والقصد أن إبراهيم عليه السلام عطف أباه في عبادة الأصنام ، وزجره عنها ، ونهاه فلم يته ، كما قال : (وإذ قال
إبراهيم لأبيه آزر : أتخذ أصناماً لك ؟) أي : أتأله لصنع تمجده من دون الله ، (إلى أراك وقومك) ، أي : السالكين
مسلكك (في ضلال مبين) ، أي : تأنين لا يهتدون أين يسلكون ، بل في حيرة وجهل ولزخم في الجهالة والضلal
[بين واضع] لكل [شيء] عقل صحيح .

وقال تعالى : (واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً . إذ قال لأبيه : يا أبت ، لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر
ولا يخفى عليك شيئاً . يا أبت إنني قد جئت من العلم ما لم يأتك فاتبني أعدك صراطاً سوياً . يا أبت لا تعبد الشيطان إن
الشيطان كان للفرس عصبياً . يا أبت إنني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان ولياً . قال أراغب أنت
عن لفتي يا إبراهيم لننم نتمن لأرجعتك وأهجرني ملياً . قال سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان في حفي . وأحترلكنم
وما تدعون من دون الله وأدع ربي عسى ألا أكون بدعاه ربي شقياً) (٢) ، فكان إبراهيم عليه السلام يستغفر لأبيه مدة
سجده ، فلما مات على الشرك وتبين إبراهيم ذلك رجوع عن الاستغفار له ، وتبرأ منه ، كما قال تعالى : (وما كان استغفار
إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم) (٣) .

(١) تفسير القرطبي ٤/١١ ، ٤٦٩ .

(٢) سورة مريم ، آية ٤١ - ٤٨ .

(٣) سورة التوبة ، آية ١١٤ .

وثبت في الصحيح : أن إبراهيم يأتى أباه تزيروم التيامة فيقول له أبوه : يا بنى ، اليوم لا أعصيك ، فيقول إبراهيم : أى رب ، ثم تمدنى أنك لا تخزى يوم يموتون ، وأى خزى أخزى من أبى الأبعد ؟ فيقال : يا إبراهيم ، انظر ما وراءك . فإذا هو بدينع (١) مططح فيؤخذ بقوائمه ، فيلقى في النار (٢) :

وقوله : (وكللك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض) ، أى : تبين له وجه الدلالة في نظره إلى خلقهما على وحدانية الله عز وجل في ملكه وخطه ، وأنه لا إله غيره ولا رب سواه ، كقوله : (قل انظروا ماذا في السموات والأرض (٣)) ، وقال : (أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض) (٤) ، وقال : (أأنتم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء إن في ذلك لآية لكل عبد منيب) (٥) .

فلما ما حكاه ابن جرير وغيره ، عن مجاهد ، وهطاء ، وصعيد بن جبير ، والسدى ، وغيرهم قالوا — والمقتضى للمجاهد — : فرجت له السموات ، فنظر إلى ما فيه ، حتى انتهى بصره إلى العرش ، وفرجت له الأرضون السبع ، فنظر إلى ما فيه — وزاد غيره — : فجعل ينظر إلى العباد على الملأى فيدعو عليهم ، فقال الله له : إني أرحم بعبادى منك ، أعلمهم أن يتوبوا ويترجوا . وقد روى ابن مردويه في ذلك حديثين مرفوعين ، عن معاذ ، وصلى ، ولكن لا يصح إسنادهما والله أعلم . وروى ابن أبي حاتم من طريق العوفى عن ابن عباس في قوله : (وكللك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين) فإنه تعالى جعل لك الأمر سره وعلاجه ، فلم يخف عليه شيء من أعمال الخلاق ، فلما جعل يلعن أصحاب الذنوب قال الله : إنك لا تستطيع هذا . فرده كما كان قبل ذلك — فيجعل أن يكون هذا كشف له عن بصره ، حتى رأى ذلك عيانا ، ويحصل أن يكون عن بصيرته حتى شاهده بقرآده وتحققه وعرفه ، وعلم ما في ذلك من الحكم الباهرة والدلالات القاطعة ، كما رواه الإمام أحمد والترمذى وصححه ، عن معاذ بن جبل في حديث اللثام : « أتاني وبي في أحسن صورة فقال : يا محمد ، فم يخضع للآء الأهل ؟ قلت : لا أدرى يا رب ، فرض كنه بين كنى ، حتى وجدت برد أنامله بين لثتي ، فتجلى لى كل شيء وعرفت ... » وذكر الحديث (٦) .

وقوله : (وليكون من الموقنين) ، قيل : « الرواى زائدة ، فقديره ، وكللك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض ليكون من الموقنين ، كقوله : (تفصل الآيات وتبين سبل المجرمين) (٧) . » وقيل : بل هو على بابها ، أى : نريه ذلك ليكون حاداً وموقناً .

(١) اللينج — بكسر الهمزة وسكون الهمزة — ذكر الفصيح . وأراد بالتطحن التطحن بوجهه أو بالطين .

(٢) صحيح البخارى ، كتاب الأنبياء ، باب قول الله تعالى : (واتخذ الله إبراهيم خليلاً) : ١٦٦/٤ .

(٣) سورة يونس ، آية : ١٠٩ .

(٤) سورة الأعراف ، آية : ١٨٥ .

(٥) سورة سبأ ، آية : ٩ .

(٦) مسند الإمام أحمد ، ٢٤٣/٥ . ونسخة الأحرار ، أبواب التفسير ، تفسير سورة ص : ١٠٦/٩ — ١٠٩ .

(٧) سورة الأنعام ، آية : ٥٥ .

وقوله : (فلما جن عليه الليل) ، أى : تشاء وسره (رأى كوكباً) ، أى : نجماً ، (قال هذا ربي فلما أظلم) ، أى : غاب . قال محمد بن إسحاق بن يسار : « الأول ، النحاب . وقال ابن جرير : يقال : أظلم النجم بأظلم وأبظلم وأفولاً وأفطلاً : إذا غاب ، ومنه قول ذي الرمة (١) :

مصاييح ليست بالوالقى تَقُودُهَا • تُجْرِمُ ، ولا بالآفلات والدوالك

ويقال : أين أظلت هنا ؟ أى : أين غبت هنا ؟

قال : (لأحب الآفلين) ، قال قتادة : علم أن به دائم لا يزول (٢) ، (فلما رأى القمر بازغاً) ، أى : طالماً (قال : هذا ربي . فلما أظلم قال لن لم يهني ربي لأكون من القوم الضالين . فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي) ، أى : هذا النير الطالع ربي (هذا أكبر) ، أى : جرماً من النجم ومن القمر ، وأكثر إضاءة (فلما أظلم) ، أى : غابت (قال : يا قوم ، إني يرى ما تشركون . إني وجهت وجهي) ، أى : انعطفت ديني وألحقت عبادةي (للذي فطر السموات والأرض) ، أى : خلقهما وابتدعهما على غير مثال سبق (حقيقاً) ، أى : في حال كوني حقيقاً ، أى : مثلاً عن الشرك إلى التوحيد ، ولهذا قال : (وما أنا من المشركين) ،

وقد اختلف المفسرون في هذا المقام ، هل هو مقام نظر أو مناظرة ؟ فروى ابن جرير من طريق عن ابن [أبي] طلحة ، عن ابن عباس ما يقتضي أنه مقام نظر ، واختاره ابن جرير مستنداً بقوله : (لن لم يهني ربي) ... الآية .

وقال محمد بن إسحاق : قال ذلك حين خرج من السرّب (٣) الذي ولدته فيه أمه ، حين غرقت عليه القردود بين كتفاه ، لا أن قد أعبر بوجود مولود يكون ذهاب ملكك على يديه ، فلم يقتل النملان حاملاً . فلما حملت أم إبراهيم به وحوان وضعا ، ذهبت به إلى سرّب ظاهر البلد ، فولدت فيه إبراهيم وتركته هناك . وذكر أشياء من غرائب العادات ، كما ذكرها غيره من المفسرين من السلف والخلف .

والحق أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان في هذا المقام متأثراً بقومه ، ميتاً لم يطلان ما كانوا عليه من عبادة الميالك والأصنام ، فبين في المقام الأول مع أبيه عظام في عبادة الأصنام الأرضية ، التي هي على صورة الملكة السيادية ، ليشفوا لهم إلى الخالق العظيم الذي هم عند أنفسهم أحقر من أن يعبده ، وإنما يتوسلون إليه بعبادة ملائكته ، ليشفوا لهم عند الرزق والنصر ، وغير ذلك ما يحتاجون إليه . وبين في هذا المقام عظام وضلالهم في عبادة الميالك ، وهي الكواكب السيارة السبعة المنجية ، وهي : القمر ، وعطارد ، والزهرة ، والشمس ، والمريخ ، والمشتري ، وزحل . وأشدهن إضاءة وأشرفهن عندهم الشمس ، ثم القمر ، ثم الزهرة . فبين أولاً أن هذه الزهرة لا تصلح للإلهية ، لأنها مسخرة مقطرة يسير

(١) البيت في ديوانه : ٤٢٥ ، ومجاز القرآن لأبي حنيفة : ١٩٩/١ ، واللسان : مادة : ذلك .

والمصاييح : جميع مصاييح ، وهي التي تصبح في مبركها لا ترمى حتى يرتفع النهار ، وهو ما يحسن من الإبل ، وذلك قوتها وسببها . والدالوك : القردوب . يقول : ليست بنجوم آفلات ، ولكنها ليل . ينظر تفسير الطبري : ٤٨٥/١١ .

(٢) تفسير الطبري : الأثر ١٤٦٣ : ٤٨٥/١١ .

(٣) السرّب - بفتحين - حفير تحت الأرض ، وقيل : بيت تحت الأرض . والله في أثر ابن إسحاق - كما رواه الطبري -

أن أمه ولدته عليه السلام في مدبرة . ينظر تفسير الطبري : ٤٨١/١١ .

معين ، لا يروج حبه ميتاً ولا شيلاً ، ولا تحك لنفسها تصرفاً ، بل هي جرم من الأجرام خلقها الله منيرة ، لا له في ذلك من الحكم العظيمة ، وهي تطلع من المشرق ، ثم تميز فيما بينه وبين المغرب حتى تغيب عن الأبصار فيه ، ثم تبدو في الليلة التالية على هذا المنوال ، ومثل هذه لا تصلح للإلهية : ثم انتقل إلى القمر فيمن فيه مثل ما تقدم من النجم . ثم انتقل إلى الشمس كذلك : فلما انضت الألفية من هذه الأجرام الثلاثة التي هي أنور ما تقع عليه الأبصار ، وتحقق ذلك بالدليل القاطع (قال : يا قوم إني بريد مما تشركون) ، أي : أنا بريد من عبادهن وموالينهن ، فإن كانت أمة فكيكوني بها جميعاً لم لا تتفرون ، إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين) ، أي : إنما أعبد خالق الأشياء وعمرها ومُسخرها ومقدرها ومديرها ، الذي بيده ملكوت كل شيء ، وعالق كل شيء ورببه ومليكه وإلهه ، كما قال تعالى : (إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش ينشئ الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ، ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين)^(١) . وكيف يجوز أن يكون إبراهيم ناظرأ في هذا المقام ، وهو الذي قال الله في حقه : (ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عابدين . إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون)^(٢) الآيات ، وقال تعالى : (إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين : شاكراً لأنعمه اجتباها وهداه إلى صراط مستقيم : وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين . ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين)^(٣) . وقال تعالى : (قل إني همداني ربني إلى صراط مستقيم ديناً قديماً ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين)^(٤) .

وقد ثبت في الصحيحين ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كل مولود يولد على الفطرة »^(٥) ، وفي صحيح مسلم عن مياض بن حكيم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « قال الله : إني خلقت عبادي حنفاء »^(٦) ، وقال الله في كتابه العزيز : (فطر الله الناس على فطرته طبعاً لا تبديل لخلق الله)^(٧) . وقال تعالى : (وإذ أوحى ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا بلى)^(٨) . ومعناه على أحد القولين ، كقوله : (فطر الله الناس عليها) كما سيأتي بيانه .

فإنما كان هذا في حق سائر الخليقة ، فكيف يكون إبراهيم الخليل — الذي جعله الله (أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين) — ناظرأ في هذا المقام ؟ بل هو أولى الناس بالفطرة السليمة ، والسجية المستقيمة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا شك ولا ريب : وما يبرهن أنه كان في هذا المقام ناظرأ لقومه فيما كانوا فيه من الشرك لا ناظرأ قوله تعالى :

(١) سورة الأعراف ، آية : ٥٤ .

(٢) سورة الأنبياء ، آية : ٥٦ ، ٥٧ .

(٣) سورة القصص ، آية : ١٢٥ — ١٢٣ .

(٤) سورة الأنعام ، آية : ١٦١ .

(٥) البخاري ، كتاب الجنائز ، باب إذا لم يلحقه الموتى هل يصل عليه : ١١٨/٢ . ومسلم كتاب الذكر ، باب متى كل مولود

يولد هل الفطرة : ٥٧/٨ .

(٦) مسلم ، كتاب الجنة ، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار : ١٥٩/٨ .

(٧) سورة الروم ، آية : ٣٠ .

(٨) سورة الأعراف ، آية : ١٧٢ .

[illegible]

يقول تعالى : وجادلوه قرمه فبا ذهب إليه من التوحيد، وانظروه بشبه من القول -- قال : (أتعجبوني في الله وقد هدانا) ، أي : بمجادلوني في أمر الله وأنه لا إله إلا هو، وقد بصّرني وهداني إلى الحق وأنا على عينيه منه ؟ فكيف أنفت إلى أمر الحكم القاسدة وشبهكم الباطلة ؟!

وقوله : (ولا تخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربّي شيئا) ، أي : ومن التلّيل على بطلان قولكم فيما ذهبتم إليه أن هذه الآفة التي تسببونها لا تؤثر شيئا ، وأنا لا أخافها ولا أبايها ، فإن كان لها صانع فيكون بها ولا تنترون ، بل عاجلون بللها .

وقوله : (إِنْ أَنْ يَشَاءِ رَبِّي شَيْئًا) استثناء منقطع ، أى : لا يضر ولا ينفع إلا الله ، عز وجل ،

(وسمى كل شيء علماً) ، أى : أحاط علمه بجميع الأشياء ، فلا تبقى عليه خافية .

(أفلا تذكرون) ، أى : فإيا بيته لكم تصبرون أن مله الآفة عاطلة ، فخرجوا من حياتنا ؟ وهذه الحجة نظير ما احتج به نبي الله عليه السلام فى قوله ماد ، فإقص عنهم فى كتابه ، حيث يقول : (قالوا : يا هود ، ما جئنا بنبية ، وما نحن بأتارىك لكنتا عن قورك وما نحن لك بمؤمنين . إن تقول إلا أمر لك بضئ لكنتا بسوء . قال : إني أشهد الله ، وأشهدوا إني برأى ما تشركون . من دونه ، فكيلوني جميعاً ثم لا تنظرون . إني توكلت على الله وبيكم ما من دابة إلا أنا أخذتها بصية) ... الآية (١) .

وقوله : (وكيف أخاف ما أشرتم) ، أي : كيف أخاف من هذه الأصنام التي تعبodon من دون الله (ولا تخافون أنكم أشرتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً) ؟ قال ابن عباس وغير واحد من السلف : أي حجة . وهذا كما قال تعالى : (لم لهم شركاء شرعوا لهم من اللذين ما يذنون بالله) (٢) . وقال : (إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان) (٣) .

(١) سورة هود ، آية : ٥٣ - ٥٦ .

(٢) سورة النور ، آية : ٢١ .

(۲) سورة النجم ، آية : ۲۳ .

وقوله : (فأى الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون) ، أى : فأى الطائفتين أصوب ؟ الذى عيّد من يده الضر والنفع ، أو الذى عبد ما لا يضر ولا ينفع بلا دليل ، أيهما أحق بالأمن من عذاب الله يوم القيامة ؟ قال الله تعالى : (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) ، أى : هؤلاء الذين أخلصوا العبادة لله وحده لا شريك له ، ولم يشركوا به شيئاً هم المؤمنون يوم القيامة ، المهتدون فى الدنيا والآخرة .

قال البخارى : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا ابن أبي عدى ، عن شعبة ، عن سليمان ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله قال : لما نزلت : (ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) ، قال أصحابه : وأينما لم يظلم نفسه (١) ؟ فنزلت : (إن الشرك لظلم عظيم) (٢) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله قال : لما نزلت هذه الآية : (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) شق ذلك على الناس ، وقالوا : يا رسول الله ، فأينما لا يظلم نفسه ؟ قال : إنه ليس الذى تتعنون ! ألم تسموا ما قال العبد الصالح : (يا بى ، لا تشرك بالله ، إن الشرك لظلم عظيم) ، إنما هو للشرك (٣) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا وكيع وابن إدريس ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله قال : لما نزلت : (ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا : وأينما لم يظلم نفسه ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس كما تظنون ، إنما قال لابنه : (يا بى ، لا تشرك بالله ، إن الشرك لظلم عظيم) .

وحدثنا عمر بن شبة الأفرى ، حدثنا أبو أحمد ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله عن أبيه صلى الله عليه وسلم فى قوله : (ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) ، قال : يشرك .

قال : وروى عن أبي بكر الصديق ، وعمر ، وأبي بن كعب ، وسلمان ، وحليقة ، وابن عباس ، وابن عمر ، وعمر بن شرحبيل ، وأبي عبد الرحمن السُّلَمي ، وجاهد ، وعكرمة ، والتمتعي ، والضحاك ، وقائدة ، والسدي نحو ذلك .

وقال ابن مردويه : حدثنا الشافعى ، حدثنا محمد بن شداد المسمى ، حدثنا أبو حاتم ، حدثنا سفيان الثوري ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله قال : لما نزلت : (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قيل لى : أنت منهم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا إسحاق بن يوسف ، حدثنا أبو جنتاب ، عن زاذان ، عن جرير بن عبد الله قال : خرجنا

(١) لفظ البخارى : « وأينما لم يظلم ؟ فنزلت ... » .

(٢) البخارى : تفسير سورة الأنعام : ٧١/٦ .

(٣) المسند : ٣٧٨/١ .

مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما برزنا من المدينة إذا راكب يوضح (١) محمداً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كأن هذا الراكب إياكم يريد . فالتفتي إيتنا الرجل ، فلم فرددنا عليه ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : من أين أقبلت ؟ قال : من أهل وولدي وحشيتي . قال : « فأين تريد ؟ » قال : أريد رسول الله ، قال : قد أصبغ . قال : يا رسول الله ، علمني ما الإيمان ؟ قال : تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت : قال : قد أفردت : قال : ثم إن بعيره دخلت يده في شبكة جرذ أن ، فهوى بعيره وهوى الرجل ، فوقع على هامته فأت : فقال النبي صلى الله عليه وسلم : على بالرجل : فوثب إليه حمار ابن ياسر وحليقة بن اليان فأقصده ، فقالا : يا رسول الله ، قبض الرجل ! قال : فأعرض عنهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال لما رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما رأيتا إعراضى عن الرجل ، فإذا رأيت ملكين يمشان في فيه من ثمار الجنة ، فعلمت أنه مات جائداً . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا (٢) من الذين قال الله عز وجل : (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) .. الآية . ثم قال : دونكم لشاكم . قال : فاسحماناه إلى الماء فسلناه وحسنااه وكننااه ، وحسنااه إلى القبر ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جلس على شكير القبر فقال : احلوا ولا تشقوا ، فإن اللحد لنا والشق لغيرنا (٣) .

ثم رواه أحمد عن أسود بن عامر ، عن عبد الحميد بن جعفر القرطبي ، عن ثابت ، عن زاذان ، عن جرير بن عبد الله ، فذكر نحوه - وقال فيه : هذا من حميل قليلا وأجر كثير (٤) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا يوسف بن موسى القطنان ، حدثنا مهرا بن أبي عمر ، حدثنا على بن عبد الأهل ، عن أبيه ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير ساره ، إذ عرض له أعرابي فقال : يا رسول الله ، والذي يظك بالحق لقد خرجت من بلادى وتلاى ومال لأهلى بملك ، وأخذ من قوك ، وما بملك حتى مالى طعام إلا من خضير الأرض ، فأعرض عكى : فأعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقبل . فاذحمنا حوله ، فدخل خيف بكثرة (٤) في بيت جرذان ، فرى الأعرابي ، فانكحرت عنه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صدق والذي يثنى بالحق ، لقد خرج من بلاده وتلاى وماله ليهنى بهلى وأخذ من قوك ، وما بملك حتى مالى طعام إلا من خضير الأرض ، أسمع باللى على قليلا وأجر كثير ؟ هل منهم ! أسمع بالذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لم الأمن وهم مهتدون ؟ فإن هل منهم .

وقوله : (وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه) ، أى : وجهنا حجة على قومه .

قال مجاهد وغيره : يبنى بلك قوله : (وكيف لأف ما أشركم ، ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأى الفريقين أحق بالأمن) :: الآية : وقد صدقه الله ، وحكم له بالأمن والمداية فقال : (الذين آمنوا ولم

(١) الإيضاح : حمل الراكب بعيره على سرعة السير .

(٢) لفظ المسند : « هذا والله من الذين ... » .

(٣) منه الإمام أحمد : ٣٥٩/٤ .

(٤) البكر - بفتح فسكون - : لفتى من الإبل .

يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهنتون) ، ثم قال بعد ذلك كله : (وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء) .

قرئ به بالإضافة^(١) وبلا إضافة ، كما في سورة يوسف ، وكلاهما قريب في المعنى :

وقوله : (إن ربك حكيم عليم) ، أي : حكيم في أفعاله وأقواله (عليم) ، أي : عليم به ومن يشله ، وإن قامت عليه الحجة والبراهين ، كما قال : (إن الذين حفت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون . ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الآليم^(٢)) ، ولهذا قال هاهنا : (إن ربك حكيم عليم) .

وَوَعَدْنَا الْإِسْرَافِيَّةَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَيُوسُفَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَرَّمْنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أَلْبَاسًا كُلًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾ وَلِمَا تَعْلَمُ وَآلِيسَع وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَأَخَوَاهُمْ وَأَجْبَيْنَاهُمْ وَلَهَيْنَاهُمْ إِنْ صِرْطًا مُسْتَقِيمًا ﴿١٠٣﴾ ذَلِكَ هَدَى اللَّهُ يَبْرَأَيْلَ مِنْ بَشَائِهِ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَفْرَكُوا لَحِطَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هُنَا فَلَهُ قَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيُفْسِدُنَّ فِي الْبِلَادِ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَيُهْذِلُهُمْ فَقْتَلَهُمْ أَوْ يُنْقِضَهُمْ قُلْ لَا أُسْطَكِرُ عَلَيْهِمْ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٥﴾

غير تعالى أنه وهب لإبراهيم إسحاق ، بعد أن طعن في السن ، وأيس هو وامرأته « سارة » من الولد ، فجاهده لللائكة وهم ذاهبون إلى قوم لوط ، فبشروها بإسحاق ، فصجبت المرأة من ذلك ، وقالت : (يا وليي أألد وأنا عجوز وهذا يحل شيئا إن هذا لشيء عجيب . قالوا أتبعين من أمر الله ؟ رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد^(٣)) . وبشروه مع وجوده بنوه ، وبأن له تسلا وعقبا ، كما قال : (وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين^(٤)) ، وهذا أكمل في البشارة ، وأعظم في النعمة . وقال : (فبشرناه بإسحاق ومن وراءه يعقوب^(٥)) ، أي : ويولد لهذا المولود ولد في حياتكما ، فتر أحبتكما به كما قرأت بولده ، فإن القرح بولد الولد شديد لبقاء النسل والعقب ، ولا كان ولد الشيخ والشيخة قد ينهم أنه لا يعقب لضعفه وقس البشارة به وبولده باسم « يعقوب » ، الذي فيه اشتقاق العقب والذرية ، وكان هذا مجازاة لإبراهيم عليه السلام حين اعتزل قومه وتركهم ، وترح عنهم وهاجر من بلادهم ذاهبا إلى عبادة الله في الأرض ، فوضعه الله ، عز وجل ، من قومه وعشيرته بأولاد صالحين من صلبه على دينه ، تنقش بهم

(١) يقرأ بالإضافة (درجات) إل (من) ، وبتنوين درجات ، وهي قراءة الكوفيين . (البحر المحيط لأبي سيان : ١٧٧/٤) .

(٢) سورة يونس : آية : ٩٦ ، ٩٧ .

(٣) سورة هود : آية : ٧٢ ، ٧٣ .

(٤) سورة الصافات : آية : ١١٢ .

(٥) سورة هود : آية : ٧١ .

عنه ، كما قال : (فلما اعتزلتم وما يعبدون من دون الله ، وهبنا له إسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا) (١) ، وقال هاهنا : (وهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا) .

وقوله : (ونوحا هدينا من قبل) ، أى : من قبله ، هديناه كما هديناه ، وهبنا له ذرية صالحة ، وكل منهما له خصوصية عظيمة ، أما نوح عليه السلام فإن الله تعالى لما أغرق أهل الأرض إلا من آمن به - وهم الذين صبحوه في السفينة - جعل الله ذريته هم الباقين ، فالتاس كلهم من ذرية نوح ، وكذلك الخليل إبراهيم عليه السلام لم يبعث الله عز وجل بعده نبيا إلا من ذريته ، كما قال تعالى : (وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب) (٢) ... الآية ، وقال تعالى : (ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب) (٣) ، وقال تعالى : (أولئك الذين آمنتم الله عليهم من النبيين ، من ذرية آدم ومن حملنا مع نوح ، ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل ومن هدينا واجتبتنا ، إذا تتلى عليهم آيات الرحمن غروا سجدا وبكيا) (٤) .

وقوله في هذه الآية الكريمة : (ومن ذريته) ، أى : وهدينا من ذريته (داود وسليمان) ... الآية : وهو الضمير إلى « نوح » لأنه أقرب المذكورين ، ظاهر . وهو اختيار ابن جرير ، ولا إشكال عليه (٥) . وعوده إلى « إبراهيم » لأنه الذى سبق الكلام من أجله حسن ، لكن يشكل على ذلك « لوط » ، فإنه ليس من ذرية « إبراهيم » ، بل هو ابن (أخيه) ماران بن آزر ، اللهم إلا أن يقال : إنه دخل في القنوية تغليا ، كما في قوله تعالى : (أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت ، إذ قال لبنيه : ما يعبدون من بعدى ؟ قالوا : نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلها واحدا ونحن له مسلمون) ، فإسماعيل همه ، ودخل في آياته تغليا .

وفى ذكر « عيسى » عليه السلام في ذرية « إبراهيم » أو « نوح » ، على القول الآخر دلالة على دخول ولد البنات في ذرية الرجال ، لأن « عيسى » عليه السلام إنما ينسب إلى « إبراهيم » عليه السلام بأمه « مريم » عليها السلام ، فإنه لا أب له .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا سهل بن يحيى السكرى ، حدثنا عبد الرحمن بن صالح ، حدثنا علي بن حابس ، عن عبد الله بن عطاء المكي ، عن أبي حرب بن أبي الأسود قال : أرسل الحجاج إلى يحيى بن يعمر فقال : بكتفى أنك ترم أن الحسن والحسين من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم ، نجده في كتاب الله ، وقد قرأته من أوله إلى آخره فلم أجده ؟ قال : أليس تقرأ سورة الأمام : (ومن ذرية داود وسليمان) ، حتى بلغ (ويحيى وعيسى) ؟ قال : بلى . قال : أليس [عيسى] من ذرية إبراهيم ، وليس له أب ؟ قال : صدقت .

(١) سورة مريم ، آية : ٥٩ .

(٢) سورة التين ، آية : ٢٧ .

(٣) سورة المائدة ، آية : ٢٦ .

(٤) سورة مريم ، آية : ٥٨ .

(٥) تفسير الطبري : ١١ / ٥٠٧ .

قلها إذا أوصى الرجل لربه ، أو وقف على ذريته أو وحيهم ، دخل أولاد البنايت فيهم ، فأما إذا أوصى الرجل بنيه أو وقف عليهم ، فإنه يخص بذلك بنيه لصلبه وينويه ، واحتجوا بقول الشاعر البري :

بنونا بنو أبياننا وبناتنا • بنوهن أبنا الرجال الأجانب

وقال آخرون : ويدخل بنو البنايت فيهم [أيضا] ، لا ثبت في صحيح البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحسن بن علي : « إن ابني هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين »^(١) ، فبنايتنا ، فدل على دخوله في الأبناء .

وقال الآخرون : هذا تجوز

وقوله : (ومن آبائهم وذراريهم وأخوانهم) ذكر أصولهم وقرورهم . ونوى طيقتهم ، وأن الهداية والاجتباء هم لهم كلهم ، ولما قال (واجتبيئناهم وهديتناهم إلى صراط مستقيم)

ثم قال : (ذلك هدى الله بهدي به من يشاء من عباده) أي : إنما حصل لهم ذلك بتوفيق الله وهدايته إياهم ، ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون ، تشديد لأمر الشرك ، وتخليط لشأنه ، وتعتيم للإبصار ، كما قال (ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك)^(٢) : : الآية . وهذا شرط ، والشرط لا يقتضي جواز الوقوع ، كقوله : (قل : إن كان الرحمن ولد فانا أول)^(٣) (الماعين) ، وكقوله : (لو أردنا أن نتخذ لهم أولاد لتخذوا لنا ولدنا)^(٤) (الماعين) ، وكقوله : (لو أراد الله أن يتخذ ولدا لأوصلن مما خلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد)^(٥) (القهار)

وقوله : (أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة) ، أي : أنعمنا عليهم بذلك رحمة للعباد بهم ، ولطفاً منا بالخلق ، (فإن يكفر بها) ، أي : بالنبوة : ويحتمل أن يكون الضمير عائداً على هذه الأشياء الثلاثة : الكتاب ، والحكم ، والنبوة

وقوله : (هؤلاء) يعني : أهل مكة قاله ابن عباس ، وسعيد بن المسيب ، والفسحاك وقطادة ، والسدي ، (فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين) ، أي : إن يكفر بهله لنعم من كفر بها من قريش وغيرهم من سائر أهل الأرض ، من عرب وعجم ، ومليين وكثابين — فقد وكلنا بها قوما (آخرون) ، يعني : المهاجرين والأنصار وأبائهم إلى يوم القيامة (ليسوا بها بكافرين) ، أي : لا يحصلون شيئا منها ، ولا يردون منها حرفاً واحداً ، بل يؤمنون بجميعها ، يحكمها ومشائها ، جعلنا الله منهم منته وكرمه وإحسانه

ثم قال تعالى مخاطباً عبده ورسوله محمداً صلى الله عليه وسلم : (أولئك) ، يعني : الأنبياء المذكورين مع من أضيف

-
- (١) صحيح البخاري ، كتاب الصلح ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم الحسن بن علي رضي الله عنهما : ابني هذا سيد : ٢١٢/٢ ، ٢١٤ . وكتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، باب منقلب الحسن والحسين رضي الله عنهما : ٢٢٢/٥ .
(٢) سورة الزمر ، آية : ٦٥ .
(٣) سورة الزمر ، آية : ٨١ .
(٤) سورة الأنبياء ، آية : ١٧ .
(٥) سورة الزمر ، آية : ٤ .

قال البخاري عند هذه الآية : حدثنا إبراهيم بن موسى ، أخبرنا هشام بن ابن جريح أخبرهم قال : أخبرني سليمان الأحول ، أن رجلاً أخبره ، أنه سأله ابن عباس (رضي) سجدته ؟ فقال : نعم ، ثم لا : (ووجهنا له إصا . . .) إلى قوله : (فيهداهم اقتده) ، ثم قال : هو منهم - زاذ يزيد بن هارون ، وعبد بن عبيد ، وسهل بن يوسف ، عن إبراهيم ، عن عماره قال : قلت لأبي عباس ، فقال : ليكن صلي الله عليه وسلم من أمر أن يَتَخَسَّى (١) بهم

وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن قَبْلِهِ قُل مَّن أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْوِذُهُ قُرْطُبِسَ ثَمَدُونَهَا وَفُتُونُ كَثِيرًا وَعَطِيقًا مَّا تَقْلَبُونَ أَنْتُمْ وَكَأَ بَابُؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ لَمْ يَدْرِعْهُم فِي غَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿١٧٧﴾ وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنِيرُوا أَلْأَفْئِدَةَ مِنَ حَوْلِهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿١٧٨﴾

(قالوا ما نزل الله على بشر من شيء) ، والأول هو الأظهر ؛ لأن الآية مبكية ، واليهود لا ينكرون إزال الكتاب من السماء ، وقرئش ... والعرب قاطبة — كانوا يسمعون لإرسال رسول من البشر ، كما قال : (أكان الناس عبداً أن لوحيها إلى رجل منهم أن أنزل (٢) الناس) ، وقال تعالى : (وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أأنزل الله بشراً رسولاً . قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً (٤) رسولاً) ، وقال هاتما : (وما نقدر الله حق قدره إذا قالوا ما نزل الله على بشر من شيء) ، قال الله تعالى : (قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى إورا ومدى الناس) ؟ أي : قام بإعجاب هؤلاء المذكورين لآثار شيء من الكتب من عند الله ، في جواب سؤالهم العام

(٤) سورة الإسراء ٤ آية : ٩٤ ، ٩٥ .

بإثبات قضية جزئية موجبة : (من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى) يعني التوراة التي قد علمتم - وكل أحد - أن الله قد أنزلها على موسى بن عمران نورا وهدى للناس ، أي : ليستضاء بها في كشف المشكلات ، وبهتدى بها من ظلم الشبهات وقوله : (يجعلونه (١) قراطيس يلدونها ويغنون كثيرا) ، أي : يجعلها حِمَكْسَهْ قراطيس ، أي : قطعاً يكتبونها من الكتاب الأصلي الذي بأيديهم ويحرفون فيها ما يحرفون ويبدلون ويتأولون ، ويقولون (هذا من عند الله) ، أي : في كتابه المنزل ، وما هو من عند الله . ولهذا قال : (يجعلونه قراطيس يلدونها ويغنون كثيرا) .

وقوله : (وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم) ، أي : ومن أنزل القرآن الذي علمكم الله فيه من خير ماسبق ، ونياً ما يأتي ما لم تكونوا تعلمون ذلك أنتم ولا آباؤكم .

قال قتادة : هؤلاء مشركو العرب . وقال مجاهد : هذه للمسلمين .

وقوله : (قل الله) ، قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، أي ؟ قل : الله أنزله . وهذا الذي قاله ابن عباس هو المتعين في تفسير هذه الكلمة (لاما قاله بعض المتأخرين ، من أن معنى (قل الله) ، أي : لا يكون خطابك لهم إلا هذه الكلمة ، كلمة : الله) .

وهذا الذي قاله هذا القائل يكون أمراً بكلمة مفردة من غير تركيب ، والإتيان بكلمة مفردة لا يفيد في لغة العرب فائدة بحسن السكوت عليها

وقوله : (ثم ذمهم في غرضهم يلبسون) ، أي : ثم ذمهم في جهلهم وضلالهم يلبسون ، حتى يأتيهم من الله اليقين ، فسوف يلبسون : لهم العاقبة ، أم لصناد الله للفقير ؟

وقوله : (وهذا كتاب) ، يعني القرآن (أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ، ولنتلوه أم القرى) ، يعني : مكة (ومن حولها) من أحياء العرب ، ومن سائر طوائف بني آدم من عرب وصجم ، كما قال في الآية الأخرى : (قل : يأيتها الناس ، إلى رسول الله إليكم (٢) جميعاً) ، وقال : (لا تكذبكم به ومن (٣) بلغ) ، وقال : (ومن يكفر به من الأحزاب فالنار (٤) موعده) ، وقال : (تبورك الذي نزل القرآن على عبده ليكون للعالمين (٥) نذيراً) ، وقال : (وتل قلين لتوأتوا الكتاب والأمين أسلموا فإن أسلموا فقد اهتدوا ، وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير (٦) بالعباد) ، ولبت في الصريحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أعطيت حساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبل » وذكر منهم : « وكان النبي يبعث إلى قومه ، ويبعث إلى الناس عامة » ، ولهذا قال : (والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به) أي :

(١) يبدو من تفسير ابن كثير أنه قد احتج قراءة سميه ابن كثير وقراءة أبي عمرو ، بإيهام على النبية . ولما قرأت اليهود كماله على الخطاب . وقراءة التاء ظاهرة في لغة إسرائيل . (البحر المحيط لأبي سفيان : ١٧٨/٤) .

(٢) سورة الأعراف ، آية : ١٥٨ .

(٣) سورة الأنعام ، آية : ١٩ .

(٤) سورة هود ، آية : ١٧ .

(٥) سورة الفرقان ، آية : ١ .

(٦) سورة آل عمران ، آية : ٢٠ .

كل من آمن بالله واليوم الآخر آمن بهذا الكتاب المبارك الذي أنزلناه إليك يا محمد ، وهو القرآن ، (وهم على صلاحهم يأنظرون) ، أي : يقومون بما افترض عليهم ، من أداء الصلوات في أوقاتها .

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا نَزَّلَ اللَّهُ وَلَوْ تَوَدَّ الْفَالْسُفُونَ فِي عَمْرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةِ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَتُخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْغُلُوقِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فَرَدَيْنِ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكُمُ مَخْرُجَتَكُمْ وَأَنْتُمْ ظَاهِرُونَ وَمَا تَرَى مِنْكُمْ شُفْعَاءَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ إِلَّا قَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٣٢﴾

يقول تعالى : (ومن أظلم ممن افترى على الله كلبا) ، أي : لا أحد أظلم ممن كذب على الله ، فجعل له شريكا لو ولدا ، أو ادعى أن الله أرسله إلى الناس ولم يكن لأرسله ولهذا قال تعالى : (أو قال : أوحى إلى ولم يوح إليه شيء) ، قال عكرمة وقتادة : نزلت في مسيلة الكلاب .

(ومن قال سأزل مثل ما أنزل الله) ، يعني : ومن ادعى أنه يعارض ما جاء من عند الله من الوحي بما يفتره من القول ، كما قال تعالى : (وإذا تبلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لم نشاء لقلنا مثل (١) هذا) ... الآية ، قال الله : (ولو ترى إذ الظالمون في عمرات الموت) ، أي : في سكراته وعمراته وكبرياته ، (والملائكة باسطوا أيديهم) ، أي : بالضرب ، كما قال : (لن يسطت إلى يدك لتقتل) (٢) ... الآية ، وقال : (ويسلطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء) (٣) ... الآية .

وقال الضحاك ، وأبو صالح : باسطوا أيديهم ، أي : بالطلب ، وكما قال : (ولو ترى إذ يتوق الذين كفروا للملائكة يسريون وجوههم وأدبارهم) (٤) ، ولهذا قال : (والملائكة باسطوا أيديهم) ، أي : بالضرب لم حتى تخرج أنفسهم من أجسادهم ، ولهذا يقولون لم : (أخرجوا أنفسكم) ، وذلك أن الكافر إذا حضرته الملائكة بالطلب والتفحص ، والأغلال والسلاسل ، والجحيم والحسم ، وغضب الرحمن الرحيم ، فتنزع روحه في جسده ، وتنهى وتأنى الخروج ، فتضربهم الملائكة حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم ، قالين لم : (أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق) ... الآية ، أي : اليوم تهانون غاية الإهانة ، كما كنتم تكذبون على الله ، وتستكبرون عن اتباع آياته ، والالتحاق بأرسله .

(١) سورة الأنفال : آية : ٣١ .

(٢) سورة المائدة : آية : ٢٨ .

(٣) سورة الممتحنة : آية : ٢ .

(٤) سورة الأنفال : آية : ٥٠ .

وقد وردت أحاديث في كيفية احتضار المؤمن والكافر ، وهي مقررّة عند قوله تعالى : (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ^(١)) :

وقد ذكر ابن مردويه هاهنا حديثاً مطولاً جداً من طريق غريبة ، عن الفضلك ، عن ابن عباس مرفوعاً ، فانه أعلم ، وقوله : (ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة) ، أى : يقال لم يوم معادهم ههنا ، كما قال : (وعرضوا على ربك صفاً ، لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة) ، أى : كما بدأناكم [أهدناكم] ، وقد كنتم تنكرون ذلك وتستبدون ، فهذا يوم البعث :

وقوله : (وتركتم ما خولناكم) ، أى : من الثمن والأموال التي اقتنموها في الدار الدنيا (وراء ظهوركم) ، وثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يقول ابن آدم : مالي مالي . وهل لك من مال إلا ما كنت فانيته ، أو لبست فإلبيت ، أو تصدقت فأفضيت ، وما سوى ذلك فغلهيب وتاركه للناس ^(٢) » .

وقال الحسن البصري : يوقى بآب ابن آدم يوم القيامة كأنه بكّج ^(٣) [فيقول الله عز وجل : أين ما جمعت ؟ فيقول : يا رب ، جمعت وتركته أوفرّ ما كان . فيقول : فأين ما قدمت لنفسك ؟ فلا يراه فقدم شيئا ، وتلا هذه الآية : (ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم) . وراء ابن أبي ^(٤) حاتم .

وقوله : (وما نرى معكم شفعاء الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء) ، ترقيق لم وتوبيخ حل ما كانوا اتخذوا في الدنيا من الأنداد والأصنام والأوثان ، ظانين أن تلك تنفعهم في معاشهم ومعادهم إن كان ثمّ معاد ، فإذا كان يوم القيامة قطعت الأسباب ، وانزاع الفضائل ، وغسل عنهم ما كانوا يفترون ، ويناديهم الرب ، عز وجل ، على رموس الخلاق : (أين شركائي الذين كنتم تزعمون ^(٥)) ؟ ، وقيل لم : (أين ما كنتم تعبّدون . من دون الله هل ينصرونكم أو ينصرونكم ^(٦)) ؟ ولما قال هاهنا : (وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء) ، أى : في العبادة ، لم فيكم قسط في استحقاق العبادة لم .

ثم قال تعالى : (لقد قطع بينكم) ، قرئ بالرفع ، أى : حملكم . وقرئ بالنصب ، أى : لقد انقطع ما بينكم من الوصلات والأسباب والوسائل (وفضل عنكم) ، أى : وذهب عنكم (ما كنتم تزعمون) من رجاء الأصنام

(١) سورة إبراهيم ، آية : ٢٧ .

(٢) مسلم ، كتاب الزهد والرقائق : ٢١١ / ٨ ، ومسنّد أحمد عن أبي هريرة : ٣٦٨ / ٢ ، ومن مطرّف عن أبيه : ٢٤ / ٤ ، ٢٦ .

(٣) الفيلج - يفتح الفاء والذال للمجمة - : وله القنآن ، وجسمه : يلبجان بكسر فسكون . والمتصود هذا التشبيه بيان هوانه وحجزه . .

(٤) هذا وقد أخرجه الترمذى عن أنس مرفوعاً في أبواب صفات القيامة ، الباب السادس : ١١٢ / ٧ ، ١١٤ . وقال الترمذى : « وقد روى هذا الحديث خير راسد من الحسن قوله ، ولم يستوفه . وإسحاق بن مسلم [راويه عن الحسن] يصف في الحديث . وفي الباب عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري .

(٥) سورة القصص ، آية : ٢٢ ، ٢٤ .

(٦) سورة الشعراء ، آية : ٩٢ ، ٩٣ .

كما قال : (إذ تراءى الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا الطلأ وتقطع بهم الأسباب : وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبراء منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم ولم يعلم بخارجين من النار (١)) ، وقال تعالى : (فلذا نضع في صدورهم فلأ أنساب بينهم يرمز ولا يتسامحون (٢)) ، وقال : (إنا أخذنا من دون الله آية مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بشرككم ببعض مما بشرككم بضاً وما أركم النار وما لكم من ناصرين (٣)) ، وقال : (وقيل : ادعوا شركاءكم ، فدعواهم ، فلم يستجيبوا (٤)) لم ... الآية ، وقال تعالى : (ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا (٥) إلى قوله : (وشل عنهم ما كانوا يفترون (٥)) ، والآيات في هذا كثيرة جدا .

• **إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى** ^١ **وَيُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ** ^٢ **وَيُخْرِجُ اللَّيْتَ مِنَ الْحَيِّ** ^٣ **ذِكْرُ اللَّهِ فَالِقُ نُوْفُكُونَ** ^٤
فَالِقُ الْإِنْجَابِ ^٥ **وَجَعَلَ آتِيلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا** ^٦ **ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ** ^٧ **وَهُوَ الَّذِي**
جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِيَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْيَوْمِ ^٨ **قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ** ^٩

غير تعالى أنه فالق الحب والنوى ، أى : يشقه في الثرى فتنبث الأرواح على اختلاف أصنافها من الحبيب ، والشار على اختلاف أشكالها وألوانها وطولها من النوى : وغللاً فسر (فالق الحب والنوى) بقوله : (يخرج الحى من الميت) ، أى : يخرج النباتات الحى من الحب والنوى ، الذى [هو] كالجماد الميت ، كما قال : (وآية لم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها ما فيها فتنبثوا كالنوى) إلى قوله : (ومن أنفسهم وما لا يعلمون (٩)) .

وقوله : (ويخرج الميت من الحى) مطوف على (فالق الحب والنوى) ، ثم فسر له حطاف عليه قوله : (ويخرج الميت من الحى) .

وقد حبروا عن هذا بملزات كلها متطابقة مؤيدة للمعنى ، فمن قال : يخرج النجاسة من البنية والبيضة من العجاجة . ومن قال : يخرج الولد الصالح من الكافر ، والكافر من الصالح ، وغير ذلك من المبالغات التى تنظمها الآية وتشملها . ثم قال : (ذلكم الله) ، أى : فاعل هذه الأشياء هو الله وحده لا شريك له (فالق توفكون) ، أى : فكيف تصرفون عن الحق وتعلمون عنه إلى الباطل فهبوا مع الله غيره .

وقوله : (فالق الإصباح وجعل الليل سكناً (٧)) ، أى : خالق الضياء والظلام ، كما قال في أول السورة : (وجعل

(١) سورة البقرة : آية : ١٦٦ ، ١٦٧ .

(٢) سورة المؤمنون : آية : ١٠١ .

(٣) سورة التنبكوت : آية : ٢٥ .

(٤) سورة القصص : آية : ٦٤ .

(٥) سورة الأنعام : آية : ٢٧ - ٢٨ .

(٦) سورة يس : آية : ٣٣ - ٣٦ .

(٧) قال أبو حيان في البحر المحيط ١٨٦٤ : (وقرأ الكوفيون : (وجعل الليل) فعلا ماضياً ... وقرأ بقى السبعة (وجعل) باسم الفاعل مضافاً إلى الليل .

الظلمات والورم ، فهو سبحانه يخلق [ظلام] الليل من غرة الصباح ، فيفني الوجود ، ويستتر الأثر ، ويضمحل الظلام ، ويلدب الليل ببداهته (١) وظلام رواقه ، ويجيء النهار بضياه وإشراقه ، كما قال : (يفتش الليل النهار يطلبه حثيثاً) (٢) ، فيبعث تعالى قدرته على خلق الأشياء المتضادة المختلفة الباقية على كمال عظمتة وعظيم سلطانه . فذكر أنه فائق الإصباح وقابل ذلك بقوله (وجعل الليل سكناً) ، أى ساجياً مظلماً تسكن فيه الأشياء ، كما قال : (والضحى) والليل إذا سجى (٣) ، وقال : (والليل إذا يفتش . والنهار إذا تجلّى) (٤) ، وقال : (والنهار إذا جلاها . والليل إذا يشاها) (٥) .

وقال صهيبي الروي لأمراءه وقد عاتبته في كثرة سهره : إن الله جعل الليل سكناً إلا لصهيبي . إن صهيبي إذا ذكر.. الجنة طالع شوقه ، وإذا ذكر النار طالع نومه .

رواه ابن أبي حاتم .

وقوله : (والشمس والقمر حسيبانا) ، أى : بحريان محاسب متتبعين مقلد ، لا يتغير ولا يضطرب ، بل كل منهما له منازل يسلكها في الصيف والشتاء ، فيرتب على ذلك اختلاف الليل والنهار طولاً وقصراً ، كما قال : (هو الذي جعل الشمس شيباً والقمر نوراً ، وقدره منازل) ... الآية ، وكما قال : (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون) ، وقال : (والشمس والقمر والنجوم مسخرات (٧) بأمره) .

وقوله : (ذلك تقدير العزيز العليم) ، أى : الجميع جبار بتقدير العزيز الذي لا يمانع ولا يخالف ، العليم بكل شيء ، فلا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، وكثيراً ما إذا ذكر الله تعالى خلق الليل والنهار والشمس والقمر ، يتم الكلام بالزعة والعلم ، كما ذكر في هذه الآية ، وكما في قوله (وآية لم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون . والشمس تجري لحسنر لما ذلك تقدير العزيز العليم) (٨) .

ولما ذكر خلق السموات والأرض وما فيها في أول سورة (حم) المسجلة ، قال : (وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً ، ذلك تقدير العزيز العليم) (٩) .

وقوله (وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر) ، قال بعض السلف : من اعتد في هذه النجوم غير ثلاث فقد أخطأ وكذب على الله : أن الله جعلها زينة السماء ، ووجوهاً للشياطين ، ويهتدى بها في ظلمات البر والبحر .

(١) وقال : ليلة دأبها . أى شديدة الظلمة والجلمة : دأب .

(٢) سورة الأعراف ، آية : ٥٤ .

(٣) سورة الضحى ، آية : ٥ .

(٤) سورة الليل ، آية : ٢٠ .

(٥) سورة الشمس ، آية : ٣ .

(٦) سورة يس ، آية : ٤٠ .

(٧) سورة الأعراف ، آية : ٥٤ .

(٨) سورة يس ، آية : ٣٧ ، ٣٨ .

(٩) سورة فصلت ، آية : ١٢ .

وقوله : (قد فصلنا الآيات) ، أى : قد بيناها ووضحناها (لقوم يملون) ، أى : يقولون ويعرفون الحق ويحبون الباطل .

وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ مُّسْتَقَرًّا وَمُسْتَوْدَعًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٢٠﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَاتَّخِذْنَا بِهِ نَبَاتٍ كَثِيرًا وَفَاتَّخِذْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالزَّيْتُونَ وَالزَّيْتُونَ مَثْنًا وَغَيْرَ مُثْنِيَةٍ أَنْظَرُوا إِلَى تِمْرَةٍ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢١﴾

يقول تعالى : (وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة) ، يعنى : آدم عليه السلام ، كما قال : (يالها الناس ، اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ، وبث منها رجالا كثيرا ونساء) .
وقوله : (فستقر ومستودع) ، انظفوا فى معنى ذلك ، فمن ابن مسعود ، وابن عباس ، وأبى عبد الرحمن السكى ، وليس لى حازم ، وبجاءه ، وعطاء ، وإبراهيم النخعى ، والفسحاك ، وقناة ، والسدى ، وعطاء الخراساني : (لستقر) ، أى : فى الأرحام . قالوا - أو : أكثرهم - : (ومستودع) : أى : فى الأصلاب .
ومن ابن مسعود وطائفة حكى ذلك .

ومن ابن مسعود أيضا وطائفة : فستقر فى الدنيا ، ومستودع حيث يموت .
[وقال سعيد بن جبیر (فستقر) فى الأرحام وعلى ظهر الأرض ، وحيث يموت (١)] .
وقال الحسن البصرى : المستقر الذى مات فاستقر به عمله .

ومن ابن مسعود : ومستودع فى البلد الآخرة .

والقول الأول هو الظاهر ، والله أعلم

وقوله : (قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون) ، أى : يفهمون ويعتبرون كلام الله ومعناه .

وقوله : (وهو الذى أنزل من السماء ماء) أى بقدر مباركا ، رزقا لعباد وغياثا للخلائق ، وحنه من الله خلقه (فأتخينا به نبات كل شىء) ، كما قال : (وجعلنا من الماء كل شىء حى) (٢) .

(فأتخينا به خضيرا) ، أى : زرجا وشجرا أنتضر ، ثم بعد ذلك : ثم خلق فيه الحب والتمر ، ولعلنا ناك (نخرج منه حيا متراكبا) ، أى : يركب بعضه بعضا ، كالسابل ونحوها : (ومن النخل من طلعها قنوان) ، أى : جمع قنوة ، وهى عذوق الرطب (دانية) ، أى : قريبة من المتناول ، كما قال على بن أبى طلحة الوالى ، عن ابن عباس ، (قنوان دانية) ، يعنى بالقنوان الدانية قصار النخل اللاصقة علوقها بالأرض ، ورواه ابن جرير (٣) .

(١) أثر سعيد بن جبیر كما فى تفسير الطبرى ١٣٦٢٠/١١/٥٦٣ : « مستودعون ، ما كانوا فى أصلاب الرجال . فلما تمروا فى أرحام النساء أو على ظهر الأرض أو فى بطنها ، قد استقروا » .

(٢) سورة الأنبياء ، آية ٣٠ .

(٣) تفسير الطبرى ، الأثر ١٣٦٦٢ : ١١/٥٧٦ .

قال ابن جرير : « وأهل الحجاز يقولون : قُتْنَوَانٌ ، وقيس يقولون : قُتْنَوَانٌ ، وقال امرؤ القيس :

قَاتَتْ أَمَالِيهِ ، وَأَدَّتْ أَسْوَلُهُ وَمَالَ يَقْتُونُ مِنَ الْبُسْرِ أَحْمَرًا

قال : وتميم يقولون : قُتْنِيكَانٌ بِالْيَاءِ ... قال : وهي جمع قُتْر ، كما أن صَوَانٌ جمع صَو (١) »

وقوله : (وجنات من أعتاب) أي : ونخرج منه جنات من أعتاب ، وهذان النوعان هما أشرف الثمار عند أهل الحجاز ، وربما كانا خيار الثمار في الدنيا ، كما أمّن تعالى بها على عباده ، في قوله : (ومن ثمرات التين والنخيل والأعناب تتخلون منه سكرا ورزقا حسنا) (٢) ، وكان ذلك قبل تحريم الخمر : وقال : (وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب) (٣) » وقوله : (والذين والرمات مشتبه وغير مشتبه) ، قال قتادة وغيره : يشابه في اللون ، قريب الشكل بعضه من بعض ، ويتخالف في الثمار شكلا وطعما وطيبا .

وقوله : (انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه) ، أي : تضجعه ، قاله البراء بن عازب ، وابن عباس ، والضحاك ، وعطاء الخراساني ، والسدي ، وقطادة ، وغيرهم : أي : فكروا في قدرته خلقه من العدم إلى الوجود ، بعد أن كان حتمًا صار حتميًا ورطبًا وغير ذلك ، مما خلق تعالى من الألوان والأشكال والطعوم والروائح ، كما قال تعالى : (وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعتاب وزروع ونخيل صنوان وغير صنوان يسى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل) (٤) ، الآية ، ولهذا قال هاتما : (إن في ذلكم لآيات) ، أي : دلالات على كمال قدرة خالق هذه الأشياء وحكمته ورحمته (لقوم يؤمنون) ، أي : يصدقون به ، ويعتدون رسله :

وَجَعَلُوا لَهُ شُرَكَاءَ إِلَهِينَ فَهَؤُلَاءِ مَلَكُوتُهُمْ وَاللَّهُ مُخْرِجُهُمْ مِنْهُمْ وَيَسْتَبْطِنُ فِيهِمْ يَنْبِتْنِ وَيَجْعَلُهُمْ شُجْرًا يُغِيرُ الْغَيْبَ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَالَمِينَ

هنا ردّ على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره ، وأشركوا في عبادة الله أن عبدوا الجن ، لمعلوم شركاء الله في العبادة ، تعالى الله عن شركهم وكفرهم »

فلن قيل : فكيف عبّدت الجن وإنما كانوا يعبدون الأصنام ؟ فالجواب : أنهم إنما عبدوا الأصنام عن طاعة الجن وأمرهم بإمام بذلك ، كما قال تعالى : (إن يدهون من دونه إلا أنا وإن يعبدون إلا شيطاناً مريداً . لعمري الله لأعلمن من عبادة نصيباً مفروضا : ولأعلمنهم ولأمرنهم فليتبك أذان الأوامر ، ولأمرنهم فليبدن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبيناً : يهدم وعينهم وما يعلم الشيطان إلا غورا) (٥) ، وقال تعالى : (أفتخلونه وغيروا أولياء من دوني) (٦) ، الآية ، وقال إبراهيم لأبيه : (يا أبت ، لا تعبد الشيطان ، إن الشيطان

(١) تفسير الطبري : ٥٧٥/١١ ، ٥٧٦ . واهبت في اللسان مادة : تنا . وأئت أماليه : عظمت وانتجت من ثقل حملها . وأدت : كتبت ومالت .

(٢) سورة التين : آية : ٦٧ .

(٣) سورة يس : آية : ٢٤ .

(٤) سورة الفرقان : آية : ٤ .

(٥) سورة النساء : آية : ١١٧ - ١٢٠ .

(٦) سورة الكهف : آية : ٥٥ .

كان لرحمن حصيا (١) وقال تعالى : (ألم أهد إليكم يا بني آدم أن لا تصلبوا الشيطان إنه لكم عدو مبين ، وأن اصطفى هذا صراط مستقيم (٢) . وتقول الملائكة يوم القيامة : (سبحانه أنت ولينا من دونهم بل كانوا يميلون الجن أكثرهم هم مؤمنون (٣)) ، ولما قال تعالى : (وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم) ، أى : وقد خلقهم ، فهو الخالق وحده لا شريك له ، فكيف يعبد معه غيره ، كما قال إبراهيم : (أتقبلون ما تتحون ، والله خلقكم وما تعملون) (٤) .

ومعنى الآية : أنه سبحانه وتعالى هو المستقل بالخلق وحده ، فلذلك يجب أن يُفرد بالعبادة وحده لا شريك له .

وقوله تعالى : (وعرفوا له بنين وبنات بفكر علم) ، بنيه به تعالى على ضلال من ضل في وصفه تعالى بأن له ولداً ، كما يزعم من قاله من اليهود في المزير ، ومن قال من النصارى في المسيح وكما قال للمشركون من العرب في الملائكة ؛ إنها بنات الله ، (تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً) ؛

ومعنى قوله : (وعرفوا) ، أى : واختلقوا واتصكوا ، ونحزصوا وكلبوا ، كما قاله علماء السلف ؛

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : (وعرفوا) ، يعنى أنهم نحزصوا (٥) .

وقال العوفي ، عنه : (وعرفوا له بنين وبنات بفكر علم) ، قال : جعلوا له بنين وبنات (٦) .

وقال مجاهد (وعرفوا له بنين وبنات) ، قال : كلبوا ؛ وكلما قال الحسن : وقال الضحاك ؛ وضعا ، وقال السدي : قطعوا .

قال ابن جرير : فتأويل الكلام إذا : وجعلوا لله الجن شركاء في عبادتهم إياه ، وهو المقصد بخلقهم بفكر شريك ولا معين ولا ظهر - (وعرفوا له بنين وبنات) ، [يقول : ونحزصوا الله كلبوا ، فافعلوا له بنين وبنات (٧)] بفكر علم بحقيقة ما يقولون ، ولكن جهلا بالله وبعظمته ، وأنه لا ينبغي أن كان إلهاً أن يكون له بنون وبنات ولا صاحبة ، ولا أن يشركه في خلقه شريك .

ولما قال تعالى : (سبحانه وتعالى عما يصفون) ، أى : تحدى وتزهد وتعالى عما يصفه هؤلاء الجهلة الضالون من الأولاد والأولاد ، والنظراء والشركاء ؛

(١) سورة مريم ، آية : ٤٤ .

(٢) سورة يس ، آية : ٦٠ ، ٦١ .

(٣) سورة سبا ، آية : ٤١ .

(٤) سورة الصافات ، آية : ٩٥ ، ٩٦ .

(٥) التفسير الطبري ، الأثر ١٣٦٨١ : ٨/١٢ .

(٦) تفسير الطبري ، الأثر ١٣٦٨٢ : ٨/١٢ .

(٧) سقط من مخطوطة الأثر والبيانات السابقة ، وأبتناء عن تفسير الطبري : ١٠/١٢ .

وَبَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنِّي يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ يَكْلُ كُلَّ شَيْءٍ عَالِمٌ ﴿١٥﴾
(بدیع السموات والأرض) ، أى : بدیع السموات والأرض وخالقها ومنشئها على غير مثال سبق ، كما قال مجاهد ،
والسلى : ومث سميت البديعة بدعة ، لأنه لا نظير لها فيما سلفت .

(أنى يكون له ولد) ، أى : كيف يكون له ولد ، ولم تكن له صاحبة ؟ : أى : والولد إنما يكون متولداً عن
شيئين متناسبين ، والله لا يناسبه ولا يشابهه شيء من خلقه ، لأنه خالق كل شيء ، فلا صاحبة له ولا ولد ، كما قال تعالى :
(وقالوا اتخذ الرحمن ولداً : لقد جئتم شيئا إدا) ، إلى قوله : (وكلهم آتية يوم القيامة فردا) (١) :

(وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم) ، فبين تعالى أنه الذي خلق كل شيء ، وأنه بكل شيء عليم ، فكيف
يكون له صاحبة من خلقه تناسبه ؟ : وهو الذى لا نظير له فأنى يكون له ولد ؟ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

ذُكِرَ أَنَّ اللَّهَ رَزَقَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَقَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٦﴾ لَا تَدْرِيهُ إِلَّا بَصَرُهُ
وَهُوَ يُدْرِكُ الْآبْصِرَ وَهُوَ الْعَلِيفُ الْمُتَعَبِّرُ ﴿١٧﴾

يقول تعالى : (ذكركم الله ربكم) ، أى : الذى خلق كل شيء ولا ولد له ولا صاحبة ، (لا إله إلا هو خالق كل
شيء فاعبدوه) ، أى : فاعبدوه وحده لا شريك له ، وأقروا له بالوحدانية ، وأنه لا إله إلا هو ، وأنه لا ولد له
ولا ولد ولا صاحبة له ولا نظير ولا عدل (وهو على كل شيء وكيل) ، أى : حفيظ وديب يدير كل
ما سواه ، ويرزقهم ويكلام بالليل والنهار .

وقوله تعالى : (لا تتركه الأبصار) ، فيه أقوال للحنابلة من السلف :

أحدها : لا تتركه فى الدنيا ، وإن كانت تراه فى الآخرة كما نواترت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من غير ما طريق ثابت فى الصحاح والمسانيد والسنن كما قال مسروق عن عائشة أنها قالت : من زعم أن عمداً أبصر
ربه فقد كذب : فإن الله يقول : (لا تتركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) .

رواه ابن أبي حاتم عن حديث أبي بكر بن عياش ، عن حاصم بن أبى التجرد ، عن أبى الضمى ، عن مسروق ،
ورواه غير واحد عن مسروق ، وثبت فى الصحيح وغيره عن عائشة من غير وجه .

وقد خالفها ابن عباس ، فنهى إطلاق الرؤية ، وحيث أنه رآه بفؤاده مرتين . والمسألة تذكر فى أول سورة التجم : إن شاء الله
وقال ابن أبي حاتم : ذكر محمد بن مسلم ، حدثنا أحمد بن إبراهيم البوق ، حدثنا يحيى بن معين قال : سمعت
إسماعيل بن علفيق يقول : فى قول الله تعالى : (لا تتركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) ، قال : هذا فى الدنيا - قال :
وذكر أبى ، عن هشام بن حديد أنه قال نحو ذلك .

وقال آخرون : (لا تتركه الأبصار) ، أى : جميعها ، وهذا مخصص بما ثبت من رؤية المؤمنين له فى الآخرة .

وقال آخرون ، من المثلثة بمقتضى ما فهموه من هذه الآية : أنه لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة : فخالقوا أهل البعث والجماعة في ذلك ، مع ما اتركبوه من الجهل بما دل عليه كتاب الله وستة رسوله . أما الكتاب قوله تعالى : (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) وقال تعالى عن الكافرين : (كلا إنهم عن ربهم يومئذ مبغضون) .

قال الإمام الشافعي : فدل هذا على أن المؤمنين لا يُحْجَبُونَ عنه تبارك وتعالى .

وأما السنة فقد تواترت الأخبار عن أبي سعيد ، وأبي هريرة ، وأنس ، وجابر ، وصهيب ، وبلال ، وغير واحد من الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم : أن المؤمنين يرون الله في الليل الآخرة في العرصات ، وفي روضات الجنات : جعلنا الله تعالى منهم جمعة وكرمه آمين ،

وقيل : المراد بقوله : (لا تدركه الأبصار) ، أي : العقول . رواه ابن أبي حاتم عن علي بن الحسين ، عن القلاس ، عن ابن مهدي ، عن أبي الحصين عيسى بن الحصين قارئ أهل مكة أنه قال ذلك . وهذا غريب جدا ، وخلاف ظاهر الآية ، وكأنه اعتقد أن الإدراك في معنى الرؤية ، والله أعلم .

وقال آخرون : لا منافاة بين إثبات الرؤية ونفي الإدراك ، فإن الإدراك أخص من الرؤية ، ولا يلزم من نفي الأخص انتفاء الأعم . ثم اختلف هؤلاء في الإدراك المني ، ما هو ؟ قليل ؟ معرفة الحقيقة ، فإن هذا لا يعلمه إلا هو وإن رآه المؤمنين ، كما أن من رأى القمر فإنه لا يدرك حقيقته وكنهه وما حيته ، فالحظم أولى بذلك وله المثل الأعلى .

وقال آخرون : المراد بالإدراك الإحاطة . قالوا : ولا يلزم من عدم الإحاطة عدم الرؤية كما لا يلزم من عدم إحاطة العلم عدم العلم قال الله تعالى : (ولا يحيطون به علما) ، وفي صحيح مسلم : « لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك (١) » ، ولا يلزم من هذا عدم الثناء فكل ذلك هذا .

قال العوفي ، عن ابن عباس في قوله تعالى : (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) قال : لا يحيط [بعصر] أحد بذلك (٢) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا عمرو بن حماد بن طلحة القناد ، حدثنا أسباط عن سفيان ، عن حكيم ، أنه قيل له : (لا تدركه الأبصار) ؟ قال : أنت ترى السماء ؟ قال : بلى . قال : فكيف ترى ؟ . وقال سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة : (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) : هو أعظم من أن تدركه الأبصار .

وقال ابن جبرير : حدثنا سعد بن عبد الله بن عبد الحكم ، حدثنا خالد بن عبد الرحمن ، حدثنا أبو هريرة ، عن عطية العوفي في قوله تعالى : (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) ، إلى ربها ناظرة) ، قال : هم ينظرون إلى الله ، لا تحيط أبصارهم به من عظمت ، وبصره محيط بهم . فذلك قوله (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار (٣)) .

(١) مسلم ، كتاب الصلاة ، باب ما يقال في الركوع والسجود عن عائشة ٥١٢ .

(٢) تفسير الطبري الأثر ١٣٩٩ : ١٣/١٢ .

(٣) المصدر السابق الأثر ١٣٩٩ : ١٣/١٢ .

وقد ورد في تفسير هذه الآية حديث رواه ابن أبي حاتم ما هنا ، فقال :

حدثنا أبو زرعة ، حدثنا متجاب بن الحارث السهمي ، حدثنا بشر بن عمار ، عن أبي روق ، عن عطية العوفي ، عن أبي سعيد الخدري ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله : (لا تتركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) ، قال :

« لو أن الجبن والإنس والشياطين والملائكة منذ خلقوا إلى أن قُتِلُوا صُغُرُوا صفًا واحدًا ما أحاطوا بالله أبداً » .

غريب لا يعرف إلا من هذا الوجه ، ولم يروه أحد من أصحاب الكتب الستة ، والله أعلم .

وقال آخرون في : (لا تتركه الأبصار) ما رواه الترمذي في جامعه ، وابن أبي حاتم في كتاب السنة : له ، وابن أبي حاتم في تفسيره ، وابن مردويه أيضاً ، والمالك في مستدركه ، من حديث الحكم بن أبان قال : سمعت عكرمة يقول : سمعت ابن عباس يقول : رأى محمد ربه تبارك وتعالى . قلت : أليس الله يقول : (لا تتركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) ؟ قال : لا ، أم لك . ذاك نوره ، الذي (١) هو نوره ، إذا تجلى بنوره لا يدركه شيء وفي رواية : لا يقرم له شيء .

قال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه (٢) .

وفي معنى هذا أكثر ما ثبت في الصحيحين ، عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله لا ينام ، ولا ينجى له أن يتم يقظ القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار ، وعمل النهار قبل عمل الليل ، حجاب النور - أو : النار - لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه » (٣) .

وفي الكتب القديمة : إن الله تعالى قال لموسى لما سأل الرؤية : يا موسى ، إنه لا يرى حتى إلا مات ولا يابس إلا تبعه . أي تبعته (٤) . وقال تعالى : (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صفحا فلما أفاق قال : سبحانك ، بعت إليك ، وأنا أول المرتين) .

ونرى هذا [الأثر] الإدراك الخاص لا يلقى الرؤية يوم القيامة ، يتجلى لمباهة المؤمنين كما يشاء : فأما جلاله وعظمته على ما هو عليه - تعالى وتقدس وتزهو - فلا تتركه الأبصار . ولهذا كانت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ثبتت الرؤية في النار الآخرة وتحتها في الدنيا ، وتحتج بهذه الآية : (لا تتركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) - فاللغز نفته الإحراك الذي هو معنى رؤية العظمة والجلال على ما هو عليه فإن ذلك غير ممكن للبشر ، ولا للملائكة ، ولا لشيء .

(١) لغة المصنوع : « ذلك نوره » إذا تجلى بنوره لا يدركه شيء .

(٢) للمتنوع : تفسير سورة الأنعام : ٣٠٦/٧ . وقد رواه الترمذي في تفسير سورة التجم . ينظر تحفة الأحرف : ١٦٨/٩ .

(٣) مسلم ، كتاب الإيمان ، باب في قوله عليه السلام : « إن الله لا ينام » : ١١١/١ . ورواه ابن ماجه في المقدمة ، الحديث ١٩٥ : ٧٠/١ . وأسنده في مسنده : ٤٠١/٤ : ٤٠٥ . ولم يقع لنا هذا الحديث في صحيح البيهقي .

والقسط : الوزن . لأنه أن الله يقسط ويرفع ميزان أعمال العباد المرتفعة إليه ، وأكبراتهم اقتارلة صفه ، كما يرفع الوزن يده ويضعها عنه الوزن ، وهو تجلil ما يقدره الله ويقره .

(٤) تنص : تبسم .

وقوله : (وهو يدرك الأبصار) أى : يحيط بها ويصلها على ما هى عليه ، لأنه خلقها كما قال تعالى : (لا يعلم من خلق هو اللطيف الخبير) (١) .

وقد يكون عبر بالأبصار عن البصرين كما قال السلى فى قوله (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) : لا يراه شئٌ وهو يرى الخلائق (٢) :

وقال أبو العالية فى قوله : (وهو اللطيف الخبير) : اللطيف باستخراجها ، الخبير بمكانها (٣) . والله أعلم .

وهذا كما قال تعالى إنباء عن لقمان نيا وعظ به أبه : (يا بنى ، إنما إن تلك مثال حبة من خردل فتكن فى صفة أو فى السموات أو فى الأرض ، يأت بها الله ، إن الله لطيف خبير) (٤) .

قَدْ جَاءَ بِمَبَاسٍ مِنْ رَبِّكَ لَنْ أَبْصَرَ لَفَنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِخَفِيضٍ ۝ وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِيُبَيِّنَ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝

البصار : هى العينات والحجج التى اشتغل عليها القرآن ، وما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم . (لن أبصر لفتنه) مثل قوله : (من احتلى فإنما يتلى نفسه ، ومن ضل فإنما يضل عليها) (٥) . ولما قال : (ومن عمى فعلها) ، لا ذكر البصار قال : (ومن عمى فعلها) أى : فإنما يود وبال ذلك عليه ، كقوله : (فإنها لاسمى الأبصار ولكن تسمى القلوب التى فى الصدور) (٦) .

(وما أنا عليكم بخفيض) أى : بحافظ ولا رقيب ، بل أنا مبلغ والله يهدى من يشاء ويضل من يشاء .

وقوله : (وكذلك نصرف الآيات) أى : وكما فصلنا الآيات فى هذه السورة ، من بيان التوحيد وأنه لا إله إلا هو ، مكملا نوضح الآيات وتفسرها ونبينها فى كل موطن لجهالة الجاهلين ، وليقول المشركون والكافرون للكاذبين : دراست يا محمد من قبلك من أهل الكتاب وقراءتهم وتعلمت منهم .

هكذا قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير والفسحاك ، وغيرهم (٧) .

وقد قال الطبرانى : حدثنا عبد الله بن أحمد ، حدثنا أبى ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عمرو ابن كيسان سمعت ابن عباس يقرأ : (دراست) تلوت ، خاصمت ، جادلت (٨) .

(١) سورة المائدة آية : ١٤ .

(٢) تفسير الطبرى ، الأثر ١٣٦٩٧ : ١٦/١٢ .

(٣) المصدر السابق ، الأثر ١٣٧٠٢ : ٢٢/١٢ .

(٤) سورة لقمان ، آية : ١٦ .

(٥) سورة الإسراء ، آية : ١٥ .

(٦) سورة الحج ، آية : ٢٦ .

(٧) يعنى آثارهم فى تفسير الطبرى : ٢٨/١٢ ، ٢٩ .

(٨) هذا الأثر رواه الطبرى عن الحسن بن يحيى ، عن عبد الرزاق ، عن سليمان بن عيينة ، بإسناده مثله . ينظر الأثر

وهذا كما قال تعالى إخباراً عن كلمهم وعنادهم : (وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه ، وأعانه عليه قوم كثيرون ، قد جاءوا ظلماً وزوراً : وقالوا أساطير الأولين اكتتبها (١)) : الآية . وقال تعالى إخباراً عن زميمهم وكنابهم : (إنه فكر وقدر : فقتل كيف قدر : ثم قتل كيف قدر : ثم نظر ثم عبس وبسر : ثم أدبر واستكبر : فقال : إن هذا إلا سحر يؤثره إن هذا إلا قول البشر (٢)) .

وقوله : (ولئنيتهم لقوم يعلمون) أي : ولئن وضعه قوم يعلمون الحق فيجبونه ، والباطل فيجتنبونه . فله تعالى الحكمة [البالغة] في إضلال أولئك ، وبيان الحق لحولاء : كما قال تعالى : (يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا) الآية (٣) وقال تعالى : (ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الله لهادي الذين آمنوا إلى صراط مستقيم (٤)) ، وقال تعالى : (وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة ، وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ، ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيماناً ، ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون : وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون : ماذا أراد الله بهذا مثلا ، كذلك يضلل الله من يشاء ويهدي من يشاء ، وما يعلم جنود ربك إلا هو) (٥) ، وقال : (ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ، ولا يزيد الظالمين إلا خساراً (٦)) . وقال تعالى : (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء ، والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عسى ، أولئك يتنادون من مكان بعيد) (٧) إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن الله تعالى أول القرآن هدى المتقين ، وأنه يضل به من يشاء ويهدي من يشاء . ولهذا قال ما هنا : (وكذلك نصرف الآيات وليقولوا : خلصت ولئنيتهم لقوم يعلمون) ، وقرأ بعضهم : (وليقولوا درست) ، قال التميمي ، عن ابن عباس : درست ، أي : قرأت وتعلمت (٨) . وكلما قال مجاهد ، والسدي ، والضحاك ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم :

وقال عبد الرزاق ، عن معمر ، قال الحسن : (وليقولوا درست) ، يقول : نتقمت وانمحت ،

وقال عبد الرزاق أيضاً : أنبأنا ابن حبان ، عن عمرو بن دينار ، سمعت [ابن] الزبير يقول : إن صبيانا يقرعون هاهنا : (درست) ، وإثما هي (درست) (٩) .

وقال شعبة : حدثنا أبو إسحاق الميموني قال : في قراءة ابن مسعود (درست) : بغير ألف ، ينصب السين ، ووقف على الله (١٠) .

وقال ابن جرير : ومعناه انمحت وتناقصت ، أي : إن هذا الذي تلووه علينا قد مر بنا قديماً ، وتناولت مدته ،

(١) سورة الفرقان ، آية : ٤ ، ٥ ، ٦ .

(٢) سورة المدثر ، آية : ١٨ - ٢٥ .

(٣) سورة البقرة ، آية : ٢٦ .

(٤) سورة الحج ، آية : ٥٣ .

(٥) سورة المدثر ، آية : ٣١ .

(٦) سورة الإسراء ، آية : ٨٢ .

(٧) سورة فصلت ، آية : ٤٤ .

(٨) تفسير الطبري ، الأثر ١٣٧٠٨ : ٢٧/١٢ .

(٩) تفسير الطبري ، الأثر ١٣٧٢٣ : ٣٠/١٢ .

(١٠) تفسير الطبري ، الأثر ١٣٧٢٢ : ٣٠/١٢ ، ومنى الرقعة : السكون ، يفتح يكون إله .

وقال سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة أنه قرأها : (دُرِسَتْ) ، أى : قُرِئَتْ وتُمَلِّكَت .

وقال معمر ، عن قتادة : (دُرِسَتْ) : قُرِئَتْ . وفى حرف ابن مسعود (دَرَسَ) (١) .

وقال عبد القاسم بن سلام ، حدثنا حجاج ، عن هارون قال : هى فى حرف أبى بن كعب وابن مسعود : (وليقولوا دَرَسَ) ، قال : يعنون النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأ .

وهذا غريب ، قد روى عن أبى بن كعب خلاف هذا ، قال أبو بكر بن مردويه :

حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم ، حدثنا الحسن بن الوليث ، حدثنا أبو سلمة ، حدثنا أحمد بن أبى زرة اللخمي ، حدثنا وهب بن زمة ، عن أبيه ، عن حميد الأخرج ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، عن أبى بن كعب قال : أنزلني رسول الله صلى الله عليه وسلم : (وليقولوا دَرَسَتْ) .

ورواه الحاكم فى مستدركه ، من حديث وهب بن زمة ، وقال : يعنى يجرى السين ، ونصب التاء ، ثم قال : صحیح الإسناد ولم يخرجاه (٢) .

اتَّبِعْ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا
وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِرَٰكِلٍ ﴿٦١﴾

يقول تعالى أمرأ لرسوله صلى الله عليه وسلم ولن اتبع طريفته : (اتبع ما أوحى إليك من ربك) ، أى : اقتد به ، واقتض أثره ، وأعمل به ، فإن ما أوحى إليك من ربك هو الحق الذى لا موبة فيه ، لأنه لا إله إلا هو .

(وأعرض عن المشركين) ، أى : اصف عنهم واصفح ، واحتمل أنام ، حتى يفتح الله لك ويصرفك ويظفرك عليهم . وأعلم أن الله حكمة فى إضلالهم ، فإنه لو شاء لهدى الناس كلهم جميعاً .

(ولو شاء الله ما أشركوا) ، أى : بل له المشقة والحكمة فيها يشاؤه ويغفاره ، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون .

وقوله : (وما جعلناك عليهم حفيظاً) ، أى : حافظاً تحفظ أعمالهم وأقوالهم . (وما أنت عليهم بركيل) ، أى : موكل على أرزاقهم وأمورهم . (إن عليك إلا البلاغ) ، كما قال تعالى : (فذكر إنما أنت مذكر . لست عليهم بصير (٣)) ، وقال : (فلما عليك البلاغ وعلينا الحساب (٤)) .

وَلَا تُسْأَلُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْأَلُ اللَّهُ عَنَّا دَعَا يُغَيِّرُ عَلَيْهِ كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ أُمَّةً مُّجْتَمِعَةً لِّمَنْ كَرِهَ
مَرْجِعَهُمْ يَتْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾

يقول تعالى ناهياً لرسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين عن سب آلهة للمشركين ، وإن كان فيه مصلحة ، إلا أنه يترتب عليه فساد أعظم منها ، وهى مقابلة المشركين بسب آلهة المؤمنين ، وهو الله لا إله إلا هو . كما قال على بن أبى

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٣٧٣٠ : ٣٠/١٢ .

(٢) المستدرک ، كتاب التفسير ، القراءات ٢٢٨/٢ : ٢٣٩ .

(٣) سورة الفاشية : آية ٢١ : ٢٢ .

(٤) سورة الرعد : آية ٤٠ .

طالعة ، من ابن عباس في هذه الآية : « قالوا : يا عمد ، تنتهين من سبك أختنا ، أو لنهجون ربك : فنهام الله أن يسيرا أولادهم » (فيسيرا الله عدواً بغير علم) (١) .
وقال عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة : كان للمسلمون أصنام الكفار ، فيسب الكفار الله عدواً بغير علم ، فأنزل الله : (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله) :

وروى ابن جرير وابن أبي حاتم ، عن السدي أنه قال في تفسير هذه الآية : لما حضر أبا طالب الموت قالت قريش : انطلقوا فلندخل على هذا الرجل ، فلنأمره أن ينهى عنا ابن أخيه ، فإننا نستحي أن نقتله بعد موته ، فنقول العرب : « كان عنده فلما مات فتوه » ، فانطلق أبو سفيان ، وأبو جهل ، والنضر بن الحارث ، وأميمة ، وأبى ابن خلف ، وصقبة ابن أبي معيط ، وعمر بن العاص ، والأسود بن البختري ، وبعثوا رجلاً منهم يقال له : « المطلب » ، قالوا : استأذن لنا على أبي طالب . فأتى أبا طالب فقال : هؤلاء مشيخة قومك يريدون الدخول عليك ، فأذن لهم عليه ، فدخلوا عليه فقالوا : يا أبا طالب ، أنت كبيرنا وسيدنا ، وإن عمداً قد آذانا وآذى لكنتا ، فنحن أن ندعوه فنتهاه عن ذكر لكنتا ، ولندعنه وإله . فدعاه فجاه النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له أبو طالب : هؤلاء قومك ويترحمك . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما تريدون ؟ قالوا : نريد أن ندعنا ولكنتا ، ولندعك ولك . [قال له أبو طالب : قد أنصفتك قومك ، فأقبل منهم] فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لو أنتم معي أعطيتكم هذا ، هل أنتم معي كلمة إن تكلمتم بها ملككم بها العرب ، وداخت لكم بها الصم ، [وأدنت لكم] الفرج ؟ قال أبو جهل : وأبيك لتطيطيكها وعشرة أمثالها ، فإني ؟ قال : قولوا : لا إله إلا الله . فأبوا ولا يجازوا . قال أبو طالب : يا ابن أخي ، قل خبرها ، فإن قومك قد فرغوا منها . قال : يا عم ، ما أنا بالذي أقول خبرها ، حتى يأتوا بالشمس فيضجوها في بئس ، ولو أتوا بالشمس فوضعوها في بئس ما قلت خبرها . إرادة أن يؤسسه ، ففضبوا وقالوا : لتكن عن شتم لكنتا ، أو لنشتمك ونشتم من يأمرك . فذلك قوله : (فيسيرا الله عدواً بغير علم) (٢) :

ومن هذا القليل - وهو ترك المصلحة لتسلة أرجح منها - ما جاء في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ملعون من سب والديه . قالوا : يا رسول الله ، وكيف يسب الرجل والديه ؟ قال : يسب أبا الرجل فيسب أباه ، ويسب أمه فيسب أمه (٣) . أو كما قال عليه السلام .

وقوله تعالى : (كلذك زينا لكل أمة حملهم) ، أي : وكما زينا لهؤلاء القوم حباً أصنامهم والهمامة لها الانتصار ، كذلك زينا لكل أمة من الأمم مخالفة على الضلال حملهم الذي كانوا فيه ، والله الحجة البالغة والحكمة التامة فيما يشاؤه ويغضاه : (ثم إلى ربهم مرجعهم) ، أي : معادهم ومصيرهم ، (فبينهم بما كانوا يعملون) ، أي : يجازيهم بأعمالهم ، إن خيراً فخير وإن شراً فشر (٤) .

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٧٧٢٨ : ١٢/٣٣ ، ٣٤ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٣٧٤٠ : ١٢/٣٤ ، ٣٥ . وما بين الأقواس مقتطع من المخطوطة أثبتناه من هذا المصدر .

(٣) سلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان الكبار وأكبرها عن عبد الله بن عمرو بن العاص : ١/٦٤ ، ٦٥ . ومسنده أحمد عن عبد الله بن عمرو : ١٦٤/٧ ، ١٩٥ ، ٢١٤ ، ٢١٦ .

(٤) نمت هذه الآية - كما ترى - من سب آلهة المشركين حتى يردوا للكل ، فيسبوا الله عدواً بغير علم . وأوصفت في التمهيد لهذا النبي أن كل أمة محبة بعبادتها مفتونة به ، تراه جميلاً وإن كان في ذاته قبيحاً ، والولاية بهذا توسع المختلفين في الآراء أن يمتدحوا إلى الحجة والدليل ، لا إلى المظاهرات والخصامات . ولو أن المسلمين فقهوا جيداً معنى هذه الآية لما رأيت هذا السباب الذي تراه فيهم بفرقه وطوائفهم ، حتى لقد كان يرى بعضهم يمشي بأوصاف أهلها الجبل والفتاة وحدهم منهم .

وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَأْتِيَنَّهُمْ بَشِيرٌ وَلَا نَذِيرٌ بِمَا قُلْنَا لَهُمُ الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشِيرُ كُرْهُنَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَنَقَلَبْ أَعْيُنَهُمْ وَابْصُرْهُمْ كَمَا لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَرَوْهُمْ فِي طَعْنِهِمْ يَعْهَمُونَ ﴿٣١﴾

يقول تعالى لإخبارا عن المشركين: إنهم أقسموا بالله جهد أيمانهم ، أى : حلفوا أيماناً مؤكدة (لئن جاءتهم آية) أى : معجزة وخارق (ليؤمنن بها) ، أى : ليصدقنها ، (قل إنما الآيات عند الله) ، أى : قل يا محمد هؤلاء الذين يسألونك الآيات ههنا وكهنا وعنادا ، لا على سبيل الهدى والاسترشاد : إنما مرجع هذه الآيات إلى الله ، إن شاء أبجابهكم ، وإن شاء ترككم ، كما قال ، قال ابن جرير :

حدثنا هناد ، حدثنا يونس بن بكير ، حدثنا أبو مشر ، عن محمد بن كعب القرظي قال : كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشاً ، فقالوا : يا محمد ، نخبرنا أن موسى كان معه عصا يضرب بها الحجر فاقطعت منه اثنتا عشرة حيناً ، ونخبرنا أن عيسى كان يحيي الموتى ، ونخبرنا أن نوحاً كان لم يلق ، فأتنا من الآيات حتى نصدقك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى شيء نخبرون أن آياتكم به ؟ قالوا : نجيل لنا الصفا ذهباً . قال لم : فإن فعلت تصدقوني ؟ قالوا : نعم ، والله لئن فعلت لتبعتك أجمعين . فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ، فجاءه جبريل عليه السلام فقال له [لك] ما شئت ، إن شئت أصبح الصفا ذهباً ، ولئن أرسل آية فلم يصدقوا عند ذلك ليعذبهم ، وإن شئت فأتهم حتى يتوب تابيحهم . [فقال : بل يتوب تائبهم . فأقر الله وأقسموا بالله] إلى قوله : (يجهلون (١)) [وهذا مرسل ، وله شواهد من وجوه أخر . وقال الله تعالى : (وما ننمنا أن نرسل بالآيات إلا أن كلف بها الأولون) ... الآية (٢)] .

وقوله تعالى : (وما يشرككم أنها إذا جاءت لا يؤمنون) ، قيل : المخاطب (ما يشرككم) المشركون : وإليه ذهب مجاهد كأنه يقول لهم : وما يدريكم بصدقكم في هذه الأيمان التي تضمنون بها . وعلى هذا فالقراءة : (إنها (٣) إذا جاءت لا يؤمنون) ، بكسر هـ إنها ، على استئناف الخبر عنهم بنى الإيمان عند مجيء الآيات إلى طلبها ، وقراءة بعضهم (أنها إذا جاءت لا تؤمنون) ، بفتح الهمزة ، بقاء المثناة من فوق .

وقيل : المخاطب بقوله (وما يشرككم) المؤمنون أى : وما يدريكم أنها المؤمنون ، وعلى هذا فيجوز أن : (أنها) الكسر كالأول ، والفتح على أنه معمول يشرككم . وعلى هذا فتكون : لا في قوله : (أنها إذا جاءت لا يؤمنون) صلة (٤) كما في قوله : (ما منكم ألا تسجد إذ أمرتكم (٥)) وقوله : (وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون) (٦) .

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٣٧٤٦ : ٣٨/١٢ ، ٢٩ . وما بين القوسين هـ . ومكانه في خطرة الأثر ، وخطوة دار الكتب ١٤ ، تفسير ، ٥٧/٣ : لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها ... إلى قوله يسمعون .

(٢) سورة الإسراء ، آية : ٥٩ .

(٣) ينظر فقرات في هذه الآية في البحر المحيط : ٤ / ٣٠١ .

(٤) صلة ، زائدة .

(٥) سورة الأعراف ، آية : ١٢ .

(٦) سورة الأنبياء ، آية : ٩٥ .

أى : ما منك أن تسجد إذ أمرتك وحرام أنهم يرجعون . وتقديره في هذه الآية : وما يدريكم - أيها المؤمنون الذين تودون لهم ذلك حرصاً على إيمانهم - أنها إذا جاهدتم الآيات يؤمنون .

وقال بعضهم : « أنها » بمعنى لعلها ،

قال ابن جرير : وذكروا أن ذلك كذلك في قراءة أبي بن كعب - قال : وقد ذكر عن العرب سماعاً : « اذهب إلى السوق أنك تشتري في شيئاً » بمعنى : لعلك تشتري .

قال : وقد قيل : إن قول عدي بن زيد العبادي من هذا ،

أعاذك ، ما يُدْرِيكَ أَنْ تَشْتِيَ . • إلى ساحة في اليوم أو في ضحى النك

وقد انتظر هذا القول ابن جرير وذكر عليه شواهد من أشعار العرب والله أعلم (١) .

وقوله تعالى : (وتقلب أفتنتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة) . قال العوفي عن ابن عباس في هذه الآية : لا يجد المشركون ما أنزل الله لم تثبت قلوبهم على شيء ووددت عن كل أمر (٢) .

وقال مجاهد : (وتقلب أفتنتهم وأبصارهم) : ونحول بينهم وبين الإيمان ولو جاهدتهم كل آية ، فلا يؤمنون ، كما حدثنا بينهم وبين الإيمان أول مرة (٣) .

وكذا قال عكرمة وحيد الرحمن بن زيد بن أسلم .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس أنه قال : أخبر الله ما البعاد قائلون قبل أن يقولوه وعلمهم قبل أن يعملوه . قال : ولا يبتك مثل خير : (أن تقول نفس يا حسرتاً على ما فرطت في جنب الله) إلى قوله (لو أن لي كرة فأكون من المسلمين) ، فأخبر سبحانه أنهم لو ردوا لم يقدرُوا على الهدى ، وقال : (ولو ردوا لمعادوا لما نوا عنه وإهم لكاذبون) وقال : (وتقلب أفتنتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة) ، قال : لو ردوا إلى الدنيا لحبل بينهم وبين الهدى ، كما حدثنا بينهم وبين أول مرة وهم في الدنيا (٤) .

وقوله : (وتلزم) ، أى : تتركهم (في طغيانهم) . قال ابن عباس والسدي ، في كثرهم .

وقال أبو العالية والربيع بن أنس وقادة : في ضلالهم .

(يعمهون) قال الأعشى : يعمرون . وقال ابن عباس ، ومجاهد ، وأبو العالية ، والربيع ، وأبو مالك ، وغيره :

في كثرهم يرددون .

(١) تفسير الطبري : ١٢ / ٤١ / ٤٣ .

(٢) المصدر السابق ، الأثر ١٣٧٥١ : ١٢ / ٤٤ .

(٣) المصدر السابق ، الأثر ١٣٧٥٣ : ١٢ / ٤٤ .

(٤) المصدر السابق ، الأثر ١٣٧٥٤ : ١٢ / ٤٤ ، ٤٥ .

﴿ وَلَوْ أَنَّا زُلْنَا إِلَى الْبَحْرِ لَمَلَكْنَا وَرَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ كُلِّ شَيْءٍ قَبْلًا مَا كَانُوا يَلْقَوْنَ إِيَّاهُ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمْ الْغَمُّ وَلَئِنْ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾

يقول تعالى : ولو أننا أجبنا سؤال هؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم : (لن نجاهم أية ليؤمنن بها) ، فتركنا عليهم الملائكة ، أى نخبرهم بالرسالة من الله بتصديق الرسل ، كما سألوا فقالوا : (أو عاقى بالله والملائكة قبيلاً) (١) و (قالوا ان تؤمنن لك حتى تؤدى مثل ما لوتى رسل (٢) الله) وقال الذين لا يرجون : فقامنا لولا أنزل علينا للملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا فى أنفسهم وعجروا حقاً (٣) كبيراً) .

(وكلمهم الموتى) ، أى : فأخبرهم بصدق ما جاءهم به الرسل ، (وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً) — قرأ بعضهم (قبلاً) ، بكسر القاف وفتح الباء ، من القابلة ، والمعاينة . (وقرأ الآخرون : بضمها ، قيل : معناه من القابلة والمعاينة) أيضاً ، كما رواه على بن أبى طلحة والموتى ، عن ابن عباس . وبه قال قتادة ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وقال بجاهد (قُبِلًا) أفواجاً ، قبيل قبيل ، أى : تعرض عليهم كل أمة بعد أمة فنخبرهم بصدق الرسل فيما جاءهم به (ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله) ، أى : إن الخفايا إليه ، لا إليهم . بل يبدى من يشاء ويخفى من يشاء ، وهو القدر الذى لا يريد ، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، لعلهم وحكمته ، وسلطانه وقهره وطلبه . وهذه الآية كقولها تعالى : (إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون . ولو جاهضهم كل آية حتى يروا المصائب الأليم (١))

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَجْوَىٰ عَدُوٍّ شَيْطَانٍ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُرْسِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا قَطَعْتَهُمْ قُتْرَهُمْ وَمَا يُفْتَرُونَ ﴿١١﴾ وَلَتَصْنَعَنَّ إِلَىٰ الْفِتْنَةِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلَيُرِيضُوهُ وَلَيَقْتَرِفُوا أَلَمًا مِّمَّنْ قُتِرْتُمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ أَتَقَرَّبُونَ ﴿١٢﴾

يقول تعالى : وكأجعلنا لك — يا محمد — أعداء ما كانوا لك ، ويصادونك ، جعلنا لكل نبي من قبلك أيضاً أعداء ، فلا يهدئك (١٥) ذلك ، كما قال تعالى : (فإن يكذبوك فقد كذب رسل من قبلك (١٦)) . وقال تعالى : (ولقد كذبت رسل من قبلك ، فصبروا على ما كذبوا (١٧) وأوخوا) . . . الآية ، وقال تعالى : (ما يقال لك إلا ما قد قيل الرسل من قبلك ، إن ربك

(١) سورة الإسراء ، آية ٩٢ .

(٢) سورة الأنعام ، آية : ١٢٤ .

(٣) سورة الفرقان ، آية : ٢١ .

(٤) سورة يونس ، آية : ٩٦ ، ٩٧ .

(٥) ينظر تفسير هذه الكلمة فيما مضى : ١ / ٣٢١ ، ٢ / ١٥٤ .

(٦) سورة آل عمران ، آية : ١٨٤ .

(٧) سورة الأنعام ، آية : ٣٤ .

للدو مغفرة وذو عقاب أليم^(١) ، وقال تعالى : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ (٢) الْمَجْرِمِينَ) . الآية وقال ورقة بن نوفل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : « لم يأت أحدٌ بخلٌ ما جئت به (٣) إلا عودي »

وقوله : (شياطين الإنس والجن) يَدْعُكُ من (عدوا) ، أى : لهم أعداء من شياطين الإنس والجن ، من هؤلاء وهؤلاء ، فيبهم الله ولعنهم

قال عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله (شياطين الإنس والجن) ، قال : من الجن شياطين ، ومن الإنس شياطين ، يوحى بعضهم إلى بعض - قال قتادة : ويلقى أن أبا ذر كان يوماً يصلى ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « تَعَرَّذْ يَا أَبَا ذَرٍّ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ . فقال : أَرَأَيْكَ مِنْ الْإِنْسِ (شياطين) ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم (٤) »

وهذا منقطع بين قتادة وأبي ذر : وقد روى من وجه آخر عن أبي ذر ، رضى الله عنه ، قال ابن جرير :

حدثني المثنى ، حدثنا أبو صالح ، حدثني معاوية بن صالح ، عن أبي عبد الله محمد بن أيوب وغيره من المشيخة ، عن ابن حبان ، عن أبي ذر قال : « أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس قد أطال فيه الجلوس ، قال ، فقال : يَا أَبَا ذَرٍّ ، هَلْ صَلَيْتَ ؟ قال : لا ، يا رسول الله . قال : قم فاركع ركعتين . قال : ثم جئت فجلستُ إليه ، فقال : يَا أَبَا ذَرٍّ ، هَلْ تَوَخَّذْتَ بِاللهِ مِنْ شَيَاطِينِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ؟ قال قلت : لا ، يا رسول الله ، وهل للإنس من شياطين ؟ قال : نعم ، هم شر من شياطين الجن » (٥) .

وهذا أيضاً فيه انقطاع ، وروى متصلاً كما قال الإمام أحمد :

حدثنا وكيع ، حدثنا المسعودي ، أنبأني أبو عمر المثنى ، عن عبيد بن المشخاش عن أبي ذر قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد ، فجلستُ فقال : يَا أَبَا ذَرٍّ ، هَلْ صَلَيْتَ ؟ قلت : لا . قال : قم فصل . قال : فقامت فصليت ، ثم جلستُ فقال يَا أَبَا ذَرٍّ ، تَعَرَّذْتَ بِاللهِ مِنْ [شر] شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ . قال قلت : يا رسول الله ، وللإنس شياطين ؟ قال : نعم وذكر تمام الحديث (٦) بطوله

وكلاً رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره ، من حديث جعفر بن عون ويحيى بن عبيد وعبيد الله بن موسى ، ثلاثتهم عن المسعودي ، به .

طريق أخرى عن أبي ذر : قال ابن جرير : حدثني المثنى ، حدثنا الحجاج حدثنا حماد ، عن حميد بن هلال ، حدثني رجل من أهل دمشق ، عن عوف بن مالك ، عن أبي ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يَا أَبَا ذَرٍّ ، هَلْ

(١) سورة فصلت : آية ٤٢ .

(٢) سورة الفرقان : آية ٣١ .

(٣) البخاري ، بابيه الوحي : ١ / ٤ . ومسلم ، كتاب الإيمان ، بابيه الوحي : ١ / ٩٨ . ومسنده أحمد من عائشة :

٦ / ٢٢٣ ، ٢٢٢ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٣٧٧١ : ١٢ / ٥٥ .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر ١٣٧٦٩ : ١٢ / ٥٣ .

(٦) مسند الإمام أحمد : ٥ / ١٧٨ .

تروى باقة من [شرأ شياطين الإنس والجن ؟ قال قلت : يا رسول الله ، هل للإنس من شياطين ؟ قال : نعم (١)] .

طريق أخرى للحديث ، قال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن عوف الحمصي ، حدثنا أبو المنيرة ، حدثنا معان ابن رفاعه ، عن من حل بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أيها ذوو النور ، من شياطين الجن والإنس ؟ قال : يا رسول الله ، وهل للإنس شياطين ؟ قال : نعم (شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعضهم زخرف القول غرورا) ،

فهذه طرق لهذا الحديث ، ومجموعها يفيد قوة وصحة ، والله أعلم .

وقد روى ابن جرير : حدثنا ابن وكيع ، حدثنا أبو نعيم ، عن شريك ، عن سعيد بن مسروق ، عن عكرمة : (شياطين الإنس والجن) ، قال : ليس في الإنس شياطين ، ولكن شياطين الجن يوحى إلى شياطين الإنس ، وشياطين الإنس يوحى إلى شياطين الجن .

قال : وحدثنا الحارث ، حدثنا عبد العزيز ، حدثنا إسرائيل ، عن السدي ، عن عكرمة في قوله : (يوحى بعضهم لبعض زخرف القول غرورا) . قال : لا إله إلا الله ، وللجن شيطان ، وللبشر شيطان ، فيلحق شيطان الإنس شيطان الجن ، فيوحى بعضهم لبعض زخرف القول غرورا (٢) .

وقال أسباط ، عن السدي ، عن عكرمة في قوله : (يوحى بعضهم لبعض زخرف القول غرورا) ، أما شياطين الإنس ، فالشياطين التي تشبه الإنس — وشياطين الجن الذين يضلون الجن ، يلتفتان ، فيقول كل واحد منهما لصاحبه : إلى أضللت صاحبي بكذا وكذا ، فأضلل أنت صاحبك بكذا وكذا ، فيلزم بعضهم بعضا (٣) .

فهم ابن جرير من هذا [أن المراد بشياطين الإنس عند عكرمة والسدي : الشياطين من الجن الذين يضلون الناس ، لا أن المراد (٤)] منه [شياطين الإنس منهم . ولا شك أن هذا ظاهر من كلام عكرمة ، وأما كلام السدي فليس منه في هذا المعنى ، وهو محتمل ، وقد روى ابن أبي حاتم نحو هذا عن ابن عباس من رواية الضحاك ، عنه — قال : إن الجن شياطين يضلونهم مثل شياطين الإنس يضلونهم ، قال : فيلحق شياطين الإنس وشياطين الجن ، فيقول هذا لهذا : أضله بكذا ، أضله بكذا . فهو قوله : (يوحى بعضهم لبعض زخرف القول غرورا) .

وعلى كل حال فالصحيح ما تقدم من حديث أبي ذر : إن الإنس شياطين منهم ، وشيطان كل شيء مارد ، ولهذا جاء في صحيح مسلم ، عن أبي ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الكلب الأسود شيطان » (٥) . ومعناه — والله أعلم — شيطان . في الكلاب .

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٣٧٦٨ ، ١٢ / ٥٣ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٣٧٦٦ ، ١٣٧٦٧ ، ١٢ / ٥٢ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٣٧٦٥ ، ١٢ / ٥١ ، ٥٢ .

(٤) نص غرورة الأثر ، وضغرة دار الكتب ١٦ تفسير ٣ ورقة ٥٩ : فهم ابن جرير من هذا أنهم المراد من شياطين الإنس منهم ، والفتيت من الطبقات السابعة ولا يستقيم النص إلا به .

(٥) مسلم ، كتاب الصلاة ، باب قدر ما يستمر المصل ٢ / ٥٩ .

وقال ابن جرير : قال مجاهد في تفسير هذه الآية : كفار البين شياطين ، يوحون إلى شياطين الإنس ، كفار الإنس ، زعمت القول غرورا (١) .

وروى ابن أبي حاتم ، عن عكرمة قال : قدمت على المختار فأكرمني وأتزلي حتى كاد يتعاهد بيني بالليل ، قال : فقال لي : اخرج إلى الناس فحدث الناس : قال : فخرجت ، فجاء رجل فقال : ما تقول في الوحي ؟ قلت : الوحي وحيان ، قال الله تعالى : (بما أوحينا إليك هذا القرآن) ، وقال تعالى : (شياطين الإنس والجن يوسى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا) : قال : فهموا به أن يخطوني ، قلت : ما لكم بذلك ، إلى مفتيكم وضيئكم . فركبوني .

ولما عرفت عكرمة المختار - وهو ابن أبي حنيفة - قبحه الله ، وكان يزعم أنه يأتيه الوحي ، وقد كانت أمه صفية تحت عهد الله بن عمر وكانت من الصالحات ، ولما أخبر عبد الله بن عمر أن المختار يزعم أنه يوحى إليه قال : صدق الله تعالى (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم) ، وقره تعالى : (يوسى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا) ، أي : يأتي بعضهم إلى بعض القول المزخرف ، وهو المزور [الذي] يفتري سامعه من الجهلة بأمره .

(ولو شاء ربك لأمطوه) ، أي : وذلك كله بقدر الله وقضائه وإرادته ومشيئته أن يكون لكل نبي عدو من هؤلاء (للدم) ، أي : فدمهم ، (وما يقولون) ، أي : يكذبون . أي : دح أذاهم وتوكل على الله في عدوئهم ، فإن الله كائلك وتناصرك عليهم .

وقوله تعالى : (ولخصني إليه) ، أي : وتقبل إليه (٢) - قاله ابن عباس - (أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة) ، أي : للوهم وعقولهم وأسماعهم .

وقال السدي : قلوب الكافرين ، (ولبرضوه) ، أي : يحبه ويريدوه ، وإنما يستجيب لذلك من لا يؤمن بالآخرة ، كما قال تعالى : (فإنكم وما تعبدون ، ما أنتم عليه بفاتنين . إلا من هو حال الجحيم (٣)) ، وقال تعالى : (إنكم لفي ضلالت . يولئك عنه من أفك (٤)) .

وقوله : (وليقرئوا ما هم مقرءون) ، قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : وليكسبوا ما هم مكسبون (٥) ، وقال السدي ، وابن زيد : وليعملوا ما هم عاملون (٦) .

فَأَغْفِرَ اللَّهُ أَتَيْتَنِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيَّ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ نَسِيتُهُمْ أَكْتُبُ لَهُمْ أَهْلًا مَثَلًا مِّنْ ذِكْرِكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونُ مِنَ الْمُنْتَرِينَ ﴿١١﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدًا لَا مُبْدِلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢﴾

يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل هؤلاء المشركين بالله غيره الذين يعبدون غيره : (أغفر الله أمتي

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٣٧٧٣ : ١٢ / ٥٥ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٣٧٨٢ : ١٢ / ٥٨ .

(٣) سورة الصافات ، آية : ١٦١ / ١٦٣ .

(٤) سورة النازعات ، آية : ٨ / ٩ .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر ١٣٧٨٥ : ١٢ / ٥٩ .

(٦) تفسير الطبري ، الأثر ١٣٧٨٦ : ١٢ / ٦٠ .

حكما) ، أى : بنى وبينكم ، (وهو الذى أنزل إليكم الكتاب مفصلا) ، أى : مبينا (والذين آتيناكم الكتاب) : أى : من اليهود والنصارى يعلمون أنه منزل من ربك بالحق ، أى : بما عندهم من البشارات بك من الأنبياء المقدمين ، (فلا تكفرون للمعترين) ، كقوله : (فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك ، فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك ، لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممتريين)^(١) . وهذا شرط ، والشرط لا يقتضى وقوعه ، ولهذا جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا أشك ولا أشال » .

وقوله : (وتحت كلمة ربك صدقا وعدلا) ، قال قتادة : صدقا فيما قال ، وعدلا فيما حكم^(٢) .

يقول : صدقا في الإخبار وعدلا في الطلب ، فكل ما أخبر به فحق لا مزية [فيه] ولا شك ، وكل ما أمر به فهو العدل الذى لا حيل سواه ، وكل ما نهى عنه فباطل ، فإنه لا ينهى إلا عن مكسبة ، كما قال : (يأمرهم بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر)^(٣) إلى آخر الآية .

(لا يبذل لكلماته) ، أى : ليس أحد يُعقِب حكمه تعالى لا في الدنيا ولا في الآخرة ، (وهو السميع) : لأقوال عباده ، (العليم) : بحركاتهم وسكناتهم ، الذى يجازى كل عامل بعمله .

وَأَن تَطِيعَ أَكْثَرَهُمْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١٥﴾
إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١٦﴾

يجب تعالى عن حال أكثر أهل الأرض من بى آدم أنه الضلال ، كما قال تعالى : (وقد ضل قبلهم أكثر الأولين)^(١) ، وقال تعالى : (وما أكثر الناس - ولو حرصت - بمؤمنين)^(٢) ، وهم في ضلالهم ليسوا على شئ من أمرهم ، وإنما هم في ظنون كاذبة وحساب باطل ، (إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون) ، فإن الخرص هو الخرز ، ومنه خرص النخل ، وهو خرز ما عليها من الثمر . وذلك كله عن قدر الله ومشيئته ، و (هو أعلم من يضل عن سبيله) : فيسره لللك (وهو أعلم بالمعتدين) : فيسره لللك ، وكل مهسر لا يحقق له .

فَكُلُّوا مِمَّا ذُكِّرَ أَسَمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِعَاقِبَتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَاْكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ أَسَمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ ۚ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لِّيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ وَيُغَيِّرُ عِلْمَ إِنْ رَبِّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١٨﴾

هذا إباحة من الله لعباده المؤمنين أن يأكلوا من النجاس ما ذكر عليه اسمه ، وفيه هدمه : أنه لا يباح ما لم يذكر اسم الله عليه

(١) سورة يونس ، آية : ٩٤ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٣٧٨٩ : ١٢ / ٦٣ .

(٣) سورة الأعراف ، آية : ١٥٧ .

(٤) سورة الصافات آية ٧١ .

(٥) سورة يوسف آية ١٠٣ .

كما كان يستبيحه كفار المشركين من أكل الميتات ، وأكل ما ذبح على الأصنام وغيره ما : ثم تدب إلى الأكل بما ذكر اسم الله عليه ، فقال : (وما لكم أن لا تأكلوا بما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم) ، أى : قد بينت لكم ما حرم عليكم ووضحه .

فقرأ بعضهم (فصل) بالتشديد ، وقرأ آخرون (١) بالتخفيف ، والكل بمعنى البيان والوضوح : (إلا ما اضطررتم إليه) ، أى : إلا في حال الاضطرار ، فإنه يباح لكم ما وجدتم . ثم بين تعالى جهالة المشركين في آرائهم القاسية ، في استحلالهم الميتات وما ذكر عليه غير اسم الله تعالى : قال : (وإن كثيرا يضلون بأهواءهم بغير علم إن ربك هو أعلم بالمعتدين) ، أى : هو أعلم باعتدائهم وكلهم واقتراهم .

وَفَرَّوْا ظِلْمَ الْإِيمَانِ وَبَاطِلُهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِيمَانَ سَبِّحُونَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴿٥﴾

قال مجاهد : (وفروا ظاهر الإيمان وباطنه) : معصيته في السر والعلانية (٢) - وفي رواية عنه : هو ما ينوي ما هو حامل (٣) .

وقال قتادة : (وفروا ظاهر الإيمان وباطنه) ، أى قلبه وكثيره ، سره وعلانيته . (٤) . وقال السدي : ظاهره : التزامه مع الدنيا ذوات الرايات ، وباطنه مع الخليفة والصدائق والأخذاء (٥) ، وقال عكرمة : ظاهره تكاح ذوات الظلم . والصحيح أن الآية عامة في ذلك كله ، وهي كقوله تعالى : (قل : إنما حرم في الفواحش ما ظهر منها وما بطن) (٦) ... الآية ، ولهذا قال تعالى : (إن الذين يكسبون الإيمان سببون بما كانوا يقتربون) ، أى : سواء كان ظاهرا أو خفيا ، فإن الله سببهم عليه .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن معاوية بن صالح ، عن عبد الرحمن بن جابر بن نفير ، عن أبيه ، عن أنس بن سميان قال : سألت رسول الله ﷺ عن الإيمان فقال : « الإيمان ما حاك في صدرك ، وكرهت أن يطلع الناس عليه » (٧) .

وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا رَدَّكُمْ عَنْهُمُ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيَؤَلِّهُنَّ إِلَىٰ أُولِي الْأَرْسَامِ لِيُجْدِلُوهُنَّ
وَإِنْ أَلْفَمْنَاهُمْ بِأَنكَرَ لَعْنَتِكُمْ ﴿٦﴾

استدل هذه الآية الكريمة من ذهب إلى أنه لا تحمل اللعنة التي لم يذكر اسم الله عليها ، ولو كان الذابح مسلما ، وقد اختلف الإمامة - رحمهم الله - في هذه المسألة على ثلاثة أقوال :

- (١) قراءة التخفيف هي قراءة طيبة القوي . ينظر تفسير الطبري : ١٢ / ٧٠ ، والبحر المحيط لأبي حيان : ٤ / ٢١١ .
- (٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٣٧٩٨ : ١٢ / ٧٣ .
- (٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٣٧٩٩ : ١٢ / ٧٣ .
- (٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٣٧٩٤ : ١٢ / ٧٢ .
- (٥) أثر السدي كما في تفسير الطبري ١٣٨٠١ / ١٢ / ٧٤ : « أما ظاهره فازدوا في الحوائث ، وأما باطنه فالصدقة يتخللها الرجل فيأتيها سرا » .
- (٦) سورة الأعراف ، آية ٣٣ .
- (٧) رواه مسلم في كتاب الجبر ، باب تفسير الجبر والإيم ، عن عبد بن حاتم ، عن ابن مهدي ، بإسناده : ٨ / ٦ / ٧٠ . ورواه الإمام أحمد عن عبد الرحمن بن مهدي ، بإسناده بطله : ٤ / ١٨٢ .

لنهم من قال : لا تحل هذه اللحمة بهذه الصفة ، وسواء مَرُوك التسمية عمداً وسهواً : وهو مروى عن ابن عمر ، ونافع مولاة ، وعامر الشعبي ، وعبد بن سيرين . وهو رواية عن الإمام مالك ، ورواية عن أحمد بن حنبل نصرهما طائفة من أصحابه المتضمين والمتأخرين ، وهو اختيار أبي ثور ، وطلود الظاهري ، واختار ذلك أبو القتيح محمد بن محمد ابن علي الطائي^(١) ، من متأخري الشافعية في كتابه «الأربعين» ، واحتجوا للمحرم هذا بهذه الآية ، ويقول في آية الصيد : (فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه) : (٢) ثم قد أكد في هذه الآية بقوله : (وإنه نفس) : والضمير قيل : عائد على الأكل ، وقيل : عائد على البيع لغیر الله — وبالأحاديث الواردة في الأمر بالتسمية عند النسيحة والصيد ، كحديث عدى بن حاتم وأبي ثعلبة : «إذا أرسلت كلبك للعلم وذكرت اسم الله عليه فكل ما أمسك عليك»^(٣) : وهما في الصحيحين — وحديث وافع بن خديج : «ما أهر العلم وذكر اسم الله عليه فكلوه»^(٤) . وهو في الصحيحين أيضاً — وحديث ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجن : «لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه»^(٥) . رواه مسلم . وحديث جندب بن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من ذبح قبل أن يصلي فليبيع مكانها أخرى : ومن لم يكن ذبح حتى صلياً فليبيع باسم الله»^(٦) : «أخرجاه — وعن عائشة رضي الله عنها أن ناساً قالوا : يا رسول الله ، إن قومنا يأوتونا بالعلم لا ندري : أذكر اسم الله عليه أم لا ؟ قال : سموا عليه أنتم وكلوا — قالت : وكأنا حديثي عهد بالكفر . رواه البخاري (٧) .

ووجه الدلالة أنهم فهموا أن التسمية لابد منها ، وغشوا أن لا تكون وجبت من أولئك ، لحاجة إسلامهم ، فأمرهم بالاحتياط بالتسمية عند الأكل ، لتكون كالמוש من المروكة عند التبع إن لم تكن وجبت ، وأمرهم بإجراء أحكام المسلمين على الملأ ، والله أعلم .

واللهيب الثاني في المسألة : أنه لا يشترط التسمية ، بل هي مستحبة ، فإن تركت عمداً أو سهواً لم تضر : وهذا ملحق بالإمام الشافعي رحمه الله وجميع أصحابه ، ورواية عن الإمام أحمد . نقلها عنه حنبل^(٨) . وهو رواية عن الإمام مالك ، ونص على ذلك أشهب بن عبد العزيز . من أصحابه ، وحكى عن ابن عباس ، وأبي هريرة ، وعطاء بن أبي رباح ، والله أعلم . وحمل الشافعي الآية الكريمة : (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه نفس) على ما ذبح لغیر الله ، كقولته تعالى : (أو فسقا أهل لغیر الله به)^(٩) .

(١) ترجم له القليبي في البر ، وذكر كتابه الأربعين ، وقال إنه توفي في شوال سنة ٥٥٥ من ٨٥٠ سنة . الجبر : ٤ / ١٥٩ .

(٢) سورة المائدة ، آية : ٤ .

(٣) نص فتحرج هذا الحديث في سورة المائدة ، عند هذه الآية ، ينظر : ٣ / ٣١ ، ٣٢ .

(٤) البخاري ، الفكرة ، باب قصة النعم : ٣ / ١٨١ ، وباب من طلع شراً من النعم جبرور في القسم : ٣ / ١٨٥ ، ١٨٦ وكتاب الجهاد : باب ما يكره من ذبح الإبل والنعم في الغنم : ٤ / ٩١ . وكتاب الطبايع : باب ما أهر الله من النصب والمرورة والحويص : ٧ / ١١٩ ، وباب لا يذكي بالنس والظم والفقر : ٧ / ١١٩ ، ١٢٠ ، وباب مائة من البهايم فهو بمنزلة الوش : ٧ / ١٢٠ . ومسلم ، كتاب الأصنام ، باب جواز التبع بكل ما أهر الله إلا السن والفقر وسائر النعام : ٦ / ٧٨ .

(٥) مسلم ، كتاب الصلاة : باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجنب : ٣٦ / ٣ .

(٦) البخاري ، كتاب الطبايع ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : «فليبيع على اسم الله» : ٧ / ١١٨ . ومسلم ، كتاب الأصنام ، باب وقتها : ٦ / ٧٣ ، ٧٤ .

(٧) البخاري ، كتاب الطبايع ، باب ذبيحة الأعراب ونجوم : ٧ / ١٢٠ .

(٨) هو حنبل بن إسحاق . ينظر القليبي : ١ / ٧٢ .

(٩) سورة الأنعام ، آية : ١٤٥ .

وقال ابن جريج ، عن عطاء : (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) ، قال : ينهى عن ذبائح كانت تلعبها قرىض عن الأوثان وينهى عن ذبائح الخبوس . وهذا المسلك الذى طرقه الإمام الشافعى قرى ، وقد حاول بعض المتأخرين أن يقويه بأن جنس « الواو » فى قوله : (وإنه القس) حالية ، أى : لا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه فى حال كونه فسقا ولا يكون فسقا حتى يكون قد أهل به لقراءة الله . ثم ادعى أن هذا متعين ، ولا يجوز أن تكون « الواو » عاطفة . لأنه يلزم منه عطف جملة اسمية خبرية على جملة فعلية طلبية . وهذا يتغضض عليه بقوله : (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم) ، فلأنها عاطفة لا محالة ، فإن كانت « الواو » التى ادعى أنها حالية صحيحة على ما قال امتنع عطف هذه عليها ، فإن عطفك على الطلبية ورد عليه ما أورد على غيره ، وإن لم تكن « الواو » حالية بطل ما قال من أصله ، والله أعلم .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا يحيى بن المخرمة ، أنبأنا جرير ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قوله : (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) ، قال : هى الميتة .

ثم رواه ، عن أبى زرعة ، عن يحيى بن أبى كثير ، عن ابن لهيعة ، عن عطاء . وهو ابن السائب . به .

وقد استعمل لهذا للمذهب بما رواه أبو داود فى المراسيل ، من حديث ثور بن يزيد ، عن الفضل السلووى - مولى صويد بن منجوف ، أحد التابعين اللذين ذكرهم أبو حاتم فى حبان فى كتاب الثقات - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ذبيحة المسلم حلال ذكر اسم الله أو لم يذكر ، إنه إن ذكر لم يذكر إلا اسم الله » .

وهذا مرسل يعضد بما رواه الدارقطنى عن ابن عباس أنه قال : « إذا ذبح المسلم - ولم يذكر اسم الله - فليأكل ، فإن المسلم فيه اسم من أسماء الله (١) » .

واحجج البيهقى أيضاً بحديث عائشة رضى الله عنها المقتضى أن [ناسا قالوا : يا رسول الله ، إن] قوما حديثي عهد بمجاهلية يأتوننا بلحم لا ندرى أذكروا اسم الله عليه أم لا ؟ فقال : سموا أنتم وكنوا . قال : فلو كان وجود التسمية شرطاً لم يرضخ لهم إلا مع تحققها ، والله أعلم .

المذهب الثالث فى المسألة : إن ترك البسلة على اللبينة نسياناً لم يضر ، وإن تركها عمداً لم يحل .

هذا هو المشهور من مذهب الإمام مالك ، وأحمد بن حنبل ، وبه يقول أبو حنيفة وأصحابه ، وإسحاق بن راهويه . وهو يحكى عن على ، وابن عباس ، وسعيد بن المسيب ، وعطاء ، وطاوس ، والحسن البصرى ، وأبى مالك ، وحيد الرحمن بن أبى ليل ، وجعفر بن محمد ، وربيعة بن أبى حيد الرحمن .

ونقل الإمام أبو الحسن الرضائى فى كتابه الهداية والإجماع - قبل الشافعى على تحريم متروك التسمية عمداً ، فلعلها قال أبو يوسف والشافعى : لو حكم حاكم بجواز بيعه لم ينقل مخالفة الإجماع . وهذا الذى قاله غريب جداً ، وقد تقدم نقل الخلاف عن قبل الشافعى ، والله أعلم .

وقال الإمام أبو جعفر بن جرير : من حرم ذبيحة الناسى ، قد خرج من قول جميع الحجة ، وخالف الخبر الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك (٢) .

(١) سنن الدارقطنى ، ط دار الحسن ، باب الصيد والذبايح : ٤ / ٢٩٥ ، ٢٩٦ .

(٢) تفسير الطبرى : ١٢ / ٨٥ .

يعني ما رواه الحافظ أبو بكر البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو عباس الأصم ، حدثنا أبو أمية الطرمسي حدثنا محمد بن يزيد ، حدثنا معقل بن عبد الله ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : المسلم يكفيه اسمه ، إن نسي أن يسمى حين يبيع ، فليذكر اسم الله وليأكله .
وهذا الحديث رقمه خطأ ، أخطأ فيه معقل بن عبد الله الجري ، فإنه - وإن كان من رجال مسلم إلا أن سعيد ابن منصور ، وعبد الله بن الزبير الحميدي رواه عن صفيان بن حيصة ، عن عمرو ، عن أبي الشفاء ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، عن قوله . فإذا في إسناده «أبا الشفاء» ، ووقفا ، والله أعلم ، وهذا أصح ، نص عليه البيهقي .
وقد نقل ابن جرير وغيره . عن الشعبي ومحمد بن سيرين ، أنهما كرها مترك التسمية لسيئات ، والملت بطلون الكرامة حل التحريم كثيرا والله أعلم ، إلا أن من قاعدة ابن جرير أنه لا يمتنع قول الواحد ولا الاثنين عاكفا لقول الجمهور ، فيمنعه إجماعا ، فليعلم هذا ، والله الموفق .

قال ابن جرير : حدثنا ابن وكيع ، حدثنا أبو أسامة ، عن جهم بن يزيد قال : مثل الحسن ، سأله رجل أنيت بطير كرى^(١) ، فنه ماقد ذبح فلذكر اسم الله عليه ، ومنه ما نسي أن يذكر اسم الله عليه ، وانخطط الطير ، فقال الحسن : كله ، كله . قال : وسألت محمد بن سيرين فقال : قال الله : (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) .
واحجج لهذا المنه بالحديث المروي من طرق عند ابن ماجه ، عن ابن عباس ، وأبي هريرة ، وأبي ذر ، وعقبة ابن عامر ، وعبد الله بن عمرو ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : «إن الله وضع عن نسي الخطأ والنسيان ، وما استكرهوا عليه»^(٢) - وفيه نظر ، والله أعلم .

وقد روى الحافظ أبو أحمد بن عدى ، من حديث مروان بن سالم القرقساني ، عن الأزاهي ، عن يحيى بن أبي كبير ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، رأيت الرجل منا يبيع وينسى أن يسمى ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اسم الله على كل مسلم .
ولكن هذا إسناده ضعيف ، فإن مروان بن سالم القرقساني أبا عبد الله النخعي ، ضعيف تكلم فيه غير واحد من الأئمة ، والله أعلم .

وقد أوردت هذه المسألة على حدة ، وذكرت ملابب الأئمة وما خلطهم وأدلتهم ، ووجه الدلالات والمناقضات والمعارضات ، والله أعلم .

قال ابن جرير : وقد انخطط أهل العلم في هذه الآية : هل نسخ من حكمها شيء أم لا ؟ فقال بعضهم : لم ينسخ منها شيء وهي محكمة ذبا حقيتها به . وحل هذا قول عامة أهل العلم .

وروى عن الحسن البصري وعكرمة . ما حدثنا به ابن حميد ، حدثنا يحيى بن واضح ، عن الحسن بن واقد ، عن عكرمة والحسن البصري قالا : قال الله : (فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين) وقال : (ولا تأكلوا

(١) في الخطوط : بطير كذا ، والمثبت من تفسير الطبري ، الأثر ١٣٨٢٨ / ١٢ / ٨٤ . قال السيد الحق : «كرى» بفتحين . جمع الكروان . وهو طائر بين الفصيلة والسمكة حسن الصوت ، يذكر له .

(٢) ينظر سنن ابن ماجه ، كتاب الطلاق ، باب طلاق الكره والنسي : ١ / ٦٥٩ .

عالم يذكر اسم الله عليه وإله نفس) ، نسخ واستنى من ذلك ، قال : (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم (١)) .

وقال ابن أبي حاتم : قرئ على عباس بن الوليد بن يزيد ، حدثنا محمد بن شعيب ، أخبرني النعمان - يعني ابن المنذر - عن معمر بن عمار قال : أنزل الله في القرآن : (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) ، ثم نسخها الرب ورحم للمسلمين فقال : (اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم) ، فتسخها بذلك وأحل طعام أهل الكتاب .

ثم قال ابن جرير : والصواب أنه لا تناقض بين حل طعام أهل الكتاب ، وبين تحريم ما لم يذكر اسم الله عليه (٢) . وهذا الذي قاله صحيح ، ومن أطلق من السلف نسخها هنا فإما أراد التخصيص ، والله سبحانه وتعالى أعلم : وقوله تعالى : (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم) ، قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو بكر ابن مهزيب ، عن أبي إسحاق قال : قال رجل لابن عمر : إن المختار يزعم أنه يوحى إليه ؟ قال : صدق ، وبلا هذه الآية : (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم) .

وحدثنا أبي ، حدثنا أبو حنيفة ، حدثنا عكرمة بن عمار ، عن أبي ذؤيب قال : كنت قاعدا عند ابن عباس ، وحينئذ اختار بين أبي حميد ، فجاءه رجل قال : يا ابن عباس ، وزعم أبو إسحاق أنه أوحى إليه الليلة ؟ . قال ابن عباس : صدق ، ففترت قلت : يقول ابن عباس صدق : فقال ابن عباس : هما وحيان ، وحى الله ، وحى الشيطان ، فوحى الله إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، وحى الشيطان إلى أوليائه ، ثم قرأ : (وإن الشيطان ليوحون إلى أوليائهم) .

وقد تقدم من عكرمة بن عمار : (يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول فرورا) نحو هذا . وقوله (ليجادلوك) ، قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا عمران بن حبة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير قال : خاصمت اليهود النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : نأكل مما قلنا ، ولا نأكل مما قل الله ؟ فأنزل الله : (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق) .

هكذا رواه مسندا ، ورواه أبو حنيفة متصلا فقال : : حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا عمران بن حبة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : جلست اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : نأكل مما قلنا ولا نأكل مما قل الله ؟ فأنزل الله : (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) . الآية (٣) .

وكذا رواه ابن جرير ، عن محمد بن عبد الأجل وسفيان بن وكيع كلاهما عن عمران بن حبة ، به (٤) . ورواه البزار عن محمد بن موسى الحرشي ، عن عمران بن حبة ، به . ولهذا فيه نظر من وجوه ثلاثة :

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٢٨٢٥ : ١٢ / ٨٧ .

(٢) المصدر السابق : ١٢ / ٨٨ .

(٣) مسند أبي داود ، كتاب الأضغى ، باب في ذبائح أهل الكتاب ، الحديث ٢٨١٩ : ١٠١/٣ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٢٨٢٥ : ٨/١٢٢ .

أحدهما : أن اليهود لا يرون إبادة الميتة حتى يجادلوا .

الثاني : أن الآية من الأنعام ، وهي مكية .

الثالث : أن هذا الحديث رواه الرمزي عن محمد بن موسى الحرشي ، عن زياد بن عبد الله البكائي ، عن عطاء ابن السائب ، عن سعيد بن جبير ، [عن ابن عباس . ورواه الرمزي بقسط : « أني ناس النبي صلى الله عليه وسلم . » فذكره وقال : حسن غريب ، وروى عن سعيد بن جبير [مرسل^(١)]

وقال الطبراني : حدثنا علي بن المبارك ، حدثنا زيد بن المبارك ، حدثنا موسى بن عبد العزيز ، حدثنا الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لما نزلت : (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) ، أرسلت فارس إلى قريش : أن خاصموا محمداً وقولوا له : كمّا تليح أنت بينك بسكين فهو حلال ، وما ذبح الله عز وجل بشمشير^(٢) من ذهب - يعني الميتة - فهو حرام . فترت هذه الآية : (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم) قال : الشياطين من فارس ، وأوليائهم قريش .

وقال أبو داود : حدثنا محمد بن كثير ، أخبرنا إسرائيل ، حدثنا مهك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله : (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم) ، يقولون : ما ذبح الله فلا تأكلوه . وما ذبحتم أنتم فكلوه ، فأنزل : الله (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه)^(٣) .

ورواه ابن ماجه^(٤) ، وابن أبي حاتم ، عن عمرو بن عبد الله ، عن وكيع ، عن إسرائيل ، به : وهذا إسناد صحيح . ورواه ابن جرير من طرق متعددة ، عن ابن عباس ، وليس فيه ذكر اليهود ، فهذا هو المفوظ ، والله أعلم .

وقال ابن جرير : قال عمرو بن دينار ، عن عكرمة : إن مشركي قريش كاتبوا فارس على الروم وكاتبهم فارس وكتب فارس إلى مشركي قريش : « إن محمداً وأصحابه يزعمون أنهم يتبعون أمر الله ، فما ذبح الله بسكين من ذهب فلا يأكله - محمد وأصحابه - للميتة^(٥) » وما ذبحوا هم يأكلون . فكذب بذلك المشركون إلى أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، فوقع في أنفس ناس من المسلمين [من ذلك شيء ، فأنزل الله : (وإنه لقتل وإن الشياطين ليوحون)] الآية ونزلت : (يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا)^(٦) .

وقال السدي في تفسير هذه الآية : إن المشركين قالوا للمؤمنين : كيف ترحمون أنكم تتبعون مرضاة الله ، وما ذبح الله فلا تأكلونه ، وما ذبحتم أنتم أكلتموه ؟ فقال الله : (لن أطعوه) فأكلم الميتة : (إنكم لشركون)^(٧) . وهكذا قاله مجاهد ، والفضلك ، وغير واحد من علماء السلف ، رحمهم الله .

(١) تحفة الأوسى ، تفسير سورة الأنعام ، الحديث ٥٠٦٤ : ٤٤٥/٨ : ٤٤٦ .

(٢) كلا في خطوطة الأثر ، وخطوطة دار الكتب (١) تفسير . روى القدر المنثور ١٢/٣ : ٤٥٣ .

(٣) سنن أبي داود ، كتاب الأنعام ، باب في ذبائح أهل الكتاب ، الحديث ٢٨١٨ : ١٠١/٣ .

(٤) سنن ابن ماجه ، كتاب الذبائح ، باب في ذبائح أهل الكتاب ، الحديث ٣١٧٣ : ١٠٥٩/٢ .

(٥) من تفسير الطبري .

(٦) تفسير الطبري ، الأثر ١٣٨٠٦ : ٧٨/١٢ .

(٧) تفسير الطبري ، الأثر ١٣٨٢١ : ٨١/١٢ .

وقوله تعالى : (وَإِنْ أَطَعْتُم بَعْثَ الْمُشْرِكِينَ) ، أى : حيث علمتم من أمر الله لكم وشرعه إلى قول غيره ، فقدم عليه غيره فهنا هو الشرك ، كما قال تعالى : (اخْلَوْا أَعْيُنَكُمْ عَنْ أَنْبَاءِ الَّذِينَ هُمْ يُشْرِكُونَ ... الآية . وقد روى الترمذى في تفسيره عن حنبل بن حاتم أنه قال : يا رسول الله ، ما عبودهم ، فقال : بل لهم أطوا لم الحرام وحرروا عليهم الحلال ، فانهيهم ، فذلك حياضهم لإمام (٢)

وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ فَأَحْبَبْتَهُ وَجَعَلْتَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ۚ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

هذا مثل غيره الله تعالى المؤمن الذى كان ميتا ، أى : فى الضلالة ، هالكا حائرا ، فأجاء الله ، أى : أحيا قلبه بالإيمان ، وهذا له ووقته لأتباع رسله . (وجعلناه له نورا يمشى به فى الناس) ، أى : هدى كيف يسلك وكيف يتصرف به . والنور هو القرآن ، كما رواه العوفى وابن أبى طلحة ، عن ابن عباس (٣) . وقال السدى : الإسلام (٤) . والكل صحيح .

(كمن مثله فى الظلمات) ، أى : الجهالات والأهواء والضلالات المضرّة ، (ليس بخارج منها) ، أى : لا هدى إلى مفد ، ولا غلى عما هو فيه ، كما قال تعالى : (الله ولي الذين آمنوا ، يخرجهم من الظلمات إلى النور ، والذين كفروا أوليائهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات ، أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون (٥) . وقال تعالى : (أَلَمْ يَمْشِ عَلَى مَكَا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَلَمْ يَمْشِ سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٦) ، وقال تعالى : (مثل الفريقين كالأهوى والأصم والبصير والسميع والعمى) ، وقال تعالى : (وما يستوى الأعمى والبصير . ولا الظلمات ولا النور . ولا الظل ولا النور . ولا المستوى ولا المأوى) ، إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من فى القبور ، إن أنت إلا نذير (٨) . والآيات فى هذا كثيرة ، ووجه التناسية فى ضرب المثلين هاهنا بالنور والظلمات ، ما تقدم فى أول السورة : (وجعل الظلمات والنور) ،

(١) سورة التوبة : آية : ٣١ .

(٢) نص رواية الترمذى ، كما فى نسخة الأحرش ، تفسير سورة التوبة ١٩٢/٨ : وقال : أما لهم لم يكرهوا عبودهم ، ولكنهم كانوا إذا أطوا لم شيئا اصطوبه ، وإذا سرروا عليهم شيئا سرروه .

(٣) تفسير الطبرى ، الأثر ١٣٨٤٢ : ٩١/١٧ .

(٤) تفسير الطبرى ، الأثر ١٣٨٤٥ : ٩١/١٧ .

(٥) سورة البقرة : الآية : ٢٥٧ . ويظهر : ١٦٧/١ وما بعدها .

(٦) سورة الملك : آية : ٢٢ .

(٧) سورة هود : آية : ٢٤ .

(٨) سورة الفجر : الآيات : ١٩ - ٢٢ .

وزعم بعضهم أن المراد بهذا الكل رجلا من ميثان ، قيل : عمر بن الخطاب هو الذي كان ميتاً فحياه الله ، وجعل له نورا مضي به في الناس . وقيل : عمر بن ياسر : ولما الذي في الظلمات ليس بخارج منها : أبو جهل عمرو بن هشام ، لعنه الله . والصحيح أن الآية عامة ، يشمل فيها كل مؤمن وكافر :

وقوله تعالى : (كللك زين الكافرين ما كانوا يعلمون) ، أي : حشا لهم ما هم فيه من الجهالة والضلالة ، قلوا من الله وحكمة بالغة ، لا إله إلا هو .

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْثَرَ جَائِمِينَ لِيُجْزِيَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ إِلَّا يَأْتِيهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا إِنَّا أَنزَلْنَاهَا قُرْآنًا مِّثْلَ مَا أَنزَلْنَا قُرْآنَ اللَّهِ أَفَلَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُرْسِلُ إِلَيْنَا سَعِيرًا ﴿٦٧﴾ وَعَلَّابٌ شَدِيدٌ يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾

يقول تعالى : وكما جعلنا في قرية - يا محمد - أكابر من المجرمين ، وروصاه ودعاه إلى الكفر والصد عن سبيل الله ، وإلى مخالفتك وحدانيتك ، كذلك كانت الرسل من قبلك يبعثون بلك ، ثم تكون لهم العاقبة كما قال تعالى : (وكللك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين) (١) ... الآية ، وقال تعالى : (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسدوا فيها) (٢) الآية ، قيل : معناه أمرناهم بالطاعات ، ففعلوا ، ففسدناهم . وقيل : أمرناهم لمرا قدرها ، كما قال هاهنا : (ليمكروا فيها) .

وقال ابن أبي طلحة عن ابن عباس : (أكابر مجرميها) ، قال : سكتنا شرارها ففسدوا فيها ، فإذا فعلوا ذلك أهلكتهم بالعلاب .

وقال مجاهد وقادة : (أكابر مجرميها) ، قال : عظامها (٣)

قلت : وهما كقوله تعالى : (وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلكم به كافرون . وقالوا نحن أكبر أموالا وأولاداً ونحن بعملنا) (٤) . وقال تعالى : (وكللك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة ، وإنا على آثارهم مقتدون) (٥) .

ولم يرد بالمرحاة دعاؤهم إلى الضلالة بخ عرف من المقاتل والقتال ، كما قال : تعالى إخباراً عن قوم لوط : (ومكروا مكرا كبيرا) (٦) وقال تعالى : (ولو نرى إذ الظالمون سمرعون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول ، يقول الذين

(١) سورة الفرقان : آية : ٣١ .

(٢) سورة الإسراء : آية : ١٦ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٣٨٤٧ : ٩٤/١٢ .

(٤) سورة ص : آية : ٣٤ ، ٣٥ .

(٥) سورة الزخرف : آية : ٢٣ .

(٦) سورة نوح : آية : ٢٢ .

استضعفوا للذين استكبروا : لولا أنهم لكنا مرمين : قال الذين استكبروا للذين استضعفوا : نحن صعدناكم من الهضي بعد إزجاءكم بل كنتم جرمين : وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا : بل مكر الليل والنهار إذ تأمرونا أن نكفر بالله ونعبد له أندادا (١) :: الآية .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو : حدثنا ابن أبي عمير (٢) ، حدثنا سفيان قال : كل مكر في القرآن فهو حل .

وقوله : (وما يحركون إلا بأنفسهم وما يشعرون) ، أي : وما يسود وياك مكرهم ذلك وإضلالهم من أسلوه إلا حل أنفسهم ، كما قال تعالى : (وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم (٣)) ، وقال : (ومن أوزار الذين يضلوهم بغير علم أسماء مايزرون (٤)) .

وقوله : (وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتي مثل ما أوتي رسول الله) ، أي : إذا جاءتهم آية وبرهان وحجة ظاهرة ، قالوا : (لن نؤمن حتى نؤتي مثل ما أوتي رسول الله) ، أي : حتى تأتينا الملائكة من الله بالرسالة ، كما تأتى إلى الرسل ، كقولهم جل وعلا : (وقال الذين لا يرجون لقاءنا : لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا (٥)) :: الآية .

وقوله : (الله أعلم حيث يجعل رسالته (٦)) ، أي : هو أعلم حيث يضع رسالته ومن يصلح لها من خلقه ، كما قال تعالى : (وقالوا : لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم . أم يقسمون رحمة ربك (٧) الآية) ، يمتون : لولا نزل هذا القرآن على رجل عظيم كبير يجبل في أعينهم (من القريتين) ، أي : مكة والطائف . وذلك لأنهم - قبحهم الله - كانوا يزودون بالرسول صلوات الله وسلامه عليه بنيا وحسدا ، وعنادا واستكبارا ، كما قال تعالى مخبرا عنهم : (وإذا زارك الذين كفروا إن يشغلوك إلا حزوا ، أهذا الذي يذكر كتمكم ، وهم يذكرون رحمة ربك كافرين (٨)) ، وقال : تعالى : (وإذا زارك إن يشغلوك إلا حزوا ، أهذا الذي بئس الله رسولا (٩)) ، وقال تعالى : (ولقد استهزئ به رسل من قبلك ، فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون (١٠)) . هذا وهم يستهزئون بفضله وشرفه ونسبه ، وطهارة بيته ومراتبه ومنشئه ، حتى أنهم كانوا يسمونه بينهم قبل أن يوحى إليه : « الأمين » ، وقد اعترف بذلك رئيس الكفار « أبو سفيان » حين سأله « هرقل » ملك الروم : كيف نسب فيكم ؟ قال : هو فينا ذو نسب . قال : هل كنتم تكهونه بالكذب قبل أن

(١) سورة سبأ الآيات : ٣١ - ٣٣ .

(٢) هو محمد بن يحيى بن أبي هرير العوفي . روى عن سفيان بن عيينة . وروى عنه أبو حاتم . ومكانه في غلوطة الأثر : حدثنا أبو هرير . وهو خطأ . ينظر المخرج لابن أبي حاتم : ١٢٤/١ .

(٣) سورة التوبة ، آية : ١٣ .

(٤) سورة النحل ، آية : ٢٥ .

(٥) سورة الفرقان ، آية : ٢١ .

(٦) هكذا في غلوقةنا . (رسالته) بالجمع ، وهي قراءة السبعة ما عدا ابن كثير وحفصا ، فقد قرأ : (رسالته) بالانفراد . ينظر لغير المحيط لأبي حيان : ٢١٧/٤ .

(٧) سورة الزخرف ، الآيات : ٣١ ، ٣٢ .

(٨) سورة الأنبياء ، آية : ٣٦ .

(٩) سورة الفرقان ، آية : ٤١ .

(١٠) سورة الأنعام ، آية : ١٠ .

يقول ما قال : ؟ قال : لا ، الحديث بطوله الذي استلزم به ملك الروم بطهارة صفاته عليه السلام على صفته ونبوه وصحة ما جاء به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن مصعب ، حدثنا الأوزاعي ، عن شداد بن حماد ، عن واثلة بن الأسقع رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل ، واصطفى من بني إسماعيل بني كنانة ، واصطفى من بني كنانة قريشا ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم » (١) .

انفرد بإخراجه مسلم من حديث الأوزاعي . - وهو عبد الرحمن بن عمرو إمام أهل الشام - به نحوه (٢) .
وفى صحيح البخاري ، عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يفت من خير قرون بني آدم قرناً هاتماً ، حتى يفت من القرن الذي كنت فيه » (٣) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو نعيم ، عن سليمان ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل ، عن المطلب بن أبي وداعة قال : قال العباس : بلغه صلى الله عليه وسلم بعض ما يقول الناس ، فصد المطلب فقال : من أنا ؟ قالوا : أنت رسول الله . قال : « أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، إن الله خلق الخلق فجعلني في خير خلقه ، وجعلهم فرقتين ، فجعلني في خير فرقة ، وخلق القبائل فجعلني في خير قبيلة . وجعلهم بيوتا فجعلني في خير بيت ، فأنا خيركم بيتاً وخيركم نفساً » (٤) .

صدق صلوات الله وسلامه عليه .

وفى الحديث أيضاً الروى عن عائشة رضى الله عنها ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قال لي جبريل : قلبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجده [رجلاً أفضل من محمد ، وقلبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجده] أبى أن يصل من بني هاشم » .

رواه الحاكم والبيهقي .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو بكر ، حدثنا عاصم ، عن زر بن حبیش ، عن عبد الله بن مسعود قال : إن الله نظر في قلوب العباد ، فوجد قلب محمد صلى الله عليه وسلم خير قلوب العباد ، فابسطناه لنفمه فأبنته برسالته . ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد صلى الله عليه وسلم فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد ، فجعلهم وزراء نبيه ، يقانون على دينه ، لما رأى المسلمون حسناً فهو عند الله حسن ، وما رأوا سيئاً فهو عند الله سيئ » (٥) .

وقال أحمد : حدثنا شجاع بن الوليد قال : ذكر قايوس بن أبي طيبان . عن أبيه . عن سلمان قال : قال لي رسول

(١) مست أحمد : ١٠٧/٤ .

(٢) مسلم ، كتاب القبائل ، باب فضل نسب النبي صلى الله عليه وسلم : ٥٨/٧ .

(٣) صحيح البخاري ، للناقل ، باب صفات النبي صلى الله عليه وسلم : ٢٢٩/٤ . وفى الصحيح : « حتى كنت من القرن ... » . ورواه الإمام أحمد في مسنده : ٣٧٢/٢ ، ٤١٧ . وفى الأول : « يفت » وفى الثانية : « كنت » .

(٤) مست الإمام أحمد : ٢١٠/١ .

(٥) مست الإمام أحمد : ٣٧٩/١ .

الله صلى الله عليه وسلم : يا سلمان ، لا تبغضني فتفارق دينك . قلت : يا رسول الله ، كيف أبغضك وبك هذا الله ؟ قال : تبغض العرب تبغضني ، (١) .

وذكر ابن أبي حاتم في تفسير هذه الآية : ذكر عن محمد بن منصور الجواز ، حدثنا سفيان ، عن ابن أبي عمير (٢) حسين قال : أبصر رجل ابن عباس وهو يدخل من باب المسجد فلما نظر إليه راعه ، فقال : من هذا ؟ قالوا : ابن عباس ابن حم رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : (الله أعلم حيث يجعل رسالته) (٣) .

وقوله تعالى : (سيصيب الذين أجمعوا صغار عند الله وعذاب شديد ... الآية) ، هذا وعيد شديد من الله وتهديد أكيد ، لمن تكبر عن اتباع رسوله والانقياد لم فيما جاءوا به ، فإنه سيصيبه يوم القيامة بين يدي الله (صغار) وهو الدالة الدائمة ، لما أنهم استكبروا وأعقبهم ذلك ذل كما قال تعالى : (إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) (٤) ، أي : صاغرين ذليلين حقيرين .

وقوله : (وعذاب شديد بما كانوا بمكرين) ، لما كان [المكر] غالباً إنما يكون خفياً ، وهو اللطف في الصلح والتخدية ، فويلوا بالعذاب الشديد جزاء وفالما ، (ولا يظلم ربك أحداً) ، كما قال تعالى : (يوم تلى السرا) (٥) ، أي : تظهر المستورات والمكتونات والفيئات . وجاء في الصحيحين ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ينصب لكل خاد لواء عندنا يوم القيامة » (٦) فيقال : هذه غدرة فلان بن فلان .

والحكمة في هذا أنه لما كان الغدر خفياً لا يطلع عليه الناس ، فيوم القيامة يصير حكماً منشوراً على صاحبه عما فعل .

فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَمْشُرْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَبْحًا حَرَجًا كَأَنَّ
يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥﴾

يقول تعالى : (فمن يريد الله أن يهديه يمشر صدره للإسلام) ، أي : ييسره له وينشطه ويسهله لذلك ، فهذه علامة على الخير كما قال تعالى : (أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه) (٧) ... الآية ، وقال تعالى : (ولكن الله يحب إليكم الإيمان وزيينه في قلوبكم ، وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان ، أولئك هم الراشدون) (٨) .

(١) سنة الإتمام آح : ٤٤٠/٥ .

(٢) هو عبد الله بن أبي حسين . ينظر التبايب : ١١٨/٤ .

(٣) قدر المنثور : ٤٤/٢ .

(٤) سورة غافر ، آية : ٦٠ .

(٥) سورة الطارق ، آية : ٩ .

(٦) هذه رواية أبي سعيد في مسلم ، كتاب الجهاد ، باب تحريم القتل : ١٤٢/٥ . وهي إل قوله : « يوم القيامة » وتمام الحديث في رواية عبد الله بن عمر وأبو في هذا الكتاب والباب . وينظر صحيح البخاري ، كتاب الجزية ، باب إثم القادر : ١٢٧/٤ . وكتاب الأدب ، باب ما يهدي الناس بأنفسهم : ٥١/٨ . وكتاب الحيل ، باب إذا غصب جارية فزعم أنها ماتت : ٢٢/٩ . وكتاب القتل ، باب إذا قال عند قوم ذنباً ثم خرج فقال بخلافه : ٧٧/٩ .

وقوله عليه السلام : « لكل خاد لواء عندنا يوم القيامة » ، أي خلف ظهره ، لأن لواء العزة ينصب تلقاء الوجه ، فتناسب أن يكون علم الملة ، أي هو كالملافة له ، كأنه حول القناد يثقبه قصده .

(٧) سورة الزمر ، آية : ٢٢ .

(٨) سورة الحجرات ، آية : ٧ .

قال ابن عباس : (فن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام) ، يقول : « يوسع قلبه للتوحيد والإيمان به » .
وكذا قال أبو مالك ، وغير واحد ، وهو ظاهر ،

وقال عبد الرزاق : أخبرنا الثوري ، عن عمرو بن قيس ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي جعفر قال : سئل النبي صلى الله عليه وسلم : أي المؤمنين أكيس ؟ قال : أكثرهم ذكرا للموت ، وأكثرهم مالا بعده استعدادا . قال : وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية : (فن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام) ، قالوا : كيف يشرح صدره يا رسول الله ؟ قال : نور يمدد في فيه ، فينشرح له ويضعف : قالوا : فهل لذلك من أمانة يعرف بها ؟ قال : الإجابة إلى دار الخلود ، والتجاني عن دار الفرور ، والاستعداد للموت قبل لقاء الموت (١) .

وقال ابن جرير : حدثنا هناد ، حدثنا قتيبة ، عن صفيان - يعني الثوري - عن عمرو بن مرة ، عن رجل يكنى أبا جعفر كان يسكن للمذات قال : مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله : (فن يرد الله أن يهديه) ، فذكر نحو ما تقدم (٢) .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا ابن إدريس ، عن الحسن بن القرات القزاز ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي جعفر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (فن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام) ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا دخل الإيمان القلب انفسح له القلب واتشرح . قالوا : يا رسول الله ، هل لذلك من أمانة ؟ قال : نعم الإجابة إلى دار الخلود ، والتجاني عن دار الفرور ، والاستعداد للموت قبل الموت » .

وقد رواه ابن جرير عن سوار بن عبد الله العبدي ، حدثنا المحمدر بن سليمان ، سمعت أبي يحدث عن عبد الله بن مرة عن أبي جعفر فذكره (٣) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو خالد الأحمر ، عن عمرو بن قيس ، عن عمرو بن مرة ، عن عبد الله بن المسور (٤) قال : تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية : (فن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام) ، قالوا : يا رسول الله ، ما هذا الشرح ؟ قال : نور يخلق به في القلب . قالوا : يا رسول الله ، فهل لذلك من أمانة ؟ قال : نعم . قالوا : وما هي ؟ قال : الإجابة إلى دار الخلود ، والتجاني عن دار الفرور ، والاستعداد للموت قبل الموت » .

وقال ابن جرير أيضا : حدثني هلال بن العلاء ، حدثنا سعيد بن عبد الملك بن واقد ، حدثنا محمد بن سنان ،

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٣٨٥٣ : ٩٩/١٢ : ١٠٠ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٣٨٥٤ : ١٠٠/١٢ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٣٨٥٢ : ٩٨/١٢ .

(٤) في الطبقات السابقة : « عبد الله بن مسعود » ، وهو خطأ . واللهب من خطوطة الأثر ، وفي المرح لاين أبي حاتم أنه : أبو جعفر عبد الله بن مسود بن عبد الله بن حوث بن جعفر بن أبي طالب . روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، مرسل . روى عنه عمرو بن مرة . وروى ابن أبي حاتم عن ربيعة أن عبد الله بن المسور كان يضع الحديث فيه . حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . ينظر المرح : ١٦٩/٢/٢ .

(هـ) في الخطوطة : « مسلم » ، وهو خطأ . واللهب من المرح لاين أبي حاتم : ٢٧٦/٢/٢ : الترجمة رقم : ١٤٩٤ ، ٣٦١/٢/١ : الترجمة رقم : ١٦٣٨ . وتفسير الطبري .

عن أبي عبد الرحمن (١) ، عن زيد بن أبي أنيسة ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي حبيبة عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا دخل النور القلب انفسح وانتشر : قالوا : فهل لك من علامة يعرف بها ؟ قال : الإجابة إلى دار الخلود ، والتنجي من دار الفزور ، والاستعداد للموت قبل لقي الموت » (٢) :

وقد رواه من وجه آخر عن ابن مسعود متصلاً مرفوعاً فقال : حدثني بن سنان القرظي ، حدثنا محبوب بن الحسن الماضبي ، عن يونس ، عن عبد الرحمن بن عبيد الله بن عتبة ، عن عبد الله بن مسعود ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من يريد أن يجد الله أن يجديه يشرح صدره للإسلام » ، قالوا : يا رسول الله ، وكيف يشرح صدره ؟ قال : يدخل فيه النور فينفسح : قالوا : وهل لك علامة يا رسول الله ؟ قال : التجاني عن دار الفزور ، والإجابة إلى دار الخلود ، والاستعداد للموت قبل أن يتزل الموت » (٣) :

فهذه طرق لهذا الحديث مرسلة (٤) ومتصلة ، يشد بعضها بعضاً ، والله أعلم :

وقوله تعالى : (ومن ير أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً) ، [قرئ] بفتح الضاد وتسكين الياء ، والاكثرون : (ضيقاً) بتشديد الياء وكسرها ، وما لسان : كَهَيْتَ وَهَيْتَ . وقرأ بعضهم (حرجاً) بفتح الحاء وكسر الراء ، قيل : بمعنى آثم ، وقال السدي (٥) ، وقيل بمعنى القراءة الأخرى (حرجاً) بفتح الحاء والراء ، وهو الذي لا يضع لشيء من الهدى ، ولا يخلص إليه شيء ما ينفعه من الإيعان ولا ينقذه فيه .

وقد سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلاً من الأعراب من أهل البادية من مدكج : ما الحرجة ؟ قال : هي الشجرة تكون بين الأشجار لا تصل إليها راحية ، ولا وحشية ، ولا شيء . فقال عمر رضي الله عنه : كذلك قلب المنافق لا يصل إليه شيء من الخير (٦) .

وقال العوفي عن ابن عباس : يجعل الله عليه الإسلام ضيقاً ، والإسلام واسع . وذلك حين يقول : (وما جعل عليكم في الدين من حرج) ، يقول : ما جعل عليكم في الإسلام من ضيق (٧) .

وقال مجاهد والسدي ضيقاً حرجاً : شاكاً (٨) .

وقال صاعداً لخريصاني : (ضيقاً حرجاً) : ليس بخير (٩) فيه منقذ :

(١) في المخطوطة : « أبي عبد الرحمن » ، وهو خطأ ، والمثبت من تفسير الطبري ، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٣٦١/٢/١ ، وهو خالفه بن أبي يزيد ، يكنى أبا عبد الرحمن ، خال عمه بن سلمة الخراساني ، روى عن زيد بن أبي أنيسة : قال عنه أبو حاتم : لا بأس به .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٣٨٥٥ : ١٠٠/١٢ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٣٨٥٧ : ١٠٢/١٧ .

(٤) المرسل : ما سقط منه الصحاح ، وذلك كحديث أبي جعفر عبد الله بن المسور المشقة . والمتصل - ويسمى الوصول أيضاً - : ما اتصل منه ، سواء كان مرفوعاً إلى صلى الله عليه وسلم أو موقوفاً . وذلك كحديث عبد الله بن مسعود .

(٥) كلما في مخطوطة الأثر ، ودار الكتب ١٥٠ تفسير .

(٦) تفسير الطبري ، الأثر ١٣٨٦٢ : ١٠٤/١٢ .

(٧) تفسير الطبري ، الأثر ١٣٨٦٣ : ١٠٤/١٢ ، ١٠٥ .

(٨) تفسير الطبري ، الأثر ١٣٨٦٤ : ١٣٨٦٥ : ١٠٥/١٢ .

(٩) تفسير الطبري ، الأثر ١٣٨٦٩ : ١٠٥/١٢ .

وقال ابن المبارك ، عن ابن جريج (ضيقا حرجا) : بلا إله إلا الله ، حتى لا نستطيع أن ندخله ، كأنما يصعد في السماء من شدة ذلك عليه (١) .

وقال سعيد بن جبير : يجعل صدره (ضيقا حرجا) ، قال : لا يجد فيه سلكا إلا صعدا (٢) .

وقال السدي : (كأنما يصعد في السماء) من ضيق صدره (٣) .

وقال عطاء الخراساني : (كأنما يصعد في السماء) ، يقول : مثله كمثل الذي لا يستطيع أن يصعد في السماء (٤) .

وقال الحكم بن أبان عن عكرمة ، عن ابن عباس : (كأنما يصعد في السماء) ، يقول : فكما لا يستطيع ابن آدم أن يبلغ السماء ، فكذلك لا يستطيع أن يدخل التوحيد والإيمان قلبه ، حتى يدخله الله قلبه .

وقال الأوزاعي : (كأنما يصعد في السماء) ، كيف يستطيع من جعل الله صدره ضيقا أن يكون مسلما .

وقال الإمام أبو جعفر بن جرير : وهذا مثل ضربه الله لقلب هذا الكافر في شدة تضييقه إياه عن وصول الإيمان إليه يقول ، فلهذا في امتناعه من قبول الإيمان وضييقه عن وصوله إليه ، مثل (٥) امتناعه من الصعود إلى السماء وحجزه عنه ، لأنه ليس في وسعه وطاقته .

وقال في قوله : (كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون) ، يقول : كما يجعل الله صدر من أراد إضلاله ضيقا حرجا ، كذلك يسلط الله الشيطان عليه وعلى أمثاله ممن أتى الإيمان بالله ورسوله ، فيفوه ويصدده عن سبيل (٦) الله . قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس : الرجس : الشيطان . وقال مجاهد : الرجس : كل ما لا خير فيه . وقال عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم : الرجس : الشيطان (٧) .

وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١١٠﴾ مِمَّنْ دَارُ اللَّيْلِ عَنْهُمْ وَهُمْ
وَلَيْسَ بِمَعَاكَافٍ يُعْمَلُونَ ﴿١١١﴾

لما ذكر تعالى طريقة الضالين عن سبيله ، الصادقين عنها ، تبه على أشرف ما أُرسل به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الهدى ودين الحق ، فقال : (وهذا صراط ربك مستقيما) — منصوب على الحال ، أى : هذا الذين تذى شرعنا لك يا محمد بما أوحينا إليك

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٢٨٧٢ ، ١٢٨٧٥ : ١٠٦/١٢ : ١٠٩ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٣٨٦٨ : ١٠٥/١٢ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٣٨٧٧ : ١٠٩/١٢ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٣٨٧٣ : ١٠٩/١٢ .

(٥) فس الطبري ١٠٩/١٢ : ... في شدة تضييقه إياه عن وصوله إليه ، مثل امتناعه من الصعود وواضح أن فيه سقط نظر .

(٦) تفسير الطبري : ١١٠/١٢ . وفيه : « عن سبيل الحق » .

(٧) ينظر الآثار ١٢٨٧٨ — ١٣٨٨١ : ١١١/١٢ .

هذا القرآن ، هو صراط الله المستقيم ، كما تقدم في حديث الحارث عن علي في تحت القرآن : « هو صراط الله المستقيم ، وحبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم » : رواه أحمد والترمذي (١) .

(قد فعلنا الآيات) ، أي : وضعتها وبنيناها وفسرناها ، (تقوم بذكرونها) ، أي : لمن له فهم ووعي يقتل الله ورسوله .

(لم دار السلام) ، وهي : الجنة ، (عند ربهم) ، أي : يوم القيامة ، (وأعاصفت الله الجنة عاصفاً بدار السلام) ، لأنهم فيها صلوا من الصراط المستقيم ، لفتن أشر الأتقياء وطرائقهم ، فكما صلوا من أكفأ الاحوجيات أنصروا إلى طار السلام .

(وهو وليهم) ، أي : والسلام - وهو الله - وليهم ، أي حافظهم وناصرهم ومن لهم ، (بما كانوا يعملون) ، أي : جزاء أعمالهم الصالحة تولاها وأتاهم الجنة ، بمنته وكرمه .

وَيَوْمَ يُعْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَجْمَعُ إِلَيْهِ قَدْ اسْتَكْرَمُوا مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمِعْ بِغَضَائِنَا
بَعْضٌ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوًى لَكُمْ فَاصْبِرْ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١١﴾

يقول تعالى : واذكر يا محمد فيما قصه عليهم وتذكرهم به (يوم يعشرهم جميعاً) ، يعني الجن وأوليائهم (من الإنس) الذين كانوا يعملونهم في الدنيا ، ويعرفون بهم ويطيعونهم ، ويوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول فروروا . (يا معشر الجن قد استكرتم من الإنس) ، أي : ثم يقول : يا معشر الجن . وسياق الكلام يدل على المخلوف .

ومعنى قوله : (قد استكرتم من الإنس) ، أي : من إضلالهم وإغوائهم ، كما قال : (لم أعهدهم إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين . وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم . ولقد أضل منكم جبلاً كثيراً أفلم تكونوا تعقلون) (٢) . وقال تعالى في أبي طلحة ، عن ابن عباس : (يا معشر الجن ، قد استكرتم من الإنس) ، يعني : أضلتم منهم كثيراً (٣) . وكذلك قال مجاهد ، والحسن ، وقتادة .

(وقال أوليائهم من الإنس : ربنا ، استمع بعضنا بعضاً) ، يعني : أن أولياء الجن من الإنس قالوا عجبين لله تعالى عن ذلك جداً .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو الأشهب عوف بن خليفة ، حدثنا عوف ، عن الحسن في هذه الآية قال : استكر ربكم أهل النار يوم القيامة ، فقال أوليائهم من الإنس : ربنا استمع بعضنا بعضاً . قال الحسن : وما كان استماع بعضهم بعضاً إلا أن الجن أمرت ، وعلمت الإنس .

(١) ينظر فيما تقدم : ٧٣/٧ منه تفسير الآية ١٠٣ من سورة آل عمران . والحديث أخرجه الترمذي في أبواب فضائل القرآن ، باب ما جاء في فضل القرآن . ينظر تحفة الأوسى : ٢١٨/٨ - ٢٢١ ، وقال الترمذي : « هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حزة الزيات ، وإسناده جهول » ، وفي حديث الحارث مقال : « ولم نجد في مسند الإمام أحمد ، وقال الملقط أبو المصلح تحفة الأوسى : « وأخرجه الترمذي » .

(٢) سورة يس ، آية : ٦٥ - ٦٧ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٢٨٨ : ١١٥/١٢ .

وقال محمد بن كعب في قوله : (وبتا استمتع بعضنا ببعض) ، قال : الصحابة في الدنيا .

وقال ابن جريج : كان الرجل في الجاهلية يترك الأرض ، فيقول : « أعوذ بكبر هذا الوادي » ، فلذلك استمتعهم ، فاحتلوا ويرم القبيصة (١) .

وأما استمتاع الجن بالإنس فإنه كان — فيما ذكر — ما يتال الجن من الإنس من تعذيبهم لإيham في استعذابهم ، فيقولون : قد سدا الإنس والجن .

(ويلتنا أجناتا الذي أجهت لنا) قال السدي : أي للموت .

قال : (النار متواكمت) ، أي : متواكمت ومتزكمت أنتم وأوليائكم : (خالئين فيها) ، أي : ما كثير مكث (٢) غللا إلا ما شاء الله .

قال بعضهم : يرجع معنى الاستمتاع إلى البرزخ : وقال بعضهم : هللارد إلى ملك الدنيا : وقيل غير ذلك من الأقوال التي سيأتي تقريرها عند قوله تعالى في سورة هود : (خالئين فيها ما خات السوات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد) (٣) .

وقد روى ابن جرير وابن أبي حاتم في تفسير هذه الآية من طريق عبد الله بن صالح — كاتب الليث — : حدثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قال : (النار متواكمت خالئين فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم) ، قال : إن هذه الآية : آية لا ينبغي لأحد أن يحكم على الله في خلقه ، لا يترلم جنة ولا نارا (٤) .

وَكَذَلِكَ نَقُولُ بَعْضُ الظَّالِمِينَ بَعْضًا عَمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٥﴾

قال سعيد ، عن قتادة في تفسيرها : إنما يولى الله الناس بأعمالهم ، فالؤمن يولى المؤمنين أين كان وحيث كان ، والكافر يولى الكافر أينما كان وحيثما كان . ليس الإيمان بالتمنى ولا بالقول (٥) .

واختاره ابن جرير (٦) .

وقال معمر ، عن قتادة في تفسيرها : (نولي بعض الظالمين بعضا) ، في النار ، يجمع بعضهم بعضا (٧) .

(١) إلى هنا يقتضى أثر ابن جريج ، وهو الأثر رقم ١٣٨٩٠ من تفسير الطبري : ١١٦/١٢ . وما بعده وهو قوله : « وأما استمتاع ... إل آخر النص » فهو من كلام ابن جرير الطبري ، والنتج لسياك تفسيره يرى أنه من كلامه حقا .

(٢) في خطوطة الأثر ، ودار الكتب ١٥٠ تفسير : « ما كين غللا » . وأجبتا ما في الطبقات السابقة .

(٣) آية : ١٠٧ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٣٨٩٢ : ١١٨/١٢ .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر ١٣٨٩٢ : ١١٩/١٢ .

(٦) المرجع السابق : ١٢٠/١٢ .

(٧) المرجع نفسه ، الأثر ١٣٨٩٤ : ١١٩/١٢ .

وقال مالك بن دينار : قرأت في الزبور : إني ألتصم من المنافقين بالناقين ، ثم انتقم من المنافقين جميعا ، وذلك في كتاب الله قوله تعالى : (وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا) .

(وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله : (وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا) ، قال : ظالمى الجبن وظالمى الإنس ، وقرأ : (ومن يش من ذكر الرحمن تقيض له شيطاناً فهو له قرين) (١) ، قال : ونسلط ظلمة الجبن على ظلمة الإنس (٢) .

وقد روى الحافظ ابن حساكر في ترجمة عبد الباقى بن أحمد ، من طريق معبد بن عبد الجبار الكرابسى ، من حماد بن سلمة ، عن حاصم ، عن زر ، عن ابن مسعود مرفوعا : « من أعان ظالما سلط الله عليه » .

وهذا حديث قريب ، وقال بعض الشعراء :

وما من يد إلا يد الله فوقها • ولا ظلم إلا سيّلى بظلم

ومعنى الآية للكرامة : كما ولينا هؤلاء الشاكرين من الإنس تلك الطائفة التى أعوتهم من الجبن ، كذلك فعل بالطالبي ، نسلط بعضهم على بعض ، ونهالت بعضهم بعض ، وننتقم من بعضهم بعض ، جزاء على ظلمهم وبنيهم .

يَمْشُرُ الْبَيْنَ وَالْإِنْسَ الْوَلِيَّاتُكَ رَسُلُكَ يَفْصَحُونَ عَلَيْكَ ءَايَتِي وَيَلْوُدُونَكَ لِقَاءَ يَوْمِكَ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَفَرَّغَتْ أَلْسِنُهُمْ الدُّنْيَا وَيَشْهَدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١١٥﴾

وهذا أيضا مما يُفَرِّجُ الله به سبحانه وتعالى كافرى الجبن والإنس يوم القيامة ، حيث يسلم - وهو أعلم - : هل بلغتهم الرسل رسالاته ؟ وهذا استعظامٌ تقرير : (يا مشر الجبن والإنس ، ألم يأتكم رسل منكم) ، أى : من جملتكم . والرسل من الإنس قط ، وليس من الجبن رسل ، كما نص على ذلك مجاهد ، وابن جريج وغير واحد من الأئمة ، من السلف والخلف .

وقال ابن عباس : الرسل من بنى آدم ، ومن الجبن نذُر .

وحكى ابن جرير ، عن الضحاك بن مزاحم : أنه زعم أن فى الجبن رسلا ، واحتج بهذه الآية الكريمة وفى الاستدلال بها على ذلك نظر ، لأنها عتملة وليست بصريحة ، وهى - والله أعلم - كقوله : (مرج البحرين يلتقيان ، بينهما برزخ)

(١) سورة الزخرف : آية : ٣٦ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٣٨٩٥ : ١١٩/١٢ .

لا يبينان (١) إلى أن قال: (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان (٢))، ومعلوم أن اللؤلؤ والمرجان إنما يستخرج من اللبح لا من الخلو. وهذا واضح، وقد نص على هذا الجواب بيته ابن جرير (٣).

والدليل على أن الرسل إنما هم من الإنس قوله تعالى: (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده) إلى أن قال: (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة (٤))، وقال تعالى عن إبراهيم: (وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب (٥)) - فحصر النبوة والكتاب بعد إبراهيم في ذريته، ولم يقل أحد من الناس: إن النبوة كانت في الجن قبل إبراهيم الخليل، ثم انقطعت عنهم بعثته. وقال تعالى: (وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق (٦))، وقال: (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم من أهل القرى (٧))، ومعلوم أن الجن تبع للإنس في هذا الباب، ولهذا قال تعالى إنذاراً عنهم: (وإن صرفنا إليك قرأ من أهل الجن يستمعون قرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين. قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أوَّل من بعد موسى مصداقاً لما به يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم. يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به فيفر لكم من قلوبكم ويجرمكم من عذاب أليم. ومن لا يجيب داعي الله فليس حسبي في الأرض وليس له من دونه أولياء، أولئك في ضلال مبين (٨)).

وقد جاء في الحديث - الذي رواه الترمذي وغيره - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا عليهم سورة الرحمن (٩)، وفيها قوله تعالى: (ستفرح لكم آيات الضلالين. فيأى آلاء ربكما تكليمان).

وقال تعالى في هذه الآية الكريمة: (يا معشر الجن والإنس، لِمَ يأتكم رسل منكم يقولون عليكم آياتي ويلذونكم لقاء يومكم هذا؟ قالوا: شهدنا على أنفسنا)، أي: أقررتنا أن الرسل قد أتونا برسالاتك، وأنذرنا لقاءك، وأن هذا اليوم كائن لا محالة.

(١) سورة الرحمن، الآيات ١٩، ٢٠. ونص بخطوط الأظهر ودار الكتب ١٥٠ تفسير: (مزج البحرين والقطبان)

أي: والخلو بينهما يبرز لا يبينان).

رجح المفسر كما ترى عدم إرسال اللؤلؤ سبحانه رسلاً من الجن ورسائل نصهم وجهة نظره حجة أدلة بعضها من الكتاب وبعضها من السنة غير أنها ليست قاطعة في تأييد ما يراه ومن ذلك قوله إن هذه الآية كقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان لأن معناها يخرج من أحدهما لأن اللؤلؤ لا يخرج إلا من الماء للبح.

(٢) سورة الرحمن، آية: ٢٢.

(٣) تفسير الطبري: ١٢١/١٢.

(٤) سورة النساء، آية: ١٦٣ / ١٦٥.

(٥) سورة المتكويث، آية: ٢٧.

(٦) سورة الفرقان، آية: ٢٠.

(٧) سورة يوسف، آية: ١٠٩.

(٨) سورة الأحقاف، الآيات: ٢٩ - ٣٢.

(٩) الترمذي، أبواب التفسير، تفسير سورة الرحمن. ينظر تحفة الأحرف: ١٧٧/٩.

قال تعالى : (وحرّمهم الحياة الدنيا) ، أى : وقد قرطوا في حياتهم الدنيا [وملكوا بكلّ شيء الرسل ، وعالفتهم المعجزات ، لما اغتروا به من زخرف الحياة الدنيا] وزيتها وشهواتها ، (وشهدوا على أنفسهم) ، أى : يوم القيامة (أنهم كانوا كافرين) ، أى : في الدنيا ، بما جاءهم به الرسل ، صلوات الله وسلامه عليهم .

فَإِنَّكَ أَنْ لَا يَكُنْ رِبِّكَ مَهْلِكُ الْقَرْنِ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴿١١﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ عَمَلٌ وَمَا يَكُنْ مِنْكُمْ

يقول تعالى : (ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم أهلها غافلون) ، أى : إنما أعدنا إلى الضلال بإرسال الرسل وإزال الكتب ، لتلا مقابله أحد بظلمه وهو لم تبطله دعوة ، ولكن أعفونا إلى الأمم ، وما علمنا أحدا إلا بعد إرسال الرسل إليهم ، كما قال تعالى : (وإن من أمة إلا خلا فيها نذير (١)) ، وقال تعالى : (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت (٢)) ، وقال تعالى : (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا (٣)) ، وقال تعالى : (كلما أتى فيها فجر سلم عزتها لم يأتكم نذير . قالوا : بلى ، قد جاءنا نذير فكذبنا (٤)) والآيات في هذا كثيرة . وقال الإمام أبو جعفر بن جرير : ويشتمل قوله تعالى (بظلم) وجهين :

أحدهما : ذلك من أجل أن ربك مهلك القرى بظلم أهلها بالشرك ونحوه ، وهم غافلون ، يقول : لم يكن بمواجههم بالعقوبة حتى يبعث إليهم من ينبيههم على حبيح الله عليهم ، وينلهم عذاب الله يوم معادهم ، ولم يكن بالذى يواضعهم خفة يقولوا : (ما جاءنا من نذير ولا نكير) .

والوجه الثاني أن (ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم) ، يقول : لم يكن ليهلكهم دون التنبيه والتذكير بالرسل والآيات والبر ، فيظلمهم بذلك ، والله خير ظلام لبيده (٥) . ثم شرع يرجع الوجه الأول ، ولا شك أنه أقوى ، والله أعلم .

وقال : وقوله : (ولكل درجات ما عملوا) ، أى : ولكل عامل في طاعة الله أو معصيته منازل ومراتب من عمله يلقه الله إيادها ، ويبيحها ، إن خيرا أو غير ، وإن شرا خسر (٦) .

قلت : ويحتمل أن يعود قوله : (ولكل درجات ما عملوا) من كافرى الجن والإنس ، أى : ولكل درجة في النار حسبها ، كتوله : (قال : لكل ضعف (٧)) ، وقوله : (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون (٨)) .

(١) سورة فاطر : آية : ٢٤ . وفي المصطوفة : « وإن من قرية » ، وليست آية .

(٢) سورة النمل : آية : ٣٦ .

(٣) سورة الإسراء : آية : ١٥ .

(٤) سورة الملك : آية : ٨ ، ٩ .

(٥) تفسير الطبري : ١٢ / ١٢٤ .

(٦) المصدر السابق : ١٢ / ١٢٥ .

(٧) سورة الأعراف : آية : ٣٨ .

(٨) سورة النمل : آية : ٨٨ .

(وما ربك بغافل عما يعملون) ، قال ابن جرير : أى وكل ذلك من عملهم ، يا محمد ، يعلم من ربك . عسيها ويذهبها لم عمله ، ليجازيهم عليها عند لقائهم إياه ومعادهم إليه .

وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُهْلِكْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنتُمْ مِنَ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ ﴿١١﴾
إِنْ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ يَنْقُومُ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِلَى عَامِلٍ قَسُوفَ تَعْلَمُونَ مَنْ
تَكُونُ لَهُمْ حِجَابٌ فَأَبْرَأَهُ لَبِئْسَ خَلْقَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٣﴾

يقول : (وربك) يا محمد (الغنى) ، أى : من جميع خلقه من جميع الوجوه ، وهم الفقراء إليه في جميع أحوالهم ، (ذو الرحمة) ، أى : وهو مع ذلك رحيم بهم رءوف ، كما قال تعالى : (إن الله بالناس لرؤوف رحيم) (١) .

(إن يشأ يهلككم) ، أى : إذا خالفتم أمره (ويستخلف من بعدكم ما يشأ) : أى : قوما آخرين ، أى : يملكون بطلانهم ، (كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين) ، أى : هو قادر على ذلك ، سهل عليه ، يسر لديه ، كما أذهب القرون الأولى ولأى بالى بعدها ، كذلك هو قادر على إذهاب هؤلاء والإتيان بآخرين ، كما قال تعالى : (إن يشأ يهلككم أياً التامة ذوات آخرين وكان الله على ذلك قادراً) (٢) ، وقال تعالى : (يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنى الحميد . إن يشأ يهلككم ويأتى خلق جديد . وما ذلك على الله بعزيز) (٣) ، وقال تعالى : (والله الغنى وأنتم الفقراء ، وإن تولوا يسهل الله عليكم ثم لا يكثرنا لكم) .

وقال محمد بن إسحاق ، عن يعقوب بن حبة قال : سمعت أبا بن عثمان يقول في هذه الآية : (كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين) : القرية : الأصل ، والقرية : القتل .

وقوله تعالى : (إنما توعدون لآت ، وما أنتم بمعجزين) ، أى : أخبرهم أن الله يوعدون به من أمر المباد كائن لا محالة ، (وما أنتم بمعجزين) ، أى : لا تعجزون الله ، بل هو قادر على إعادتكم ، وإن صرتم تراباً رفاتاً وعظاماً هو قادر لا يعجزه شيء .

وقال ابن أبي حاتم في تفسيرها : حدثني أبى ، حدثنا محمد بن الحسن ، حدثنا محمد بن حمير ، عن أبى بكر ابن أبى مريم ، عن عطاء بن أبى رباح ، عن أبى سعيد الخدري ، رضى الله عنه ، عن أبى جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : يا باني آدم ، إن كنتم تعلمون فقد وأنفسكم من الموت . والذي نفسى بيده إنما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين .

وقوله تعالى : (قل : يا قوم ، أعملوا على مكانتكم إلى عامل فسوف تعلمون) هنا تهديد شديد ، ووعد أكيد ،
أى : استمروا على طريقكم واتحسبوا إن كنتم تعلمون أنكم على الهدى ، فأتا مستمر على طريقه ومنهجه ، كما قال تعالى : (ولعل الذين ، لا يؤمنون : أعملوا على مكانتكم إنا عاملون . وانتظروا إنا منتظرون) (٤) .

(١) سورة البقرة ، آية : ١٤٣ .

(٢) سورة النساء ، آية : ١٣٣ .

(٣) سورة إبراهيم ، آية : ١٥ - ١٧ .

(٤) سورة هود ، آية : ١٢١ ، ١٢٢ .

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : (على مكاتكم) ، أى : نأجيتكم (١) .
 (صوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار إنه لا يفلح الظالمون) ، أى : أن تكون لى أو لكم : وقد أنجز مواعده له صلوات الله عليه ، فإنه تعالى مكن له فى البلاد ، وحكمه فى توابعه غافقيه من المباد ، وضع له مكة ، وأظهره على من كلبه من قومه وعاداه ونواؤه ، واستقر أمره على سائر جزيرة العرب ، وكذلك اليمن والبحرين ، وكل ذلك فى حياته : ثم فصحت الأمصار والأقاليم والرساتيق (٢) بعد وفاته فى أيام خلفائه ، رضى الله عنهم أجمعين ، كما قال الله تعالى : (كتب الله لأحمر بن عيسى) (٣) ، وقال : (إنا لننصر رسلك ولقينا آمنا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد : يوم لا ينفع الظالمين منكرهم ولم العتة ولم سوء الدلى) (٤) : وقال تعالى : (ولقد كننا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون) (٥) ، وقال تعالى لإبغوا عن رسله : (فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين : ولنسكننكم الأرض من بعدهم ذلك لمن غاث مطاى وخافت) (٦) ، وقال تعالى : (وعد الله الذين آمنوا بكم وعملوا الصالحات ليستخلفن فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ، يعبدونى لا يشركون بى شيئا) (٧) الآية ، وقد فعل الله ذلك بهذه الأمة ، وله الحمد والملة أولا وآخرآ ، باطلا وظاهرا .

وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِثْلَ دِينِ آبَائِهِمُ الْمَثُورِينَ وَالْأَنْعَامِ نَمِيتًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ
 قَلًا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ فِيهِ فَوْزٌ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٢٩﴾

هذا ذم وتوبيخ من الله للمشركين الذين ابتدعوا بلعنا وكفروا وشركا ، وجعلوا لله جزءا من خلقه ، وهو خالق كل شيء سبحانه وتعالى عما يشركون ، ولهذا قال تعالى : (وجعلوا لله مما ذرأ ، أى : بما خلق وبرأ (من الحرت) ، أى : من الثروع والعمار (والأنعام نميتا) ، أى : جزءا وقسيا ، فقالوا : هذا لله بزعمهم ، وهذا لشركائنا) .
 وقوله : (فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم) ، قال علي بن أبي طلحة ، والعوف ، عن ابن عباس أنه قال فى تفسير هذه الآية : إن أعداء الله كانوا إذا حرتوا حربا ، أو كانت لهم ثمرة ، جعلوا لله من جزء ما للوثن جزءا ، فما كان من حرت أو ثمرة أو شيء من نصيب الأوثان حفظوه وأحسوه . وإن سقط منه شيء فبما سئسى لصمد رده إلى ما جعلوه للوثن . وإن سبهم للآله الذى جعلوه للوثن ، فسبى شيئا جعلوه لله جعلوا ذلك للوثن . وإن سقط شيء من الحرت والجرة إلى جعلوا لله ، فاخطط بالذى جعلوه للوثن ، قالوا هذا قير . ولم يردوه إلى ما جعلوه

(١) تفسير الطبرى ، الأثر ١٣٨٩٨ : ١٢٩/١٢ .

(٢) فرساتيق : القرى .

(٣) حورة المجادلة : آية : ٢١ .

(٤) سورة غافر : آية : ٥١ ، ٥٢ .

(٥) سورة الأنبياء : آية : ١٠٠ .

(٦) سورة ليريم : آية : ١٣ ، ١٤ .

(٧) سورة النور : آية : ٥٥ .

ق. وإن سبقهم لله الذي جعلوه لله ، فسبح ما سنّى القوثن ، تركوه القوثن ؛ وكانوا يحرمون من أموالهم البحيرة والسائبة والصيلة والحام ، فيجعلونه للأوثان ، ويزعمون أنهم يحرمونه لله ، فقال الله عز وجل : (وجعلوا لله مما خزا من الحرث والأنعام نصيباً) ... الآية (١) .

وهكذا قال مجاهد ، وقطادة ، والسلي ، وغير واحد .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في تفسيره : كل شيء جعلوه لله من ذبيح يلبحونه ، لا يأكلونه أبداً حتى يذكروا معه أسماء الآلة . وما كان للآلة لم يذكروا اسم الله معه ، وقرأ الآية حتى بلغ : (ساء ما يحكمون) (٢) .

أي : ساء ما يقسمون ، فإنهم أخذوا الأواني القسمة ، فإن الله تعالى هو رب كل شيء ومليكه وغناقه ، وله الملك ، وكل شيء له وفي تصرفه وتحت قدرته ومشيئته ، لا إله غيره ، ولا رب سواه .

ثم لما قسموا فيما زعموا لم يحفظوا القسمة التي هي فاسدة ، بل جاروا فيها ، كما قال تعالى : (ويجعلون لله البنات سبحانه ولم ما يشتهون) (٣) ، وقال تعالى : (وجعلوا له من عبادهم جزءاً إن الإنسان لكفور مبين) (٤) : وقال تعالى : (ألكم الذكر وله الأنثى . تلك إذا قسمة ضيزى) (٥) .

وَكُلَّكَ زَيْنَ لَكَبِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائُهُمْ لِيُرَدُّوهُمْ وَلِيلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٦﴾

يقول تعالى : وكما زينت الشياطين لولاء للمشركين أن جعلوا لله مما خزا من الحرث والأنعام نصيباً ، كللك زينوا لهم قتل أولادهم غشية الإملاق ، وولد البنات غشية العار .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : وكللك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم ، زينوا لهم قتل أولادهم (١) .

وقال مجاهد : شركائهم : شياطينهم ، بأمرهم أن يذبحوا أولادهم غشية العيلة (٢) .

وقال السدي : أمرتهم الشياطين أن يقتلوا البنات . ولما « ليردوهم » ، فيهلكهم ، ولما « ليلبسوا عليهم دينهم » ، فيخلطوا عليهم دينهم (٣) .

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٣٩٠١ : ١٣٣/١٢ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٣٩٠٧ : ١٣٤/١٢ .

(٣) سورة النحل ، آية : ٥٧ .

(٤) سورة الزخرف ، آية : ١٥ .

(٥) سورة النجم ، آية : ٢١ : ٢٢ .

(٦) تفسير الطبري ، الأثر ١٣٩٠٨ : ١٣٦/١٢ .

(٧) المصدر السابق ، الأثر ١٣٩٠٩ : ١٣٦/١٢ . والميلة : القفر .

(٨) المصدر السابق ، الأثر ١٣٩١٣ : ١٣٧/١٢ .

ونحو ذلك قال قتادة ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم .

وهذا كقوله تعالى : (وإذا بشر أحسم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم . يتوارى من القوم من سوء ما بشر به) (١) الآية وقال تعالى : (وإذا للمودة سلت . بأي ذنب قتلت) (٢) . وقد كانوا أيضاً يقتلون الأولاد من الإملاق ، وهو : القفر ، أو خشية الإملاق أن يحصل لهم في ثأني (٣) المال ، وقد نهام عن قتل أولادهم لذلك ، وإنما كان هذا كله من شرع الشيطان وتربيته لهم ذلك .

قال تعالى : (ولو شاعقه ماغلوه) ، أي : كل هذا واقع بحسبته تعالى وإرادته واختاره لذلك كرتا ، وله الحكمة الثابتة في ذلك ، فلا يسأل عما يفعل وهم يسألون . (فلهم وما يفترون) ، أي : فذهبهم واجتنبهم وما هم فيه ، فيسبحم الله بينك وبينهم .

وَقَالُوا هَلْ عَلَّمَهُ الْوَحْيُ وَحَرَّتْ حِجْرُ لَا يُطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِرِغْمِهِمْ وَأَنْعَمَ حَرَمَتْ ظُهُورُهَا وَالْعَنَمَ لَا يَذْكُرُونَ أَمَّهُمْ
اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَفْتَرَاءٌ عَلَيْهِمْ سَوَّيْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٥٨﴾

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « الحِجْرُ » الحرام ، مما حرّموا من الوصيلة ، وتحريم ما حرّموا (٤) ، وكل ذلك قال مجاهد ، والضحّاك ، والسدي ، وقتادة ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم . وقال قتادة : (وقالوا هذه أنعام وحرت حِجْر) ... الآية : تحريم كان عليهم من الشياطين لـ في أمولهم ، وتقليط وتشديد ، وكان ذلك من الشياطين [ولم يكن من الله تعالى] (٥) . وقال ابن زيد بن أسلم : « حِجْر » إنما احتجروها لأنفسهم (٦) .

وقال السدي : (لَا يُطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِرِغْمِهِمْ) ، يقولون : حرام أن نطعم إلا من شئنا (٧) . وهذه الآية الكريمة كقوله تعالى : (قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالاً ، قل : الله أذن لكم ؟ أم على الله تفترون) (٨) . وكقوله تعالى : (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ، ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكبرهم لا يفتنون) (٩) .

(١) سورة قنصل ، آية : ٥٨ ، ٥٩ .

(٢) سورة العنكبوت ، آية : ٨ ، ٩ .

(٣) كما في مخطوطة الأزهر ، ودار الكتب ، تفسير .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر : ١٣٩١٨ ، ١٢/١٢٣ .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر : ١٣٩٢٠ ، ١٢/١٢٣ .

(٦) تفسير الطبري ، الأثر : ١٣٩٢٢ ، ١٢/١٢٣ .

(٧) تفسير الطبري ، الأثر : ١٣٩٢١ ، ١٢/١٢٣ .

(٨) سورة يونس ، آية : ٥٩ .

(٩) سورة المائدة ، آية : ١٠٣ .

وقال السدى لما « أنعام حرمت ظهورها » ، ففى البحيرة والسائبة والحام - ولما « الأنعام التى لا يذكرون اسم الله عليها » ، قال : إذا أولدوها ، ولا إن تحرموها (١) .

وقال أبو بكر بن عياش ، عن حاتم بن أبى النجود قال لى أبو وائل : تدرى ما لى قوله : (وأنعام حرمت ظهورها ، وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها) ؟ قلت : لا . قال : هى البحيرة ، كانوا لا يحجون عليها (٢) .

وقال مجاهد : كان من إيلهم طائفة لا يذكرون اسم الله عليها فى شيء من فاتها ، لا إن ركبوا ، ولا إن حلبوا ، ولا إن حملوا ، ولا إن سموا ، ولا إن حملوا شيئا (٣) .

(انقرأ عليه) ، أى : حل الله ، وكلها منهم فى إسداهم ذلك إلى دين الله وشرعه ، فإنه لم يأذن لهم فى ذلك ولا رخصه منهم . (سيجزيم بما كانوا يفترون) : أى : عليه ، ويستندون إليه .

وَقَالُوا مَا لِيَ بَطُونَ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَبِغَيْرِ حَقٍّ وَلَا أَزْوَاجًا وَإِنْ يَكُنْ مِنْهُمْ فِيهِ شَرٌّ لَّكَ وَسَيُجْزَىٰ

قال أبو إسحاق السبى ، عن عبد الله بن أبى المذئيل ، عن ابن عباس : (وقالوا ما لى بطون هذه الأنعام خالصة للذين كفروا) ، فهو الذين ، كانوا يحرمونه على إناهم ، ويشربه ذكرائهم . وكانت الشاة إذا ولدت ولداً ذكرأ ذبحوه ، وكان للرجال دون النساء . وإن كانت أنثى تركت فلم تلد ، وإن كانت مئة فهم فيه شركاء . ففى الله عن ذلك (٤) . وكلها قال السدى .

وقال السدى : « البحيرة » : لا يأكل من لبنها إلا الرجال ، وإن بات منها شيء أكله الرجال والنساء (٥) : وكلها قال حكومة ، وفائدة ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم .

وقال مجاهد فى قوله : (وقالوا ما لى بطون هذه الأنعام خالصة للذين كفروا وبغى أزواجنا) ، قال : هى السائبة والبحيرة (٦) .

وقال أبو العالية ، ومجاهد ، وقادة : (سيجزيم وصفهم) ، أى : قولهم الكلاب فى ذلك (٧) - يعنى قوله تعالى :

(١) تفسير الطبرى ، الأثر ١٣٩٢٩ : ١٤٥/١٢ .

(٢) تفسير الطبرى ، الأثر ١٣٩٢٧ : ١٤٥/١٢ .

(٣) تفسير الطبرى ، الأثر ١٣٩٣٠ : ١٤٥/١٢ .

(٤) تفسير الطبرى ، الأثر ١٣٩٣٢ : ١٤٦/١٢ .

(٥) تفسير الطبرى ، الأثر ١٣٩٣٧ : ١٤٧/١٢ .

(٦) تفسير الطبرى ، الأثر ١٣٩٣٦ : ١٤٧/١٢ .

(٧) تفسير الطبرى ، الأثر ١٣٩٣٩ : ١٤٨/١٢ .

(٨) تفسير الطبرى ، الأثر ١٣٩٤٦ - ١٣٩٤٩ : ١٥٢/١٢ .

(ولا تقولوا : نعمت عليكم الكلب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكلب ، إن الذين يقتلون على الله الكلب لا يفلحون : متاح) (١) الآية .

إنه (حكيم) ، أي : في أفعاله وأقواله وشرعه [وقدره] ، (عليم) بأعمال عباده من خير وشر ، وسيجزئهم على ذلك أم الجراء .

قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١١٥﴾

يقول تعالى : قد خسر الذين قتلوا هذه الأنام في الدنيا والآخرة ، أما في الدنيا فحسروا أولادهم بقتلهم ، وخسروا عليهم في أموالهم ، فحرموا أشياء ابتاعوها من تلقاء أنفسهم — وأما في الآخرة فيصبرون إلى شر المنازل بكلهم على الله والقرآنهم ، كما قال تعالى : (إن الذين يقتلون على الله الكلب لا يفلحون . متاح في الدنيا لم إيتنا مرجعهم لم نلجهم فطلب الشبد بما كانوا يكفرون) (١٢) .

وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسير هذه الآية : حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم ، حدثنا محمد بن أيوب ، حدثنا عبد الرحمن بن المبارك ، حدثنا أبو حوارة ، عن أبي بشر عن سديد بن جبر ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : إذا مررتك أن تعلم جهل العرب فاعرف ما فرق الثلاثين والمائة من سورة الأنام ، (قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم ، وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين) .

وهكذا رواه البخاري منفرداً في كتاب مناقب قريش من صحيحه ، عن أبي الثمان محمد بن الفضل عارم ، عن أبي حوارة — واسمه الرضاح بن عبد الله اليشكري — عن أبي بشر — واسمه جعفر بن أبي وحشية بن إياس ، به (٢) .

وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْثَرُ وَالزَّيْتُونَ وَالرَّيْحَانُ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلًّا مِنْ ثَمَرَةٍ إِذَا تَأَمَّرُوا وَتَأَمَّرُوا حَقُّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١١٦﴾
وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمَلَةَ وَفَرَسًا كُلًّا إِذَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَتَمَرُّوا بِهِ لَا يَتَّبِعُوا عَظْمَ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكَرَّ عَدُوٍّ مِينٍ ﴿١١٧﴾

يقول تعالى بيانا لأنه الخالق لكل شيء ، من الزروع والثمار والأنعام التي تصرف فيها المشركون بأرائهم الفاسدة وقسموها وجزعوها ، فجعلوا منها حراما وحلالا ، قال : (وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات) .

(١) سورة النحل ، آية : ١١٦ ، ١١٧ .

(٢) سورة يونس ، آية : ٦٩ ، ٧٠ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب قصة غزاة : ٢٢٤/٤ .

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « معروشات » : مسدوكات : وفي رواية : « المعروشات » ، ما عرش الناس وغيره . « معروشات » ، ما خرج في البر والجبال من الثمرات (١) .

وقال عطاء الخراساني ، عن ابن عباس : « معروشات » ، ما عرش من الكرم - وغير معروشات » ، ما لم يعرشن من الكرم . وكلما قال السدي (٢) .

وقال ابن جريج : (متشابه وغير متشابه) ، قال : متشابه في المنظر ، وغير متشابه في الطعم (٣) .

وقال محمد بن كعب : (كلوا من ثمره إذا أثمر) ، قال : من وطئه وحبته (٤) .

وقوله تعالى : (وآتوا حقه يوم حصاده) ، قال ابن جريج : قال بعضهم : هي الزكاة المقرضة .

حدثنا عمرو ، حدثنا عبد الصمد ، حدثنا يزيد بن دهم قال : سمعت أنس بن مالك يقول : (وآتوا حقه يوم حصاده) ، قال : الزكاة المقرضة (٥) .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : (وآتوا حقه يوم حصاده) ، يعني : الزكاة المقرضة ، يوم يحاكم ويعلم كيله (٦) . وكلما قال سعيد بن المسيب .

وقال العوفي ، عن ابن عباس : (وآتوا حقه يوم حصاده) ، وذلك أن الرجل كان إذا زرع فكان يوم حصاده لم يخرج مما حصده شيئاً فقال الله : (وآتوا حقه يوم حصاده) ، وذلك أن يعلم ما كيله وحقه ، من كل عشرة واحدا وما يكتسب الناس من منible (٧) .

وقد روى الإمام أحمد وأبو داود في سننه من حديث محمد بن إسحاق : حدثني محمد بن يحيى بن حبان ، [عن عنه واسع بن حبان] ، عن جابر بن عبد الله . أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر من كل جاد (٨) عشرة أرسق من الفلح ، بقتل يلق في المسجد للمسكين (٩) .

وهذا إسناد . جيد قوى .

وقال طبرستان ، وأبو الشفاء ، وقادة ، والحسن ، والفضالك ، وابن جريج : هي الزكاة .

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٣٩٥٥ ، ١٣٩٥٦ ، ١٥٦/١٢ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٣٩٥٨ ، ١٥٦/١٢ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٣٩٥٩ ، ١٥٧/١٢ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٣٩٦٠ ، ١٥٧/١٢ .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر ١٣٩٦٢ ، ١٥٨/١٢ .

(٦) تفسير الطبري ، الأثر ١٣٩٧١ ، ١٥٩/١٢ .

(٧) تفسير الطبري ، الأثر ١٣٩٧٢ ، ١٥٩/١٢ ، ١٦٠ . وفي نفس الطبري مقطع نظر .

(٨) جاد : يعني اليهود : أي نخل جيد - أي يقطع منه - ما يبلغ عشرة أرسق . واقتضاه : مقنود النخل .

(٩) مسند أحمد : ٣/٣٥٩ ، ٣٦٠ . وسنن أبي داود : كتاب الزكاة ، باب في حقوق المال ، الحديث ١٦٦٢ .

وقال الحسن البصري : هي الصدقة من الحب والثمار : وكلما قال ابن زيد بن أسلم .

وقال آخرون : هو حق أكثر سوى الزكاة .

وقال أشعث ، عن محمد بن سيرين ، ونافع عن ابن عمر في قوله : (وأتوا حقه يوم حصاده) ، قال : كانوا يطولون شيئاً سوى الزكاة . رواه ابن مردويه .

وروى عبد الله بن المبارك وغيره ، عن عبد الملك بن أبي سليمان ، عن عطاء بن أبي رباح في قوله : (وأتوا حقه يوم حصاده) ، قال : يطى من حصره يومئذ ما تيسر ، وليس بالزكاة (١) .

وقال مجاهد : إذا حفر لك المسكين ، طرحت لم منه (٢) .

وقال عبد الرزاق ، عن ابن عينة ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وأتوا حقه يوم حصاده) ، قال : عند الزوج يطى القبض ، وعند الصرام يطى القبض ، ويركهم فيبعون آثار الصرام (٣) .

وقال الثوري ، عن حماد ، عن إبراهيم قال : يطى مثل الضفت (٤) .

وقال ابن المبارك ، عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير (وأتوا حقه يوم حصاده) ، قال : كان هذا قبل الزكاة : للمساكين ، القبضة الضفت لطف دابته (٥) .

وفي حديث ابن أبي ليثة ، عن حجاج ، عن أبي الجهم ، عن سعيد مرفوعاً (٦) : (وأتوا حقه يوم حصاده) ، قال : ما سقط من السيل . رواه ابن مردويه .

وقال آخرون : هلكه شيء كان واجباً ، ثم نسخ الله بالمشر ونصف المشر : حكاه ابن جرير عن ابن عباس ، وعبد بن الحنفية ، وإبراهيم التيمي ، والحسن ، والسدي ، وصطية الوقي . واختاره ابن جرير رحمه الله (٧) .

قلت : وفي نسبة هذا نسخاً نظير ، لأنه قد كان شيئاً واجباً في الأصل ، ثم إنه فصل بيانه وبين مقلد الفرج وكيفية . قالوا : وكان هذا في السنة الثانية من الهجرة ، فافقه أعلم .

وقد ذم الله سبحانه الذين يصرمون ولا يتصدقون ، كما ذكر عن أصحاب الجنة في سورة ن : (إذ ألقموا ليعصرمتها مصبحين ولا يستنون . فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون . فأصبحت كالصريم) ، أي : كالليل للمصيرم . فنادوا مصبحين . أن اغدوا على حرككم إن كنتم صارمين . فانطلقوا وهم يتخافتون . أن لا يدخلوها اليوم عليكم مسكين . وغدا على حرد) ، أي : قوة وجلد وحمة (قافرين . فلما رأوها قالوا إنا لضالون بل نحن محرومون . قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون . قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين . فأقبل بعضهم على بعض يتلومون .

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٣٩٨٩ : ١٦٢/١٢ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٣٩٩٢ : ١٦٢/١٢ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٠١٩ : ١٦٨/١٢ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٠٠٦ : ١٦٥/١٢ .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٠١٧ : ١٦٧/١٢ .

(٦) مريد بن الحبيب ، يروي عن أبو الجهم للرازي . ينظر التلخيص : ٢٦٩/١٢ .

(٧) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٨/١٢ : ١٧٠ .

قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغُوتٌ ۖ هَٰؤُلَاءِ نَبِيُّنَا أَنَّهُ كَانَ يُنَادِيهِمْ أَصْحَابَ الْمَدِينَةِ ۚ لَئِنْ لَمْ يَرْجِعْ فِيكُمْ رَسُولُنَا لَكُنَّا عَنْ يَدَيْهِمْ أَهْلَ لَهْوٍ ۚ وَالْجِبَالُ سَوَاءٌ ۚ

وقوله : (ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين) ، قيل : معناه : ولا تسرفوا في الإحطاء ، فتحلوا فوق المعروف . وقال أبو العالية : كانوا يهلون يوم الحصاد شيئاً ، ثم تبلوا فيه وأسرفوا ، فأنزل الله : (ولا تسرفوا) (٢) . وقال ابن جرير : نزلت في ثابت بن قيس بن شماس ، جد غنلا . قال : لا يأتيني اليوم أحد إلا أطمعته : فأطمع ، حتى أسمى ، وليست له ثمرة ، فأنزل الله : (ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين) (٣) . رواه ابن جرير ، عنه .

وقال ابن جرير ، عن عطاه : ينهى عن السرف في كل شيء (٤) .

وقال ياس بن معاوية : ما جاوزت به أمر الله فهو سرف (٥) .

وقال السدي في قوله : (ولا تسرفوا) ، قال : لا تسرفوا أموالكم ، فقلعوا قراء (٦) .

وقال سعيد بن المسيب ، ومحمد بن كعب ، في قوله : (ولا تسرفوا) ، قال : لا تمسوا الصدقة بضمها (٧) .

ثم اختار ابن جرير قول عطاه : إنه تنهى عن الإسراف في كل شيء : ولأنك أنه صحيح ، لكن الظاهر - والله أعلم - من سياق الآية حيث قال تعالى : (كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا) لأن يكون حالاً إلى الأكل ، أي : ولا تسرفوا في الأكل لما فيه من مفسدة الضل والبلد ، كما قال تعالى : (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا) (٨) الآية . وفي صحيح البخاري تعليقاً : « كلوا واشربوا [والبسوا وتصدقوا] في غير إسراف ولا حيلة » (٩) . وهذا من هذا ، والله أعلم .

وقوله : (ومن الأمم حمولة وفرشاً) ، أي : ولأننا لكم من الأمم ما هو حمولة وما هو فرش ، قيل : للراد بالحمولة ما يجعل عليه من الإبل ، والفرش الصخر منها . كما قال الثوري ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله في قوله : (حمولة) : ما حمل عليه من الإبل ، (فرشاً) وقال : الصخر من الإبل .

رواه الحاشم ، وقال : صحيح ، ولم يخرجاه (١٠) .

وقال ابن عباس : الحمولة هي الكبار ، والفرش الصخر من الإبل (١١) وكلما قال مجاهد .

(١) سورة هـ : ٥٥ ، الآية : ١٧ - ٢٣ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٠٣٨ : ١٧٤/١٢ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٠٤٠ : ١٧٤/١٢ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٠٤١ : ١٧٤/١٢ .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٠٤٢ : ١٧٣/١٢ ، ١٧٤ ، وتص ابن جرير ، « أطاف الناس بإياس بن معاوية بالكوفة ، فأنابوه : ما السرف ؟ قال : ما حوّل أمر الله فهو سرف » .

(٦) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٠٤٣ : ١٧٥/١٢ ، ونصه : « فقلعوا قراء » .

(٧) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٠٤٤ : ١٧٥/١٢ .

(٨) سورة الأعراف ، آية : ٣١ .

(٩) صحيح البخاري ، كتاب الباس ، باب قول الله تعالى : « قل من سرهم زينة الله التي أخرج لعباده : ١٨٢/٧ .

وقد أخرجه ابن ماجه في كتاب الباس ، باب الباس ما شئت ، ما أغناك سرف أو حيلة ، الحديث ٣٦٠٥ : ١١٩٢/٧ .

وكذلك الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله بن عمرو : ١٨١/٢ ، ١٨٢ .

(١٠) المستدرج ، تفسير سورة الأنعام : ٣١٧/٧ .

(١١) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٠٤٨ : ١٧٨/١٢ .

وقال حل بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : (ومن الأنعام حمولة وفرشا) فأما الحمولة فالإبل والميل والميل والخمير وكل شيء يحمل عليه ، وأما القرش (١) فالنم ، واختاره ابن جرير ، قال : وأحسبه إنما سمي قرشا لدنوه من الأرض (٢) .
وقال الربيع بن أنس ، والحسن ، والضحك ، وقتادة : الحمولة : الإبل والبقر ، والقرش : النم (٣) .
وقال السدي : أما الحمولة فالإبل ، وأما القرش فالقُصْلان والمجكجِيل والنم ؛ وما حمل عليه فهو حمولة (٤) .
وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : الحمولة ما تركبون ، والقرش ما تاكلون وتخلبون ، شاة لا تحمل ، تاكلون لحمها وتخلبون من صولها لحافا وفرشا (٥) .

وهذا الذي قاله عبد الرحمن في تفسير هذه الآية الكريمة حسن يشهد له قوله تعالى : (أولم يروا أنا خلقناهم مما حملت أيدينا أنعاما فهم لما مالكون • وحققناهم لم نفنأ ركوبهم ومنها يأكلون (٦) ، وقال تعالى : (وان لكم في الأنعام لعبرة نسفيكم ما في بطونهم من بين فرث ودم لئلا خالصا ساعنآ للشاربين) ، إلى أن قال : (ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين (٧)) ، وقال تعالى : (الله الذي جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون • ولكم فيها منافع ولتبلنوا عليها حاجبة في صدوركم وعليها وحلي فذلك يحملون • ويرىكم آياته فأي آيات الله تنكرون (٨) .

وقوله تعالى : (كلوا مما رزقكم الله) ، أي : من الثمر والزرع والأنعام ، فكلها خلقها الله وجعلها رزقا لكم ، (ولا تبغوا غلوات الشيطان) ، أي طرائقه ولوازمه ، كما اتبعها المشركون الذين حرموا ما رزقهم الله ، أي : من الثمار والزرع انقراء على الله ، (إنه لكم) ، أي : إن الشيطان - أيها الناس - لكم (عدو مبين) ، أي : يبين ظاهرا والباطن ، كما قال تعالى : (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير (٩) ، وقال تعالى : (يا أيها آدم ، لا يفتننك الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة يترغ عنهما لباسهما ليريهما سوءتهما (١٠) ... الآية) ، وقال تعالى : (اقتضوا دنياهن وأولادهن من دني ومن لكم عدو بين للظالمين بدلا (١١) . والآيات في هذا كثير في القرآن .

(١) المصدر السابق ، الأثر ١٤٠٠٨ : ١٢ / ١٨٠ .

(٢) لفظ ابن جرير ، كما في تفسيره ١٨١ / ١٢ : « وأحسبها صبيت بذلك تخيلا لما في استواء أثنائها ولطفها ، بالقرش من الأرض ، وهي الأرض المستوية التي يتوطلوها الناس » .

(٣) ينظر حله الآثار في تفسير الطبري : ١٨٠ / ١٢ : ١٨١ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٠٦٢ : ١٨٠ / ١٢ : ١٨١ . والمعاجيل : جمع عجول - بكسر الهمزة وفتح الجيم مشددة ، وسكون الواو - وهو : السجل ولد القير .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٠٦٥ : ١٨١ / ١٢ .

(٦) سورة يس : ٧١ : ٧٢ .

(٧) سورة النمل : الآيات ٦٦ / ٨٠ .

(٨) سورة طه : الآيات ٧٩ / ٨١ .

(٩) سورة طه : آية ٦ .

(١٠) سورة الأعراف : آية ٢٧ .

(١١) سورة الكهف : آية ٥٠ .

ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَمْعَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلَّذَاكِرِينَ حَرَّمَ أَمِ الْآثْنَيْنِ أَنَا أَشْمَلْتُ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْآثْنَيْنِ نَبْهَرِي يَعْلَمُ إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٠﴾ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلَّذَاكِرِينَ حَرَّمَ أَمِ الْآثْنَيْنِ أَنَا أَشْمَلْتُ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْآثْنَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْنَا اللَّهَ بِهَذَا لَعَنَ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ وَيُخْرِجَهُمْ عَنْ آيَاتِهِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾

وهذا بيان لجهل العرب قبل الإسلام فيما كانوا حرموا من الأنعام ، وجعلوها أجزاء وألوانا ؛ بحيرة ، وصالمة ، ووصيلة وحاما ، وغير ذلك من الأنواع التي ابتدعوها في الأنعام والزرورع والثمار ، فبين الله تعالى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات ، وأنه أنشأ من الأنعام حمولة وفرشا : ثم بين أصناف الأنعام إلى غنم وهو يياض وهو الضأن ، وسواد وهو المخر ، ذكره وأنثاه ، وإلى إبل ذكورها وإناثها ، وبقر كذلك . وأنه تعالى لم يحرم شيئا من ذلك ولا شيئا من أولادها ، بل كلها مخلوقة لئلا آدم ، أكلا ، وركوباً ، وحمولة ، وخبلا ، وغير ذلك من وجوه المنافع ، كما قال : « وأنزل لكم من الأنعام لعامة أزواج (١) ... الآية » .

وقوله : (لما أشملت عليه أرحام الأثنين) ، رد عليهم في قولهم : (ما في بطون هذه الأنعام عاصلة للذكورنا ونحرم على أزواجنا) :

وقوله : (ننبهوني يعلم إن كنتم صادقين) ، أي : أنبهوني من يقين : كيف حرم الله عليكم ما زعمتم تحريمه من البحيرة والصالمة والوصيلة والحام ونحو ذلك ؟ .

وقال القرني عن ابن عباس قوله : (ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المخر اثنين) لهله أربعة أزواج (ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين قُلْ آلَّذَاكِرِينَ حَرَّمَ أَمْ الْآثْنَيْنِ) ، يقول : لم أحرم شيئا من ذلك (ننبهوني يعلم إن كنتم صادقين) ، يقول : كله حلال (٢) :

وقوله : (أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا) ، تنهك بهم فيما ابتدعوه والترفه على الله ، من تحريم ما حرموه من ذلك ، (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس ويخسر علم) ، أي : لا أحد أظلم منه ، (إن الله لا يهدي القوم الظالمين) .

(١) سورة القمر ، آية : ٦ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٠٧٦ : ١٨٧/١٢ .

وأول من دخل في هذه الآية : عمرو بن لُحَيٍّ بن قَمَاحَة ، فإنه أول من [غر دين الكُفْيَاء ، وأول من] سبب السواب ، ووصل الوصلة ، وحمل الحامى ، كما ثبت ذلك في الصحيح (١) .

قُلْ لَا أُجَدِّقُ مَا أُوعِي إِلَىٰ عَمَلًا عَلَىٰ طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا أَنْ يَكُونَ حَيْثُ أَوْضَعُوا نَفْسَهُمْ خِزْيَةً لِّقَوْمٍ فَاسِيٍّ
أَوْ نَسَا أَهْلَ لَبِئْسَ أَهْلًا ۚ قُلْ أَصْطَفَيْتُمُ اللَّهَ لَا يَدْرِي قَوْلُهُمْ ۝ (١٤٦)

يقول تعالى كَرَّمَاهُ وَرَسُولَهُ وَنُحِمْهُ عَنْهُ غُلَّتْ أَلْيُهُ مِنْ دُخَانٍ (١) قَالَ فَوَلَاةُ الَّذِينَ حَرَمُوا مِنْ رِزْقِهِمْ إِنَّهُ مُنْزِلُ الْغَلَقِ ۝ ١ (لا أُجِدُ فَوْقَ أُولَئِكَ عَلَى عَرْسِهِ أَعْيُنُكُمْ وَأَلْفَافُهَا أَوَّاهٌ) ، أَيْ : أَكَلْ يَأْكُلُهُ : قِيلَ : مَنَاهُ : لَا أُجِدُ شَيْئًا مَحْرَمًا حَرَمًا سَوَى هَلَهُ : وَقِيلَ : مَنَاهُ : لَا أُجِدُ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ شَيْئًا حَرَمًا سَوَى هَلَهُ : فَعَلِ هَذَا يَكُونُ مَا وَرَدَ مِنَ التَّنْصِيحَاتِ بِعَدِّ هَذَا فِي سُورَةِ الْبَالَةِ (٢) ، وَفِي الْأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ ، رَافِعًا لِقَهْرِهِ هَذِهِ آيَةُ .

ومن الناس من يسمي ذلك نساءً، والأخرون من المتأخرين لا يسمونه نساءً، لأنه من باب رفع مباح الأصل، وأما علم .
ولأن العرف ، عن ابن عباس : (أو دماً مفروحاً) ، يني : للمهراق .

وقال حكيمنا في قوله: (أو جعاً مسفوفاً): لولا هذه الآية لاتبع الناس ما في المروق، كما تتبعه اليهود (٣).
وقال حماد، عن عمران بن حدير قال: سألت أبا مجلز عن الدم، وما يظلم من النعيم من الرأس، وعن
التندر يرى لها الحمرة، فقال: إنما نهى الله عن الدم للسفوح (٤).

وقال قتادة : حرم من الماء ما كان مسفوحاً ، فأما لجم خالطه دم فلا بأس به (٥) .

وقال ابن جرير : حدثنا المثنى ، حدثنا حجاج بن منهال ، حدثنا حماد ، عن يحيى بن سعيد ، عن القاسم ، عن عائشة : أنها كانت لا ترى يلحوم السياح بأماً ، والحمرة والدم يكونان حل القدر بأماً ، وقرأت هذه الآية (٦).

• **مکمل فریب** .

وقال الحنفى : حدثنا سفيان، حدثنا عمرو بن دينار قال : قلت لجابر بن عبد الله : إني أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم نهي عن لحوم الحمير الأملية زمن خيبر، فقال : قد كان يقول ذلك «الحكم» من عمرو» عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن أنى ذلك البحر - يعني ابن عباس - وقرأ : (قل لا أجد فيما أوحى إلي عسرًا) ... الآية .

(١) ينظر أيضا تقسيم : ٢٠٢/٣ - ٢٠٥ ، عند تفسير الآية رقم ١٠٣ من سورة المائدة ، وقد خرجنا الأحاديث هناك .

(٢) الآية رقم ٣ من سورة المائدة . ينتظر : ١١/٣ وما بعدها .

(٢) تفسير التحرير ، الأثر ١٤٠٨٢ : ١٩٣/١٢ .

(٤) تقرير الطبري، الأثر ١٤٠٨٦ : ١٩٢/١٢ .

(هـ) تقسيم الطاريء : الأثر ١١٠٨٧ : ١٩٣/١٢ .

(٦) تقويم الطرقي، الأثر ١١٠٩٠ : ١٩٤/١٢ .

وهكذا رواه البخاري عن علي بن الحسين ، عن سفيان ، به (١) . وأخرجه أبو داود من حديث ابن جريج ، عن عمرو بن دينار (٢) . ورواه الحاكم في مستدركه (٣) [مع أنه في صحيح البخاري ، كما رأيت .

وقال أبو بكر بن مردويه والحاكم في مستدركه [حدثنا محمد بن علي [بن] دُحَيْم (٤) ، حدثنا أحمد بن حازم ، حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين ، حدثنا محمد بن شريك ، عن عمرو بن دينار ، عن أبي الشثاء ، عن ابن عباس قال : كان أهل الجاهلية يأكلون أشياء ويركون أشياء فقلوا ، فبث الله نبيه وأنزل كتابه ، وأحل حلاله وحرم حرامه ، فما أحل فهو حلال ، وما حرم فهو حرام ، وما صكت عنه فهو عفو ، وتلا هذه الآية : (قل : لا أجد فيما أوحى إلي عرواً على طامع يطعمه) (٥) إلى آخر الآية .

وهذا لفظ ابن مردويه ، ورواه أبو داود منفرداً به ، عن محمد بن داود بن صحيح ، عن أبي نعيم (٦) ، به . وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حبان ، حدثنا أبو عوانة ، عن مالك بن حرب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : ماتت شاة لسودة بنت زمعة ، فقالت : يا رسول الله ، ماتت فلانة — تني الشاة — قال : فلم (٧) لا أخذتم مسكها ؟ (٨) قالت : تأخذ مسلكت شاة قد ماتت ؟ قال لما رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما قال الله : (قل لا أجد فيما أوحى إلي عرواً على طامع يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لم يختزير) ، وإنكم لا تعلمونه ، أن تلبثوه فتضعوا به . فأرسلت فسلخت مسكها فلبسته ، فاتخذت منه قرية ، حتى تخرقت عندها (٩) .

ورواه البخاري والسائي ، من حديث الشعبي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، عن (١٠) سودة بنت زمعة ، بذلك أو نحوه . وقال سعيد بن منصور : حدثنا عبد العزيز بن محمد ، عن عيسى بن نجيعة التزلي ، عن أبيه قال : كنت عند ابن عمر ، فسأله رجل عن أكل القنفذ ، فقرأ عليه : (قل لا أجد فيما أوحى إلي عرواً على طامع يطعمه) ... الآية . فقال شيخ عنده : سمعت أبا هريرة يقول : ذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « حبيطة من الخبائث . فقال ابن عمر : إن كان النبي صلى الله عليه وسلم قاله فهو كما قال .

(١) البخاري ، كتابه اللبائخ ، باب لحوم الحبر الإسيية : ١٢٤/٧ .

(٢) سنن أبي داود ، كتاب الأضمة ، باب في لحوم الحبر الأظمية : الحديث ٣٨٠٨ : ٣٥٦/٣ .

(٣) المستدرک ، تفسير سورة الأنعام : ٣١٧/٢ . وقال الحاكم : « هذا حديث صحيح حل شرط الشيخين » ولم يخرجاه بهذه الصيغة .

(٤) في المستدرک ، « حل بن محمد بن دسم » ، وهو خطأ . ينظر المعبر للنسائي : ٢٩٣/٢ ، وقد نص في مسند ابن مردويه حل الصواب ، ينظر : ٢٨٠/١ .

(٥) المستدرک ، كتاب الأضمة : ١١٥/٤ .

(٦) سنن أبي داود ، كتاب الأضمة ، باب ما لم يلاكر تحريمه ، الحديث ٣٨٠٠ : ٣٥٤/٣ .

(٧) في المسند : « قلوا أعلمتم ... » .

(٨) نص فخرج للحاكم في : ١٦١/١ ، ٣٥٩ : ١٦/٢ .

(٩) مسند أحمد : ٣٢٧/١ ، ٣٢٨ .

(١٠) البخاري ، كتاب الأيمان ، باب « إن حلف أن لا يشرب نبيذاً فدرج طلاه أو سكرأ أو صبرأ ... » : ١٧٤/٨ .

والسائي كتاب القرح والنجرة ، باب جلود البية : ١٧٣/٧ .

ورواه أبو داود ، عن أبي ثور ، عن سعيد بن منصور ، به (١) .
وقوله تعالى : (فمن اضطر غير باغ ولا عاد) ، أي : فمن اضطر إلى أكل شيء مما حُرِّم في هذه الآية الكريمة ، وهو غير متلبس ببغى ولا عدوان ، (فإن ريك فتور وحي) ، أي : فتور له ، وحيه به .
وقد تقدم تفسير هذه الآية في سورة البقرة بما فيه كفاية (٢) .

والقصد من سياق هذه الآية الكريمة الرد على المشركين الذين ابتدعوا ما ابتدعوه ، من تحريم المحرمات على أنفسهم بآرائهم الفاسدة من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ونحو ذلك ، فأمر رسوله أن يخبرهم أنه لا يجد فيها أوجاه الله إليه أن ذلك محرم ، وإنما حُرِّم ما ذكر في الآية ، من الميتة ، والدم المسفوح ، ولحم الخنزير ، وما أهل لئبر الله به : وما هذا ذلك فلم يحرم ، وإنما هو عفو مسكوت عنه ، فكيف تزعمون أنه حرام ، ومن أين حرمتوه ولم يحرمه ؟ وهل هذا فلا يبقى تحريم أشياء آخر فيها بعد هذا ، كما جاء انتهى عن لحوم الحمر ولحوم السباع ، وكل ذي غلب من الطير ، هل المشهور من مذاهب العلماء ؟

وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِظُفْرِ ذَلِكَ حَرَّمْنَاهُمْ يَتَّبِعُونَ وَإِنَّا لَاصِدِّقُونَ ﴿١١﴾

قال ابن جرير : يقول تعالى : وحرمت على اليهود (كل ذي ظفر) ، وهو [من] البهائم والطير ما لم يكن مشقوق الأصابع ، كالإبل والنعام والإوز والبط (٣) .

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : (وحل الذين هادوا حرمتا كل ذي ظفر) ، وهو البعير والنعامة (٤) ، وكلما قال مجاهد ، والسدى في رواية .

وقال سعيد بن جبير : هو الذي ليس بمفترج الأصابع - وفي رواية عنه : كل شيء مشقوق الأصابع ، ومنه الدبك (٥) .
وقال قتادة في قوله : (وحل الذين هادوا حرمتا كل ذي ظفر) . وكان يقال : البعير والنعامة وأشياء (٦) من الطير والحيتان - وفي رواية : البعير والنعامة ، وحرم عليهم من الطير اللبذ وشبهه ، وكل شيء ليس بمشقوق الأصابع (٧) .

(١) سنن أبي داود ، كتاب الأطعمة ، باب الأطعمة ، باب في أكل حشرات الأرض ، الحديث ٣٧٩٩ : ٣٧٤٤/٢ . وأخرجه الإمام أحمد في مسند أبي هريرة : ٣٨١/٢ بهذا الإسناد عن سعيد بن منصور .

(٢) وذلك عند الآية رقم ١٧٣ : ٢٩٤/١ .

(٣) تفسير الطبري ، ١ : ١٩٨/١٢ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٠٩٢ : ١٩٨/١٢ .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٠٩٤ : ١٤٠٩٥ : ١٩٨/١٢ .

(٦) في خطبته الأخر : وأشياء من الطير والحيتان . وللمتبع من تفسير الطبري .

(٧) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٠٩٨ : ١٩٩/١٢ .

وقال ابن جريج ، عن مجاهد : (كل ذى ظفر) ، قال : النعامة والبعير ، شقا شقا : قلت لقاسم بن أبى بزة وحديثه : ما شقا شقا : قال : كل ما لا يخرج من قوائم البهائم . قال : وما انتزع أكلته [اليهود] قال : انتزعت قوائم البهائم (١) والعصافير . قال : يهود تأكلها . قال : ولم تنزع قائمة البعير ، خفه ، ولا خف النعامة ولا قائمة الرز (٢) ، فلا تأكل اليهود الإبل ولا النعام ولا الرز ، ولا كل شيء لم تنزع قائمته ، ولا تأكل خمار وحش (٣) .
وقوله : (ومن البقر والغنم حرمتا عليهم شحومهما) ، قال السدى : التَّرب (٤) وشحم الكليتين . وكانت اليهود تقول : إنه حرمه إسرائيل ، فمن نحرمه (٥) . وكلما قال ابن زيد .

وقال قتادة : التَّرب وكل شحم كان كذلك ليس في حشم .

وقال حلى بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : (إلا ما حملت ظهورهما) : يعنى ما علق بالظهر من الشحوم (٦) .
وقال السدى وأبو صالح : الآية ، مما حملت ظهورهما (٧) .

وقوله : (أو الحوايا) ، قال الإمام أبو جعفر بن جرير : الحوايا جمع ، واحدا حاوية ، وحواية [وحوية] ، وهو ما تحوى من البطن فاجتمع واستدل ، وهى بنت الأبن ، وهى المباصر ، وتسمى المراضى ، وفيها الأمعاء .

قال : ومعنى الكلام : ومن البقر والغنم حرمتا عليهن شحومهما ، إلا ما حملت ظهورهما ، أو ما حملت الحوايا (٨) .
وقال حلى بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : أو الحوايا ، وهى للبهر (٩) .

وقال مجاهد : الحوايا البهر ، والمريض (١٠) ، وكلما قال سعيد بن جبير ، والفسطاك ، وقاتدة ، وأبو مالك ، والسدى .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : (الحوايا) : المراضى التى تكون فيها الأمعاء ، تكون وسطها ، وهى بنت الأبن ، وهى فى كلام العرب تدعى للمراضى (١١) .

وقوله تعالى : (أو ما انحطط بهنم) ، أى : وإلا ما انحطط من الشحوم بالنظام قد أحلتناه لهم .

(١) فى تفسير الطبرى : « السباع والعصافير » .

(٢) فى تفسير الطبرى : « ولا قائمة الوزين ، والوزين - ينح الروار ، وتشديد الزاى مكسورة - هى : الإوزة » .

(٣) تفسير الطبرى ، الأثر ١٤١٠١ : ١٤١٢/١٢ ، ٢٠٠ .

(٤) اقرب - ينح لسكون - : شحم رقيق ينح الكرش والأمعاء .

(٥) تفسير الطبرى ، الأثر ١٤١٠٥ : ١٤١٢/١٢ ، ٢٠٢ .

(٦) تفسير الطبرى ، الأثر ١٤١٠٧ : ١٢/١٢ ، ٢٠٢ .

(٧) تفسير الطبرى ، الأثر ١٤١٠٨ : ١٢/١٢ ، ٢٠٢ .

(٨) تفسير الطبرى : ١٢/١٢ ، ٢٠٢ .

(٩) تفسير الطبرى ، الأثر ١٤١٠٩ : ١٢/١٢ ، ٢٠٢ .

(١٠) تفسير الطبرى ، الأثر ١٤١١٠/١٤١١٢ : ١٢/١٢ ، ٢٠٢ .

(١١) تفسير الطبرى ، الأثر ١٤١١١ : ١٢/١٢ ، ٢٠٠ .

وقال ابن جرير : شحم الآية انحطط بالمصنّف (١) ، فهو حلال . وكل شيء في التوائم والجنب والرأس واليد وما انحطط بهنم ، فهو حلال (٢) ، ونحوه قال السدي :

وقوله تعالى : (فكل جزئهم بينهم) ، أي : هذا التصيق إنما فعلناه بهم وأجزأهم به ، مجازة لم على بينهم وخالفهم أوامرنا ، كما قال تعالى : (فظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم ، ووصلهم من سبيل الله كثيرا) ، وقوله : (وإنا لصادقون) ، أي : وإنا لصادقون فيما جازيناهم به .

وقال ابن جرير : وإنا لصادقون فيما أخبرناك به يا محمد من تحريمنا ذلك عليهم ، لا كما زعموا من أن إسرائيل هو الذي حرمه [على نفسه] (٣) والله أعلم :

وقال عبد الله بن عباس : بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن سمرة ^٤ باع خمرًا ، فقال : قاتل الله سمرة ! ألم يعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لعن الله اليهود ، حرمت عليهم الشحوم فجدلوا فيها فباعوها » (٤) . أخرجه من حديث سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن طلوس ، عن ابن عباس ، عن عمر ، به ^٥ . وقال الثبتي : حدثني يزيد بن أبي حبيب قال : قال عطاء بن أبي رباح : سمعت جابر بن عبد الله يقول : [سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول] : « إن الله ورسوله حرم بيع الخمر ولينة والأصنام . قيل : يا رسول الله ، أوليت شحوم الميتة ، فإنه يلحن بها الجلود ويطلق بها السفن ، ويستصيب (٥) بها الناس . قال : لا ، هو حرام . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك : قاتل الله اليهود ، إن الله لا حرم عليهم شحومها جسدها . ثم باعوه وأكلوا لحمه » (٦) :

رواه الجماعة من طرق ، عن يزيد بن أبي حبيب ، به ^٥ .

وقال الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قاتل الله اليهود ! حرمت عليهم الشحوم ، فباعوها وأكلوا لحمه » (٧) .

(١) المصنف : حط صلب القلب .

(٢) تفسير الطبري : الأثر ١٤١٢٢ : ٢٠٥/١٢ .

(٣) تفسير الطبري : ٢٠٦/١٢ .

(٤) مسلم ، كتاب البيوع ، باب تحريم بيع الخمر ولينة والخنزير والأصنام : ٤١/٥ . وقد ورد الحديث في البخاري في موضعين ، ولم يذكر لهما اسم سمرة . ينظر كتاب الأكلية ، باب ما ذكر عن إسرائيل : ٢٠٧/٤ ، وكتاب البيوع ، باب لا يذنب شحم الميتة ولا يباع ودكه : ١٠٧/٣ وجملوها : ألباؤها .

(٥) أي : يستصيبون بها .

(٦) مسلم ، كتاب البيوع ، باب تحريم بيع الخمر ولينة والخنزير والأصنام : ٤١/٥ . والبخاري ، كتاب البيوع ، باب بيع الميتة والأصنام : ١١٠/٣ . وأبو داود ، كتاب البيوع ، باب في ثمن الخمر ولينة ، الحديث ٣٤٨٦ : ٢٧٩/٣ ، ٢٨٠ . ونسقة الأحرشي : أبواب البيوع ، باب ما جاء في بيع جلود الميتة والأصنام ، الحديث ١٣١٥ : ٥٢١/٤ ، ٥٢٢ . والسنائي ، كتاب البيوع ، باب بيع الخنزير : ٣٠٩/٧ ، وكتاب الفروع والصبرة ، باب البهي من شحم الميتة : ١٧٧/٧ . وابن ماجه ، كتاب التجارات ، باب ما لا يخل بيمينه ، الحديث ٢١٦٧ : ٧٣٧/٢ . ومسنند أحمد : ٢٢٤/٣ : ٢٢٦ . (٧) البخاري ، كتاب البيوع ، باب لا يذنب شحم الميتة ولا يباع ودكه : ١٠٧/٣ ، ١٠٨ . والبيهقي رحمه الله في سننه : ٤٢٠/٤١ .

ورواه البخارى ومسلم جميعاً ، عن حذيان ، عن ابن المبارك ، عن يونس ، عن الزهري ، به .

وقال ابن مردويه : حدثنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم ، حدثنا إسماعيل بن إسحاق ، حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا وهيب ، حدثنا خالد الحذاء ، عن بركة ابن الوليد ، عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قاعداً غلظه للمقام ، فرفع يصره إلى السماء فقال : **لن الله اليهود - ثلاثاً -** إن الله حرم عليهم الشحوم ، فأعورها وأكلوا ثمنها : وإن الله لم يحرم على قوم أكل شيء إلا حرم عليهم لثمه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا علي بن حاصم ، أنبأنا خالد الحذاء ، عن بركة ابن الوليد^(١) ، أنبأنا ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعداً في المسجد مستقبل الحِجْر ، فنظر إلى السماء فضحك ، [ثم] قال : **لن الله اليهود** ، حرمت عليهم الشحوم فأعورها وأكلوا أنثامها ، وإن الله إذا حرم على قوم أكل شيء حرم عليهم لثمه^(٢) .

ورواه أبو داود ، من حديث خالد الحذاء^(٣) .

وقال الأعمش ، عن جامع بن شاذ ، عن كلثوم ، عن أسامة بن زيد قال : دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مريض نومه ، فوجدناه نائماً قد غلى وجهه يبرد عنقه ، فكشف عن وجهه وقال : **لن الله اليهود** يعرمون شحوم النعم ويأكلون أنثامها ، وفي رواية : **حرمت عليهم الشحوم فأعورها وأكلوا أنثامها** .

قُلْ إِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ رَسُولَكُمْ فَوَرِّثُوهُ وَرِثَةً وَلَا يَرِثُ بِأَسْمَاءٍ عَنِ الْقَوْمِ الْمَجْرِمِينَ ﴿١٥﴾

يقول تعالى : **إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ رَسُولَكُمْ فَوَرِّثُوهُ** من المشركين واليهود ومن شابههم ، قل : **(وَيْكُمُ فَوْرِثَةُ وَاسِعَةٍ)** وهذا ترغيب لم من ابتغاء رحمة الله الواسعة ، وإتياع رسوله^(١) ، **(وَلَا يَرِثُ بِأَسْمَاءٍ عَنِ الْقَوْمِ الْمَجْرِمِينَ)** ترهيب لم من مخالفتهم الرسول خاتم النبيين : وكثيراً ما يقرن الله تعالى بين الترغيب والترهيب في القرآن ، كما قال تعالى في آخر هذه السورة : **(إِنْ يَكُ رِجْسٍ سَرِيعٍ الْعِقَابُ)** ، وإنه لنفور رحيم^(٢) ، وقال : **(وَأَنْ يَكُ لِلْمُتَّقِينَ أَجْرٌ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ)** ، وإن ذلك للمنفعة للناس على ظلمهم وإن يرك لشديد العقاب^(٣) ، وقال تعالى : **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ الْمُزْجِرِينَ)** ، وقال : **(وَأَنْ يَكُ لِلْمُتَّقِينَ أَجْرٌ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ)** ، وإن ذلك للمنفعة للناس على ظلمهم وإن يرك لشديد العقاب^(٤) ، وقال : **(وَأَنْ يَكُ لِلْمُتَّقِينَ أَجْرٌ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ)** ، وإن ذلك للمنفعة للناس على ظلمهم وإن يرك لشديد العقاب^(٥) ، وقال : **(وَأَنْ يَكُ لِلْمُتَّقِينَ أَجْرٌ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ)** ، وإن ذلك للمنفعة للناس على ظلمهم وإن يرك لشديد العقاب^(٦) ، وقال : **(وَأَنْ يَكُ لِلْمُتَّقِينَ أَجْرٌ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ)** ، وإن ذلك للمنفعة للناس على ظلمهم وإن يرك لشديد العقاب^(٧) ، وقال : **(وَأَنْ يَكُ لِلْمُتَّقِينَ أَجْرٌ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ)** ، وإن ذلك للمنفعة للناس على ظلمهم وإن يرك لشديد العقاب^(٨) ، وقال : **(وَأَنْ يَكُ لِلْمُتَّقِينَ أَجْرٌ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ)** ، وإن ذلك للمنفعة للناس على ظلمهم وإن يرك لشديد العقاب^(٩) ، والآيات في هذا كثيرة جداً .

(١) في المتن : **عن أبي بركة** ، عن أبي الوليد . وهو خطأ ، فبركة هو أبو الوليد ، ينظر الجرح لابن أبي حاتم ، الترجمة ١٧١٨ : ٤٣٢/١ .

(٢) سنة الإمام أحمد : ٢٤٧/١ . ورواه الإمام أحمد من وجه آخر : ٢٩٢/١ ، ٣٢٢ .

(٣) سنن أبي داود ، كتاب البيوع ، باب في ثمن الخمر واللبنة : الحديث ٣٤٨٨ : ٢٨٠/٣ .

(٤) في خطبة الأثرم ودار الكتب ١٥ : تفسير : وإتياع رضوانه . والمثبت من البيانات كسابقة .

(٥) سورة الأنعام : آية : ١٦٥ .

(٦) سورة الفرقه : آية : ٦ .

(٧) سورة الحجر : آية : ٤٩ : ٥٠ .

(٨) سورة طه : آية : ٣ .

(٩) سورة البقرة : الآيات ١٢ - ١٤ .

سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ ۚ كَذَلِكَ كَلَّمَ الَّذِينَ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ سَمْعًا ذَاتًا بَاسًا ۚ قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ۚ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١﴾ قُلْ فِيهِ الْحِكْمَةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٢﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شَهِدَةٍ كُرِّ الْإِيمَانُ بِشِدَّةٍ أَنْ اللَّهُ حَرَّمَ هَذَا ۚ إِنْ شِئْتُمْ فَلَا تَسْجُدُوا لَهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ يَرِيبُكُمْ يَفْعَلُونَ ﴿٣﴾

هذه مناقرة ذكرها الله تعالى وشبهة تثبت بها المشركون في شركهم ونحريم ما حرموا ، فإن الله مطلع على ما هم فيه من الشرك والتحريم لما حرموه ، وهو قادر على تغييره بأن يلهيهم الإيمان ، أو يحول بيننا وبين الكفر ، فلم يغيره ، فدل على أنه شبيه وراثته ورثاه من ذلك ، ولهذا قال : (لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء) ، كما في قوله ١ (وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم) ١ ... الآية ، وكذلك الآية التي في (النحل) مثل هذه (٢) سواء ، قال الله تعالى : (كذلك كذب الذين من قبلهم) ، أي : بهذه الشبهة ضل من ضل قبل هؤلاء . وهي حجة داحضة باطلة ، لأنها لو كانت صحيحة لما أذاعهم الله بأسه ، ودمر عليهم ، وأدال عليهم رسله الكرام ، وأذاق للمشركين من ألم الانتقام .

(قل : هل عندكم من علم) ، أي : بأن الله واضح حكمه فيما أنتم فيه (فتخرجوه لنا) ، أي : فظهروه لنا وتبينوه ومبرزوه ، (إن تبيحون إلا الظن) ، أي : اللوم والخيال . والمراد بالظن هاهنا : الاحتقاد القاسد (وإن أنتم إلا تخرصون) أي : تكلمون على الله فيما ادعيتموه .

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : (ولو شاء الله ما أشركنا) ، وقال : (كذلك كذب الذين من قبلهم) ، ثم قال : (ولو شاء الله ما أشركوا) ، فإنهم قالوا : « عبادتنا الآلة تخربنا إلى الله زلعي » ، فأنصبرهم الله أنها لا تقرهم ، وقوله : (ولو شاء الله ما أشركوا) ، يقول تعالى : لو شئت لجسمتهم على الهدى أجمعين (٣) .

وقوله تعالى : (قل لله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين) ، يقول لئيه صلى الله عليه وسلم : (قل) لهم يا محمد : (فله الحجة البالغة) ، أي : له الحكمة التامة ، والحجة البالغة في هداية من هدى ، وإضلال من أضل ، (فلو شاء لهداكم أجمعين) ، وكل ذلك بقدرته وشيئته واختياره ، وهو مع ذلك يرضى عن المؤمنين ، ويُبغض الكافرين ، كما قال تعالى : (ولو شاء الله لجسمهم على الهدى) (٤) ، وقال تعالى : (ولو شاء ربك لآمن من في الأرض) (٥)

(١) سورة الزخرف ، آية : ٢٠ .

(٢) وهي قوله تعالى : (وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء) ، الآية رقم : ٣٠ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٢٩ : ١٢ / ٢٠٩ .

(٤) سورة الأنعام ، آية : ٣٥ .

(٥) سورة يونس ، آية : ٩٩ .

وقوله : (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين . إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين (١)) :

قال الضحاك : لا حجة لأحد عصى الله ، ولكن لله الحجة البالغة على عباده (٢) .

وقوله تعالى : (قل لهم شهدائكم) ، أى : أحضروا شهدائكم (الذين يشهدون أن الله حرم هذا) ، أى : هذا الذى حرمتموه وكلهم وافترى على الله فيه ، (فإن شهدوا فلا تشهد معهم) ، أى : لأنهم إنما يشهدون والحالة هذه كذباً وزوراً ، (ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم يربهم يعلمون) ، أى : يشركون به ، ويعلمون له عجيلاً .

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِبْنَاتِي مِمَّنْ تَزَوَّجْتُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تُفْرِسُوا الْفَرْحَشَ مَظْهَرُهَا وَمَا بَيْنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

قال داود الأودي ، عن الشعبي ، عن علقمة ، عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : من أراد أن يقرأ صحيفة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عليها خاتمه ، فليقرأ هؤلاء الآيات : (قل تعالوا أتلى ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً) إلى قوله : (لعلكم تتقون (٣)) .

وقال الحاكم فى مستدركه : حدثنا بكر بن محمد الصيرفى بمرو ، حدثنا عبد الصمد بن الفضل ، حدثنا مالك بن إسماعيل النهدي ، حدثنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن عبد الله بن خليفة قال : سمعت ابن عباس يقول ، فى الأنعام آيات عككات من أم الكتاب ، ثم قرأ : (قل تعالوا أتلى ما حرم ربكم عليكم) ... الآيات .

ثم قال : صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه (٤) .

قلت : ورواه زهير وقيس بن الربيع كلاهما عن أبى إسحاق ، عن عبد الله بن قيس ، عن ابن عباس ، عن به : والله أعلم . وروى الحاكم أيضاً فى مستدركه من حديث يزيد بن هارون ، عن صفيان بن حسين ، عن الزهري ، عن أبى إدريس ، عن عباد بن الصامت قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أياكم يبايعنى على ثلاث ؟ ثم تلا رسول الله صلى الله

(١) سورة هود : آية : ١١٨ ، ١١٩ .

(٢) رواه البهري عن الربيع بن أنس ، ينظر تفسيره . الأثر ١٤١٣٢ : ٢١٢/١٢ .

(٣) أخرجه الترمذى فى تفسير سورة الأنعام ، من الفضل بن الصالح ، من عبد بن فضال ، من داود الأودي ، بإسناده ، ولفظه : « من سره أن ينظر إلى الصحيفة التى عليها خاتم محمد صلى الله عليه وسلم ، فليقرأ ... » وقال الترمذى : « هذا حديث حسن غريب » . ينظر تحفة الأحوص : ٤٤٦/٨ - ٤٤٨ .

وقوله : « التى عليها خاتمه » ، كلمة عن أن هذه الآيات عككات غير منصوبات .

(٤) المستدرک : تفسير سورة الأنعام ٢١٧/٢ .

عليه وسلم : (قل تعالوا آتوا ما حرم ربكم عليكم) ، حتى فرغ من الآيات . فن وفي فأجره على الله ، ومن انتقص منهم شيئاً فأدركه الله به في الدنيا كانت مقبوبة ، ومن أخر إلى الآخرة فأجره إلى الله ، إن شاء عليه وإن شاء عاقبه ؛ ثم قال : صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، وإنما اتفقا على حديث الزهري ، عن أبي إدريس ، عن عباد : « يابونى حل أن لا تشركوا بالله شيئاً ... » الحديث . وقد روى سفيان بن حسين كلا الحديثين ، فلا ينبغي أن ينسب إلى الزهري في أحد الحديثين إذا جمع بينهما ، والله أعلم (١) .

ولما تفسرها فيقول تعالى لنبيه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد - هؤلاء للمشركين الذين عبدوا غير الله ، وحرّموا ما رزقهم الله ، وقلوا أولادهم وكل ذلك فعلوه بأرأهم وتسويل الشياطين ثم - (قل) لم : (تعالوا) ، لى : حلّوها وأقبلوا (آتوا ما حرم ربكم عليكم) ، لى : أنقص عليكم وأخبركم بما حرم ربكم عليكم حقاً لا بخرصاً ، ولا ظناً ، بل وحياً منه وأمرًا من عنده : (ألا تشركوا به شيئاً) ، وكان في الكلام علوفاً دل عليه السياق ، وتقديره : وأوصاكم (ألا تشركوا به شيئاً) ، ولهذا قال في آخر الآية : (ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) ، وكما قال الشاعر :

حجّ وأوصى بسليبي الأعبدنا أن لا تترى ولا تكلم أحدنا

ولا يزل سرابها مبرداً (٢)

ويقول العرب : أمرتك أن لا تقوم (٣) .

وفي الصحيحين من حديث أبي ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتاني جبريل فبشرني أنه من مات لا يشرك بالله شيئاً من أمثك ، دخل الجنة . قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : وإن زنى وإن سرق قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : وإن زنى وإن سرق . قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : وإن زنى وإن سرق » .

(١) المستدرك ، تفسير سورة الأنعام : ٣١٨/٢ . ولما الحديث الذي اتفقا عليه ، فقد رواه البخاري في كتاب الإيمان ، باب علامة الإيمان بـ الأنصار : ١١/١ . ولم يقع لنا حديث مسلم ، ولعلنا نستدركه فيما بعد .

(٢) الرجز في تفسير الطبري : ٢١٦/١٢ غير منسوب .

(٣) لقد اختصر الحافظ ابن كثير في توجيهه لإحرام الآية ما قاله ابن جرير الطبري ، الأمر الذي يقتضى أن نرفعه . قال ابن كثير : إن في الكلام علوفاً ، وإن تقديره : « وأوصاكم ألا تشركوا به شيئاً » . والواقع أنه ليس بمثل ما يقتضيه تقدير الوصية هنا ، قال الطبري : « وباللهذين إسماعاً » يقول : وأوصى بالرفدين إسماعاً - وسأف أوصى وأمر لدلالة الكلام عليه ، ومعركة السابع بمناه . وقد قال نحو هذا الكلام منه الآية : ٨٣ من سورة البقرة : ٢٩٠ / ٢٩٢ ، والآية ٣٦ من سورة النساء : ٣٢٤/٨ .

وأما موضع (أن لا تشركوا) من الإعراب ، فقال الطبري إنه إما خبر لمبتدأ محذوف ، والتقدير : هو أن لا تشركوا . وإما بدل من ما ، فيكون في موضع نصب ، والتقدير : قل : تعالوا آتوا ما حرم ربكم عليكم ، آتوا أن لا تشركوا بشئاً . وقد تعرض الطبري أيضاً : « لا » في قوله تعالى : « أن لا تشركوا » ، فقد قال : إنها تحصل أن تكون نافية أو نافية ، وإذا كانت نافية (تشركوا) منصرفه بأن ، كما يقال : « أمرتك أن لا تقوم » ، ولما إذا كانت نافية فالتعليل مجزوم بها . وإذا كانت « لا » نافية ، والفتل منصوباً بأن ، فالكلام خبر ، وهذا يسأل الطبري سؤالا : « كيف يجوز توجيه قوله : (ألا تشركوا) حل منى الخبر . وقد مضى عليه بقوله : (ولا تقتلوا أولادكم من إبلاد) وما بعد ذلك من بجزم انتهى ؟ » . وقد أجاب بأن مثل هذه الآية مطعها في قوله تعالى : (قل : إني أمرت أن أكون أول من أسلم ، ولا تكونون من المشركين) ، فقد مضى فيها نهي مل خبر ، وكما قل في الشارح - وذكر الرجز الذي ساقه ابن كثير ، فقد مضى انتهى فيه ، وهو : « ولا تكلم » ، « ولا يزل » مل الخبر . وهو : « أن لا ترى » .

ومن جذا يبين أن تقدير الوصية (إنا هو صد قوله تعالى : (وباللهذين إسماعاً) . وأن الرجز شاهد على مضى النبي حل الخبر - كما قال - وأن قول العرب : « أمرتك أن لا تقوم » ، شاهد على نصب الفعل بأن المقترنة بـ النافية .

مرقى ، وإن شرب الخمر » - وفي بعض الروايات أن القاتل ذلك إنما هو أبوذر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه عليه السلام قال في الثالثة : « وإن رُسم أنف أبي ذر » (١) . فكان أبوذر يقول بعد تمام الحديث : « وإن رُسم أنف أبي ذر » .
وفي بعض المسانيد والسنن من أبي ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقول الله تعالى : « يا ابن آدم ، إنك ما دعوتني ورجوتني فإني أغفر لك على ما كان منك ولا أبالي ، ولو أتيتني بقراب الأرض خطيئة أظنك بقربها مغفرة ما لم تنكرني في شيئا . وإن أخطأت حتى تبلغ خطاياك عتكان السماء ثم استغفرتني ، غفرت لك » (٢) .

ولهذا شاهد في القرآن ، قال الله تعالى : (إن الله لا يفرق بين من يشرك به ويفتر ما دون ذلك لمن يشام) (٣) ، وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود : « من مات لا يشرك بالله شيئا ، دخل الجنة » (٤) . والآيات والأحاديث في هذا كثيرة جدا .
وروى ابن مردويه من حديث عبادة وأبي الدرداء : « لا تشركوا بالله شيئا ، وإن قطعتم أو سلبتم أو حرقتهم » .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن عوف الحمصي ، حدثنا ابن أبي مريم ، حدثنا نافع بن يزيد ، حدثني سيار بن عبد الرحمن ، عن يزيد بن قزوه ، عن سلمة بن شريح ، عن عبادة بن الصامت قال : أوصانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع خصال : « ألا تشركوا بالله شيئا ، وإن حرقتهم وقطعتم وصلبتم » .

وقوله تعالى : (والوالدين إحسانا) ، أي : وأوصاكم ولتكرم بالوالدين إحسانا ، أي : أن تحسنوا إليهم ، كما قال تعالى : (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا) (٥) .

وقرأ بعضهم : « ووصي ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا » (٦) .

والله تعالى كثيرا ما يقرن بين طاعته وعبادته ، كما قال : (أن أشكر لي ولوالديك إلى المصير) وإن جاهدك على أن تشرك في ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا ، وأتبع سبل من أتى إلى مرجعكم

(١) «بخارى» ، كتاب البیاض ، باب الثیاب البیض : ١٩٢/٧ ، ١٩٢ . ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب من مات لا یترك بالله شیئا . دخل الجنة : ٦٦/١ ، وفيهما أن الرسول علیه السلام قال : « حل ورم أنف أبي ذر » . وبهذا أخرجه الإمام أحمد في المسند : ١٦٦/٥ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند : ١٥٤/٥ . والترمذي ، في أبواب الدعوات عن أنس بن مالك ، وقال : « هذا حديث حسن قريب » ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه . ويقول الحافظ أبو العلي صاحب تحفة الأشراف : ٥٢٥/٩ : « أخرجه أحمد والدارقطني عن أبي ذر . وقد مضى شرح «قرب» في : ٢٨٧/٢ .

(٣) سورة النساء ، الآية : ٤٨ . وقد أورد الحافظ ابن كثير معناه كثيرا من الأحاديث ، وخرجنا هذا ، ينظر : ٢٨٥/٢ - ٢٩١ .

(٤) مسلم ، كتاب الإيمان ، باب من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة : ٦٥/١ .

(٥) سورة الإسراء ، الآية : ٢٣ .

(٦) قال أبو جبران ، في البحر المحیط : ٢٥/٦ : « قرأ الجمهور (وقضى) فعلا ماضيا » ، من القضاة . وقرأ بعض وله ما بين جيل : (وقضى ربك) مصدر من قضى مرفوعا على الإبتداء ، و(أن لا تعبدوا) الخبر . وفي مصنف ابن مسعود بإحسانه ، وابن عباس ، وابن جرير ، والبيهقي ، وميمون بن مهران : [ووصي] من التوصية . وقرأ بعضهم : وأوصي من الإيصال . ويؤيد أن يعمل ذلك حل التفسير ، لأنها قراءة مخالفة لسواد المصنف ، والمتواتر هو : (وقضى) ، وهو المستطابق من ابن مسعود ، وابن عباس ، وغيرهم في أسانيد القراء السبعة . وينظر الكتابات في غيري : ١٢٢/٢ . فقد جاز طه القراط .

فَأَنبِئْكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١) : فَأمر بالإحسان إليهما ، وإن كانا مشركين بحسبهما ، وقال تعالى : (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَيَالِ الْبَاقِينَ إِحْسَانًا (٢)) : الآية . والآيات في هذا كثيرة . وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي العمل أحب إلى الله ؟ قال : الصلاة على وقتها قلت : ثم أي ؟ قال : ير الوالدَيْنِ . قلت : ثم أي ؟ قال : الجهاد في سبيل الله . قال ابن مسعود : حدثني بن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو استرحته لراخني (٣) » .

وروى الحافظ أبو بكر بن مردويه بسنده عن أبي الدرداء ، وعن عباد بن الصامت ، كل منهما يقول : أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم : « أعلم والدَيْكَ ، وإن أُمَرَكَ أَنْ تَخْرُجَ لِمَا مِنَ الدُّنْيَا ، فَافْعَلْ » .
ولكن في إسناديهما ضعف ، والله أعلم .

وقوله تعالى : (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ) لا أوصى تعالى به الآباء والأجداد ، عطفت حل ذلك الإحسان إلى الأبناء والأحفاد ، فقال تعالى : (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ) ، وذلك أنهم كانوا يقتلون أولادهم كما سَوَّلَتْ لهم الشياطين ذلك ، فكانوا يثبون البنات خشية العار ، وربما قتلوا بعض الذكور خشية الافتقار . ولهذا جاء في الصحيحين ، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قلت : يا رسول الله ، أي الذنب أعظم ؟ قال : أن تجعل الله نداً وهو خلقك . قلت : ثم أي ؟ قال : أن تقتل ولدك خشية أن يطغى معك . قلت : ثم أي ؟ قال : أن تزاني حليلة جارك . ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم : (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ كُفَّاءً ، وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَلَا يَزْنُونَ) (٤) ... الآية .

وقوله : (مِنْ إِمْلَاقٍ) ، قال ابن عباس ، وقتادة ، والسُّدِّيُّ : هو الفقر (٥) . أي : ولا تقتلوا من فقركم إلخا . وقال في سورة « سبحان » : (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ) (٦) أي : خشية حصول فقر ، في الآجل ، ولهذا قال هناك : (نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاهُمْ) ، فليأمر برزقهم للاهتمام بهم ، أي : لا تخافوا من فقركم بسببهم ، فوزقهم على الله ولما في هذه الآية فلما كان الفقر حاصلًا ، قال : (نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ) ، لأنه الأم جاهلًا ، والله أعلم .

(١) سورة لقمان : آية ١٤ ، ١٥ .

(٢) سورة البقرة : آية ٨٣ .

(٣) البخاري ، كتاب مواقيت الصلاة ، باب فضل الصلاة لوقتها : ١٤٠/١ . وكتاب الجهاد ، باب فضل الجهاد والتبكير : ١٧/٤ ، وكتاب الأدب ، باب قول الله تعالى : ووضينا الإنسان يورثنيه : ٢/٨ ، وينظر كتاب التوحيد ، باب وسعي الذي صلى الله عليه وسلم الصلاة حلاً : ١٩١/٩ . ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال : ٦٣/١ .

(٤) البخاري ، تفسير سورة البقرة : ٢٢/٩ . وكتاب الأدب ، باب قتل الولد خشية أن يأكل منه : ٩/٨ ، وكتاب الحاديين من أهل الكفر والردة ، باب إثم الزناة : ٢٠٤/٨ . وكتاب اللغات ، باب قول الله تعالى : (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَبِإِزَاءِ جَهَنَّمَ) : ٢/٩ . وكتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : (فَلَا تَجْعَلُوا لَهُ أَندَادًا) : ١٨٦/٩ . ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب كون الشرك أفعج الخوف وبين أنظمها بسنه : ٦٣/١ ، ٦٤ .

(٥) تفسير الطبري ، الآثار ١٤١٣٥ / ١٤١٣٧ : ٢١٧/١٢ .

(٦) سورة الإسراء : آية ٣١ .

وقوله تعالى : (ولا تقربوا القواش ما ظهر منها وما بطن) ، كثره تعالى : (قل : إنما حرم من القواش ما ظهر منها وما بطن ، والإثم والبغى بغير إثم ، وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ، وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) (١) . وقد تقدم تفسير ما في قوله : (وفروا ظاهري الإثم وباطنه) (٢) .

وفي الصحيحين ، عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا أحد أخير من الله ، من أجل ذلك حرم القواش ما ظهر منها وما بطن » (٣) .

وقال عبد الملك بن عيسى ، عن وراد ، عن مولاة للمغيرة قال : « قال سعد بن حبة : لو رأيت مع امرأتك رجلا لضربه بالسيف غير مستفتح : فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أتحيون من غيرة سعد ! : فوالله لأنا أخير من سعد ، والله أخير مني ، من أجل ذلك حرم القواش ما ظهر منها وما بطن » . أخرجه (٤) .

وقال كامل أبو الملاء ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : قيل : يا رسول الله ، إنا نغار : قال : والله إني لأغار ، والله أخير مني ، ومن غيرته نهي عن القواش » .

رواه ابن مردويه ، ولم يخرج أحد من أصحاب الكتب الستة ، وهو على شرط الترمذي ، فقد روى بهذا السند : « أحمر أمي ما بين السنين إلى السنين » (٥) .

وقوله تعالى : (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق) ، وهذا مما نص تبارك وتعالى على النهي عنه فكيف ، وإلا فهو داخل في النهي عن القواش ما ظهر منها وما بطن ، فقد جاء في الصحيحين ، عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزاني ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » .

(١) سورة الأعراف : آية : ٢٣ .

(٢) سورة الأنعام : آية : ١٢٠ .

(٣) البخاري ، كتاب التوحيد ، باب ما يذكر في الذات والصفات : ١٤٧/٩ ، وكتاب النكاح ، باب للغيرة : ٤٥/٧ . وكتاب الطهارة ، تفسير سورة الأنعام : ٧٢/٦ ، وتفسير سورة الأعراف : ٧٤/٦ ، ومسلم ، كتاب النكاح ، باب للغيرة : ١٠٠/٨ .

(٤) تفسير الطبري ، كتاب التوحيد ، باب ما يذكر في الذات والصفات وأسماء الله : ١٥١/٩ ، وكتاب النكاح ، باب للغيرة : ٤٥/٧ ، وكتاب المغازي ، باب ما رأى مع امرأته رجلا : ٢١٥/٨ ، ومسلم ، كتاب القامان : ٢١١/٤ . ومصلح - روى يكره لقاءه وتجنبها - وحل رواية الكسري يكون المني : غير ضارب يصنع السيف ، وهو جانيه ، بل أخيره بحد . ويكون حينئذ وضعا للضارب . وحل رواية الضعيف يكون من سفة السيف ، فلا يكون مغروبا به بغيره . بل بحد .

(٥) تحفة الأحرار ، أبواب الزهد ، باب ما جاء في أحوال هذه الأمة ، الحديث رقم ٢٤٧٣ : ٦٢٣/٦ ، ٥٠٩٢٤ . ونظيره : « عمر أمي من بيتين سنة إلى سبعين » ، وقال الترمذي : « هذا حديث حسن غريب من حديث أبي صالح عن أبي هريرة » . وقد روى من غير وجه عن أبي هريرة .

وي لفظ المسلم : «والذي لا إله غيره لا يحل دم رجل مسلم» ... وذكره ، قال الأعشى : فحدثت به إبراهيم ، لحدثني عن الأورد ، عن عائشة ، بمثله (١) .

وروي أبو داود والنسائي ، عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث خصال : زنا محصن برجم ، ورجل قتل [وجبلا] متعمدا فيقتل ، ورجل يخرج من الإسلام حارب الله ورسوله ، فيقتل أو يعذب أو يئني من الأرض » . وهذا لفظ النسائي (٢) .

وعن أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، رضى الله عنه أنه قال وهو محصور : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث : رجل كفر بعد إسلامه ، أو زنى بعد إحصائه ، أو قتل نفسا بغير نفس » . فوالله ما زلت في جاهلية ولا إسلام ، ولا تخبت أن لي بلى يبدل منه بعد إذ هداني الله ، ولا قتلت نفسا ، فم تظنونني ؟ رواه الإمام أحمد ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه . وقال الترمذي : هذا حديث حسن (٣) .

وقد جهاد النبي والزجر والوعيد قتل للماهد - وهو المستلطن من أهل الحرب - كما رواه البخاري ، عن عبد الله ابن عمرو رضى الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من قتل معاهدا لم يرحم رائحة الجنة ، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاما (٤) .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «من قتل معاهدا له ذمة الله وذمة رسوله ، فقد أخفر بلمة الله ، فلا يرح رائحة الجنة ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفا » . رواه ابن ماجه ، والترمذي وقال : حسن صحيح (٥) .

وقوله : (ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) ، أى : هلما ما وصاكم به لعلكم تتقون عنه أمره ونهيه (٦) :

(١) البخاري ، كتاب الفديات ، باب قول الله تعالى (أن النفس بالنفس ...) : ٦/٩ . مسلم ، كتاب القسامة والمأاريين والقتاص والديات ، باب ما يباح من دم للمسلم : ١٠٦/٥ .

(٢) سنن أبي داود ، كتاب الخوذة ، باب الحكم فيمن ارتد ، الحديث ٤٢٥٢ : ١٢٦/٤ . والنسائي ، كتاب نحرهم الدم ، باب الصلب : ١٠١/٧ ، ١٠٢ .

(٣) مسند الإمام أحمد : ٦٢/١ ، وتحفة الأوحى ، أبواب الفتن ، باب ما جاء لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث ، الحديث ٢٢٤٧ : ٣٧٢/٦ ، ٣٧٤ . والنسائي ، كتاب نحرهم الدم ، باب ذكر ما يحل به دم المسلم : ٩١/٧ ، ٩٢ . وابن ماجه ، كتاب الخوذة ، باب لا يحل دم امرئ مسلم إلا في ثلاث ، الحديث ٢٥٢٢ : ٨٤٧/٢ .

(٤) البخاري ، المغرزة ، باب إثم من قتل معاهدا بغير جرم : ١٢٠/٤ . وكتاب الفديات ، باب إثم من قتل ذميا بغير جرم : ١٦/٩ .

(٥) سنن ابن ماجه ، كتاب الفديات ، باب من قتل معاهدا ، الحديث ٢٦٨٧ : ٨٩٦/٢ . وتحفة الأوحى ، باب ما جاء فيمن يقتل نفسا معاهدا ، الحديث ١٤٢٢ : ٦٥٨/٤ ، ٦٥٩ .

(٦) تضمنت هذه الآية والآيتين اللتان بعدها حشر وصايا ، لتشملت هذه الآية من قبل خسر ، وهي : التي من الشرك ، والإنسان إل للوالدين ، والتي من قتل الأولاد خلف الفقر ، والتي من الإغتراب بين الليواش ما ظهر منها وما بطن ، والتي من قتل النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق .

وأما الخمس الآخر فقد تضمنت الآية الثانية من أربها ، وتضمنت الثالثة والرابعة . ومن المبشرين من قارن بين هذه الوصايا وبين وصايا التوراة العشر ، وأثبت بالدليل أن وصايا هذه السورة أدق ، وأجبع ، وأشمل .

وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأُولُوا الْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ بِالْقِسْطِ لَا تَكُونُوا
مِثْلَ الَّذِينَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ تَقَالِمْ بِمَا فَعَلَ اللَّهُ قَالُوا تَقَالِمْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَيَمْهَدِ اللَّهُ أُولَئِكَ أَكْوَاعًا لِّمَن يَكْفُرْ ۖ تَكُونُوا لَكُمْ رُكُوتٌ ۖ

قال عطاه بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : لما أنزل الله : (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن) وإن الذين يأكلون أموال اليتامي ظلما ... الآية ، فانتظروا من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه وشرابه من شرابه ، فجعل يفضل الشيء فيحبس له حتى يأكله ويفسد . فاشتد ذلك عليهم ، فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر الله : (يسألك عن اليتامى ، قل : إصلاح لم خبر ، وإن تخالطوهم فإخوانكم) ، قال : فخلطوا بطعامهم بطعامهم ، وشرابهم بشرابهم .

رواه أبو داود (١) .

وقوله : (حتى يبلغ أشده) ، قال الشعبي ، ومالك ، وغير واحد من السلف : يعني حتى يحطم .

وقال السدي : حتى يبلغ ثلاثين سنة ، وقيل : أربعون سنة ، وقيل : ستون سنة . قال : وهذا كله بعيد ما عاينا ، والله أعلم .

وقوله : (وأولوا الكيل والميزان بالقسط) ، يأمر تعالى بإقامة العدل في الأخط والإعطاء ، كما توعده على تركه في قوله تعالى : (ويل للمطففين . الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون . وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون . ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون . ليوم عظيم . يوم يقوم الناس لرب العالمين) (٢) . وقد أمرك الله أمة من الأمم كانوا ييسفون للكيل والميزان .

وفي كتاب الجامع لأبي حمزة الرمذي ، من حديث الحسين بن قيس أبي حل الرحبي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحاب الكيل والميزان : « إنكم ولّيتم لمرأ (٣) هلكت فيه الأمم السابقة قبلكم » . ثم قال : لا تعرفه مرفوعا إلا من حديث الحسين ، وهو ضعيف في الحديث ، وقد روى بإسناد صحيح عن ابن عباس موقوفا (٤) .

قلت : وقد رواه بن مردويه في تفسيره ، من حديث شريك ، عن الأعمش ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنكم معشر الموال قد بشرتم الله بخصيلين بها هلكت القرون المتقدمة » الكيل والميزان » .

(١) سنن أبي داود ، كتاب الوصايا ، باب غالبة اليتيم في الطعام ، الحديث ٢٨٧١ ، ١١٤/٣ ، ١١٥ . وينظر فيما تقدم : ٣٧٤/١ ، ٣٧٥ . مع تفسير الآية : ٢٢ من سورة البقرة .
(٢) سورة المطففين ، الآية : ١-٦ .
(٣) لفظ الرمذي : « إنكم قد ولّيتم أمين ... »
(٤) نغمة الأحوص ، أبواب البيوع ، باب ما جاء في الكيل والميزان : ٤٠٨/٤ .

وقوله تعالى : (لا تكلف نفسا إلا وسعها) ، أي : من الجهد في أداء الحق وأخذه ، فإن أخطأ بعد استقراخ وسعه وبلل جهده (١) فلا حرج عليه .

وقد روى ابن مردويه من حديث جقية ، عن مَيْسَر بن عبيد ، عن عمرو بن ميمون بن مهران ، عن أبيه ، عن سعيد بن المسيب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا تكلف نفساً إلا وسعها) ، فقال : من أوفى على يده في الكيل [والميزان] ، والله يعلم صفة نيته بالوفاء فيهما ، لم يؤخذ . وذلك تأويل (وسعها) . هذا مرسل غريب .

وقوله : (وإذا قلتم فاعدوا ولو كان ذا قربى) كما قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا ، كونوا قوامين لله شهداء بالقسط) (٢) وكذا التي تشبهها في سورة النساء - يأمر تعالى بالعدل [في القتال والمقاتل ، على القريب والبعيد ، والله تعالى يأمر بالعدل] لكل أحد ، في كل وقت ، وفي كل حال .

وقوله : (وبعد الله أوفوا) ، قال ابن جرير : يقول ويؤصية الله التي أوصاكم بها فأوفوا . وإفاء ذلك : أن تطيعوه فيما أمركم ونهاكم ، وتعملوا بكتابه وستة رسوله ، وذلك هو الوفاء بعهد الله (٣) .

(فلكم وصاكم به لعلكم تذكرون) ، يقول تعالى : هنا وصاكم به ، وأمركم به ، وأكد عليكم فيه (لعلكم تذكرون) ، أي : تصفون وتستنون عما كنتم فيه قبل هذا ، وقرأ بعضهم بتشديد « الذال » ، وآخرون بتخفيفها (٤) .

وَأَنذَرْنَا عَرَضًا مُّصِطَفًّيًّا مُّسْتَغِيْمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصًّيُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٥٥﴾

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : (فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) ، وقوله : (وأطيعوا الذين ولا تفرقوا فيه) ، ونحو هذا في القرآن . قال : أمر الله المؤمنين بالجماعة ، ونهاهم عن الاختلاف والفرقة ، وأخبرهم أنه إنما هداهم كان قبلهم بالمراد والخصومات في دين الله (٥) . ونحو هذا قاله مجاهد ، وغير واحد .

وقال الإمام أحمد بن حنبل : حدثنا الأسود بن عامر : شاذان ، حدثنا أبو بكر - هو ابن عباس - عن عاصم - هو ابن أبي النجود ، عن أبي واثل ، عن عبد الله - هو ابن مسعود رضي الله عنه - قال : خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً بيده ، ثم قال : هذا سبيل الله مستقيماً . وخط من يمينه وشماله ، ثم قال : هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعوك إليه . ثم قرأ : (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) (٦) .

(١) في غلوطة الأثر ، ودار الكتب ٥١٥ تفسير : « وبلل وجهه » .

(٢) سورة للثلاثة ، آية : ٨ . ويصح بالتي تشبهها في سورة النساء من الآية ولم : ١٣٥ .

(٣) تفسير الطبري : ٢٢٥/١٢ : ٢٢٦ .

(٤) قال أبو حيان في البحر المحيط ٢٥٣/٤ : « وقرأ حفص . والأعرابي : (تذكرون) حيث وقع بتشديد الذال » .

جذفت الله ، إذ أسلمه : « تذكرون » ... وقرأ باقي السبعة : (تذكرون) بتشديده ، آدم تاء « تقل » في « الذال » .

(٥) تفسير الطبري : الأثر ١٤١٦٦ : ٢٢٩/١٢ : ٢٣٠ .

(٦) سنة الإمام أحمد : ٤٦٥/١ . ويعتبر أيضاً : ٤٢٥/١ .

وكذا رواه الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن أبي بكر بن عياش ، به : وقال : صحيح ولم يخرجاه (١) .

وهكذا رواه أبو جعفر الرازي ، وورقاء وعمر بن أبي قيس ، عن عاصم ، عن أبي واثل شقيق بن سلمة ، عن ابن مسعود به مرفوعاً نحوه .

وكذا رواه يزيد بن هارون وسعد والنسائي ، عن يحيى بن حبيب بن عري - وابن حبان ، من حديث ابن وهب - أبو بصير عن حماد بن زيد ، عن عاصم ، عن أبي واثل ، ، عن ابن مسعود ، به .

وكذا رواه ابن جرير ، عن الخثعمي ، عن الحماني ، عن حماد بن زيد (٢) ، به .

ورواه الحاكم عن أبي بكر بن إسحاق ، عن إسماعيل بن إسحاق القاضي ، عن سليمان بن حرب ، عن حماد بن زيد ، به كلفك ، وقال : صحيح ولم يخرجاه (٣) .

وقد روى هذا الحديث النسائي والحاكم ، من حديث أحمد بن عبد الله بن يونس ، عن أبي بكر بن عياش ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله بن مسعود ، به مرفوعاً

وكذا رواه الحفاظ أبو بكر بن مردويه من حديث يحيى الحلي ، عن أبي بكر بن عياش ، عن عاصم ، عن زر ، به : فقد صححه الحاكم كما رأيت من الطريقين ، ولعل هذا الحديث عند عاصم بن أبي السجود ، عن زر - وعن أبي واثل شقيق بن سلمة كلاهما عن ابن مسعود ، به . والله أعلم .

قال الحاكم : وشاهد هذا الحديث حديث الشعبي عن جابر ، من وجه غير متعدد (١) .

يشير إلى الحديث الذي قال الإمام أحمد ، وعبد بن حميد جميعاً - واللفظ لأحمد : حدثنا عبد الله بن محمد - وهو أبو بكر بن أبي شيبة - أنبأنا أبو خالد الأحمر ، عن مجاهد ، عن الشعبي ، عن جابر قال : كنا جلوساً عند النبي صلى الله عليه وسلم ، فخط خطاً هكذا أمامه ، فقال : هذا سبيل الله . وخطين عن يمينه ، وخطين عن شماله ، وقال : هذه سبيل الشيطان . ثم وضع يده في الخط الأوسط ، ثم تلا هذه الآية : (وأن هذا صراط مستقيم فاتبوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون (٢)) .

ورواه ابن ماجه (٣) في كتاب السنة والزوار عن أبي سعيد عبد الله بن سعيد عن [أبي] خالد الأحمر ، به .

قلت : ورواه الحفاظ بن مردويه من طريقين ، عن أبي سعيد الكندي ، حدثنا أبو خالد ، عن مجاهد ، عن الشعبي ، عن جابر قال : خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً ، وخط عن يمينه خطاً ، وخط عن يساره خطاً ، ووضع يده على الخط الأوسط ، وتلا هذه الآية : (وأن هذا صراط مستقيم فاتبوه) .

(١) المطبوع : تفسير سورة الأنعام : ٣١٨/٢ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر : ١٤١٦٨ : ٢٣٠/١٢ .

(٣) سنن الإمام أحمد : ٣٩٧/٣ .

(٤) سنن ابن ماجه ، القصة : باب اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الحديث ١١ : ١/١ .

ولكن الصلة على حديث ابن مسعود ، مع ما فيه من الاختلاف إن كان مرثرا ، وقد روى موقوفا عليه .

وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن أبان : أن رجلا قال لابن مسعود : ما الصراط المستقيم ؟ قال : تركنا محمد صلى الله عليه وسلم في أدناه ، وطره في الجنة ، وعن عبيد بن جواد ، وعن يسار بن جواد ، ولم يرد رجل يدعو من مرهم . فمن أخذ في تلك الجواد انتهت به إلى النار ، ومن أخذ على الصراط انتهى به إلى الجنة . ثم قرأ ابن مسعود : (وأن هذا صراطي مستقيما فاتبوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) (١) .

:: الآية .

وقال ابن مردويه : حدثنا أبو عمرو ، حدثنا محمد بن عبد الوهاب ، حدثنا آدم ، حدثنا إسماعيل بن عياش ، حدثنا أنبان بن عياش ، عن مسلم بن أبي عمران ، عن عبد الله بن عمر : سأل عبد الله عن الصراط المستقيم ، فقال ابن مسعود : تركنا محمد صلى الله عليه وسلم في أدناه ، وطره في الجنة ... وذكر تمام الحديث كما تقدم ، والله أعلم .

وقد روى من حديث التماس بن سميحان نحوه ، قال الإمام أحمد : حدثنا الحسن بن سوار أبو العلاء ، حدثنا ليث - يعني بن سعد - عن معاوية بن صالح : أن عبد الرحمن بن جبير بن نفير حدثه ، عن أبيه ، عن التماس بن سميحان ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ضرب الله مثلا صراطا مستقيما ، وعن (٢) جئني الصراط سورانا فيها أبواب مفتحة ، وعلى الأبواب ستور مرعاة ، وعلى باب الصراط داع يقول : أيها الناس ، ادخلوا الصراط المستقيم [جميعا] ، ولا تفرجوا (٣) ، وداع يدعو من جوف الصراط ، فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئا من تلك الأبواب قال : وبك . لا تفتحه ، فإني إن فتحتك تلج ، فالصراط الإسلام ، والصوران حدود الله ، والأبواب المفتحة عارم الله ، وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله ، والداعي من فوق [الصراط] واعظ الله في قلب كل مسلم (٤) .

ورواه الترمذي والنسائي ، عن علي بن حجر - زاد النسائي - وعمر بن عثمان ، كلاهما عن بقية بن الوليد ، عن بدير بن سعد ، عن خالد بن معدان ، عن جبير بن نفير ، عن التماس بن سميحان ، به . وقال الترمذي : حسن غريب (٥) .

وقوله : (فاتبوه ولا تتبعوا السبل) ، إنما وجد سبيله لأن الحق واحد ، ولهذا جمع لتفرقها وتشمعها ، كما قال تعالى : (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور ، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجهم من النور إلى الظلمات ، أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) (٦) .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن سنان الواسطي ، حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا سفيان بن حسين ، عن الزهري ، عن أبي إدريس الخولاني ، عن عباد بن الصامت قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أيكم يباينني على هذه

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٤١٧٠ : ٢٣٠/١٢ .

(٢) في المسند : « وعلى جئني » .

(٣) في المخطوطة : « ولا تفرجوا » . وللتب من المسند . ومعنى « لا تفرجوا » : لا تفتشوا ولا تفتقروا .

(٤) مسند أحمد : ١٨٢/٤ ، ١٨٣ .

(٥) نسخة الأوسني : « أبواب الأضلال » ، باب ما جاء في مثل الله عز وجل لبيده ، الحديث ٣٠١٩ : ١٥٤/١٠٢/٨ .

(٦) سورة البقرة ، آية ٢٥٧ .

الآيات الثلاث ؟ ثم تلا : (قل تعالوا أنل ما حرم ربكم عليكم) ، حتى فرغ من ثلاث الآيات ، ثم قال : « ومن وى بين لجره حل الله ، ومن انتقص منه شيئا أدركه الله في الدنيا كانت عقوبته ، ومن أخره إلى الآخرة كان لمره إلى الله إن شاء أخذه ، وإن شاء حفاه » .

ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّعَلَّهُمْ يُلْقُونَ
بِذَمِّهِمْ ۖ وَهَذَا كِتَابٌ مَّزِينٌ وَمُنِيرٌ ۖ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾

قال ابن جرير : (ثم آتينا موسى الكتاب) ، تقديره : ثم قل يا محمد خبراً عما بآنا آتينا موسى الكتاب ، بدلالة قوله : (قل تعالوا أنل ما حرم ربكم عليكم) :

قلت : وفي هذا نظر ، وثم هاتما إنما هي لطف الخبر بعد الخبر ، لا لترتيب هاتما ، كما قال الشاعر :

فُلٌّ لِّحَسِّنَ صَادٌ ثُمَّ سَادٌ أَيُّهُ . ثُمَّ [قَدْ] سَادَ قَبْلَ ذَلِكَ جَدُّهُ (١)

وهاتما لا لخير تعالى عن القرآن بقوله : (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه) ، عطف بفتح التوراة [ورسولاً ، فقال : (ثم آتينا موسى الكتاب) . وكثيراً ما يقرن سبحانه بين ذكر القرآن والتوراة] ، كقوله تعالى : (ومن قبله كتب موسى إماماً ورحمة ، وهذا كتاب مصدق لساناً عربياً (٢)) . وقوله أول هذه السورة : (قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس يجعلونه قرآناً يحملونه قراطين يحملونها وتحفون كثيراً (٣)) ... الآية ، ويدها : (وهذا كتاب أنزلناه مبارك) ... الآية ، وقال تعالى خبراً عن المشركين : (فلما جامع الحق من عندنا ، قالوا : لولا لوق مثل ما أوتى موسى) ، قال تعالى : (لو لم يكفروا بما أوتى موسى من قبل ، قالوا : ساحران نظامرا ، وقالوا : إنا بكل كافرون (٤)) وقال تعالى خبراً عن الذين أنهم قالوا : (يا قومنا ، إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى ، مصدقاً لما بين يديه ، يهدي إلى الحق (٥)) ... الآية .

وقوله تعالى : (تماماً حل الذي أحسن وتفصيلاً) ، أي : آتينا الكتاب الذي أنزلناه إليه تماماً كاملاً جامعاً لجميع ما يحتاج إليه في شريعته ، كما قال (وكتبنا له في الألواح من كل شيء (٦)) الآية .

(١) البيت في « مني القريب » لاين هشام ، ذكره عنه الحرف « ثم » . والبيت فيه ذكر لسادة الإين قبل الأب ، وسادة الأب قبل الإله . وعليه فليست « ثم » فيه لترتيب . وقد أجاب ابن هشام - كما قال ابن كثير - بأن « ثم » في هذا البيت لترتيب الإخبار ، لا لترتيب الحكم ، كما يقال : « ولقي ما صنعت اليوم » ثم ما صنعت أس أصعب ، أي : ثم أخبرك أن الذي صنعت أس أصعب .

هذا وقد منى البيت في سورة البقرة عنه الآية ٢٩ . ينظر : ٩٨/١ .

(٢) سورة الأحقاف ، آية : ١٢ .

(٣) سورة الأنعام ، آية : ٩١ .

(٤) سورة الأنعام ، آية : ٩٢ .

(٥) سورة القصص ، آية : ٤٨ .

(٦) سورة الأعراف ، آية : ١٤٥ .

وقوله : (على الذي أحسن) ، أى : جزاء على إحسانه في العمل ، وقيامه بأوامرنا وطاعتنا ، كقوله : (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) (١) ، وكقوله : (وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماما) (٢) ، وقوله : (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا) صبروا ، وكانوا بآياتنا يوقنون (٣) .
وقال أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس : (ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي أحسن) ، يقول : أحسن فيما أعطاه (٤) الله .

وقال قتادة : من أحسن في الدنيا تم له ذلك في الآخرة (٥) .

واختار ابن جرير أن تقدير الكلام : (آتينا موسى الكتاب تماما) على إحسانه (٦) . فكأنه جعل « الذي » مصدرية ، كما قيل في قوله تعالى : (وخضعتم كالذي خاضوا) (٧) ، أى : كخوضهم . وقال ابن رَوَاحَة :
فَقَسَّيْتُ اللَّهَ مَا أَتَاكَ مِنْ حَسَنٍ فِي الْمُرْسَلِينَ وَنَصَرُوا كَالَّذِي نَصَرُوا (٨)
وقال آخرون : الذي حاجتنا بحسنى « الذين » .

قال ابن جرير : وقد ذكر عن عبد الله بن مسعود : أنه كان يقرأها : (تماما على الذين أحسنوا) (٩) .
وقال ابن أبي نجيع ، عن مجاهد : (تماما على الذي أحسن) ، قال : على المؤمنين والمؤمنين . وكذا قال أبو حنيفة .
قال البغوي : « والمحسنون : الأئمة والمؤمنون ، يحسنى : أظهرنا فضله عليهم .
قلت : كما قال تعالى : (قال : يا موسى ، إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي) (١٠) ، ولا يلزم اصطفاؤه على محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والحليل طههما السلام ، لأدلة أخر .
قال ابن جرير : وروى [أبو] عمرو بن العلاء ، عن يحيى بن يعمر أنه كان يقرأها : (تماما على الذي أحسن) ، ربما - بتأويل : (على الذي هو أحسن) - ثم قال : وهذه قراءة لا أستجيز القراءة بها ، وإن كان لها في العربية وجه صحيح (١١) .

وقيل : معناه : تماما على إحسان الله إليه زيادة على ما أحسن الله إليه . حكاه ابن جرير والبغوي .
ولا منافاة بينه وبين القول الأول ، وبه جمع ابن جرير كما بيناه ، والله الحمد .

-
- (١) سورة الرحمن ، آية : ٦٠ .
 - (٢) سورة البقرة ، آية : ١٢٤ .
 - (٣) سورة السجدة ، آية : ٢٤ .
 - (٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٤١٧٣ : ٢٣٥/١٢ .
 - (٥) تفسير الطبري ، الأثر ١٤١٧٤ : ٢٣٥/١٢ .
 - (٦) قال الطبري ٢٣٨/١٢ : « لئن لم يأتنا موسى الكتاب تماما لكرامة الله موسى ، على إحسان موسى ... » .
 - (٧) سورة القوية ، آية : ٦٩ .
 - (٨) البيت في سيرة ابن هشام : ٣٧٤/٧ .
 - (٩) تفسير الطبري ، ٢٤٣/١٢ .
 - (١٠) سورة الأعراف ، آية : ١٤٤ .
 - (١١) تفسير الطبري : ٢٣٦/١٧ ، « فكلها كلامه : « ثلاثها ما طيه الحجة بجمعة من قراءة الأنصار .

وقوله : (وتقصيلا لكل شيء وعلى ورحمة) ، فيه مدح لكتابه الذي أنزله الله عليه ، (لعلهم بقاءهم يؤمنون) وهذا كتاب أنزله مبارك فاتحوه واتقوا لعلكم ترحمون) ، فيه الدعوة إلى اتباع القرآن وتوصفه بالبركة لمن اتبعه وعمل به في الدنيا والآخرة :

أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابُ عَلَيَّ طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَنِيْلِينَ ﴿١٦٠﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنا عَلَيْهِ الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْلِيْهِمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيْنَهُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَهْدًى وَرَحْمَةً فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَبَ بِطَاغِيْتِ آلهٍ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿١٦١﴾

قال ابن جرير : معناه : وهذا كتاب أنزله ثلاثا يقولوا : (إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا) (١) .
يعنى : ليقطع عنهم ، كما قال تعالى : (ولولا أن تصيههم مصيبة بما قدمت لبيهم فيقولوا : ربنا لولا أرسلنا إلينا رسولا فتبع آياتك) ... الآية (٢) .

وقوله : (على طائفتين من قبلنا) ، قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : هم اليهود والنصارى (٣) . وكلنا قال بجاهد ، والسلى ، وقادة ، وغير واحد .

وقوله : (وإن كنا عن حراستهم لغافلين) ، أى : وما كنا نفهم ما يقولون ، لأنهم ليسوا بلساننا ، ونحن مع ذلك في شغل وفضلة عامم فيه .

وقوله : (أو تقولوا : لو أننا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم) ، أى : وقطعتا تتكلمكم أن تقولوا : (لو أننا أنزل علينا ما أنزل عليهم لكنا أهدى منهم) فإيا لونه ، كقوله (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم (٤)) ... الآية ، وهكذا قال هاهنا : (فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة) ، يقول : فقد جاءكم من الله على لسان محمد صلى الله عليه وسلم النبي المرسل قرآن عظيم ، فيه بيان للحلال والحرام ، وهدى في القلوب ، ورحمة من الله لعباده الذين يتوبونه ويفضون ما فيه .

وقوله : (فمن أظلم ممن كتب بآيات الله وصدف عنها) ، أى : لم يتبع ما جاء به الرسول ، ولا اتبع ما أرسل به ، ولا ترك شيء ، بل صدف عن اتباع آيات الله ، أى : صرت الناس وصدفهم عن ذلك ، قاله السلي (٥) .

وعن ابن عباس ، وجاهد ، وقادة : (وصدف عنها) : أعرض (٦) عنها .

(١) تفسير الطبري : ٢٤٠/١٢ .

(٢) سورة القصص ، آية : ٤٧ .

(٣) تفسير الطبري ، الآثار ١٤١٨٠ : ٢٤٠/١٢ . وآثار اللواتين لما القوله بعده : ٢٤١/١٢ .

(٤) سورة فاطر ، آية : ٤٢ .

(٥) تفسير الطبري ، الآثار ١٤١٩٤ : ٢٤٤/١٢ .

(٦) تفسير الطبري ، الآثار ١٤١٩١ - ١٤١٩٣ : ٢٤٤/١٢ .

وقول السدي: حامداً فيه قوة ، لأنه قال : (فن أنظلم من كذب بآيات الله وصدف عنها) ، كما تقدم في أول السورة : (وم يهون عنه ويأون عنه وإن يهلكون إلا أنفسهم) (١) ، وقال تعالى : (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذاباً فوق العذاب) (٢) ، وقال في هذه الآية الكريمة : (سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون) .

وقد يكون المراد بها قال ابن عباس ومجاهد وكثادة : (فن أنظلم من كذب بآيات الله وصدف عنها) ، أي : لا آمن بها ولا حمل بها ، كقوله تعالى : (فلا صدق ولا صلي . ولكن كذب وتولي) (٣) ونحو ذلك من الآيات الثلاثة على اشتغال الكافر على التكذيب بقلبه ، وترك العمل بجوارحه . ولكن المعنى الأول أقوى وأظهر ، والله أعلم .

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِنْشَاءُ ثَرْكٍ أَوْ كَسْبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴿٥٥﴾

يقول تعالى متوعدا لكافرين به ، والمخالفين رسله والمكذبين بآياته ، والصادقين عن سيئه : (هل ينظرون إلا أن تأتيمهم الملائكة أو يأتي ربك) ، وذلك كائن يوم القيامة . (أو يأتي بعض آيات ربك) ، وذلك قبل يوم القيامة كائن من أمارات الساعة وأمرها كما قال البخاري في تفسير هذه الآية

حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا عبد الواحد ، حدثنا حمارة ، حدثنا أبو زرعة حدثنا أبو هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها » ، فإذا رآها الناس آمنوا من عليها ، فلذلك حين (لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آتت من قبل) .

حدثنا إسحاق ، حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن همام بن منبّه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها » ، فإذا طلعت و رآها الناس آمنوا أجمعون ، وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها ، ثم قرأ هذه الآية :

هكذا روى هذا الحديث (٤) من هذين الوجهين : ومن الوجه الأول أخرجه بقية الجماعة في كتبهم إلا الترمذي ، من طرق ، عن حمارة بن القعقاع بن شبرمة ، عن أبي زرعة عن عمرو بن جرير ، عن أبي هريرة ، به .
وأما الطريق الثاني فرواه عن إسحاق ، غير منسوب ، فقليل : هو ابن منصور الكوسج ، وقيل : إسحاق بن نصر (٥) والله أعلم ،

(١) سورة الأنعام ، آية ٢٦ :

(٢) سورة لقنل ، آية ٨٨ :

(٣) سورة القصص ، آية ٣١ ، ٣٢ :

(٤) البخاري ، تفسير سورة الأنعام : ٧٣/٦ .

(٥) قال ابن حجر في فتح الباري ٢٠٦/٨ : « وإسحاق في الطريق الأخرى : جزم خلف بأنه ابن نصر ، وأبو منصور بأنه ابن منصور ، وقول خلف أقوى ، والله أعلم » .

وقد رواه مسلم عن محمد بن رافع الجندبسيروي ، كلاماً عن عبد الرزاق (١) ، به .

وقد ورد هذا الحديث من طرق أخر عن أبي هريرة ، كما انفرد مسلم بروايته من حديث الملاة بن عبد الرحمن ابن يعقوب مولى الحرثمة ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، به (١) .

وقال ابن جرير : حدثنا أبو كريب ، حدثنا ابن فضيل ، عن أبيه ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاث إذا خرجن (لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً) : طلوع الشمس من مغربها ، والدجال ، ودابة الأرض » (٢) .

ورواه أحمد ، عن وكيع ، عن فضيل بن غزوان ، عن أبي حازم سلمان ، عن أبي هريرة به . وعنده : « والدخان » (٣) .

ورواه مسلم ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، وزهير بن حرب ، عن وكيع (٤) .

ورواه هو أيضاً والترمذي (٥) ، من غير وجه ، عن فضيل بن غزوان ، به .

ورواه إسحاق بن عبد الله القنري ، عن مالك ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة . ولكن لم يخرج أحد من أصحاب الكتب من هذا الوجه ، لضعف القنري ، والله أعلم .

وقال ابن جرير : حدثنا الربيع بن سليمان ، حدثنا شبيب بن الليث ، عن أبيه ، عن جعفر بن ربيعة ، عن عبد الرحمن ابن هرمز الأعرج ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت آمن الناس كلهم ، وذلك (حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل (٦)) ... الآية .

ورواه ابن لهيعة ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، به . ورواه وكيع ، عن فضيل بن غزوان ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة ، به .

أخرج هذه الطرق كلها الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره .

وقال ابن جرير : حدثنا الحسن بن يحيى ، أخبرنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، [عن أيوب] عن ابن سيرين ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها ، قيل منه » (٨) لم يخرج أحد من أصحاب الكتب الستة .

(١) مسلم ، كتاب ، كتاب الإيمان ، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان : ٩٥/١ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٢٤٧ : ٢٦٥/١٢ .

(٣) مسند الإمام أحمد : ٤٤٥/٢ ، ٤٤٦ .

(٤) مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان : ٩٥/١ .

(٥) تحفة الأوسى ، تفسير سورة الانعام ، الحديث ٥٠٦٧ : ٤٤٩/٨ ، ٤٥٠ . وقال الترمذي : « هذا حديث حسن صحيح » .

(٦) كذا ، وهو إسحاق بن عبد الله القنري عن أبيه الله القنري ينظر التلخيص : ٢٤٨/١ .

(٧) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٢١٩ : ٢٥٥/١٢ ، ٢٥٦ .

(٨) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٢٢٠ : ٢٥٦/١٢ . وما بين القوسين سقط من خطوة الأثر .

حديث آخر عن أبي ذر الغفاري ، في الصحيحين وغيرهما ، من طرق ، عن إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمي ، عن أبيه ، عن أبي ذر جندب بن جندب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «تدري أين تلعب الشمس إذا غربت ؟ قلت : لا أدري . قال : إنها تنتهي دون العرش ، ثم تحترق ساعة ، ثم تقوم حتى يقال لها : ارجعي ، فيوشك يا أبا ذر أن يقال لها : ارجعي من حيث جئت ، وذلك حين : (لا يفتح نقساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل (١)) .

حديث آخر عن حذيفة بن أسيد في سيرة التفاري ، رضي الله عنه :

قال الإمام أحمد بن حنبل (٢) : حدثنا سفيان ، عن فترات ، عن أبي الطفيل ، عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال : «أشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من غرة ، ونحن نتذاكر الساعة ، فقال : «لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات : طلوع الشمس من مغربها ، والدابة ، وخروج يأجوج ومأجوج ، وخروج عيسى ابن مريم ، والدجال . وثلاثة خسوف : خسف بالمغرب ، وخسف بالشرق ، وخسف بجزيرة العرب . وتار يخرج من قمر عدن تسوق - أو : تحشر - الناس ، تبيت معهم حيث باتوا ، وتكفل معهم حيث قالوا (٣) » .

وهكذا رواه مسلم (٤) وأهل السنن الأربعة ، من حديث فترات القزاز ، عن أبي الطفيل عامر بن واثلة ، عن حذيفة [بن أسيد ، به . وقال الترمذي : حسن صحيح .

حديث آخر عن حذيفة [بن اليان رضي الله عنه :

قال الثوري ، عن منصور ، عن ربيعة ، عن حذيفة قال : «سألت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله ، ما آية طلوع الشمس من مغربها ؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم : تطول تلك الليلة حتى تكون قدر ليلتين فينبا اللين كانوا يصلون فيها ، يصلون كما كانوا يصلون قبلها والتجوم لا تسرى ، قد قامت مكانها ، ثم يرقدون ، ثم يقومون فيصلون ، ثم يرقدون ، ثم يقومون فيطلل عليهم جنوبهم (٥) ، حتى يتناول عليهم الليل ، فيفزع الناس ولا يصيبون . فينبا هم ينتظرون طلوع الشمس من مشرقها إذ طلعت من مغربها ، فإذا رآها الناس آمنوا ، ولا يفهمهم إيمانهم » . رواه ابن مردويه ، وليس في الكتب الستة من هذا الوجه ، والله أعلم .

حديث آخر عن أبي سعيد الخدري - واسمه : سعد بن مالك بن سنان - رضي الله عنه وأرضاه .

(١) مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان : ٩٦/١ . والبخاري ، تفسير سورة يس : ١٥٤/٦ ، وسنة الإمام أحمد : ١٦٥/٥ .

(٢) في السنة ، قال الإمام أحمد : «حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا سفيان ، وأثبتنا ما في غلطه ابن كثير ، ذلك أن الإمام أحمد يروي عن سفيان بن حية ، والله أعلم .

(٣) سنة الإمام أحمد ٧/٤ .

(٤) مسلم ، كتاب الفتن ، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة : ١٧٨/٨ ، ١٧٩ . ونخبة الأشراف : أبواب الفتن .

باب ما جاء في الخسف ، الحديث ٢٢٧٤ : ٤١٣/٦ - ٤١٦ . وابن ماجه ، كتاب الفتن ، باب الآيات ، الحديث ٤٠٠٥ :

١٣٤٧/٢ . وسنن أبي داود ، كتاب اللباس ، باب لبوات الساعة ، الحديث .

(٥) كلما في الفهر للشعر : ٥٧/٣ . وفي الخطوط : «جيهم» بالياء .

قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا ابن أبي ليلى ، عن عطية العرقى ، عن أبي سعيد الخدري ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : (يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها) ، قال : طلوع الشمس من مغربها ^(١) .

ورواه الترمذي ، عن سفيان بن وكيع ، عن أبيه ، وقال : غريب ، ورواه بعضهم ولم يرفعه ^(٢) .
وفي حديث طلوت بن عباد ، عن فضال بن جبير ، عن أبي أمامة صدّي بن عجلان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أول الآيات طلوع الشمس من مغربها ^(٣) » .

وفي حديث عاصم بن أبي النجود ، عن زرّ بن حبیش ، عن صفوان بن عسّال قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله فتح باباً قبل المغرب عرضه سبعون عاماً لتوبة ، قال : لا يخلق حتى تطلع الشمس من مغربها » .
رواه الترمذي ^(٤) ، وصححه النسائي ، وابن ماجه في حديث طويل .

حديث آخر عن عبد الله بن أبي أوفى :

قال ابن مردويه : حدثنا محمد بن حل بن دحيم ، حدثنا أحمد بن حازم ، حدثنا ضرار بن سرور ، حدثنا ابن فضال ، عن سليمان بن زيّد ، عن عبد الله بن أبي أوفى قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يأتيان على الناس ليلة تملئ ثلاث ليال من لياليكم هذه ، فإذا كان ذلك يعرفها المتفلون ، يقوم أحدهم فيقرأ حزبه ، ثم ينام ، ثم يقوم فيقرأ حزبه ، ثم ينام . فليأمنهم كلكم إذ صاح الناس بعضهم في بعض فقالوا : ما هذا ؟ فيزعمون إلى المساجد ، فإذا هم بالشمس قد طلعت ، [من ^(٥) مغربها ، ففتح الناس ضجبة واحدة] حتى إذا صارت في وسط السماء رجعت وطلعت من مطلعها . قال : حينئذ لا ينفع نفساً إيمانها » .

هذا حديث غريب من هذا الوجه ، وليس هو في شيء من الكتب الستة .

حديث آخر عن عبد الله بن عمرو .

قال الإمام أحمد : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدثنا أبو حيان ، عن أبي زهرة بن عمرو بن جرير قال : جلس ثلاثة نفر من المسلمين إلى مروان بالحنيفة فسمعوه يقول - وهو يحدث في الآيات - : إن أولها خروج الدجال . قبل :

(١) مسند الإمام أحمد : ٣١/٢ .

(٢) تحفة الأحوش : تفسير سورة الانعام ، الحديث ٥٠٦٦ = ٤٤٨/٨ ، ٤٤٩ .

(٣) الحديث أخرجه مسلم ، وأبو داود ، وابن ماجه ، عن طريق أبي حيان الجبلي ، عن أبي زهرة بن عمرو بن جرير .
عن عبد الله بن عمرو . ينظر مسلم ، كتاب القتن ، باب في خروج الدجال ومكته في الأرض : ٢٠٢/٨ . وسنن أبي داود ، كتاب للاسم ، باب أمارات الساعة ، الحديث . وابن ماجه ، كتاب القتن ، باب طلوع الشمس من مغربها ، الحديث ٤٠٦٩ .
١٢٠٢/٢ .

(٤) تحفة الأحوش : أبواب اللعوات ، باب ما جاء في فضل التوبة والاستقرار ، وما ذكر من رحمة الله لعباده ، الحديث ٣٦٠٢ : ١٩/٩ ، ٥٢٠ . وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح . وابن ماجه ، كتاب القتن ، باب طلوع الشمس من مغربها ، الحديث ٤٠٧٠ = ١٢٠٢/٢ .

(٥) عن ابن عمر المشهور للسيوطي : ٥٨/٣ ، ٥٩ .

فانصرف النفر إلى عبد الله بن عمرو ، فحدثوه باللي سمعوه من مَرَّوَانِ في الآيات ، فقال : لم يقل مروان شيئا . قد حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم [في مثل ذلك حديثا لم أنه بعد ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم] (١) يقول : إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها ، وخروج الناقة ضحى ، فأنتهما كانت قبل صاحبتهما فالأخرى على أثرها . ثم قال عبد الله - وكان يقرأ الكعب - : وأظن أولها خروجا طلوع الشمس من مغربها ، وذلك أنها كلما غربت أتت تحت العرش فسجدت واستأذنت في الرجوع ، فأذن لها في الرجوع ، حتى إذا (٢) بدا الله أن تطلع من مغربها فعلت كما كانت تفعل : أتت تحت العرش فسجدت واستأذنت في الرجوع ، فلم يرد عليها شيء ، ثم تستأذن في الرجوع فلا يرد عليها شيء [ثم تستأذن فلا يرد عليها شيء] (٣) حتى إذا ذهب من الليل ما شاء الله أن يذهب ، وعرفت أنه إذا أذن لها في الرجوع لم تترك المشرق ، قالت : وبي ، ما أهد للمشرق . من لي بالناس . حتى إذا صار الأفق كأنه طوق استأذنت في الرجوع ، فيقال لها : من مكانك فاطلعي . فطلعت على الناس من مغربها ، ثم تلا عبد الله هذه الآية : (لا يرفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل) (٤) ... الآية .

وأن ترجمه مسلم في صحيحه ، وأبو داود وابن ماجه ، في سنتيهما ، من حديث أبي حيان التيمي - واسمه يحيى ابن سعيد بن حيان - عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير (٥) ، به . حديث آخر ، عنه :

قال الطبراني : حدثنا أحمد بن يحيى بن خالد بن حيان الرقي ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم - [ابن] زبير بن الجهمي - حدثنا عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار ، حدثنا ابن لمية ، عن يحيى بن عبد الله ، عن أبي عبد الرحمن الحلي ، عن عبد الله بن عمرو بن الماص قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إذا طلعت الشمس من مغربها غر إبليس ساجدا ينادي ويجهر : إلهي ، سرتي أن أسجد لك شئت . قال : فيجتمع إليه زبانيته فيقولون : يا سيدي ، ما هذا التضرع ؟ فيقول : إنما سألت رب أن ينظر إلي الوقت للعلوم ، وهذا الوقت للعلوم . قال : ثم تخرج دابة الأرض من صدع في الصفا - قال : فلول خطوة تضعها بأنتاكيا ، فتأتي إبليس فتخطه » (٦) .

هذا حديث غريب جدا وسنده ضعيف ، ولعله من الزامتين اللتين أصابهما عبد الله بن عمرو يوم اليرموك ، فادّعى فيه تفكير ، والله أعلم .

-
- (١) سقط من خطورة الأثر ، أثبتناه من مسند الإمام ، وهو سقط نظر .
 (٢) بدا الله أن تطلع ، أي : تضي . وفي اللسان : « وفي حديث الأقرع والأبرص والأحمى : بدا الله عز وجل أن ؟ لهم ، أي : تضي بالله » .
 (٣) سقط من خطورة الأثر ، وللمثبت من مسند الإمام أحد ، وهو سقط نظر .
 (٤) مسند الإمام أحمد : ٢/٢٥٩ .
 (٥) مسلم ، كتاب التين ، باب في خروج الجبال ومكة في الأرض : ٢٠٢/٨ ، ٢٠٣ . وأبو داود ، كتاب التين ، باب ١١ وابن ماجه ، كتاب التين ، باب طلوع الشمس من مغربها ، الحديث ٤٠٩٩ : ١٣٥٢/٢ . وقد سفي قريبا تخريجه هذا الحديث في هذه الكتب .
 (٦) في الخطوة : « خطبه » . وللمثبت من نشر للتشور السويطي ٢/٦٢ . وفي اللسان : وأكمل من كل دابة مقدم انتصا ولها نحو الكتب والهج .

حديث آخر عن عبد الله بن عمرو ، وعبد الرحمن بن عوف ، ومعاوية بن أبي سفيان ، رضى الله عنهم أجمعين ،

قال الإمام أحمد : حدثنا الحكم بن نافع ، حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن ضَمْضَم بن زوعة ، عن شريح بن عبيد يردّه إلى مالك بن نعيم ، عن ابن السكيت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تقطع للجرة مادام العدو يقاتل » .
 فقال معاوية ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعبد الله بن عمرو بن العاص : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال : [إن للجرة]
 نصلتان [إحداها (١) تهرج السيئات ، والأخرى تهاجر إلى الله ورسوله ، ولا تقطع ما تجلب التوبة ، ولا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من المغرب ، فإذا طلعت طلع على كل قلب عافيه ، وكفى الناس العمل (٢)] .

هذا الحديث حسن الإسناد ، ولم يخرج أحد من أصحاب الكتب الستة ، والله أعلم ،

حديث آخر عن ابن مسعود رضى الله عنه .

قال حوف الأعرابي ، عن محمد بن سيرين ، حدثني أبو عبيدة ، عن ابن مسعود أنه قال يقول : ما ذكر من الآيات قد مضى (٣) غير أربع : طلوع الشمس من مغربها ، والدجال ، ودابة الأرض ، وغروج ياجوج ومأجوج - قال : وكان يقول : والآية التي تحتم بها الأعمال طلوع الشمس من مغربها ، ثم تر أن الله يقول : (يوم يأتي بعض آيات ربك) ... الآية كلها ، يعني طلوع الشمس من مغربها (٤) .

حديث ابن عباس رضى الله عنهما ، رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره من حديث عبد المتعم بن إدريس عن أبيه ، عن وهب بن منبه ، عن ابن عباس مرفوعاً - فذكر حديثاً طويلاً غريباً منكراً رضعه ، وفيه : أن الشمس والقمر يطلعان يومئذ مقرنين ، وإذا تَصَمَّتا السياه رجعا ثم عانا إلى ما كانا عليه . وهو حديث غريب جداً ، بل منكرو ، بل موضوع إن ادعى أنه مرفوع ، فلما وقف على ابن عباس أو وهب بن منبه - وهو الأشبه - فغير مرفوع ، والله أعلم .
 وقال سفيان ، عن منصور ، عن عامر ، عن عائشة قالت : إذا خرج لول الآيات ، طرحت في الكلام ، وحسبت الحفظة ، وشهدت الأجساد على الأعمال (٥) . رواه ابن جرير :

قوله : (لا يفتح نفساً إيمانها لم تكن آتت من قبل) ، أي : إذا أنشأ الكافر إيماناً يومئذ لا يقبل منه ، فلما من كان مؤمناً قبل ذلك ، فإن كان مصلحاً في عمله فهو غير عظيم ، وإن كان مفلساً فأحدث توبة حيث لم تقبل منه توبه ، كما دلت عليه الأحاديث المتقدمة ، وعليه يعمل قوله تعالى : (لو كسبت في إيمانها خيراً) ، أي : ولا يقبل منها كسبة عمل صالح إذا لم يكن حاملاً به قبل ذلك .

(١) نقل المسند : « إحداهما أن تهرج السيئات ، والأخرى أن تهاجر إلى الله ورسوله ، ولا تقطع للجرة ما جلبه التوبة » .

(٢) مسند الإمام أحمد : ١٩٧/١ .

(٣) نسط الخليلي : « فقه صغير » .

(٤) تفسير الخليلي : الأثر ١٤٢٢٩ : ١٢/٣٦٠ .

(٥) للمصدر السابق ، الأثر ١٤٢٤٦ : ١٢/٢٦٥ .

وقوله : (قل انتظروا إنا منتظرون) ، تهديد شديد للكافرين ، ووعد أكيد لمن سوف يؤمن بالله وتوبته إلى وقت لا ينفعه ذلك . وإنما كان الحكم هذا عند طلوع الشمس من مغربها ، لا اقتراب وقت القيامة ، وظهر أمرها ، كما قال : (فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون) ، فأتى ثم إذا جاءتهم ذكراهم (١) ، وقال تعالى : (فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرت بما كنا به مشركين . فلم يك ينفعهم إيمانهم إلا أولاً بأسنا) (٢) .. الآية .

إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٣٥﴾

قال جاهد ، وقادة ، والفضلاء ، والسدى : نزلت هذه الآية في اليهود والنصارى (٣) .

وقال العوفي ، عن ابن عباس في قوله : (إن الذين فرقوا دِينَهُمْ) دينهم كانوا شيعاً ، وذلك أن اليهود والنصارى اختلفوا قبل أن يبعث محمد صلى الله عليه وسلم ، ففرقوا . فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم أنزل (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء) ... الآية (٤) .

وقال ابن جرير : حدثني سعيد بن عمرو السكوني ، حدثنا بقية بن الوليد : كتب إلى عباد بن كثير ، حدثني ليث ، عن طاوس ، عن أبي هريرة قال : قال (٦) رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن في هذه الأمة (الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء) ، وليسوا منك ، هم أهل البدع ، وأهل الشبهات ، وأهل الضلالة ، من هذه الأمة (٧) . لكن هذا الإسناد لا يصح ، فإن عباد بن كثير مزكوك الحديث ، ولم يخلق هذا الحديث ، ولكنه وهم في رفعه . فإنه رواه سفيان الثوري ، عن ليث - وهو ابن أبي سليم - عن طاوس ، عن أبي هريرة ، عن أبي هريرة : (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً) ، قال : نزلت في هذه الأمة .

وقال أبو غالب ، عن أبي أمامة ، في قوله : (وكانوا شيعاً) ، قال : هم الخوارج . وروى عنه مرفوعاً ، ولا يصح . وقال شعبه ، عن جبال ، عن الشعبي ، عن شريح ، عن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة : (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً) ، قال : هم أصحاب البدع . وهذا رواه ابن مردويه ، وهو غريب أيضاً ، ولا يصح رفعه .

(١) سورة محمد ، آية : ١٨ .

(٢) سورة طه ، آية : ٨٤ ، ٨٥ .

(٣) ينظر تفسير الطبري : ٢٦٩/١٢ ، ٢٧٠ .

(٤) كلما في ضلوة الأثر : (ففرقوا) ، وهي قراءة حل والأخوان . قال أبو حيان في البحر المحيط ٢٦٠/٤ : ومناها قريب من قراءة باقي النسبة بالتشديد ، تقول : ضللت وضل .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٣٩١ : ٢٦٩/١٢ ، ٢٧٠ .

(٦) نص الطبري : « من أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في هذه الآية : (إن الذين) ... » .

(٧) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٢٦٦ : ٢٧٠/١٢ ، ٢٧١ .

والظاهر أن الآية عامة في كل من فرق دين الله ، وكان مخالفاً له ، فإن الله يثب رسوله بالملى ودين الحق يظهره على الذين كله ، وشرعه واحد لا اختلاف فيه ولا افتراق ، فمن اخطف فيه (وكانوا شيعاً) ، أى : فريقاً كأهل الملل والتحل - وهى الأهواء والفضلالات - قاله قد يراً رسوله بما هم فيه : وهذه الآية كقولته تعالى : (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً واللى أوحينا إليك) (١) ... الآية : وفى الحديث « نحن معشر الأنبياء أولاد عكرات ، ديننا واحد » (٢) . فهنا هو الصراط المستقيم ، وهو ما جاءت به الرسل ، من عبادة الله وحده لا شريك له ، واتصك بشرية الرسل المتأخر ، وما خالف ذلك فضلالات وجهالات وآراء وأهواء الرسل يؤكده منها ، كما قال : (لست منهم فى شيء) . وقوله : (إنما أمرهم إلى الله ثم ينتهم بما كانوا يفعلون) ، كقولته : (إن الذين آمنوا والذين هادوا الصابئين والتصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة) (٣) :: الآية ، ثم بين فضله (٤) يوم القيامة فى حكمه وعده قال :

مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مِثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يَجْزِيهِ إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥﴾

وهذه الآية الكريمة مفصلة لا لأجل فى الآية الأخرى ، وهى قوله : (من جاء بالحسنة فله عشر مثلتها) ، وقد وردت الأحاديث مطابقة لهذه الآية ، كما قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله :

حدثنا حنن ، حدثنا جعفر بن سليمان ، حدثنا الجعد أبو عثمان ، عن أبي رجاء الطائرى ، عن ابن عباس رضى الله عنهما ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما يروى عن ربه ، عز وجل ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن ربكم رحيم ، من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ، فإن عملها كتبت له عشرين إلى سبعائة ، إلى أضعاف كثيرة . ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة ، فإن عملها كتبت له واحدة ، أو يحسوها الله عز وجل ، ولا يهلك على الله إلا هالكاً (٥) .

ورواه البخارى ، ومسلم ، والسنائى ، من حديث الجعد أبو عثمان (٦) .

وقال أحمد أيضاً : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن عمرو بن سويد ، عن أبي ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يقول الله عز وجل : من عمل حسنة فله عشر أمثالها (٧) ، وأزيد . ومن عمل سيئة فجزاؤه مثلاً أو أكثر (٨) . ومن عمل قُرْكَاب الأرض خطيئة ثم تقبلى لا يشرك فى شيئا جعلت له مثلاً مغفرة ، ومن اقرب إلى شرا اقرب إلى ذراعى ، ومن اقرب إلى ذراعى اقرب إلى باعاً ، ومن أتقى عصى أبيته هرولة » (٩) .

(١) سورة الشورى : الآية : ١٣ .

(٢) معنى شرح « عكرات » فى ٢٧٠/١ . والحديث أخرجه مسلم فى كتاب الفضائل ، باب فضائل موسى عليه السلام : ٩٦/٨ . والإمام أحمد فى مسنده : ٤٠٦/٢ ، ٤٢٧ .

(٣) سورة الحج : آية : ١٧ .

(٤) فى غرلة الأثر ، ودار الكتب : ١٠ ، تفسير : ثم بين نفسه . ولعل الصواب ما أئتمناه .

(٥) مسند الإمام أحمد : ٢٧٩/١ .

(٦) البخارى ، كتاب الرقائق ، باب من هم بحسنة أو سيئة : ١٢٨/٨ . ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب إذا هم بالعبادة بحسنة كتبت ، وإذا هم بسيئة لم تكتب : ٨٣/١ .

(٧) لفظ المسند : « أو أزيد » .

(٨) أى : أكثر مثلاً .

(٩) مسند الإمام أحمد : ١٥٣/٥ .

ورواه مسلم عن أبي كريب ، عن أبي معاوية ، به . وعن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن وكيع ، عن الأعمش ، به .
ورواه ابن ماجه ، عن حل بن محمد الطائفي ، عن (١) وكيع ، به .

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي : حدثنا شيخان ، حدثنا حماد ، حدثنا ثابت ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ، فإن عملها كتبت له عשרاً . ومن هم
بسيئة فلم يعملها لم يكتب عليه شيء » ، فإن عملها كتبت عليه سيئة واحدة .

واعلم أن تارك السيئة الذي لا يعملها على ثلاثة أقسام : تارة يتركها لله ، فهذا تكتب له حسنة على كفه عنها لله تعالى ،
وهذا محل نية . ولهذا جاء أنه يكتب له حسنة ، كما جاء في بعض ألفاظ الصحيح : « فإنما تركها من جبراً (٢) » ،
أي : من أجل . وتارة يتركها نسياناً وذهولاً عنها ، فهذا لا له ولا عليه ، لأنه لم ينو خيراً ولا فساداً . وتارة يتركها
هجزاً وكسلاً بعد السعي في أسبابها والتبسط بما يقرب منها ، فهذا ينتزل منزلة فاعلها ، كما جاء في الحديث ، في الصحيحين :
« إذا تراجع المسلمان بينهما فالتقاتل ولقتلوا في النار » . قالوا : يا رسول الله ، هذا القاتل ، فما بال المقتول ؟ قال :
« إنه كان حريصاً على قتل صاحبه » (٣) .

قال الإمام أبو يعلى الموصلي : حدثنا مجاهد بن موسى ، حدثنا علي - وحدثنا الحسن بن الصباح وأبو غنيم - قالوا :
حدثنا إسحاق بن سليمان ، كلاهما عن موسى بن عبيدة ، عن أبي بكر بن عبيد الله بن أنس ، عن جده أنس قال : قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من هم بحسنة كتب الله له حسنة ، فإن عملها كتبت له عשרاً . ومن هم بسيئة لم تكتب
عليه حتى يعملها ، فإن عملها كتبت عليه سيئة » ، فإن تركها كتبت له حسنة . يقول الله تعالى : إنما تركها من هفوة .
هذا لفظ حديث مجاهد - يعني ابن موسى .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا شيخان بن عبد الرحمن ، عن الركين بن الربيع ، عن أبيه ،
عن عمه فلان بن حيلة ، عن خريم بن فاتك الأسدي : أي النبي صلى الله عليه وسلم قال : الناس أربعة والأعمال ستة .
فالتاسع مومع له في الدنيا والآخرة ، ومومع له في الدنيا مقنن عليه في الآخرة ، ومقنن عليه في الدنيا مومع له في
الآخرة ، وشقي في الدنيا والآخرة . والأعمال موبجبان ، ومثل بطل ، وعشرة أضعاف ، وسبعمائة ضعف ، فالموجببان
من مات مسلماً مؤمناً لا يشرك بالله شيئاً وجبت له الجنة ، ومن مات كافراً وجبت له النار . ومن هم بحسنة فلم يعملها ،
فلم الله أنه قد أشعرتها فكتبه وحرمس عليها ، كتبت له حسنة . ومن هم بسيئة لم تكتب عليه ، ومن عملها كتبت واحدة

(١) مسلم ، كتاب الأكر والدعاء ، باب فضل الأكر والدعاء والتفرد إلى الله تعالى : ٦٦/٨ . وابن ماجه ، كتاب
الأدب ، باب فضل العمل ، الحديث ٣٨٢١ : ١٢٥٥/٢ .
(٢) مسلم ، كتاب الإيمان ، باب إذا هم القيد بحسنة كتبت ، وإذا هم بسيئة لم تكتب : ٨٢/١ . وسنة الإمام أحمد
عن أبي هريرة من حديث طويل : ٣١٧/٢ .
(٣) مسلم ، كتاب التنبيه ، باب إذا تراجع المسلمان بينهما : ١٧٠/٨ ، ١٧١ . والبخاري ، كتاب الإيمان ، باب
(وإن طلاقين من المؤمنين انتصروا فأسلموا بينهما) : ١٤/١ ، ١٥ . وكتاب الهبات ، باب قول الله تعالى : (ومن أسلمها) :
٥/٩ .

ولم تضاعف عليه . ومن عمل حسنة كانت عليه بمشر أمثالا . ومن أتقى ثقة في سبيل الله عز وجل كانت له بسجدة ضعف (١) .

ورواه الترمذى والنسائى ، من حديث الركين بن الربيع ، عن أبيه ، عن بشر بن عتبة ، عن خريم بن فاتك ، به بمضم . والله أعلم .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا عبيد الله بن عمر القولوبرى ، حدثنا يزيد بن زريع ، حدثنا حبيب اللعلم ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « غفر الجمعة ثلاثة نفوس رجل حضرها بلغه فهو حظه منها ، ورجل حضرها بدعاء ، فهو رجل دعا الله ، فإن شاء أخطأه ، وإن شاء منعه . ورجل حضرها بالصلاة وسكوت ولم ينشط رقة مسلم ولم يؤذ مسلما ، ففى كفارة له إلى الجمعة التى تليها وزيادة ثلاثة أيام . وذلك لأن الله يقول : (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالا) (٢) » .

وقال الخافض أبو القاسم الطبرانى : حدثنا هاشم بن مرثد (٣) ، حدثنا محمد بن إسحاق ، حدثنى أبى ، حدثنى فضمض : ابن زرع . عن شريح بن عبيد ، عن أبى مالك الأشعرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الجمعة كفارة لما بينها وبين الجمعة التى تليها (٤) . وزيادة ثلاثة أيام ، وذلك لأن الله تعالى قال : (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالا) » .

وعن أبى ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من صام ثلاثة أيام من كل شهر لقد صام الدهر كله » .

رواه الإمام أحمد (٥) . وهذا لقوله . والنسائى ، وابن ماجه ، والترمذى وزاد : « فأقر الله تصديق ذلك فى كتابه (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالا) اليوم ببشرة أيام » ، ثم قال : هذا حديث حسن .

وقال ابن مسعود : (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالا) ، من جاء « لا إله إلا الله » ومن جاء بالبيت ، ويقول : بالشرك (٦) .

وهكذا ورد عن جماعة من السلف (٧) .

وقد ورد فيه حديث مرفوع - الله أعلم بصحته ، لكن لم أره من وجه يثبت - والأحاديث والآثار فى هذا كثيرة جليلا ، وغيا يذكر كفاية ، إن شاء الله ، وبه الثقة .

(١) مسند الإمام أحمد : ٣٤٥/٤ . ويظهر : ٣٢٢/٤ . ٣٤٦ .

(٢) جامع الطهون السيوطى : ٦٥٠/٣ . ٦٥٠/٤ .

(٣) هكذا مرثد فى غلطة الأثر ، وغلطه دار الكتب ١٥ تفسير . وفى للمصنف الصغير الطبرانى ١٢٦/٢ .

(٤) فى غلطة الأثر : « وبين الجمعة التى قبلها » وللمثبت من جميع الروايات والبيانات السابقة . يقول السيوطى ١٧٢/٢ .

(٥) روى الطبرانى فى الكبير ، وفيه محمد بن إسحاق بن عمار ، عن أبيه ، قال أبو حاتم : لم يسمع من أبيه شيئا .

(٦) مسند أحمد : ١٤٥/٥ ، ١٤٦ ، والنسائى ، كتاب الصوم ، باب ٧٢ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٨ ، ٨٢ .

وابن ماجه ، كتاب الصوم ، باب ما جاء فى صوم ثلاثة أيام من كل شهر ، الحديث ١٧٨ ، ٥٤٠/١ . ونسخة الأحرافى .

أبواب الصوم ، باب ما جاء فى صوم ثلاثة من كل شهر ، الحديث ٧٥٩ ، ٤٧٠/٢ .

(٧) تفسير الطبرى ، الأثر ١٢٧٧١ - ١٤٢٧٥ ، ٢٧٦/١٢ ، ٢٧٧ .

(٨) يظهر المصدر السابق : ٢٧٧/١٢ - ٢٧٩ .

قُلْ إِنِّي مِثْلُ نَارِي إِلَى اللَّهِ يَسْمُكُهُ وَيَخْتَارُ ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُتَكِبِينَ ﴿١١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۚ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٣﴾

يقول تعالى آمراً نبيه صلى الله عليه وسلم سيد المرسلين أن يخبر بما أنعم الله به عليه من الهداية إلى صراطه المستقيم ، الذي لا اعوجاج فيه ولا انحراف : (ديناً قيمياً) ، أي : قائماً ثابتاً ، (ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين) كقوله : (ومن يرضخ عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه) (١) ، وقوله : (وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم) (٢) ، وقوله : (إن إبراهيم كان أمةً قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين . شاكراً لأنصحه اجتباه وهده إلى صراط مستقيم . وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين . ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين) (٣) .

وليس يلزم من كونه أمر باتباع ملة إبراهيم الحنيفية أن يكون إبراهيم أكمل منه فيها ، لأنه عليه السلام قام بها قياماً عظيماً ، وأكمل له إكمالاً تاماً لم يسبقه أحد إلى هذا الكمال . ولهذا كان خاتم الأنبياء ، وسيد ولد آدم حل في الإطلاق ، وصاحب المقام المحمود الذي يرهب إليه الخلق حتى لإبراهيم لخليل عليه السلام .

وقد قال ابن مردويه : حدثنا محمد بن عبد الله بن حفص ، حدثنا أحمد بن عمام ، حدثنا أبو داود الطيالسي ، حدثنا شعبة ، أنبأ سلمة بن كهيل ، سمعت زر بن عبد الله الميموني ، يحدث عن ابن أبيزى ، عن أبيه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أصبح قال : « أصبحنا على ملة الإسلام ، وكلمة الإخلاص ، ودين نبينا محمد ، وملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، أخبرنا محمد بن إسحاق ، عن داود بن الحصين ، عن هكرمة ، عن ابن عباس قال : « قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أي الأديان أحب إلى الله ؟ قال : الحنيفية السمحة » (٤) .

وقال أحمد أيضاً : حدثنا سليمان بن داود ، حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : « وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم [تقاً] (٥) على منكبيه ، لأنظر إلى زفت الحيفة ، حتى كنت إلى ملت قاتصرفت عنه .

قال عبد الرحمن ، عن أبيه قال : قال في عروة : إن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ : « تعلم يود أن في ديننا سمحة » إلى أرسلت بحقيقة سمحة » (٦) .

(١) سورة البقرة ، آية : ١٣٠ .

(٢) سورة الحج ، آية : ٧٨ .

(٣) سورة التوبة ، الآيات : ١٢٠ / ١٢٣ .

(٤) منه الإمام أحمد : ٢٣٦/١ .

(٥) عن سنن الإمام أحمد وزين الحيفة ، معهم .

(٦) منه الإمام أحمد : ١١٦/٦ .

أصل الحديث عرج في الصحيحين ، والزيادة لما شاهده من طرق عدة ، وقد استصعبت طرقها في شرح البخاري ،
وقد الحمد والمئة

وقوله تعالى : (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين) ، يأمره تعالى أن غير المشركين الذين يبدون
شبهة ويلجئون لغير اسمه ، أنه مخالف لم في ذلك ، فإن صلاته لله ونسكه على اسمه وحده لا شريك له : وهذا كقوله
تعالى : (فصل لربك وانحر (١)) ، أي : أنخلص له صلاتك وذبيحتك ، فإن للمشركين كانوا يبدون الأصنام ويلجئون
لها ، فأمره الله تعالى بمخالفتهم والانحراف عما هم فيه ، والإقبال بالقصد والنية والزم على الإخلاص لله تعالى .

قال مجاهد في قوله : (إن صلاتي ونسكي) ، قال : « التسلط » : التبع في الحج والعمرة (٢) .

وقال الثوري ، عن السدي ، عن سعيد بن جبير ، (ونسكي) ، قال : ذبني . وكلما قال السدي والضحك (٣) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن عوف ، حدثنا أحمد بن خالد الوهبي ، حدثنا محمد بن إسحاق ، عن يزيد
ابن أبي حبيب ، عن ابن عباس ، عن جابر بن عبد الله قال : سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم عيد بكشين ،
وقال حين ذبحهما : « وجهتي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين . إن صلاتي ونسكي ومحياي
ومماتي لله رب العالمين . لا شريك له ويليك أمرت وأنا أول المسلمين » .

وقوله (وأنا أول المسلمين) ، قال قتادة : أي من هذه الأمة (٤) .

وهو كما قال ، فإن جميع الأنبياء قبله كلهم كانت دعوتهم إلى الإسلام ، وأصله عبادة الله وحده لا شريك له ، كما قال :
(وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) (٥) ، وقد أخبر تعالى عن نوح أنه قال لقومه :
(فإن توليتم فاعلموا ما سألتكم من أجر إن أجرى إلا على الله وأمريت أن أكون من المسلمين) (٦) . وقال تعالى : (ومن يرغبت
عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيه في الدنيا وإنه في الآخرة من الصالحين إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت
لرب العالمين . ووصى بها إبراهيم بنوه ويعقوب يابني إن الله اصطفى لكم الدين ، فلا تعبدوا إلا وأبني مسلمون) (٧) ،
وقال يوسف عليه السلام : (رب قد آتيتني من الملك وطعنتي من تأويل الأحاديث ، فاطر السموات والأرض ، أنت
ولي في الدنيا والآخرة ، توفني مسلماً وألحقني بالصالحين) (٨) ، وقال موسى (يا قوم ، إن كنتم آمنتم بالله فعليه
توكلوا إن كنتم مسلمين . فقالوا على الله توكلنا ، ربنا لا نجعلنا لنع قوم الظالمين . ونجنا برحمتك من القوم الكافرين) (٩)

(١) سورة البقرة ، آية : ٢ .

(٢) تفسير الطبري ، الآثار ١٤٢٩٦ - ١٤٢٩٨ : ١٢ / ٢٨٤ .

(٣) ينظر تفسير الطبري : ١٢ / ٢٨٤ ، ٢٨٥ .

(٤) المصدر السابق ، الأثر ١٤٢٠٦ : ١٢ / ٢٨٥ .

(٥) سورة الأنبياء ، آية : ٢٥ .

(٦) سورة يونس ، آية : ٧٢ .

(٧) سورة البقرة ، الآيات : ١٢٠ - ١٢٢ .

(٨) سورة يوسف ، آية : ١٠١ .

(٩) سورة يونس ، الآيات : ٨٤ - ٨٦ .

وقال تعالى : (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِيهَا هَدًى وَنُورًا يَهْدِي بِهَا الْبُتُونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا مِنَ الْفِتْنِ هَادُوا وَتَرْبَايُونَ وَالْأَحْيَاءُ) (١).
الآية . وقال تعالى : (وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْخَوَارِجِ أَنْ آمَنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَنُشْهِدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) (٢) .

فأعجب تعالى أنه يهت رسالة بالإسلام ، ولكنهم متفاوتون فيه بحسب شرائعهم الخاصة التي ينسخ بعضها بعضاً ، إلى أن نسخت بشرية محمد صلى الله عليه وسلم التي لا تنسخ أبد الآبدين ، ولا تزال قائمة منصوره ، وأعلامها مشهورة إلى قيام الساعة . ولما قال عليه السلام : « نحن معاشر الأنبياء أولاد عجلات ديننا واحد » (٣) ، فإن أولاد العجلات هم الأنبياء من أب واحد ولهمات شتى ، فالدين واحد وهو عبادة الله وحده لا شريك له ، وإن تفرقت الشرائع التي هي بمنزلة الأمهات ، كما أن بنة الأخفاف عكس هذا ، بنو الأم الواحدة من آباء شتى ، والإخوة الأحياء الأشقاء من أب واحد وأم واحدة ، والله أعلم .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا أبو سعيد ، حدثنا عبد العزيز بن عبد الله للجشون ، حدثنا عبد الله بن الفضل الهاشمي ، عن الأخرج ، عن عبيد الله بن أبي رافع ، عن علي بن رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا كبر استفتح ، ثم قال (وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين) ، (إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين . لا شريك له ، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) ، اللهم أنت الملك ، لا إله إلا أنت ربنا وحده لا شريك له ، فاعترفت بذنبي ، لا يضر الذنوب إلا أنت . وأهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت . واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت . تباركت وتعاليت ، استغفرك وأتوب إليك (٤) . ثم ذكر تمام الحديث فيما يقوله في الركوع والسجود والشهد . وقد رواه مسلم في صحيحه (٥) .

قُلْ أَغْنِ اللَّهُ أَبْنِيَّ رَبِّي وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٠﴾

يقول تعالى : (قل) يا محمد هؤلاء للمشركين بالله في إخلاص العبادة له والتوكل عليه : (أغنى الله أبنائي رباً) أي : أطلب ربا سواه [وغروب كل شيء] يربى ويحفظني ويكفوني ويدبر أمري . أي : لا أتوكل إلا عليه ، ولا أطلب إلا إليه ، لأنه رب كل شيء ومليكه ، وله الخلق والأمر .
هذه الآية فيها الأمر بإخلاص التوكل ، كما تضمنت الآية التي قبلها إخلاص العبادة له لا شريك له . وهذا المعنى يقرن بالآخر كثيراً ، كما قال تعالى مرشداً لعباده أن يقولوا : (إليك تجدد إليك يستعين) (٦) ، وقوله : (فاعبه وتوكل

(١) سورة المائدة : آية : ٤٤ .

(٢) سورة المائدة : آية : ١١١ .

(٣) من تفرغ هذا الحديث ، منه الآية : ١٥٩ من هذه السورة .

(٤) منه أحد : ١٤/١ . ونظر أيضاً : ١٠٧/١ .

(٥) مسلم ، كتاب صلاة المسافرين : ١٨٥/٢ ، ١٨٦ .

(٦) سورة الناحية : آية : ٥٥ .

عليه (١) وقوله : (قل هو الرحمن آتاه به وعليه توكلنا (٢) ، وقوله : (وب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذة وكيلا (٣) ، وأشبه ذلك من الآيات .

وقوله : (ولا تكسب كل نفس إلا عليها ، ولا تزر وازرة وزر أخرى) ، إظهار عن الواقع يوم القيامة في جزاء الله تعالى وحكمه وعده ، أن النفوس إنما تجازي بأعمالها ، إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر . وأنه لا يحصل من عطية أحد على أحد . وهذا من هذه تعالى ، كما قال : (وإن تدع مثقل إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى) (٤) ، وقوله : (فلا يحافظ ظلما ولا هضمًا) ، قال علماء التفسير : فلا يظلم بأن يحمل عليه سيئات غيره ، ولا يهضم بأن ينقص من حسناته . وقال تعالى : (كل نفس بما كسبت رهينة . إلا أصحاب اليمين) (٦) ، معناه ، كل نفس مرتبة بعملها إلى أصحاب اليمين ، فإنه قد تعود بركات أعمال الصالحة على ذلهم . [كما قال في سورة المطور : (والذين آمنوا والذين هدىم فبهم ذريعتهم ما يابان) لمحقنا بهم ذريعتهم وما لنكاهم من ملهم من شيء) ، أي : أحققنا بهم فبهم في الميزنة الربوبية في الجنة ، وإن لم يكونوا قد شاركوكم في الأعمال ، بل في أصل الإيمان ، (وما لنكاهم) ، أي : أنقصنا (٧) أولئك للسادة الرفاه من أعمالهم شيئا حتى ساوناهم وهؤلاء الذين هم أنقص منهم منزلة ، بل رفهم تعالى في منازل الآيات بركة أعمالهم ، بفضلهم ومنه . ثم قال : (كل امرئ بما كسبه رهين) ، أي : من مشر .

وقوله : (ثم إلى ربكم مرجعكم لينبئكم بما كنتم فيه تكفون) ، أي : اعملوا على مكائتكم إنا حاملون على ما نحن عليه ، فستعرضون وتعرض عليه ، وينبئنا وإياكم بأعمالنا وأعمالكم ، وما كنا نخطف فيه في الدار الدنيا . كما قال تعالى : (قل لا تسألون عا أجرنا ولا نسال عما تعملون : قل جميع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتح العليم) (٨) .

وَمَا إِلَىٰ جَهَنَّمَ عَلَيْكَ الْأَرْضُ وَمَعَ بَيْتِكَ لَوْ أَنَّ بَيْنَ مَرْجَبٍ لِّبَيْتِكَ لَمَاءَ شَكَرَ إِذْ نَزَلَ مِنْكَ نَبِيٌّ
الْغَيْبِ وَلَمْ يَلْقَ الْغُفْرَ رَحِمَ ۝۱۵۰

يقول تعالى : (وهو الذى جعلكم خلائف الأرض) ، أى : جعلكم تصرون الأرض جيلا بعد جيل ، وقرنا بعد قرن ، وخلقنا بعد سلف . قاله (ابن زيد) وغيره ، كما قال : (ولو نشاء لجلنا منكم لما تكة فى الأرض يخفون) (١٠)

(١) سورة هود، آية: ١٢٢.

(۲) سورة الملك ، آية : ۲۹ .

(۳) سورة المزمل ، آية : ۹ .

(٤) سورة الفاطر : آية : ١٨ .

(٥) سورة طه، آية ١١٢.

(٦) سورة النثر ، آية : ٣٨ ، ٣٩ .

(٧) كذا في المخطوطة . وتمنى و تقص : بالهمز فميت . ينظر للصباح .

(٨) سورة جہا ، آية : ٢٨ + ٢٦ .

(٩) في مخطوطة الأزهر ودار الكتب (١) تفسير : «قال ابن زيد وغيره» . ينظر اثر المنصور السبكي ١٩٧/٢ .

فهذا الآخر رواه ابن أبي حاتم عن ابن زيد .

(١٠) سورة الزمر : آية ٦٠ .

أَوْفَوْهُ تَمَلُّ : (وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ) (١) ، وقوله : (إِنْ جَاعَلَ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) (٢) وقوله : (حَسْبُ رَيْكُم أَنْ يَجْعَلَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ) (٣) .

وقوله : (وَرَفَعَ بَعْضُكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ) ، أَيْ : قَامَتْ بَيْنَكُمْ فِي الْأَرْزَاقِ وَالْأَخْلَاقِ ، وَالْهَاسِنِ وَالْمَسْأُوءِ ، وَالْمُنَاطَرِ وَالْأَشْكَالِ وَالْأَلْوَانِ ، وَهِيَ الْحِكْمَةُ فِي ذَلِكَ ، كَقَوْلِهِ : (نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا) (٤) ، وقوله : (أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا) (٥) .

وقوله : (لِيَلْزَمَكُمْ فِئَاكُم) ، أَيْ : لِيَجْتَمِعَ فِي الْإِثْمِ بِهِ عَلَيْكُمْ وَامْتَحَنَكُمْ بِهِ ، لِيَجْتَبِرَ النَّفْسَ فِي غَنَاهُ وَيَسْأَلَهُ عَنْ شُكْرِهِ ، وَالْتَفَتِرَ فِي فَقْرِهِ وَيَسْأَلَهُ عَنْ صَبْرِهِ .

وقد روى مسلم في صحيحه ، عن حَيْثُ ابْنِ تَمِيمَةَ ، عَنْ ابْنِ سَعِيدٍ الْخَطَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنْ الدُّنْيَا حُلُوةٌ خَضِرَةٌ وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا لِيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أَهْلَ النَّسَاءِ ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةٍ بَيْنَ إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النَّسَاءِ » (٦) .

وقوله : (إِنْ رَيْكَ سَرِيعَ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَفُضُّورٌ رَحِيمٌ) ، تَرْهِيْبُهُ وَتَرْغِيْبُهُ ، أَنْ حَسَابَهُ وَعِقَابَهُ سَرِيعٌ مِنْ عَصَاةٍ وَخَالَفَ رِسْلَهُ . (وَإِنَّهُ لَفُضُّورٌ رَحِيمٌ) لَنْ يَزَالَه وَاتَّبَعَ رِسْلَهُ فَيَا جَاعِلُوا بِهِ مِنْ شَيْءٍ وَطَلَبَ .

وقال محمد بن إسحاق : يَرْحَمُ الْعِبَادَ عَلَى مَا فِيهِمْ . رواه ابن أبي حاتم .

وكثيراً ما يقرن تَمَلُّ فِي الْقُرْآنِ بَيْنَ هَاتَيْنِ الصَّفَتَيْنِ ، كَمَا قَالَ : وقوله : (لِيُجِءَ عِبَادِي أَنْ أُنَازِلَهُمْ الرِّجْمَ . وَأَنْ عَلَيَّ هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ) (٧) وَإِنْ رَيْكَ لِلَّهِ مُضْعِفَةٌ لِلنَّاسِ عَلَى ظَلَمِهِمْ ، وَإِنْ رَيْكَ لَشَدِيدِ الْعِقَابِ (٨) وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ لِلْمُشْتَمِلَةِ عَلَى التَّرْغِيْبِ وَالتَّرْهِيْبِ ، فَطَرَةً يَدْعُو عِبَادَهُ إِلَيْهِ بِالرَّغْبَةِ وَصِفَةِ الْجَنَّةِ وَالتَّرْغِيْبِ قِيَاماً لَدَيْهِ ، وَطَرَةً يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ بِالرَّهْبَةِ وَذِكْرِ النَّارِ وَأَذْكَالِهَا وَعَذَابِهَا وَالْقِيَامَةِ وَأَهْوَالِهَا ، وَطَرَةً يَهْدِيهِمْ إِلَى تَرْجِيحِ كُلِّ مَعْصِيَةٍ . جَعَلْنَا اللَّهُ مِنْ أَطَاعِهِ قِيَاماً ، وَتَرْكُ مَا عَنْهُ نَهْيٌ وَزَجْرٌ ، وَصَلَتْهُ قِيَامُهُ ، إِنَّهُ قَرِيبٌ مَجِيبٌ لِدَعَاءِ الْجَوَادِ كَرِيمٍ وَهَابٍ .

(١) سورة النمل ، آية : ٦٢ .

(٢) سورة البقرة ، آية : ٢٥ .

(٣) سورة الأعراف ، آية : ١٢٩ .

(٤) سورة الفرقان ، آية : ٣٢ .

(٥) سورة الإسراء ، آية : ٢١ .

(٦) مسلم ، كتاب الرقاق ، باب أكثر أهل الجنة الفقراء ، وأكثر أهل النار النساء ، وبينان الفتنة بالنساء : ٨٩/٨ .

(٧) سورة الحجر ، آية : ٨٩ .

(٨) سورة الرعد ، آية : ٦ .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا زهير ، عن الللاء ، عن أبيه ، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما ظمع بالجنة أحد . ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط (١) من الجنة أحد . خلق الله مائة رحمة فوضع واحدة بين خلقه يترحمون بها ، وعند الله تسعة وتسعون (٢) » .

ورواه الترمذي ، عن قتيبة ، عن عبد العزيز الدراوردي ، عن الللاء به . وقال : حسن (٣) . ورواه مسلم عن يحيى ابن يحيى وثيبة وعل بن حنبل ، ثلاثتهم عن إسماعيل بن جعفر ، عن (٤) الللاء .

(١) في المخطوطة : « ما قنط أحد من الجنة » . والثبت من مسند أحمد .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٤٨٤/٢ .

(٣) تحفة الأحوص ، أبواب الدعوات ، الحديث ٣٦٠٩ : ٥٢٦/١٢ .

(٤) مسلم ، كتاب التوبة ، باب في مسرة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه : ٩٧/٨ . هذا والحديث كما في الصحيح رواه مسلم عن يحيى بن أيوب ، لا يحيى بن يحيى . وكلاهما يروى عن إسماعيل بن جعفر ، ويروى عنه مسلم . ينظر التهذيب : ١٨٨/١١ ، ٢٩٦ .

تفسير سورة الأعراف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَعْسُ ① كَيْتُ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِيُنْزِلَ بِهِ، وَذَكِّرْ لِلْمُؤْمِنِينَ ② أَنْبِئُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مِمَّا تَدَّكُرُونَ ③

قد تقدم الكلام في أول «سورة البقرة» (١) على ما يتعلق بالحروف وبسطه ، واختلاف الناس فيه :

وقال ابن جرير : حدثنا سفيان بن وكيع ، حدثنا أبي ، عن شريك ، عن عطية بن السائب ، عن أبي الفتح ، عن ابن عباس : (للمعس) ، « أنا الله لأفصل » (٢) . وكلنا قال سعيد بن جبيرة .

(كتاب أنزل إليك) ، أي : « ما كتب أنزل إليك ، أي : من ربك ، (فلا يكن في صدرك حرج منه) ، قال جاهد ، وقادة والسلي : شك (٣) منه :

وقيل : لا تخرج به في إيلافه والائتلاف به وكما صبر أولو العزم من الرسل . ولما قال : (لتنزل به) ، أي أنزل إليك لتنزل به الكافرين ، (وذكرى للمؤمنين) .

ثم قال تعالى مخاطباً للعالم : (انبئوا ما أنزل إليكم من ربكم) ، أي : انظروا آثار النبي الألى الذى جاءكم بكتاب أنزل من رب كل شيء ومليكه ، (ولا تتبعوا من دونه أولياء) ، أي : لا تخرجوا عما جاءكم به الرسول إلى غيره ، فتخربوا قد علمنا عن حكم الله إلى حكم غيره .

(قليلاً ما تدكرون) كقولهم : (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) (٤) ، وقوله : (وإن تلح أكثر من في الأرض يضلوا عن سبيل الله) (٥) ، وقوله : (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) (٦) .

(١) ينظر : ٥٦/١ - ٦٠ .

(٢) تفسير الطبري ، الآثار ١٤٣١٠ + ١٤٣١١ = ٢٩٣/١٢ .

(٣) تفسير الطبري ، الآثار ١٤٣١٧ / ١٤٣٢٢ = ٢٩٦/١٢ .

(٤) سورة يوسف ، آية : ١٠٣ .

(٥) سورة الأنعام ، آية : ١٤٦ .

(٦) سورة يوسف ، آية : ١٠٦ .

وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴿١٠﴾ قَالَتْ دَعُوهُمْ إِنْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١١﴾ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢﴾ فَلَنَقْصُصَنَّ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٣﴾

يقول تعالى : (وكم من قرية أهلكناها) : أى : بمخالفة رسالتنا وتكذيبهم ، فأعقبهم ذلك خزى الدنيا موصولا بالى الآخرة ، كما قال تعالى : (ولقد استهزىء برسول من قبلك ، فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون) (١١) ، وقال تعالى : (فكأن من قرية أهلكناها وهى ظلة فى غواية حل مروشا وبئر محطلة وقصر مشيد) (١٢) ، وقال تعالى : (وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها ، فلنكسبناهم لم نسكن من بعدهم إلا قليلا ، وكنا نحن الوارثين) (١٣) .

وقوله : (ضجاعا بأسا بيانا أوم قائلون) ، أى : فكان منهم من جاءه أمر الله وبأسه وتقمته (بيانا) ، أى : ليلا . (أوم قائلون) ، من القيلولة ، وهى : الأسراحة وسط النهار . وكلا الوقتين وقت غفلة وهو ، كما قال : (فأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسا بيانا وهم نائمون . أولمن أهل القرى أن يأتيهم بأسا ضحى وهم ياميون) (١٤) ، وقال : (فأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض لو يأتيهم للعذاب من حيث لا يشعرون . لو يأخضم في ظلمهم فاهم بمعجزين . لو يأخضم على خوف لأن يكفم لرعوف رحيم) (١٥) .

وقوله : (فكان دعواهم إذ جاءهم بأسا إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين) ، أى : فكان قولهم عند حى الله عليهم إلا أن اعترفوا بذنوبهم ، وأنهم حقيقون بهذا . كما قال تعالى : (وكم قصصنا من قرية كانت ظالمة) إلى قوله : (فخلعين) (١٦) .

وقال ابن جرير : فى هذه الآية الدلالة الواضحة على صحة ما جاءت به الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله : « ما هلك قوم حتى يمتدروا من أنفسهم » - حدثنا بذلك ابن حميد ، حدثنا جرير ، عن أبي سنان ، عن عبد الملك بن ميسرة الزرّاد قال : قال عبد الله بن مسعود : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما هلك قوم حتى يمتدروا من أنفسهم » - قال قلت لعبد الملك : كيف يكون ذلك ؟ قال : قرأ هذه الآية : (فكان دعواهم إذ جاءهم بأسا إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين) (١٧) .

(١) سورة الأعراف ، آية : ١٠ .

(٢) سورة الحج ، آية : ٤٥ .

(٣) سورة القصص ، آية : ٥٨ .

(٤) سورة الأعراف ، الآيات : ٩٧ ، ٩٨ .

(٥) سورة النحل ، الآيات : ٤٥ / ٤٧ .

(٦) سورة الأنبياء ، الآيات : ١١ / ١٥ .

(٧) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٢٢٣ : ٣٠٤ / ١٢ . والحديث أخرجه الإمام أحمد بن أبي البختري الثالث ، عن منه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، للمست : ٢٦٠ / ٤ ، ٢٩٢ / ٥ . وكذلك أخرجه أبو داود ، فى كتاب الامام ، باب ١٧ .

وقوله : (فلنسان الذين أرسل إليهم) : الآية كقوله : (ويرى بتأديم فيقول : ماذا أجمع المرسلين) (١) ، وقوله : (يوم يجمع الله الرسل فيقول : ماذا أجمعتم ؟ قالوا : لا علم لنا ، إنك أنت علام الغيوب) (٢) . ، قال الرب تبارك وتعالى يوم القيامة يسأل الأمم عما أجبوا ورسله فيما أرسلهم به ، ويسأل الرسل أيضا عن إبلاغ رسالاته . ولهذا قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، في تفسير هذه الآية : (فلنسان الذين أرسل إليهم ولنسنت المرسلين) ، وقال : يسأل الله الناس عما أجبوا للمرسلين ، ويسأل المرسلين [(٣)] عما بلغوا .

وقال ابن مردويه : حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم ، حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحسن ، حدثنا أبو سعيد الكندي حدثنا الحارثي ، عن ليث ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » ، فالإمام يسأل عن الرجل والرجل يسأل عن أمه ، والمرأة تسأل عن بيت زوجها ، والبد يسأل عن مال سيده . قال الليث : وحدثني ابن طلوس ، مثله ، ثم قرأ : (فلنسان الذين أرسل إليهم ولنسنت المرسلين) : وهذا الحديث يخرج في الصحيحين بدون هذه الزيادة (٤) .

وقال ابن عباس : (لنقصن عليهم بعلم وما كانوا يعملون) : يوضح الكتاب يوم القيامة ، فيتكلم بما كانوا يعملون (٥) . (وما كانوا يعملون) ، يعني أنه تعالى غير عباده يوم القيامة بما قالوا وبما عملوا ، من قليل وكثير ، وجليل وحقيق ، لأنه تعالى شديد على كل شيء ، لا يبيح عنه شيء ، ولا يغفل عن شيء ، بل هو العالم بخاصة الأعين وما تخفي الصدور ، (وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ، ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين) (٦) .

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ هُمْ فِي ظِلِّهِمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٠٧﴾ وَمَنْ خَفَىٰ مَوْزِنُهُ فَوَلَيْكُمُ الَّذِيْنَ
خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّطْبُوعٍ ﴿١٠٨﴾

يقول تعالى : (والذين) ، أي : للأعمال يوم القيامة (الحق) ، أي : لا يظلم تعالى أحدا ، كما قال تعالى : (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا ، وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها ، وكفى بنا حاسبين) (٧) ، وقال تعالى : (إن الله لا يظلم مثقال ذرة ، وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما) (٨) ، وقال تعالى

(١) سورة القصص الآية: ٦٥ .

(٢) سورة المائدة : آية : ١٠٩ .

(٣) سقط من خطوط الأثر ، أئتمته من تفسير الطبري ، الأثر ١٤٧٧٤ : ٣٠٦/١٢ .

(٤) الطبري ، كتاب الأحكام ، باب قول الله تعالى : (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولو الأمر منكم) ، من حديث عبد الله بن عمر : ٧٧/٨ . ومسلم ، كتاب الإمامة ، باب فضيلة الإمام العادل وحقونه الجاهل ، والحدث على الفرق بالرحمة والحق من إدخال المشقة عليهم : ٧/٦ ، A .

(٥) تفسير الطبري : ٣٠٨ / ١٢ ، ويعقب عليه الطبري بقوله : « وحذا قول بريد عن الحق ، غير أن الصحيح من الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه يوم القيامة ليس يبينه وترجانه ، فيقول له : « أتذكر يوم قلت كذا وقلت كذا ؟ » حتى يذكر ما فعل في الدنيا » .

(٦) سورة الأنعام : آية : ٥٩ .

(٧) سورة الأنبياء : آية : ٤٧ .

(٨) سورة النساء : آية : ٤٠ .

(لأنما من قلت موازينه . فهو في حيشة راضية : ولما من خفت موازينه : فأنه هالوة : وما أحرأك ما به : تار حامية (١) ، وقال تعالى : (فلذا فسخ في الصور فلا أُنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) (فن قلت موازينه فأولئك هم المفلحون ، ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون) (٢) .

فصل

والذي يوضع في الميزان يوم القيامة قيل : الأعمال وإن كانت أحرافاً ، إلا أن الله تعالى يقبلها يوم القيامة أجمعاً ما قال البغوي : يروى هذا عن ابن عباس ، كما جاء في الصحيح من أن « البقرة » و « آل عمران » يأتیان يوم القيامة كأنهما محماتان — أو : حَيَاتَان — أو فِرْعَان من طير صَوَافٍ (٣) : ومن ذلك في الصحيح قصة القرآن وأنه يأتي صاحبه في صورة شاب صاحب اللون ، فيقول : من أنت ؟ فيقول : « أنا القرآن الذي تسهرت ليلك وأظلمت نهارك » (٤) . وفي حديث البراء ، في قصة سؤال القبر : « فيأتي المؤمن شاب حسن اللون طيب الريح ، فيقول : من أنت ؟ فيقول : أنا عمالك الصالح » (٥) ، وذكر عكسه في شأن الكافر والنافق .

ونيل : يوزن كتاب الأعمال ، كما جاء في حديث البطاقة ، في الرجل الذي يوتى به ويوضع له في كفة كفة وتسعون سجلاً ، كل سجل مد البصر ، ثم يوتى بذلك البطاقة فيها : « لا إله إلا الله » فيقول : يارب ، وما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فيقول الله تعالى : « إنك لا تعلم » . فوضع تلك البطاقة في كفة الميزان — قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فطاشت السجلات ، وقلبت البطاقة » .

رواه الترمذي (٦) بنحو من هذا ، وصححه :

وقيل : يوزن صاحب الفعل ، كما في الحديث : « يوتى يوم القيامة بالرجل السمين ، فلا يزال عند الله جناح بعوضة » (٧) ثم قرأ : (فلا تقم لم يوم القيامة وزناً) .

وفي مناقب عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أتنبئون من دقة سائيه ، فالذي تسمى بيده لها في الميزان أثقل من أحد » (٨) .

(١) سورة القارعة ، الآيات : ٦ / ١١ .

(٢) سورة المؤمنون ، آية : ١٠٢ / ١٠٣ .

(٣) معنى هذا في فصل سورة البقرة ، ينظر : ٥٣/١ ، ٥٤ ، وقد شرح ابن كثير هناك قريب هذا الحديث . والحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده أبي أسامة الباهل : ٢٤٩/٥ ، ٢٥١ ، ٢٥٥ ، ٢٥٧ . ومن بريدة الأسدي : ٣٤٨/٥ ، ٣٥٢ ، ٣٦١ . وأخرجه مسلم في كتاب الصلاة ، باب فصل قراءة القرآن وسورة البقرة ، من أبي أسامة : ١٩٧/٢ .

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده من بريدة : ٣٤٨/٥ ، ٣٥٢ . وابن ماجه من بريدة أيضاً في كتاب الأدب ، باب ثواب القرآن ، الحديث ٣٧٨١ / ٣٧٨٢/٢ .

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده البراء بن عازب : ٢٨٧/٥ من حديث طویل .

(٦) نسخة الأسدي ، أبواب الإيمان ، باب فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله . الحديث ٢٧٧٦ من عبد الله بن عمرو بن العاص : ٣٩٥/٧ / ٣٩٧ .

(٧) البخاري ، تفسير سورة الكهف : ١١٧/٦ . ومسلم ، كتاب صفة للناظرين : ١٢٥/٨ .

(٨) مسند الإمام أحمد : ٤٢٠/١ ، ٤٢١ .

وقد يمكن الجمع بين هله الآخر بأن يكون ذلك كله صحيحا ، [فقرة] توزن الأعمال ، وتارة توزن أعمالها وتارة يوزن فاعلها ، والله أعلم .

وَلَقَدْ مَكَّنَّاكَ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكَ فِيهَا مَعَاشًا قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾

يقول تعالى مبتدأ على عينه فيما يمكن لم من [أنه] جعل الأرض قرايرا ، وجعل لها رواسي وأتبارا ، وجعل لم فيها منازل وبيوتا ، وأباح لم مفاصلها ، وسخر لم السحاب لإخراج أرزاقهم منها ، وجعل لم فيها معاش ، أي : مكاسب وأسبابا يتجرون فيها ، ويضيئون أنواع الأسباب ، وأكثرهم مع هذا قليل الشكر على ذلك ، ، كما قال تعالى : (وإن تعلموا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار) (١) .

وقد قرأ الجميع (معاش) بلا همز ، إلا عبد الرحمن بن هرمز الأعرج فإنه هزها (٢) . والعراب الذي عليه الأكثرون بلا همز ، لأن معاش جمع معيشة ، من عاش يعيش عيشا ، ومعيشة أصلها « مَعِيشَة » فاستقلت الكسرة على الياء ، [فقلت] إلى الين فصار مَعِيشَة ، فلما جمعت رجعت الحركة إلى الياء لزوال الاستقلال ، قيل : معاش ، ووزنه مفاعل ، لأن الياء أصلية في الكلمة . بخلاف ملائن وصحائف وبصائر ، جمع ملينة وصحيفة وبصيرة من ، مدن وصحف وأبصر ، فان الياء فيها زائدة ، ولما تجمع على فاعل ، ونهض لذلك . والله أعلم .

وَلَقَدْ ظَهَرَ لَكَ فِي صُورَتِكَ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَا يَكُونُ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾

فيه تعالى نبأ آدم في هذا [المقام] على شرف أبيهم آدم ، وبين لم [عداوة] حوهم إبليس ، وما هو منطوق عليه من الحسد لم ولأبيهم آدم ، ليحسدوه ولا يتبعوا طرائقه ، فقال تعالى : (ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) . وهذا بقوله تعالى : (وإذا قال ربك للملائكة : إني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) (٣) ، وذلك أنه تعالى لما خلق آدم عليه السلام بيده من طين لازب ، وصوره بشرا ، ونفخ فيه من روحه ، وأمر للملائكة بالسجود له تنظيما لشأن الرب تعالى وجلاله ، فسموا كلهم وأطاعوا ، إلا إبليس لم يكن من الساجدين . وقد تقدم الكلام على إبليس في أول تفسير (٤) « سورة البقرة » .

وهذا الذي قرأناه هو اختيار ابن جرير : أن المراد بذلك كله آدم عليه السلام (٥) .

-
- (١) سورة الزمر ، آية : ٢٤ .
 - (٢) تفسير الطبري : ٢١٦/١٢ .
 - (٣) سورة الحجر ، آية : ٢٨ - ٢٩ .
 - (٤) ينظر فيها تقدم : ١٠٧/١ - ١١١ .
 - (٥) تفسير الطبري : ٢٢٠/١٢ - ٢٢١ .

وقال صفيان الثوري ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : (ولقد خلقناكم ثم صورناكم) ، قال : خلقوا في أصلاب الرجال ، وصوروا في أرواح النساء .

رواه الحاكم ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه (١) .

ونقله ابن جرير عن بعض السلف أيضا أن المراد بخلقناكم ثم صورناكم : اللرية (٢) .

وقال الريح بن أنس ، والسدي ، وقاعدة ، والضحك في هذه الآية : (ولقد خلقناكم ثم صورناكم) ، أي : خلقنا آدم ثم صورنا اللرية .

وهذا فيه نظر ، لأنه قال بعده : (ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) ، قلل على أن المراد بخلق آدم ، وإنما قيل ذلك بالجمع لأنه أبو البشر ، كما يقول تعالى لبني إسرائيل الذين كانوا في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم : (وخلقنا عليكم للقيام وأتزلنا عليكم الممن والسلوى (٣)) ، والمراد آباؤهم الذين كانوا في زمان موسى ، ولكن لما كان ذلك من على الآباء الذين هم أصل صار كأنه واقع على الآباء . وهذا بخلاف قوله تعالى : (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين) [الآية] ، فإن المراد منه آدم المخلوق من السلالة ، وذريته مخلوقون من نقطة ، وصح هنا لأن المراد من خلقنا الإنسان الجنس ، لا مينا . والله أعلم .

قَالَ مَا مَنَعَكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿٧٧﴾

قال بعض النحاة في توجيه قوله تعالى : (أن لا تسجد إذ أمرتك) : لا هاهنا زائدة .

وقال بعضهم : زيدت لتأكيد الجسد ، كقول الشاعر :

ما إن رأيتُ ولا سمعتُ بخله .

فأدخل « إن » ، وهى التني ، على « ما » التانيّة لتأكيد التني ، قالوا : وكل ذلك هاهنا : (ما منك أن لا تسجد) ،

مع تقدم قوله : (لم يكن من الساجدين) .

حكاهما ابن جرير (٤) ، وردهما ، واختار أن « منك » تضمن معنى فعل آخر تقديره : ما أخرجك وأزملك واضطررك

أن لا تسجد إذ أمرتك ، ونحو ذلك .

وهذا القول قوى حسن ، والله أعلم .

وقول إبليس لمه الله : (أنا خير منه) ، من الملو الذى هو أكبر من اللذبة ، كأنه امتنع من الطاعة لأنه لا يؤمر القاضل بالسجود للمفضل ، يني لمه الله : وأنا خير منه ، فكيف تأمرنى بالسجود له ؟ ثم بين أنه خير منه ، بأنه خلق

(١) المستدرک ، تفسير سورة الأعراف : ٢١٩/٢ .

(٢) تفسير الطبري : ٣١٨/١٢ - ٣١٩ .

(٣) سورة البقرة ، آية : ٥٧ .

(٤) تفسير الطبري : ٣٢٤/١٧ - ٣٢٥ .

مع لار ، ولما أشرقت بما خلقت منه ، وهو الطبع ، فنظر العين إلى أصل المنصر ، ولم ينظر إلى الشريف العظيم : وهو أن الله تعالى خلق آدم بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وقاس قياساً قاسماً في مقابلة نص قوله تعالى : (شعرا له ساجدين) ، فخلق من بين الملائكة بشرتك للعبادة ، فلما أبلى من الرحمة [لئى : أبلى من الرحمة] ، فأنشأ قبضه الله في قياسه ودمواه أن آثار أشرقت من الطبع أيضا ، فإن العين من شأنه الرزاق والحلم والأناة والفتنة ، والطبع عمل النبات والحر والريادة والإصلاح : ولما من شأنها الإحراق والطيح والسرعة : ولما خان إبليس عنصره ونفع آدم عنصره في الرجوع والإناة والاستكانة والاعتقاد والاستسلام لأمر الله ، والاعتراف وطلب التوبة والمغفرة .

وفي صحيح مسلم ، عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ ، وَخُلِقَ إِبْلِيسُ (١) مِنْ مَرَجٍ مِنْ لَارٍ ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وَصَفَ لَكُمْ » : هكذا (٢) رواه مسلم .

وقال ابن مردويه : حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا إسماعيل بن عبد الله بن مسعود ، حدثنا نعيم بن حماد ، حدثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري ، عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خلق الله الملائكة من نور للمرضى ، وخلق الجن من لار ، وخلق آدم مما وصف لكم - قلت لنعيم بن حماد : أين سمعت هذا من عبد الرزاق ؟ قال : باليمن - وفي بعض ألقاظ هذا الحديث في غير الصحيح : « وخلق الجن من الحور العين من الزعفران » .

وقال ابن جرير : حدثنا القاسم ، حدثنا الحسين ، حدثنا عبد بن كبر ، عن ابن شاذب ، عن مطر الرزاق ، عن الحسين في قوله : (خلقتني من لار وخلقته من ملين) ، قال : قاس إبليس ، وهو أول من قاس (٣) .

إسناده صحيح .

وقال : حدثني عمرو بن مالك ، حدثني يحيى بن سليم الطائفي ، عن هشام ، عن ابن سيرين قال : أول من قاس إبليس وما هببت الشمس والقمر إلا بالقاييس (٤) .

إسناده صحيح أيضا .

قَالَ قَاهِلُهَا مِنْهَا قَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٣٨﴾

يقول تعالى مخاطباً لإبليس بأسر قلبي كوني ، (قاهلها منها) ، أي : بسبب صغارتك لأمرى ، وغروجلت من طاعتي لما يكون لك أن تتكبر بها .

(١) قلت مسلم : « وخلق الجن من مارج » .

(٢) مسلم : كتاب الزهد ، باب في أساليب طرفة : ٢٢٦/٨ .

(٣) تفسير الطبري : الأثر ١٤٣٥٦ : ٣٢٨/١٢ .

(٤) تفسير الطبري : الأثر ١٤٣٥٥ : ٣٢٨/١٢ .

قال كبير من المفسرين : الضمير حائد إلى الجنة ، ويعتدل أن يكون حائداً على للثقة التي هو فيها في اللكوت الأجل

(فخرج إنك من الصافرين) ، أي : اللالين الحافرين ، معاملة له بقرض قصده ، مكافأة لمراده بقضه ، فقد ذلك استنوك العين وسأل النظرة إلى يوم الدين ، قال : (أنظرني إلى يوم يبعثون ، قال إنك من المنتظرين) ، أجابه تعالى إلى ما سأله ، لا في ذلك من الحكمة والإرادة والمشيئة التي لا تخالف ولا تنازع ، ولا معقب لحكمه ، وهو صريح الحساب .

قَالَ قِيمَا آغُوثِي لَا أَفَعَدَّ هُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١﴾ ثُمَّ لَا يَنْفَعُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٢﴾

يجز تعالى أنه لا أنزل لإيليس (إلى يوم يبعثون) ، واستوثق لإيليس بذلك ، أخذ في المعاندة والتفرد ، قال : (فيأغروني لأفعدن لهم صراطك المستقيم) ، أي : كما أغروني ،

قال ابن عباس : كما أضلنتي (١) . وقال غيره : كما أهلكني لأفعدن لبيادك - الذين تخلفهم من ذرية هذا الذي أبعدني بسببه - على (صراطك المستقيم) أي : طريق الحق وسبيل النجاة ، ولأضلهم عنها لنلا يبدوك ولا يوحذك بسبب إضلالك إياي .

وقال بعض النحاة : الباء هاءنا قسمية ، كأنه يقول : فيأغروني إياي لأفعدن لهم صراطك المستقيم (٢) .

قال حماد : (صراطك المستقيم) ، يعني : الحق (٣) .

وقال محمد بن سوقة ، عن حوث بن عبد الله : يعني طريق مكة (٤) .

قال ابن جرير : والصحيح أن الصراط المستقيم أعم من ذلك ،

قلت : لا روى الإمام أحمد ؛

حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا أبو حنبل - يعني الثقفى عبد الله بن حنبل - حدثنا موسى بن السبي (٥) أخبرني سالم بن أبي الجعد ، عن سبرة بن أبي فاكه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الشيطان قد لاين آدم بطرقه (٦) ، فقد له بطريق الإسلام ، فقال : أتسلم وتذر دينك ودين آبائك ؟ قال : ففصاه وأسلم . قال : وقد (٧) له

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٣٦١ : ٢٢٢/١٢ .

(٢) تفسير الطبري : ٢٢٢/١٢ .

(٣) تفسير الطبري ، الآثار ١٤٣٦٦ - ١٤٣٦٨ : ٣٢٦/١٢ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٣٦٥ - ٢٣٥/١٢ .

(٥) في مسند الإمام أحمد : « عبد الله بن الحنفى » . وهو غثا ، والصواب : عبد الله بن السبي . يروى عن سالم ،

ويروى عنه أبو حنبل عبد الله بن حنبل . ينظر التذييل : ٣٧٢/١٥ .

(٦) في المسند : « لاين آدم بطرقه » .

(٧) في المسند : « ثم قتله » .

بطريق المجرة فقال : أنجاهم وتدر (١) أرضك وسياذك ، وإنا مثل المهاجر كالفرس (٢) في الطول ؟ . فعصاه وهاجر ثم تعد له بطريق الجهاد - وهو (٣) جهاد النفس والمال - فقال : قتال فتقل ، فتكبح المرأة ويقسم المال ؟ . قال فعصاه فجاهد - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من فعل ذلك منهم فأت ، كان حقا على الله أن يدخله الجنة ، [أو قتل كان حقا على الله ، مزوجا ، أن يدخله الجنة . وإن غرق كان حقا على الله أن يدخله الجنة (٤)] أو وقصته دابة كان حقا على الله أن يدخله الجنة (٥) .

وقوله : (ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم) ... الآية :

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : (ثم لآتينهم من بين أيديهم) : أشككهم في آخرتهم - (ومن خلفهم) ، أربهم في دنياهم - (وعن أيديهم) ، أشبه عليهم أمر دينهم - (وعن خلفهم) ، أشبه لهم المعاصي (٦) .

وقال ابن أبي طلحة - في رواية - والعرق ، كلاهما عن ابن عباس : أما (من بين أيديهم) ، فمن قبل دنياهم ، وأما (من خلفهم) ، فأمر آخرتهم ، وأما (عن أيديهم) ، فمن قبل حسنتهم ، وأما (عن خلفهم) ، فمن قبل سيئاتهم (٧) .

وقال سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة : أتاهم (من بين أيديهم) فأعبرهم أنه لا يموت ولا جنة ولا نار - (ومن خلفهم) ، من أمر الدنيا فريثها لم ودعاهم إليها - (وعن أيديهم) من قبل حسنتهم بطعام منها - (وعن خلفهم) ، زين لهم السيئات والمعاصي ، ودعاهم إليها ، وأمرهم بها . أنك يا ابن آدم من كل وجه ، غير أنه لم يأتك من فوق ، لم يستطع أن يحول بينك وبين رحمة الله (٨) .

وكذا روى عن إبراهيم النخعي ، والحكم بن عتيبة ، والصدى ، وابن جرير ، إلا أنهم قالوا : (من بين أيديهم) الدنيا (ومن خلفهم) الآخرة (٩) .

وقال عباد : « من بين أيديهم وعن أيديهم » : حيث يصرون - « ومن خلفهم وعن خلفهم » : حيث لا يصرون (١٠) .

(١) في المسند : « وهجر أرضك » .

(٢) في المسند : « وكلت القرس والعروق - بكسر فتح - الحبل » .

(٣) في المسند : « ثم تعد له بطريق الجهاد » ، فقال له : هو جهاد النفس والمال ، فتقاتل ... » .

(٤) عن مسند الإمام أحمد .

(٥) مسند الإمام أحمد : ٣-٤٨٢ . وقد عرجه ابن الأثير باستداده إلى أبي النضر حاتم بن القاسم ، ينظر أسد الغابة : ٢-٣٢٤ ، ٣٢٥ بصحيفتنا والقرص : كسر المق .

(٦) تفسير الطبري : الأثر ١٤٣٦٩ : ٣٣٨/١٢ .

(٧) تفسير الطبري : الأثر ١٤٣٧٠ : ١٤٣٧١ : ٣٣٨/١٢ : ٣٣٩ .

(٨) تفسير الطبري : الأثر ١٤٣٧٢ : ٣٣٩/١٢ .

(٩) تفسير الطبري : الآثار ١٤٣٧٢ - ١٤٣٧٧ : ٣٣٩/١٢ : ٣٤٠ .

(١٠) تفسير الطبري : الأثر ١٤٣٧٨ : ٣٤٠/١٢ : ٣٤١ .

واختار ابن جرير أن الراد جميع طرق الخير والشر ، فالتجرب يصلح عنه ، والتجرب بفتح الجيم (١) لهم .
وقال المحكم بن أبان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله : (ثم لآتيهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيأيمانهم ومن خلفهم) ، ولم يقل : من فوقهم ، لأن الرحمة تنزل من فوقهم (٢) :

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : (ولا تجد أكثرهم شاكرين) ، قال : موحدون (٣) ،
وقول إيليس هذا هو ظن منه وتوهم ، وقد وافق في هذا الواقع ، كما قال تعالى : (ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين . وما كان له عليهم من سلطان إلا لنتلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك وديك حل كل شيء حفيظ (٤) .

ولهذا ورد في الحديث [الاستعاذة] من تسلط الشيطان على الإنسان من جهاته كلها ، كما قال الحافظ أبو بكر البزار ، في مسنده .

حدثنا نصر بن حل ، حدثنا عمرو بن مجمع ، عن يونس بن خباب ، عن ابن جبر بن مطعم - يعني نافع بن جبر -
عن ابن عباس - وحدثنا عمر بن الخطاب - يعني السجستاني - حدثنا عبد الله بن جعفر (٥) ، حدثنا عبد الله بن عمرو ،
عن زيد بن أبي أنيسة ، عن يونس بن خباب - عن ابن جبر بن مطعم - عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اللهم إني أسألك السوء والمغالية في ديني ودنياي وأهلي ومالي . اللهم أسر عروني وآمن روعي ، وحفظي من بين يدي ومن خلفي ، وعن يميني وعن شمالي ، ومن فوقي ، وأعوذ بك اللهم أن أختال من نحى » .
فرد به البزار ، وحسنه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا عباد (٦) بن مسلم القرظي ، حدثني [جُبَيْر] (٧) بن أبي سليمان بن جبر
ابن مطعم ، سمعت عبد الله بن عمر يقول : لم يكن رسول الله يدع هؤلاء الدعوات حين يصبح وحين يمسي ، « اللهم
إني أسألك المغالية في الدنيا والآخرة . اللهم إني أسألك السوء والمغالية في ديني ودنياي وأهلي ومالي . اللهم أسر عروني ،
وآمن روعي . اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي ، وعن يميني وعن شمالي ، ومن فوقي ، وأعوذ بعظمتك أن أختال
من نحى » قال (٨) وكيع : يعني الخسف .

-
- (١) تفسير الطبري : ٣٤١/١٢ .
(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٣٨٢ : ٣٤١/١٢ ، ٣٤٢ .
(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٣٨٢ : ٣٤٢/١٢ .
(٤) سورة صبا ، آية : ٢٠ ، ٢١ .
(٥) زيد بنه خطوط الأزهر ودار الكتب «١» تفسير « حدثنا عبد الله بن جعفر ، وهو خطأ ، وعبد الله بن جعفر
بروي عن «عبد بن عمرو بن أبي الوليد الأسدي أبو وهب الجوزي» الذي يروي عن «زيد بن أبي أنيسة» . ينظر التلخيص :
١٧٣/٥ ، ٤٢/٧ ، ٣٩٧/٣ .
(٦) في مسند أحمد : « حمزة بن مسلم » . وهو خطأ ، ينظر التلخيص : ١١٢/٥ ، ١١٣ .
(٧) من مسند أحمد .
(٨) في المسند : « قال » يعني الخسف . حدث ذكر «وكيع» .

ورواه (١) أبو داود ، والنسائي ، وابن ماجه وابن حبان ، والحاكم من حديث عباد بن مسلم ، به : وقال الحاكم : صحيح الإسناد :

قَالَ لَنُخْرِجَنَّ عَنْهَا مَذْمُومًا مَذْمُورًا لَنَنْ تَبْعَكَ مِنْهُمْ لَا مَلَأَ جَهَنَّمَ مِنْكَ أَجْمِينَ ⑤

أكد تعالى العنة والطرود والإبعاد والتي عن عمل الملائ الأعلى بقوله : (اخرج منها مذموماً ملحوراً) .

قال ابن جرير : أما والمعلوم ، فهو للعيب ، وللدآم غير مشدد : العيب : يقال : ذامه يذامه ذاماً فهو مذموم ، ويؤكون الحمز فيقولون : « ذمته أذمه ذمّاً وذاماً ، والذام والذم (٢) أبلغ في العيب من اللم ،

قال : « والمحمور : المنصّب : وهو الملعن المطرود .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ما نعرفت « والمعلوم » ، « والمحمور » إلا واحداً (٣) .

وقال سفيان الثوري ، عن أبي إسحاق عن التيمي ، عن ابن عباس : (اخرج منها معلوماً ملحوراً) ، قال : مقينا :

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : صفيها مقينا : وقال السدي : مقينا مطروداً : وقال قتادة : لعينا مقينا : وقال مجاهد : منياً مطروداً : وقال الربيع بن أنس : مذموماً : منفيًا ، والمحمور المصغر (٤) .

وقوله تعالى : (لن تبعلك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين) : كقوله : (قال : اذهب فن تبعلك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفوراً : واستغز من استطاعت منهم بصورتك وأجلب عليهم بئيك وشاركتهم في الأموال والأولاد وحملهم وما يعينهم الشيطان إلا غروراً : إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلًا) (٥) :

وَيَلْقَاهُمْ أَسْكَنُ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ⑥

فَوَسَّسَ لَهَا الشَّيْطَانُ لَيْبَسًا لَهَا مَا وَرَىٰ عَنْهَا مِنْ سَوْءِئِهَا وَقَالَ مَانَبُوكَا رَبُّكَ عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ

تَكُونَا مَلَكَئِيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ⑦ وَقَالَهُمَا إِنِّي لَكَ لَأَمِنُ النَّاصِبِينَ ⑧

يلكّر تعالى أنه أباح لأدم عليه السلام ولزوجته الجنة أن يأكلا منها من جميع ثمارها إلا شجرة واحدة : وقد تقدم الكلام على ذلك في « سورة البقرة (٦) » ، فعند ذلك حسدما الشيطان ، وسعى في المكر والخديعة والوسوسة

(١) سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب ١٠١ ابن ماجه في كتاب الدعاء ، باب ما يدعو به الرجل إذا أصبح وإذا أمسى ، الحديث ٣٨٧١ ، ١٢٧٢/٢ ، ١٢٧٤ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٣٤٩٢ : ٣٤٤/١٢ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٣٩١ : ٣٤٤/١٢ .

(٤) ينظر حله الآثار في تفسير الطبري : ٣٤٤/١٢ ، ٣٤٤ .

(٥) سورة الإسراء ، الآيات : ٦٣ - ٦٥ .

(٦) ينظر لها تقدم : ١١٢/١ ، ١١٣ .

لَيْسَ لَهَا مَا فِيهَا مِنَ الثَّمَةِ وَالْبَاسُ الْحَسَنُ ، (وقال) - كذبوا واتهموا : « ما نهاكم ربنا عن أكل الشجرة إلا لتكونوا ملكين [أى : لتلا تكونوا ملكين ، أو خالدين هاهنا : ولو أنكم أكلنا منها لحصل لكم ذلكما] ، تتولوا : (قال : يا آدم ، هل أكلت من شجرة الخلد وملاك لا يلى (١) أى ، لتلا تكونوا ملكين ، كقوله : (بين الله لكم أن تفعلوا) (٢) أى : لتلا تفعلوا) (وألقى فى الأرض رومى أن تعبدكم) (٣) أى : لتلا تعبدكم .

وكان ابن عباس ويحيى بن أبى كثير يقرآن : (إلا أن تكونا ملكين) ، بكسر اللام (٤) : وقرأ الجمهور بقصصها .

(وقاصهما) ، أى : حلف لما بالله : (إلى لكما لمن التاصمين) ، فأتى من قبلكما هاهنا ، وأعلم بهذا المكان . وهذا من باب المفاعلة والمراد أحد الطرفين ، كما قال خالدة بن زهير ، ابن م أبى ذؤيب :

وَقَاسَمَتَا بِاللَّهِ جَهَنَّمَ لِأَتَمُّ . أَلَمْ تَنْسَوِي إِذَا مَا تَشَوَّرُهَا (٥)

أى : حلف لما بالله حتى خدعهما ، وقد يخنع المؤمن بالله ، قال : إلى غلبت قبلكما ، وأنا أعلم منكما ، فإيماني أركدكما : وكان بعض أهل العلم يقول : « من شاهدنا بالله غلبتنا له (٦) » .

فَدَلَّيْنَاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاكَ الشَّجَرَةَ بَدَتْ لهُمَا سُوءُ أَنَّهُمَا وَطَقَا بِحُصْنَانٍ عَلَيْهِمَا مِنْ بَرَقٍ أَجْنَبٍ وَنَادَيْتُهُمَا رَهِيمًا أَلَّا تُنْكِرَا عَنْ بَلْعِكُمَا الشَّجَرَةَ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَرَبِّكَ قَرَّةٌ لَنَا وَرَحْمَةٌ لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٧﴾

قال سعيد بن أبى عروبة ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن أبى بن كعب رضى الله عنه قال : كان آدم رجلاً طويلاً ، كأنه لحلة مستحوق (٧) ، كبر شعر الرأس . فلما وقع بما وقع به من الخطيئة ، بدت له حورته عند ذلك ، وكان لا يراها . فانطلق هارباً فى الجنة فتعلقت برأسه شجرة من شجر الجنة ، فقال لها : أوسلى . فقالت : إلى غير مرسلك : فناداه ربه عز وجل : يا آدم ، أمتنى نفر ؟ قال : رب إلى استحييتك (٨) .

وقد رواه ابن جرير وابن مردويه من طريق ، عن الحسن ، عن أبى بن كعب ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، والموقوف أصح إسناداً .

(١) سورة طه ، آية : ١٢٠ .

(٢) سورة القصص ، آية : ١٧٦ .

(٣) سورة النحل ، آية : ١٥ .

(٤) تفسير الطبرى ، الأثر ١٤٣٩٤ : ١٤٣٩٥ : ٣٤٨/١٢ : ٣٤٩ .

(٥) ديوان الخليلين : ١٥٨/١ . والى : السيل ، وشرها : نأخضا ، والشور : أغصان السيل .

(٦) هذا النص من قوله : وسلف لما بالله إلى وعدتنا له أثر رواه الطبرى من قتادة ، وهو الأثر رقم ١٤٣٩٦ : ٣٥١/١٢ .

(٧) ينظر : ١١٤/١ .

(٨) تفسير الطبرى ، الأثر ١٤٤٠٣ : ٣٥٤/١٢ . وقد روى ابن أبي ساتم هذا الأثر بنحو من هذا من حل بن الحسن

ابن إسكاف ، من حل بن عامر ، من سعيد بن أبى عروبة به مرفوعاً . ينظر تفسير سورة البقرة : ١١٤/١ .

وقال عبد الرزاق : أباها صفيان بن عينة وابن المبارك ، عن الحسن بن حمارة ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس قال : كانت الشجرة التي نعى الله عنها آدم وزوجته ، السنبلة . فلما أكل منها بدت لها سواؤها ، وكان الذي يورى منهما [من سواتهما] أنقارهما ، وطلقا غصنفاً عليهما من ورق الجنة ورق التين ، يلقان بعضه إلى بعض : فاطلق آدم عليه السلام مولى في الجنة ، فعلق برأسه شجرة من الجنة ، فتداه : يا آدم ، أمي نفر قال : لا ، ولكني استحييتك يارب . قال : أما كان لك فيما منحك من الجنة وأعطاك منها مندوحة ، عما حرمت عليك قال : بل يارب ، ولكن وعزتك محسبت أن أحدا يخلف بك كاذباً : قال : وهو قوله عز وجل : (قاسمهما إني لكما لمن الناصحين) : قال : فجزق لأعطيك إلى الأرض ، ثم لاتاك العيش إلا كلاً . قال : فأعطيت من الجنة ، وكانا يأكلان منها رغداً ، فأعطيت إلى غير رعد من طعام وشراب ، ففكمت صنعة الحديد ، وأمر بالحرث ، فحرث وزرع ثم سقى ، حتى إذا بلغ حصد ، ثم حاسه ، ثم فزاه ، ثم طعنه ، ثم صغته ، ثم خيمزه ، ثم أكله ، فلم يلفتحني بلغ منه ما شاء الله أن يبلغ ^(١) .

وقال الثوري ، عن ابن أبي ليلى ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : (وطلقا غصنفاً عليهما من ورق الجنة) ، قال : ورق التين ^(٢) .

صحيح إليه .

وقال مجاهد : جبلاً غصنفاً عليهما من ورق الجنة كهيئة القرب ^(٣) .
وقال وهب بن منبته في قوله : (يترع عنهما لباسهما) ، قال : كان لباس آدم وحواء نوراً حل فروجهما ، لا يرى هذا حورة هذه ، ولا هذا حورة هذا . فلما أكل من الشجرة بدت لها سواتهما .
رواه ابن جرير ^(٤) بإسناد صحيح إليه .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، عن قتادة قال : قال آدم : أي رب ، لראيت إن تبث واستغفرت ؟ قال : إنا أدخلك الجنة . وأما إبليس فلم يسأله التوبة ، وسأله النظرة ، فأعطى كل واحد منهما الذي سأله .
وقال ابن جرير : حدثنا القاسم ، حدثنا الحسين ، حدثنا عباد بن العوام ، عن صفيان بن حسين ، عن يعلى بن مسلم ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : لما أكل آدم من الشجرة قيل له : لم أكلت من الشجرة التي نبتت عنها قال : حواء أمرني . قال : فإني قد أضيقها لأن لا تحمل إلا كثرها ، ولا تضع إلا كثرها . قال : فترثت ^(٥) عند ذلك حواء فقيل لها : الرثة عليك وحلى ولك ^(٦) .

-
- (١) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٣٩٩ : ٣٥٢/١٢ ، ٣٥٣ . وفيه : ولم يلبس حتى بلغ (بضم الباء) وظلله اللام مكسورة منه ما شاء الله أن يبلغ . يعني بين مهلة في اليبس .
(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٤٠٤ : ٣٥٤/١٢ .
(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٤٠١ : ٣٥٣/١٢ .
(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٤٠٨ : ٣٥٥/١٢ .
(٥) رثت المرأة ترث ونفثا : صورت وصليت من الغزو .
(٦) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٤١٠ : ٣٥٦/١٢ .

وقال الضحاك بن مزلم في قوله : (ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم نضر لنا فترحتنا لنكونن من الخاسرين) : هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه (١) .

قَالَ أَهْبَطُوا يَبْعُثْكَ لِبَعْضِ عَذَابٍ وَلَكُنْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرًّا وَمُنْعًى إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٥﴾ قَالَ فِيهَا تَحْبَوْنَ وَفِيهَا يُهَوَّنُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿١٦﴾

تيل : المراد بالخطاب في (اهبطوا) : آدم ، وحواء ، وإبليس ، والحبة . ومنهم من لم يذكر الحبة ، والله أعلم .

والعمدة في المعادة آدم وإبليس ، ولما قال تعالى في سورة طه : قال : (اهبطا منها جميعا) (٢) ... الآية ، وحواء تبع لآدم . والحبة - إن كان ذكرها صحيحا - فهي تبع لإبليس .

وقد ذكر المفسرون الأماكن التي هبط فيها كل منهم ، ويرجع حاصل تلك الأخبار إلى الإسراءيات ، والله أعلم بصحتها . ولو كان في تعيين تلك البقاع فائدة تعود على المكلفين في أمر دينهم ، أو دنياهم للذكرها الله تعالى في كتابه أو رسوله صلى الله عليه وسلم .

وقوله : (ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين) ، أي : قروا وأعمالا مضرورية إلى كمال معلومة ، قد جرى بها القلم ، ولخصها بالقدور ، وسطرت في الكتاب الأول .

وقال ابن عباس : (مستقر) : القبور . وحنه : وجه الأرض ونحوها . والله ابن أبي حاتم .

وقوله : (قال فيها تحبون وفيها تموتون ومنها تخرجون) ، كقوله تعالى : (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) (٣) - غير تعالى أنه يجعل الأرض دارا لئلا ينفذ آدم مدة الحياة الدنيا ، فيها معيها وفيها ما بهم وقبورهم ، ومنها نخرجهم ليوم القيامة الذي يجمع الله فيه الأولين والآخرين ، ويجازى كلا بعمله .

يَبْنِيْ اٰدَمَ قَدْ اٰتٰنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُّرَوِّىْ سَوْءَ تِكْرُوْرِيْكَ وَلِبَاسُ الضُّعُوْفِ ذٰلِكَ خَيْرٌ ذٰلِكَ مِّنْ اٰيٰتِ اِلٰهِ لَعَلَّهُمْ يَدْعُوْنَ ﴿١٧﴾

يَبْنِي تبارك وتعالى على عباده بما جعل لهم من اللباس والرياش فاللباس المذكور هاهنا لستر العورات - وهي السواآت - والرياش والريش هو ما يتجمل به ظاهرا ، فالأول من الضروريات ، والريش من التكميلات والزيادات .

قال ابن جرير : (والرياش) في كلام العرب : الأثاث ، وما ظهر من الثياب (٤) .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس - وحكاها البخاري - عن الربيع : (لئال) (٥) . وكلما قال مجاهد : وعورة ابن الربيع ، والسدى والضحاك .

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٤١٢ : ٣٥٧/١٢ .

(٢) آية : ١٢٣ .

(٣) سورة طه ، آية : ٥٥ .

(٤) تفسير الطبري : ٣٦٤/١٢ ، وتكلم : وما ظهر من الثياب من اللباس ، أو يحس من فرائش أو دثار .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر ١٤١٢٨ : ٣٦٤/١٢ - ٣٦٥ . والبخاري تفسير سورة الأعراف : ٧٢/١ .

وقال العوفي ، عن ابن عباس : « الرياش » : اللباس ، والميش ، والشميم (١) .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : « الرياش » الجمال (٢) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا أصبح ، عن أبي العلاء الشامي قال : ليس أبو أمامة ثوباً جديداً ، فلما بلغ ترقوته قال : الحمد لله الذي كساني ما أوارى به عورتي ، وأتجمل به في حياتي . ثم قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من استجد ثوباً فلبسه ، فقال حين يبلغ ترقوته : « الحمد لله الذي كساني ما أوارى به عورتي ، وأتجمل به في حياتي » ، ثم حمد إلى الثوب الذي خُصّي ، أو : أتني (٣) فتصدق به ، كان في ذمة الله ، وفي جوار الله ، وفي كنف الله حيا وميتاً (٤) .

ورواه الترمذي (٥) ، وابن ماجه ، عن رواية يزيد بن هارون ، عن أصبح - هو ابن زيد الجهني - وقد وثقه يحيى ابن معين وغيره ، وشيخه « أبو العلاء الشامي » لا يعرف إلا بهذا الحديث ، ولكن لم يخرج له أحد ، والله أعلم .

وقال الإمام أحمد أيضاً : حدثنا محمد بن عبيد ، حدثنا مختار بن نايف التمار ، عن أبي مطر : أنه رأى علياً رضي الله عنه أتى خلافاً حدثاً ، فاشترى منه قميصاً بثلاثة دراهم ، ولبسه [إلى] ما بين الرصين إلى الكعبين ، يقول ولبسه : الحمد لله الذي رزقني من الرياش ما أتجمل به في الناس ، وأوارى به عورتي ، فقيل : هلنا شيء ترويه عن نفسك أو عن نبي الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : هلنا شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عند الكسوة : « الحمد لله الذي رزقني من الرياش ما أتجمل به في الناس ، وأوارى به عورتي » (٦) .

وقوله تعالى : (ولباس القنوى ذلك خير) - قرأ بعضهم : (ولباس - القنوى) ، بالنصب . وقرأ الآخرون بالرفع على الابتداء ، (وذلك خير) خبره .

واختلف القسرون في معناه ، فقال حكرمة : « يقال : هو ما يلبسه المتقون يوم القيامة » : رواه ابن أبي حاتم .

وقال زيد بن علي ، والسدي ، وقتادة ، وابن جريج : (ولباس القنوى) : الإيمان .

وقال العوفي ، عن ابن عباس : العمل الصالح .

وقال زياد (٧) بن عمرو ، عن ابن عباس : هو السميت الحسن في الوجه .

وعن عروة بن الزبير (لباس القنوى) : خشية الله .

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٤٣٤ : ٣٦٥/١٢ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٤٣٧ : ٣٦٦/١٢ .

(٣) في المسند : « الذي أعلق ، أو قال : أتني » . وعلق الثوب - ولم يلبس - وأعلق : بلى .

(٤) تكررت « حياً وميتاً » في المسند ثلاث مرات ، ينظر المسند : ٤٤/١ .

(٥) تحفة الأحوزي ، أبواب القنويات ، الحديث ٣٦٣١ : ٥/١٠ ، ٦ ، وقال الترمذي : هذا حديث غريب . وابن

ماجه ، كتاب اللباس ، باب « ما يقول الرجل إذا لبس ثوباً جديداً » ، الحديث : ٣٥٥٧ : ١١٧٨/٢ .

(٦) مسند الإمام أحمد : ١٥٧/١ : ١٥٨ .

(٧) في المخطوطة : « ديال بن عمرو » ، ولم نجده ، ولعلنا من لسان الميزان :

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : (ولباس الثغوى) : يتي الله ، فيروى حورته ، لذلك لباس الثغوى (١) .

وكل حله مقاربة ، ويؤيد ذلك الحديث الذى رواه ابن جرير حيث قال :

حدثني المثنى ، حدثنا إسحاق بن الحجاج ، حدثنا إسحاق بن إسماعيل ، عن سليمان بن لؤثم ، عن الحسن بن لؤثم ، عن عثمان بن عفان رضى الله عنه عن ابن مسعود روى الله صلى الله عليه وسلم عليه قميص قوهى (٢) محلول الثرى ، وسمعه بأمر يقتل الكلاب ، وينهى عن اللعب بالحمام ، ثم قال : يا أيها الناس ، اتقوا الله فى حله المرائى ، فأتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (والذى نفس محمد بيده ، ما عمل أحد قط سرّاً إلا ألبسه الله رجاء حلانية ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشرّاً . ثم تلا هذه الآية : (وربما - ولم يقرأ - وربما - ولباس الثغوى ذلك خير ، ذلك من آيات الله) ، قال : سمعت الحسن (٣) .

هكذا رواه ابن جرير من رواية سليمان بن لؤثم ، وفيه ضعف ، وقد روى الأئمة : الثعالبي ، وأحمد ، والبخارى فى كتاب الأدب ، عن طريق صحيحة ، عن الحسن البصرى : أنه سمع أمير المؤمنين عثمان بن عفان بأمر يقتل الكلاب وذبح الحمام ، يوم الجمعة على المنبر (٤) .

ولما أرفوع منه ، فقد روى الحافظ أبو القاسم الطبراني فى معجمه الكبير له شاعداً من وجه آخر ، حيث قال : حدثنا ... (٥) .

يَبْنِيْ اٰدَمَ لَا يَفْتَنَنَّكَ الشَّيْطٰنُ كَمَا اَخْرَجَ اٰبَوَيْكَ مِنَ الْجَنَّةِ يَتَزَعُّ عَنْهُمَا لِیْسَبُهَا لِرَبِّهِمَا سَوَءٌ لِّمَا لَمْ يَرْكَبْهُ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ اِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِیْنَ اَوْلِیَآءَ لِلَّذِیْنَ لَا یُؤْمِنُوْنَ ﴿٣٥﴾

يقول تعالى محللاً بنى آدم من إبليس وقبيله ، وميناً لم عدلوه القديمة لأن البشر آدم عليه السلام ، فى معية فى إخراجهم من الجنة إلى هى دار النجم ، إلى دار الثيب والنعاء ، والسبب فى حطه حورته بعد ما كانت مستورة عنه ، وما حللوا من عدلوه أكيدة ، وهذا كقول تعالى : (انتقلوه وفريته أولياءه من دونى ، وهم لكم عدو ، فإس للظالمين بدلاً) (٦) .

(١) ينظر بعض حله الآثار فى تفسير الطبري : ٣٦٦/١٢ - ٣٧٢ .

(٢) القمص الثغوى : ملبوس إلى ترحمته ، وهى أرض متصلة بتراسى هراة ونيسابور ، ينسب إليها هرب من الكلاب .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٤٦ : ٣٦٧/١٢ ، ٣٦٨ .

(٤) مستأجد : ٧٢/١ .

(٥) بهذه المرافغ فى المظفرة ، ومظفرة دار الكتب نحو سبعة أسطر .

(٦) سورة الكهف : آية ٥٥ .

وَإِذَا فَعَلُوا فَحْشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَآرَاءَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا فَعَلُوا ۖ قُلْ أَمْرٌ رَبِّي بِالنُّفُوسِ وَأَقِيمُوا وَجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ۚ قِرْآءَةً حَتَّىٰ تَخْشَوْا جَنَاحَ الْمَلَأَةِ ۚ إِنَّهُمْ أَخَذُوا الشَّيْطَانِ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّكُمْ مُنْجَوُونَ ۚ

قال مجاهد : كان للمشركون يطوفون بالبيت مرة ، يقولون : تطوف كما ولدتنا أمهاتنا . فتضع المرأة حل فرجها للشمعة (١) ، أو الشيء وتقول :

اليوم يبدؤ بعفنه أو كلفه • وما بدأ منه فلا أحله

فأمر الله : (وَإِذَا فَعَلُوا فَحْشَةً قَالُوا : وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا) ... الآية (٢) ،

قلت : كانت العرب - ماعدا قريشا - لا يطوفون بالبيت في ثيابهم التي لبسوها ، يتأولون في ذلك أنهم لا يطوفون في ثياب عصوا الله فيها ، وكانت قريش - وهم الخمس - يطوفون في ثيابهم ، ومن أعاره أحسى ثوبا طاف فيه ، ومن معه ثوب جديد طاف فيه لم يلبسه فلا يملك أحد ، فن لم يجد ثوبا جديدا ولا أعاره أحسى ثوبا ، طاف عريانا . وإذا كانت امرأة فتطوف عريانا ، فتجمل حل فرجها شيئا يستره بعض الشيء وتقول :

اليوم يبدؤ بعفنه أو كلفه • وما بدأ منه فلا أحله

وأكثر ما كان النساء يطقن بالليل ، وكان هذا شيئا قد ابتدعوه من لقاء أنفسهم ، وابتعوا فيه آباءهم ويعتقلون أن فعل آبائهم مستند إلى أمر من الله وشرع ، فأنكر الله تعالى عليهم ذلك ، فقال : (وَإِذَا فَعَلُوا فَحْشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا) ، فقال تعالى ردا عليهم : (قل) ، أي : قل يا محمد لمن ادعى ذلك : (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) ، أي : هذا الذي تصنعونه فاحشة منكرة ، والله لا يهدي القوم الذين لا يهدون . (أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا فَعَلُوا) ، أي : أنتم تقولون على الله ما لا تعلمون ، أي : أنتم تقولون على الله ما لا تعلمون صحتة ؟

وقوله : (قل أمر ربي بالنفس) ، أي : بالليل والاستقامة ، (وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين) ، أي : أركم بالاستقامة في عبادته في محلهما ، وهي متابعة المرسلين للمؤمنين بالمعجزات فيها أخبروا به عن الله ، وما جاءوا به من الشرائع ، وبالإخلاص له في عبادته ، فانه تعالى لا يقبل العمل حتى يجمع هذين الركنين : أن يكون صوابا موافقا للشريعة ، وأن يكون خالصا من الشرك ،

وقوله تعالى : (كما بدأكم تعودون) :: إلى قوله : (الفلاة) - تختلف في معنى (كما بدأكم تعودون) فقال ابن أبي نجیح ، من مجاهد : (كما بدأكم تعودون) : يعنيكم بعد موتكم (٣) .

(١) القصة - يكرر الثوب : قطعة من جلد مضغوطة مرفوعة ، توضع حل صدر البهي .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٤٦٢ : ٣٧٧/١٢ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٤٩٨ : ٣٨٥/١٢ .

وقال الحسن البصري : كما بدأكم في الدنيا ، كذلك تمردون يوم القيامة أحياء (١) ،

وقال قتادة : (كما بدأكم تمردون) ، قال : بدأ خلقهم ولم يكونوا شيئاً ، ثم ذهبوا ، ثم بعثهم (٢) ،

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : كما بدأكم أولاً ، كذلك يبعثكم آخرها (٣) ،

واختار هذا القول أبو جعفر بن جرير ، وأيده بما رواه من حديث سفیان الثوري وشعبة بن الحجاج كلاهما ، عن المغيرة بن النعمان ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمحظة فقال : يا أيها الناس ، إنكم تمشرون إلى الله حفاة حفاة غُرلاً ، كما بدأنا أول خلق نبيه ، وعداً علينا إنا كنا فاعلين (٤) ،

وهذا الحديث خرج في الصحيحين ، من حديث شعبة ، وفي صحيح البخاري أيضاً من حديث الثوري (٥) به ،

وقال وقامه بن لياس أبو يزيد ، عن مجاهد : (كما بدأكم تمردون) ، قال : يبعث المسلم مسلماً ، والكافر كافراً (٦) .

وقال أبو العالية : (كما بدأكم تمردون) : ردوا إلى علمه فيهم (٧) ،

وقال سعيد بن جبير : (كما بدأكم تمردون) : كما كتب عليكم (٨) تكونون - وفي رواية : كما كنتم تكونون عليه تكونون .

وقال محمد بن كعب القرظي في قوله تعالى : (كما بدأكم تمردون) : من ابتداء الله خلقه على الشقاوة صار إلى ما ابتدئ به خلقه ، وإن عمل بأعمال أهل السعادة [كما أن إبليس عمل بأعمال أهل السعادة ، ثم صار إلى ما ابتدئ به خلقه] (٩) . ومن ابتدئ به خلقه على السعادة ، صار إلى ما ابتدئ به خلقه عليه ، وإن عمل بأعمال أهل الشقاء ، كما أن السحرة عملت بأعمال أهل الشقاء (١٠) ، ثم صاروا إلى ما ابتدئوا عليه (١١) .

وقال السدي : (كما بدأكم تمردون . فريقاً هلى وفريقاً حق عليهم الضلالة) ، يقول : (كما بدأكم تمردون) كما خلقناكم ، فريق متهنون وفريق ضلال ، كذلك تمردون وتخرجون من بطون أمهاتكم (١٢) .

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٤٩٥ : ٣٨٥/١٢ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٤٩٦ : ٣٨٥/٢ . وقوله : بدأ خلقهم

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٤٩٩ : ٣٨٥/١٢ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٥٠٠ : ١٤٥٠٢ : ٣٨٦/١٢ .

(٥) مقي تخریج الخلفی فی سورة الأعراف ، حقه الآية ١١٧ منها . ينظر : ٢٢٨/٣ .

(٦) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٤٨٥ : ٣٨٣/١٢ .

(٧) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٤٨٢ : ٣٨٣/١٢ .

(٨) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٤٨٦ : ٣٨٣/١٢ .

(٩) من تفسير الطبري .

(١٠) ينظر بحرة فرعون .

(١١) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٤٨٣ : ٣٨٣/١٢ .

(١٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٤٨٨ : ٣٨٤/١٢ .

وقال حل بن أبي ملحمة ، عن ابن عباس قوله : (كما بئاكم سمودون : فرقا هلى وفرقا حق عليهم الفضالة) ، قال : إن الله تعالى بدأ خلق ابن آدم مؤمنا وكافرا ، كما قال : (هو الذى خلقكم فىكم كافر ومنكم مؤمن) ، ثم يعلم يوم القيامة كما بدأهم ، مؤمنا وكافرا (١) .

قلت : ويأيد هذا القول حديث ابن مسعود فى صحيح البخارى : « قال لى لا إله غيرى ، إن أحلكم لعمل بعمل أهل الجنة ، حتى ما يكون بينه وبينها إلا باع - أو : فزاع - فسبق عليه الكتاب ، يعمل بعمل أهل النار ، فبطلها . وإن أحلكم لعمل بعمل أهل النار ، حتى ما يكون بينه وبينها إلا باع - أو : فزاع - فسبق عليه الكتاب ، يعمل بعمل أهل الجنة ، فيدخل الجنة (٢) » .

وقال أبو القاسم البغوى : حدثنا على بن الجعد ، حدثنا أبو [خسان] ، عن أبي حازم ، عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن العبد لعمل - فبا يرى الناس - بعمل أهل الجنة ، وإنه من أهل النار . وإنه لعمل - فبا يرى الناس - بعمل أهل النار ، وأنه من أهل الجنة . وإنما الأعمال بالخواتم (٣) » .

هذا قطعة من حديث رواد البخارى من حديث أبي خسان محمد بن مطرف اللندى ، فى قصة « قُزَمان » يوم أحد (١) .
وقال ابن جرير : حدثنا ابن بشار : حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ثبت كل نفس على ما كانت عليه (٢) » .

وهذا الحديث رواه مسلم وابن ماجه من غير وجه ، عن الأعمش ، به - ونقطة : « يثبت كل عبد على ما مات عليه (٦) » .

قلت : ولا بد من الجمع بين هذا القول - إن كان هو المراد من الآية - وبين قوله تعالى : (فأقم وجهك للدين حنيفاً ، فطر الله النسا علىها (٧)) ، وما جاء فى الصحيحين ، عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه » . وفى صحيح مسلم ، عن عياض بن حمكز قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقول الله تعالى : « إني خلقت عبادى حنفاء ، فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ... الحديث (٨) » - ووجه الجمع على هذا أنه تعالى خلقهم ليكون منهم مؤمن

(١) تفسير الطبرى ، الأثر ١٤٤٧٨ : ٣٨٤/١٢ .

(٢) البخارى ، كتاب القدر : ١٥٢/٨ .

(٣) الحديث فى تفسير البغوى أبي عبد الحسين بن مسعود لقرأ البغوى : ٢٢٢/٢ . قال : أخبرنا عبد الواحد اللبى : أنبأنا عبد الرحمن بن أبي شريح ، أنبأنا أبو القاسم البغوى وذكره .

(٤) البخارى ، كتاب القدر ، باب السبل بالخواتم : ١٥٥/٨ . وكتاب الرقاق ، باب الأعمال بالخواتم : ١٢٨/٨ . وينظر غير « قُزَمان » فى سيرة ابن هشام : ٨٨/٢ .

(٥) تفسير الطبرى ، الأثر ١٤٤٨٩ : ٣٨٤/١٢ .

(٦) مسلم ، كتاب الجنة ، باب إثبات الحساب : ١٦٥/٨ . وابن ماجه ، كتاب الزهد ، باب التبة : الحديث ٤٢٢٠ .

(٧) ١٤١٤/٢ . ونقطة : « يثبت للناس على نياتهم » .

(٨) سورة الروم : آية ٣٠ .

(٩) معنى تزيح طين الهديين فى سورة النساء ، صه الآية ١١٩ : ٣٦٨/٢ .

وكلامه في ثاني الحلال ، وإن كان قد فطر الخلق كلهم على معرفته وتوحيده ، والعلم بأنه لا إله غيره ، كما أعطى عليهم بذلك الميثاق ، وجعله في غرائزهم وفطرتهم ، ومع هذا قدر أن منهم شقياً ومنهم سعيداً ، (هو الذي خلقكم ، فتكم كافر ومنكم مؤمن) ، وفي الحديث : « كل الناس يولد ، فبالحق نفسه فحشاً ، أو مؤمناً (١) » ، وقدر الله ناله في برئته ، فإنه هو (الذي قدر نهدى (٢)) ، و (الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى (٣)) — وفي الصحيحين : ولما من كان منكم من أهل السعادة ، فسيسر لعمل أهل السعادة ، ولما من كان من أهل الشقاوة فسيسر لعمل [أهل] الشقاوة (٤) — ولما قال تعالى : (فريقتا هدى فريقتا حتى عليهم الضلالة) ، ثم حلل ذلك فقال : (لهم الخلقوا الشياطين أولياء من دون الله ... الآية .

قال ابن جرير : وهذا من أبين للدلالة على خطأ من زعم أن الله لا يطلب أحداً على معصية ركبها أو ضلالة اعتلها ، إلا أن يأتيها بعد علم منه بفساد وجهها ، فركبها عناداً من لربه فيها . لأن ذلك لو كان كذلك ، لم يكن بين فريق الضلالة الذي ضل وهو يحسب أنه هاد ، وفريق الهدى ، فرق . وقد فرق الله تعالى بين أسألهما وأحكامهما في هذه الآية (٥) .

﴿ يَذِّنِّيْۤ اٰدَمَ خَلَوْا۟ زِيْنَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوْا وَاشْرَبُوْا وَلَا تُسْرِفُوْا اِنَّهٗ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِيْنَ ۝۶۱ ﴾

هذه الآية الكريمة رد على المشركين فيا كانوا يستملونه من الطواف بالبيت حراماً ، كما رواه مسلم والنسائي وابن جرير — والفظ له — من حديث شعبة ، عن سلمة بن كهيل ، عن مسلم البجلي ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس قال : كانوا يطوفون بالبيت حراماً [الرجال والنساء] : الرجال بالثوب ، والنساء بالليل . وكانت للمرأة تقول :

اليوم يبدؤ بفضه أو كلفه . وما يبدؤ منه فلا أحله

فقال الله تعالى : (خلوا زينتكم عند كل مسجد) (٦) .

وقال العوفي ، عن ابن عباس في قوله : (خلوا زينتكم عند كل مسجد) :: الآية ، قال : كان رجال يطوفون بالبيت حراماً ، فأمرهم الله بالزينة — والزينة : الياقوت ، وهو ما يورى السواة ، وما سوى ذلك من جنيده البر والتمتع — فأمروا أن يخلوا زينتهم عند كل مسجد (٧) .

(١) مسلم ، كتاب الطهارة ، باب فضل الوضوء : ١٤٠/١ .

(٢) سورة الأمل ، آية : ٣ .

(٣) سورة طه ، آية : ٥٠ .

(٤) البخاري ، كتاب الجنائز ، باب موعدة الحدث عند القبر : ١٢٠/٢ . ومسلم ، كتاب القبر ، باب كيفية الخلق الآلا في بطن أمه ، وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته : ٤٦/٨ ، ٤٧ . وفيها : « فيصير إلى عمل أهل السعادة ... فيصير إلى عمل أهل الشقاوة » .

(٥) تفسير الطبري : ٣٨٨/١٢ .

(٦) مسلم ، كتاب التفسير ، باب في قوله تعالى : (خلوا زينتكم عند كل مسجد) : ٢٤٣/٨ ، ٢٤٤ . والنسائي ، كتاب الحج ، باب قوله عز وجل : (خلوا زينتكم عند كل مسجد) : ٢٣٢/٥ ، ٢٣٤ . وتفسير الطبري ، الأثر : ١٤٠٠/١٢ ، ٣٩٠/١٢ .

(٧) تفسير الطبري ، الأثر : ١٤٠٠٨ ، ٣٩١/١٢ .

وكذا قال مجاهد ، وعطاء ، وإبراهيم التيمي ، وسعيد بن جبير ، وقادة ، والسدي ، الفصاحك ، ومالك عن
الزهري ، وغير واحد من أئمة السلف في تفسيرها : أنها [نزلت] في طواف المشركين بالبيت حرة .

وقد روى الحافظ بن مردويه ، من حديث سعيد بن بشر والأوزاعي ، عن قتادة ، عن أنس مرفوعا : أنها أنزلت
في الصلاة في النعل : ولكن في صحته نظر ، والله أعلم .

ولهذه الآية ، وما ورد في معناها من السنة ، يستحب التحجيل عند الصلاة ، ولا سيما يوم الجمعة ويوم العيد ، والطيب
لأنه من الثروة ، والسواك لأنه من تمام ذلك ، ومن أفضل الثياب البياض ، كما قال الإمام أحمد :
حدثنا علي بن حاصم ، حدثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم : « البسوا من ثيابكم البياض ، فإنها من خير ثيابكم ، وكفنوا فيها موتاكم ، وإن من خير أكمالكم
الإند ، فإنه يجلو البصر ، وينبت الشعر (١) » .

هذا حديث جيد الاستاد ، وجاءه على شرط مسلم ، ورواه أبو داود ، والترمذي ، وابن ماجه ، من حديث عبد الله
ابن عثمان بن خثيم ، به ، وقال الترمذي : حسن صحيح (٢) .

وللإمام أحمد أيضا ، وأهل السنن بإسناد جيد ، عن سمرة بن جندب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« عليكم بالثياب البياض فاليسوها ، فإنها أطهر وأطيب ، وكفنوا فيها موتاكم (٣) » .

وروى الطبراني في مسند صحيح ، عن قتادة ، عن محمد بن سيرين : أن نميا البكري اشترى رداءه بألف فكان يصبى فيه ،
وقوله نعل : (وكلوا واشربوا) :: الآية ، قال بعض السلف : جمع الله الطب كله في نصف آية : (وكلوا
واشربوا ولا تسرفوا) .

وقال البخاري : قال ابن عباس : كل ما شئت ، وليس ما شئت ، ما أعطاك خصلك من شرك ومخيلة (٤) .

وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ابن طاووس ، عن أبيه ،
عن ابن عباس قال : أكل الله الأكل والشرب ، فلم يكن مرفقا أو مخيلة (٥) .

يستاده صحيح .

(١) مسند الإمام أحمد : ٢٤٧/١ .

(٢) سنن أبي داود ، كتاب اللباس ، باب في البياض ، الحديث ٤٠٦١ : ٥١/٤ ، وكتاب الطيب ، باب في الأمر بالكحل ،
الحديث ٣٨٧٨ : ٨/٤ . ونسفة الأحوص ، أبواب الجنائز ، باب ما يستحب من الأكفان ، الحديث ٩٩٩ : ٧٢/٤ ، ٧٣ .
وابن ماجه ، كتاب الجنائز ، باب ما جاء فيما يستحب من الكفن ، الحديث ١٤٧٢ : ٤٧٣/١ .

(٣) ينظر مسند الإمام أحمد : ٧/٥ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢١ .

(٤) البكري ، كتاب اللباس ، باب قول الله تبارك : (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده) : ١٨٢/٧ .
والسرف - بفتح السين - : الإسراف ، ومجاوزة القصد . والمخيلة - بفتح الخاء وكسر الهمزة - : الاختيال والكبر .

(٥) تفسير البكري : الأثر ١٤٥٢٩ : ٣٩٤/١٢ .

وقال الإمام أحمد: حدثنا يَحْيَى، حدثنا همام، عن قتادة، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كُلُوا واشربوا ولايسوا وتصدقوا [في] غير خيلاء ولا سرقة» فإن الله يحب أن يرى نعمته على عبده (١)»

ورواه النسائي وابن ماجه، من حديث قتادة، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كُلُوا وتصدقوا ولايسوا، في غير إسراف ولا مَخِيلَةٍ».

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو المغيرة، حدثنا سليمان بن سلم الكناني، حدثنا يحيى بن جابر الطائي، سمعت المقنن ابن معد يكرب الكندي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه، حسبه ابن آدم أكلات يَغْمِسُ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ قَاعًا لَا مَعَالَةَ، قُلْتُ، طَعَامٌ، وَثَلْثُ شَرَابٌ، وَثَلْثُ لَفْسُهُ» (٢).

ورواه النسائي والترمذي، من طرق، عن يحيى بن جابر، به. وقال الترمذي: حسن — وفي نسخة: حسن صحيح (٣)، وقال الخافظ أبو يعلى الموصلي في مستدركه: حدثنا سويد بن عبد العزيز، حدثنا بَقِيَّةٌ، عن يوسف بن أبي كثير، عن نوح بن ذكوان، عن الحسن، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنْ مِنْ السَّرَفِ أَنْ تَأْكُلَ كُلَّ مَا اشْتَيْتَ».

ورواه الدارقطني في الأفراد، وقال: هذا حديث غريب تفرد به بقية:

وقال السدي: كان الذين يطوفون بالبيت حراة، يجرمون عليهم الفردك (٤) ما أنفموا في اللوصم، فقال الله لهم: «كُلُوا واشربوا»... الآية، يقول: لا تصرفوا في التحريم (٥)،

وقال مجاهد: أمرهم أن يأكلوا ويشربوا بما رزقهم (٦) الله.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: «ولا تصرفوا»، يقول: ولا تأكلوا حراماً، ذلك الإسراف.

وقال غطاء النخاساني، عن ابن عباس قوله: «كُلُوا واشربوا ولا تصرفوا، إنه لا يحب المسرفين»، في الطعام والشراب (٧).

وقال ابن جرير: وقوله: «إنه لا يحب المسرفين»، يقول الله: إنه لا يحب المتعدين حدّه في حلال أو حرام، «الضالين فيما أحل [أو حرّم (٨)]، بإحلال الحرام وبحريم الحلال، ولكنه يجب أن يحل ما أحل، ويحرم ما حرّم، وذلك الملك الذي أمر به».

(١) مستد الإمام أحمد: ١٨٢/٢. ويتر: ١٨١/٢.

(٢) مستد الإمام أحمد: ١٢٢/٤.

(٣) تحفة الأيوبي، أبواب الزهد، باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل، الحديث ٢٤٨٦: ١٧/٥.

(٤) البَيْكُ - يذبح الوار والذال -، جسم اللحم ودحه الذي يستخرج منه، ويبنى بالموسم: موسم الحج.

(٥) تفسير الطبري، الأثر ١٤٥٢١: ١٢/٣٩٤، ٣٩٥.

(٦) تفسير الطبري، الأثر ١٤٥٣٢: ١٢/٣٩٥.

(٧) تفسير الطبري، الأثر ١٤٥٣٥: ١٢/٣٩٤.

(٨) من تفسير الطبري.

قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٠﴾

يقول تعالى ردًا على من حرم شيئا من المأكول والمشروب ، والملابس ، من تلقاء نفسه ، من غير شرع من الله : (قل) يا محمد ، هؤلاء للمشركين الذين يحرمون ما يحرمون بأرائهم القاسدة وابتداعهم : (من حرم زينة الله التي أخرج لعباده) ... الآية ، أي : هي مخلوقة لمن آمن بالله وعبدته في الحياة الدنيا ، وإن شركهم فيها الكفار حسًا في الدنيا ، فهي لهم خاصة يوم القيامة ، لا يتشركهم فيها أحد من الكفار ، فإن الجنة عزة على الكافرين .

قال أبو القاسم الطبراني : حدثنا أبو حصين محمد بن الحسين القاضي ، حدثنا يحيى الحماني ، حدثنا يعقوب القسبي ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : « كانت قریش يطوفون بالبيت وهم عراة ، يصفرون ويصمكون ، فأمر الله : (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده) ، فأمروا بالثياب (١) » .

قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن شقيق ، عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا أحد أخبر من الله [فلذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا أحد أحب إليه المذنب من (٢) الله] » .

أخرجاه في الصحيحين ، من حديث سليمان بن مهران الأعمش ، عن شقيق أبي وائل ، عن عبد الله بن مسعود ، وتقدم الكلام في سورة الأنعام على ما يتعلق بالفواحش ما ظهر منها وما بطن .

وقوله : (والإثم والبيغي بغير الحق) ، قال السدي : أما الإثم فالمصيبة - والبيغي أن تبغي على الناس بغير الحق (٣) » .

وقال مجاهد : الإثم المعاصي كلها ، وأخبر أن الباغي بغيره كائن على نفسه (٤) .

وحاصل ما فُسر به الإثم أنه الخطايا المتعلقة بالقاعل نفسه ، والبيغي هو التمدى إلى الناس ، فحرم الله هذا وهذا .

وقوله : (وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما تعلمون) ، أي : يعملوا له شريكا في حياته ، وأن تقولوا عليه من الافتراء والكذب من دعوى أن له ولداً وبغي ذلك ، مما لا علم لكم به كما قال تعالى : (فاجتنبوا الرجس من الأوثان) ... الآية (٥) .

(١) أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٨٠/٣ ، وفيه : « فأمروا بالثياب أن يلبسوها » .

(٢) مضي تخريج هذا الحديث ، ص ١٥٧ الآية ١٥٧ من سورة الأنعام .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٠٥٢ : ٤٠٣/١٢ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٠٥٣ : ٤٠٣/١٢ .

(٥) سورة الحج ، آية ٣٥ .

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَرْشِدُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَعِينُونَ ﴿٦٤﴾ يَتَّبِعُهُمُ الْيَأْسُ إِذَا مَا بَأْسُنَا وَرَسُولُنَا يَكُونُ صَفْوًا عَلَيْهِمُ الْمَوْتُ فَإِنَّهُمْ عَلِمُوا صَفْوًا وَكُنْهُمْ أَهْلًا يَكُونُونَ فِيهَا خَالِدِينَ ﴿٦٥﴾

يقول تعالى : (ولكل أمة) ، أى : قرن وجيل (أجل) ، فإذا جاء أجلهم) ، أى : ميقاتهم للقدر لم (لا يستأخروا ساعة - عن ذلك - ولا يستعينون) ؛

ثم أنزل تعالى بنى آدم بأنه سيعتد إليهم رسلا ، يقصون عليهم آياته ، ويشتر وحذر فقال : (لمن اتقى وأصلح) ، أى : ترك المحرمات وفضل الطاعات (فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها) ، أى : كذب بها فتركهم ، واستكبروا عن العمل بها (أولئك أصعب النار هم فيها خالدون) ، أى : ما تكون فيها مكانا خلدا .

فَنَظُمْنَاهُ مِنْ أَفْئِدَةٍ عَلَى أَفْئِدَةٍ مَكَدًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنْتَلِمُ قَصِيمٌ مِنَ الْكِتَابِ حِينَ إِذَا جَاءَهُمْ وَهُمْ لَا يَسْتَنْصِفُونَ قَالُوا إِنَّا مَا كُنْهُمْ نَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَهُمْ لَغَاوُونَ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٦٦﴾

يقول : (فن أنظم من افئدة على افئدة كلبا أو كذب بآياته) ، أى : لا أحد أنظم من افئدة الكلب على الله ، أو كذب بآيات الله المتزلة .

(أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب) ، اختلف المفسرون في معناه ، فقال العوفي (عن ابن عباس) : ينالهم ما كتب عليهم ، وكتب لمن يفترى على الله أن وجهه مسود (١) .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس يقول : نصيبهم من الأعمال ، من حَسِيلٍ غيرا جَزْئِي به ، ومن عمل شرا جزئِي (٢) به ؟

وقال مجاهد : ما وعدوا فيه من خير وشر (٣) .

وكذا قال قتادة ، والفسطاك ، وغير واحد . وانظره ابن جرير (٤) .

وقال محمد بن كعب القرظي : (أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب) ، قال : عمله ورزقه وحره (٥) .

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٠٨٨ : ٤١٢/١٢ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٠٧٣ : ٤١١/١٢ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٠٨٢ : ٤١٢/١٢ .

(٤) تفسير الطبري ، ٤١٤/١٢ .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٠٩٠ : ٤١٢/١٢ .

نصار) ، أى : أضعف عليهم العقوبة ، كما قال تعالى : (يوم نقطب وجوههم في النار بقولون : يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا . وقالوا : ربنا إنا أطعنا ساداتنا وكبرائنا فأغلبونا السيلا . ربنا آتاهم ضفين من العذاب) (١) ... الآية .

وقوله : (قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون) ، أى : قد فعلنا ذلك وجازينا كلا بحسبه ، كما قال تعالى : (الذين كفروا وصلوا عن سبيل الله زدناهم حثاثا) (٢) ... الآية ، وقال تعالى : (وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم) (٣) ، وقال : (ومن أوزار الذين يصلونهم غير علم) (٤) ... الآية .

(وقالت أولام لأخراهم) ، أى : قال اليهودون للأخرياع : (لما كان لكم علينا من فضل) ، قال السدي : فقد ضللكم كما ضللتنا (٥) .

(نلوثوا العذاب بما كنتم تكسبون) ، وهذا الخلل كما أخبر تعالى عنهم في حال عسرهم ، في قوله تعالى : (ولو ترى إذ الظالمون موقفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول ، يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا : لولا أنكم كنتم مؤمنين . قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صلبناكم عن بعد المدي بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين . وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمرونا أن نكفر بالله ونجس له أئنادا ، وأسروا النمامة لا راءوا العذاب ، وجعلنا الأخلاص في أعتاق الذين كفروا حل يحزون إلا ما كانوا يعملون) (٦) .

إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تَتَخِفُّ لَهُمْ أَيْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يُلَاحِظَ فِي سَمْعٍ كَلِمَاتٍ ۚ وَكَذَلِكَ نُجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٠﴾ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَلِكَ نُجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٦١﴾
قوله : (لا تتخفف لهم أرباب السماء) ، قيل : المراد لا يرفع لهم منها عمل صالح ولا دعاء ،

قاله مجاهد ، وسعيد بن جبر . ورواه العوفي وحلى بن أبى طلحة ، عن ابن عباس . وكلما رواه الثوري ، عن ليث ، عن عطاء ، عن ابن عباس (٧) .

وقيل : المراد لا تتخفف لأربابهم أرباب السماء .

رواه الضحاك ، عن ابن عباس . وقاله السدي وغير واحد (٨) ، ويؤيده ما قال ابن جرير .

حدثنا أبو كريب ، حدثنا أبو بكر بن حبان ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن هو ابن عمرو — عن زاذان ، عن البراء : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح المهاجر ، وأنه يُصَمَدُ بها إلى السماء ، [قال] : فيصعدون

(١) سورة الأحزاب ، الآيات : ٦٦ - ٦٨ .

(٢) سورة النمل ، آية : ٨٨ .

(٣) سورة التنبوت ، آية : ١٣ .

(٤) سورة النمل ، آية : ٢٥ .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر : ١٤٦٠٠ : ١٢/٤٧٠ .

(٦) سورة مباء ، الآيات : ٣١ - ٣٣ .

(٧) ينظر حله الآثار في تفسير الطبري : ١٢/٤٧٢ : ٤٢٣ .

(٨) تفسير الطبري : ١٢/٤٧١ : ٤٧٢ .

بها ، فلا تمر على ملائكة إلا قالوا : « ما هذه الروح الطيبة ؟ » فيقولون : « فلان » ، يأتيح أماته التي كان يَدْعُوها في الدنيا ، حتى يتنهدوا بها إلى السماء ، فيستفتحون بها له فلا يفتح له . ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تفتح لهم أبواب السماء) الآية (١) .

هكذا رواه ، وهو قطعة من حديث طويل رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه ، من طرق ، عن المنهال بن عمرو ، به : وقد رواه الإمام أحمد بطوله هناك :

حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش عن منهال بن عمرو ، عن زاذان ، عن البراء بن عازب قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار ، فأتيتها إلى القبر ولَسَّ يَدْعُو رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله كان على رموسنا الطير ، وفي يده حرد بنكت به في الأرض ، فرفع رأسه فقال : استمعلوا بالله من حلياب القبر — مريب أو ثلاثاً ، ثم قال : إن العيد المزمع إذا كان في انتفاع من الدنيا ، وإقبال إلى الآخرة ، فإني إليه ملائكة من السماء يضيء أوجوهه ، كأن وجوههم الشمس ، مهم كفن من أكفان الجنة (٢) ، وحشوط من حشوط الجنة ، حتى يجلسوا منه مدّ البصر : ثم يحيى ملك الموت ، حتى يجلس عند رأسه ، فيقول : أيتها النفس الطيبة ، اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان .

قال : فخرج لسيل كما تسيل القطرة من في السماء ، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعها في يده طرفة عين ، حتى يأخذها فيجعلها في ذلك الكفن ، وفي ذلك الحشوط ، ويخرج منها كأطيب نعمة مسك وجدت على وجه الأرض . فيصعدون بها فلا يمرون — يعني — بها على ملائكة إلا قالوا : « ما هذا الروح الطيبة ؟ » فيقولون : « فلان » ، « فلان » ، « أحسن أماته التي كانوا يسمونه بها في الدنيا ، حتى يتنهدوا بها إلى السماء الدنيا ، فيستفتحون له ، فيفتح له ، فيضيء من كل ماء مقربوها إلى السماء التي تليها ، حتى يتنهدوا بها إلى السماء السابعة ، فيقول الله عز وجل : « يا كتبتوا كتاب عبدي في حنين ، وأعيدوه إلى الأرض ، فإني منها خلقتهم ، وفيها أعيدهم ، ومنها أخرجهم تارة أخرى » .

قال : فتدبر روحه ، فيأتيه ملكه فيجلسه فيقولان له : « من ربك ؟ » فيقول : « رب الله » : فيقولان له : « ما دينك ؟ » فيقول : « دين الإسلام » : فيقولان له : « ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ » فيقول : « هو رسول الله صلى الله عليه وسلم » : فيقولان له : « وما حملك ؟ » فيقول : « قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت : فينادي مناد من السماء : أن صدق عبدي ، فأفرشوه من الجنة ، وألبسوه من الجنة ، واغضوا له باباً إلى الجنة : فيأتيه من روحها وطيبها ، ويشفح له في قبره مدّ بصره » .

(١) التفسير الجليلي ، الأثر ١٤٦٤ : ٤٢٤/١٢ .

(٢) ليس في الجنة موت ولا أكفان بالنفس الذي نرسله . ولعل هذا الكفن الذي يؤتى به من الجنة ، لتخرج فيه النفس الطيبة . هو ثوب أمه الله لذلك ، أو هو نفسه من النور الإلهي ، تحيط بهذه النفس ، كما يحيط الكفن بالجسم ، أو أن هذا كله كناية عما أمه نفس الطيبة من الكرامة عند مغادرتها الجسم .

قال : وبأية رجل حسن الوجه ، حسن الثياب ، طيب الريح ، فيقول : أبشر بالذي يسررك ، هذا يومك الذي كنت تعد . فيقول له : من أنت ؟ فوجهك الوجه (١) يحيى بالخير . فيقول : أنا عمك الصالح . فيقول : وب أنت الساعة رب أم الساعة حتى أرجع إلى أهل ومالي .

قال : وإن العبد الكافر ، إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة ، نزل إليه من السماء ملائكة سرود الوجوه ، معهم المسوح ، فيحيطون منه منذ البصر ، ثم يحيى ملك الموت حتى يجلس عند رأسه ، فيقول : أيها النفس الخبيثة ، اخرجي إلى مسقط من الله وغضب . قال : فتفرق في جسده ، فيترعها كما يترع السقود (٢) من الصرف المابلول ، فيأخذها ، فإذا أخذها لم يدعها في يده طرفة عين حتى يحطوها في تلك للسوح ، ويخرج منها كأن من ريح جيفة . وجعلت حل وجه الأرض . فيصعدون بها ، فلا يعرفون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الخبيث ؟ فيقولون : فلان بن فلان ، باقى أسأله التي كان يسمى بها في الدنيا ، حتى يتبى إلى السماء الدنيا ، ليستفتح له ، فلا يفتح . ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تُفْتَحْ لِم أبواب السماء ، ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط) ، فيقول الله عز وجل : « اكتبوا كتابه في سبعين في الأرض السفلى » . فتطرح روحه طرحة ، ثم قرأ : (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء ، فتخطه الطير ، أو حوى به الريح في مكان سحيق (٣)) .

فصاد روحه في جسده . وبأية مكان فيجسده فيقولان له : « من ربك ؟ » فيقول : هاهاه ! لا أدري : فيقولان : « ما دينك ؟ » فيقول : هاهاه ! لا أدري . فيقولان : « ما هذا الرجل الذي يث فيكم ؟ » فيقول : هاهاه ! لا أدري ، فينادي مناد من السماء : « أن كلب ، فافرشوه من النار ، واضفوا له باباً إلى النار . فيأتيه من حرها وسمومها ، ويضيق عليه قبره حتى تختطف فيه أضلعه ، وبأية رجل يبيع الوجه ، قبيح الثياب ، منن الريح ، فيقول : أبشر بالذي يسوؤك . هذا يومك الذي كنت تعد ، فيقول : من أنت ؟ فوجهك الوجه يحيى بالشر . فيقول : أنا عمك الخبيث ، فيقول : رب لا هم الساعة (٤) .

وقال أحمد أيضاً : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن يونس بن عباب ، عن المنهال بن عمرو ، عن زاذان ، عن البراء بن عازب قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنازة - فذكر نحوه -

وفيه : حتى إذا خرج روحه صلى الله عليه وسلم إلى ملك بين السماء والأرض ، وكل ملك في السماء ، وفتحت له أبواب السماء ، ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله عز وجل أن يسرح بروحه من قبلهم . وفي آخره : ثم يقضى له أمي أسم أبكم ، في يده مرزبة لو ضرب بها جبل كان تراباً ، فيضربه ضربة فيصير تراباً ، ثم يعيده الله عز وجل كما كان ، فيضربه ضربة أخرى فيصير صبيحة صبيحة يسمعها كل شيء إلا الظلن - قال البراء : ثم يفتح له باب من النار ، ويمهد له من فرش النار (٥) .

(١) في المخطوطة : « فوجهك اليوم يحيى » . والحديث من مسند الإمام أحمد .

(٢) السقود : حديد يفرى بها .

(٣) سورة الحج ، آية : ٣١ .

(٤) مسند الإمام أحمد : ٢٨٧/٤ : ٢٨٨ .

(٥) مسند الإمام أحمد : ٢٩٥/٤ : ٢٩٦ .

وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد ، والسنائي ، وابن ماجه وابن جرير - واقطع له - من حديث محمد بن عمرو ابن عطاء ، عن سعيد بن يسار ، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الميت تخضره الملائكة ، فإذا كان الرجل الصالح قالوا : اخرجي أيتها النفس المطمئنة كانت في الجسد الطيب ، اخرجي حبيبة ، وأبشري بروح وريحان ، ووب غير غضبان » ، فيقولون ذلك حتى يُخرج بها إلى السماء ، فيستفتح لها ، فيقال : « من هذا ؟ » فيقولون : « فلان » ، فيقال : « مرحباً بالنفس الطيبة التي كانت في الجسد الطيب » ، ادخلي حبيبة ، وأبشري بروح وريحان ، ووب غير غضبان » ، فيقال لها ذلك حتى ينتهي به إلى السماء التي فيها الله عز وجل . وإذا كان الرجل السوء قالوا : اخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث ، اخرجي ذميمة ، وأبشري بجمع وغساق ، وآخر من هلكه أزواج » ، فيقولون ذلك حتى تخرج ، ثم يخرج بها إلى السماء فيستفتح لها ، فيقال : « من هذا ؟ » فيقولون : « فلان » ، فيقولون : « لا مرحباً بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث ، اخرجي ذميمة ، فانه لم يفتح لك أبواب السماء » ، فترسل بين السماء والأرض ، فتصير إلى القبر (١) .

وقد قال ابن جرير في قوله : (لا تفتح لم أبواب السماء) ، قال : لا تفتح لأعمالهم ، ولا لأرواحهم (٢) .

وهذا فيه جمع بين التوليد ، والله أعلم .

وقوله : (ولا يدخلون الجنة حتى يبلغ الجُمل في سَمّ الغياط) هكذا قرأه الجمهور ، وقسروا بأنه البعر .

قال ابن مسعود : هو الجمل ابن الناقة - وفي رواية : زوج الناقة (٣) .

وقال الحسن البصري : حتى يدخل البعر في عروق الإبرة (٤) .

وكذا قال أبو العالية ، والضحاك . وكذا روى علي بن أبي طلحة ، واللعوق عن ابن عباس .

وقال مجاهد ، وعكرمة ، عن ابن عباس : أنه كان يقرأها (يبلغ الجُمل في سَمّ الغياط) ، بضم الجيم ، وتشديد اللام - يعني الحبل الطويل في حرم الإبرة .

وهذا اختيار سعيد بن جبر . وفي رواية أنه قرأ (حتى يبلغ الجُمل) يعني قُلُوس (٦) السفن ، وهي الحبال الفلاظ .

وقوله : (لم من جهنم مهاد) ، قال محمد بن كعب القرظي : (لم من جهنم مهاد) ، قال : القرش ، (ومن فرقتهم غواش) ، قال : المصن (٧) .

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٦١٠ : ١٢/٤٢٤ ، ٤٢٥ . وقد مضى تفريع الحديث في مسند الإمام أحمد في سورة الأنعام ، عند الآية ٦٢ من سورة الأنعام : ٣٦٢/٣ . والحديث أخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد ، باب ذكر الموت برمي . ٤٢٦٢ : ١٢/١٢٢٣ ، ١٢٢٤ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٦١٣ : ١٢/٤٢٣ .

(٣) تفسير الطبري ، الآثار ١٤٦١٧ - ١٤٦٢١ : ١٢/٤٢٨ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٦٢٣ : ١٢/٤٢٩ .

(٥) تفسير الطبري ، الآثار ١٤٦٣٦ - ١٤٦٤١ : ١٢/٤٣١ ، ٤٣٢ .

(٦) القلوس : جمع قلس - بفتح فسكون - وهو : حبل ضخم غليظ من ليف أو خوص ، وهو من حبال السفن .

(٧) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٦٥٥ : ١٢/٤٣٦ .

وَكَلَّمَ قَالَ الضَّحَّاكُ بْنُ مَزَاحِمٍ ، وَالسُّدِّيُّ ، (وَكَذَلِكَ يُجْزَى الثَّلَاثِينَ)

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَجْتَجِبُ الْجَنَّةَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٦٥﴾
وَوَزَعْنَا مَا فِي صُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ يُجْزَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَبَاكَ نَكْتَهِى لَوْلَا
أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَتُودُوا أَنْ تُلْكَرَ الْجَنَّةُ أَوْ رُشِمُوا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾

لا ذكر تعالى حال الأتقياء ، عطف بذكر حال السعداء ، قال : (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) ، أى :
آمنت قلوبهم وعملوا الصالحات ببولجهم ، ضد أولئك الذين كفروا بآيات الله ، واستكبروا عنها ،

وينبه تعالى على أن الإيمان والعمل به سهل ، لأنه تعالى قال : (لا تكلف نفساً إلا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم
فيها خالدون) وزعنا ما في صورههم من غلٍّ ، أى : من حسد وبغضاء ، كما جاء في الصحيح البخارى ، من حديث
قاعدة ، عن أبيه المتركلى الشافعى ، عن أبي سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا [غلص
المؤمنون من النار] حبسوا على قطرة (١) » بن الجنة والنار ، ناقص (٢) لم يظلم كانت بينهم في الدنيا ، حتى إذا
هكدوا ونفوا ، أخذهم في دخول الجنة ، فيؤلى نفسى بيده ، إن أحسن بمنزلة في الجنة أدل منه بمسكنه كان في الدنيا (٣) ،

وقال السدى في قوله : (وزعنا ما في صورههم من غلٍّ يجزى من تحتهم الأنهار) : الآية : إن أهل الجنة إذا
سيقوا إلى الجنة [فبلغوا] ، وجدوا عند بابها شجرة في أصل ساقها عينان ، فشرىوا من إحداهما ، فيترج ما في صورههم
من غلٍّ ، فهو « الشراب الطهور » ، واغسلوا من الأخرى ، هجرت عليهم « نضرة النعيم » ، فلم يشعروا ولم يشعروا
بعدما أبداً (٤) .

وقد روى أبو إسحاق [عن حاصم] عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب تحراً من ذلك ، كما سيأتى في قوله تعالى :
(وسبق الذين اتقوا أرحمهم إلى الجنة زمراً) (٥) ، إن شاء الله ، وبه الثقة وعليه التكلان ،

وقال قاعدة : قال على رضى الله عنه : لئن لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطاحه والزبير من الذين قال الله تعالى فيهم :
(وزعنا ما في صورههم من غلٍّ) . رواه ابن جرير (٦) .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا ابن عيينة ، عن إسرائيل قال : سمعت الحسن يقول : قال على : فينا والله أهل بدر
قلت : (وزعنا ما في صورههم من غلٍّ) (٧) .

(١) لفظ الصحيح : « حبسوا بقطرة » .

(٢) لفظ الصحيح : « فيتقاصون مظالم » .

(٣) صحيح البخارى ، كتاب المظالم ، باب تقصص المظالم : ١٦٧/٣ ، ١٦٨ .

(٤) تفسير الطبرى ، الأثر ١٤٦٦٣ : ٤٣٨/١٣ ، ٤٣٩ ، وفيه : « فلم يشعروا » .

(٥) سورة الزمر ، آية : ٧٣ .

(٦) تفسير الطبرى ، الأثر ١٤٦٦٢ : ٤٣٨/١٢ .

(٧) تفسير الطبرى ، الأثر ١٤٦٦١ : ٤٣٨/١٢ .

وروى الترمذي وابن مَرْزُوق - واللفظ له - من حديث ابن بَكْر بن حِشاش ، عن الأَعَش ، عن أبي صَالِح ، عن أبي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « كَلَّ أَمَلُ الْجَنَّةِ يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ يَقُولُ : لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي ، لَيَكُونُ لَهُ شُكْرًا ، وَكَلَّ أَمَلُ النَّارِ يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ يَقُولُ : لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي ، لَيَكُونُ لَهُ حَسْرَةٌ » .

وَلَمَّا أَوْرَثُوا مَقَاعِدَ أَمَلِ النَّارِ مِنَ الْجَنَّةِ نَادُوا : أَنْ تَكُنَّ الْجَنَّةُ أَوْرَثُوهَا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ : أَيْ : بِسَبَبِ أَعْمَالِكُمْ [نَالِكُمْ الرَّحْمَةَ فَطَعَلْتُمُ الْجَنَّةَ ، وَتَوَرَّأْتُمْ مَنَازِلَكُمْ بِحَسَبِ أَعْمَالِكُمْ] : وَإِنَّمَا وَجِبَ الْحَمَلُ عَلَى هَذَا لِأَنَّهُ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَاعْلَمُوا أَنَّ أَحَدَكُمْ لَنْ يَدْخُلَهُ عَمَلُ الْجَنَّةِ ، قَالُوا : وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : وَلَا أَنَا ، إِلَّا أَنْ يَهْدِيَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ » (١) .

وَنَادَى الْمُتَحَنِّنُ الْمُتَحَنِّنَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا قَسَمٌ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ مَسِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَفُورُونَ ﴿١٦﴾

يُخْبِرُ تَعَالَى بِمَا يَطْلُبُ أَمَلُ الْجَنَّةِ أَمَلُ النَّارِ إِذَا اسْتَقَرُّوا فِي مَنَازِلِهِمْ ، وَذَلِكَ عَلَى وَجْهِ التَّخَرُّجِ وَالتَّوْبِيخِ : (أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا) ، « أَنَّهُ هَامَنَا مَفْسَرَةً لِقَوْلِ الْمُحَلِّفِ ، « وَقَدْ لِلتَّحْقِيقِ ، أَيْ : قَالُوا لَمْ : قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا ، فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ؟ قَالُوا : نَعَمْ . كَمَا نُخْبِرُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الصَّافَّاتِ ، عَنْ الَّذِي كَانَ لَهُ قَرِينٌ مِنَ الْكُفَّارِ (فَطَاعَ غِرَاهُ فِي سُورَةِ الْجَسِمِ » . قَالَ : تَأَلَّفَ إِنْ كَلَّتْ لَرْدَيْنِ . وَلَوْلَا نِعْمَةٌ رَأَى لَكُنْتُ مِنَ الْخَافِرِينَ ، أَمَّا نَحْنُ بَيْنَيْنِ : إِلَّا مَوْتَنَا الْأَوَّلَى وَمَا نَحْنُ بِمُحْلِينَ (٢) . أَيْ : يَنْكَرُ عَلَيْهِ مَقَالَتُهُ الَّتِي يَقُولُهَا فِي الدُّنْيَا ، وَيَقْرَعُهَا بِمَا صَارَ إِلَيْهِ مِنَ الْعِلَابِ وَالْكَالِ ، وَكَلَّمَا تَقَرَّعَهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَقُولُونَ لَهُمْ : (هَلْهُ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تَكْلِبُونَ . أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تَبْصُرُونَ . أَصَلُّوْهُمَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا نَجْزِي مَنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (٣) : وَكَذَلِكَ قَرَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَتْلَ التَّكْلِيبِ (٤) يَوْمَ بَدْرٍ ، فَجَادَى : « يَا أَبَا جَهْلُ بْنُ هِشَامٍ ، وَيَاعِثَةُ بْنُ رَبِيعَةَ ، وَيَإِشِيَةَ بْنِ رَبِيعَةَ - وَسَمِيَّ وَدُوسَهَيْمَ - : هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ؟ فَلَمَّا وَجَدْتُمْ مَا وَعَدْنِي رَبِّي حَقًّا . وَقَالَ عُمَرُ : يَا رَسُولَ

(١) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب القصة والمقاومة حل العمل : ١٢٢/٨ ، ١٢٣ . وكتاب المرقى ، باب من المرقى الموت : ١٥٧/٧ . ومسلم ، كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، باب : لَنْ يَدْخُلَ أَحَدُ الْجَنَّةِ بِمَسَلَةٍ ، بَلْ بِرِسْعَةِ اللَّهِ تَعَالَى : ١٣٩/٨ ، ٦٤٠ .

(٢) الآيات : ٥٤ - ٥٩ .

(٣) سورة الطور ، الآيات : ١٨ - ١٦ .

(٤) القليب : بئر بدير ، طرقت فيه جيوش الترك . وقد نالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاء أهل الجنة لأهل النار يوم القيامة ، بعد استقرار كل فريق في مفواه التي شاء الله أَنْ يَسْتَقِرَّ فِيهِ . وَأَمَّا خَيْرٌ بِمَا فِي هَذَا الشَّجْهِ الَّذِي سَأَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ آيَةِ مِنَ الرَّحْمَةِ الَّتِي تَأْخُذُ بِمَجْلِعِ الْقُلُوبِ ، وَتَحْفَظُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْمَصَارِعَةِ فِي الْخَيْرِ ، وَتُجَرِّدُ الْعَصَاةَ مِنَ الْإِيثَارِ فِي الشَّرِّ ، وَهَذَا هُوَ أَسَدُ الْقَامَةِ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا سَبَّحْتَ هَذِهِ الْمَشَاهِدَ فِي الْقُرْآنِ ، وَهِيَ أَمَلٌ .

الله ، مخاطب قوماً قد جئناهم . قال : والذى تسمى بيته ، ما أنتم بأسمع . لا أقول منهم ، ولكن لا يستطيعون أن يجيبوا . (١) »

وقوله : (فأذن مؤذن بينهم) ، أى : أعلم معلم ونادى مُنَادٍ : (أن لمة الله على الظالمين) ، أى : مستقرة عليهم . ثم وصفهم بقوله : (الذين يصدون عن سبيل الله ويخونها عرجا) ، أى : يصدون الناس عن اتباع سبيل الله وشرعه وما جاءت به الأنبياء ، ويعيرون أن تكون السبيل موجبة غير مستقيمة ، حتى لا يتبعها أحد : (وهم بالآخرة كافرون) ، أى : وهم بقاء الله في النار الآخرة كافرون ، أى : جاحدون مكذبون بذلك لا يصدقونه ولا يؤمنون به . لهذا لا يبالون بما يأتون من منكر من القول والعمل ، لأنهم لا يخافون حساباً عليه ولا عقاباً ، فهم شر الناس أعمالاً . وأقروا : »

وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ وَنَادَوُا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْهِمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾

لا ذكر تعالى مخاطبة أهل الجنة مع أهل النار ، تنبه أن بين الجنة والنار حجاباً ، وهو الحاجز للانع من وصول أهل النار إلى الجنة .

قال ابن جرير : وهو السور الذى قال الله تعالى : (فَصُرِّبْ بَيْنَهُمْ سِوْرًا لَهُ بَابٌ ، بَاطِنٌ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِ الْمَلَابِ) : وهو الأعراف الذى قاله الله تعالى : (وعلى الأعراف رجال) (٢) »

ثم روى بإسناده عن السدى أنه قال في قوله : (وبينهما حجاب) وهو « السور » ، وهو « الأعراف » ، (٣) »

وقال مجاهد : الأعراف ، حجاب بين الجنة والنار ، سور له باب (٤) »

قال ابن جرير : « والأعراف ، جمع « عُرْف » ، وكل مرتفع من الأرض عند العرب يسمى « عرفاً » ، وإنما قيل لعرف الديك عرفاً لارتفاعه (٥) »

وحديثا صفيان بن وكيع ، حديثا ابن حيفة ، من حديث الله بن أبي يزيد ، سمع ابن عباس يقول :

الأعراف : هو الشيء المشرف (٦) »

وقال الثوري ، من جابر ، من مجاهد ، من ابن عباس قال :

(١) مسلم ، كتاب الجنة ، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار ، وإثبات طلب القبر ، والحدود منه : ١٦٣/٨ .
والبخاري ، كتاب المغازي ، باب قتل أبي جهل : ٩٧/٥ ، ٩٨ . وسيرة ابن هشام : ٦٣٨/١ ، ٦٣٩ .

(٢) تفسير الطبري : ٤٤٩/١٢ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٦٧٢ : ٤٤٩/١٢ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٦٧٧ : ٤٥١/١٢ .

(٥) تفسير الطبري : ٤٤٩/١٢ .

(٦) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٦٧٣ : ٤٥٠/١٢ .

وقال ابن جرير : حدثني يعقوب ، حدثنا هشيم ، أخبرنا حصن ، عن الشعبي ، عن حليفه : أنه سئل عن أصحاب الأعراف ، قال فقال : هم قوم استوت حسنتهم وسيئاتهم ، ففعلت بهم سيئاتهم عن الجنة ، وغلقت بهم حسنتهم عن النار . قال : فوقوا هناك على السور حتى يقضى الله فيهم (١) .

وقد رواه من وجه آخر أبسط من هذا فقال :

حدثنا ابن حميد ، حدثنا يحيى بن واضح ، حدثنا يونس بن أبي إسحاق قال : قال الشعبي : أرسل إلى عبد الحميد ابن عبد الرحمن - وعنده أبو الزناد عبد الله بن ذكوان مولى قريش - وإذا هما قد ذكرا من أصحاب الأعراف ذكرا ليس كما ذكرا ، فقلت لهما : إن شيئا أنأتكما بما ذكر حليفه ، فقالا : هات . فقلت : إن حليفه ذكر أصحاب الأعراف فقال : هم قوم تجاوزت بهم حسنتهم النار ، وفعلت بهم سيئاتهم عن الجنة ، فإذا صرّفت أبصارهم لقاء أصحاب النار قالوا : (ربنا لا نجعلنا مع القوم الظالمين) ، فبينما هم كذلك ، أطلع عليهم ربك فقال لهم : ادخلوا فادخلوا الجنة ، فإني قد غفرت لكم (٢) .

وقال عبد الله بن المبارك ، عن أبي بكر اللؤلؤ قال : قال سعيد بن جبير ، وهو يحدث ذلك عن ابن مسعود قال : يحاسب الناس يوم القيامة ، فمن كانت حسنة أكثر من سيئاته بوحدة دخل الجنة ، ومن كانت سيئاته أكثر من حسنة بوحدة دخل النار . ثم قرأ قول الله : (فمن ظلمت موازينه ... الآية) ، ثم قال : إن الميزان يخف بمقال حبة وبرجيج . قال : ومن استوت حسنة وسيئاته كان من أصحاب الأعراف ، فوقوا على الصراط ، ثم عرفوا أهل الجنة وأهل النار ، فإذا نظروا إلى أهل الجنة نادوا : سلام عليكم ، وإذا صرّفوا أبصارهم إلى مسارهم نظروا أصحاب النار قالوا : (ربنا لا نجعلنا مع القوم الظالمين) ، فصرخوا بأفهم من منازلهم . قال : فأما أصحاب الحسرات ، فإنهم يطمون نورا فيمشون به بين أيديهم وبأعماجم ، ويمشي كل عبد يومئذ نورا ، وكل أمة نورا ، فإذا أتوا على الصراط سلب الله نور كل منافق ومنافقة . فلما رأى أهل الجنة مآلئ للناقصين قالوا : (ربنا آتهم لنا نورا) . وأما أصحاب الأعراف ، فإن الثور كان في أبيهم فلم يتزع ، فهناك يقول الله تعالى : (لم يدخلوها وهم يطمعون) ، فكان الطمع دخولا . قال وقال ابن مسعود : هل أن العبد إذا عمل حسنة كتب له بها عشر ، وإذا عمل سيئة لم تكتب إلا واحدة . ثم يقول : هلك من غلبت واحدة أحسنه (٣) .

رواه ابن جرير ، وقال أيضا :

حدثني ابن وكيع وابن حميد قالوا : حدثنا جرير ، عن منصور ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن عبد الله بن الحارث عن ابن عباس قال : « الأعراف » : السور التي بين الجنة والنار ، وأصحاب الأعراف بلوك المكان ، حتى إذا بدا الله أن يعاقبهم ، انطلق بهم إلى نهر يقال له : « الحياة » (٤) ، حافظه قصب الذهب ، مكلل بالقرنؤ ، ترابه المسك ، قالوا

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٦٨٦ : ٢٠٣/١٢ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٦٨٥ : ٢٠٣/١٢ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٦٩٠ : ٢٠٣/١٢ : ٤٥٤ .

(٤) في الطيحات السابقة : « يقال له : نهر الحياة » ، وللتبني من مشطرة الأثر ، وهو موثق لنس الطبري .

الأثر ١٤٦٩٣ : ٢٠٣/١٢ .

فيه حتى تصلح أولادهم ، ويولدوا في محروم شاة يرضاه يرفون بها ، حتى إذا صلحت أولادهم أتى بهم الرحمن تبارك وتعالى فقال : تمنوا ما شئتم فيتمنون ، حتى إذا انقضت أميئتهم قال لهم : لكم الذي تمنيت ومنه سبعون ضعفاً . فيدخلون الجنة وفي محروم شاة يرضاه يرفون بها ، يسمونه مساكين أهل الجنة .

وكذا رواه ابن أبي حاتم ، عن أبيه ، عن يحيى بن الخثيرة ، عن جرير ، به : وقد رواه سفيان الثوري ، عن حبيب ابن أبي ثابت ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن الحارث ، من (١) قوله . وهذا أصح ، والله أعلم . وهكذا روى عن مجاهد والضحاك وغير واحد .

وقال سديد بن داود : حدثني جرير ، عن حمارة بن القحطاع ، عن أبي ذرعة بن عمرو بن جرير قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الأعراف قال : هم آخر من يصل بينهم من العباد ، فإذا فرغ رب العالمين من فصله بين العباد قال : أنتم قوم أخرجتكم حسناتكم من النار ، ولم تلبثوا الجنة ، فأنتم ههنا ، فارحوا من الجنة حيث شئتم . وهذا مرسل حسن (٢) .

وليل : هم أولاد لقنات : حكاة القرطبي (٣) .

وروى الحافظ ابن عساكر في ترجمة الوليد بن موسى ، عن شعبة بن عثمان ، عن هروية بن روم ، عن الحسن ، عن أنس بن مالك ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : أن مؤمنى الجن لم ثواب وعليم عقاب ، فداناهم عن ثوابهم (٤) ، فقال : هل الأعراف ، وليسوا في الجنة مع أمة محمد صلى الله عليه وسلم . فسألناه : وما الأعراف ؟ فقال : حائط الجنة تجري فيه الأنهار ، وتنتهي فيه الأفجار والثمار .

رواه البيهقي (٥) ، عن ابن بشران ، عن علي بن محمد المصري ، عن يوسف بن يزيد ، عن الوليد بن موسى ، به . وقال سفيان الثوري ، عن خصيف ، عن مجاهد قال : أصحاب الأعراف قوم صالحون فقهاء علماء (٦) .

وقال ابن جرير : حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا ابن حطية ، عن سليمان التيمي ، عن أبي ميجلز عن قوله تعالى : (ويذهب حجاب وعل الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم) ، قال : هم رجال من ملائكة ، يعرفون أهل الجنة وأهل النار ، قال : (وتنادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون . وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ، ونادى أصحاب الأعراف رجلاً) في النار يعرفهم بسيماهم ، قالوا : ما أغنى

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٦٩٤ : ٤٥٥/١٢ : ٤٥٦ .

(٢) أخرجه الطبري عن القاسم ، عن الحسن ، عن جرير ، به . ينظر الأثر ١٤٧١٥ : ٤٦١/١٢ .

(٣) تفسير القرطبي : ٣١٢/٧ .

(٤) لفظ غطوة الأثر : «فداناهم عن ثوابهم» ، و «عن مؤمنين» ليست في لفظ المشور ، والبيان لا يقتضيهما .

(٥) قال السيوطي في لئدر المشور ٨٨/٣ : «وأخرج التيمي في البيت عن أنس بن مالك ... وذكره .

(٦) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٧٠٦ : ٤٥٨/١٢ .

عنكم جدمكم وما كنتم تستكبرون : أهواء الذين أنسمم لا يتألم الله برحمة) ، قال : فهذا حيث دخل أهل الجنة الجنة ؛
(ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون (١)) .

وهذا صحيح إلى أبي جابر لاحق بن حميد أحد التابعين ، وهو غريب من قوله وخلافت الظاهر من السياق ؛ وقوله
الجمهور مقدم على قوله ، بدلالة الآية على ما ذهبوا إليه . وكلما قول مجاهد : (إهم قوم صالحون علماء قهواء ، فيه
غربة أيضا) والله أعلم .

وقد حكى القرطبي وغيره فيهم اثني عشر قولاً منها : أنهم شهدوا أنهم صلحاء تفرعوا من فرع الأنبياء ، مطعون
يطعون على أنبياء الناس (٢) . وقيل : هم أنبياء . وقيل : ملائكة (٣) .

وقوله تعالى : (يعرفون كلا بسيماهم) ، قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قال : « يعرفون أهل الجنة ببيئاتهم
والوجوه ، وأهل النار بسواد الوجوه » (٤) . وكلما روى الضحاك ، عنه (٥) .

وقال اللؤلؤ ، عن ابن عباس : (أتولم الله تلك المثلة ، ليعرفوا من في الجنة والنار ، وليعرفوا أهل النار بسواد
الوجوه ، ويتعرفوا بأنه أن يعلمهم مع القوم الظالمين . وهم في ذلك يحبون أهل الجنة بالسلام ، لم يدخلوها ، وهم يعلمون
أن يدخلوها ، وهم داخلوها إن شاء الله (٦)) .

وكلما قال مجاهد ، والضحاك ، والسدي ، والحسن ، وصيد الرحمن بن زيد بن أسلم .

وقال ميمر ، عن الحسن : إنه تلا هذه الآية : (لم يدخلوها وهم يعلمون) ، قال : والله ما جعل ذلك للطمع
في قلوبهم ، إلا لكرامة يريدها بهم (٧) .

وقال قتادة : « أتياكم الله بمكانهم من الطمع (٨) »

وقوله : (وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين) ، قال الضحاك ، عن
ابن عباس : إن أصحاب الأعراف إذا نظروا إلى أهل النار وعرفوهم ، قالوا : (ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين) (٩) .

وقال السدي : وإذا مروا بهم - يعني بأصحاب الأعراف - بزمرة يذهب بها إلى النار قالوا : (ربنا لا تجعلنا مع
القوم الظالمين) (١٠) .

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٧٠٧ : ١٢ / ٤٥٩ .

(٢) كلما في الخطوطة ، وفي تفسير القرطبي ٢١٢/٧ من التفسير قال : « وقيل : هم نساء المؤمنين والنساء » فرجوا
من شغل أنفسهم وتفرغوا لمطالعة حال الناس .

(٣) تفسير القرطبي : ٢١٢/٧ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٧١٦ : ١٢ / ٤٦٢ .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٧٢٠ : ١٢ / ٤٦٢ .

(٦) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٧١٧ : ١٢ / ٤٦٢ .

(٧) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٧٢٩ : ١٢ / ٤٦٥ .

(٨) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٧٣٠ : ١٢ / ٤٦٥ .

(٩) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٧٣٥ : ١٢ / ٤٦٦ .

(١٠) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٧٣٤ : ١٢ / ٤٦٦ .

وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهِمْ وَنَحْبِهِمْ ذَكُّوا (١) وجوههم في النار ، قَالُوا أَرْأَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ ذَكُّوا ذَٰلِكَ هُمْ (٢) .

وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهِمْ وَنَحْبِهِمْ ذَكُّوا (١) وجوههم في النار ، قَالُوا أَرْأَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ ذَكُّوا ذَٰلِكَ هُمْ (٢) .
وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهِمْ وَنَحْبِهِمْ ذَكُّوا (١) وجوههم في النار ، قَالُوا أَرْأَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ ذَكُّوا ذَٰلِكَ هُمْ (٢) .

وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهِمْ وَنَحْبِهِمْ ذَكُّوا (١) وجوههم في النار ، قَالُوا أَرْأَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ ذَكُّوا ذَٰلِكَ هُمْ (٢) .
وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهِمْ وَنَحْبِهِمْ ذَكُّوا (١) وجوههم في النار ، قَالُوا أَرْأَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ ذَكُّوا ذَٰلِكَ هُمْ (٢) .

يَقُولُ تَعَالَى خُذُوا مِنْ آلِهِمْ وَنَحْبِهِمْ ذَكُّوا (١) وجوههم في النار ، قَالُوا أَرْأَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ ذَكُّوا ذَٰلِكَ هُمْ (٢) .
وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهِمْ وَنَحْبِهِمْ ذَكُّوا (١) وجوههم في النار ، قَالُوا أَرْأَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ ذَكُّوا ذَٰلِكَ هُمْ (٢) .

وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهِمْ وَنَحْبِهِمْ ذَكُّوا (١) وجوههم في النار ، قَالُوا أَرْأَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ ذَكُّوا ذَٰلِكَ هُمْ (٢) .
وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهِمْ وَنَحْبِهِمْ ذَكُّوا (١) وجوههم في النار ، قَالُوا أَرْأَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ ذَكُّوا ذَٰلِكَ هُمْ (٢) .

وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهِمْ وَنَحْبِهِمْ ذَكُّوا (١) وجوههم في النار ، قَالُوا أَرْأَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ ذَكُّوا ذَٰلِكَ هُمْ (٢) .
وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهِمْ وَنَحْبِهِمْ ذَكُّوا (١) وجوههم في النار ، قَالُوا أَرْأَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ ذَكُّوا ذَٰلِكَ هُمْ (٢) .

وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهِمْ وَنَحْبِهِمْ ذَكُّوا (١) وجوههم في النار ، قَالُوا أَرْأَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ ذَكُّوا ذَٰلِكَ هُمْ (٢) .
وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهِمْ وَنَحْبِهِمْ ذَكُّوا (١) وجوههم في النار ، قَالُوا أَرْأَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ ذَكُّوا ذَٰلِكَ هُمْ (٢) .

وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهِمْ وَنَحْبِهِمْ ذَكُّوا (١) وجوههم في النار ، قَالُوا أَرْأَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ ذَكُّوا ذَٰلِكَ هُمْ (٢) .
وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهِمْ وَنَحْبِهِمْ ذَكُّوا (١) وجوههم في النار ، قَالُوا أَرْأَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ ذَكُّوا ذَٰلِكَ هُمْ (٢) .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١١٧٣٦ : ٤٦٦/١٢ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١١٧٣٧ : ٤٦٧/١٢ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١١٧٤٣ : ٤٦٩/١٢ .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر ١١٧٤٥ : ٤٦٩/١٢ .

(٦) في خضرة الأزر ، ودار الكتب ١٥ : تفسير ، وتكاثرت ، وللتب من تفسير الطبري .

(٧) في تفسير الطبري : « ما علمت فيه أنه ما أستطيع أن أطلع لكم » .

من أحد كلمه الله تكلماً وقربه لهما غيرى ؟ فيقولون : لا . فيقول : ما علمت كنهه ما أستطيع أن أشفع لكم ، ولكن اتقوا عيسى . فيأتونه عليه السلام فيقولون له : اشفع لنا عند ربك . فيقول : هل تعلمون أملاً خفقه الله من غير أب [غيرى (١)] ؟ فيقولون : لا . فيقول : هل تعلمون من أحد كان يبرىء الآكبه والأبرص ويحيى الموتى بإذن الله غيرى ؟ قال : فيقولون : لا . فيقول : أنا حبيب نفسى . ما علمت كنهه ، ما أستطيع أن أشفع لكم . ولكن اتقوا عمداً صلى الله عليه وسلم . فيأتونى ، فأضرب بيدي على صدرى ، ثم أقول : أنا لها . ثم أمتنى حتى ألق بين يدي العرش ، فأنى (٢) ربي عز وجل ، فيفتح لى من اللثة ما لم يسمع السامعون مثله قط ، ثم أسجد فيقال لى : يا محمد ، ارفع رأسك ، وسل تسلمه ، واشفع نشفع . فأرفع رأسى ، فأقول : ربى أنى . فيقول : هم لك . فلا يبقى نبى مرسل ، ولا ملك مقرب ، إلا غبطى بملك المقام ، وهو المقام محمود . فأنى بهم الجنة ، فأستفتح فيفتح لى ولهم ، فيلهب بهم إلى سر يقال له : « هـر الحيوان » ، حافظه قصب (٣) مكلل بالؤلؤ ، ترابه المسك ، وحسابه أياقوت . فيستولون منه ، فقصوه إليهم الزان أهل الجنة . وريح (٤) ، فيصرون كأنهم الكواكب الثرية ، ويبنى فى صدورهم شمامت يبيض يعرفون بها ، يقال [لهم] : مساكين أهل الجنة (٥) .

وَنَادَى اصْحَبُ النَّارِ اصْحَبُ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ (٦) الَّذِينَ اسْتَفْتَوْا دِينَهُمْ هَؤُلَاءِ وَلَهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا قَالِ يَوْمَ تَسْتَفْتُهُمْ كَمَا أَسْأَلُكَ يَوْمَهُمْ هَؤُلَاءِ وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَحْسُدُونَ (٧)

غير تعالى عن ذلة أهل النار وسؤالهم أهل الجنة من شراهم وطعامهم ، وأنهم لا يجاوبون إلى ذلك ، قال السدى : (ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله) ، يعنى : الطعام (٦) ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : يستعلمونهم ويستفتونهم (٧) . وقال الثورى : عن عثمان الثقفى ، عن سعيد بن جبير فى هذه الآية قال : ينادى الرجل أباه أو أخاه فيقول : وقد احترقت ، أفيض على من الماء . فيقال لهم : أجيئهم . فيقولون : (إن الله حرمهما على الكافرين) (٨) . وروى من وجه آخر عن سعيد ، عن ابن عباس ، مثله . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : (إن الله حرمهما على الكافرين) : يعنى طعام الجنة وشراها (٩) ،

- (١) عن تفسير الطبرى .
- (٢) فى تفسير الطبرى : « فأنى على ردى » .
- (٣) القصب : أنابيب مستطيلة مجوفة ، من الجواهر ، أو القصب ، أو القضة .
- (٤) كذا فى مخطوطة الأزهر ، ومخطوطة الطبرى ، وقد زاد السدى الحقيق تفسير الطبرى بهذه كلمة « وريح » : « أهل الجنة فصاروا العباد » : « وريح أهل الجنة » احتجاً على ما طبع من قبل من تفسير ابن كثير .
- (٥) تفسير الطبرى ، الأثر ١٤٧٤٦ : ١٢ / ٤٦٩ - ٤٧١ .
- (٦) تفسير الطبرى ، الأثر ١٤٧٤٩ : ١٢ / ٤٧٣ .
- (٧) تفسير الطبرى ، الأثر ١٤٧٥٠ : ١٢ / ٤٧٣ .
- (٨) هذا نص رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس ، كما فى تفسير الطبرى ، الأثر ١٤٧٥١ : ١٢ / ٤٧٣ ، ٤٧٤ .
- (٩) تفسير الطبرى ، الأثر ١٤٧٥٣ : ١٢ / ٤٧٤ .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا نصر بن علي ، أخبرنا موسى بن المنيرة ، حدثنا أبو موسى الصغار في دار هرو بن مسلم قال : سألت ابن عباس - أو : مثل - أي الصدقة أفضل ؟ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أفضل الصدقة للماء » لم تسمح إلى أهل النار [لا استغاثوا بأهل الجنة قالوا (١)] : أفيسوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله ؟ .

وقال أيضاً : حدثنا أحمد بن سنان ، حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش عن أبي صالح قال : لما مرض أبو طالب قالوا له : لو أرسلت إلى ابن أخيك هذا ، فيرسل إليك يستقود من الجنة ، لعله أن يشفيك به . فجاهد الرسول وأبو بكر هذ النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال أبو بكر : إن الله حرهما على الكافرين .

ثم وصفت تعالى الكافرين بما كانوا يصنعونه في الدنيا من اغتازهم الدين لمواولها ، واغترافهم بالدنيا وزينتها وزعر فيها هماً أمروا به من العمل للدار الآخرة .

قوله : (فاليدم تنسأم كما نسوا لقاء يومهم هذا) ، أي : لعلهم معاملة من تسبيهم ، لأنه تعالى لا يشد من علمه شيء ولا ينساه ، كما قال تعالى : (في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى (٢)) .

ورأى قال تعالى هذا من باب المقابلة ، كما قال : (نسوا الله تسبيهم) ، (٣) وقال : (كذلك أهلك آياتنا فنجيتها وكذلك اليوم تنسى (٤)) ، وقال تعالى : (وقيل : اليوم تنسأم كما نسيت لقاء يومكم هذا (٥)) .

وقال الموفق : عن ابن عباس : (فاليدم تنسأم كما نسوا لقاء يومهم هذا) ، قال : نسيتهم الله من الخير ، ولم ينسهم من (٦) الشر .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قال : تركهم ، كما تركوا لقاء يومهم هذا (٧) .

[وقال مجاهد : تركهم في النار : وقال السدي : تركهم من الرحمة ، كما تركوا أن يعملوا لقاء يومهم هذا] .

وفي الصحيح أن الله تعالى يقول المبد يوم القيامة : ألم أزوجك ؟ ألم أكرمك ؟ ألم أنزلك الخليل والإبل ، وأذكرك رأساً وترتبع ؟ فيقول : بلى . فيقول : أظننت أنك ملائ ؟ فيقول : لا ، فيقول الله : فاليدم أنسأك كما فسخت (٨) .

(١) من المفسر المشهور لسبوطي ٩٠/٣ ، ٩١ ، ومكانه في خطوطة الأزهري ، وقال : .

(٢) سورة طه ، آية : ٥٢ .

(٣) سورة التوبة ، آية : ٦٧ .

(٤) سورة طه ، آية : ١٢٦ .

(٥) سورة الجاثية ، آية : ٣٤ .

(٦) تفسير البكري ، الأثر ١١٧٥٩ ، ١٧٦/١٢ .

(٧) تفسير البكري ، الأثر ١١٧٥٨ ، ١٧٦/١٢ ، ونسبه : « تركهم من الرحمة . كما تركوا أن يعملوا لقاء يومهم هذا »

(٨) مسلم ، كتاب الزهد من أبي هريرة : ٣١٦/٨ . وفيه معنى الحديث في سورة البقرة عند تفسير الآية ١٦ منها .

ينظر : ١٢٦/١ ، وهناك شرح قريب جداً لهذا الحديث .

وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَنَا رَسُولٌ مِّمَّنْ كُنَّا نَسْتَكْفِرُ عَنْ ذُنُوبِنَا فَلْنَمُقَدِّمُ يَوْمَهُ عَلَى الْآخِرَةِ وَقُلْنَا نَحْمِلُهَا وَكَانَ شَرًّا لَّكُنَّا لَا يَنْصَرِفُونَ ﴿٢﴾

يقوله تعالى خبراً عن إهلاكه إلى المشركين بإرسال الرسول إليهم بالكتاب الذي جاء به الرسول ، وأنه كتاب مفصل مبين ، كما قال تعالى (كتاب أحكمت آياته ثم فصلت) (١) ... الآية .

وقوله : (فصلناه على علم) ، أى : على علم متنا بما فصلناه به ، كما قال تعالى (أنزله بعلومه) (٢) .

قال ابن جرير : وهذه الآية مردودة على قوله : (كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه) (٣) ... الآية . (ولقد جئناهم بكتاب) ... الآية .

وهذا الذى قاله فيه نظر ، فإنه قد طالع الفصل ، ولا دليل على ذلك ، وإنما لا يُعبر عما صاروا إليه من الحساب في الدار الآخرة ، فذكر أنه قد أراح حلهم في الدار الدنيا ، بإرسال الرسل وإزالة الكتب ، كقوله : (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) (٤) ، ولهذا قال : (هل ينظرون إلا تأويله) ، أى : ما وجد من الطلب والتكاليف والجنة والنار . قاله مجاهد وغير واحد .

وقال مالك : فوايه .

وقال الربيع : لا يزال يحيى من تأويله أمر ، حتى يتم يوم الحساب ، حتى يدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، فيتم تأويله يومئذ .

(يوم يأتي تأويله) ، أى : يوم القيامة ، قاله ابن عباس (٥) — (يقول الذين نسوه من قبل) ، أى : تركوا العمل به ، وتناسوه في الدار الدنيا (قد جاءت رسلنا بالحق ، فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا) ، أى : في خلاصتنا عما نحن فيه ، (أو نرد) إلى الدار الدنيا (فنعمل الذى كنا نعمل) ، كما قال تعالى : (ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا : يا ليتنا ترد ولا نكلم بآيات ربنا ونكون من المؤمنين . بل بدلهم ما كانوا يفتنون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون) (٦) ، كما قال هاجتا : (قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفتنون) ، أى : خسروا أنفسهم بدخولهم النار وغلوهم فيها (وضل عنهم ما كانوا يفتنون) ، أى : ذهب عنهم ما كانوا يبدلون من دون الله فلا ينصرونهم ، ولا يشفعون لهم ، ولا يخلصونهم عما هم فيه .

(١) سورة هود ، آية : ١ .

(٢) سورة النساء ، آية : ١٦٦ .

(٣) سورة الأعراف ، آية : ٢ .

(٤) سورة الإسراء ، آية : ١٥ .

(٥) تفسير الجبري ، الأثر ١٤٧٧ : ١٧ / ٤٧٩ .

(٦) سورة الأنعام ، آية : ٢٧ ، ٢٨ .

إِنَّ رَبَّنَا اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ
حَيْثُ شَاءَ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مَسْجُورَاتٌ بِأَمْرِهِ ۚ أَلَا لَهُ الْغَلَقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣١﴾

غير تعالى بأنه خلق هذا العالم : مياوته وأرضه وما بين ذلك في ستة أيام ، كما أخبر بذلك في غير ما آية من القرآن ،
والسنة الأيام هي : الأحد ، والاثنين ، والثلاثاء ، والأربعاء ، والخميس ، والجمعة - وفيه اجتمع الخلق كله ، وفيه
خلق آدم عليه السلام : وانطفأوا في هذه الأيام : هل كل يوم منها كهذه الأيام ؟ كما هو المتبادر إلى الأذهان ، أو كل يوم
كألف سنة ؟ كما نص على ذلك جاهد ، والإمام أحمد بن حنبل ، ويروى ذلك من رواية الضحاك عن ابن عباس .
فأما يوم السبت فلم يقع فيه خلق ، لأنه اليوم السابع ، ومنه سمي السبت ، وهو المقطع .

فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده حيث قال : حدثنا حجاج ، حدثنا ابن جريج ، أخبرني إسماعيل
ابن أمية عن أيوب بن خالد ، عن عبد الله بن رافع - مولى أم سلمة - عن أبي هريرة قال : « أخذ رسول الله صلى الله
عليه وسلم يبلى فقال : خلق الله التربة يوم السبت ، وخلق الجبال فيها يوم الأحد ، وخلق الشجر فيها يوم الاثنين ،
وخلق للكرور يوم الثلاثاء ، وخلق النور يوم الأربعاء ، وبث فيها النوايا يوم الخميس ، وخلق آدم بعد العصر يوم
الجمعة آخر الخلق ، في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل (١) » .

فقد رواه مسلم (٢) بن الحجاج في صحيحه والنسائي في غير وجه ، عن حجاج - وهو ابن محمد الأعمش - عن ابن جريج
به . وفيه استنباط الأيام السبعة ، والله تعالى قد قال في ستة أيام . ولهذا تكلم البخاري وغير واحد من الحفاظ في هذا
الحديث ، وجعلوه من رواية أبي هريرة ، عن كعب الأحبار ، ليس مرفوعاً ، والله أعلم .

وأما قوله تعالى : (ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) ، فقتاس في هذا المقام مقالات كثيرة جداً ، ليس هذا موضع بسطها ،
ولأنما يسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح : مالك ، والأوزاعي ، والثوري ، والليث بن سعد ، والشافعي ،
وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وغيرهم ، من أئمة المسلمين قديماً وحديثاً ، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف
ولا تشبيه ولا تعليل . والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منى عن الله ، فإن الله لا يشبه شيء من خلقه ، (ولا ليس
كمثله شيء وهو السميع البصير) ، بل الأمر كما قال الأئمة - منهم نعم بن حماد الخزازي شيخ البخاري - : « من شبه
الله خلقه فقد كفر ، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر » . وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه ،
فإن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة ، على الوجه الذي يليق بحلال الله تعالى ، ونفى عن الله تعالى
التفاني ، فقد سلك سبيل الهدى (٣) .

وقوله تعالى : (يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ شَاءَ) أي : يذهب ظلام هذا بضياء هذا ، وضياء هذا بظلام هذا ،
وكل منهما يطلب الآخر طلباً حثيثاً ، أي : سريعاً لا يتأخر عنه ، بل إذا ذهب هذا جاء هذا ، وإذا جاء هذا ذهب هذا .

(١) مسند الإمام أحمد : ٢/٢٢٧ .

(٢) مسلم : كتاب صفات القيامة والجنة والنار ، باب ابتداء الخلق وخلق آدم عليه السلام : ١٢٧/٨ .

(٣) رمل هذا الأساس يكون الاعتواء المتعارف - وهو الجلوس والارتقاء للهدى - من غير سبيل - وهو كونه له اعتواء
هل حرفة كما أخبر ، لا كما يعلم الجهر .

كما قال تعالى : (وآية لم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون . والشمس تجري لمستقر لما ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم . لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل من فلك يسبحون) (١) . قوله : (ولا الليل سابق النهار) ، أى : لا يقوته بوقت يتأخر عنه ، بل هو فى أثره لا واسطة بينهما ، ولهذا قال : (يطلبه حديثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره) — منهم من نصب (٢) ، ومنهم من رفع ، وكلاهما قريب المعنى ، أى : الجميع تحت نهره وتسخره ومشيطته ، ولهذا قال منها : ... (ألا له الخلق والأمر) ، أى : له الملك . والتصرف ، (تبارك الله رب العالمين) ، كما قال : (تبارك الذى جعل فى السماء بروجا) (٣) الآية .

وقال ابن جرير : حدثني المثنى ، حدثنا إسحاق ، حدثنا هشام أبو عبد الرحمن ، حدثنا بقة بن الوليد ، حدثنا عبد الشار ابن عبد العزيز الأنصارى ، عن عبد العزيز الشافى ، عن أبيه — وكانت له صحبة — قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من لم يحمدا الله على ما عمل من عمل صالح ، وحسداً (٤) نفسه ، فقد كفر وحيط عمله . ومن زعم أن الله جعل للمعاد من الأمر شيئاً ، فقد كفر بما أنزل الله على أنبيائه » ، لقوله : (ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين) (٥) .

وفى الدعاء المأثور ، عن أبي الدرداء — وروى مرفوعاً — : « اللهم لك الملك كله ، ولك الحمد كله ، وإليك يرجع الأمر كله ، أسألك من الخير كله ، وأعوذ بك من الشر كله » .

أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَصِينَ ﴿٥٠﴾ وَلَا تُسَبِّحُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥١﴾

أُرشد تعالى عباده إلى دعائه ، الذى هو صلاحهم فى دليهم وأمرهم ، فقال تعالى : (ادعوا ربكم تضرعاً وخفية) ، معناه : تذللًا واستكانة ، و (خفية) ، كما قال : (واذا كر ربك فى نفسك (٦)) : الآية ، وفى الصحيحين ، عن أبى موسى الأخرى قال : رفع الناس أصواتهم بالدعاء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيها الناس ، اربعوا على أنفسكم ، فإنكم لا تدعون أصم ولا غافلاً ، إن الذى تدعونه سمع قريب (٧) ... الحديث .

(١) سورة يس ، الآيات : ٣٧ — ٤٠ .

(٢) قال أبو حيان فى البحر المحيط : ٣٠٩/٤ : « انصب مسخرات على الخلق من الجبروت ، أى : وخلق الشمس . وقرأ ابن حجر بالرفع فى الأربعة على الابتداء والتجويد » .

(٣) سورة الفرقان ، آية : ٦١ .

(٤) نص الطبري : « وحده نفسه » ، قل شكره » ، وحيط عمله » .

(٥) تفسير الطبري : الأثر ١٤٧٧٦ : ٤٨٤/١٢ .

(٦) سورة الأعراف ، آية : ٣٠٥ .

(٧) البخارى ، كتاب الدعوات ، باب الدعاء إذا حلا حقة : ١٠١/٨ ، ١٠٢ . وكتاب التلوة ، باب لا حول ولا قوة إلا بالله : ١٥٥/٨ ، ١٥٦ . وكتاب التوحيد : ١٤٤/٩ ، كما أخرجه فى كتاب الجهاد ، باب ما يكره من رفع الصوت فى التكبير : ٦٩/٤ . وأخرجه مسلم فى كتاب الذكر ، باب استحباب خفض الصوت بالذكر : ٧٤/٨ ، ٧٤ .

وقال ابن جرير ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس في قوله : (نضرنا غثية) ، قال : المر (١) .
وقال ابن جرير : (نضرنا) : تلالا واستكانة لطاعته - (غثية) ، يقول : ينجح قلوبكم ، وصحة اليقين
يوحدانيته وروبيته فيما بينكم وبينه ، لاجهارا ومرارا (٢) .

وقال عبد الله بن المبارك ، عن المبارك بن فضالة ، عن الحسن قال : إن مكان الرجل لقد جمع القرآن ، وما يشعر به
الناس (٣) . وإن كان الرجل لقد فقهه الفقه الكثير ، وما يشعر به الناس . وإن كان الرجل ليصل الصلاة الطويلة في بيته
وعنده الزور (٤) ، وما يشعرون به . ولقد أدركنا أنوما ما كان على الأرض من عمل يقتدرون أن يعملوه في السر ، فيكون
حلاية أبدا . ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء ، وما يسمع لهم صوت ، إن كان إلا هسا بينهم وبين ربهم ، وذلك
أن الله تعالى يقول : (ادعوا ربكم تضرعا وخفية) ، وذلك أن الله ذكر عبدا صالحا رغبى فله فقال : (إذ نادى ربه
تلاء غثيا (٥)) .

وقال ابن جرير : يكره رلع الصوت والتداء والصياح في الدعاء ، ويؤمر بالتضرع والاستكانة - ثم روى عن عطاء
الخراساني ، عن ابن عباس في قوله : (إنه لا يحب للمستئين) : في الدعاء ولا في غيره (٦) .

وقال أبو عبيد : (إنه لا يحب للمستئين) : لا يسأل منازل الأغنياء (٧) .

وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا شعبة ، عن زياد بن عرق ، سمعت
أبا نامة (٨) ، عن مولى لسعد : أن سعدا سمع أباه يدعو وهو يقول : اللهم ، إني أسألك الجنة ونعيمها وإستبرئها ونحوها
من هذا ، وأعوذ بك من النار وسلاسلها وأغلالها . فقال : لقد سألت الله غيرا [كثيرا] وتعرضت بالله عن شر كثير ،
والتي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إنه سيكون قوم يستبدون في الدعاء ، وقرأ هذه الآية : (ادعوا ربكم
تضرعا الآية - وإن يسبك أن تقول : اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل ، وأعوذ بك من النار
وما قرب إليها من قول أو عمل (٩)) .

ورواه أبو داود ، من حديث شعبة ، عن زياد بن عرق ، عن أبي نامة عن ابن لسعد ، عن سعد : . فذكره ،
والله أعلم .

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٧٧٩ ، ٤٨٦/١٢ .

(٢) تفسير الطبري ، ٤٨٥/١٢ .

(٣) في تفسير الطبري : وما يشعر به غيره .

(٤) الزور - يفتح الزاء وسكون الزا - : جمع زائر .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٧٧٧ ، ٤٨٥/١٢ .

(٦) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٧٨١ ، ٤٨٦/١٢ ، ٤٨٧ .

(٧) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٧٨٠ ، ٤٨٦/١٢ .

(٨) في المتن ٧٢/١ : سمعت أبا حنيفة ، ولعل الصواب « ابن حنيفة » ، وهو تميم بن حنيفة ، يكنى أبا نامة .
وفي المتن : « أبا حنيفة » وقد أجمعنا ما في الطبقات السابقة .

(٩) مست الإمام أحمد : ١٧٢/١ ، وسنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب الدعاء ، الحديث ١٤٨٠ ، ٧٧/٢ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، أخبرنا الجري ، عن أبي لعامة : أن عبد الله بن مفضل سمع ابنه يقول : « اللهم ، إني أسألك قصر الأيقظ عن عين الجنة إذا دخلتها . فقال : يا بني ، سل الله الجنة ، وعُدَّ به من النار ، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يكون قوم يبتلون في الدعاء والظهور (١) » . وهكذا رواه ابن ماجه ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن عفان به : وأخرجه أبو داود ، عن موسى بن إسماعيل ، عن حماد بن سلمة ، عن سعيد بن إياس الجري ، عن أبي لعمامة — واسمه : قيس بن عباد الحنفي البصري — وهو إسماعيل بن لا بأس به ، والله أعلم (٢) .

وقوله تعالى : « ولا تغسلوا في الأرض بعد إصلاحها » ، ينهي تعالى عن الإسبا في الأرض ، وما أخره بعد الإصلاح فإنه [إذا كانت] الأمور مائية على السب ، ثم وقع الإسبا بعد ذلك ، كان أسرا ما يكون على العباد . ففيه تعالى مع ذلك ، وأمر بعبادته ودعائه والضرع إليه والظلال لديه ، فقال : (وادعوه خفا ومامعا) ، أي : خوقا عما عند مع ويل العقاب ، وطعما فيا عنهم من جزيل الثواب .

ثم قال : (إن رحمت الله قريب من المحسن) ، أي : إن رحمة مرسدة (٣) للمحسنين ، الذين يتبعون أوامره ويتكون زواجره ، كما قال تعالى : (ورحمتي وسعت كل شيء ، فأكتبها للذين يتقون) (٤) ، :: الآية . وقال : (قريب) ، ولم يقل : « قريبة » ، لأنه ضمن الرحمة معنى الثواب ، أو لأنها مضافة إلى الله ، فلها قال : قريب من المحسنين .

وقال مطر الوائ : « تَسَجَّرُوا مَوْحِدَ اللَّهِ بِطَاعَتِهِ ، فَانْهَضَ أَنْ رَحِمَهُ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ » ، رواه ابن أبي حاتم .

وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ . حَتَّىٰ إِذَا أَفْلَحَ صَاحِبًا بِمَا لَمْ تُغْنِ عَنْهُ رَحْمَتُ فَاتَرَكْنَاهُ
الْمَاءَ فَاتَّخِذْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الشَّجَرِ مَكَّةً لَّا تُخْرِجُ الْمَوْتُ لِمَلِكٍ عَذْرَؤُا ۖ وَالْبَدِ الْعَلِيبُ يُخْرِجُ نَبَاتَهُ
بِأَذْنِ رَبِّهِ . وَالَّذِي خَبَتْ لَّا يُخْرِجُ إِلَّا نَكِيحًا ۖ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ۝

لما ذكر تعالى أنه خالق السموات والأرض ، وأنه المصروف للحاكم للتبشير للمسخر ، ولشد إلى دعائه لأنه على ما يشاء قاهر — به تعالى على أنه الرزاق ، وأنه بعيد للرق يوم القيامة فقال : (وهو الذي يرسل الرياح بُشْرًا) ، أي : لاشارة بين يدي السحاب الحامل المطر ، ومنهم من قرأ (بُشْرًا) ، كقوله : (ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات) .

(١) مسند الإمام أحمد : ٥٥/٥ .

(٢) سنن ابن ماجه ، كتاب الدعاء ، باب كرامة الاعتناء في الدعاء ، الحديث ٣٨٦٤ : ١٢٧١/٢ . ومن ابن داود كتاب الطهارة ، الحديث ٩٦ : ٢٤/١ .

(٣) يقال : « لرحمة له الأمر » ، أي : أهله . اللسان .

(٤) سورة الأعراف : آية ١٥٦ .

(٥) ترى : (تشرأ) ، يشرئئ الترد وتكسب لشئ ، وقرأ أيضا : (تشرأ) ، يفتح الترد وتكسب لشئ . ينظر البحر المحيط : ٣١٦/١ ، وتفسير الطبري : ٤٩٠/١٢ ، ٤٩١ .

وقوله : (بن يدي رحمتي) ، أي : بين يدي المطر ، كما قال : (وهو الذي يتزل الغيث من بعد ما قطفوا ، وينثر رحمتي وهو الولي الحميد (١)) ، وقال : (فانظر إلى أثر (٢) رحمت الله كيف يحيي الأرض بعد موتها ، إن ذلك لحين الموق ، وهو حل كل شيء قدير (٣)) .

وقوله : (حتى إذا أفلت صابأ هالاً) ، أي : حملت الرياح صابأ هالاً ، أي : من كثرة ما فيها من الماء تكون قتيلا قتيمة من الأرض ملحمة ، كما قال زيد بن عمرو بن ثعلب رحمه الله (٤) :

وأسلمت وجهي لمن أسلمت له المزنُ تحمل حِكْماً زُلْلاً
وأسلمت وجهي لمن أسلمت له الأرض تحمل صغراً هالاً

وقوله : (عتاه لبلد ميت) ، أي : إلى أرض ميتة عجيبة لا نبات فيها ، كما قال تعالى : (وآية لهم الأرض الميتة أحييناها ... الآية) ، ولهذا قال : (فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج للموتى) ، أي : كما أحيينا هذه الأرض بعد موتها ، كذلك يحيي الأجساد بعد صبروتها ربيعاً يوم القيامة ، يتزل الله سبحانه وتعالى ماء من السماء ، تسمطر الأرض أربعين يوماً ، فتنبث منه الأجساد في قبرها كما ينبت الحب في الأرض . ولهذا المعنى كثير في القرآن ، يشرب الله مثلاً للقيامة بإحياء الأرض بعد موتها ، ولهذا قال : (فليكن تذكرون) .

وقوله : (والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه) ، أي : والأرض الطيبة يخرج نباتها سريعاً حسناً ، كما قال : (فضلبها وبها يقبول حسن وأنبها (٥) نباتاً حسناً) .

(والذي حيث لا يخرج إلا نكلاً) ، قال مجاهد وغيره : كالسباغ ونحوها (٦) .

وقال حل بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في هذه الآية : هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر (٧) :

وقال البخاري : حدثنا محمد بن الصلاء ، حدثنا حماد بن أسامة ، عن يزيد بن عبد الله ، عن أبي بردة ، عن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مثل ما ينبت الله به من المني والطم ، كمثل الغيث »

(١) سورة الشعراء : آية ٢٨ .

(٢) كلما في غلظة الأثر : « أثر » بالإفراد ، وهي قراءة الحرمين وأبي عمرو وأبي بكر . وقرأ باقي السبعة بالجمع ، البسر الخيط : ١٧٩/٧ .

(٣) سورة الروم : آية ٥٠ .

(٤) الأبيات في سيرة ابن هشام : ٢٣١/١ .

(٥) سورة آل عمران : آية ٣٧ .

(٦) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٧٨٧ : ٤٩٧/١٢ .

(٧) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٧٨٦ : ٤٩٦/١٢ ، ٤٩٧ ، وقصه : « هذا مثل ضربه الله للمؤمن ، يقول : هو طيب ، وحله طيب ، كالأبلد الطيب ثمرة طيب . ثم ضرب مثل الكافر كالأبلدة السيئة للملحة التي يخرج منها التز [التز : هو الماء تتحلب منه الأرض] ، فالكافر هو الخبيث ، وحله خبيث » .

الكثير أصاب [أرضاً] ، فكانت منها نقيّة تليّت للاء ، فأثبتت الكلأ والشب الكثير : وكانت منها أجاجيب أسكتت للاء ، فضع الله بها الناس ، فخرّبوا وسقوا وزرّعوا . وأصاب منها طائفة أخرى ، إنما هي [قبيحان] لا تحسك ماء ولا تبيّت ذلك [مثل] من فكّ في دين الله وهشمه ما بنى الله به ، فعكّب وعكّم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به (١) .

رواه مسلم والنسائي من طرق ، عن ابن أسامة حماد بن أسامة ، به (٢) .

قَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ إِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ طَلَبَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُّكَ فِي شَكْلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ قَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ لَيْسَ بِي شَكْلَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣﴾ أَبَيْتُكَ رَسُولًا مِنِّي وَأَصْحَ لَكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ مَالَا تُعْلَمُونَ ﴿٤﴾

١ ذكر تعالى قصة آدم في أول السورة ، وما يتعلق بذلك ويصل به ، وفرغ منه ، شرع تعالى في ذكر قصص الأنبياء عليهم السلام الأول فالأول ، فابتدأ بذكر نوح عليه السلام ، فإنه أول رسول إلى أهل الأرض بعد آدم عليه السلام ، وهو « نوح بن لامك بن ميثاق بن نوح » وهو نوح بن هاشم بن عبد مناف ، وهو أول من خط بالقلم — إن يراد به هاشم بن عبد مناف بن قيس بن كلاب بن عبد الله بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان —

فكلمه الله ابن إسحاق وغير واحد من أئمة النسب ، قال محمد بن إسحاق : ولم يبق لي من قومه من الأئمة مثل نوح إلا بنو هاشم .

وقال يزيد الرقاعي : إنما سمى نوحاً لكثرة ما لاح على نفسه (٣) .

وقد كان بين آدم إلى زمان نوح عليهما السلام عشرة قرون ، كلهم على الإسلام .

قال عبد الله بن عباس وغير واحد من علماء التفسير : وكان أول ما حدثت الأصنام أن قوما صالحين ماتوا ، فبنى قومهم عليهم مساجد وصوروا صورة أولئك فيها ، ليتذكروا حلم وحديثهم ، فيتنبهوا بهم ، فلما طالع الزمان جعلوا تلك الصور أصدادا على تلك الصور : فلما تآذى الزمان جعلوا تلك الأصنام وصموها بأسماء أولئك الصالحين (وداً وسواها ويغوث ويثغووث ونسر) ، فلما تفاقم الأمر بهت الله سبحانه وتعالى — وه الحمد ولله — رسوله نوحاً بأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له ، فقال : (يا قوم ، أعبدوا الله ما لكم من إله غيره إن أنذات عليكم طاب يوم عظيم) ، أي : من طاب يوم القيامة إن قبيح الله وأنتم مشركون به : (قال للملأ من قومه) ، أي : الجاهل والساذج والفقير والكريم منهم : (إنا نراك في شاكله مبيّن) ، أي : في صورتك إيانا إلى ترك عبادة هذه الأصنام التي وجدنا عليها آبائنا ، ومكلمنا حال القبح إنما يرون الأبرار في شاكله ، كما قال تعالى : (وإذا لأولهم قالوا : إن هؤلاء لغافلون) (٤) ، (وكان للذين

(١) صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب فضل من علم وعلم ، ٣٠/١ .

(٢) مسلم ، كتاب القسطنطين ، باب ينادي على ما بهت النبي صل الله عليه وسلم من الله والملك ، ٩٢/٧ .

(٣) لسان المصنف السعدي ، ٩٤/٢ .

(٤) سورة المائدة ، آية ٢٢ .

كفروا كالذين آمنوا ؛ لو كان خيرا ما سبقونا إليه ، وإذ لم يهتدوا به فيقولون هذا إفك قديم^(١) ، إلى غير ذلك من الآيات :

(قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين) ، أى : ما أنا ضال ، ولكن أنا رسول من رب كل شيء ومليكه ، (ألبتكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون) . وهذا شأن الرسول أن يكون بليقا نصيحيا ناصحا بالله ، لا يتركهم أحد من خلق الله في هذه الصفات ، كما جاء في صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه يوم حرة ، وهم أوفر ما كانوا وأكثر جمعا : « أيها الناس ، إنكم مستولون^(٢) حى ، فما أنتم قائلون ؟ قالوا : نشهد أنك [قد] بلغت وأديت [ونصحت] ، فقبل يرفع أصبعه إلى السماء ويتكهن عليهم ويقول : اللهم اشهد ، اللهم اشهد^(٣) .

أَوْعَجِّمَنَّ أَنْ جَاءَكَ ذِكْرُ مَنْ دَبَّرَكَ عَلَى وَجْهِ مَنِّكَ يُبْنِيكَ وَيَتَّقُوا وَلَعَلَّكَ تَرْحَمُونَ ﴿١٥﴾ فَكَذِبُوا فَأَتَيْنَهُ الْوَادِّينَ مَعَهُ فِي الْفَلَاحِ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَانَ كَذِبًا بَيِّنَاتًا لَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿١٦﴾

يقول تعالى اختيارا عن نوح أنه قال قوموه : (أو عججم) ... الآية ، أى : لا تعجبا من هذا ، فإن هذا ليس بمعجَّب أن يوحى الله إلى رجل منكم ، رحمة بكم ولطفنا وإحسانا إليكم ، لإتلافكم ولتقوا نعمة الله ولا تشرکوا به ، (ولعلكم ترحمون) ،

قال الله تعالى : (فكلبوه) ، أى : فبادروا على تكلبيه ومخالفته ، وما آمن معه منهم إلا قليل ، كما نص عليه تعالى في موضع آخر ، (فأنجيناك والذين معه في الفلاح) ، وهى السفينة ، كما قال : (فأنجيناك وأصحاب السفينة) (٤) ، (وأغرقنا الذين كلبوا أبائنا) ، كما قال : (وما خطيبتهم أغرقوا فأدخلوا ناراً ، فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا) (٥) .

وقوله : (لئنهم كانوا قوما عمين) ، أى : من الحق ، لا يصرونه ولا يبتلون له ،

لئن تعالى في هذه القصة أنه انتقم لأوليائه من أعدائه ، وأنجى رسوله والمؤمنين ، وأهلك أعداءهم من الكافرين ، كما قال تعالى : (إنا لتنصر رسلا) ... الآية إلى قوله : (ولم سوء الدار) (٦) .

وهذه سنة الله في عبادته في الدنيا والآخرة ، أن العاقبة للمتقين والنظر والطلب لهم ، كما أملاك قوم نوح بالفرق ، ونجى نوحا وأصحابه للمؤمنين .

(١) سورة الأحقاف ، آية : ١١ .

(٢) لغة مسلم : « وأنتم تأسفون حى » .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الحج ، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم ، ٤١/٤ .

(٤) سورة التنبؤات ، آية : ١٥ .

(٥) سورة نوح ، آية : ٢٥ .

(٦) سورة غافر ، آية : ٥١ ، ٥٢ .

قال مالك ، عن زيد بن أسلم : كان قوم نوح قد ضاق بهم السهل والجليل .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ما حلب الله قوم نوح إلا والأرض ملأى بهم ، وليس بقعة من الأرض إلا ولها مالك وحائز .

وقال ابن وهب : بلغني عن ابن عباس : أنه لما مع نوح في السفينة ثمانون رجلا ، أحدهم وجدهم ، وكان لسانه هرياء ورواه ابن أبي حاتم . وقد روى هذا الأثر الأخير من وجه آخر متصل عن ابن عباس ، رضي الله عنه .^(١)

﴿ وَإِلَّا عَادُ أَخْلُمُ هُودًا ۖ قَالَ يَتَقَوْمِ أَخْبَدُوا إِلَهُكُمْ مِنْ إِلَهِكُمْ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۚ ﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَنَّكَ فِي سَفَلَةٍ وَإِنَّا لَنَنْظُرُكَ مِنَ الْكَافِرِينَ ۚ ﴿١﴾ قَالَ يَتَقَوْمِ لَيْسَ فِي سَفَلَةٍ وَلَيْسَ بِي رَسُولٍ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۚ ﴿٢﴾ أَبْلُغْكُمْ رَسُولَكَ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ۚ ﴿٣﴾ أَوْحَيْتُمْ أَنْ جَاءَ كَرْدٌ كَرْدٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى وَجْهِ مَنَكٍ لِيُنْذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَوَادَّكُمْ فِي أَخْلَاقٍ بَعْضُهُمْ قَادٌ كَرْدٌ ۚ ﴿٤﴾ أَلَا إِنَّ إِلَهُكُمْ لَعَلَّكُمْ يَفْقَهُونَ ۚ ﴿٥﴾

يقول تعالى : وكما أرسلنا إلى قوم نوح نوحا ، كذلك أرسلنا إلى عاد أخنوخ هودا .

قال محمد بن إسحاق : هم ولد عاد بن إرم بن حوص بن سام بن نوح .

قلت : وهؤلاء هم عاد الأولى ، الذين ذكرهم الله ، وهم أولاد عاد بن إرم الذين كانوا يأوون [إلى] السمك في البحر ، كما قال تعالى : (ألم تر كيف فعل ربك بعاد : إرم ذات الجوارح ، التي لم يخلق مثلها في البلاد) (١) وذلك لشدة بأسهم وقوتهم ، كما قال تعالى : (فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق ، وقالوا : من أشد منا قوة ؟ أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يعجبون) .

وقد كانت مساكنهم باليمن بالأحقاف ، وهي جبال الرمل .

قال محمد بن إسحاق ، عن محمد بن عبد الله بن أبي سعيد الخراسي ، عن أبي الطيب عامر بن والله ، سمعت حل ابن أبي طالب يقول لرجل من حضرموت : هل رأيت كنييا أحمر تحالط مسكرة (٢) حمراء ذا أرك وسدر (٣) كبير يتاحية كلها وكذا من أرض حضرموت ، هل رأيت ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين . والله إنك لتنته نعت رجل قد رآه . قال : لا ، ولكني قد حدثت عنه . فقال الحضرمي : وما شأنه يا أمير المؤمنين ؟ قال : فيه قبر هود عليه السلام .

رواه ابن جرير (٤) : وهذا فيه فائدة أن مساكنهم كانت باليمن ، وأن هودا عليه السلام دفن هناك ، وقد كان من أشرف قومه نسا ، لأن الرسل إنما يبعثهم الله من أفضل القبائل وأشرفهم ، ولكن كان قومه كما شدد خلقهم شدة

(١) سورة القمر ، الآيات : ٦ - ٨ .

(٢) المسكرة : الخيل لا رمل فيه .

(٣) الأرك والسدر : نباتان .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٨٠٣ : ١٢٠٧٧٠ .

ولمّا قال هود عليه السلام : (قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب) ، أى : قد وجب عليكم عقابكم منه من ربكم رجس ، قيل : هو مغلوب من رجس . وعن ابن عباس : مناه السخط والغضب .

(أنجادلوني في أسماء سميتوها أنتم وآبائكم) ، أى : أتجادلوني في هذه الأسماء التي سميتوها أنتم وآبائكم كلفه ، وهي لا تضر ولا تنفع ، ولا جعل الله لكم على عبادنا حجة ولا دليلاً ، ولمّا قال : (ما نزل الله بها من سلطان ، فانتظروا إنني معكم من المنتظرين) .

وهذا تهديد ووعد من الرسول لقومه ، ولمّا عقب بقوله : (فأتيتناه ولّالين معه برحمة منا ، وقطعنا دابر اللين كلياً يآبائنا ، وما كانوا مومنين) .

وقد ذكر الله سبحانه صفة إهلاكهم في أماكن آخر من القرآن ، بأنه أرسل عليهم الريح العقيم ، مائل من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم ، كما قال في الآية الأخرى . (ولما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية . سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً ، ففرى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية . فهل ترى لهم من باقية (١)) . لا تردوا وعثوا أهلكهم الله بريح عاتية ، فكانت تحمل الرجل منهم فترسه في الهواء ثم تنكسه على أم رأسه فتطحن (٢) رأسه حتى تبنيه من جديد ، ولمّا قال : (كأنهم أعجاز نخل خاوية) .

وقال محمد بن إسحاق : كانوا يسكنون باليمن من عمان وحضر موت ، وكانوا مع ذلك قد فشوا في الأرض وقهروا أهلها ، بفضل قوتهم إلى آتام الله . وكانوا أصحاب أوثان يعبدونها من دون الله ، فبث الله إليهم هوداً عليه السلام ، وهو من أممهم نبياً ، وأضلهم موضحاً ، فأمرهم أن يرحلوا الله ولا يجامعوا معه إلا غيرة ، وأن يكفوا عن ظلم الناس فأبوا عليه وكنهوه ، وقالوا : من أشد منا قوة ؟ وأتبعه منهم ناس ، وهم يسير مكتنون بآياتهم (٣) ، فلما جئت عاد على الله وكنهوه نيه ، وأكثروا في الأرض الفساد ويجبروا ، وبنوا بكل ريع آية مبى نفع ، كلمهم هود فقال : (أنبيئون بكل ريع آية مبى نفع . وتدخلون مصانع أهلكم تمخلدون . وإذا بطشتم بطشتم جبارين . فأتوا الله وأطيعوا (٤)) . قالوا : يا هود ، ما جئنا بنبية وما نحن بباركيا لكنا من قولاك وما نحن لك بمومنين . إن نقول إلا أضراك بعض لكنا بسوء) ، أى : نحنون ، (قال : إنني أشهد الله وأشهدوا أني يرى ما تشركون . من دونه فيكونون جميعاً ثم لا تنظرون . إنني تركلت على الله وربي وربكم ما من دابة إلا هو أشد بها نصيحاً إن ربي على صراط مستقيم (٥)) .

قال محمد بن إسحاق : فلما أبوا إلا الكفر به ، أسلك الله عنهم القطار ثلاث سنين ، فلبا يزعمون ، حتى جهلهم ذلك . قال : وكان الناس إذا جهدهم أمر في ذلك الزمان ، فطلبوا من الله الفرج فيه ، إنما يطلبونه بخرقة ومكان يته ، وكان

(١) سورة الحاقة ، الآيات : ٦ - ٨ .

(٢) تلغ رأسه وحسه وشمه . وثيقه . تنصله .

(٣) ينده في تفسير القرطبي ١٢/٥٠٨ : « وكان من آمن به وصدق ، رجل من عاد يقال له : « مرثد بن سعد بن طير » .

وكان يكتم إيمانه .

(٤) سورة الشعراء ، الآيات : ١٢٨ - ١٣١ .

(٥) سورة هود ، الآيات : ٥٣ - ٥٦ .

معروفا عند الملوك (١) ، وبه العماليق مقيمون ، وهم من سلالة عليق بن لاوذ (٢) بن سام بن نوح ، وكان سيدهم إذذاك رجلا يقال له : معاوية بن بكر ، وكانت له أم من قوم عاد ، واسمها كهلدة (٣) ابنة الخبيري ، قال : فيحدث عاد وفدا قريبا من سبعين رجلا إلى الحرم ، ليستقوا لهم عند الحرم ، ففروا بمعاوية بن بكر بظاهر مكة فقتلوا عليه ، فأقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتفتنهم الجرادتان - قيتان لمعاوية - وكانوا قد وصلوا إليه في شهر ، فلما طال مقامهم عنده وأخذته شفقة حل قومه ، واستحيا منهم أن يأمرهم بالانصراف ، عمل شعرا يعرض لهم بالانصراف ، وأمر القيتين أن تغنياهم به ، فقال (٤) :

ألا يا قيل ، وعيك : قُمْ فَهَيِّئْ لِقُلِّ اللَّهِ بُصْبِحُنَا حَسَمًا
فَيَسْبِي أَرْضَ عَادٍ إِنَّ عَادًا قَدْ امْسُوا لَا يُبَيِّنُونَ الْكَلَامَا
مِنَ الْعَطَشِ الشَّدِيدِ ، فَلَيْسَ نَرْجُو بِهِ الشَّيْخَ الْكَبِيرَ وَلَا الْفُلُكَا
وَقَدْ كَانَتْ بَسَاوُهُمْ بَخِيرَ قَدْ أَسَتْ نَسَاؤُهُمْ حَيَا (٥)
وإنَّ الْوَحْشَ تَأْتِيهِمْ جِهَارًا وَلَا تَخْشَى لِمَادَى سَهَابَا
وَأَتَمُّ هَامَتَا فَيَا لَشَتَّهِتُمْ نَهَارَكُمْ وَلَيْلَكُمْ انْشَامَا
فَقَبِّحْ وَلَدَكُمْ مِنْ وَكْدٍ قَوْمٍ وَلَا لُكُوا الصَّحَا وَالسَّلَامَا

قال : فيمد ذلك تنبه القوم لما جاءوا له ، فنهضوا إلى الحرم ، ودعوا قومهم فذهبوا داهيهم ، وهو : « قيل بن حتر » ، فأثنا الله سمات ثلاثا : بفضله ، وسوخته ، وحمره ، ثم ناداه مناد [من (٦) السماء : اختر لنفسك أو : لقومك - من هذا السحاب] ، فقال : اخترت هذه السحابة السوداء ، فلها أكثر السحاب ماء ، فناداه مناد [: اخترت وماذا رمتك (٧)] ، لا تبق من عاد أحدا ، لا ولدا تترك ولا ولدا ، إلا جعلته حسما ، [لا بين اللوذية للمهند (٨)] قال : وبئر اللوذية : بطن من عاد مقيمون بمكة ، فلم يصيبهم ما أصاب قومهم - قال : وهم من بين من أسلم وفرارهم عاد الآخرة - قال : وساق الله السحابة السوداء ، فبأ يذكرون ، التي اختارها « قيل بن حتر » بما فيها من النعمة إلى عاد ، حتى يخرج عليهم من واد يقال له : « الغيث » ، فلما رأوها استبشروا ، وقالوا : « هذا عارض ممطرنا » يقول : (بل هو ما استعظم به ربح فيها حلب أليم : تدر كل شيء بأمر ربه) (٩) ، (أي : تهلك كل شيء ممرت به) ، فكان أول

(١) كلما في غلظة الأزهر ، وفي تفسير الطبري : « وكان البيت في ذلك الزمان مرفوا مكانه » .

(٢) في الغلظة : « لاد » ، ولكبت من تفسير الطبري ، والقاموس المحيط : مادة : لاوذ .

(٣) في الغلظة : « جلهدة » ، ولكبت من تفسير الطبري .

(٤) الأبيات في تفسير الطبري : ٥١٠/١٧ .

(٥) « أمام القوم » : حلفت إليهم فلم يجدوا ليثا . « والسمية » : ثمة فجوة اللين . « عام القوم » : قل ليهم من الشط . و « رجل هيان » : وأسرة هبي ، « ولبس » : « حيا » ، « وحياس » .

(٦) ما بين القرنين سقط من غلظة الأزهر ، أثبتناه من الطبقات السابقة ، وهو ثابت في تفسير الطبري : ٥١٢/١٢ . ولكن فيه : « ثم ناداه مناد من السحاب » .

(٧) « وماد رمد » - بكسر الراء وسكون الميم وكسر اللام - مبتدأ في الاستفاد .

(٨) كلما في غلظة الأزهر وحار الكتب ١٥ : تفسير . وفي تفسير الطبري : « للمهند » .

(٩) سورة الأحقاف : آية ٢٤ و ٢٥ .

من أبصر ما فيها وعرفت أنها ربح ، فلما يذكرون ، امرأة من عاد يقال لها : [مَهْدَدٌ (١)] ، فلما تبينت ما فيها صاحبت ، ثم صمعت : فلما أفانئت قالوا : ما رأيت يا مَهْدَدُ ؟ قالت : وبها فيها شهب النار ، وأمامها رجال يقودونها ، فمسخها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً ، كما قال الله (٢) : « والحسوم والذئابة - فلم تدع من عاد أحداً إلا ذكاً واحترق هود عليه السلام ، فبأ ذكرى لى ، ومن معه من المؤمنين فى حفرة ، ما يصيبه ومن معه إلا ما لئى عليه الجلود ، وتلث الأنفس ، وإنها تجر على عاد بالظن ما بين السماء والأرض ، وتلمتهم بالحجارة (٣) » ٢٢ :

وذكر تمام القصة بطولها ، وهو سياق غريب فيه فوائد كثيرة ، وقد قال الله تعالى : (ولما جاء أمراً نجيتا هوداً والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيتهم من غلابة ظيظ) (٤) .

وقد ورد فى الحديث الذى رواه الإمام أحمد [فى مسنده (٥)] قريب مما أورده محمد بن إسحاق بن يسار ، رحمه الله .

قال الإمام أحمد [: حدثنا زيد بن الجباب ، حدثنى أبو الكثر سَلَمَ بن سليمان النحوى ، حدثنا عاصم بن أبي النجود ، عن أبى وائل ، عن الحارث البكرى قال : خرجت أشكر العلاء بن الحضرى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فررت بالريذة فإذا حموز بن بى نعيم متقطع بها ، فقالت [لى] يا عبد الله ، إن لى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجة ، فهل أنت مبلى إليه ؟ قال : فصلتها فأليت المنية ، فإذا المسجد خاص بأهله ، وإذا راية سوداء تحق ، وإذا بلال متقلد سيف بن يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قلت : ما شأن الناس ؟ فقالوا : يريد أن يبعث عمرو ابن العاص وجهاً ، قال : فجلست ، فدخل منزله - أو قال : رحله - فاستأذنت عليه ، فأذن لى ، فدخلت فسلمت ، فقال : هل بينكم وبين نعيم شيء ؟ قلت : نعم ، وكانت لنا الديرة (٦) عليهم ، ومررت بحموز من بى نعيم متقطع بها ، فساءنى أن أحملها إليك ، وهامى بالباب : فأذن لها ، فدخلت ، قلت : يا رسول الله ، إن رأيت أن تجلس بيتنا وبين نعيم حمزاً ، فاجلس للنساء : فحسيت الحموز واستوفرت (٧) ، فقالت : يا رسول الله ، فلى أين يضطر مضرة (٨) ، قال قلت : إن مثل ما قال الأول : « معزى حمتك حفظها (٩) » ، حملت هذه ولا أشعر أنها

(١) فى المخطوطة : « عيد » . ولكتبت من تفسير الطبرى .

(٢) سورة الحاقة ، آية ٧ .

(٣) تفسير الطبرى ، الأثر ١٨٠٤ : ١٢/٥٠٧ ، ١٣ . وقد اختصرة الحافظ ابن كثير .

(٤) سورة هود ، آية ٥٨ .

(٥) ما بين القوسين المخرئين من الجباب السابقة ، وهو سائل من غطوة الأثر . ولكن كان فى هذه الجباب : « قريب مما أورده محمد بن إسحاق بن يسار رحمه الله ، وقال الإمام أحمد : وهو ما يشر أن الإمام أحمد روى الأثر المنتقم ، ولم يجده فى السنة » فخطاه « وأر » ، وقال « .

(٦) فى المخطوطة : « الذئابة » ولكتبت من غطوة دار الكتب ٩١٥ تفسير ، وعن مسند الإمام أحمد ، وتفسير الطبرى . والديرة : الخزيمة لم ، والقبلة والفتن للأحرين .

(٧) استوفرت : انحطت على رجلها متعبة الفرج .

(٨) فى المخطوطة : « مضرك » ، وفى نسخة دار الكتب النسخة على السداد . ولكتبت من مسند وتفسير الطبرى . و « مضر » جلم العرب ، وهو « مضر بن نزار بن مس بن حنظلة » ، ومنه تفرقت قريش وبين نعيم ، ولذلك قالت المرأة من نعيم لرسول الله « مضرك » ، لأنه جده وجهها .

(٩) أى : حملت متيها . وهذا مثل يضرب لى يسئل ما فيه هلاك .

كانت لي خصما ، أهدو بالله وبرسوله أن أكون كوافد عاد ! . قال هيه ، وما وافد عاد ؟ — وهو أعلم بالحديث منه ، ولكن يستطعمه — قلت : إن عادا قسحطوا فبعثوا وافدا لم يقل له : قبل ، فرى معاوية بن بكر ، فأقام عنده شهرا يسقيه الخمر وتغنيه جاريان ، يقال لهما « الجرادتان » ، فلما مضى الشهر خرج إلى جبال (١) مهرة ، فقال : « اللهم إنك تعلم أني لم أجيء إلى مريض فأداويه ، ولا إلى أسير فأغديه . اللهم اسق عادا ما كنت تسقيه ، فرت به سمات سود ، فتوى منها : « اختر » . فأولما إلى بحابة منها سوداء ، فتوى منها . « خطها رماذا رمددا لا تبق من عاد أحدا . قال : فا بلغني أنه بعث عليهم من الريح إلا قتل ما يجري في خاني هلا ، حتى هلكوا — قال أبو وائل : وصدق — قال : وكانت للمرأة والرجل إذا بشرا وافدلم قالوا : « لا تكن كوافد عاد (٢) » .

هكلا رواه الإمام أحمد في المسند ، ورواه الترمذي (٣) ، عن عبد بن حميد ، عن زيد بن الحباب ، به نحوه ، ورواه النسائي من حديث سلام أبي المنذر ، عن حاصم — وهو ابن هذلة — ومن طريقه رواه ابن ماجه أيضا ، عن أبي وائل ، عن الحارث بن حسان البكري ، به . ورواه ابن جرير عن أبي كريب عن زيد بن حباب ، به . ووقع عنده : « عن الحارث بن يزيد البكري » فذكره (٤) ورواه أيضا عن أبي كريب ، عن أبي بكر بن عياش ، عن حاصم ، عن الحارث بن حسان البكري (٥) : فذكره ولم أر في النسخة « أبا وائل » ، والله أعلم .

وَإِنَّ عُمُودَ الْأَعْمَامِ صَلَاحٌ قَالَ يَقَوْمُ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَلِيلُهُ قَالَهُ اللَّهُ لَكَ آيَةٌ فَلَدَرُوهَا تَأْكُلُ فِي الْأَرْضِ اللَّهُ وَلَا تَحْسَبُوهَا رَسُولًا فَإِذَا خَذَرُ طَلَبَ الْإِيمَ ۖ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأُكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَخَذُونَ مِنْ مُهْبُوكٍ قُصُورًا وَتَحْتُونَ الْجِبَالَ بِيُوتًا قَالُوا كَرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَتَوَّأ فِي الْأَرْضِ مُقِيلِينَ ۖ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُوا لِيُنَازِلَهُمْ أَمْلَأُوا قُلُوبَهُمْ مِنْ رِيحِهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ۖ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِاللَّذَّةِ لَآمِنُكُمْ بِهِ كَفَرُوا ۖ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصَلِّحْ أُنثَانَا بِمَا نَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۖ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمِينَ ۖ

قال علماء التفسير والنسب : ثمود بن حافر (١) بن إدم بن سام بن نوح ، وهو أخو جليس بن هافر (٢) ، وكذلك قبيلة طسطن ، كل هؤلاء كانوا أحياء من العرب العاربة (٣) قبل إبراهيم الخليل عليه السلام . وكانت ثمود بعد عاد ،

(١) في المسند : « وخرج (إل) جبال تهامة فتأذى » ، وفي الصلوة نفسها من المسند رواية أخرى ، ولها : « حتى آل حل جهلك مهرة » .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٤٨٢/٣ .

(٣) تحفة الأئمة ، تفسير سورة النازيات ، الحديث ٣٢٢٨ : ١٦١/٩ : ١٦٢ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٨٠٦ : ١٢/١٦ - ١٨٠ .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٨٠٥ : ١٢/١٢ - ١٥٠ .

(٦) في تفسير الطبري ١٢/٥٢٤ : « ثمود بن حافر » ، بالعين المجمة .

(٧) ينظر جوهرة أنساب العرب لابن حزم : ٧ .

وسماكنهم مشهورة ليا بن الحجاز والشام إلى وادي القرى وما حوله ، وقد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على قراهم وسماكنهم ، وهو ذاهب إلى تبوك سنة تسع .

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا صخر بن جثوية ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أتاكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس على (٢) تبوك ، نزل بهم الحجر عند بيوت ثمود ، فاستسقى الناس من الآبار التي كانت تشرب منها ثمود ، فصبوا منها ونصبوا منها القدور (٣) . فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم فأهراقوا القدور ، وعطفوا العجينة الإبل ، ثم نزل بهم حتى نزل بهم على البئر التي كانت تشرب منها الناقة ، ونهائم أن يدخلوا على قوم اللين حلبياء [وقال] : « إني أخشى أن يصيبكم مثل ما أصابهم ، فلا تدخلوا عليهم » (٤) .

وقال أحمد أيضا : حدثنا حفان ، حدثنا عبد العزيز بن مسلم ، حدثنا عبد الله بن دينار ، عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالحجر : « لا تدخلوا على هؤلاء (٥) المسلمين إلا أن تكونوا باكين ، لأن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم أن يصيبكم مثل ما أصابهم » (٦) .

وأصل هذا الحديث يخرج في الصحيحين من غير وجه (٧) .

وقال الإمام أحمد أيضا : حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا المسعودي ، عن إسماعيل بن أوسط ، عن محمد بن أبي كبة الأعماري ، عن أبيه قال : « ما كان في غزوة تبوك تسارع الناس إلى أهل الحجر ، يدخلون عليهم . فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنادى في الناس : « الصلاة جامعة » - قال : فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يمسك بيده (٨) وهو يقول : « ما تدخلون على قوم غضب الله عليهم ، فتأذوا رجل منهم : تنجب منهم يا رسول الله . قال : أفلا أتيتكم (٩) بأهيج من ذلك : رجل من أنفسكم ينذركم بما كان قبلكم ، وبما هو كائن بعدكم ، فاستقيموا وسددوا . فإن الله لا يبعث بعدكم شيئا ، وسيأتي قوم لا يدعون عن أنفسهم شيئا » (١٠) .

لم يخرج أحد من أصحاب السنن ، وأبو كبة اسمه : حمزة بن سعد ، ويقال : عامر بن سعد (١١) ، والله أعلم .

(١) في المسند : « نزل رسول الله ... والبيان يقتضي ذكر « ما » .

(٢) في المسند : « عام تبوك » .

(٣) في المسند : « ونصبوا القدور بالحجم » .

(٤) مسند الإمام أحمد : ١١٧/٢ .

(٥) في المسند : « هؤلاء القوم اللين » .

(٦) مسند الإمام أحمد : ٧٤/٢ .

(٧) البخاري ، كتاب الصلاة ، باب الصلاة في مواضع الخسف : ١١٨/١ . مسلم ، كتاب الزهد ، باب « لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين » : ٢٢٠/٨ ، ٢٢١ .

(٨) في المطبوعة : « ميتة » ولحق من المسند .

(٩) في المسند : « أبلغ أنذرهم » .

(١٠) مسند الإمام أحمد : ٢٢١/٤ .

(١١) جمع الحافظ ابن سير الأفعال في اسم أبي كبة ، يظهر الإضافة ، باب الكنى ، الترجمة ٩٥٨ : ١٦١/٤ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن أبي الزبير ، عن جابر قال : « لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر قال : لا تسألوا الآيات ، فقد سألتها قوم صالح فكانت - يعني الناقة - ترد من هذا القبح ، وتصدّر من هذا القبح ، ففتوا عن أمر ربه فقروها ، وكانت تشرب ماعم يوما ويشرب لبنها يوما ، فقطنهم صبيحة أحمد الله من تحت آدم للباه منهم ، إلا رجلا واحدا كان في حرم الله . فقالوا : من هو يا رسول الله ؟ قال : أبو رغال (١) ، فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه (٢) .

وهذا الحديث ليس في شيء من الكتب الستة ، وهو على شرط مسلم .
قوله تعالى : (وإلى ثمود أخاهم صالحاً) ، أي : ولقد أرسلنا إلى قبيلة ثمود أخاهم صالحاً ، (قال : يا قوم ، اعبدا الله ما لكم من إله غيره) ، جميع الرسل يدعوون إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، كما قال تعالى : (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) (٣) ، وقال : (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطغوت) (٤) .

وقوله : (قد جاءكم بيعة من ربكم ، هذه ناقة الله لكم آية) ، أي : قد جاءكم حجة من الله على صدق ما جئكم به . وكانوا هم الذين سألوأ صالحاً أن يأتيهم بآية ، واترحوا عليه أن يخرج لهم من صخرة صماء صينتها بأنفسهم ، وهي صخرة منفردة في ناحية الحجر ، يقال لها : الكناية ، فطلبوا منه أن يخرج لهم منها عشاءة تمشخص (٥) ، فأتاه عليهم صالح العهود والمواثيق لأن أجابهم الله إلى سؤالهم وأجابهم إلى طلبهم ليؤمنوا به وليبته ، فلما أعطوه على ذلك هودهم وموآتهم قام صالح عليه السلام إلى صلاته ودعا الله عز وجل ، فتحركت تلك الصخرة ثم انصلحت عن ناقة جوفاء وثراء يصحرك جنيها بين جنهيا ، كما سألوأ ، فمتد ذلك آمن رئيس القوم وهو : « جندع بن عمرو » ومن كان معه على أمره ، وأراد بقية أشراف ثمود أن يؤمنوا فصلحهم « ذؤاب بن عمرو بن ليد » « والحباب » صاحب أولادهم ، ووياب بن صمر بن جلهس (٦) ، وكان « لجندع بن عمرو » ابن عم يقال له : « شهاب بن عذلة ابن ليد بن جواس » ، وكان من أشراف ثمود وأفاضلها ، فأراد أن يسلم أيضا فنهاه أولئك الرهط ، فأطاعهم ، فقال في ذلك رجل من مؤمني ثمود ، يقال له : مهوس بن حنمة بن اللعيل رحمه الله (٧) :

وكانت عصية من آل صمر إلى دين النبي دعوأ شهبا
عزير ثمود كلهم جميعا قهسأ بأن يجيب ظر لأجبا

(١) ينظر نيا تقدم : ١٨٢/٢ .

(٢) سمع الإمام أحمد : ٢ / ٢٩٦ . وقد أخرجه ابن جرير في تفسيره من اللحن ، من إسحاق ، عن عبد الرزاق ، بإسناده نحوه ، الأثر ١٤٨١٨ : ١٢ / ٥٣٨ .

(٣) سورة الأنبياء : آية : ٢٥ .

(٤) سورة النمل : آية : ٣٦ .

(٥) تنفس : أي يأخذها الطلق .

(٦) في المطبوعة : « وزياد بن صمر بن جلهس » . والمثبت من تفسير الطبري : ١٢ / ٥٢٩ .

(٧) في المطبوعة : « مهوس » بالسين ، و « اللعيل » بالالف ، وأثبت ما في تفسير الطبري .

لأَصْحَابِ مَالٍ إِنَّا هُنَا حَمِيرٌ وَمَا حَسَدُوا بِمَا فِي بَيْتِهِمْ ذُرِّيًّا

وَلَكِنْ الْفِتْنَةُ مِنْ آثِ حُجُبٍ تَوَكَّرُوا بِمَا رُفِعَ عَنْهُمْ ذُنُوبًا (١)

فَأَقَامَتِ الْفِتْنَةُ وَفَصَّلَهَا بِمَا وَضَعَتْ بَيْنَ أَطْرَافِهِمْ مَدَّةً ، تَشْرِبُ مَاءَ بَيْتِهَا يَوْمًا ، وَتَدْعُهُ لَمْ يَوْمًا ، وَكَانُوا بِشَرِّ يَوْمٍ لَيْتَهَا يَوْمَ شَرِبُوا ، يَحْتَبِئُونَهَا لِيَمْلَأُونَ مَا شَاءُوا مِنْ أَوْعِيَّتِهِمْ وَلَوَانِيهِمْ ، كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى : (وَيَنْهَمُ أَنْ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلَّ شَرْبٍ مَحْضٌ) (٢) ، وَقَالَ تَعَالَى : (هَلْهَ نَاقَةٌ لَهَا شَرْبٌ وَلَكُمْ شَرْبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ) (٣) : وَكَانَتْ تَمْرَحُ فِي بَعْضِ تِلْكَ الْأَوْفِيَةِ تَرُدُّ مِنْ قَيْحٍ وَتَصَلُّو مِنْ غَيْرِهِ لِيَسْمِعَهَا ، لِأَنَّهَا كَانَتْ تَتَضَلَّعُ (٤) مِنَ الْمَاءِ ، وَكَانَتْ - عَلَى مَا ذَكَرَ - مُخَلَّكًا هَاتِلًا وَمِنْظَرًا رَائِعًا ، إِذَا مَوَتْ بِأَتَامِهِمْ نَفَرَتْ مِنْهَا . فَلَمَّا طَالَ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ وَاشْتَدَّ تَكْلِيمُهُمْ لِصَالِحِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، حَزَمُوا عَلَى قَتْلِهَا ، لِيَسْتَأْتُوا بِالْمَاءِ كُلَّ يَوْمٍ ، فَيَقَالُ : إِنْهُمْ اتَّفَقُوا كُلَّهُمْ عَلَى قَتْلِهَا .

قَالَ تَعَادَةً : بِئَنَى أَنْ أَلْقَى قَتْلَ النَّاقَةِ طَائِفَ عَلَيْهِمْ كُلَّهُمْ ، إِنْهُمْ رَاضُونَ بِقَتْلِهَا حَتَّى عَلَى النِّسَاءِ فِي غُلُورِهِنَّ ، وَعَلَى الصَّبِيَّانِ :

قُلْتُ : وَهَلَا هُوَ الظَّاهِرُ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : (فَكَلْبُهُمْ فَقَرُّوهُمَا فَلَعَلَّمُوا عَلَيْهِمْ رَجِيمٌ بِلَيْبِهِمْ فَسَوَاهَا) (٥) ، وَقَالَ : (وَأَتَيْنَا لِنُودِ النَّاقَةَ بِمِصْرَةٍ فَلَمَلُوا بِهَا) ، وَقَالَ : (فَقَرُّوا النَّاقَةَ) . فَاسْتَدَّ ذَلِكَ إِلَى جَمِيعِ الْقَبِيلَةِ ، لَدَلَّ عَلَى رُفْعِ جَمِيعِهِمْ بِذَلِكَ ، وَاقَّةً أَعْلَمَ .

وَذَكَرَ الْإِمَامُ أَبُو جَعْفَرٍ بْنُ جَرِيرٍ وَجْهَهُ أَنَّ اللَّهَ وَفِيهِ مِنْ عِلْمَائِهِ التَّصْدِيقُ سَبَبُ قَتْلِ النَّاقَةِ : أَنَّ امْرَأَةً مِنْهُمْ يُقَالُ لَهَا « حَنْزِلَةُ ابْنَةُ خُثَمٍ بْنِ جَعْلٍ » (٦) ، وَكَتَبَتْ أُمَّ حَنْتَمَ (٧) ، كَانَتْ عَجُوزًا كَافِرَةً ، وَكَانَتْ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ حِدَاوَةً لِصَالِحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَكَانَتْ لَهَا بَنَاتٌ حَسَنَاتٌ وَمَالٌ جَزِيلٌ ، وَكَانَ زَوْجُهَا ذُو أَوْبٍ بَيْنَ مَرُوءٍ أَحَدِ رُؤَسَاءِ ثَمُودَ ، وَامْرَأَةٌ أُخْرَى يُقَالُ لَهَا « صَدُوفُ ابْنَةِ الْخَبْيَاءِ بْنِ دَهْرٍ بْنِ الْخَبْيَاءِ » (٨) فَكَانَتْ حَسِبَ [وَمَالٌ] وَجَعَلَهَا ، وَكَانَتْ تَحْتَ رَجُلٍ مُسْلِمٍ مِنْ ثَمُودَ ، فَفَارَقَتْهُ ، فَكَانَتْ تَحْمِلُ لِمَنْ التَزَمَ لَهَا بِقَتْلِ النَّاقَةِ ، فَكَانَتْ « صَدُوفُ » رَجُلًا يُقَالُ لَهُ : « الْخَبْيَاءُ » وَهَرَضَتْ عَلَيْهِ نَفْسَهَا إِنْ هُوَ قَرَّ النَّاقَةَ ، فَلَبَّى عَابَهَا ، وَلَحَتْ إِبْنُ حَمٍ لَهَا يُقَالُ لَهُ : « مَصْدَعٌ بَيْنَ مَهْرَجٍ بَيْنَ الْخَبْيَاءِ » ، فَلَجَّابَهَا إِلَى ذَلِكَ - وَدَعَتْ « حَنْزِلَةَ بِنْتَ خُثَمٍ » فَدَلَّ بِهَا بَيْنَ سَالِفٍ بَيْنَ جَعْلٍ (٩) ، وَكَانَ رَجُلًا أَحْمَرَ لَوْنُ قَصِيرًا ، يَزْعُمُونَ أَنَّهُ [كَانَ] وَلَدَ

(١) كَلَامًا فِي مِثْلَةِ الْأَزْهَرِ وَدَارِ الْكُتُبِ . وَفِي تَفْسِيرِ الطَّبْرِيِّ : « ذُنُوبًا » .

(٢) سُورَةُ الْقَمَرِ ، آيَةٌ : ٢٨ .

(٣) سُورَةُ الشُّعَرَاءِ ، آيَةٌ : ١٥٥ .

(٤) تَضَلَّعَ : تَطَلَّهَ وَبَا .

(٥) سُورَةُ الشُّعَرَاءِ ، آيَةٌ : ١٤ .

(٦) فِي مِثْلَةِ الْأَزْهَرِ وَدَارِ الْكُتُبِ : « ١٥ » تَفْسِيرٌ : « حَنْزِلَةُ » وَابْنَتُهَا مَا فِي تَفْسِيرِ الطَّبْرِيِّ .

(٧) فِي الْمِثْلَيْنِ السَّابِقَيْنِ : « وَكَتَبَتْ أُمَّ حَنْتَمَ » . هُوَ خَطٌّ ، وَتَرَدَّدَ بِدَلِيلٍ عَلَى الصَّرَافِ ، وَكَتَبَتْهَا فِي تَفْسِيرِ الطَّبْرِيِّ .

« لَمْ خُثَمَ » كَلَفَهُ .

(٨) فِي الْمِثْلَيْنِ السَّابِقَيْنِ : « الْخَبْيَاءُ بْنُ دَهْرٍ بْنِ الْخَبْيَاءِ » ، وَابْنَتُهَا مَا فِي تَفْسِيرِ الطَّبْرِيِّ .

(٩) فِي الْمِثْلَيْنِ : « سَالِفٌ بَيْنَ جَعْلٍ » وَالْثَلَاثُ مِنَ الطَّبْرِيِّ .

زكية ، وأنه لم يكن من أبيه الذي ينسب إليه ، [وهو] سالف ، وإنما هو من رجل يقال له : « صهياد (١) » ، ولكن ولد على فراش « سالف » ، وقالت له : أعطيك أي يتي شئت على أن تعفر لناقة ! فعند ذلك انطلق « قنار بن سالف » « ومصعب بن مبرج » ، « فاستقزا (٢) » خولة من ثمود ، فاتبتهما مبيدة نقر ، فصاروا تسعة رهط ، وهم الذين قال الله تعالى : « وكان في المدينة تسعة رهط يفسلون في الأرض ولا يصلحون (٣) » ، وكانوا رؤساء في قومهم ، فاستأثروا القبيلة للكافة بكلها ، فطاولتهم على ذلك ، فانتطلقوا فرصلوا الناقة حين صدرت من الماء ، وقد كمن لها « قنار » في أصل صخرة على طريقها ، وكمن لها « مصعب » في أصل أخرى ، فمرت على « مصعب » فاستأثروا ، فسفرت عن وجهها صفكة مائها وخرجت ، أم ختم حنيزة ، وأمرت ابنتها وكانت من أحسن الناس وجها ، فسفرت عن وجهها فقتلها وفتره (٤) فشد على الناقة بالسيف ، فكسرت (٥) عرقوبها ، فخرت ساقطة إلى الأرض ، وورث رعاة واحدة نحر سكتها (٦) ، ثم طعن في لبتها فخرها ، وانطلق سقيها - وهو فصيلها - حتى أتى جبلا مينا ، فصعد أعلى صخرة فيه ورعا - فروى عبد الرزاق ، عن معمر عن سمع الحسن البصري أنه قال : يارب : أين أبي (٧) ؟ ويقال : إنه رعا ثلاث مرات ، وأنه دخل في صخرة فتاب فيها ، ويقال : يل أبعوه فخره مع أمه ، فانه أعلم :

فلما فعلوا ذلك وفرغوا من حق الناقة ، بلغ الخبر صالحا عليه السلام ، فجاهد بهم مجتمعون ، فلما رأى الناقة يكي وقال : « نعموا في حلركم ثلاثة أيام (٨) » : : : الآية ، وكان قطعهم الناقة يوم الأربعاء ، فلما أمسى أولئك التسعة الرهط حرموا على قتل صالح ، وقالوا : إن كان صادقا حجتنا قيتا ، وإن كان كاذبا أخفنا بناتنا ! (قالوا : فاصموا بالله لئلا نبيته وأهله ، ثم لنقولن لو ليه ما شهدنا مهلك أهله ، وإنما لصادقون . ومكروا مكرا ومكروا مكرا وهم لا يشعرون » فانظر كيف كان حاقبة مكرم) : : : الآية .

فلما حرموا على ذلك وتواطعوا عليه ، وجامعوا من الليل ليفتكوا بني الله صالح ، أرسل الله - سبحانه وتعالى ، وله القوة ولرسوله - عليهم حجارة ففرضتهم سلفا وتجيلا قبل قومهم ، وأصبح ثمود يوم الخميس ، وهو اليوم

(١) في المخطوطين : « صهيان » ، والمثبت من البصري .

(٢) في المخطوطين : « فاستقزوا » . والمثبت من البصري .

(٣) سورة النمل : آية ٤٨ .

(٤) ثمره : شجته وحشته وحرشته .

(٥) في المخطوطين : « فكسفت من عرقوبها » . وكان في مخطوطة البصري الأولى : « فكسفت عرقوبها » . وله أثبت البية الحق : « فكسفت عرقوبها » ، وقال : « كسفت رأسه بالحجر » : شفته ، وكل ما شخ فقه عشف ، وقيل : سب عشف ، وعشفت وعشفت : ماني . وقال الحق : « ور » « كسفت » حكلا غير مغرقة في المخطوطة .

والصواب ما أثبتناه : « فكسفت عرقوبها » ولا شك أن « الحاء » في مخطوطة البصري محرقة من « الكاف » . وسبى « كسفت » هنا بيه ، وفي الألبان : « وكسفت عرقوبه يكسفه كسفاً : قطع حصبه دون سائر أرجل » ، ويقال : أصبى فرسه فكسفت عرقوبه ، وفي الحديث أن صفوان كسفت عرقوب راحته ، أي : وقطعه .

حدا وقد مر في سورة المائدة ١٤/٣ : أن سمح بن وثيل وغالبها الفرزدق جطلا يكسفان عراقيبه فوثقهما ، ودرحنا هناك كلمة « عراقيبه » .

(٦) السبب - يفتح فسكون - : وله الناقة .

(٧) تفسير البصري ، الأثر ١٤٨١٤ : ١٢/٣٧٠ .

(٨) سورة هود : آية ٦٥ .

الأول من أيام النظرة ، ووجوههم مصفرة كما وعدهم صالح عليه السلام . وأصبحوا في اليوم الثاني من أيام التجليل ، وهو يوم الجمعة ، ووجوههم حمرة . وأصبحوا في اليوم الثالث من أيام النزع وهو يوم السبت ، ووجوههم مسودة ؛ فلما أصبحوا من يوم الأحد وقد نحتطوا وتعلوا ينتظرون قمة الله وحلبه ، عيانا بالله من ذلك ، لا يلبثون مائة رجل منهم ، ولا كيف يأتيهم اللهاب ، وأشرقت الشمس ، جاءتهم صيحة من السماء وزجفة شديدة من أسفل منهم ، ففاضت الأرواح ، وزهقت النفوس في ساعة واحدة (فأصبحوا في دارهم جاثمين) ، أى : صرعى لا أرواح فيهم ، ولم يفلت منهم أحد ، لا صغير ولا كبير ، لا ذكر ولا أنثى — قالوا : إلا جارية كانت مقعدة — واسمها : « كلبة (١) » ابنة السكيت ، ويقال لها : « الزريقة (٢) » — وكانت كافرة شديدة العدواة لصالح عليه السلام ، فلما رأت ما رأت من اللهاب ، أطلقت رجلاها ، قامت تسمى كاسرع شئ ، فأنت حيا من الأحياء فأخبرهم بما رأت وما حل بقومها ، ثم استسقمهم من الماء ، فلما شربت ماتت .

قال علماء التفسير : ولم يبق من ذرية نوح أحد ، سوى صالح عليه السلام ومن اتبعه رضى الله عنهم ، إلا أن رجلا كان يقال له : « أبو رغال » ، كان لما وقعت القصة يقومه مقيا في الحرم ، فلم يصبه شئ ، فلما خرج في بعض الأيام إلى الحلي - جاءه حجر من السماء فقتله .

وقد تقدم في أول القصة حديث « جابر بن عبد الله » في ذلك ، وذكروا أن أبا رغال هذا هو والد « حقيف » الذين كانوا يسكنون الطائف .

قال عبد الرزاق : قال معمر : أخبرني إسماعيل بن أمية : أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بقبر أبي رغال فقال : أتلبثون من هذا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : هذا قبر أبي رغال ، رجل من نوح ، كان في حرم الله ، فنهى حرم الله عذاب الله . فلما خرج أصابه ما أصاب قومه ، فلفن هاهنا ، ودفن معه ضمن من ذهب ، ففزل القوم فابتلوه بأسيا ففهم ، فبعضوا عنه ، فاستخرجوا النصف (٣) .

وقال عبد الرزاق : قال معمر : قال الزهري : أبو رغال ، أبو حقيف (٤) ؛

هذا مرسل من هذا الوجه ، وقد روى متصلا من وجه آخر ، كما قال محمد بن إسحاق ، عن إسماعيل بن أمية ، عن جُبَيْر بن أبي مجبر قال : سمعت عبد الله بن عمرو يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ، حين خرجنا من إلى الطائف ، فروتا بقبر فقال : « هذا قبر أبي رغال ، وهو أبو حقيف ، وكان من نوح ، وكان بهما الحرم فدفن به ، فلما خرج أصابه النعمة إلى أصابت قومه بهما للكان ، فلفن فيه . وآية ذلك أنه دفن معه ضمن من ذهب ، لأن أتم يشتم عنه أصحموه ، فابتلوه الناس فاستخرجوا منه النصف » .

(١) في الخطبة : « كلب » والكتب من تفسير الطبري .

(٢) في خطبة الأثر : « والريقة » بالذال ، والكتب من خطبة دار الكتب « ١ » تفسير ، وتفسير الطبري .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٨١٨ : ١٣/٣٨٨ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٨١٩ : ١٣/٣٨٨ .

وهكلا رواه أبو داود ، عن يحيى بن معين ، عن وهب بن جرير بن حازم ، عن أبيه ، عن ابن إسحاق ، به (١) ، قال شيخنا أبو الحجاج المزي : وهو حديث حسن عزيز (٢) .

قلت : تفرد بوجهه ، بجبر بن أبي جبر ، هذا ، وهو شيخ لا يعرف إلا بهذا الحديث ، قال يحيى بن معين : ولم أسمع أحداً روى عنه غير إسماعيل بن أمية (٣) .

قلت : وعلى هذا فيخشى أن يكون وهم في رفع هذا الحديث ، وإنما يكون من كلام عبد الله بن عمرو ، مما أخذه من الزمخشري .

قال شيخنا أبو الحجاج ، بعد أن عرضت عليه ذلك : وهذا محمل ، والله أعلم .

وقوله تعالى :

يَقُولُ لَهُمْ وَقَالَ يَتَرْمِزُ لَكُمْ رَسُولَ رَبِّكُمْ وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تَحْمِلُونَ التَّانِصِينَ ﴿٥﴾

هذا تفرع من صالح عليه السلام لقومه ، لما أهلكهم الله بمخالفتهم إياه ، وعرضهم على الله ، وإياهم عن قبول الحق وإعراضهم عن الهدى إلى الضلالة - قال لم صالح ذلك بعد هلاكهم تقريباً وتوبيخاً وهم يسمعون ذلك ، كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ظهر على أهل بدر ، أقام هناك ثلاثاً ، ثم أمر برأسه فشدت بعد ثلاث من آخر الليل فركبها ، ثم سار حتى وقف على القلب فليب بدر ، فيجبل يقول : يا أبا جهل بن هشام ، يا حنينة بن ربيعة ، يا شية بن ربيعة ، ويا فلان بن فلان : هل وجدتم ما وعدتكم ربكم حقاً ؟ فإني وجدت ما وعدتني ربي حقاً . فقال له عمر : يا رسول الله ، ما تكلمت من أقوال قد جئتموها ؟ قال : والذي نفسي بيده ، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكن لا يحبون (٤) .

وفي السيرة أنه عليه السلام قال [لم] : « بش عشيرة التي كنتم لتبيكم ، كلبتموني وصدتني الناس ، وأخرجتموني وأرأوني الناس ، وقالتتموني ونصرني الناس ، فبش عشيرة التي كنتم لتبيكم » (٥) .

وهكلا صالح عليه السلام قال لقومه : (لقد أبغضتكم رسالة ربي ونصحت لكم) ، أي : فلم تنصروا بذلك ، لأنكم لا تحبون الحق ولا تتبعون ناصحاً ، ولهذا قال : (ولكن لا تحبون التانصين) .

وقد ذكر بعض المفسرين أن كل نبي ملكه أمه ، كان يلعب فيهم في الحرم ، حرم مكة ، فلهذا أعلم .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا زمة بن صالح ، عن سلمة بن وهرام ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : « لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادي عسفان حين حج قال : يا أبا بكر ، أي واد هذا ؟ قال : هذا

(١) سنن أبي داود ، كتاب المراج والإمارة ، باب نيش القبور البادية يكون فيها المال ، الحديث ٣٠٨٨ : ١٨١/٣ ، ١٨٢ .

(٢) التزي : ما انفرد عن راويه اثنان أو ثلاثة ، ولو رواه يده ذلك من مابين الإثنين أو الثلاثة مائة . وصى مزيلاً لفته .

(٣) ميزان الاحتفال للشي : ٢٩٧/١ .

(٤) معنى تفرع هذا الحديث عند الآية : ٤٤ من هذه السورة .

(٥) سيرة ابن هشام : ٢٢٩/١ .

وإدى حُصْنًا . قال : لقد مر به هود وصالح عليهما السلام على بكرات [حُمْر] عَطَمَهَا الْيَت ، لَزُرْمِ الْعَبَاء ، ولَزِدْتَهُمُ النَّمْلَ ، يَلِيْن ، عَجَبُونَ الْيَت (١) الْحَق .

هذا حديث غريب من هذا الوجه ، لم يخرج أحد منهم :

وَلَوْ مَا إِذْ قَالَ لَقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٥٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ الْنِسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّصِرُونَ ﴿٥١﴾

يقول تعالى : (و) لقد أرسلنا (لوطا) ، أو قنبره : (و) اذكر (لوطا) إذ قال لقومه : أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين .

ولوط بن هارون بن آزر ، وهو ابن أشي لإبراهيم الخليل عليهما السلام : وكان قد آمن مع لإبراهيم عليه السلام ، وهاجر معه إلى أرض الشام ، فبنته الله إلى أهل سدوم ، وما حولها من القرى ، بدعهم إلى الله عز وجل ، وأمرهم بالمعروف ونهاهم عما كانوا يرتكبونه من المأثم والمحرم والقواض التي اشترحوها ، لم يبقهم بها أحد من بني آدم ولا غيرهم ، وهو إثبات الذكور . وهذا شيء لم يكن بنو آدم همده ولا تألفه ، ولا يحيط بيلم ، حتى صنع ذلك أهل سدوم ، عليهم لعائن الله .

قال عمرو بن دينار ، قوله : (ما سبقكم بها من أحد من العالمين) ، قال : ما نرا ذكر على ذكر ، حتى كان قوم لوط (٢) .

وقال الوليد بن عبد الملك الخليفة الأموي بالله جامع دمشق ، لولا أن الله عز وجل قص علينا خبر قوم لوط ، ما ظننت أن ذكراً يعلو ذكراً .

وهذا قال لهم لوط عليه السلام : (أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين : إنكم تأتون الرجال شهوة من دون النساء) ، أي : حدثكم عن النساء ، وما خلق لكم ربكم منهن إلى الرجال ، وهذا إصراف منكم وجهل ، لأنه وضع الشيء في غير محله ، ولهذا قال لهم في الآية الأخرى : (هؤلاء بناتي إذ كنتم فاعلين) (٣) ، فأرشدكم إلى نساءهم ، فاعتدوا إليهن بأنهم لا يشبهون ، (قالوا : لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما تريد) (٤) ، أي : لقد علمت أنه لا لرب لنا في النساء ، ولا إرادة ، وإنك تعلم مرادنا من أضيالك .

وذكر المقصرون أن الرجال كانوا قد استغنى بعضهم ببعض ، وكذلك نساؤهم [كن] قد استغنى بعضهم ببعض أيضاً ،

(١) مسند الإمام أحمد : ١/٢٣٢ . وما بين القوسين منه . والكراة : جمع بكرة - بفتح فسكون - مؤنث بكر ، وهو الذي من الإبل . والنمل - بفتح ن - جمع غلام ، وهو : الجبل الذي يقاد به البير . والنار : جمع نورة وهي : شلة غطلة .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٨٣ : ١٢/٤٨ . وفيه : وما روى ذكر... .

(٣) سورة الحجر ، آية : ٧١ .

(٤) سورة هود ، آية : ٧٩ .

وَمَا كَانَ جِوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَنْتَرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَبْطَلُونُ ﴿١﴾

أى : ما أنجباو لوطاً إلا أن هموا بإخراجه ونفيه ومن معه من بنى أهلهم ، فانخرجه الله تعالى سلا ، وأهلكهم في أرضهم صاغرين مهاتين .

وقوله تعالى : (إنهم أناس يبطرون) ، قال قتادة : طابوهم بشر عيب (١) :

وقال عاهد : (إنهم أناس يبطرون) من أدبار الرجال وأدبار النساء . وروى مثله عن ابن عباس أيضاً (٢) .

فَلْيَبَيِّنْهُ وَأَلْهِمْ إِلَّا أَمْرًا كُنْتُمْ مِنَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢﴾ وَأَمَطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ هَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٣﴾

يقول تعالى : فليبين أوطأ وأهله ، ولم يؤمن به أحد منهم سوى أهل بيته فقط ، كما قال تعالى : (فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين ، فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين (٢) ، إلا امرأته لأنها لم تؤمن به ، بل كانت على دين قومها ، تماثلهم عليه وتعلمهم بن يتقدم عليه من ضيفاته بإشارات بينها وبينهم ، ولهذا لا أسر لوط عليه السلام أن يسرى بأهله أمر أن لا يعلم امرأته ولا يخرجها من البلد . ومنهم من يقول : بل اتبعتهم ، فلما جاء العذاب انقضت هي فأصابها ما أصابهم . والأظهر أنها لم تخرج من البلد ، ولا أعلمها لوط ، بل بقيت معهم ، ولهذا قال ها هنا : (إلا امرأته كانت من الفاسقين) ، أى : الباقين . ومنهم من فسر ذلك (من الفاسقين) للمالكين ، وهو تفسير باللازم .

وقوله : (وأمطرنا عليهم مطراً) ، مفسر بقوله : (وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود . مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببيد (٤)) ، ولهذا قال : (فانظر كيف كان عاقبة المجرمين) ، أى : انظر — يا محمد — كيف كان عاقبة من يجهرم على معاصي الله وكذب رسله .

وقد ذهب الإمام أبو حنيفة رحمه الله إلى أن اللاط يلقى من شاقق ، ويتبع بالمجارة كما فعل قوم لوط . وذهب آخرون من العلماء إلى أنه يرجع سواء كان محصناً أو غير محصن . وهو أحد قولى الشافعى رحمه الله ، والحجة ما رواه الإمام أحمد ، وأبو داود ، والترمذى ، وابن ماجه ، من حديث الثراوردي ، عن عمرو بن أبى حمزة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط ، فاقتلوا القاتل والمقتول به » (٥) .

وقال آخرون : هو كائناً ، فإن كان محصناً وجم ، وإن لم يكن محصناً جلد مائة جلدة . وهو القول الآخر للشافعى . وأما إتيان النساء في الأدبار فهو الفوطية التصريح ، وهو حرام بإجماع العلماء ، إلا قولاً شاذاً لبعض السلف . وقد ورد في النهي عنه أحاديث كثيرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقدم تقدم الكلام عليها في سورة البقرة (٦) .

(١) تفسير الطبرى الأثر ١٤٨١١ : ١٢ / ٥٥٠ .

(٢) تفسير الطبرى ، الأثر ١٤٨٣٦ : ١٤٨٣٩ : ١٢ / ٥٥٠ .

(٣) سورة النازيات ، آية : ٣٥ ، ٣٦ .

(٤) سورة هود ، آية : ٨٢ ، ٨٣ .

(٥) معنى هذا الحديث عنه الآية ١٦٥ من سورة النساء : ٢ / ٢٠٥ ، وغرجهه هناك .

(٦) ينظر تفسير الآية ٢٢٣ من سورة البقرة : ٢٨٠ / ١ - ٢٨٩ .

هَٰلِكَ مَدِينُ ۖ أَنَا هُمْ شُعَيْبٌ ۖ قَالَ يَتَقَرَّبُ عَبْدُ اللَّهِ مَا لَكُمْ يَوْمَ لَيْلَةٍ غَيْرِهِ ۖ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ قَالُوا ۖ
الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ۖ بَعْدَ إِسْلَامِهَا ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن
كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾

قال محمد بن إسحاق : هم من سلالة « مدلين بن مديان بن إبراهيم » : وشعيب هو ابن ميكيل بن يشجر (١) - قال :
واسمه بالسريانية « يرون » .

قلت : وتطلق مدلين على القبيلة ، وعلى اللبنة - وهي التي يقرب « متعان » من طريق الحجاز ، قال الله تعالى :
(وَلَا وَرَدَ مَا مَدَّيْنٌ وَجَدَ عَلَيْهِ أَمَةٌ مِّنَ النَّاسِ يَقُونَ) (٢) ، وهم أصحاب الأيكة ، كما سذكروه إن شاء الله ، وبه اللغة ،
(قال : ياقوم ، اعيدوا الله ما لكم من إله غيره) ، هذه دعوة الرسل كلهم (٣) ، (قد جاءتكم بيعة من ربكم) ،
أي : قد أقام الله الحجة والبيات على صدق ما جئتمكم به . ثم وعظهم في معاملتهم الناس بأن يوفوا المكيال والميزان ،
ولا يبخسوا الناس أشياءهم ، أي : لا يغشوا الناس في أموالهم ويأخذوا من وجه البئس ، وهو : قصص المكيال
والميزان خفية وتدليسا ، كما قال تعالى : (ويل للمطففين) إلى قوله : (لرب العالمين) (٤) ، وهذا تهديد شديد ،
ووعيد أكيد ، لسأل الله العافية منه .

ثم قال تعالى إخبارا عن شعيب ، الذي يقال له : « خطيب الأنبياء » ، لفصاحة عيارته ، وجزالة مرعفته :

وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصْلُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۖ مَن ۖ ءَامَنَ بِهِ وَبَنَوْهَا صِرَاطًا ۖ وَذُكِّرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا ۖ
فَكَفَرُوا ۖ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٥٦﴾ ۖ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي ۖ ءُزِفَتْ لَهُمْ
وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا ۖ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٥٧﴾

ينهاهم شعب عليه السلام عن قطع الطريق الحسى والمعنوى ، بقوله : (ولا تقعدوا بكل صراط توعدون) ، أي :
توعدون الناس بالقتل إن لم يسطروكم أموالهم .

(١) في المخطوطة : « يشجن » . وأما ما في تفسير الطبري : ١٢/٤٤٤ .

(٢) سورة القصص ، آية : ٧٣ .

(٣) ما من نبي أرسل إلى أمة إلا ودعاها أول ما دعاها إلى وحطية الله عز وجل ، وأنت ترى هذا واضحا في دعوة نوح
وهود وصالح وشعيب . ولكم قد لاحظت أن لوطا عليه السلام ، لم يجز قصته بل فرار قصص الأنبياء من قبله ومن بعده في هذه
السورة ، فقد بدأت قصصهم جميعا بدعوة أقوامهم إلى وحطية الله ، وبدأت قصته هو بإنكاره على قومه هذه الفاحشة التي لم
يسبقهم إليها أحد من العالم ، ورجع هذا في رأينا إلى سببين : أحدهما : فلو أن هذه الفاحشة وضطرتها على النوع الإنساني
ولأنهما : أن إبراهيم كان ماسرعا له ، وكانت صبيته بالوحطية تجلبج في أرضه وفي أرض لوط على السواء .

(٤) سورة المطففين ، الآيات : ١-٦ .

قال السدي وغيره : كانوا عشارين (١) . وعن ابن عباس وعجايد وغير واحد : (ولا تفعلوا بكل صراط توهلون) ، أى : تتوهلون للؤمنين الآتين إلى شعيب ليتبعوه (٢) . والأول أظهر ، لأنه قال : (بكل صراط) ، وهى الطرق ، وهذا الثانى هو قوله : (وتصلون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا) ، أى : وتودون أن تكون سبيل الله عوجاً مائلة . (واذكروا إذ كنتم قليلاً فكركم) ، أى : كنتم مستضعفين لقلتم فصرتم أئمة لكثرة عددكم ، فاذكروا نعمة الله عليكم فى ذلك ، (وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين) ، أى : من الأمم الحالية والقرون الماضية ، ما حل بهم من العذاب والتكال بلجرائهم على معاصي الله وتكليب رسوله .

وقوله : (وإن كان طائفة منكم آمنوا باللى أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا) أى : اختلقتهم حل ، (فاصبروا) ، أى : انظروا (حتى يحكم الله بيننا وبينكم) ، أى : يفصل ، (وهو خير الحاكمين) ، لأنه سيجعل العاقبة للمتقين ، والدمار على الكافرين .

• قَالَ الْأَمْلَاءُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِيبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعْدُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أُولَئِكَ لَا كَثِيرِينَ ۖ قَدْ اخْتَرَنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنَّ هَذَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّيْنَا اللَّهَ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُدَّ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَأْتِيَ اللَّهُ رَبَّنَا بِشَيْءٍ مُبِينٍ ۚ قُلْ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ۝

هذا اختيار من الله حما واجهت به الكفار نبي الله شيئاً ومن معه من المؤمنين ، فى توحدهم إياه ومن معه بالحق من القرية ، أو الإكراه على الرجوع فى ملتهم وللخول معهم فيها هم فيه . وهذا خطاب مع الرسول والمراد أتباعه الذين كانوا معهم على الملأ .

وقوله : (أو لو كنا تكارهن) ، يقول : أو أنتم فاعلو ذلك ولو كنا تكارهن ما تدعوننا إليه ؟ فلما إن رجعتا إلى ملتكم ودخلنا معكم فيها أنتم فيه ، فقد أعظمتنا الضيقة على الله فى جعل الشركاء معه أنداداً ؟ وهذا تعبير منه عن اتباعه - (وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا) ، وهذا رد إلى المشيئة ، فإنه يعلم كل شيء . وقد أحاط بكل شيء علماً ، (على الله توكلنا) ، أى : فى أمورنا ما تأتى منها وما نلزم (ربنا افتح بيننا وبين أئمتنا بالحق) ، أى : الفصل بيننا وبين قومتنا ، وانصرنا عليهم ، (وأنت خير الفاتحين) ، أى : خير الحاكمين ، فذلك العادل الذى لا يجوز أبداً .

وَقَالَ الْأَمْلَاءُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنْ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَغَالِيُونَ ۝ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي فَيَرِهِمْ جَثِيضِينَ ۝ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا يَفْقَهُوا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ۝

يجري تعالى عن شدة كفر قوم شعيب وتجردهم وعنهم ، وما هم فيه من الضلال ، وما جبلت عليه قلوبهم من المخالفة للحق ، ولهذا أقسموا وقالوا : (لئن أتيتهم شعيباً إنكم إذا لخاسرون) ، فلهمنا عقب ذلك بقوله : (فأخذتهم الرجفة

(١) تفسير الطبري ، الآثار ١٤٨٠٢ : ١٢٪ ٥٥٧ .

(٢) تفسير الطبري ، الآثار ١٤٨٤٦ - ١٤٨٥٠ : ١٢٪ ٥٥٦ ، ٥٥٧ .

فأصبحوا في دارهم جاثمين) ، أخبر تعالى هاهنا أنهم أخذتهم الرجفة كما أوجفوا شعباً وأصابعه وتوعدوهم بالجلاد ، كما أخبر عنهم في سورة هود ، قال : (ولما جاء أمرنا نجيتا شعباً واللذين آمنوا معه برحمة منا ، وأخلفت للذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين) (١) : وللثانية في ذلك — والله أعلم — أنهم لما تكبروا بنبي الله شبيب في قولهم : (أصلاتك تأمرك) (٢) أن نترك ما يريد آبائنا ، أو أن نعمل في أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد) : فجاءت الصيحة أسكتهم .

وقال تعالى إنذاراً منهم في سورة الشعراء (فكلبوه فأنظهم عذاب يوم النقلة إنه كان عذاب يوم عظيم) (٣) ، وما ذلك إلا لأنهم قالوا له في سياق القصة : (فأسقط علينا كسفاً من السماء) (٤) ، فأنجز أنه أصابهم عذاب يوم النقلة ، وقد اجتمع عليهم ذلك كله : أصابهم عذاب يوم النقلة ، وهي عناية أنظلتهم فيها شر من نار ولهبه ورويح عظيم ، ثم جاءتهم صيحة من السماء ورجفة من الأرض شديدة من أسفل منهم ، فخرقت الأرواح ، وفاضت النفوس وغلخت الأجساد ، (فأصبحوا في دارهم جاثمين) .

ثم قال تعالى (كان لم يفتوا فيها) ، أي : كأنهم لما أصابتهم القصة لم يقيموا بديارهم التي أرادوا إجلاله الرسول وصعبه منها .

ثم قال مقابلاً لتعليقهم : (اللذين كذبوا شعباً كانوا هم للغاسرين) ،

فَقَوْلُكُمْ قَوْلَ آبَائِكُمْ فَقَدْ أَلْفَنْتُمْ رَسُولَكُمْ وَرَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آتَيْنَ عَلَى قَوْمٍ كَثِيرِينَ ﴿٥﴾

أي : قولهم « شبيب عليه السلام بعد ما أصابهم ما أصابهم من العذاب والقصة والقتال ، وقال مفرعاً لهم ومبرحاً : (يا قوم قد أبلغتكم رسالاتي ونصحت لكم) ، أي : قد أديت إليكم ما أُرسلت به ، فلا أسفة عليكم وقد كفرتم بما جئتكم به ، ولهذا قال : (فكيف آتيت على قوم كانوا ؟) .

وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْأَيْسَاءِ وَالْفُسْأَةِ لَعَلَّهُمْ يَضُرْعُونَ ﴿٦﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ الْقَرْيَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الْقُسْرَاءُ وَالْأُسْرَاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بِغَنَةٍ وَهُمْ لَا يَعْرِفُونَ ﴿٧﴾

يقول تعالى خبراً عما اختبر به الأمم للامنية ، الذين أرسل إليهم الأنبياء ، بالأساء والقسراء ، يعني (بالأساء) ما يصيبهم في أهلكهم من أمراض وأسقام . (والقسراء) ما يصيبهم من فقر وحاجة ونحو ذلك ، (لعَلَّهُمْ يَضُرْعُونَ) ، أي : يندون ويخشعون ويجهلون إلى الله تعالى في كشف ما نزل بهم .

(١) سورة هود : آية : ٩٤ .

(٢) سورة هود : آية : ٨٧ .

(٣) سورة الشعراء : آية : ١٨٩ .

(٤) سورة الشعراء : آية : ١٨٧ .

وتفسير الكلام أنه ابتلاهم بالشدّة ليضعروا ، فافعلوا شيئاً من الذي أراد الله منهم ، قلب الحال إلى الرخاء ليخبرهم فيه ، ولهذا قال : (ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة) ، أي : حولنا الحال من شدة إلى رخاء ، ومن مرس وسقم إلى صفة وحافية ، ومن قهر إلى غنى ، يشكروا على ذلك ، فافعلوا :

وقوله : (حتى حمّوا) ، أي : كثروا أموالهم وأولادهم ، يقال : حمّ الشيء إذاكثر ، وقالوا قد مس آياتنا الضراء والسرّاء فأخذناهم بفتة وهم لا يشعرون . يقول تعالى : ابتلاهم بهللاً وهذا ليضعروا ويؤثروا إلى الله ، فأنجح فيهم لا هذا ولا هذا ، ولا انتهوا بهللاً ولا بهللاً ، بل قالوا : قد مسنا من اللباس والضرّاء ، ثم بدلنا من الرخاء مثل ما أصاب آياتنا في قديم الدهر ، وإنما هو الدهر ثارات وثارات ، ولم يظنوا لأمر الله فيهم ، ولا استشعروا ابتلاء الله لهم في الحالين . وهذا بخلاف حال المؤمنين الذين يشكرون الله على السرّاء ، ويصبرون على الضراء ، كما ثبت في الصحيحين : « عبداً للمؤمن . لا يقضى الله له قضاء إلا كان خيراً له ، وإن أصابته سرّاء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له » (١) فالمؤمن [آمن] يظن أن ابتلاء الله به من السرّاء والضرّاء ، ولهذا جاء في الحديث : « لا يزال البلاء بالمؤمن حتى يخرج نقياً من ذنوبه ، وللتائق مثله كمثل الحمار لا يدري فيم يربط أهله ولا فيم أرسلوه » ، ولو كما قال .

ولهذا حجب هذه الصفة بقوله : (فأخذناهم بفتة وهم لا يشعرون) ، أي : أخذناهم بالقوية بفتة ، أي : على بفتة منهم ، وعدم شعور منهم ، أي : أخذناهم فجأة كما جاء في الحديث : « موت السجدة رحمة للمؤمن وأخذة لأعدائه للكافرين » (٢) .

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٠٠﴾ أَفَلَمْ يَأْمُرْ أَهْلَ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَادِمُونَ ﴿١٠١﴾ أَوْ آمِنُ أَهْلَ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا سَهْجَةً وَهُمْ يُدْعَوْنَ ﴿١٠٢﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْغَافِرُونَ ﴿١٠٣﴾

يقول تعالى حمراً عن قلة إيمان أهل القرى الذين أرسل إليهم الرسل ، كقوله تعالى : (فلولا كانت قرية آمنت ففزعنا إيمانها إلا قولاً بومس لا آمنوا لكفتنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين) (٢) ، أي : ما آمنت قرية بنيها إلا قوم يوس ، فلمهم آمنوا ، وذلك بعد ما عاينوا المطلب ، كما قال تعالى : (وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون ، فآمنوا ففزعناهم إلى جبر) (٤) ، وقال تعالى : (وما أرسلنا في قرية من نذير) (٥) ... الآية .

(١) مسلم ، كتاب الزكاة ، باب المؤمنين أمره كله خير : ٢٢٧/٨ .

(٢) سنن أبي داود ، كتاب الجنائز ، باب موت السجدة ، الحديث ٣١١٠ : ١٨٨/٣ ، ومسنن الإمام أحمد كلاهما من حيد بن خالد السلمي : ٤٢٤/٣ : ٢١٩/٤ ، ولفظه فيها : « موت السجدة أخذت أسف » .

(٣) سورة يونس ، آية : ٩٨ .

(٤) سورة الصافات ، آية : ١٤٧ : ١٤٨ .

(٥) سورة سبأ ، آية : ٣٤ .

وقوله تعالى : (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا) ، أى : أنت قلوبهم بما جاءهم به الرسل وصلت به وابتعت ، واتقوا بفعل الطاعات وترك المحرمات ، (فقتلنا عليهم يركات من السماء والأرض) ، أى : قطر السماء وليات الأرض . قال تعالى : (ولكن كذبوا فأخذناه بما كانوا يكسبون) ، أى : ولكن كذبوا رسلهم ، فعاقبناهم بالهلاك على ما كسبوا من المآثم والمخارم =

ثم قال تعالى خوفًا وعلوًا من مخالفة أوامره ، والنجو على زواجه : (أنامن أهل القرى) ، أى : الكافرة (أن يأتيهم بأسنا) ، أى علينا ونكالتنا ، (يأتنا) ، أى : يلا (وهم ثائون) . أو آمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون) ، أى : فى حال شغلهم وغلطهم ، (أنامنوا مكر الله) ، أى : بأسه وقمته وقدرته عليهم وأخذه إياهم فى حال سهوهم وغلطهم ، (فلا يامن مكر الله إلا القوم الخاسرون) ، ولهذا قال الحسن البصرى رحمه الله : المؤمن يعمل بالطاعات وهو مشفق وجل خائف ، والمفاجر يعمل بالمعاصى وهو آمن .

أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصْبَنَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ^١ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ^٢ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾

قال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله : (أو لم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها) : أولم نبيّن لهم أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم^(١) .

وقال أبو جعفر بن جرير فى تفسيرها : يقول تعالى : أولم نبيّن للذين يستخفون فى الأرض من بعد هلاك آخرين قبلهم كانوا أهلها ، فساروا سيرتهم ، وعملوا أعمالهم ، وحقوا على دينهم : (أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم) ، يقول : أن لو نشاء فعلنا بهم كما فعلنا بمن قبلهم ، (ونطبع على قلوبهم) ، يقول : ونختم على قلوبهم -- (فهم لا يسمعون) ، موصلة ولا تذكير^(٢) .

قلت : وهكذا قال تعالى : (أنظم يهتد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون فى مسالكهم إن فى ذلك لآيات لأولى البصيرة)^(٣) ، وقال تعالى : (أولم يد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون فى مسالكهم إن فى ذلك لآيات أفلا يسمعون)^(٤) ، وقال : (أولم تكونوا أنقسم من قبل مالكم من زوال . وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم)^(٥) . والآية ، وقال تعالى : (وهم أهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا)^(٦) ، أى : هل ترى لهم شخصًا أو تسمع لهم صوتًا . وقال تعالى : (ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم فى الأرض ما لم

(١) تفسير الطبرى ، الأثر ١٤٨٩٧ : ١٤٨٩٨ : ١٢ / ٥٨٠ .

(٢) تفسير الطبرى : ١٢ / ٥٧٩ : ٥٨٠ .

(٣) سورة طه : الآية ١٢٨ .

(٤) سورة الحج : الآية ٢٩ .

(٥) سورة الأعراف : الآية ٤٤ : ٤٥ .

(٦) سورة مريم : الآية ٩٨ .

(كذلك يطيع الله على قلوب الكافرين : وما وجدنا لأكثرهم) ، أى : لأكثر الأمم الماضية (من عهد ، وإن وجدنا أكثرهم فاسقين) ، أى : ولقد وجدنا أكثرهم فاسقين خارجين عن الطاعة والامثال . والله الذى أخذهم هو [ما] جعلهم عليه وطرهم عليه ، وأخذ عليهم فى الأصلاب أنه ربهم ومليكهم ، وأنه لا إله إلا هو ، فأثروا بذلك ، وشهدوا على أنفسهم به ، فخالقوه وتركوه وراء ظهورهم ، وعبدوا مع الله غيره بلا دليل ولا حجة ، لا من عقل ولا شرع . وفى القدر السليمة خلاف ذلك ، وجاءت الرسل الكرام من أولهم إلى آخرهم بالنبى عن ذلك ، كما جاء فى صحيح مسلم يقول الله تعالى : « إني خلقت عبادى حفاة ، فجاہم الشياطين فاجتالهم عن دينهم ، وحرممت عليهم ما تحللت لهم » ، وفى الصحيحين : « كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه » (١) . . . الحديث ، وقال تعالى فى كتابه العزيز : (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) (٢) ، وقال تعالى : (وأسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أن يجئنا من دون أرحمنا آلهم يعبدون) (٣) . وقال تعالى : (ولقد بئنا فى كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) (٤) ، إلى غير ذلك من الآيات ،

وقد قيل فى تفسير قوله تعالى : (فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل) ، ما روى أبو جعفر الرازى ، عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالية ، عن أبى بن كعب فى قوله : (فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل) قال : « كان فى علمه تعالى يوم أقرأ له بالبيان » (٥) ، أى : فما كانوا ليؤمنوا لعلم الله منهم ذلك ، وكلما قال الربيع بن أنس ، واختاره ابن جرير (٦) ، وقال السدى : (فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل) ، قال : ذلك يوم أخذ منهم الميثاق فلقنوا كرها (٧) . وقال مجاهد فى قوله : (فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل) : هذا كقولهم : (ولو ردُّوا لعادوا) ... الآية (٨) .

ثم يمشى من جملتهم موسى ويأيننا إلى فرعون وملأه فقلوبنا بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين ﴿١٠﴾

يقول تعالى : (ثم يمشى من جملتهم) ، أى : الرسل المتقدم ذكرهم ، كنوح ، وهود ، وصالح ، ولوط ، وشعب ، صلوات الله وسلامه عليهم وعلى سائر أنبياء الله أجمعين — (موسى) بآياتنا ، أى : بحججنا ودلائلنا البينة إلى فرعون وهو ملك مصر فى زمان موسى ، (وملأه) ، أى : قومه ، (فقلوبنا بها) ، أى : جعلوا وكفروا بها ظلماً منهم وعناداً ، كقولهم تعالى : (وجعلوا بها واستعنتها أنفسهم ظلماً وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) (٩) ، أى : الذين صدوا

(١) معنى هذان الحديثان منه تفسير الآية ١١٩ من سورة النساء . ينظر : ٣٦٨/٢ . وقد خرجناهما هناك .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية : ٢٥ .

(٣) سورة الزمر ، الآية : ٤٥ .

(٤) سورة النحل ، الآية : ٣٦ .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٩٠٢ : ٨/١٣ ، وأثر الربيع بن أنس به .

(٦) تفسير الطبري ، ٩/١٣ .

(٧) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٩٠١ : ٨/١٣ .

(٨) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٩٠٤ : ٩/١٣ .

(٩) سورة النمل ، الآية : ١٤ .

من سبيل الله وكلبوا رسله ، أى : انظر - يا محمد - كيف فعلنا بهم ، وأغرقتهم عن آخرهم ، بمراى من موسى وقومه . وهذا أبلغ في التكال فرعون وقومه ، وأنشئ لقلوب أولياء الله موسى وقومه من المؤمنين به .

وَقَالَ مُوسَى يُفْرَعُونَ إِلَى رَسُولٍ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٥٦﴾ حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٥٧﴾ قَالَ إِنْ كُنْتَ إِحْسِنْتَ فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَخْلُقَ وَهَذَا مَا كُنْتَ مِنْ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٨﴾

يُفْرَعُونَ تعالى عن مناظرة موسى لفرعون ، وإلجاءه إياه بالحجة ، وإظهاره الآيات البينات محضرة لفرعون وقومه من قبض مصر ، فقال تعالى : (وقال موسى : يا فرعون ، إلى رسول من رب العالمين) ، أى : أرسلني الذي هو خاتمي كل شيء وربه ومليكه .

(حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق) ، فقال بعضهم : معناه حقيق بأن لا أقول على الله إلا الحق ، أى : جدير بذلك وحري به .

قَالُوا : « وَاللَّهِ ، وَهَلْ ، يَتَذَكَّرُ ، فَيَقَالُ : « رَيْبٌ بِالْقُوسِ » وَهَلْ عَلَى الْقُوسِ » وَجَاءَ عَلَى حَالٍ حَسَنَةٍ وَبِحَالٍ حَسَنَةٍ » .

وقال بعض المفسرين : معناه حريص على أن لا أقول على الله إلا الحق ،

وَقَرَأَ آخَرُونَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ (حَقِيقٌ عَلَى) بِمَعْنَى وَاجِبٌ وَحَقٌّ عَلَى ذَلِكَ أَنْ لَا أَخْبِرَ عَنْهُ إِلَّا بِمَا هُوَ حَقٌّ وَصَدَقٌ ، لِأَنَّ أَحْلَمَ مِنْ حُرِّ جَلَالِهِ وَعَظَمِ سُلْطَانِهِ .

(قد جئكم ببينة من ربكم) ، أى : بحجة قاطعة من الله ، أعطانيها دليلا على صدق فيما جئكم به ، (فأرسل معي بني إسرائيل) ، أى : أطلقهم من أسرهم وقهرهم ، ودعمهم وعبادة ربك ورحمتهم ، فإلهم من سلاطة بني إسرائيل ، وهو : يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن .

(قال : إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين) ، أى : قال فرعون : لست بمصدقك فيما قلت ، ولا بمطيعك فيما طلبت ، فإن كانت معك حجة فأظهرها لراها ، إن كنت صادقاً فيما ادعيت .

فَأَتَيْنَاهُ عَصَاهُ فَأَلْفَا بِهَا ثَمْبَانِ مِائِينَ ﴿١٥٩﴾ وَزَرَعَ يَدَهُ فَنَاقَا فِي يَدَيْهِمَا ثَنَيْنِ ﴿١٦٠﴾

قال على بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : (ثمان مائتين) ، الحية للذكر (١) . وكلنا قال السدي ، والضحاك . وفي حديث « الثَّنُون » ، من رواية يزيد بن هارون عن الأصمغيني بن زيد ، عن القاسم بن أبي أيوب ، عن سعيد

ابن جرير ، عن ابن عباس قال : (فأتى عصاه) فتحولت حية عظيمة فاغرة فاها ، مسرعة إلى فرعون ، فلما رأى فرعون أنها قاصدة إليه ، اقتحم (١) عن سريره ، واستنثت موسى أن يكفها قتل (٢) .

وقال قتادة : تحولت حية عظيمة مثل اللبدة (٣) .

وقال السدي في قوله : (فلذا هي ثمان ميين) ، والثمان المذكور من الحيات ، فالحية فاها ، واخمة لحياها (٤) ، الأسفل في الأرض ، والآخر على صور القصر ، ثم توجهت نحو فرعون لتأخذه . فلما رأى أضر منها ، ووثب وأحدث ، ولم يكن يحدث قبل ذلك ، وصاح : يا موسى ، خلها وأنا أؤمن بك ، وأرسل ملك بني إسرائيل . فأخلفا موسى عليه السلام فمادت عصا (٥) .

وروى عن حكمة عن ابن عباس نحو هذا .

وقال وهب بن منبه : لا دخل موسى على فرعون ، قال له فرعون : أصرقك ؟ قال : لم أ قال : (لم تُرَبِّك فينا وليدا) (٦) ؟ قال : فرد إليه موسى الذي رد ، فقال فرعون : خلوه ا فإداه موسى (فأتى عصاه فلذا هي ثمان ميين) ، فحملت على الناس فأنزموها منها ، فأت منهم خمسة وعشرون ألفا ، قتل بعضهم بعضا ، وقام فرعون منهزما حتى دخل البيت :

رواه (٧) ابن جرير ، والإمام أحمد في كتابه «الردة» ، وابن أبي حاتم : وفيه غرابة في سياقه ، والله أعلم .

وقوله : (ولوح يده فلذا هي بيضاء الظفرين) ، أي : ترح يده : أخرجهما من حربه بعد ما أدخلها فيه فخرجت بيضاء تلالاً من غير برص ولا مرض ، كما قال تعالى : (وأدخل يدك في جيبك فخرج بيضاء من غير سوء) (٨) ... الآية .

وقال ابن عباس في حديث القعقري (من غير سوء) ، يعني من غير برص ، ثم أضافها إلى كفه ، فمادت إلى لونها الأول (٩) : وكذا قال جاهد وغير واحد .

قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَأَيَّ تَابِعُونَ ﴿١١﴾

أي : قال للملأ - وهم الجمهور والسادة من قوم فرعون - مواظبن لقول فرعون فيه ، بعد ما رجع إليه روحه ، واستمر على سريره بملكته بعد ذلك ، قال للملأ حوله : (إن هذا لساحر عليم) ، فواقوه وقالوا كصفاته ، وتشاؤروا

(١) اقتحم عن سريره : وس وقطع وسقط عن سريره .

(٢) تنصير الطبري ، الأثر ١٤٩١٣ : ١٦١٣ .

(٣) الأثر في تفسير الطبري ١٤٩٠٩ : ١٥٠١٣ ، ولله : قال : تحولت حية عظيمة . وقال فيرة : مثل اللبدة .

(٤) السدي - يفتح وسكون - ، ومثناه حيان : وهما الشيطان اللذان لهما الأسمان من داخل القم .

(٥) تنصير الطبري ، الأثر ١٤٩١١ : ١٥٠١٣ : ١٦ . وأثر حكمة عن ابن عباس يده .

(٦) سورة الشعراء ، آية : ١٨ .

(٧) تنصير الطبري ، الأثر ١٤٩١٥ : ١٧٠١٦ : ١٣ .

(٨) سورة النمل ، الآية : ١٢ .

(٩) تنصير الطبري ، الأثر ١٤٩١٨ : ١٧٥١٣ .

في أمره ، وماذا يصنعون في أمره ، وكيف تكون حياتهم في إطفاء نوره وإخاد كلمته ، وظهور كلمهم وإفترائهم ، ونحوه أن يستعمل الناس سحره فيما يعتقدون ، فيكون ذلك سببا لظهوره عليهم ، وإخراجه إياهم من أرضهم . والذي خافوا منه وقروا فيه ، كما قال تعالى : (ونرى فرعون هاهنا وجنودهما منهم ما كانوا غلبون (١)) : فلما تشاوروا في شأنه ، واتسمروا فيه ، اتفق رأيهم على ما حكاه الله تعالى عنهم في قوله تعالى :

قَالُوا أُرِيجُهُ وَأَخَاةَ وَارِسِي فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١٦﴾ يَا تَوَكُّلْ بِكُلِّ سِحْرِ عَظِيمٍ ﴿١٧﴾

قال ابن عباس : أريج : أخره . وقال قتادة : أحيسه (٢) : (ولأولس) ، أي : ابعت (في المدائن) ، أي : في الأقاليم ومعامله ملكك ، (حاشرين) ، أي : من يحشر لك السحرة من سائر البلاد ويجمعهم .

وقد كان السحر في زمانهم غالبا كثيرا ظاهرا ، واعتقد من اعتقد منهم ، وأوهم من أوهم منهم ، أن ما جاء به موسى عليه السلام من قبيل ما تشبهه صرتهم : فلهذا جمعوا له السحرة ليمارضوه بظنهم ما أراهم من اليناث ، كما أخبر تعالى عن فرعون حيث قال : (أجبثنا فتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى ، فلنأتيك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا لا تخلفه نحن ولا أنت مكانا سوى) قال : موعدكم يوم الزينة وأن يحشركم الناس ضحى . فولى فرعون فجعم كيده ثم أتى (٣) : وقال تعالى هاهنا :

وَبَشِّرِ السَّحرةَ بِفِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّكَ لَآجِرٌ إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١٨﴾ قَالَتْ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٩﴾

يخبر تعالى عما تشارط عليه فرعون والسحرة الذين استعداهم لمبارضة موسى عليه السلام : إن ظفروا موسى ليثيبهم وليعطيتهم حطاه جزيلا : فوعدهم ومثاهم أنه يعطيهم ما أرادوا ، وليجعلهم من جلسائه والمقربين عنده ، فلما توقعوا من فرعون لعمدة الله :

قَالُوا يَمْحُوجْ إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ مِنَ الْمُلْكَيْنِ ﴿٢٠﴾ قَالِ الْقَوْمُ فَلَبِ الْقَوْمُ عَصْرُوا عَنِ النَّاسِ وَأَسْرَهُهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾

هذه مبارزة من السحرة لموسى عليه السلام في قولهم : (إما أن تلقى وإما أن نكون نحن الملكتين) ، أي : فيك . كما قال في الآية الأخرى : (وإما أن نكون أول من ألقى) (٤) . فقال لم موسى عليه السلام : (ألقوا) ، أي : أنتم أولا قبلي : والحكمة في هذا - والله أعلم - ليرى الناس صنيعهم ويتأملوه ، فإذا فرغ من برجمهم ومحكهم ،

(١) سورة القصص ، الآية : ٦ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثران : ١٤٩٢٥ ، ١٤٩٢٦ ، ٢٢ / ١٣ .

(٣) سورة طه ، الآيات : ٥٧ - ٦٠ .

(٤) سورة طه ، آية : ٦٥ .

جاءهم الحق الرافض الجلى بعد طلبه له وانتظار منهم لمجيئه ، فيكون أوقع في القوس : وكلما كان ، ولما قال تعالى : (فلما ألقوا صعروا أعين الناس واسترهبوهم) ، أى : خيلوا إلى الأبهل أن ما فعلوه له حقيقة في الخارج ، ولم يكن إلا مجرد صنعة وخيال ، كما قال تعالى : (فإذا جادلهم وجههم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى : فأوجس في نفسه خيفة موسى : قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى : وألق ما بينك تلقفت ما صحتوا إن ما صحتوا كيد سحر ولا يفلح الساحر حيث أتى (١))

قال سفيان بن حنيفة : حدثنا أبو سعد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ألقوا حبالا خللا وعشبا طويلا ، قال : فأنزلت يُخِيلُ إليه من سحرهم أنها تسعى (٢) ،

وقال محمد بن إسحاق : حَبَّتْ خِصَّةَ عَشْرِ أَلْفِ سَاحِرٍ ، مع كل ساحر حباله وعصيه ، ويخرج موسى عليه السلام معه أخوه يتكبر على عصاه ، حتى أتى الجمع ، وفرعون في مجلسه معه أشراف أهل مملكته ، ثم قال المحرقة : (يا موسى ، إما أن تأتي ولما أن تكون أول من أتى : قال يل ألقوا فإذا جادلهم وجههم) ، فكان أول ما احتفظوا بسحرهم بصر موسى وبصر فرعون ، ثم أبصار الناس بعد : ثم أتى كل رجل [منهم] ما في يده من الخيال والعصى ، فإذا حيايت كأهال اللجبال ، قد مالأت الوادئ يركب بعضها بعضا (٣) ،

وقال السدي : كانوا بضعة وثلاثين ألف رجل ، ليس رجل منهم إلا معه حبل وعصا ، (فلما ألقوا صعروا أعين الناس واسترهبوهم) ، يقول : فتركوهم أى من القسوة (٤) .

وقال ابن جرير : حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا ابن حبان ، عن هشام الدستوائي ، حدثنا القاسم بن أبي بزة قال : جمع فرعون سبعين ألف سحر ، فألقوا سبعين ألف حبل ، وسبعين ألف عصا ، حتى جعل يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى (٥) .

ولما قال تعالى : (وجاءوا بسحر عظيم) .

(١) سورة طه : الآيات : ٦٦ - ٦٩ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر : ١٤٩٣٩ : ٢٨٦/١٤ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر : ١٤٩٤٤ : ٢٨٦/١٤ .

(٤) الفرق : القزح .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر : ١٤٩٤١ : ٢٨٦/١٤ .

﴿ وَأَوْحَيْتُ إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنَّ الْإِصْحَاقَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ ﴿٢٧﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَغُلِبُوا هُنَاكَ وَانْقَلَبُوا صَافِرِينَ ﴿٢٩﴾ وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِحْرَهُمْ ﴿٣٠﴾ قَالُوا إِنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿٣٢﴾

يُخبر تعالى أنه أوحى إلى عبده ورسوله موسى عليه السلام في ذلك الموقف العظيم ، الذي فرق الله تعالى فيه بين الحق والباطل ، بأمره بأن يلي ما في يده وهي عصاه ، (فإذا هي تلقف) أي : تأكل (ما يأفكون) أي : ما يلقونه ويهرعون أنه حق ، وهو باطل .

قال ابن عباس : فجعلت لآسرة بشيء من حيلهم ولا من خشبهم إلا لقمته ، فعرفت السحرة أن هذا أمر من السماء ، وليس هذا بسحر ، فخروا سجدا وقالوا : (آمنا برب العالمين . رب موسى وهرون) (١) .

وقال محمد بن إسحاق : جعلت تبط (٢) تلك الحبال والنسي واحدة واحدة ، حتى ما يرى بالوادي قليل ولا كثير مما ألقوا : ثم أخطأ موسى ، فإذا هي عصا في يده كما كانت ، ووقع السحرة سجدا (قالوا : آمنا برب العالمين . رب موسى وهرون) ، لو كان هذا سحرا ما غلبنا (٣) .

وقال القاسم بن أبي بزة : أوحى الله إليه أن ألق عصاك ، [فلقى عصاه] فإذا هي ثياب فاخر فاه ، يطع حالم وعصيم . فلقى السحرة عند ذلك سجدوا ، فارتعوا وعوسهم حتى رأوا الجنة والنار وتواب أهلها (٤) .

قَالَ فِرْعَوْنُ ءَاثَمْتُ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَاثَنَ لَكَ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرُومُهُ فِي الْمَدِينَةِ لَتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ لَا تَقْعَنَّ أَيْدِيكَ وَأَرْجُلُكَ مِنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَا تُلَبِّسْكَ أَيُّعِينَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٢٩﴾ وَمَا نَنْفَعُ مِنْهُ إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِمَا نُسَبِّحُ رَبَّنَا لَمَّا جَاءَ تَنَزَّاهُ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّفْنَا مُسْلِمِينَ ﴿٣٠﴾

يُخبر تعالى عما توعد به فرعون ، لعنه الله ، السحرة لما آمنوا بموسى عليه السلام ، وما أظهره لئاس من كيدهم ومكره في قوله : (إن هذا لمكر مكروم في المدينة لتخرجوا منها أهلها) ، أي : إن غلبه لكم في يومكم هذا إنما كان من تشاور منكم ورضا منكم لذلك ، كقوله في الآية الأخرى : (إنه لكبيركم الذي علمكم السحر) ، وهو يعلم وكل من له أن هذا الذي قاله من أبطل للباطل ، فإن موسى عليه السلام بمجرد ما جاءه من « مدَيْن » دعا فرعون

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٩٤٣ : ٢٩٪١٣ .

(٢) في الضميمة : « تتبع تلك الحبال » . والثلث من الطبري ، نفس الأثر : « فجعلت تلقفها ، تجلها ، حية » .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٩٤٥ : ٣٠٪١٣ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٩٤٦ : ٣٠٪١٣ .

(٥) سورة ٤ ، الآية ٢٢٨ .

إلى الله ، وأظهر المعجزات الباهرة والحجج القاطعة على صدق ما جاء به ، فمعد ذلك أرسل فرعون في ملائكه ومعلمه سلطته ، فجمع بحرة مفرقين من سائر الأقاليم ببلاد مصر ، بمن اختار هو وللأمن قومه ، وأحضرهم عنده وودعهم بالماء الجريل . وقد كانوا من أحمرس الناس على ذلك ، وعلى الظهور في مقامهم ذلك والتقدم عند فرعون . وموسى عليه السلام لا يعرف أحدا منهم ولا رآه ولا لجمع به ، وفرعون يعلم ذلك ، وإنما قال هذا تسترا وتدليسا على رعاياه دولته وجهلكتهم ، كما قال تعالى : (فاستخف قومه فأطاعوه) (١) ، فإن قوما صدقوه في قوله : (أنا ربيكم الأعلى) (٢) من أجله خلق الله وأعلمهم .

وقال السدي في تفسيره باستاده للشهور عن ابن مسعود وابن عباس وغيرهما من الصحابة ، في قوله تعالى : (إن هذا لملكر مكرومه في المدينة) ، قالوا : ألقى موسى عليه السلام وأمر السحرة ، فقال له موسى : أرأيتك إن غلبتك أتؤمن بي ، وتشهد أن ما جئت به حق ؟ قال الساحر : لأتؤمن غدا بسحر لا ينجلي سحر ، فوافق لئن غلبني لأؤمن بك ولأشهدن أنك حق . وفرعون ينظر إليهما ، قالوا : فلها قال ما قال (٣) ،

وقوله : (فخرجوا منها أهلها) ، أي : تجمعوا أنتم وهو ، وتكون لكم دولة وصولة ، وتخرجوا منها الأكابر والرؤساء ، وتكون الدولة للصريف لكم ، (فسوف تعلمون) ، أي : ما أصبح بكم ،

ثم فسر هذا الوعيد بقوله : (لأعلمن أيديكم وأرجلكم من خلاف) ، يعني : يقطع يد الرجل اليمنى ورجله اليسرى أو العكس ، و (لأصلبنكم أجمعين) . وقال في الآية الأخرى : (في جلود الفخار) ، أي : على الجلود .

قال ابن عباس : وكان أول من صلب ، وأول من قطع الأيدي والأرجل من خلاف ، فرعون (٤) .

وقول السحرة : (إنا إلى ربنا متقلون) ، أي : قد تحققنا أننا إليه واجعون ، وعذابه أشد من هلاكه ، وتكاله ما تدعونا إليه ، وما أكرهنا عليه من السحر ، أعظم من نكالك ، لتتصبرن اليوم على هلاكك لتخلص من عذاب الله ، ولما قالوا : (ربنا أفرغ علينا صبرا) ، أي : صمنا بالصبر على دينك ، والتهبت عليه ، (وتوفتنا مسلمين) ، أي : متابعين لتبليك موسى عليه السلام . وقالوا فرعون : (فاقض ما أنت قاض ، إنما نقضى هذه الحياة الدنيا . إنا أمتنا ربنا كيخلف لنا خطايانا وما أكرهنا عليه من السحر والله خير وأبى . إنه من يأتي ربه مجرماً فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ، ومن بآية مؤمناً قد عمل الصالحات فأولئك هم الدرجات الجلى) (٥) ، فكانوا في أول النهار بحرة ، فصاروا في آخر شهاده بررة .

قال ابن عباس ، وعبيد بن حنبر ، وقتادة ، وابن جرير : كانوا في أول النهار بحرة ، وفي آخره شهاده (٦) ،

(١) سورة الزمر : الآية : ٥٤ .

(٢) سورة التناجمات ، الآية : ٢٤ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر : ١٤٩٥ : ١٣/٣٣ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر : ١٤٩٥ : ١٣/٣٤ .

(٥) سورة نوح ، الآيات : ٧٢ - ٧٥ .

(٦) هذه الآثار في تفسير الطبري : ١٣/٣٦ .

وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُسُونِمْ وَقَوْمَهُ لِيُقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذُرْكُمُ هَٰؤُلَاءِ الْمَلَأُ قَالَ سَتَقْبَلُونَ أَجْنَاسَهُمْ
وَتَسْتَحْيِيهِ نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿١٣٦﴾ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا
مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٧﴾ قَالُوا أَوَإِذَا نُنَاجِيكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَأْتِيَنَا مِنْ بَعْدِ مَا جِئْنَا قَالَ عَصَى
رَبِّكَ أَنْ يَكَّ عَدُوَّكَ وَيَسْتَظْفِرَكَ فِي الْأَرْضِ فَنَنْظُرْ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٣٨﴾

يجز تعالى عما نال عليه فرعون ومولوه ، وما أظهره موسى عليه السلام وقومه من الأذى والبنقة : (وقال الملأ من قوم فرعون) ، أى : فرعون (أتدرسونهم وقومه) ، أى : أتدعهم ليسلوا في الأرض ، أى : يفسدوا أهل رعيتك ويدعهم إلى عبادة ربهم دونك ، بالله للمعجب ! صار هؤلاء يشفقون من إفساد موسى وقومه ! ألا إن فرعون وقومه هم المفسدون ، ولكن لا يشعرون . ولما قالوا : (ويلك ولكلنا) ، قال بعضهم : « والوا » هنا حالية ، أى : أتدره وقومه يفسدون وقد ترك حبادتك ؟ وقرأ ذلك أبي بن كعب : (وقد تركوك أن يعبدوك ولكلنا) ، حكاه ابن جرير (١) .

وقال آخرون : هي عاطفة ، أى : لاتدع موسى يصنع هو وقومه من الفساد ما قد أضرهم عليه وعلى تركه لكلنا (٢) .

وقرأ بعضهم : (إلهك) ، أى : حبادتك ، ورؤي ذلك عن ابن عباس وعجايد (٣) .

وعلى القراءة الأولى قال بعضهم : كان لفرعون إله يعبد . قال الحسن البصري : كان لفرعون إله يعبد في السر (٤) . وقال في رواية أخرى : (كان له) جِسْمَانَةٌ (٥) في حقه معلقة بسجدهما :

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٩٦١ : ٣٧/١٣ .

هذا وقد وجه الطبري نصب الفعل مع أن الجملة حالية بأن ذلك من قبيل « الصرف » ، وهو مصطلح كوفي ، بينه القراء في كتابه معاني القرآن ٣٢/١ : ٣٤ بقوله : « فإن قلت : وما الصرف ؟ قلت : أن تأتي بالواو مطبوع على الكلام في أول حادثة لا تستقيم إحادتها على ما صنف عليها ، فإن كان ذلك فهو الصرف » ، فنقول الشاهر :

لا تنه من خلق وتأتى مثله • • • • • طار عليك إذا فعلت عظيم

ألا ترى أنه لا يجوز إحادة « لا » في « تأتى مثله » ، فذلك سى صرعا ، إذا كان مطبوعا ، ولم يستقم أن يعاد فيه الحادث الذي قبله • • • • •

(٢) توجيه السلف في عبارة ابن جرير أوضح ، قال : « والثاني : أتدر موسى وقومه ليسلوا في الأرض ، ويلرك وأكلت - كالتوبيخ منهم لفرعون هل ترك موسى ليعمل للفتنة ، وإنا وجه الكلام : « كان نصب » ويلرك » هل المطبوع على « ليسلوا » .

(٣) تفسير الطبري : ٣٨/١٣ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٩٦٤ : ٣٩/١٣ .

(٥) في المخلوطة : « حثان » . وللمت من تفسير الطبري ، الأثر ١٤٩٦٣ : ٣٩/١٣ .

وقال السدي في قوله تعالى : (وبالرك وكلك) ، وكلفه ، فبا زعم ابن عباس ، [كالك البقر] (١) كانوا إذا رأوا بقرة حسنة أمرهم فرعون أن يبيعوها ، فلذلك أخرج لم يبيعا جسدا (٢) .

فأجابهم فرعون فبا ما رأوا بقرة : (مقتل أبنائهم ولستحي لسانهم) ، وهذا أمر ثان ببلد الصنيع ، وقد كان نكل بهم به قبل ولادة موسى عليه السلام ، حذرأ من وجوده ، فكان خلافت ما رايه وضدأ ما قصده فرعون : وهكذا حوّل في صنيبه أيضا ، إنما أراد قهر بني إسرائيل وإذلالهم ، فجاء الأمر على خلافت ما أراد : نصرهم الله عليه وأذله ، وأرحم الله ، وأخبره وجنوده .

ولا حسم فرعون على ما ذكره من المسألة لبني إسرائيل (قال موسى لقومه : استصبروا بالله واصبروا) ، ووعدهم بالعاقبة ، وأن النار مستصير لهم في قوله : (إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعالية المبثوق : قالوا أؤذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا) ، أي : قد جرى علينا مثل ما رأيت من الهوان والإذلال من قبل ما جئت يا موسى ، ومن بعد ذلك : فقال منها لم على حالهم الحاضرة وما يصيرون إليه في ثاني الحال : (صبري ربكم أن يهلك عذوكم) ٥ الآية ، وهذا تحضيضي لهم على الصبر على الشكر ، عند حلول النعم وزواك النعم .

وَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالْبَنِينَ وَنَقِصَ مِنْ كُنُوتِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴿٢٠﴾ فَإِنَّا جَاءَتِهِمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبُكُمْ حَسَنَةٌ يَطْغَوْا فَيُمُوتُوا بِمَرِيضٍ وَمِنْ نَحْنُ ۖ أَلَا إِنَّمَا طَعِمْتُمْ حَسَنَةً إِلهٍ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾

يقول تعالى : (وقد أخذنا آل فرعون) ، أي : المنجبر لهم وانتقام وإبتيانهم (بالبنين) ، وهي سبي الجوع بسبب قلة الزروع ، (ونقص من كنوتهم) ، قال جاهد : وهو ذك ذلك (٣) .

وقال أبو إسحاق ، عن رجاء بن حيوة : كالك النخلة لا تحمل إلا ثمرة واحدة .

(لهم يذكرون . فأذا جاءتهم الحسنة) ، أي : من الحسب والرزق (قالوا : لنا هذه) ، أي : هذا لنا بما نستحقه ، (وإن يصيبكم سيئة) ، أي : حزن وب و تحبط (يطغوا عيسى ومن معه) ، أي : هذا يصيبهم وما جاءوا به .

(ألا إنما طارهم عند الله) ، قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : (ألا إنما طارهم عند الله) يقول : مصائبهم عند الله ، قال [الله] : (ولكن أكثرهم لا يعلمون) (٤) .

وقال ابن جرير ، عن ابن عباس قال : (ألا إنما طارهم عند الله) ، قال : إلا من فسر الله .

(١) سقط من المطبوعة ، ولعل من تصحيف الطبع . الأثر ١٤٩٦٢ : ٢٨٨/١٣ : ٢٩

(٢) نص الطبع : ... أخرج لم يبيعا . بقره .

(٣) تصحيف الطبع : الأثر ١٤٩٦٢ : ١٧٤/١٣ : وأثر رجاء بن حيوة : يحد .

(٤) تصحيف الطبع : الأثر ١٤٩٨١ : ٤٨٤/١٧ .

وَقَالُوا مَهْمَا تَنَبَّأَهُ مِنْ ءَايَةٍ لِّنَسْحَرَنَّهُ بِهَا قَالُوا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ
وَالْبَغَادَ وَالنَّمْلَ ءَايَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَعْرَضُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١١٢﴾ وَلَمَّا وَصَّ طَيْمُ الرِّيزِ قَالُوا يَمُوسَى أَدْعُ
لَنَا وَبِكَ عِمَادُ عَهْدِكَ لَئِنْ كُنْتُمْ عَنَّا الرِّيزُ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١١٣﴾ فَلَمَّا كُنْتُمْ عَنْهُمْ
الرِّيزُ إِلَّا أَجَلٌ هُمْ بَلَّغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿١١٤﴾

هنا إخبار من الله عز وجل عن تسمّد قوم فرعون وعترهم ، وعنادهم للحق وإصرارهم على الباطل في قولهم :
(مهما تنأنا به من آية لئسحرنا بها فأنحن لك بمؤمنين) ، يقولون : أي آية جئتنا بها ودلالة وحجة أثمتها ، رددناها
فلا تقبلها منك ، ولا تؤمن بك ولا بما جئت به ، قال الله تعالى : (فأرسلنا عليهم الطوفان) .
اختلفوا (١) في معناه ، فمن ابن عباس في رواية : كثرة الأمطار المتفرقة للفتنة للزروع والثمار . وبه قال الضحاك
ابن مزاحم .

وقال ابن عباس في رواية أخرى : هو كثرة الموت . وكلنا قال عطاه .

وقال جهماد : (الطوفان) : لكاه ، والطاحون على كل حال .

وقال ابن جرير : حدثنا أبو هشام (٢) الرقاعي ، حدثنا يحيى بن بيان ، حدثنا المنهال بن خليفة ، عن الحجاج ،
عن الحكم بن ميثاء ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الطوفان الموت (٣)) .
وكلنا رواه ابن مروه ، من حديث يحيى بن بيان ، به . وهو حديث غريب .

وقال ابن عباس في رواية أخرى : هو أمر من الله طاف بهم ، ثم قرأ : (فطاف عليها طائف من ربك وهم
فأثمون) .

وأما الجراد المعروف مشهور ، وهو مأكول لا يثبت في الصحيحين عن أبي يعفور قال : سألت عبد الله بن أبي
أوفى عن أنجراد ، فقال : « خرونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات تأكل الجراد (٤) » .
وروي الشافعي ، وأحمد بن حنبل ، وابن ماجه من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن ابن عمر ،
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « وأحللت لنا ميتتان ودمان : الحوت والجراد ، والكبد والطحال (٥) » .

(١) ينظر الأكثر في ذلك في تفسير الطبري : ٥٢ / ١٣ / ٥٢ .

(٢) في المطبوعة : « ابن هشام » . والمثبت من تفسير الطبري ، والتهذيب ، ترجمة يحيى بن بيان : ٣٠٦ / ١١ ، وخرجه
أبو هشام محمد بن يزيد : ٥٢٦ / ٩ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٩٩٦ : ٥١ / ١٣ / ٥١ .

(٤) البخاري ، كتاب الذبائح والصيد ، باب أكل الجراد : ١١٧ / ٧ . وسلم كتاب الصيد ، باب إباحة الجراد :
٧١ / ٧٠ / ٧ .

(٥) حتى هذا الحديث عند الآفة رقم ٩٦ من سورة المائدة ، وخرجه هناك ، ينظر : ١٢ / ٣ / ١٩٤ .

ورواه أبو القاسم البغوي ، عن داود بن رشيد ، عن سويد بن عبد العزيز ، عن أبي تمام الأيلي ، عن زيد بن أسلم ، عن ابن عمر مرفوعا مثله .

وروى أبو داود ، عن محمد بن القرج ، عن محمد بن الزبير بن الأبرق ، عن سليمان التيمي ، عن أبي عثمان ، عن سلمان قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجراد قال : أكثر جنود الله ، لا آكله ، ولا أحرمه (١) ، وإنما تركه عليه السلام لأنه كان يماغه ، كما عافت نفسه الشريفة أكل الفئ ، وأذن فيه :

وقد روى الحافظ ابن عساكر في جزء جمعه في الجراد ، من حديث أبي سعيد الحسن بن علي العلوي ، حدثنا نصر بن يحيى بن سعيد ، حدثنا يحيى بن خالد ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأكل الجراد ، ولا الكلوين ، ولا الفئ ، من غير أن يحرمها . أما الجراد فجزء وعذاب ، وأما الكلوين فلقربهما من البول ، وأما الفئ فقال : « أتخوف أن يكون مسخا » ، ثم قال : غريب ، لم أكنه إلا من هذا الوجه .

وقد كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشتهي ويحبه ، فروى عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر : أن عمر سئل عن الجراد [قال] : ليت أن عتنا منه قنعة أو قنعتين تأكله (٢) .

وروى ابن ماجه : حدثنا أحمد بن منيع ، عن سفیان بن عيينة ، عن أبي سعد سعيد بن المرزبان البقال ، سمع أنس بن مالك يقول : كان لأزواج نبي صلى الله عليه وسلم يهادين الجراد على الأطباق (٣) .

وقال أبو القاسم البغوي : حدثنا داود بن رشيد ، حدثنا بقة بن الوليد ، عن نعيم بن زيد القتيبي ، حدثني أبي ، عن صدي بن صبحان ، عن أبي أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن مريم بنت عمران عليها السلام سألت ربا أن يعلمها لحما لادم له ، فأطعمها الجراد ، فقالت : اللهم أعشه بنير رضاع ، وتابع بيته بنير شجاع (٤) » ، وقال نعيم : « الشجاع » ، الصوت .

وقال أبو بكر بن أبي داود : حدثنا أبو نفي هشام بن عبد الملك البزقي ، حدثنا بقة بن الوليد ، حدثنا إسماعيل ابن عياش ، عن ضمضم بن زوجه ، عن شريح بن عبيد ، عن أبي رهم الهجري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تقاتلوا الجراد ، فإنه جند الله الأعظم » . غريب جداً .

(١) سنن أبي داود ، كتاب الأضحية ، باب في أكل الجراد ، الحديث ٣٩١٣ / ٣ ، ٣٥٧ / ٣ .

(٢) أخرجه الإمام في الموطأ ، كتاب صفة النبي صلى الله عليه وسلم ، باب جامع ما جاء في العلم والشراب ، الحديث ٩٣٣ / ٢ ، ٣ .

والقائمة - يفتح لكثاف وسكون الله - شيء كالقائمة واسعة الأسفل حقيقة الأصل .

(٣) سنن ابن ماجه ، كتاب الصيد ، باب صيد الحيتان والجراد ، الحديث ٣٢٢٠ / ٢ ، ١٠٧٣ / ٢ .

(٤) في جميع الروايات ٣٩١ / ٤ : « ورواه الطبراني في الكبير » ، وفيه بقة وهو ثقة ، ولكنه ملحقه ، وفيه التثنية لم أمره ، وفيه رجاله ثقات .

وفي النهاية : الشجاع - بالكسر - : للمجاهد بالإيمان لتساق وتنجح . وللمنى : تابع يات من غير أن يصلح به .

وقال ابن أبي نجیح ، عن مجاهد ، في قوله تعالى : (فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد) ، قال : كانت تأكل سامير أبياتهم ، وتلع الخشب .

وروى ابن مسافر من حديث علي بن زيد القرظي ، عن محمد بن كثير ، سمعت الأوزاعي يقول : خرجت إلى الصحراء ، فإذا أنا برجل (١) من جراد في السماء ، وإذا برجل راكب على جراد منها ، وهو شاك في الحنك ، وكلما قال (٢) بيده هكذا مال الجراد مع يده ، وهو يقول : الدنيا باطل باطل ، ما فيها الدنيا باطل باطل ، ما فيها الدنيا باطل باطل ما فيها .

وروى الحافظ أبو الفرج المصنف في ذكرها الحريري ، حدثنا محمد بن الحسن بن زياد ، حدثنا أحمد بن عبد الرحيم ، أخبرنا وكيع ، عن الأعمش ، أنبأنا عامر قال : مثل شريح القاضي عن الجراد ، فقال : قبح الله الجراد . فيها خلقة سبعة جبابرة : وأسها رأس فرس ، وعقها عتق ثور ، وصدوها صدر أسد ، وجناحها جناح نسر ، ورجلاها رجلا جمل ، وذنبها ذنب حية . ويطنها بطن عقرب .

وقد تقدمت عنه قوله تعالى : (أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللبهائم) حديث حماد بن مسلمة [عن أبي السهول] ، عن أبي هريرة [قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حج أو عمرة ، فاستقبلنا رجل جراد ، فجلطنا نضره ، بالصبي ، ونحن عرمون ، فسلطنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : لا بأس بصيد البحر (٣)] .

وروى ابن ماجه ، عن هارون الحمال (٤) ، عن هاشم (٥) بن اقام ، عن زياد بن عبد الله بن عكرمة (٦) ، عن موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي ، عن أبيه ، عن أنس وجابر ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنه كان إذا دعا على الجراد قال : « اللهم أهلك كبارهم » ، واقتل صغارهم ، وأفسد بيضهم ، واقطع خابره وعطافواهم من معاشنا ولرزاقنا ، إنك سميع الدعاء . فقال له جابر (٧) : يا رسول الله ، أتدع على جند من أجناد الله يقطع دابرهم ؟ فقال : إنما هو نثرة حوت في البحر . قال هاشم : أخبرني زياد أنه أخبره من وآله ينثره الحوت (٨) . قال : من حقق ذلك أن السمك إذا باض في ساحل البحر فنضب الماء عنه ويذا الشمس ، أنه ينفق كله جرادا طيارا .

(١) الرجل - بكسر الراء - : الجراد الكثير .

(٢) قال بيده : أشار .

(٣) من الحديث وتقريره في : ١٩١/٣ .

(٤) في المطبوعة : « الحاق » . وهو خطأ . وللتب من سنن ابن ماجه ، وينظر التلخيص : ٨/١١ .

(٥) في المطبوعة : « هاشم » . وهو خطأ . وللتب من سنن ابن ماجه ، وينظر التلخيص : ١٨/١١ ، ١٩ .

(٦) وقع في خطوطة الأثر منه « عبد الله بن عكرمة » ، « من أبي المهزم » ، عن أبي هريرة ، وهي زيادة لا موضع لها هنا ، وقد سقطت من الحديث المتقدم على هذا .

(٧) في سنن ابن ماجه : « فقال له رجل » .

(٨) إنك هنا ينتهي نص الحديث كما في سنن ابن ماجه ، كتاب الصيد ، باب صيد الحيتان ، الحديث ٣٢٢١ : ١٠٧٣/٢ .

١٠٧٤ . ولفظ سنن ابن ماجه : « من ولي الحوت ينثره » .

وقلنا عند قوله : (إنا أقم أمثالكم) حديث حمزة رضي الله عنه : « إن الله خلق أمة ، سبابة في البحر وأربعة في البر ، وإن أولها هلاك الجراد » (١) :

وقال أبو بكر بن أبي داود : حدثنا يزيد بن المبارك ، حدثنا عبد الرحمن بن قيس ، حدثنا سالم بن سالم ، حدثنا أبو المنيرة الجوزجاني محمد بن مالك ، عن البراء بن عازب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يأت مع السيف ، ولا نجاة مع الجراد » : حديث قريب (٢) :

وأما (القمل) فمن ابن عباس : هو الوس الذي يخرج من الحنطة : وعنه أنه النخ - وهو الجراد الصغار الذي لا أجنحة له : وبه قال مجاهد ، وعكرمة ، وقاعدة (٣) :

وعن الحسن وسعيد بن جبير : (القمل) : حوام سود صغار :

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : (القمل) : البراغيث :

وقال ابن جرير : (القمل) : جمع وحشها « قملة » ، وهي دابة تشبه القمل ، تأكلها الإبل فيما يلبس ، وهي التي عنها الأضنى بقوله :

قَوْمٌ مُّسَالِحٌ قَمَلًا [أَيْتَانِ] وَمَسَاكِلًا أَجْنًا وَيَا بَا مُؤَصِّلًا (١)

قال : وكان بعض (٤) أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يزعم أن القمل عند العرب « الحنمان » ، واحشها « حمنانة » ، وهي صغار القيردان فوق القممكة (٥) :

وقال الإمام أبو جعفر بن جرير : حدثنا ابن حميد الرازي ، حدثنا يعقوب القتي ، عن جعفر بن أبي المنيرة ، عن سعيد بن جبير قال : لما أتى موسى عليه السلام فرعون قال له : أرسل ممي بن إسرائيل فأرسل الله عليهم

(١) ينظر : ٢٤٩/٣ ، عنه تفسير الآية ٣٨ من سورة الأنعام .

(٢) في خطوة الأزهري ودار الكتب ١٥ : تفسير : « لا دابة مع السيف ، ولا نجاة مع الجراد » . والحديث ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٤٣٩/٦ : وذكر أنه سيف ، وأثر شفه لثاوي في فيض القدير .

(٣) ينظر تفسير الطبري : ٥٤/١٣ ، ٥٥ .

(٤) ديوانه : ١٥٤ ، والسان : مادة : قمل .

(٥) « والأجد » - بضمين - : القري للوقت : يقال : « قلقة أجد » : قوية وثيقة التركيب . و « المؤصدة » : من أوصه الباب ، إذا أعلته .

يقول الأضنى غنظيا كسرى : لسانكا ياد ائي لستك الرماض ، فهم قوم حراثون قد قبلوا ، قدام أيتانوم يماونو قمل ، ويمرون السلاسل ليشوها حل الأجران ، ويجهون في تلقى أبراجها : أما نحن قد جبل أقالينا رزقنا ، ونزتنا من أمثاننا ريقة هويدة الأمصار والقري ، إلى حرية البادية ، فنند ونروح ، ليس لك علينا سلطان . وهذا من شعر أسرار العرب . ينظر تفسير الطبري : ٥٦/١٣ .

(٥) هو أبو مينة ، ينظر مجاز القرآن : ٢٢٦/١ ، ولسان العرب : مادة : قمل .

(٦) التقاطع والحنان في كتب اللغة واحد ، وهي صغار القيردان . ويبنى بقوله : « فوق القممكة » أنه أكبر منها . وينظر تفسير الطبري : ٥٦/١٣ .

الطوفان - وهو المطر - قصب عليهم منه شيئا ، خافوا أن يكون عذابا ، فقالوا لموسى : ادع لنا ربك ليكشف عنا المطر ، فؤمن لك ، وترسل ملك بنى إسرائيل . فدعا ربه ، فلم يؤمنوا ، ولم يرسلوا معه بنى إسرائيل . فأثبت لهم تلك السنة شيئا لم ينبت فيه قبل ذلك من الزرع والشجر والكلأ . فقالوا : هذا ما كنا نتمنى . فأرسل الله عليهم الجراد ، فسلطه على الكلأ ، فلما رأوا أثره في الكلأ عرفوا أنه لا يبقى الزرع ، فقالوا : يا موسى ، ادع لنا ربك ليكشف عنا الجراد فؤمن لك ، وترسل ملك بنى إسرائيل . فدعا ربه ، فكشف عنهم الجراد ، فلم يؤمنوا ، ولم يرسلوا معه بنى إسرائيل ، ففلسوا وأحزوا (١) في البيوت ، فقالوا : قد أحزنا . فأرسل الله عليهم القمل - وهو السوس الذى يخرج منه - فكان الرجل يخرج عشرة أجربة إلى الرعى ، فلا يرد منها ثلاثة أقترة . فقالوا لموسى : ادع لنا ربك ليكشف عنا القمل ، فؤمن لك ، وترسل ملك بنى إسرائيل . فدعا ربه ، فكشف عنهم ، فأبوا أن يرسلوا معه بنى إسرائيل . فبينما هو جالس عند فرعون ، إذ سمع قتيق صدق ، فقال لفرعون : ماتلى أنت وقومك من هذا . قال : وما عسى أن يكون كيد هذا ؟ فأمسوا حتى كان الرجل يجلس إلى ذقنه في الضفادع ، وبهم أن يكلم قتب الضفدع في قيه . فقالوا لموسى : ادع لنا ربك ليكشف عنا هذه الضفادع ، فؤمن لك ، وترسل ملك بنى إسرائيل [فدعا ربه ، فكشف عنهم فلم يؤمنوا] (٢) وأرسل الله عليهم الدم ، فكان ما استقام من الأنهار والآبار ، وما كان في أوصيهم ، وجلبوه دما عتيقا (٣) ، فشكروا إلى فرعون فقالوا : إنا قد أبطينا بالدم ، وليس لنا شراب . فقال : إنه قد يهركم !! فقالوا : من أين يهركم ، ونحن لا نجد [في أوصيتنا شيئا من الماء إلا وجدناه دما عتيقا ؟ فأتوه وقالوا : يا موسى ، ادع لنا ربك ليكشف عنا هذا الدم فؤمن بك ، وترسل ملك بنى إسرائيل . فدعا ربه ، فكشف عنهم ، فلم يؤمنوا ، ولم يرسلوا معه بنى إسرائيل (٤) .

وقد روى نحو هذا عن ابن عباس ، والسدى ، وقادة وغير واحد من علماء السلف (٥) .

وقال محمد بن إسماعيل بن يسار رحمه الله : فرجع عذو الله فرعون حين آمنت السحرة مغلوبا مغضوبا ، ثم أبى إلا الإقامة على الكفر ، وانقاد في الشر ، فتاب الله عليه الآيات ، وأخذه بالسنين ، فأرسل عليه الطوفان ، ثم الجراد ، ثم القمل ، ثم الضفادع ، ثم الدم ، آيات مفصلات . فأرسل الطوفان - وهو الماء - قفاض على وجه الأرض ثم ركد ، لا يقدر على أن يمرث ولا يهملوا شيئا ، حتى جهلوا جرحا ، فلما بلغت ذلك (قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهدت لك ، لئن كشفت عنا الرجز لؤمنن لك وترسل ملك بنى إسرائيل) ، فدعا موسى ربه ، فكشف عنهم ، فلم يقوا له بشىء [مما قالوا] ، فأرسل الله عليهم الجراد ، فأكل الشجر ، فإيا يلغى ، حتى إن كان ليأكل مسامير الأبواب من الحديد ، حتى تقع دعوهم ومساكنهم ، فقالوا مثل ما قالوا ، فدعا ربه ، فكشف عنهم ، فلم يقوا له بشىء مما قالوا ، فأرسل الله عليهم القمل ، فدسركى أن مومن عليه السلام أمر أن يمضى إلى كتيب حتى يضره بمصاه ، فمضى إلى

(١) داسوا الحب : دوسوه ، وأحزوه : حنطوه .

(٢) ما بين التوسين سبيل من ضلوة الأضر ، ونصها موافق لنص ضلوة العبرى . وقد قدر السدى محقق تفسير العبرى ما به يستقيم السياق .

(٣) الدم العتيق : الطرى .

(٤) تفسير العبرى ، الأثر ١٤ : ١٣ ، ٥٧ ، ٥٨ .

(٥) ينظر تفسير العبرى : ١٣ ، ٥٨ - ٦٧ .

كعب أميئيل^(١) عظيم ، فغمره بها ، فانتال عليهم قسلا ، حتى غلب على البيوت والأطعمة ومنهم النور والقسرة ، فلما جهنهم قالوا له مثل ما قالوا له ، فدما ربه ، فكشف عنهم ، فلم يفوا له بشيء مما قالوا . فأرسل الله عليهم الضفادع ، فلبثت البيوت والأطعمة والآية ، فلا يكشف أحد ثوبا ولا طلعما إلا وجد فيه الضفادع ، قد غلبت عليه ، فلما جهنهم ذلك قالوا له مثل ما قالوا ، فسأل ربه ، فكشف عنهم ، فلم يفوا له بشيء مما قالوا . فأرسل الله عليهم الدم ، فصارت مياه آل فرعون دما ، لا يستقون من بئر ولا نهر ، ولا يفرغون من إزاء ، إلا عاد دما حبيطا^(٢) ،

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن منصور المزوي ، أنبأنا النضر ، أنبأنا جابر بن يزيد ، عن حكمة ، قال عبد الله بن عمرو : لا تخطوا الضفادع ، فإنها لا أرسلت حل [قوم فرعون^(٣)] انطلق ضفدح منها فوق في تنور فيه نار ، يطلب بذلك مرضاة الله ، فأبطن الله [من هنا] أبرد شيء يطمه من لئاء ، وجعل تقيهن السليح . وروي من طريق حكمة ، عن ابن عباس ، نحوه^(٤) ،

وقال زيد بن أسلم : يعني بالدم : الرحا . رواه ابن أبي حاتم^(٥) :

فَأَنقَضْنَا مِنْهُمْ فَاغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ رَأْسَهُمْ كَذِبًا وَأَيُّهَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿٦٦﴾ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَفُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا أُولَئِكَ فِي بَرْكَهَا وَعَمَّتْ كُلُّ يَدٍكَ الْحَسَى عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانُوا يَمْسِكُونَ ﴿٦٧﴾

يجز تعالى أنهم لا حقوا وتسدوا مع ابتلاهم إياهم بالآيات المتواترة واحدة بعد واحدة ، انقم منهم بإغراقه إياهم في اليم ، وهو البحر الذي غرقه موسى فجاوزه وبني إسرائيل معه ، ثم وردّه فرعون وجنوده على أثرهم ، فلما استكملوا فيه ارتطم عليهم ، فغرقوا عن آخرهم ، وذلك بسبب تكذيبهم بآيات الله وتناقلهم عنها .

وأخبر تعالى أنه أورث القوم الذين كانوا يستضفون — وهم بني إسرائيل — (مشرق الأرض ومغربها) كما قال تعالى : (ونريد أن نمن على الذين استضفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ويجعلهم الواصلين . ونمكن لهم في الأرض ونؤتيهم فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحلمون^(٦)) ، وقال تعالى : (كم تركوا من جنات وعيون . وزروع ومقام كريم . ونعمة كانوا فيها فاكهين . كذلك وأورثناها قوما آخرين^(٧)) .

(١) كعب أميئيل : مهال ، لا يثبت دمه حتى يسقط .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٠٢٣ : ٦٣/١٣ ، ٦٤ .

(٣) في المخطوطة : « حل بني إسرائيل » . وأثبتنا في الطبقات السابقة .

(٤) رواه ابن جرير الطبري ، الأثر ١٥٠٢٢ : ٦٣/١٣ ، ونسق منه ليوضح المقصود برواية ابن أبي حاتم : وكانت الضفادع برية ، فلما أرسلها الله حل آل فرعون ، سميت وأطاعت ، فسلطت ترقق أنفسها في القصور وهي تنقل ، وفي النتائج وهي تلور ، فأثابها الله بحسن طاعتها يرد الله .

(٥) وكلا رواه الطبري ، الأثر ١٥٠٢٨ : ٦٨/١٣ .

(٦) سورة القصص ، الآية : ٦٠٥ .

(٧) سورة الشعراء ، الآيات : ٢٥ — ٢٨ .

ومن الحسن البصري وقادة ، في قوله : (مشارق الأرض ومطارها التي باركنا فيها) ، يعني : الشام (١) ، وقوله : (ونعت كلمة ربك الحسنى على بنى إسرائيل بما صبروا) ، قال مجاهد وابن جرير : وهى قوله تعالى : (ولربك أن تن على الذين استضعفوا فى الأرض ويحبهم أمة ويحبهم الوارثين . وتمكن لهم فى الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحسدون) (٢) : وقوله : (وحسنا ما كان يصنع فرعون وقومه) ، أى : وخوبنا ما كان فرعون وقومه يصنعونه من العمارات والمزارع ، (وما كانوا يمشون) ، قال ابن عباس ومجاهد : (يمشون) : يبنون (٣) .

وَجِئْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْيَمِّ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَمْكُونُ عَلَى أَصْنَامِهِمْ قَالُوا يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَبْهَلُونَ ﴿١٦٥﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَّبِعُوا مَا هُمْ فِيهِ وَيَنْطِلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٦﴾

يعبر تعالى عما قاله جبرئيل بنى إسرائيل لموسى عليه السلام حين جاوزوا البحر ، وقد رأوا من آيات الله وعظم سلطانه ما رأوا ، (فأتوا) ، أى : فروا (على قوم يمشون على أصنام لهم) ، قال بعض المفسرين : كانوا من الكنعانيين ؛ وقيل : كانوا من تخم (٤) .

قال ابن جرير (٥) : وكانوا يمشون أصناما على صور البقر ، فلهذا أثار ذلك شبهة لهم فى عبادتهم المعجل بعد ذلك ، فقالوا : (يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة . قال : إنكم قوم تجهلون) ، أى : تجهلون عظمة الله وجلاله ، وما يجب أن يتره عنه من الشريك والثلث ؛ (إن هؤلاء متبع ما هم فيه) ، أى : حالك (وماطل ما كانوا يعملون) ؛

وروى الإمام أبو جعفر بن جرير فى تفسير هذه الآية من حديث محمد بن إسحاق وحديث ومعد كلهم ، عن الزهري ، عن سنان بن أبي سنان ، عن أبي واقد الليثي : أنهم خرجوا من مكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين ، قال : وكان لكفار سدرة يمشون عندها ، ويطلقون بها أسلحتهم ، يقال لها : ذات أنواط ؛ قال : فررتا بسلوة (٦) خضراء عظيمة ، قال : قلنا : يا رسول الله ، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط . فقال : قلتم ، والذى نفسى بيده ، كما قال قوم موسى : (اجعل لنا إلها كما لهم آلهة : قال : إنكم قوم تجهلون) ، إن هؤلاء متبع ما هم فيه وماطل ما كانوا يعملون (٧) ؛

(١) ينظر تفسير البصري ، الآثار ١٥٠٤٣ - ١٥٠٤٧ : ٧٦ / ١٣ ، ٧٧ .

(٢) تفسير البصري : ٧٧ / ١٣ ، ٧٨ . والآيتين من سورة القصص ٦٤٥ .

(٣) تفسير البصري ، الآثار ١٥٠٥٠ - ١٥٠٥٣ : ٧٨ / ١٣ ، ٧٩ .

(٤) تفسير البصري : ٨١ / ١٣ .

(٥) أثر ابن جرير فى تفسير البصري ١٥٠٥٣ : ٨٠ / ١٣ .

(٦) السدرة : شجرة التين .

(٧) الآثار فى تفسير البصري برقم ١٥٠٥٥ - ١٥٠٥٨ : ٨١ / ١٣ ، ٨٢ . وقد ساق ابن كثير رواية مقبل عن ابن عباس ، وخاتمة هذه الرواية : وقال : قلتم ، والذى نفسى بيده ، ما قال قوم موسى : (اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ، قال : إنكم قوم تجهلون) إنها السدرة . تركب سنن من كان قبلهم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن الزهري ، عن سنان بن أبي سنان [الديلي] ، عن أبي واقد الليثي قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل حنين ، فرزنا بسفرة ، فقلت : يا نبي الله ، اجعل لنا هذه ذات أنواط ، كما لكفار ذات أنواط ، وكان الكفار يتواطون^(١) سلاحهم بسفرة ، ويعتفون حولها ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : الله أكبر ، هذا كما قالت بنو إسرائيل لموسى : (اجعل لنا إلها كما لهم آلهة) إنكم تركبون صنن من قبلكم^(٢) :

ورواه ابن أبي حاتم ، من حديث كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف اللزني ، عن أبيه ، عن جده مرفوعاً :

قَالَ أَخِيرَ اللَّهِ أَنْبِيَاءُ النَّاسِ وَهُوَ فَضْلُكَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ وَإِلَٰهَ الْفَجِينِمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسْمُونَكَ سَوْءَ الْعَالَمِينَ يُقْتَلُونَ أَنْبَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَهُمْ وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكَ عَظِيمٌ ﴿٢﴾

يلذكهم موسى عليه السلام بنعمة الله عليهم ، من إتيانهم من أسر فرعون وقهره ، وما كانوا فيه من المحوان والللة ، وما صاروا إليه من العزة والاشتهاء من علومهم والنظر إليه في حال هوانه وهلاكه : وقرئته ودماره . وقد تقدم تفسيرها في البقرة^(٣) .

وَوَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ رَفْعَةٍ وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٣٦﴾

يقول تعالى مما على بني إسرائيل ، ما حصل لهم من الهداية ، بتكليمه موسى عليه السلام ، وإدائه التوراة وطيها أحكامهم وتقاضيل شرعهم ، فذكر تعالى أنه واحد موسى ثلاثين ليلة .

قال للقسرون : فصامها موسى عليه السلام ، فما تم للمقات استاك بلحاء شجرة ، فأمره الله تعالى أن يكل بمشر أربعين .

وقد اختلف القسرون في هذه المشر ما هي ؟ فالاكترون على أن الثلاثين هي ذو القعدة ، والعشر عشر ذي الحجة ، قاله مجاهد ، ومسروق ، وابن جريج . وروى عن ابن عباس . قيل هذا يكون قد كل المقات يوم النحر ، وحصل فيه التكليم لموسى عليه السلام ، وفيه آكل الله النبي لحمد صلى الله عليه وسلم ، كما قال تعالى : (اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام ديناً)^(٤) .

فما تم للمقات عزم موسى على اللهاب إلى الطور ، كما قال تعالى : (يا بني إسرائيل قد أنجيتكم من عذركم وواعدناكم بجانب الطور الأمين)^(٥) . الآية ، فحيث استخلف موسى على بني إسرائيل أثناء هارون ، وأوصاه

(١) يتواطون : يلتقون .

(٢) سنة الإمام أحمد : ٢١٨/٥ .

(٣) ينظر لها تقدم : ١٢٨/١ .

(٤) سورة المائدة ، الآية : ٣ .

(٥) سورة طه : الآية : ٨٥ .

بالإصلاح وعدم الإسناد : وهذا تبييه وتذكير ، وإلا فهارون عليه السلام نبي شريف كريم على الله ، وله وجاعة وجلالة ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر الأنبياء .

وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِيكَ وَلَكِنِ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَفْزَعَكَ فَفُوتَ رَبَّنِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ سُجَّدًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ مُبِينُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٥﴾

يخبر تعالى عن موسى عليه السلام أنه لما جاء لِمِيقَاتِنَا الله تعالى ، وحصل له التكليم من الله ، سأل الله تعالى أن ينظر إليه فقال : (رب أرني أنظر إليك ، قال لن تراني) .

وقد أشكل حرف « لن » هاهنا على كثير من العلماء ، لأنها موضوعة لنفي التأيد ، فاستدل به المعتزلة على نفي الرؤية في الدنيا والآخرة . وهذا أضعف الأقوال ، لأنه قد تواترت الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن المؤمنين يرون الله في الدار الآخرة ، كما سنوردنا عند قوله تعالى : (وجوه يومئذ ناضرة . إلى ربها ناظرة) . وقوله تعالى إنيهاراً عن الكفار : (كلا إنهم من ربهم يومئذ لمحجوبون) .

وقيل : إنها لنفي التأيد في الدنيا ، جمعا بين هذه الآية ، وبين الدليل القاطع على صحة الرؤية في الدار الآخرة ؛ وقيل : إن هذا الكلام في هذا المقام كاللحاح في قوله تعالى : (لا تترك الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير) ، وقد تقدم ذلك في الأنعام (١) :

وَنَ الْكُتُبِ الْمَقْنُوعَةِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِمُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « يَا مُوسَى ، إِنَّهُ لَا يَرَانِي حَتَّىٰ إِلَّا مَاتَ ، وَلَا يَابِسَ إِلَّا تَدَهُدَهُ » (٢) ، « فَلَمَّا قَالَ تَعَالَى : (فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ سُجَّدًا) . قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ بْنُ جَرِيرٍ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سَهِيلٍ الْوَاسِطِيُّ ، حَدَّثَنَا قُرَّةُ بْنُ عِيسَى ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ ، عَنْ رَجُلٍ « عَنْ أَنَسٍ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ ، أَشَارَ بِإصْبَعِهِ ، فَجَعَلَهُ دَكًّا - وَارْتَأَىٰ أَبُو إِسْمَاعِيلَ بِإصْبَعِهِ السَّبَابَةَ (٣) .

هذا الإسناد فيه رجل مبهم لم يسم ، ثم قال : حدثني المنثي ، حدثنا حجاج بن منهل ، حدثنا حماد ، عن ليث ، عن أنس : أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية : (فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا) ، قال (٤) هكُنَّا بِإصْبَعِهِ - وَوَضَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإصْبَعِهِ الْإِصْبَاعَ عَلَى الْمَقْصَلِ الْأَعْلَى مِنَ الْخُصْرِ - فَسَاحَ الْجَبَلُ (٥) .

(١) ينظر تفسير الآية ١٠٢ من سورة الأنعام : ٣٠٢/٤ - ٣٠٥ .

(٢) مضي هذا الأثر في : ٣٠٤/٢ وشرح غريبه هناك .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٠٨٦ : ٩٨/١٣ .

(٤) قال « هنا معنى : أشار .

(٥) تفسير الطبري الأثر ١٥٠٨٧ : ٩٨/١٣ .

هكذا وقع في هذه الرواية - حماد بن سلمة ، عن ليث ، عن أنس : « والشهور : - حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس » ، كما قال ابن جرير :

حدثني المثنى ، حدثنا هبة بن خالد ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : (فلما تجل ربه للجبل جعله دكا) ، قال : وضع الإبهام قريبا من طرف خنصره ، قال : فساخ الجبل - قال حميد لثابت : تقول هذا ؟ فرفع ثابت يده فضرب صدر حميد ، وقال : يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقول أنس ، وأنا أكنمه (١) ؟

وهكذا رواه الإمام أحمد في مسنده : حدثنا أبو الليث ، معاذ بن معاذ البصري ، حدثنا حماد بن سلمة ، حدثنا ثابت البناني ، عن أنس بن مالك ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : (فلما تجل ربه للجبل) ، قال : قال هكذا - يعني أنه أخرج طرف الخنصر - قال أحمد : لروانا معاذ ، فقال له حميد الطويل : ما تريد إلى هذا يا أبا حميد ؟ قال : فضرب صدره ضربة شديدة وقال : من أنت يا حميد ؟ ! وما أنت يا حميد ؟ ! يحدثني به أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم [فتقول أنت ؟] (٢) ما تريد إليه ؟ !

وهكذا رواه الترمذي في تفسير هذه الآية عن عبد الوهاب بن الحكم الرزقي ، عن معاذ بن معاذ ، به - وعن عبد الله بن عبد الرحمن اللاري ، عن سليمان بن حرب ، عن حماد ، به . ثم قال : « هذا حديث حسن صحيح قريب لا نرفعه إلا من حديث حماد » (٣) .

وهكذا رواه الحاكم في مستدركه من طرق ، عن حماد بن سلمة ، به : وقال : « هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه » (٤) .

ورواه أبو محمد الحسن بن محمد اللؤلؤ ، عن محمد بن علي بن سويد ، عن أبي القاسم البغوي ، عن هبة بن خالد عن حماد بن سلمة ، فذكره وقال : « هذا إسناد صحيح لا علة فيه .

وقد رواه خلاد بن الخير عن شعبة عن ثابت عن أنس مرفوعاً ، بنحوه ، وأسنده ابن مردويه من طريقين ، عن سعيد بن أبي حروبة ، عن قتادة ، عن أنس مرفوعاً [بنحوه] ، وأسنده ابن مردويه من طريق ابن أبي عمير ، عن أبيه ، عن ابن عمر مرفوعاً [، ولا يصح أيضاً .

وقال السدي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قول الله تعالى : (فلما تجل ربه للجبل) ، قال : ما تجل منه إلا قدر الخنصر - (جعله دكا) ، قال : تراباً - (وغير موسى صقلاً) ، قال : مفضياً عليه .

رواه ابن جرير (٥) .

وقال قتادة : (وغير موسى صقلاً) ، قال : ميتاً .

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٠٨٨ : ٩٩/١٣ .

(٢) مكانه في خطبة الأثر : « يقول » ، وللتبني من مسند الإمام أحمد : ١٢٥/٣ .

(٣) تحفة الأسماء ، تفسير سورة الأعراف ، الحديثان ٥٠٦٩ ، ٥٠٧٠ : ٤٠١/٨ ، ٤٠٢ .

(٤) المستدرک ، تفسير سورة الأعراف : ٣٢٠/٢ ، ٣٢١ .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٠٧٨ : ٩٧/١٣ .

وقال سفيان الثوري : صالح الجبل في الأرض ، حتى وقع في البحر فهو يذهب معه (١) .

وقال سفيان (٢) ، عن حجاج بن محمد الأعور ، عن أبي بكر الملقب : (فلما تجلّ به للجبل جماعه دكا) ، اضمحل فدخل تحت الأرض ، فلا يظهر إلى يوم القيامة .

وجاء في بعض الأخبار أنه صالح في الأرض ، فهو يهوى فيها إلى يوم القيامة ، رواه ابن مردويه .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا عمر بن شبة ، حدثنا محمد بن يحيى أبو ضان الكتاني ، حدثنا عبد العزيز بن همران ، عن معاوية بن عبد الله ، عن الجبل بن أيوب ، [عن معاوية] بن قرة (٣) عن أنس بن مالك : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تجلّ الله للجبال ، طارت اعظمته ستة أجبل ، فوُقت ثلاثة بالمدينة وثلاثة بحكة بالمدينة : أحد ، وورقان ، ورضوى : ووقع بحكة : حراء ، وثبير ، وثور » .

وهذا حديث غريب ، بل منكر .

وقال ابن أبي حاتم : ذكر عن محمد بن عبد الله بن أبي التلج ، حدثنا الحسيم بن خارجة ، حدثنا عثمان بن حصيص ابن علقم ، عن عروة بن ربيعة قال : كانت الجبال قبل أن يتجلى الله لموسى على الطور صمًا صمًا ، فلما تجلّى الله لموسى على الطور ذلك ، وتقطرت الجبال فصارَت الشقوق والكهوف .

وقال الربيع بن أنس : (فلما تجلّى به للجبل جمعه دكا وخسر موسى صمًا) ، وذلك أن الجبل حين كشف الغطاء ورأى النور ، صار مثل ذلك من الدكا (٤) . وقال بعضهم : (جمعه دكا) أي : فته .

وقال مجاهد في قوله : (ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراه) ، فإنه أكبر منك وأشد خلقاً ، (فلما تجلّى به للجبل) ، فنظر إلى الجبل لا يبالك ، وأقبل الجبل فلك على أوله (٥) ، ورأى موسى ما يصنع الجبل ، فخر صمًا .

وقال عكرمة : (جمعه دكاه) ، قال : نظر الله إلى الجبل ، فصار صحراء تراباً (٦) .

وقد قرأ هذه القراءة بعض القراء (٧) ، واختارها ابن جرير ، وقد ورد فيها حديث مرفوع رواه ابن مردويه .

(١) أثر قاطع في تفسير الطبري رقم ١٥٠٨٦ : ٩٧/١٣ . وأثر الثوري رقم ١٥٠٧٤ : ٩٨/١٣ .

(٢) في تفسير الطبري ٧٨/١٣ : « حسين ، من الحجلاج » وسفيان بن داود المصيصي ، أبو حل المختص ، واسمه الحسين ، وسفيان لقب . ينظر التلخيص : ٢٤٤/٤ .

(٣) في الخلوقة : « أيوب بن قرة » ولما كنت من المرح لاين أبي حاتم : ٤٨/١٠ .

(٤) ذلك : ما استوى من الرمل ، وجمعه : دكا يكسر الدال . والأثر في تفسير الطبري رقم ١٥٠٨٩ : ٩٩/١٣ ، وفيه : « ذلك من الدكات » .

(٥) في تفسير الطبري ، الأثر ١٥٠٩٠ : ١٠٠/١٣ : « ينك على أوله » .

(٦) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٠٩١ : ١٠١/١٣ .

(٧) هي قراءة حمزة والكسائي . ينظر البحر المحيط لأبي حيان : ٢٨٤/٤ .

والمعروف أن «الصَّخْرَ» هو النَّشْأَ هاهنا ، كما فسره ابن عباس وغيره ، لا كما فسره قتادة بالموت ، وإن كان ذلك صحيحاً في اللغة ، فتوَّله تعالى : (ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ، ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون)^(١) ، فإن هنا قرينة تدل على الموت كما أن هناك قرينة تدل على النشأ ، وهي قوله : (فلما أنفak) ، والإنفاة إذا تكون من غَشِيَ .

(قال سبحانه) ، ترجوا وتظلموا ولجلاً أن يراه أحد في الدنيا إلا مات .

وقوله : (ثبت إليك) ، قال مجاهد : أن أسألك الرؤية (؟) .

(وأنا أول المؤمنين) ، قال ابن عباس ومجاهد : من بنى إسرائيل (٢) ؛ واختاره ابن جرير ، وفي رواية أخرى عن ابن عباس : (وأنا أول المؤمنين) أنه لا يراك أحد (٣) ؛ وكلما قال أبو العالية : قد كان قبله مؤمنون ، ولكن يقول : أنا أول من آمن بك أنه لا يراك أحد من خلقك إلى يوم القيامة .

وهذا قول حسن له إنجاه . وقد ذكر محمد بن جرير في تفسيره هاهنا أثرًا طويلًا فيه فرائبه وعجائبه ، عن محمد ابن إسحاق بن يسار (٤) ، وكأنه نقاه من الإسرائيليات ، والله أعلم .

وقوله : (وغر موسى صمًا) ، فيه أبو سعيد وأبو هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فلما حدث أبو سعيد فأسنده البخاري في صحيحه هاهنا ، فقال :

حدثنا محمد بن يوسف ، حدثنا سفيان ، عن عمرو بن يحيى للزقي ، عن أبيه ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : جاء رجل من اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم قد لطم وجهه ، فقال : يا محمد ، إن رجلاً من أصحابك من الأنصار [لطم في وجهي (٥)] . قال : ادعوه ، فدعوه ، قال : لم لطمت وجهه ؟ قال : يا رسول الله ، إني مررت باليهود فسمعتهم يقولون : واللي اصطفي موسى على البشر : قال ، [قلت] : وعلى محمد ؟ فأعذني غيبة فطمته ، قال : لا تخبروني من بين الأنبياء ، فإن الناس يصعقون يوم القيامة ، فأكون أول من يفيق ، فلما أنا بموسى أخذ بقائمة من قوائم العرش ، فلا أدري أفاق قبل أم جاوزي بصممة الطور (٦) .

وقد رواه البخاري في أماكن كثيرة من صحيحه ، ومسلم (٨) في أحاديث الأنبياء من صحيحه ، وأبو داود في كتاب (٩) « السنة » من سننه من طرق ، عن عمرو بن يحيى بن عمارة بن أبي الحسن للزقي الأنصاري المدني ، عن أبيه ، عن أبي سعيد محمد بن مالك بن سنان الخدري ، به .

(١) سورة الزمر ، الآية : ٦٨ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٠٩٨ : ١٥٣/١٣ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٥١٠٠ : ١٥٤/١٣ ، وأثر جلد بعده .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٠٩٥ : ١٥٣/١٣ ، وأثر أبي العالية قبله .

(٥) هو الأثر رقم ١٥٠٧٧ : ١٥١/١٣ - ٩٦ .

(٦) في المخطوطة : « لطم وجهه » . وهو خطأ ، وأصح من الصحيح .

(٧) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، تفسير سورة الأعراف : ٧٤/٦ ، ٧٥ . وكتاب النبات ، باب إذا لم المسلم حديثاً : ١٦/٩ .

(٨) مسلم ، كتاب الفضائل ، باب من قاتل موسى صلى الله عليه وسلم : ١٠٢/٧ .

(٩) سنن أبي داود ، كتاب السنة : باب ١٣ .

وأما حديث أبي هريرة قال الإمام أحمد في مسنده :

حدثنا أبو كامل ، حدثنا إبراهيم بن سعد ، حدثنا ابن شهاب ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن وعبد الرحمن الأعرج ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : استب رجلان : رجل من المسلمين ، ورجل من اليهود ، فقال المسلم : « والذي اصطفى محمداً على الملائكة » وقال اليهودي : « والذي اصطفى موسى على العالمين » فغضب المسلم على اليهودي فظلمه (١) ، فألق اليهودي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسأله فأنشده (٢) ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاعتزك بذلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تخبروني على موسى ، فإن الناس يصمقون يوم القيامة ، فأكون أولك من يفتق ، فاجد موسى ممسكاً بجانب العرش ، فلا أدرى أكان (٣) عن صحت فأناق قبل ، أم كان من استنائه الله عز وجل (٤) .

أخرجنا في الصحيحين ، مع حديث الزهري (٥) ، به .

وقد روى الحافظ أبو بكر بن أبي الدنيا رحمه الله : أن الذي لم اليهودي في هذه القضية هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، ولكن تقدم في الصحيحين أنه رجل من الأنصار ، وهذا هو أصح وأصح ، والله أعلم .

والكلام في قوله عليه السلام : « لا تخبروني على موسى » ، كالكلام على قوله : « لا تفضلوني على الأنبياء ولا على يونس بن متى » ، قيل : من باب التواضع . وقيل : قيل أن يعلم بذلك : نهي أن يفضل بينهم على وجه الغيبة والنصب . وقيل : على وجه القول بمجرد الرأي والشبهة ، والله أعلم .

وقوله : « فإن الناس يصمقون يوم القيامة » ، الظاهر أن هذا الصمق يكون في صرعات القيامة ، يحصل أمر يصمقون منه ، والله أعلم به . وقد يكون ذلك إذا جاء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء ، وتجلى للخلق الملك الكنان ، كما صمق موسى من تجلي الرب عز وجل ، ولهذا قال عليه السلام : « فلا أدرى أفاق قبلي أم جاوزي بصمعة الطور » ؟

وقد روى القاضي عياض في أوائل كتابه « الشفاء » بسنده عن محمد بن محمد بن مرزوق : حدثنا قتادة ، حدثنا الحسن ، عن قتادة ، عن يحيى بن وثاب ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تجلي الله لموسى عليه السلام ، كان يصير أمته على الصفا في الليلة الظلماء ، صبرة أميرة فراسخ » ، ثم قال : « ولا يبعد على هذا أن يخص نبيا بما ذكرناه من هذا الباب بعد الإسماء والمخطوطة بما رأى من آيات ربه الكبرى » .

انتهى ما قاله ، وكأنه صحح هذا الحديث ، وفي صحت نظر ، ولا غلو رجال إسناده من يجاهل لا يعرفون ، ومثل هذا إنما يقبل من رواية العدل الضابط عن مثله ، حتى ينتهي إلى متناه ، والله أعلم .

(١) لفظ المسند : « فغضب المسلم فظلم من اليهودي » .

(٢) لفظ المسند : « فألق اليهودي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنشده بذلك » ، فدعا

(٣) في المسند : « فبين صمق » .

(٤) مسند الإمام أحمد : ٢٦٤/٢ .

(٥) صحيح البخاري ، باب ما يذكر في الأشخاص والمصنوعة بين المسلم واليهودي : ٨٧/٢ . وكتاب الأنبياء ، باب وفاة موسى وذكره به : ١٩٢/٤ . وكتاب الرقاق ، باب نفع الصور : ١٢٥/٨ . ومسلم كتاب الفضائل ، باب من فضائل موسى صلى الله عليه وسلم : ١٩١/٧ ، ١٠٢ .

قَالَ يَوْمَئِذٍ إِنَّيَ أَصْلَحْتُكُمْ عَلَى الْإِنْسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمَتِي نَحْنُ مَا أَتَيْنَكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٠﴾ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَارِجِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَنَحْنُهَا بَقَرَةٌ وَأَمْرٌ قَوْمَكَ بِأَخْذِهَا بِأَحْسَنِ سَآوِرٍ يَكُونُ دَارَ الْفَيْفِيفِ ﴿١١﴾

يذكر تعالى أنه خاطب موسى بأنه اصطفاه على عالى زمانه برسالته وبكلامه تعالى ، ولا شك أن محمداً صلى الله عليه وسلم سيد ولد آدم من الأولين والآخرين ، ولما اختصه الله تعالى بأن جعله خاتم الأنبياء والمرسلين ، التي تستمر شريعته إلى قيام الساعة ، وأتباعه أكثر من أتباع سائر الأنبياء والمرسلين كلهم ، ويعد في الشرف والتفضل إبراهيم الخليل عليه السلام ، ثم موسى كليم الرحمن عليه السلام ، ولهذا قال تعالى له : (فخذ ما آتيتك) ، أى : من الكلام والمناجاة (وكن من الشاكرين) ، أى : على ذلك ، ولا تطلب ما لا طاقة لك به :

ثم أخبر تعالى أنه كتب له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء ، قيل : كانت الألواح من جوهر ، وأن الله تعالى كتب له فيها مواعظ وأحكاماً مفصلة مهيئة للحلال من الحرام ، وكانت هذه الألواح مشتقة على التوراة التي قال الله فيها : (ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى ، بصائر للناس) (١) .

وقيل : الألواح أعطياها موسى قبل التوراة ، فافهم . وعلى كل تقدير كانت كالتصويص له عما سأل من الرؤية وسُئِلَ عنه ، والله أعلم .

وقوله : (فخذها بقوة) ، أى : بعزم على الطاعة ، (وأمر قَوْمَكَ بِأَخْذِهَا بِأَحْسَنِهَا) ، قال سفيان بن عيينة : حدثنا أبو سعيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : (أمر موسى عليه السلام أن يأخذ بأشد ما أمر قومه) (٢) .

وقوله : (ساريتكم دار القاسقين) ، أى سزون عاقبة من خالف أمرى ، وبخرج عن طاعنى ، كيف يصير إلى الملك والدمار والحباب ؟ .

قال ابن جرير : وإنما قال : (ساريتكم دار القاسقين) ، كما يقول القائل لمن غطاه : « ساريتك غدا إلام يصير إليه حال من خالف أمرى » ، على وجه التهديد والوعيد لمن عصاه وخالف أمره (٣) :

ثم نقل معنى ذلك عن مجاهد ، والحسن البصري (٤) .

وقيل : معناه (ساريتكم دار القاسقين) ، أى : من أهل الشام ، وأعطيتكم إياها . وقيل : منازل قوم « فرعون » ، والأول أولى ، والله أعلم ، لأن هذا كان بعد انفصال موسى وقومه عن بلاد مصر ، وهو خطاب لى إسرائيل قبل دخولهم إليه ، والله أعلم .

(١) سورة القصص ، الآية : ٤٣ .

(٢) تفسير الطبرى ، الأثر ١١١٦ : ١١٠/١٣ .

(٣) تفسير الطبرى : ١١٠/١٣ .

(٤) ينظر آثارهما في تفسير الطبرى : ١١١/١٣ .

مَصْرُفٌ عَنْ عَائِشَةَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ نَبَاٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ
الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغِيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَبُوا بِعَاقِبَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١١٠﴾
وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِعَاقِبَاتِنَا وَلَقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أُعْمَلُهُمْ هَلْ يَعْرِضُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١١﴾

يقول تعالى : (مَصْرُفٌ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ) ، أى : سامعون فهم الحجاج والأدلة الدالة
على عظمتي وشريعتي وأحكمتي قلوب المتكبرين عن طاعتي ، ويتكبرون على الناس بِغَيْرِ حَقٍّ ، أى : كما استكبروا بِغَيْرِ
حقٍّ أَذْنَهُمْ اللَّهُ بِالْجَهْلِ ، كما قال تعالى : (وتقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة) (١) ، وقال تعالى :
(فلما زأغوا زأغ الله قلوبهم) (٢) .

وقال بعض السلف : لا يقال العلم حَقٌّ ولا مستكبر .

وقال آخر : من لم يصبر على ذلك العلم ساحة ، يَبْقى في ذلك الجهل أبداً .

وقال سفيان بن عُيَيْنَةَ في قوله : (مَصْرُفٌ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ) ، قال : أُنزِعَ مِنْهُمْ
فهم القرآن ، وأَصْرَفَ عَنْ آيَاتِي (٣) ،

قال ابن جرير : وهذا يدل على أن هذا خطاب لهذه الأمة (٤) .

قلت : ليس هذا بلازم ، لأن ابن عيينة إنما أراد أن هذا مطرد في حق كل أمة ، ولا فرق بين أحد وأحدى (٥) ، هذا ،
والله أعلم .

وقوله : (وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا) ، كما قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ هَمَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ،
وَلَوْ جَاءَهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الصَّلَافَ الْأَلَمَ) (٦) .

وقوله : (وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا) ، أى : وَإِنْ ظَهَرَ لَهُمْ سَبِيلُ الرُّشْدِ ، أى : طريق النجاة
لا يسلكوها ، وَإِنْ ظَهَرَ لَهُمْ طريق الهلاك والضلال لا يتخلوه سبيلاً .

ثم علل مصيرهم إلى هذه [الحال] بقوله : (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا) ، أى : كذبت بها قلوبهم ، (وكانوا عنها
غافلين) - أى : لا يعملون شيئاً مما فيها .

(١) سورة الأنعام ، الآية : ١١٠ .

(٢) سورة الصف ، الآية : ٥٠ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١١٢/١٣ : ١١٢/١٣ .

(٤) تفسير الطبري : ١١٢/١٣ .

(٥) في هذا الاعتراض على فهم ابن جرير لكلام ابن عيينة نظر ، فإنه قال : « أُنزِعَ مِنْهُمْ فهم القرآن » ، والقرآن لم
يتركز إلا على هذه الأمة .

(٦) سورة يونس ، الآية : ٩٦ ، ٩٧ .

وقوله : (والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم) ، أى : من فُحِّلَ منهم ذلك واستمر عليه إلى المات ، حبط عمله :

وقوله : (هل يجوزون إلا ما كانوا يعملون) ، أى : إنما يجازيهم بحسب أعمالهم التى أسلفوها ، إن خيراً فخير وإن شراً فشر ، وكما تدلُّن تُدْكَان

وَأَخَذَ قَوْمٌ مَوْعِنًا مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ حُلِيِّمْ بِجِلْدٍ جَسَدًا لَهُ خَوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يَكْلَمُهُمْ وَلَا يَسْمَعُهُمْ سِيلاً أَحَدُهُمْ وَكَانُوا غَالِبِينَ ﴿١١١﴾ وَلَمَّا سَفِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا إِنَّ لَنَا رَحِمًا رَبَّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنْهُ أَنْتَاسِرِينَ ﴿١١٢﴾

غير تعالى عن ضلال من عكَّ من بين إسرائيل في عبادتهم العجل ، الذى اختلعه لم السامري من حبل القبط ، الذى كانوا استعاروه منهم ، فشكل لهم منه عجلاً ، ثم أتى فيه القبضة من التراب التى أدخلها من أثر فرس جبريل عليه السلام ، فصار عجلاً جسداً له خوار ، « والخوار » صوت البقر : وكان هذا منهم بعد دعاب موسى ليقاط ربه تعالى ، وأعلمه الله تعالى بذلك وهو على الطور ، حيث يقول تعالى إنشجاراً عن نفسه الكريمة : (قال : فلما قد فتننا قومك من بعدك وأضلهم السامري) (١) .

وقد اختلف للفسرون في هذا العجل : هل صار لحاً ودماً له خوار ؟ أو استمر على كونه من ذهب ، إلا أنه يدخل فيه اللحاء فيصوت كالبق ؟ هل قولن ، والله أعلم .

ويقال : إنهم لما صوت لم العجل رقصوا وحوله واقتنوا به ، (قالوا : هذا الحكيم واله موسى نفسى) ، قال الله تعالى : (أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم ضرراً ولا نصراً) (٢) .

وقال في هذه الآية الكريمة : (ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يسمعهم سِيلاً) ، ينكر تعالى طيهم في ضلالهم بالعجل ، وذهولهم عن خالق السموات والأرض ورب كل شيء ومليك ، أن جعلوا معه جسداً له خوار لا يكلمهم ، ولا يرشدهم إلى خير . ولكن غطى على أعين بصائرهم حسى العجل والضلال ، كما تقدم من رواية الإمام أحمد وأبي داود ، عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « جك الشيء يغمى ويغمى » (٣) ، :

وقوله : (ولا سَفِطَ في أيديهم) ، أى : نلحوا على ما فعلوا ، ورأوا أنهم قد ضلوا ، قالوا لأن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا ، وقرأ بعضهم : (لأن لم ترحمنا) ، بالتاء للثلاثة من فرق ، (ربنا) متادى ، (وتغفر لنا) ، (لنكونن من الخاسرين) ، أى : من المالكين . وهذا اعتراف منهم بظنهم بالتجاه إلى الله عز وجل .

(١) سورة طه ، الآية : ٨٥ .

(٢) سورة طه ، الآية : ٨٨ .

(٣) مسند الإمام أحمد : ١٩٤/٥ ، ٤٥٠/٦ . وسنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب ١١٦ .

(٤) هذه قراءة عامة أهل الكوفة ، وأما القراءة الأولى فهى قراءة أهل المدينة ومكة والبصرة . ينظر تفسير الطبرى :

١١٩/١٣ . والبحر المحيط لأبي حيان : ٣٩٤/٤ .

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ قَصَّبَ أَسْفَا قَالَ بِسْمَا خَطَمُونِي مِنْ بَعْدِي أَغْلَمْتُ أَمْرَ رَبِّكَ وَأَتَى الْأَلْوَاخَ
وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمِّ إِنْ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي فَلَا تُشْمِتْ فِي الْأَعْدَاءِ
وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٠﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠١﴾

يُخبر تعالى أن موسى عليه السلام رجع إلى قومه من مناجاة ربه تعالى وهو غضبان أسف :

قال أبو البرداء « الأسف » : أشد التئيب (١) .

(قال بنسبا خطمتوني من بعدي) ، يقول : يش ما صنعتكم في عبادتكم العجل بعد أن ذهبت وترككم ،

[وقوله : (أصحلت أمر ربكم) ، يقول : استعجلت عيشي إليكم ، وهو مقدر من الله تعالى (٢)] .

وقوله : (وأتى الألواح) ، وأخذ برأس أخيه يجره إليه) ، قيل : كانت الألواح من زمرّد . وقيل : من ياقوت ،

وقيل : من برّد (٣) ، وفي هذا دلالة على مناجاة في الحديث « ليس الخبر كالمائة (٤) » .

ثم ظاهر السياق أنه إنما أتى الألواح غضبا على قومه ، وهذا قول جمهور العلماء سلفا وخلفا . وروى ابن جرير
من قتادة في هذا قولاً غيراً (٥) ، لا يصح إسناده إلى حكاية قتادة ، وقد زوّده ابن حطّبة وغير واحد من العلماء ، وهو
جدير بالرد ، وكأنه تلكأه قتادة عن بعض أهل الكتاب ، وفيهم كتابيون وضّاعون وأثاؤون وزنادقة .

وقوله : (وأخذ برأس أخيه يجره إليه) خوفاً أن يكون قد قصر في نهيهم ، كما قال في الآية الأخرى : (قال
يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا . ألا تبين أفهيت أمرى . قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إلى خشيت
أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي (٦) ، وقال هاهنا : (ابن أم إِنْ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي ،
فَلَا تُشْمِتْ فِي الْأَعْدَاءِ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) ، أي : لا تسكني مسأفتهم ، ولا تخلطني معهم . وإنما قال :
(ابن أم) لتكون لرواف وأنجع حمله ، ولا فهو شقيقه لأبيه وأمه . فلما تحقق موسى عليه السلام برأية ساحة هارون ،

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٥١٢٤ : ١٣ / ١٢٠ : ١٢١ .

(٢) قال الطبري حته تفسير هذه الآية ١٢٢ / ١٣ : وقوله : (أصحلت أمر ربكم) ، يقول : أسبغت أمر ربكم في نفوسكم
وذهبت عنه ؟ يقال منه : « حبل فلان هذا الأمر » ، إذا سبغه — و « حبل فلان فلانا » ، إذا سبغه — و « لا تجعلني يا فلان » ،
لا تذهب مني وتنفني — و « أصحلت » ، استعجلته .

(٣) ينظر الآثار في ذلك في تفسير الطبري : ١٢٦ / ١٣ : ١٢٧ .

(٤) أخرجه الإمام أحمد من ابن عباس ، المسند : ١ / ٢١٥ ، ٢٧١ ، ولفظه في الرواية الثانية يورث المقصود بهذا
الحديث هنا ، قال ابن عباس : قال رسول الله صل الله عليه وسلم : « ليس الخبر كالمائة » ، إن أمّ من وجّل أشهر موسى
بما صنع قومه في السبيل ، فلم يأت الألواح ، فلما حازن ما صنعوا أتى الألواح ، فانكسرت . وسألت رواية ابن أبي سالم من
ابن عباس ، وهي موافقة لما هنا .

(٥) انظر تفسير الطبري ، الأثر ١٥١٣٢ : ١٣ / ١٢٣ : ١٢٤ . وسيورده ابن كثير حته قوله تعالى : « ولما سكّت
عن موسى التئيب » .

(٦) سورة طه ، الآيات ٩٢ - ٩٤ .

كما قال تعالى : (ولقد قال لم هارون من قبل : يا قوم ، إنما قسم به ، وإن ويحكم الرحمن فاتبِعوني وأطيعوا أمرى) (١) .
— فحدث ذلك قال موسى : (وب اغفرلى وأخى ، وأدخلنا فى رحمتك وأنت أرحم الراحمين) .

قال ابن أبى حاتم : حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح ، حدثنا صفان ، حدثنا أبو حنيفة ، عن أبى بشر ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « يرسم الله موسى ، ليس الماعين كالخبر ، أخبره وبه عز وجل أن قومه فتوا بعله ، فلم يلز الأكرام ، فلما رأهم وعابتهم إلى الأكرام » .

إِنَّ الَّذِينَ أَخَذُوا الْعَيْلَ سَبَّأَهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥١﴾
وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٥٢﴾

لما غضب الذى نال بى إسرائيل فى عبادة السجل ، فهو أن الله تعالى لم يقبل توبة ، حتى تقتل بعضهم بشراً ، كما تقدم فى سورة البقرة : (فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ، فلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم ، إنه هو التواب الرحيم) (٢) .

وأما اللذة فأحفظهم ذلك ذلاً وصغاراً فى الحياة الدنيا ، وقوله : (وكذلك نجزي المقترين) تاتلة لكل من أقرى بدعة ، فإن ذل البدعة وغفلة الرسالة متصلة من قلبه حل كتبه ، كما قال الحسن البصرى : « إن ذل البدعة على أكتافهم ، وإن هم تلجست (٣) بهم البخلات ، وطغنت (٤) بهم البرائين » .

وهكذا روى أيوب السخيتى ، عن أبى قلابة الجوزى أنه قرأ هذه الآية : (وكذلك نجزي المقترين) ، قال : هى والله لكل مغتر إلى يوم القيامة (٥) .

وقال صفيان بن عينة : « كل صاحب بدعة ذليل (٦) » .

ثم نيه تعالى عباده وأرشد لهم إلى أنه يقبل توبة عباده من أى ذنب كان ، حتى ولو كان من كفر أو شرك أو نفاق أو شقاق . ولهذا غضب هذه القصة بقوله : (ولالذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا إن ربك) ، أى : يا محمد ، يا رسول الرحمة ونبي التور (من بعدها) ، أى : من بعد تلك القصة (لغفور رحيم) .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا أبان ، حدثنا قاسم ، عن عروة ، عن الحسن العرقى ، عن حلقمة ، عن عبد الله بن مسعود : أنه سئل عن ذلك — يعنى عن الرجل يزنى بالمرأة — لم يتزوجها —

(١) سورة طه ، الآية : ٩٠ .

(٢) سورة البقرة ، آية : ٥٤ . وينظرياً تقدم من هذا التفسير : ١٣٠/١ - ١٣٢ .

(٣) المصلحة : حسن سير القادة فى سرعة .

(٤) المتعلقة : صوت قوائم الخيل حل الأرض الصلبة . والبرذون — كما فى تلح العروس — : الجلقى من الخيل إلى الله .

(٥) تفسير الطبرى ، الأثر ١٥١٤٩ : ١٣٥/١٣ .

(٦) تفسير الطبرى ، الأثر ١٥١٥١ : ١٣٩/١٣ .

قتل هذه الآية : (والذين حملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم) ، فقلنا عبد الله عشر مرات ، فلم يأمرهم بها ولم ينههم عنها .

وَلَمَّا سَكَتَ عَنْهُ مُوسَى الْغَضِبَ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسخَتِهَا هَدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥١﴾

يقول تعالى : (ولما سكنت) ، أى : سكن (عن موسى الغضب) ، أى : غضبه على قومه (أخذ الألواح) ، أى : التى كان ألقاها من شدة الغضب على عبادتهم العجل ، غيرةً لله وغضباً له (وفي نسختها هدى ورحمة) .

يقول كثير من المفسرين : لما ألقاها تكسرت ، ثم جمعها بعد ذلك ، ولما قال بنى السلف : فوجد فيها هدى ورحمة . وأما الفضيل فذهب ، وزعموا أن رضاضها لم يزل موجوداً في خزائن الملوك لى إسرائيل إلى الدولة الإسلامية ، والله أعلم بصحة هذا . وأما الدليل القاطع على أنها تكسرت حين ألقاها ، وهى من جوهر الجنة ، فقد أخبر تعالى أنه لا أنطقها بعد ما ألقاها وجد فيها هدى ورحمة (١) :

(للذين هم لربهم يرهبون) ، ضمن الربة معنى الخضوع ، ولما علمها باللام :

وقال قتادة (٢) : في قوله تعالى (أخذ الألواح) ، قال : رب : إلى أبجد في الألواح أمة خير أمة أخرجت للناس ، يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر ، فاجعلهم أمة . قال : تلك أمة أحمد . قال : رب : إلى أبجد في الألواح أمة هم الآخرون - أى آخرون في الحشر - السابقون (٣) في دخول الجنة ، رب اجعلهم أمة . قال : تلك أمة أحمد . قال : رب : إلى أبجد في الألواح أمة أناجيلهم في صدورهم يقرءونها - كتابهم - وكان من قبلهم يقرءون كتابهم نظراً ، حتى إذا رجعوا لم يحفظوا شيئاً ، ولم يعرفوه . [قال قتادة (٤)] وإن الله أعطاكم آياتها الأمانة من الحفظ شيئاً لم يعطه أحداً من الأمم - قال : رب ، اجعلهم أمة . قال : تلك أمة أحمد . قال : رب ، إلى أبجد في الألواح أمة يؤمنون بالكتاب الأول وبالكتاب الآخر ، ويقالون فصول الضلالة ، حتى يقاتلوا الأعداء الكلاب ، فاجعلهم أمة . قال : تلك أمة أحمد . قال : رب ، إلى أبجد في الألواح أمة صدقاتهم يأكلونها في بطونهم ، ويؤجرون عليها - وكان من قبلهم [من الأمم] (٥) إذا تصلى بصلوة قبلت منه ، بعث الله عليها ناراً فأكلتها ، وإن ردت عليه تركت ، فأكلها السباع والطير ، وإن الله أخذ صدقاتكم من غنيكم لفقركم - قال : رب ، اجعلهم أمة . قال : تلك أمة أحمد :

قال : رب ، إلى أبجد في الألواح أمة إخوانهم أحدهم بحسنة ثم لم يعملها كتبت له حسنة ، فإن عملها كتبت له عشر أمثلها إلى سبحة ، وب اجعلهم أمة . قال : تلك أمة أحمد قال : رب ، إلى أبجد في الألواح أمة إذا هم أحدهم بسبحة

(١) كلنا ، ولم يضح وجه التليل . ولعل في الكلام سقطاً .

(٢) حلما هو الأثر اللغوي قال ابن كثير مع أنه لا يصح إسناده إلى سكاية قتادة ، وكأنه نقله عن بعض أهل الكتاب . ينظر

تفسير الآية ١٥٠ من هذه السورة .

(٣) في المصطلح : « سابقون في دخول الجنة » . وأثبتنا ما في تفسير الطبري ، الأثر ١٥١٢٢ : ١٢٣/١٢ .

(٤) من المرجع السابق : ١٢٤/١٣ .

لم يكتب عليه حتى يعملها ، فإذا علمها كتبت عليه سبعة واحدة ، فاجعلهم أمي : قال : تلك أمة أحمد ، قال : رب ، إلى جد في الأرواح أمة أم للمستحيين والمستجاب لهم ، فاجعلهم أمي : قال : تلك أمة أحمد : قال : رب ، إلى أجد في الأرواح أمة أم المشفقون والمشفوع لهم ، فاجعلهم أمي : قال : تلك أمة أحمد (١) : قال قاطعة ، فلذلك لنا أن بني الله موسى نبد الأرواح ، وقال : اللهم اجعلني من أمة أحمد .

وَأَخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا رِجَالًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلِ وَإِنِّي لَأَتَّبِعُكَ بِفَلِّ السَّحَابِ مِمَّا يُبْدِيهِ أَفَلَا تَتَذَكَّرُ أَفَلَا تَرَى أَنِّي قَدْ جَعَلْتُ لَكَ سَبْعَ مِائَةٍ وَتَبَدَّلَ مِن سَبْعٍ مِائَةٍ أَلَيْسَ بِتَقْوَى لَّيْسَ وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٤٠﴾ * وَكَتَبْنَا فِي هَذِهِ الْكِتَابِ مَا أَخْبَرَكَ بِهَا لِنُكَفِّرَ

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في تفسير هذه الآية : كان الله أمره أن يختار من قومه سبعين رجلاً فاختر سبعين رجلاً أبرز بهم ليدهوا بهم ، فكان فيما دعوا الله قالوا : اللهم اعلنا ما لم تعلم أحدنا قبلنا ولا تعلم أحدنا بعدنا ففكره الله ذلك من دعائهم ، فأخبرهم الرجعة ، قال موسى : رب لو شئت أهلكهم من قبل ولأى (٢) : الآية : وقال السدي : إن الله أمر موسى أن يأتيه في ناس من بني إسرائيل ، يمتثلون إليه من عبادة السجل ، ووعدهم مواعدا ، فاختر موسى قومه سبعين رجلاً على عينه ، ثم ذهب بهم ليختلروا : فلما أتوا ذلك المكان قالوا : لن نؤمن لك يا موسى حتى نرى الله جهرة ، فأنك قد كلمته ، فأرنا : فأخبرهم الصاعقة فأتوا ، فقام موسى [يبيى و] يدعوا الله ويقول : رب ، ماذا أقول لبني إسرائيل إذا قهتهم وقد أهلكت خيارهم ؟ (رب لو شئت أهلكهم من قبل ولأى (٣) : وقال محمد بن إسحاق : اختار موسى من بني إسرائيل سبعين رجلاً ، الخبير بالخير ، وقال : انطلقوا إلى الله فتروا إليه عما صنعتم ، وسلوه التوبة على من تركتم وولعتم من قومكم ، صوموا وتطهروا ، وطهروا ثيابكم . فخرج بهم إلى طور سيناء ، لمقات وقتله له ربه : وكان لا يأتيه إلا يأخذ منه وحلم : فقال له السبعون - فيما ذكر لي - حين صنعوا ما أمرهم به ، وخرجوا معه لقاء ربه ، لموسى : اطلب لنا نسمع كلام ربنا . فقال : أفضل . فلما دنا موسى من الجبل ، وقع عليه عود الغمام ، حتى تفتش الجبل كله . ودنا موسى فدخل فيه ، وقال لقوم : ادنوا . وكان موسى إذا كلمه الله وقع على جبهة موسى نور ساطع ، لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر إليه . فضرب دونه بالسحاب . ودنا القوم ، حتى إذا دخلوا في الغمام وقوا سجدوا ، فسمعوه وهو يكلمهم موسى ، يأمره وينهاه : أفضل ، ولا تفعل . فلما فرغ إليه من أمره ، انكشف عن موسى الغمام . فأقبل إليهم ، فقالوا لموسى : لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة . فأخبرهم الرجعة - وهي الصاعقة - فالتفتت (١) أرواحهم ، فأتوا جميعاً . فقام موسى ينشأ دبه ويدعوه ويرغب إليه ، ويقول : (رب لو شئت أهلكهم من قبل ولأى) . قد سفهوا ، أهلكهم من ورائي من بني إسرائيل .

(١) تفسير الطبري ١٣٢ / ١٢٤ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٥١٥٤ = ١٤١١/١٣ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٥١٥٣ = ١٤٠ / ١٣ .

(٤) في الخطوطة : « فالتفتت » ، ومثله في خطوطة ومطبوعة الطبري الأول . وقد اوتفى السيد الحقن ما أبتناه منه ويقال : التفتت نسمه - بالياء المجهول - : مات فالتة ، أي يفتة . ينظر تفسير الطبري : ٨٧/٢ ، ١٤١٣/١٤ .

وقال مكيان الثوري : حدثني أبو إسحاق ، عن عمارة بن عبد السلول ، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : انطلق موسى وهارون وشبر وشبير ، فانطلقوا إلى سفح جبل ، فنام هارون على سرير ، فتوفاه الله عز وجل . فلما رجع موسى إلى بني إسرائيل قالوا له : أين هارون ؟ قال : توفاه الله عز وجل . قالوا : أنت قتله ، حسنكتنا على خلقه ولينه - أو كلمة نحوها - قال : فاختاروا من شتم : قال : فاختاروا سبعين رجلا : قال : فملك قوله تعالى : (واختار موسى قومه سبعين رجلا) ، فلما انتهوا إليه قالوا : يا هارون ، من قتلك ؟ قال : ما قتلت أحد ، ولكن توفاني الله : قالوا : يا موسى ، لن تصي بعد اليوم : قال : فأعطيتهم الرجفة . قال : فبذل موسى عليه السلام يرجع بينا وشيلا ، وقال : يا رب ، لو شئت أهلكهم من قبل ولأبى ، أهلكنا بما فعل السفهاء منا إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء ، قال : فأحياهم الله وجعلهم أنبياء كلهم^(١) .

هذا أثر غريب جدا ، وعمارة بن عبد هذا لا أعرفه^(٢) ، وقد رواه شعبة ، عن أبي إسحاق عن رجل من بني سلوك [عن علي] ، فذكره^(٣) :

وقال ابن عباس ومجاهد ونخاعة وابن جرير : إنما أعطيتهم الرجفة لأنهم لم يزالوا قومه في عبادتهم العجل ، ولا يوم^(٤) ويرجع هذا القول بقول موسى : (أهلكنا بما فعل السفهاء منا) :

وقوله : (إن هي إلا فتنتك) ، أي : ابتلاؤك واختبارك وامتحانك ، قاله ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، وأبو العالية ، والربيع بن أنس ، وغير واحد من علماء السلف والخلف : ولا معنى له غير ذلك ، يقول : إن الأمر إلا أمرك ، وإن الحكم إلا لك ، فما شئت كان ، تضل من تشاء ، وتهدي من تشاء ، ولا هادي إن أضللت ، ولا مضل إن هديت ، ولا مضل إن منعت ، ولا مانع لما أضللت ، فذلك كله لك ، والحكم كله لك ، لك الخلق والأمر .

وقوله : (أنت ولينا فاغفر لنا ولوحمنا وأنت خير الغافرين) ، للتعظيم هو : السر ، وترك للاختلاف بالذهب والرحمة إذا قرئت مع الغفر يراد بها أن لا يؤقمه^(٥) في مثله في المستقبل ، (وأنت خير الغافرين) ، أي : لا يفر الذنوب لا أنت ، (واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة) ، هناك الفصل الأول من الدعاء في دفع الهلوك ، وهذا لتحصيل المقصود - (واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة) ، أي : أوجب لنا وأثبت لنا فيهما حسنة ، وقد نظم ذلك في سورة البقرة^(٦) .

(١) تفسير الطبري : الأثر ١٥١٥٧ : ١٤٢/١٣ .

(٢) عمارة بن عبد مترجم له في الطبقات الكبرى لابن سعد : ١٥٨/٦ ، وقال : « عمارة بن عبد السلوك » ، زوى من حل وحليفة . وكذلك له ترجمة في ميزان الاعتدال برقم ٦٠٣٠ : ٧٧/٣ ، ويقول النجاشي : « عمارة بن عبد ، من حل . مجهول لا يبيح » ، قال أبو حاتم . وقال أحمد : مستقيم الحديث ، لا يروى عنه غير أبي إسحاق . وينظر الجرح والتعديل لابن أبي حاتم : ٣١٧/١/٣ ، وتفسير الطبري ١٤٢/١٣ ، فقد رجعت السيد الحق في هذه المراجع ، وقال : « وقد تبين لنا ذكرت أنه معروف ، وأن ابن كثير لم يستوجب عنه » .

(٣) تفسير الطبري : الأثر ١٥١٥٨ : ١٤٢/١٣ : ١٤٣ .

(٤) ينظر آثارهم في تفسير الطبري : ١٤٣/١٣ : ١٤٤ .

(٥) في الخطوط : « أنه لا يرصه » . ولكتبت من الطبقات السابقة .

(٦) وذلك من الآية ٢٠١ من سورة البقرة ، ينظر : ٣٥٧/١ - ٣٥٧ .

﴿ إِنَّا هَدَيْنَا إِلَيْكَ 〉 ، أى : تبنا وربنا وأنبتنا إليك . قاله ابن عباس ، وسعيد بن جبّتر ، وعجّاد ، وأبو العالية ، والضحّاك ، وإبراهيم التيمي ، والسدي ، وقادة ، وغير واحد : وهو كذلك لغةً :

وقال ابن جرير : حدثنا ابن وكيع ، حدثنا أبي ، عن شريك ، عن جابر ، عن عبد الله بن نجيّ (١) ، عن علي قال : إنما سميت اليهود لأنهم قالوا : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَا إِلَيْكَ 〉 .

جابر - هو ابن يزيد الجعفي - : ضعيف .

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أُصِيبَ بِهِ مِنْ أَشَاءَ وَرَحْمَتِي وَسَعَتْ كُلُّ شَيْءٍ قَسَا كَيْبًا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِهَا يَنْتَنُونَ ﴿٢٥﴾

قال تعالى جيا لرمي في قوله : ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا نَفْسٌ ﴾ :: الآية : ﴿ عَلَيْنَا أُصِيبَ بِهِ مِنْ أَشَاءَ وَرَحْمَتِي وَسَعَتْ كُلُّ شَيْءٍ ﴾ ، أى : أضل ما أشاء ، وأحكم ما أريد ، ولى الحكمة والعدل في كل ذلك سبحانه لا إله إلا هو . وقوله تعالى : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسَعَتْ كُلُّ شَيْءٍ ﴾ آية عظيمة الشمول والعموم ، كقوله إخباراً عن حكمة العرش ومن حوله أنهم يقولون : ﴿ رُبْنَا وَسَعَتْ كُلُّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا ﴾ (٢) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا أبي ، حدثنا الجريدي ، عن أبي عبد الله الجعفي ، حدثنا جندب - هو بن عبد الله الجعفي رضى الله عنه - قال : جاء أعرابي فأتانا وحلته ثم عقها ثم صلى خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى رحلته فأطلق عقلها ، ثم ركعها ، ثم نادى : اللهم ارحمني ومعدلي ، ولا تشركني رحمتاً أحداً . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [أقولون] (٣) هلأ أضل أم يبره ؟ ألم تسعوا ما قال ؟ قالوا : بلى . قال : لقد حطّرت رحمةً واسعة ، إن الله عز وجل خلق مائة رحمة ، فأزل رحمة [واحدة] (٤) . يتخلف بها الخلق جنبها وإنسها وبهاؤها ، وأنخر (٥) عنده تسعة وتسعين رحمة ، أنقولون هو أضل أم يبره ؟ (٦) .

ورواه أبو داود عن علي بن نصر ، عن عبد الصمد بن عبد الوارث ، به (٦) ؛

(١) في تفسير الطبري ، الأثر ١٥١٩٩/١٣/١٥٥ : « عن عبد الله بن يحيى » . ويقول السيد الحنفي إن في الصلوة : « جابر بن عبد الله بن يحيى ، وفي الموطوع : « جابر » عن عبد الله بن يحيى . وفي أبيه . من ذلك ذكر في الكتب . وهو معروف بلا شك من شيء آخر » . وما ألبتاه هو نص خطوة الأثر ، وهو الصواب ، ينظر القلبي : ٥٥/١ . فيه أنه يروى عن علي رضى الله عنه ، ويروى عن جابر الحنفي .

(٢) سورة غافر ، الآية : ٧ .

(٣) من منه الإمام أحمد .

(٤) لفظ الحديث : « وعنده سبع ... » .

(٥) منه الإمام أحمد : ٣١٢/٤ .

(٦) سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب ٣٦ .

وقال الإمام أحمد أيضاً : حدثنا يحيى بن سعيد عن سليمان ، عن أبي عثمان ، عن سلمان ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله عز وجل مائة رحمة » (١) ، فمئتا رحمة يترحم بها الخلق ، وبها تطف الوحوش على أولادها ، وأخر تسعة وتسعين إلى يوم القيامة (٢) .

تفرد بإخراجه مسلم ، فرواه مع حديث سليمان - هو ابن طرخان - وداود بن أبي هند كلاهما ، عن أبي عثمان - واسمه عبد الرحمن بن ميل - عن سلمان ، هو القارمي ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، به (٣) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا صفان ، حدثنا حماد (٤) ، عن عاصم بن بدة ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مائة رحمة ، حلتها تسعة وتسعون ، وجعل عندكم واحدة تتراحمون بها بين الجن والإنس وبين الخلق ، فإذا كان يوم القيامة ضمها إليه » (٥) : تفرد به أحمد من هذا الوجه .

وقال أحمد : حدثنا (٦) صفان ، حدثنا عبد الواحد ، حدثنا الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مائة رحمة ، قسم منها جزءا واحدا بين الخلق ، [فيه] يترحم الناس والوحش والطير » (٧) .

ورواه ابن ماجه من حديث أبي معاوية ، عن الأعمش ، به (٨) ..

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني : حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا أحمد بن يونس (٩) ، حدثنا سعد أبو غيثان الشيباني ، عن حماد بن أبي سليمان ، عن إبراهيم ، عن صيلة بن زفر ، عن حليقة بن البان رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذي نفسي بيده ليلخلن [الجنة] القاجر في دينه ، الأحقق في معيشته . والذي نفسي بيده ليلخلن الجنة الذي قد مدحشته » (١٠) لثار يذنبه : والذي نفسي بيده ليفترن الله يوم القيامة مغفرة يتناولها إبليس رجاء أن تصيبه .

هذا حديث قريب جدا ، « وسعد » هذا لا أثر له .

وقوله : (فأكفينا للذين يتفنون) ... الآية يعني فسأوجب حصول رحمتي منتهى مني وإحسانا إليهم ، كما قال تعالى : (كتب ربكم على نفسه الرحمة) (١١) .

(١) لفظ المست : « إن الله عز وجل خلق مائة رحمة ... » .

(٢) مست الإمام أحمد : ٤٣٩/٥ .

(٣) مسلم ، كتاب التوبة ، باب في سمة رحمة الله تعالى ، وأنها سبقت فضله : ٩٥/٨ .

(٤) في غزوة الأحرار : « حدثنا صفان بن سعاد وهو غلط . و صفان هو ابن مسلم ، يروى عنه الإمام أحمد ، ينظر التهذيب : ٢٣٠/٧ .

(٥) مست الإمام أحمد : ٥٥/٣ ، ٥٦ .

(٦) في غزوة الأحرار : « حدثنا حبان وهو غلط . والثلث من المست . و صفان هو ابن مسلم المتقدم ذكره ، يروى عن عبد الواحد بن زياد ، ينظر التهذيب : ٤٣٤/٩ ، ٢٣٠/٧ .

(٧) مست الإمام أحمد : ٥٥/٣ .

(٨) سنن ابن ماجه ، كتاب الزهد ، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة ، الحديث : ٤٢٩٤ : ١٤٣٥/٢ .

(٩) هو أحمد بن عبد الله بن يونس . ينظر الجرح : ٩٩/١/٢ ، ١٠٠ : والتهذيب : ٥٠/١ .

(١٠) الحاشي : استراق الجلد وتظهور العظم .

(١١) سورة الأنعام ، آية : ٥٤ .

وقوله : (الذين يثبون) ، أى ، ساجعها للمتصفين بهذه الصفات ، وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم الذين يثبون
أى : الشرك والعظائم من المذنبين :
(ويوتون الزكاة) ، قيل : زكاة النعم : وقيل : الأموال : ويحتمل أن تكون عامة لها ، فإن الآية مكتبة
(والذين هم بأياتنا يؤمنون) أى : يصدقون :

الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الَّذِي يَجْلُوهُم مِّمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ مِنَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ بِأَمْرِهِم بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَاهُمْ
عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ
فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦٦﴾

(الذين يتبعون الرسول النبي الذي يجلوهم مِمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ مِنَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ) ، وهذه صفة محمد صلى الله
عليه وسلم في كتب الأنبياء بشروا أنهم يبعث ، وأمروهم بتتابعت : ولم تزل صفاته موجودة في كتبهم يعرفها علماءهم
وأخبارهم كما قال الإمام أحمد :

حدثنا إسماعيل ، عن الجريزي ، عن أبي صخر المقلبي ، حدثني رجل من الأعراب : قال : جلست
جُلُوسَةً (١) إلى المدينة في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما فرغت من بيعتي قلت : لأتبعن هذا الرجل
فلأسمعن منه ، قال : شقيق بن أبي بكر وعمر يشون ، فبينهم [في أفتابهم] (٢) حتى أتوا على رجل من اليهود
ناشراً التوراة يقرأها ، يترى بها نفسه على ابن له في الموت كأحسن الثنيان وأجمله ، فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « أنشدك بالله أنزل التوراة ، هل تجد في كتابك ذا صفتي وغريبي ؟ فقال (٣) برأيه هكذا ، أى : لا : فقال
ابنه ، أى : والذي أنزل التوراة إنا لنجد في كتابنا صفتك ومخرجك ، وإنني أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنت رسول الله
فقال : أقسموا اليهودى عن أنصيكم . ثم ولى كفته والصلابة (٤) عليه .

هذا حديث جيد قوى له شاهد في الصحيح ، عن أنس :

وقال الحاكم صاحب المستدرک : أخبرنا أبو محمد - عبد الله بن إسحاق (٥) البغوي ، حدثنا إبراهيم بن الميثم
البلدي ، حدثنا عبد العزيز بن مسلم بن إدريس ، حدثنا عبد الله بن إدريس ، عن شريح بن مسلم ، عن أبي أمامة
البايلي ، عن هشام بن العاصي الأموي قال : بعثت أنا ورجل (٦) آخر إلى هرقل صاحب الروم ندعوهم إلى الإسلام ،

(١) في النسخة : « جلست حلوة » ، وللتيت من المسند .

(٢) من مسند الإمام أحمد .

(٣) قال برأيه : أنشد .

(٤) مسند الإمام أحمد : ٤١١/٥ .

(٥) في نسخة الأثر : « أخبرنا محمد بن عبد الله بن إسحاق » . وهو خطأ ، صوابه من دلائل النبوة البغوي ، ورقة :

١١٧ . وميزان الاحتفال لفتح : ٣٩٧/٢ ، والغير للحمي أيضاً : ٢٨٢/٢ .

(٦) في الدلائل أيضاً : « أنا ورجل من قريش إلى صاحب الروم » .

فخرجنا حتى قلعتنا النوبة - يعنى غرقة دمشق^(١) فزلنا على جبلية ابن الابهيم القصاب ، فدخلنا عليه ، فاذا هو على سرير له ، فأرسل إلينا رسول نكله ، قلنا : والله لا نكلهم رسولا ، إنما بعثنا إلى الملك ، فإن أذن لنا كلمناه ، وإلا لم نكلهم الرسول . فرجع إليه الرسول فأخبره بذلك ، قال : فأذن لنا فقال : نكلوا : فكله هشام بن العاص ، ودعاه إلى الإسلام ، فإذا عليه ثياب سواد ، فقال له هشام : وما هذه التي عليك ؟ قال : ليستا وحلفت أن لا أزعها حتى أخرجكم من الشام . قلنا : ومجسك هذا ، والله لأخذته منك ، ولتأخذن منك الملك الأعظم ، إن شاء الله ، أخبرنا بذلك نينا على الله عليه وسلم . قال : لستم بهم . بل هم قوم يصومون بالنهار ، ويصومون^(٢) بالليل ، فكيف صومكم ؟ فأخبرناه ، فملى وجهه سوادا فقال : قوموا . وبعث معنا رسولا إلى الملك ، فخرجنا ، حتى إذا كنا قريبا من المدينة ، قال لنا الذى معنا : إن دوابكم هذه لا تدخل مدينة للملك ، فإن شتم حملناكم على برادين ويقتل^(٣) ؟ قلنا : والله لا ندخل إلا عليها . فأرسلوا إلى الملك أنهم يأبون ذلك فدخلنا على رواحنا متقلدين سيفنا ، حتى انتهينا إلى غرفة ، فأنشأنا في أصلها وهو ينظر إلينا ، قلنا : لا إله إلا الله ، والله أكبر . فانه يعلم لقد تنقصت الغرفة^(٤) حتى صارت كأنها حلق^(٥) تصفقه الرياح . فأرسل إلينا : ليس لكم أن تجهروا علينا بدنيكم : وأرسل إلينا : أن ادخلوا فدخلنا عليه وهو على فراش له ، وعنده بطارقته من الروم ، وكل شيء في جلسته أحمر ، وما حوله حمرة ، وعليه ثياب من الحرمة ، فدنوتنا منه فضحك ، قال : ما كان عليكم لو حبيتوني بتحييتكم^(٦) فيا بينكم ؟ . وإذا عنده رجل فصيح بالعربية كثير الكلام ، قلنا : إن نحييتنا فيا بيننا لا نحل لك ، ونحييتك التي تحيي بها لا نحل لنا أن نحييك بها . قال : [كيف] نحييتكم فيا بينكم ؟ قلنا : السلام عليك . قال : وكيف نحيون ملككم^(٧) ؟ قلنا : بها . قال : وكيف يرد عليك ؟ قلنا : بها . قال : لها أعظم كلامكم ؟ قلنا : لا إله إلا الله ، والله أكبر . فلما تكلمنا بها والله يعلم - لقد تنقصت الغرفة حتى رفع رأسه إليها ، قال : فهذه الكلمة التي قلتموها حيث تنقصت الغرفة ، كلما قلتموها في بيوتكم تنقصت^(٨) عليكم غرفكم ؟ قلنا : لا ، ما رأيناها فعلت هذا قط إلا عندك . قال : لوددت أنكم كلما قلتم تنقصن كل شيء عليكم . وأنى خرجت من نصف ملكي . قلنا : لم ؟ قال : لأنه كان أبسر لشأنا ، وأجدر أن لا تكون من أمر النبوة ، وأنها تكون من حيل الناس . ثم سألنا عما أراد ، فأخبرناه . ثم قال : كيف صلاتكم وصومكم ؟ فأخبرناه ، فقال : قوموا . [قلنا] فأمر لنا بعزل حسن ونزل [كثير] ، فأقمنا ثلاثا ،

(١) في اللال : « يعنى دمشق » .

(٢) في دلال النبوة : « ويفطرون بالليل » .

(٣) البرادين : جمع برذن - بكر فسكون ، ففتح اللال فسكون الواو - وهو السليم المتلفة من الخيل ، الجاني ، ويقابله : العرب ، وهي كرائم الخيل .

(٤) أى : تنقصت ، وبعث صوتها .

(٥) الملق - بكره اللين - : الرجوة بما فيه من التباديع ، وخصفه الرياح : تحركه .

(٦) في الخطوبة : « لو جيتوني » . والليت من اللال .

(٧) في اللال : « تنقص بيوتكم عليكم » .

(٨) للزل - بض النون ، وسكون اللال ونقص أيضا - : دعى للتبذير .

فَأَرْسَلْنَا إِلَيْنَا لَيْلًا نَخْلُطُهَا عَلَيْهِ ، فَاسْتَبَادَ قَوْلَنَا ، فَأَعْدَاهُ : ثُمَّ دَعَا بَشِيْرَ الْوَيْبَةِ الْعَظِيمَةِ (١) مَلَكَةً ، قِيَامًا بِبُيُوتِ صَبَاحٍ عَلَيْهَا أَبْوَابٌ ، فَفَتَحَ بَيْتًا وَقَتْلًا ، فَاسْتَخْرَجَ حَرِيرَةَ سَوْدَاءَ ، فَفَتَحَهَا ، فَذَا فِيهَا صُورَةُ حِمْرَاءَ ، وَإِذَا فِيهَا رَجُلٌ ضَخْمُ الْعَيْنَيْنِ عَظِيمُ الْأَلْبَتَيْنِ ، لَمْ أَرْ مِثْلَ طَوْلِ عَقَبِهِ ، وَإِذَا لَيْسَتْ لَهُ خَلِيَةٌ ، وَإِذَا لَهُ ضَعِيفَتَانِ أَحْسَنُ مَا خَلَقَ اللَّهُ ، قَالَ : أَمْرُفُونِ هَذَا ؟ قُلْنَا : لَا . قَالَ : هَذَا آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : وَإِذَا هُوَ أَكْثَرُ النَّاسِ شَرًّا .

ثُمَّ فَتَحَ بَابًا آخَرَ ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ حَرِيرَةَ سَوْدَاءَ ، وَإِذَا فِيهَا صُورَةُ بِيضَاءَ ، وَإِذَا لَهُ شَعْرٌ [كَشَعْرِ] الْقَطَطِ ، أَحْمَرُ الْعَيْنَيْنِ ، ضَخْمُ اللَّامَةِ ، حَسَنُ الْحَبِيَّةِ ، قَالَا : هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا ؟ قُلْنَا : لَا . قَالَ : هَذَا نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

ثُمَّ فَتَحَ بَابًا آخَرَ ، فَاسْتَخْرَجَ حَرِيرَةَ سَوْدَاءَ ، وَإِذَا فِيهَا رَجُلٌ شَدِيدُ الْبَيَاضِ ، حَسَنُ الْعَيْنَيْنِ صَكَتَ الْجَبِينِ (٢) ، طَوِيلُ الْخَلْدِ ، أَيْضُ الْحَبِيَّةِ كَأَنَّهُ يَتَسَمَّى ، قَالَا : هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا ؟ قُلْنَا : لَا . قَالَ : هَذَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

ثُمَّ فَتَحَ بَابًا آخَرَ فَذَا فِيهِ صُورَةُ بِيضَاءَ ، وَإِذَا وَاقَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَا : أَمْرُفُونِ هَذَا ؟ قُلْنَا : نَعَمْ ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَالَ : وَبِكَيْتَا . قَالَ : وَاللَّهِ يَعْلَمُ أَنَّهُ قَامَ قَائِمًا ثُمَّ جَلَسَ ، وَقَالَ : إِنَّهُ لَمَوْ ؟ قُلْنَا : نَعَمْ ، إِنَّهُ لَمَوْ ، كَأَنَّكَ تَنْتَظِرُ إِلَيْهِ . فَامْسُكْ سَاعَةً يَنْتَظِرُ إِلَيْهَا ، ثُمَّ قَالَ : لَمَّا إِنَّهُ كَانَ آخِرَ الْبُيُوتِ ، وَلَكِنِّي حَسَبْتُهُ لَكُمْ لَا أَنْظُرَ مَا عِنْدَكُمْ .

ثُمَّ فَتَحَ بَابًا آخَرَ ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ حَرِيرَةَ سَوْدَاءَ ، فَذَا فِيهَا صُورَةُ أَهْمَاءَ سَحَابَاءَ ، وَإِذَا رَجُلٌ جَعْدٌ قَطَطٌ ، ظَاهِرُ الْعَيْنَيْنِ ، حَدِيدُ النَّظَرِ ، عَابِسُ مَرَاكِبِ [الْأَسْنَانِ] ، مُكَمَّلُ (٣) الشَّفَةِ كَأَنَّهُ غَضَبِيَانِ ، قَالَا : هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا ؟ قُلْنَا : لَا . قَالَ : هَذَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ . وَإِلَى جَانِبِهِ صُورَةُ نَشْبِهِ ، إِلَّا أَنَّهُ مُدْمَكُنْ (٤) الرُّأْسِ ، عَرِيضُ الْجَبِينِ ، فِي عَيْنَيْهِ قَبِيلٌ (٥) ، قَالَا : هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا ؟ قُلْنَا : لَا . قَالَ : هَذَا هَارُونَ بْنُ عِمْرَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

ثُمَّ فَتَحَ بَابًا آخَرَ ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ حَرِيرَةَ بِيضَاءَ ، فَذَا فِيهَا صُورَةُ رَجُلٍ آدَمُ مَسْبُطُ (٦) رِجْلَيْهِ . كَأَنَّهُ غَضَبِيَانِ ، قَالَا : هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا ؟ قُلْنَا : لَا . قَالَ : هَذَا لُوطٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

ثُمَّ فَتَحَ بَابًا آخَرَ ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ حَرِيرَةَ بِيضَاءَ ، فَذَا فِيهَا صُورَةُ رَجُلٍ أَيْضُ مُشْرَبِ حُمْرَةِ ، أَتْفَى (٧) ، خَفِيفُ الْأَرْضَيْنِ حَسَنُ الْوَجْهِ ، قَالَا : هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا ؟ قُلْنَا : لَا . قَالَ : هَذَا إِسْحَاقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

ثُمَّ فَتَحَ بَابًا آخَرَ ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ حَرِيرَةَ بِيضَاءَ ، فَذَا فِيهَا صُورَةُ نَشْبِهِ إِسْحَاقُ ، إِلَّا أَنَّهُ عَلَى شَفَةِ خَالَ ، قَالَا : هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا ؟ قُلْنَا : لَا . هَذَا يَعْقُوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

-
- (١) الرِّبْمَةُ - يَفْتَحُ الرِّاءَ وَسُكُونُ الْيَاءِ - : إِنَّهُ مَرِيضٌ .
 (٢) صَلَتَ الْجَبِينَ - يَفْتَحُ الْعَصَادَ وَسُكُونُ اللَّامِ - : أَيْ وَاسِعُهُ . وَقِيلَ : صَلَّتَ الْيَارِزُ ، وَقِيلَ أَيْضًا : الْأَمْلَسُ .
 (٣) أَيْ : مَجْتَمِعَةٌ مُنْتَفِصَةٌ .
 (٤) أَيْ : دَعِينُ الشَّعْرِ .
 (٥) الْقَبِيلُ - يَفْتَحُ نُونًا - : هُوَ إِيَّالِ السَّوَادِ عَلَى الْأَنْفِ ، وَقِيلَ : هُوَ مِثْلُ كَالْمَوْلُ .
 (٦) الْبَسِطُ - يَفْتَحُ فَسْكَوْنًا - ثَمَّ الْأَخْفَ . وَالْبَسِطُ أَيْضًا الشَّعْرُ : لِلْمُنْتَبِطِ الْمُسْتَرْمِلِ .
 (٧) الْقَتَا فِي الْأَنْفِ : طَوْلُهُ ، وَوَرْدَةُ أَرْوَجِهِ ، مَعَ سَلْبٍ فِي وَسْطِهِ .

ثم فتح بابا آخر ، فاستخرج منه حرية سوداء فيها صورة رجل أبيض حسن الوجه ، ألقى الأنف ، حسن القامة ، بلو وجهه نور ، يعرف في وجهه الخشوع ، يضرب إلى الحمرة ، قال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا . قال : هذا إسماعيل جد نبيكم عليهما السلام .

ثم فتح بابا آخر فاستخرج حرية بيضاء فيها صورة كآدم عليه السلام ، كان وجهه الشمس ، قال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا . قال : هذا يوسف عليه السلام .

ثم فتح بابا آخر ، فاستخرج حرية بيضاء ، فإذا فيها صورة رجل أحمر حشمش (١) الساقين ، أنفخ العينين (٢) ، ضخم البطن ربة مقلد سيفا ، قال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا . قال : هذا داود عليه السلام .

ثم فتح بابا آخر ، فاستخرج حرية بيضاء ، فيها صورة رجل ضخم الأكتين ، طويل الرجلين ، راكب فرسا . قال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا . قال : هذا سليمان بن داود عليه السلام .

ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حرية سوداء ، فيها صورة بيضاء ، وإذا شاب شديك سودا اللحية ، كثير الشعر ، حسن العينين ، حسن الوجه ، قال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا . قال : هذا عيسى ابن مريم عليه السلام .

قلنا : من أين لك هذه الصور ؟ لأننا نعلم أنها على ما صوّرت عليه الأنبياء عليهم السلام ، لأننا رأينا صورة نبينا عليه السلام مثله . قال : إن آدم عليه السلام سأل ربه أن يريه الأنبياء من ولده ، فأنزل عليه صورهم ، فكان في خزنة آدم عليه السلام عند مغرب الشمس ، فاستخرجها ذو القرنين من مغرب الشمس فلفها إلى دايال . ثم قال : أما والله إن نفس طابت بالخروج من ملكي وألقي كنت بهذا لأشركم ملكة ، حتى أموت . ثم أجازنا فأحسن جاترنا ، وصرحنا ، فلما أتينا أبا بكر الأنصلي رضي الله عنه [فحدثناه بما أروانا ، وبما قال لنا ، وما أجازنا ، قال : فيكي أبو بكر] وقال : مسكين ! لو أراد الله به خيرا لقتل . ثم قال : أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم واليهود يجنون نعت محمد صلى الله عليه وسلم حنظل .

هكذا أورده الحافظ الكبير أبو بكر البيهقي رحمه الله في كتاب « دلائل النبوة » (٣) ، عن الحاكم إجازة ، فذكره ، واستاده لا بأس به .

وقال ابن جرير : حدثنا للثني (٤) ، حدثنا عثمان بن عُمَرَ ، حدثنا فُلَيْح ، عن هلال بن علي ، عن عطاء بن يسار قال : قلت عبد الله بن عمرو فقلت : أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الثوراة : قال : أجل والله ، إنه لموصوف في الثوراة كصفته في القرآن : يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحجرا للأبين ، أنت عدي ورسول ، سميتك المتركل ، ليس يفظ ولا غليظ ، [ولا صحاب في الأمواق ، ولا يجزي بالسيدة الهقة ، ولكن يصفو

(١) يقال : رجل حشمش الساقين - يفتح فمكوك - وأحش : ألى فديهما .

(٢) الخشخ في العين : فساد فيها ، يصف من ثوراه ، وتتمم دائما من غير وجه .

(٣) ينظر دلائل النبوة للبيهقي ، غرر أخبار الكتاب ، رقم ٧٠١ حديث ، ورقة : ١١٧ - ١٢٠ .

(٤) في تفسير القامري ، الأثر ١٠٢٢/١٣/١٦٤ : حدثنا ابن للثني .

يصفح^(١) ، ولئن يقضه الله حتى يقم به الملة الرجاء ، بأن يقولوا : « لا إله إلا الله » ويفتح به قلوبا غلظا ، وأكثانا سحاً ، وأعيننا عيا - قال عطاه : ثم قُتيت كما فسأته عن ذلك ، فإ اختلقا حرفا ، إلا أن كما قال بلنته ، قال : أوبا غُلُوبيا وأكثانا صُومُوبيا وأعيننا عُمُوميا .

وقد رواه البخاري في صحيحه ، عن محمد بن سنان ، عن فكيح ، عن حلال بن علي - فذكر بإسناده نحوه ، زاد بعد قوله ليس يفظ ولا غلط : « ولا صحاب في الأسواق ، ولا يجزي بالبيضة البيضة ، ولكن ينفو ويصفح^(٢) .

ويقع في كلام كثير من السلف إطلاق « التوراة » على كتب أهل الكتاب . وقد ورد في بعض الأحاديث ما يشبه هذا ، والله أعلم .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني : حدثنا موسى بن هارون ، حدثنا محمد بن إدريس [وراق]^(٣) الحميري ، حدثنا محمد^(٤) بن عمر بن إبراهيم - من ولد جابر بن مطعم - قال : حدثني أم عثمان بنت سعيد - وهي جدتي - عن أبيها سعيد بن محمد بن جابر ، عن أبيه محمد بن جابر ، عن أبيه جابر بن مطعم قال : خرجت تاجرا إلى الشام ، فلما كنت بأدنى الشام لقيني رجل من أهل الكتاب ، فقال : هل عندكم رجل نيا ؟ قلت : نعم . قال : هل تعرف صورته إذا رأيتهما ؟ قلت : نعم . فأدخلني بيتا فيه صُورٌ ، فلم أر صورة النبي صلى الله عليه وسلم ، فإني أنا أكلتلك إذ دخل رجل منهم علينا ، فقال : عيم أئم ؟ فأخبرناه ، فلحبب بنا إلى منزله ، فساعة ما دخلت نظرنا إلى صورة النبي صلى الله عليه وسلم ، وإذا رجل آخذ بعقب النبي صلى الله عليه وسلم ، قلت : من هذا الرجل القابض على عقبه ؟ قال : إنه لم يكن [بني إلاكنا] بعده نبي [إلا] هذا [النبي] فإنه لا نبي بعده ، وهذا الخليفة بعده ، وإذا صفة أبي بكر رضي الله عنه ،

وقال أبو داود : حدثنا عمر بن حفص أبو عمر الضرير ، حدثنا حماد بن سلمة أن سعيد بن لباس الجعفي أخبرهم ، عن عبد الله بن شقيق الحنظلي ، عن الأكرع مؤذن عمر بن الخطاب قال : بعثني عمر إلى الأسقف ، فدخلته ، فقال له عمر : هل يجئني في الكتاب ؟ قال : نعم . قال : كيف يجئني ؟ قال : أجلك قَرَنًا . قال : فرفع عمر الدرة وقال : قرَن مَهْ ؟ قال : قرَن حديد ، أمير^(٥) شديد . قال : فكيف يجئ الذي بعدي^(٦) ؟ قال : أجده خليفة صالحا ، خير أنه

(١) من تفسير الطبري ، وسيدكر ابن كثير رواية البخاري لهذا الحديث ، ويقول إن لها زيادة ، وهي الزيادة التي نقلناها بين القوسين من تفسير الطبري ، ويبدو أن نسخة ابن كثير لتفسير الطبري قد وقع فيها سقط .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب البيوع ، باب كراهية السب في الأسواق : ٨٧/٣ . وقد رواه البخاري أيضا في كتابه التفسير ، تفسير سورة الفتح عن عبد الله بن سلمة ، عن حبه البرقي عن أبي سلمة ، عن حلال ، به : ١٦٩/٦ ، ١٧٠ . ولهيا « سَناب » « بالسِن » .

(٣) في خطبوة الأثرم : « محمد بن إدريس بن الحبيبي » . وفي الطبقات السابقة : « محمد بن إدريس بن وراق بن الحبيبي » . والكتب من الجرح لاين أبي سالم : ٢٠٤/٢/٣ ، قال : « محمد بن إدريس أبو بكر وراق الحميري ، مكى . روى عن أبي حبه الرحمن المقرئ ، وصحان بن إيمان ... سمعت منه بمكة ، وهو صدوق » .

(٤) ينظر الجرح لاين أبي سالم : ١٩/١/٤ .

(٥) في سنن أبي داود : « أمين شاذله » .

(٦) في سنن أبي داود : « الذي يحى من بعدي » .

يؤثر قرابته : قال عمر : برح الله عثمان ، ثلاثاً . قال : كيف نجد الذي بعده ؟ قال : أجد صدقاً (١) . حديث : قال :
قوضع عمر يده على رأسه وقال : بادقرا ، بادقرا ! قال : يا أمير المؤمنين ، إنه خليفة صالح ، ولكنه يستخلف
حين يستخلف والليف مملوك ، والله مهراق (٢) .

وقوله تعالى : (يا أيها المرء بالمعروف وينهاهم عن المنكر) ، هذه صفة الرسول صلى الله عليه وسلم في الكتب المتظمة ،
وهكذا كان حاله عليه الصلاة والسلام ، لا يأمر إلا بخير ، ولا ينهى إلا عن شر ، كما قال عبد الله بن مسعود : « إذا سمعت
الله يقول : (يا أيها الذين آمنوا) فآلزمها سمعك » ، فإنه خير يأمر به أو شر ينهى عنه . ومن أهم ذلك وأعظمه ما بينه الله
به من الأمر بعبادته وحده لا شريك له ، والله من عبادة من سواد ، كما أرسل به جميع الرسل قبله ، كما قال تعالى :
(ولقد بعنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) (٣) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو حاتم - هو العسكدي حيد الملك بن عمرو - حدثنا سليمان - هو ابن بلال - عن ربيعة
ابن أبي عبد الرحمن ، عن عبد الملك بن سعيد ، عن أبي حميد وأبي أسيد رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال : « إذا سمعتم الحديث حتى يصره قلوبكم ، وتلين له أشعاركم وأبشاركم ، وترون أنه منكم قريب ، فانا
أولاكم به : وإذا سمعتم الحديث حتى تشكرو قلوبكم ، وتغير منه أشعاركم وأبشاركم ، وترون أنه منكم بعيد ، فانا
أبعدكم منه » (٤) .

هذا جيد الإسناد ، لم يخرج له أحد من أصحاب الكتب .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي البختري ، عن علي رضي
الله عنه قال : « إذا حدثكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً فظننوا به الذي هو أهدى ، والذي هو أعتا (٥) ،
وقلبي هو أتي (٦) .

ثم رواه عن يحيى بن سعيد ، عن مسعر ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي البختري ، عن أبي عبد الرحمن ، عن علي
رضي الله عنه قال : « إذا حدثكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً ، فظننوا به الذي هو أهداه وأعتاه وأتاه (٦) .

(١) في مخطوطة الأزر : « القدي » . والمثبت عن سنن أبي داود ، وفي التباية : « صدأ من حديد » ويرى : « صدح -
يفتحين - أراد دواء لبس الحديد ، لاتصال الحروب في أيام حل ، وما من به من مقاتلة الحوارج والبنات وملابس الأمور
المشكلة ، والخطوب الممنعة ، وللك قال عمر رضي الله عنه : « وادفرا » تفسيراً من ذلك ، ورواه أبو حيد غير مهووز ،
كان الصداقة في الصدح ، وهو الخفيف الجسم ، أراد أن علياً رضي الله عنه خفيف ، ينفذ إلى الحروب ولا يكسل ، لشدة
بأسه وجبائه » .

(٢) سنن أبي داود ، كتاب السنة ، باب في الخلفاء ، الحديث ٤٩٥٦ : ٢١٢/٤ ، ٢١٤ ، وقال أبو داود :
« والفر التين » .

(٣) سورة قتل ، آية : ٣٦ .

(٤) مسند الإمام أحمد : ٤٩٧/٣ ، ٤٢٥/٥ .

(٥) في مسند الإمام أحمد : « لأيا » ، « بيا » ، وهو خطأ . و « أعتا » أصله « أعتا » بالهمز ، وهو اسم تفضيل من
عتل كعتي ، هامة : تهرس من شر مشقة ولا عنه ، لكن قلبت هزته ألفاً للأدراج والمشاكلة مع « أهدى » و « أتي » ، فلي أعتا
حل هذا : أيسر . و « أتي » اسم تفضيل من الاعتله .

(٦) مسند الإمام أحمد : ١٢٢/١ ، ١٣٠/١ ، ١٣١ ، ٣٨٥ ، ٤١٥ . وسنن ابن ماجه ، المقدمة ،
باب تعظيم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والتقليد حل من عارضه ، الحديث ١٩ ، ٩/٢٠ .

وقوله : « ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث » ، أى : حل لهم ما كانوا حرموه حل أنفسهم من التحريم والسواب والوسائل والحام ونحو ذلك ، مما كانوا ضيقوا به حل أنفسهم ، ويحرم عليهم الخبائث :

قال حل بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : كلهم الخنزير وفرا ، وما كانوا يستحلونه من الحرام من المأكلة التي حرمها الله تعالى (١) .

وقال بعض العلماء : كل ما أحل الله تعالى فهو طيب نافع في البلد والدين ، وكل ما حرمه فهو خبيث ضار في البلد والدين .

وقد نمسك بهذه الآية الكريمة من يرى التحسين والتجديد ، وأجيب عن ذلك بما لا يتسع هذا الموضع له . وكلما احتج بها من ذهب من العلماء إلى أن الرجوع في حل المأكلة التي لم تنس حل تحليها ولا تحريمها ، إلى ما استطاعت العرب في حال وفاءيتها ، وكلما في جانب التحريم إلى ما استخبت : وفيه كلام طويل أيضا .

وقوله : « ويضيق عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم » ، أى : إنه جاء بالتيسير والسهولة ، كما ورد الحديث من طريق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يثبت بالحنيفية السمحة » (٢) : « وقال لأبيهم بمكة وأبي موسى الأشعري ، لما بعثهما إلى اليمن : « بشرا ولا تنفرا ، ويسرا ولا تمرا وتطاولا ولا تغتظا » (٣) : « وقال صاحبه أبو هريرة الأشعري : « إلى صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهدت تبشيره » (٤) .

وقد كانت الأمم الذين كانوا قبلنا في شرائعهم ضيق عليهم ، فوسع الله حل هذه الأمة أمورها ، وسهّلها لهم ؛ ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ، ما لم تكفر أو تتكلم » (٥) ، وقال : « رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » (٦) ، ولهذا قد أورد الله هذه الأمة أن يقولوا : « وبنا لا نتخطأ إن نسينا أو أخطأنا ، وبنا ولا نحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ، وبنا ولا نحملنا ملاطاة لنا به ، واعدف عنا ، واغفر لنا وارحمنا ، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين » . وثبت في صحيح مسلم أن الله تعالى قال بعد كل سؤال من هذه : « قد فعلت ، قد فعلت » (٨) .

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٢٢٩ : ١٣/٦٦ .

(٢) مسند أحمد عن أبي أمامة ، ٢٦٦/٥ . وعن عائشة ، ١١٦/٦ : ٢٣٣ .

(٣) البخاري ، كتاب الجهاد ، باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب وحقوقه من مصي إبله ، ٧٩/٤ . ومسلم ، كتاب الجهاد ، باب في الأمر بالتيسير وترك التعسير : ١٤١/٥ .

(٤) مسند الإمام أحمد : ٤٢٠/٤ ، ٤٢٣ .

(٥) البخاري ، كتاب الطلاق ، باب الطلاق في الإفلاق والكره والمكران ، ٥٩/٧ . ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب إذا لم تستقر : ٨١/١ ، ٨٢ .

(٦) سنن ابن ماجه ، كتاب الطلاق ، باب طلاق المكره والنسي ، الحديث : ٢٠٤٥ : ٦٥٩/١ .

(٧) في المصنوعة : « ولهذا قال : أَرْضَهُ الله ... » . ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٨) مسلم ، كتاب الإيمان ، باب « بيان وإن قيلوا ما في أنفسكم أو نظروا » : ٨١/١ .

وقوله : (فالذين آمنوا به وعزروه وتصروه) ، أى : عظموه ووقروه ، (واتبعوا البر الذي أنزل معه) ، [أى : القرآن والوحي الذي جاء به مبلى إلى الناس] ، (أولئك هم المفلحون) ، أى : فى الدنيا والآخرة .

قُلْ يٰٓأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مَلَكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۚ قُلْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ إِنِّي إِلَٰهٌ إِلَٰهٌ يُّؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ ۚ وَأَتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٩٩﴾

يقول تعالى لتبني ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم : (قل) يا محمد : (يا أيها الناس) ، وهذا خطاب للأحمر والأسود ، والعرب والمجس ، (إني رسول الله إليكم جميعا) ، أى : جميعكم ، وهذا من شرفه وعظمته أنه خاتم النبيين ، وأنه مبعوث إلى الناس كافة ، كما قال تعالى : (قل الله شهيد بيني وبينكم ، وأوحى إلى هذا القرآن لأتذكركم به ومن بلغ (١)) ، وقال تعالى : (ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده) (٢) وقال تعالى : (وقل الذين أوتوا الكتاب والأمين : أأسلمتم ؟ فأن أسلموا فقد اهتدوا ، وإن تولوا فإنا عليك اليأس) (٣) . والآيات في هذا كثيرة ، كما أن الأحاديث في هذا أكثر من أن تحصر ، وهو معلوم من دين الإسلام ضرورة أنه - صلوات الله وسلامه عليه - رسول الله إلى الناس كلهم .

قال البخارى رحمه الله في تفسير هذه الآية : حدثنا سليمان بن عبد الرحمن وموسى بن هارون قالا : حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا عبد الله بن الملا بن زبهر ، حدثني بسر بن عبيد الله ، حدثني أبو إدريس الخولاني قال : سمعت أبا النرداء - رضى الله عنه - يقول : كانت بين أبي بكر وعمر رضى الله عنهما محاورة ، فأغضب أبو بكر عمر ، فانصرف عمر عنه غضبا ، فأتبه أبو بكر يسأله أن يستغفر له ، فلم يفعل حتى أغلق باب في وجهه ، فأقبل أبو بكر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم - فقال أبو النرداء : ونحن عنده - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما صاحبكم هلما فقد غامر - أى : غضب وهاقد (٤) - قال : وتدم عمر على ما كان منه ، فأقبل حتى سلم وجلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وقص على رسول الله صلى الله عليه وسلم [الخبر (٥)] - قال أبو النرداء : وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم [وجعل أبو بكر يقول : والله يا رسول الله لأننا كنت أعظم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل أتم تاركوكى صاحبى ؟] (٥) إلى قلت : يا أيها الناس ، إني رسول الله إليكم جميعا ، فقلتم : كلبتم . وقال أبو بكر : صدقت (٦) (١) . انفراد به البخارى .

(١) سورة الأنعام ، آية : ١٩ .

(٢) سورة هود ، آية : ١٧ .

(٣) سورة آل عمران ، آية : ٢٠ .

(٤) كلما فر ابن كثير « غامر » . وفي النهاية : « أما صاحبكم فقد غامر » ، أى غاصم غيره . ومعناه دخل في غمرة الغصومة ، وهي مظلمة ، والمسلم الذي يرى نفسه في الأمور المهلكة » .

(٥) من صحيح البخارى .

(٦) صحيح البخارى ، تفسير سورة الأعراف : ٧٥/٦ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا عبد العزيز بن مسلم ، حدثنا يزيد بن أبي زياد ، عن مقيم^٢ ، عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أعطيت خساً لم يعطهن نبي قبلي - ولا أقوله^(١) فخراً - : بعثت إلى الناس كافة : الأحمر والأسود ، ونصرت بالرب مسيرة شهر ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، وأعطيت الشفاعة فأخبرتها لأمنى فهي لمن لا يشرك بالله شيئا^(٢) » : إسناده جيد ، ولم يخرجوه .

وقال الإمام أحمد أيضاً : حدثنا كتيبة بن سعيد ، حدثنا بكر بن مضر ، عن ابن^(٣) المقداد ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عام خزرة تبوك ، قام من الليل يصلي ، فاجتمع وراءه رجال من أصحابه يحرسونه ، حتى إذا صلى اتصرف إليهم فقال ثم : « لقد أعطيت الليلة خساً ما أعطيهن أحد قبلي ، أما أنا فأرسلت إلى الناس كلهم عامة ، وكان من قبلي إنما يرسل إلى قومه » ونصرت على الجملو بالرب ، وأوكان بيني وبينهم مسيرة شهر لئلا يهني رجا . وأحلت لي الغنائم أكلها ، وكان من قبلي يعطون أكلها ، كانوا يحرقونها : وجعلت لي [الأرض مساجد وطهوراً ، أي أدركني صلاة تيسر لي وصليتي ، وكان من قبلي يعطون ذلك ، إنما كانوا يصلون في بيوتهم وكنائسهم . والخمسة هي ما هي . قيل لي : « سل » فإن كل نبي قد سأل . فأخبرت مسألتي إلى يوم القيامة ، فهي لكم ولن شهيد أن لا إله إلا الله^(٤) » . إسناده جيد قوى أيضاً ولم يخرجوه .

[وقال] أيضاً : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من سمع في من أئى يهودى أو نصراني ، فلم يؤمن بي ، لم يدخل الجنة^(٥) » .

وهذا الحديث في صحيح مسلم من وجه آخر ، عن أبي موسى^(٦) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذي نفسي بيده ، لا يسمع في رجل من هذه الأمة : يهودى ولا نصراني ، ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار » وقال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن هبة حدثنا أبو يونس - وهو سالم بن جبير - عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [أنه قال] : « والذي نفسي بيده ، لا يسمع في أحد من هذه الأمة : يهودى أو نصراني ، ثم يموت ولا يؤمن بالذي أولمست به ، إلا كان من أصحاب النار^(٧) » . تفرد به أحمد .

(١) في المتن : « ولا أقوله » .

(٢) مستد الإمام أحمد : ٣٠١/١ . وقد رواه الإمام أحمد أيضاً من وجه آخر ، ينظر المتن : ٢٥٠/١ .

(٣) في خطبة الأثر : « من أبي المقداد » . وهو خطأ ، واسمه يزيد بن المقداد ، ينظر التذييل ، ترجمة بكر بن مضر : ٤٨٧/١ .

(٤) مستد الإمام أحمد : ٢٢٢/٢ .

(٥) مستد الإمام أحمد : ٣٩٦/٤ .

(٦) كلما قال : « عن أبي موسى » ، ولم يجده ، وهو في صحيح مسلم عن أبي هريرة . وفي الصحيح رواية أخرى من أبي موسى . ينظر مسلم ، كتاب الإيمان ، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد : ٩٢/١ .

(٧) مستد الإمام أحمد : ٣٥٠/٢ . وما بين القوسين منه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسين بن محمد ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي بردة ، عن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أعطيت حسماً : يثبث إلى الأحمر والأسود ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، وأحلت لي القتائم ولم تحل لي أن كان قتل ، ونصرت بالرب شهراً ، وأعطيت الشفاعة - وأدين من نبي إلا وقد سألت للشفاعة ، وإن قد انتحبت شفاعةي ، ثم جعلتها لمن مات من أمي لم يشرك بالله شيئاً (١) » .

وهذا أيضاً إسناده صحيح ، ولم أرم شرحه ، والله أعلم وهذا الحديث ثابت في تصحيحين أيضاً ، من حديث جابر ابن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أعطيت حسماً لم يظعن أحد من الأنبياء قتل : نصرت بالرب صبرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، فأما رجل من أمي أحركته صلاة فليصل ، وأحلت لي القتائم ، ولم تحل لأحد قتل ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث إلى قومه ويبعث إلى الناس عامة (٢) » .

وقوله : (الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت) صفة الله تعالى : في قوله : (رسولُ الله) ، أي : الذي أرسلني هو خالق كل شيء وربه وملكه ، الذي بيده الملك والإحياء والإماتة ، وله الحكم .

وقوله : (قاتلوا بالله ورسوله النبي الأبي) ، أخبرهم أنه رسول الله إليهم ، ثم أمرهم بالبايع والإيمان به ، (النبي الأبي) ، أي : الذي وُجدتم به ويُسْمَرُ به في الكتب المقدسة ، فإنه منعت بذلك في كتبهم ، ولهذا قال (النبي الأبي) الذي يؤمن بالله وكلماته) ، أي : يصدق قوله عمله ، وهو يؤمن بما أنزل إليه من ربه (واتبعوه) ، أي : اسلكوا طريقه واتقوا أمره ، (فاعلمكم تحلون) ، أي : إلى الصراط المستقيم :

وَمِنْ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ آمَنُوا بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿٦٦﴾

يقول تعالى غيبراً عن نبي إسرائيل أن منهم طائفة يتَّبِعُونَ الْحَقَّ وَيَعْدِلُونَ به ، كما قال تعالى : (من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله أناء الليل وهم يسجدون) (٣) ، وقال تعالى : (وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله ، وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم ، عاشقين له لا يشركون بآيات الله شيئاً قليلاً ، أولئك لم أجزم عند ربهم ، إن الله سريع الحساب) (٤) وقال تعالى : (الذين آتيتهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون . وإننا بئى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين : أولئك يؤتونه أجرهم مرتين بما صبروا) (٥) الآية ، وقال تعالى : (الذين آتيتهم الكتاب يتلونهم حتى تلاقوه أولئك يؤمنون) (٦) به : الآية ، وقال تعالى : (إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا بئى عليهم يخرون للأذقان سجداً) ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً ، ويخرون للأذقان ليكون وزيدهم خشوعاً (٧) .

(١) مسند الإمام أحمد : ٤١٦/٤ .

(٢) مخرج الحديث في سورة النساء ، حقه الآية ٤٣ . انظر ٢٨١/٢ .

(٣) سورة آل عمران : آية : ١١٣ .

(٤) سورة آل عمران : آية : ١٩٩ .

(٥) سورة القصص : الآيات : ٥٢ - ٥٤ .

(٦) سورة البقرة : آية : ١٢١ .

(٧) سورة الإسراء : الآيات : ١٠٧ - ١٠٩ .

وقد ذكر ابن جرير في تفسيرها خبراً عجيباً ، فقال : حدثنا القاسم ، حدثنا الحسين ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج قوله : (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) ، قال : بلغني أن بني إسرائيل لما قتلوا أنبياءهم ، وكفروا - وكانوا اثني عشر سبطاً - تراءى سبط منهم بما صنعوا ، واعتزلوا ، وسألوا الله عز وجل أن يفرق بينهم وبينهم . ففتح الله لهم نفقاً في الأرض ، فساروا فيه حتى خرجوا من وراء الصين ، فهم هناك حفاة مسلمين يستقبلون قتلنا - قال ابن جريج : قال ابن عباس : فذلك قوله : (وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض ، فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفاً (١)) ، « ووجد الآخرة » : عيسى بن مريم (٢) - قال ابن جريج : قال ابن عباس : ساروا في الحرب سنة ونصفاً (٣) :

وقال ابن عينة ، عن صدقة أبي المقديل ، عن السدي : (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) ، قال : قوم بينكم وبينهم نهر من (٤) شهيد .

وَقَطَعْنَهُمْ أَثْنَى عَشَرَ أَسْبَابًا أُمًّا وَلَوْحِيًّا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَىٰ قَوْمَهُ ۖ إِنَّ أَضْرَبَ بِبَعْثِكَ الْحَاجِرَ ۖ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ أَتْنَا عَشْرَةَ مِثْقًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ ۖ وَعَطَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَنَمَ ۖ وَأَوْرَثْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَ وَالسَّوْءَ كُلَّوْمٍ ۖ مِنْ طَبِئَتِ مَارَافِقُنَا وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٥﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حَمْدًا ۖ وَادْخُلُوا الْبَابَ حَيْدًا ۖ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَبْعًا ۖ وَتَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ فَبَلَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِم رِجَالًا مِنْ أَلْسِنَاهُمْ يَمَّا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٧﴾

تقدم تفسير هذا كله في سورة البقرة ، وهي مدينة ، وهذا السياق مكى ، وبهنا على الفرق بين هذا السياق وذاك ما أفنى عن إعادته ، والله الحمد ولله (٥) .

وَسَعَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ جِثَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّاءَ وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٨﴾

هذا السياق هو بسط قوله تعالى : (ولقد علمن اللين اعتدوا منكم في السبت قلنا لهم : كملوا قرعة خامسين) ، يقول تعالى لنبيه صلوات الله وسلامه عليه : (واسألهم) ، أى : واسأل هؤلاء اليهود [الذين] حضرك من قصة أصحابهم

(١) سورة الإسراء : آية : ١٠٤ .

(٢) لفظ الطبري : « ووجد الآخرة » : عيسى بن مريم ، يخرجون منه .

(٣) تفسير الطبري : الأثر : ١٥٢٥١ / ١٣ / ١٧٢ / ١٧٤ .

(٤) تفسير الطبري : الأثر : ١٥٢٥٠ / ١٣ / ١٧٢ .

(٥) ينظر تفسير الآية رقم ٦٠ من سورة البقرة : ١٤٣ / ١ / ١٤٤ .

(٦) سورة البقرة : آية : ٦٥ . وينظر : ١٠٠ / ١ - ١٥١ .

الذين خالفوا أمر الله ، فاجابهم نعمته حل صنيعهم واعتنائهم واحد يتألف في الخالفة . وحذر هؤلاء من كتمان صفتك التي يجلونها في كتبهم ، لتلاجيلهم ما حل بإخوانهم وسلفهم . وهذه القرية هي « أيلة » ، وهي على شاطئ بحر القنزم .

قال محمد بن إسحاق ، عن جلود بن الحصين ، عن حكرمة ، عن ابن عباس في قوله : (واسلم عن القرية التي كانت حاضرة البحر) ، قال : هي قرية يقال لها « أيلة » بين مدّين والطور (١) .

وكذا قال حكرمة ، وعجاءة ، وقادة ، والسدي .

وقال عبد الله بن كثير القاري ، سمعنا أبا أيلة (٢) .

وقيل : هي مدّين ، وهو رواية عن ابن عباس .

وقال ابن زيد : هي قرية يقال لها « مقنا » بين مدّين (٣) وعيثوثي .

وقوله : (إذ يمدون في السبت) ، أي : يمدون فيه ويخالفون أمر الله فيه لم بالصلاة به إذ ذلك ،

(إذ تأتيهم حيثهم يوم سبهم شرّما) ، قال الضحاك ، عن ابن عباس : أي ظاهرة على الماء (٤) ،

وقال الحوفي ، عن ابن عباس (شرّما) : من كل مكان (٥) .

قال ابن جرير : وقوله : (ويوم لا يسعون لأتائهم كذاك تبلوهم) ، أي : نخبرهم بإظهار السمك لم حل ظهر الماء في اليوم الحرم عليهم صيده ، وانخافه منهم في اليوم الحلال لم صيده - (كذاك تبلوهم) : نخبرهم - (بما كانوا يفسقون) ، يقول : يفسقهم من طاعة الله ويخبرهم (٦) عنها .

وهؤلاء قوم احتالوا على انتهاك محرم الله ، بما تماطوا من الأسباب الظاهرة التي منها في الباطن تماطى الحرام ،

وقد قال الفقيه الإمام أبو عبد الله ابن بطّلة رحمه الله : حدثنا أحمد بن محمد بن محمد بن مسلم ، حدثنا الحسن بن محمد ابن الصباح از صفرائي ، حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة أن رسول الله صل الله عليه وسلم قال : « لا تركبوا ما ارتكبت اليهود ، فتحتلوا محرم الله بأذى الحيل » .

وهذا إسناده جيد ، فإن أحمد بن محمد بن مسلم هذا ذكره الخطيب في تاريخه (٧) - ووفقه ، وباني رجاله مشهورون هئات ، ويصحح الترمذي على هذا الإسناد كثيرا .

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٢٥٢ : ١٨٠/١٣ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٢٥٢ : ١٨٠/١٣ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٢٦٠ : ١٨١/١٣ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٢٦٢ : ١٨٣/١٣ .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٢٦٣ : ١٨٣/١٣ .

(٦) تفسير الطبري : ١٨٢/١٣ ، ١٨٤ .

(٧) تاريخ بغداد : ٩٨/٥ ، ٩٩ .

وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَنظُرُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُبَدِّلُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْرِضُكَ إِلَى رَبِّكَ وَلَهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٥١﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعُنَانٍ مِّنْ يَمِينِنَا بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٥٢﴾ فَلَمَّا عَتَا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٥٣﴾

يخبر تعالى عن أهل هذه القرية أنهم صاروا إلى ثلاث فرق : فرقة ارتكبت الخلود ، واحتالوا على اصطیاد السمك يوم السبت ، كما تقدم بيانه في سورة البقرة : وفرقة نهت عن ذلك ، واحترتهم : وفرقة سكنت ظلم فقل ولم ته ، ولكنها قالت المنكرة : (لم تنظرون قوماً الله مهلكهم أو مبدلهم عذاباً شديداً) ، أي : لم تهون هؤلاء ، وقد حلستم أنهم هلكوا واستحقوا العقوبة من الله ؟ فلا تالفة في نهيكم إياهم : قالت ثم المنكرة : (معذرة إلى ربكم) — قرأ بعضهم بالرفع ، كأنه على تقديره : هنا معذرة وقرأ آخرون بالنصب ، أي : فقل ذلك (معذرة إلى ربكم) ، أي : فإأخذ حلينا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر — (ولهم يقنون) يقولون : ولعل هذا الإنكار يقنون مأم في ويتركوه ، ويرجعون إلى الله تائبين ، فإذا تابوا تاب الله عليهم ورحمهم .

قال تعالى : (فلما نسوا ما ذكروا به) ، أي : فلما أتى القاطعون المنكر يقول " النصيحة " (أنجينا الذين ينهون عن السوء ، وأخذنا الذين ظلموا) ، أي : ارتكبوا المصيبة (بطاب بئس) ، فنص على نجاة التائبين وهلاك الظالمين ، وسكت عن الساكين ، لأن الجزاء من جنس العمل ، فهم لا يستحقون ملحاً فيملحوا ، ولا لولئكوا عذاباً فيكذبوا ، ومع هذا قد اختلف الأئمة فيهم : هل كانوا من المالكين أو من الناجين ؟ على قولين :

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : (وإذ قالت أمة منهم لم تنظرون قوماً الله مهلكهم أو مبدلهم عذاباً شديداً) هي قرية على شاطئ البحر بين مصر واللدية ، يقال لها : " أيلة " ، فحرم الله عليهم الخيانت يوم سبهم ، وكانت الخيانت تأتهم يوم سبهم شرعا في ساحل البحر ، فإذا مضى يوم السبت لم يقدروا عليها . ففسي (١) على ذلك ما شاء الله ، ثم إن طائفة منهم أغلوا الخيانت يوم سبهم ، فنهتهم طائفة وقالوا : تأخلوننا وقد حرما الله عليكم يوم سبكم : فلم يردادوا إلا غيياً وعتوا ، وجعلت طائفة أخرى تنهاهم ، فلما طال ذلك عليهم قالت طائفة من القاعة : تعلمون أن هؤلاء قوم [قد] حتى عليهم الملب ، (لم تنظرون قوماً الله مهلكهم) ، وكانوا أشد غضباً من القاعة الأخرى ، قالوا : (معذرة إلى ربكم ولهم يقنون) ، وكل قد كانوا ينهون ، فلما وقع عليهم غضب الله نجت الطائفتان الثاني قالوا : (لم تنظرون قوماً الله مهلكهم) والذين قالوا : (معذرة إلى ربكم) وأهلك الله أهل مصيبتهم الذين أغلوا الخيانت ، فجعلهم قردة (٢) .

وروي العوفي ، عن ابن عباس قريبا من هذا (٣) .

(١) في تفسير الطبري : « فكثروا بذلك ما شاء الله » .

(٢) في تفسير الطبري : « فجعلهم قردة وخنزير » . ينظر الأثر : ١٥٢٦٦ : ١٨٦١/٣ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر : ١٥٢٦٧ : ١٨٦١/١٣ : ١٨٧٤ .

وقال حماد بن زيد ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : (وإذ قالت أمة منهم : لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معلمهم عليا شليبا) ، قال : ما أدرى أنبيا الذين قالوا : « أتعظون قوما الله مهلكهم » ، أم لا ؟ قاله : فلم أزل به حتى حرّفته أنهم قد نبؤا ، فكسائي حكمة (١) .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا ابن جريج ، حدثني رجل ، عن عكرمة قال : جئت ابن عباس يوما وهو يبكي ، وإذا المصحف في حجره ، فأعظمت أن أدنو ، ثم لم أزل على ذلك حتى تقدمت فجلست ، قلت : ما يبكيك يا أبا عباس (٢) .
 جعلني الله فداك . قال : فقال : هؤلاء الورقات . قال : وإذا هو في « سورة الأعراف » ، قال : تعرف آية الله : نعم : قال : فإنه كان جاسيا من يهود سبقت الحيتان إليهم يوم السبت ، ثم حاصت لا يقدرون عليها حتى ينفصروا (٣) .
 بعد ذلك وموتة شديدة ، كانت تأتهم يوم السبت شرها بيضا ما ناكأها للأنف (٤) ، تتبطح ظهورها لبطونها (٥) ، فكانوا كللك برحة من الدهر ، ثم إن الشيطان أوحى إليهم فقال : إنما نهيتم عن أكلها يوم السبت ، فخلوها فيه ، وكلوها في غيره من الأيام . فقالت طائفة منهم ، وقالت طائفة : بل نهيتهم عن أكلها وأخطأ ، صيدها يوم السبت . فكانوا كذلك ، حتى جاءت الجمعة المقبلة ، فغدت طائفة بأنفسها وأبنائها ونسائها ، واحتزلت طائفة ذات اليمين ، وتنهت ، واحتزلت طائفة ذات اليسار وسكنت . وقال الأعمشون : وليكم - الله - ، [الله] (٦) . نهاكم أن تتعرضوا لعقوبة الله . وقال الأسرون : (لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معلمهم عليا شليبا) ؟ قال الأعمشون : (معطرة إلى ربكم ولعلمهم يتقون) ، إن يتنهبوا فهو أحب إلينا أن لا يصابروا ولا يهلكوا ، وإن لم يتنهبوا فمعطرة إلى ربكم . ففصروا على الخطيئة ، وقال الأعمشون : قد فعلتم ، يا أعداء الله . والله لا نبيأتكم (٧) . القيلة في مدينتكم ، والله ما نراكم تصبحون حتى يصبحكم الله غسفت أو قلقت أو بفض ماعته من الملأب . فلما أصبحوا ضربوا عليهم الباب ونادوا ، فلم يجابوا ، فرضوا سلا ، وأعلوا سور المدينة رجلا ، فالتفت إليهم فقال : أي مباد الله ، قرعة والله تماكوي لما أذئاب . قال : ففتحوا فدخلوا عليهم ، ففرقت القروء أنسابها من الإنس ، ولا تعرف الإنس أنسابها من القردة ، فجعلت القروء يأتيها نسيها من الإنس فتتسمّ ثيابه وتبكي ، فتقول : ألم تنهكم عن كلنا ؟ فتقول برأسها (٨) . أي نعم . ثم قرأ ابن عباس : (فلما نسوا

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٢٦٩ : ١٨٧/١٣ .

(٢) في تفسير الطبري : « يا ابن عباس . » والمثبت من خطورة الأثر ، وقد كان عبد الله عباس يبكي « أبا عباس » بابه عباس . ينظر آمد الغاية : الترجمة ٣٠٣ : ٢٩٠/٣ .

(٣) في الخطوط : « حتى يصرو » . والمثبت من تفسير الطبري .

(٤) الماخص : التي قد دنا ولا دما .

(٥) في الخطوط : تتصلح . والمثبت من تفسير الطبري . وتتبلح : تتعرض في البطلان .

(٦) عن تفسير الطبري .

(٧) في خطورة الأثر : « نهاكم عن » لا . والمثبت من تفسير الطبري .

(٨) نص الطبري : « ولهم يتقون ، أي يتقون ، فهو أحب إلينا » . وهو غير مستقيم . وصوابه ما في خطورة الأثر .

(٩) في خطورة الأثر : « نبيأتكم » ، وما أثبتناه هو الصواب ، حل الرم من أن نص الخطورة يوافق خطورة الطبري ، والله المشرع ١٣٧/٣ . فسابق الرواية يقتضي أن هؤلاء القروء احتلوم فلم يجابهم فمدتهم . وقد مال إلى هذا أيضا السيد محقق تفسير الطبري .

(١٠) تقول برأسها : أي تشير .

ماذكروا به أنجيئنا الذين يهون عن سوء ، وأخذنا الذين ظلموا ببلد بئس) ، قال : فأتى الذين تهوا قد نجوا ، ولا لرى الآخرين ذكرى ، ونحن ترى أشباه نكرها ولا تقول فيها . قال : قلت : جعلنى الله فداك ، ألا ترى أنهم قد كرهوا ما هم عليه ، وعالفهم وقالوا : (لم تنظرون قوما الله مهلكهم) ؟ قال : فأسرى فكسبت ثوبين غيلتين (١) . وكلما روى مجاهد ، صه (٢) .

وقال ابن جرير : حدثنا يونس ، أخبرنا أشهب بن عبد العزيز ، عن مالك ، قال : زعم ابن رومان أن قوله تعالى : (تأتيهم حينهم يوم سجنهم شرعا ويوم لا يسجدون لأتيتهم) ، قال : كانت تأتيهم يوم السبت ، فإذا كان للمساء ذهبت ، فلا يرى منها شيء إلى يوم السبت الآخر . فالتفت لللك رجل غيظا وتركها ، فربط حوتا منها في الماء يوم السبت ، حتى إذا أمسوا ليلة الأحد أدخله فاشتواه ، فوجد الناس ريحه ، فأثوه فسألوه عن ذلك ، فجهشتم ، فلم يزالوا به حتى قال لهم : (فإنه جلد حوت وجدناه) . فلما كان السبت الآخر قتل مثل ذلك — ولا أدري لعله قال : ربط حوتين — فلما أمسى من ليلة الأحد أدخله فاشتواه ، فوجدوا رائحة ، فجاثوا فسألوه ، فقال لهم : (لو شتمت صبيتم كما أصنع) . فقالوا له : وما صنعت ؟ فأخبرهم ، ففعلوا مثل ما فعل ، حتى كثر ذلك . وكانت لهم مكتبة لها رئيس (٣) يلقونها عليهم ، فأصابهم من المنع ما أصابهم . ففعلوا عليهم جيرانهم عن كانوا حولهم ، يطلبون منهم ما يطلب الناس ، فوجدوا المدينة مغلقة عليهم ، فنادوا فلم يجيبهم ، ففسدوا عليهم ، فإذا هم فرقة ، فجعل القرد يدنو يتمسح بمن كان يعرف قبل ذلك ، ويدنو منه ويتمسح به (٤) .

وقد قلنا في سورة البقرة (٥) : من الآثار في خبر هذه القرية ما فيه مكنة وكفاية ، وفي الحمد والملة .

القول الثانى : أن الساكنين كانوا من المالكن .

قال عماد بن إسحاق ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أنه قال : ابتدعوا السبت فابتلوا فيه ، فحرم عليهم فيه الحياتن ، فكانوا إذا كان يوم السبت شرعت لهم الحياتن ينظرون إليها في البحر . فإذا انقضى السبت ذهبت فلم تَرَ حتى السبت المقبل ، فإذا جاء السبت جاءت شرها ، فكثروا ما شاء الله أن يكثروا كذلك ، ثم إن رجلا منهم أدخل حوتا فخرم أنه (٦) ، ثم ضرب له وتدا في الساحل ، وربيطة وتركه في الماء . فلما كان لند أدخله فشواه فأكله ، ففعل ذلك وهم ينظرون ولا ينكرون ، ولا ينهائهم أحد ، إلا حصبة منهم نهد ، حتى ظهر ذلك في الأسواق . ففعل عناية . قال : فقالت طائفة الذين يهونهم : (لم تنظرون قوما الله مهلكهم أو ملهم عذابا شديدا . قالوا معرة

(١) تفسير الطبرى : الأثر ١٥٢٧٢ : ١٣/١٨٨ - ١٩٠ .

(٢) تفسير الطبرى : الأثر ١٥٢٧٤ : ١٣/١٩١ .

(٣) الرطب - يقصحين - : قضاء حول المدينة . وفي تفسير الطبرى : ... لما رضى ، فلنقرها .

(٤) تفسير الطبرى : الأثر ١٥٢٧٧ : ١٣/١٩٢ .

(٥) ينظر تفسير الآية ٩٠ من سورة البقرة : ١٥٠/١ - ١٥٣ .

(٦) في تفسير الطبرى : ... فخره بالله . وعزم بالله : تقب في أنفها تقيأ .

إلى ربكم) ، قالوا : سحقاً أفعالهم (١) ولعلهم يقولون : فلما نسوا ما ذكروا به) إلى قوله : (قرده خاشعين) ، قال ابن عباس : كانوا أثلاثاً : ثلث نبوا ، وثلث قالوا : (لم تعلمون قوماً الله مهلكم) ، وثلث أصحاب الخطيئة ، فما نجا إلا الذين نبوا وهلك ما فرمهم (٢) .

وهذا إسناد جيد عن ابن عباس ، ولكن رجوعه إلى قول عكرمة في نجاة الساكنين أولى من القول بهذا ، لأنه تبيين حاكم بعد ذلك ، والله أعلم .

وقوله تعالى : (وأخذنا الذين ظلموا بآياتنا بيأس) ، فيه دلالة بالمفهوم على أن الذين بقوا نجوا ،

و (بيأس) فيه قرامات (٣) كثيرة ، ومعناها قول مجاهد : الشديد ، وفي رواية : أليم . وقال قتادة : « موجع » ، ولكل مقارب ، والله أعلم .

وقوله : (غاشقين) ، أي : ذليلاً حزينين مهتابين .

وَأَذِّنْ تَأْذِينَ رَبِّكَ لِيَسْمَعَنَّ هَٰؤُلَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ يُسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَمُبْرِئٌ الْعِقَابِ
لَوْلَاهُ لَنَغَوَّرْتَ رَحِمَ ﴿١٦٩﴾

(تأذن) : (٤) : تَمَكَّلَ من الإذن أي : أعلم ، قاله مجاهد : وقال غيره : أمر .

وفي قوة الكلام ما يفيد معنى القسم من هذه النقطة ، ولهذا تَكَلَّيْتُ باللام في قوله : (ليعشن عليهم) ، أي : على اليهود (إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب) ، أي : بسبب عصيانهم وعنفانهم أو أمر الله وشرعه واحتياطهم على المحارم .

ويقال : إن موسى عليه السلام شرب عليهم الخراج سبع سنين ، وقيل : ثلاث عشرة سنة ، وكان أول من ضرب الخراج - ثم كانوا في قعر الملوك من اليونانيين والكشانيين والكنعانيين ، ثم صاروا في قعر النصارى وإذلالهم إياهم

(١) نص الطبري : « قالوا صخرة إلى ربكم » في مستدرك أحكامهم .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٢٧٨ : ١٣ / ١٩٢ : ١٩٤ .

(٣) ينظر تفسير الطبري ، ٢٠٠ / ١٣ - ٢٠١ . واليسر المحيط لأبي حيان : ٤ / ٤١٣ .

(٤) كذا في خطوطة الأزهر . وفي الفهرست الخفيف : « وأذن بالشيء - كسح - بالكسر ، وبجره ، وأذنا ، وأذانة : علم به . وفي تفسير الطبري : « وهو تفضل من الإيدان ، كما قال الأضيق ميمون بن قيس :

أذن اليوم جيري بنجوف • صرموا حبل ألف مائوف

يعنى بقوله : « أذن : أعلم » .

والم نجد في المسامح أذن - قبل تأدياً - معنى أعلم ، وإن كان يؤكد نص خطوطة الأزهر ، وهو : تفضل من الإذن . فيكون الإذن مصدرأ لأذن الخليل بمعنى : أعلم .

وأعلمهم منهم الجزى^(١)، وإخراجهم ثم جاء الإسلام وعهد عليه أفضل الصلاة والسلام ، فكانوا يحبون ميثاقه^(٢) وذمه يؤمنون بإخراج الجزى .

قال المولى ، من ابن عباس في تفسير هذه الآية قال : هي المسكة ، وأخذ الجزية منهم^(٣) .

وقال حلى بن أبي طلحة ، عه : هي الجزية ، والذين يؤمنونهم سوء العذاب : عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمه ، إلى يوم القيامة^(٤) .

وكذا قال سعيد بن جبتر ، وابن جرير ، والسلي ، وقناة ،

وقال عبد الرزاق ، عن معمر ، عن عبد الكريم الجزى ، من سيد بن المسيب قال : يستحب أن يهت الأبطال في الجزية^(٥) .

قلت : ثم أشر أشرهم أنهم يخرجون أنصار للرجال ، فيقتلهم للمسلمين مع حبس ابن مريم عليه السلام ، وذلك أشر الزمان .

وقوله : (إن ربك لسريع العقاب) ، أى : إن عصاه وغالط شره ، (وإنه لغفور رحيم) ، أى : لمن تاب إليه وأتاب .

وهذا من باب قرن الرحمة مع العقوبة ، لتلا يحصل اليأس ، فيقرن تعالى بين الرقيب والرهيب كثيرا ، ليبقى النفوس بين الرجاء والخوف .

وَقَطَعْنَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَمَّا مِنْهُمْ الْمَصْلُحُونَ وَمِنْهُمْ دُونُ ذَلِكَ وَبَلَّوْنَهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَيْنِهِمْ خَلْفٌ وَرَوَّا الْكِتَابَ يَاحْلُلُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ تَشَبَّهُ بِأَحْذِهِمْ أَلَّا يُؤْخَذَ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالْفَارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ مِمَّا يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ يَمَسُكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أُولَئِكَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾

يلتزم تعالى أنه فرقه في الأرض إنما ، أى : طوائف وفِرَقًا ، كما قال : (وقلنا من بعده لى إسرائيل : اسكتوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جنتكم قتيلاً)^(٦) ،

(١) الجزى - يكرس قطع - واسمها : جزية .

(٢) كلما في خطوطة الأظهر . وفي خطوطة دار الكتب : ١٥٠٠ تفسير : ص ٤٠٤ ، بالفاء .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٣٠٠ : ٢٠٥/١٣ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٢٩٩ : ٢٠٥/١٣ .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٣٠٨ : ٢٠٦/١٣ : ٢٠٧ .

(٦) سورة الإسراء ، آية : ١٠٤ .

(منهم الصالحون ، ومنهم دون ذلك) ، أى : فيهم الصالح وغير ذلك ، كما قالت الجن : (وأماننا الصالحون ومنا دون ذلك كما طرأ قبرا) (١) ، (وبلوتاهم) أى اختبرناهم (بالحنسنت والسينات) أى : بالرخاء والشدة والرخبة والرهبة . والمافية والبلاء ، (لعلهم يرجعون) .

ثم قال تعالى : (فخلف من بعدهم خلف وثروا الكتاب يأخون عرض هذا الأدنى ويقولون : سيفر لنا وإن يأتهم عرض مثله يأخون) ، يقول تعالى : فخلف من بعد ذلك الجيل الذين فيهم الصالح والمال ، خلف آخر لاخير فيهم ، وقد وثروا حراسة الكتاب وهو الثروة - قال مجاهد : هم النصارى (٢) - وقد يكون أعم من ذلك ، (يأخون عرض هذا الأدنى) ، أى : يناضون عن تلك الحق ونشره بعرض الحياة الدنيا ، ويسعون أنفسهم ويعدونها بالتوبة ، وكلما لاح لهم مثل الأول وقوا فيه : ولما قال : (وإن يأتهم عرض مثله يأخون) - كما قال سعيد بن جبير : يعملون اللئب ، ثم يستغفرون الله منه ، فإن عرض ذلك اللئب أخوه (٣) .

وقال مجاهد في قوله : (يأخون عرض هذا الأدنى) ، قال : لا يشرف لهم شيء من الدنيا إلا أخوه ، حلالا كان أو حراما ، ويمتنون للمفزة ، ويقولون : سيفر لنا ، وإن يملوا عرضا مثله يأخون (٤) .

وقال قتادة في (فخلف من بعدهم خلف) ، إلى الله ، لتختلف سوء ، وثروا الكتاب بعد أنيائهم ورسولهم ، وروثهم الله وصيد إليهم ، وقال اللقي [آية] أخرى : (فخلف من بعدهم خلف أصحابوا الصلاة واتبعوا الشهوات) (٥) ، قال : : (يأخون عرض هذا الأدنى ، ويقولون : سيفر لنا) ، تمنوا على الله أمانى ، وغيره يفترون بها - وإن يأتهم عرض مثله يأخون) ، لا يشغلهم شيء من شيء ، ولا ينههم شيء من ذلك ، كلما هم لهم شيء من الدنيا أكلوه ، ولا يبالون حلالا كان أو حراما (٦) .

وقال السدي قوله : (فخلف من بعدهم خلف) إلى قوله : (ودرسوا ما فيه) ، قال : كانت بنو إسرائيل لا يستقصون قاضيا إلا ارتضى في الحكم ، وإن خيارهم اجتمعوا ، فأخذ بعضهم على بعض اليهود أن لا يفعلوا ولا يرتضى (٧) ، فجعل الرجل منهم إذا استقصى ارتضى ، فيقال له : ما شئتكم في الحكم ؟ فيقول : « سيقر لي » ، فيعلم عليه البقية الآخرون من بني إسرائيل فيا صنع ، فإذا مات ، أو نزع ، وجعل مكانه رجل من كان يظن عليه ، فترضى ، يقول : وإن يأت الآخرون عرض الدنيا يأخون (٨) .

(١) سورة الجن ، آية : ١١ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٣١٣ : ١٣ / ٢١٠ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٣١٤ : ١٣ / ٢١٢ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٣٢٠ : ١٣ / ٢١٢ .

(٥) سورة مريم ، آية : ٥٩ .

(٦) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٣٢١ : ١٣ / ٢١٣ .

(٧) ينى : وأن لا يرتضى للقاضي . حكما للنس في غلظة الأثر ، ومثله في غلظة الطبري . وقد أثبت السيد الحق ما في الطبعة السابقة ، وهو : أن لا يفعلوا ولا يرتضوا ، وقال إنه السواب ؟

(٨) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٣٢٣ : ١٣ / ٢١٢ . ولا أثر بقية ، هي : « ولما عرض الأدنى » ، فعرض الدنيا من المال .

قال الله تعالى : (لَمْ يَوْضَعْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ) ، يقول تعالى منكرا عليهم في صميمهم هذا ، مع ما أخذ عليهم من الميثاق ليبين الحق للناس ولا يكتمونه [كقولہ : (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ] فنبؤوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشتركون)
وقال ابن جريج : قال ابن عباس : (لَمْ يَوْضَعْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ) ، قال : فيما يُوجبون على الله من ضمان ذنوبهم التي لا يزالون يعدون فيها ، ولا يتوبون منها .

وقوله تعالى : (وَاللَّهُ الْآخِرُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَقُولُونَ آمَنَّا وَتَمَلَّوْنَ) ، يرغيب تعالى في جزيل ثوابه ، ويعلمهم من وبيل عقابه ، أي : وثوابي وما عندى (١) خير لمن اتقى المخارم ، وترك هوى نفسه ، وأقبل على طاعه ربه .

(آمَنَّا وَتَمَلَّوْنَ) ، يقول : أطيعوا هؤلاء الذين اعتاضوا بمرض الدنيا عما عندى عكلا يردهم عما هم فيه من السفة والتبذير ثم أتى تعالى على من تمسك بكبابه الذي يقوده إلى اتباع رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، كما هو مكتوب فيه ، فقال تعالى : (وَالَّذِينَ يَمْسُكُونَ بِالْكِتَابِ) ، أي : اعتصموا به واحتسبوا بأوامره ، وتركوا زواجره (وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ) ، إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ) .

﴿ وَإِذْ تَخَذْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ مَّتَابَعًا قُلُوبُهُمْ مُّكَّثًا غُلًّا وَقُلْنَا أَلَمْ تَرَ أَنَّ إِلَهُكَ وَاقِعٌ فِيهِمْ حَلُّوا مَاءً أَنْتُمْ بِقُوَّةٍ وَادُّرُوا مَا فِيهِ لَمَلَكٌ

تَتْلُونَ ﴿٢١﴾

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : (وَإِذْ تَخَذْنَا الْجَبَلِ فَوْقَهُمْ) ، يقول : رفعتاه ، وهو قوله : (وَوَضَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ مِثْقَالَ عِثَابِهِمْ) :

وقال سفيان الثوري ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، رفعت الملائكة فوق رؤوسهم ؟
وقال القاسم بن أبي أيوب ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس قال : ثم صار بهم موسى عليه السلام متوجها نحو الأرض المقدسة ، وأخذ الألواح بعد ما سكته الغضب ، فأمرهم بالذي أمره الله تعالى — أن يلبثهم من الوظائف ، ففعلت عليهم ، وأبوا أن يقربوها حتى يبتق الله الجبل فوقعهم كأنه ظلة ، قال : رفعت الملائكة فوق رؤوسهم . رواه النسائي بطوله (٢) :

وقال متذبن دواقي قصيره ، عن حجاج بن محمد ، عن أبي بكر بن عبد الله قال : هلكا كتاب ، أقبلوه بما فيه ، فإن فيه بيان ما أحل لكم وما حرم عليكم ، وما أمركم وما نهاكم ؟ قالوا : انشر علينا ما فيها ، فإن كانت قرأتها [يسيرة] (٤) ، وحملوها خفيفة قبلناها . قال : أقبلوها بما فيها . قالوا : لا ، حو ، نعلم ما فيها ، كيف حملوها

(١) في النسخة : « وغير ما عندى » .

(٢) سورة النساء ، آية : ١٥٤ .

(٣) لم يجد نيا طبع من سنن النسائي .

(٤) من تفسير الطبري .

وقرأهم في فراجوا موسى مرلوا ، فأوحى الله إلى الجبل فاقطع فارفع في السماء ، حتى إذا كان بين رموسهم وبين المياه قال لهم موسى : ألا ترون ما يقول ربى هزوجل؟ لأن لم تقبلوا التوراة بما فيها لأرنيكم (١) بهذا الجبل - قال : فحدثني الحسن البصري قال : لا نظروا إلى الجبل خسر كل رجل ساجدا على حاجبه الأيسر ، ونظر بيته اليمنى إلى الجبل ، فترقا من أن يسقط ، فكلناك ليس اليوم في الأرض يهودى يسجد إلا على حاجبه الأيسر ، يقولون : هذه السجدة التي رفعت بها العقوبة - قال أبو بكر : فلما نشر الألواح فيها كتاب الله كتبته بيده ، لم يبق على وجه الأرض جبتل ولا شجر ولا حجرة إلا اهتر ، فليس اليوم يهودى على وجه الأرض صخير ، ولا كبير ، قرأ عليه التوراة إلا اهتر ونفصس لها رأسه (٢)

وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ قُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٥٧﴾ وَكَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَرْجِعُونَ ﴿١٥٨﴾

يخبر تعالى أنه استخرج ذرية بنى آدم من أصلابهم ، شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكمهم ، وأنه لا إله إلا هو ، كما أنه تعالى فطرهم على ذلك وجعلهم عليه ، قال تعالى : (فأقم وجهك للدين حنيفاً ، فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله) ، وفي الصحيحين عن ابن هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل مولود يولد على الفطرة - وفي رواية : على هذه الفطرة - فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه ، كما تولد البهيمة بهيمة جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء ؟ » وفي صحيح مسلم ، عن عياض بن حمك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقول الله : إني خلقت عبادى حفاة فجامعتهم للشياطين فاجتالهم ، عن دينهم وحرمت عليهم ما أحلت لهم (٣) » .

وقال الإمام أبو جعفر بن جرير رحمه الله : حدثنا يونس بن عبد الأعلى ، حدثنا ابن وهب ، أخبرني السري ابن يحيى : أن الحسن بن أبي الحسن حدثهم ، عن الأسود بن سريع من بنى سعد قال : خروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لربيع خزوات ، قال : فتناول القوم التورية بعد ما قتلوا المكافأة ، فلما ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاشتد عليه ، ثم قال : ما بال أقوام يتناولون التورية ؟ فقال رجل : يا رسول الله ، أليسوا أبناء للمشركين ؟ فقال : إن خياركم أبناء للمشركين ١ : ألا إنها ليست نسمة تولد إلا وكلفت على الفطرة ، فأتراك عليها حتى يبين عنها لسانها ، فأبواها يهودانها أو ينصرانها - قال الحسن : والله قد قال الله في كتابه : (وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم) ٢ : الآية (٤) .

(١) في خطوطة الأهر : « لا زمنيكم بهذا الحديث » ، وللتبسيط من تفسير الطبري .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٣٣٧ : ١٣ : ٢١٩٪ .

(٣) سبق تخريج حديث الصحيحين ، وحديث مسلم في : ٢ : ٣٦٨٪ ، ٢ : ٢٨٦٪ . وانظر شرح التريب هنا .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٣٥٣ : ١٣ : ٣٢١٪ .

وقد رواه الإمام أحمد ، عن إسماعيل بن علقمة ، عن يونس بن عبيد ، عن الحسن البصري (١) ، به : وأخرجه الترمذي في سننه من حديث هشيم ، عن يونس بن عبيد ، عن الحسن قال : حدثنا الأسود بن سريع ، فذكره - ولم يذكر قول الحسن البصري واستحضاره الآية عند ذلك :

وقد وردت أحاديث في أخذ الليرة من صائب آدم عليه السلام ، وتعميمهم إلى أصحاب اليمين وأصحاب الشمال ، وفي بعضها الاستشهاد عليهم بأن الله رجمهم .

قال الإمام أحمد : حدثنا حجاج ، حدثنا شعبة ، عن أبي عمران الجوني ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة : أرأيت لو كان لك ما حل [الأرض] من شيء . أكنت مفتديا به ؟ قال : فيقول : نعم . فيقول : قد أردت منك أهون من ذلك ، قد أخذت عليك في ظهر آدم أن لا تشرك في شيء ، فأبيت إلا أن تشرك في (٢) » .

أخرجه في الصحيحين ، من حديث شعبة ، به .

حديث آخر ، وقال الإمام أحمد : حدثنا حسين بن محمد ، حدثنا جرير - يعني ابن حازم - عن كثير بن جابر ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنمطان : يعني حرقة فأخرج من صلبه كل ذرية فرأها ففترها بين يديه ، ثم كلمهم بكلمة (٣) ، قال : (ألمت بربكم؟) قالوا : بلى ، فهناك أن يقولوا (٤) يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلون ، لو يقولوا (٥) (إلى قوله : (المبطلون) (٥) ،

وقد روى هذا الحديث الترمذي في كتاب التفسير من سننه ، عن محمد بن عبد الرحيم - مائة - عن حسين بن محمد للروزي ، به : ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث حسين بن محمد ، به ، إلا أن ابن أبي حاتم جمعه بقوله : وأخرجه الحاكم في مستدركه من حديث حسين بن محمد وغيره ، عن جرير بن حازم ، عن كثير بن جبيرة ، به : وقال : « صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وقد احتج مسلم بكثوم بن جبر (٦) » . هكذا قال ، وقد رواه عبد الوارث ، عن كثير بن جبر ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس ، فوقعه (٨) . وكلنا رواه إسماعيل ابن علي ووكيع (٩) عن ربيعة بن كثير من

(١) مسند الإمام أحمد : ٤٣٥/٣ .

(٢) مسند الإمام أحمد : ١٢٧/٣ .

(٣) ينظر شرح هذه الكلمة في : ١١٢/١ .

(٤) كلما في خلوة الأعر : « يقولوا » . بالياء . وهي قراءة أبي عمرو ، ولما قرأه باقي السبعة لئلا يهل الخطأ .

ينظر البحر المحيط : ٤٢١/٤ .

(٥) مسند الإمام أحمد : ٢٧٢/١ .

(٦) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٣٣٨ : ١٣/٢٢٢ .

(٧) المستدرک ، كتاب الإيمان : ٢٧/١ ، ٢٨ .

(٨) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٣٣٩ : ١٣/١٧٢ .

(٩) أثر إسماعيل ابن علي في تفسير الطبري برقم ١٥٣٤١ : ١٣/٢٢٤ ، وأثر وكيع برقم ١٥٣٥٠ : ١٣/٢٢٩ .

جبر ، عن أبيه ، به : وكذا رواه عطاء بن السائب (١) ، وحبيب بن أبي ثابت (٢) ، وهشام بن بكعة (٣) عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قوله وكذا رواه العوفي (٤) ، وعلي بن أبي طلحة (٥) عن ابن عباس . فهذا أكثر وأثبت والله أعلم .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن وكيع ، حدثنا أبي ، عن أبي هلال عن أبي جهمرة (٦) الضبي ، عن ابن عباس قال : أخرج الله ذرية آدم من ظهره كهية القبر ، وهو في آذى من الماء (٧) .

وقال أيضا : حدثنا علي بن سهل ، حدثنا ضمرة بن ربيعة ، حدثنا أبو مسعود عن جابر قال : مات ابن الفصحاء ابن مزاحم ، ابن ستة أيام . قال : فقال : يا جابر ، إذا أنت وضعت ابني في لحده ، فأبرز وجهه ، وحل عنه عقده ، فإن ابني مجتس ، ومستول . فقلت به الذي أمر ، فلما فرغت قلت : يرحمك الله ، عم يسأل ابنك ؟ من سأل إياه ؟ قال : يسأل عن الميثاق الذي أقر به في صلب آدم . قلت يا أبا القاسم ، وما هذا الميثاق الذي أقر به في صلب آدم ؟ قال : حدثني ابن عباس أن الله مسح صلب آدم فاستخرج منه كل نسيمة هو خلقها إلى يوم القيامة ، فأخذ منهم الميثاق أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، وتكفل لهم بالأرزاق ، ثم أعادهم في صلبه . فلما تقوم الساعة حتى يولد من أعطى الميثاق يومئذ ، فإن أدرك منهم الميثاق الآخر فوق به ، فنه الميثاق الأول . ومن أدرك الميثاق الآخر فلم يبق (٨) به لم ينضمه الميثاق الأول ، ومن مات صغيرا قبل أن يدرك الميثاق الآخر ، مات على الميثاق الأول على القطرة (٩) ، فلهذه الطرق كلها مما تنهون وكنت هذا على ابن عباس ، والله أعلم .

حديث آخر ، وقال ابن جرير : حدثنا عبد الرحمن بن الوليد ، حدثنا أحمد بن أبي طيبة ، عن صفيان بن سعيد ، عن الأجلح ، عن الضحاك (١٠) [و] (١٠) من منصور ، عن مجاهد — عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم) ، قال : أخذوا من ظهره ، كما يؤخذ بالمشط من الرأس ، فقال لم (أأست بريكم ؟ قالوا : بلى .) ، قالت الملائكة : (شهدنا أن يقولوا (١١) يوم القيامة إنا كنا عن هذا خافين) :

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٣٤٢ ، ١٥٣٤٣ : ٢٢٤/١٣ - ٢٢٧ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٣٤٤ : ٢٢٧/١٣ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٣٤٨ : ٢٢٨/١٣ - ٢٢٩ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٣٩١ : ٢٣٧/١٣ .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٣٩٠ : ٢٣٦/١٣ .

(٦) في المخطوطة : « أب حزة » . وهو خطأ ، ينظر تفسير الطبري ، الأثر ١٥٣٥١ : ٢٢٩/١٣ . والتعليق : ٢٣١/١٠ .

(٧) في المخطوطة : « أذى » . والآتي : الموج الشديد . والآتي أيضا — كما يقول ابن شيل — : « الأبطاق التي تراها ترصها من حته الرمح دون الموج . وهذا التفسير أقرب .

(٨) في المخطوطة : « ولم يقره » . والثلث عن تفسير الطبري .

(٩) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٣٥٢ : ٢٣٠/١٣ - ٢٣١ .

(١٠) الروا عن تفسير الطبري .

(١١) كذا في مخطوطة الأثر ، وقد سبق أن ذكرنا أنها قراءة في عمرو .

أحمد بن أبي طيبة هذا هو ؛ أبو عمدة الجرجاني قاضي غرناطة ، كان أحد الزهاد ، أخرج له التتائي في سنته ، وقال أبو حاتم الرازي : يكتب حديثه . وقال ابن عدي : حدث بأحاديث أكثرها غرائب^(١) .

وقد روى هذا الحديث عبد الرحمن بن مهدي ، عن سفيان الثوري ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن عبد الله ابن عمرو ، قوله (٢) وكذا رواه جرير^(٣) ، عن منصور ، به . وهذا أصح ، والله أعلم .

حديث آخر ، قال الإمام أحمد : حدثنا روح — هو ابن عباد — حدثنا مالك — وحدنا إسحاق ، أخبرنا مالك — عن زيد بن أبي أنيسة : أن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب أخبره ، عن مسلم بن يسار الجهني ، أن عمر بن الخطاب سئل عن هذه الآية : (وإذا أخذ ربك من نبي آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى) ... الآية ، فقال عمر بن الخطاب سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سئل عنها ، قال : إن الله خلق آدم عليه السلام ، ثم مسح ظهره يمينه ، فاستخرج منه ذرية ، قال : خلقت هؤلاء [الجنة] ، ويعمل أهل الجنة يعملون . ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية ، قال : خلقت هؤلاء^(٤) [النار] ويعمل أهل النار يعملون . فقال رجل : يا رسول الله ، قيم العمل ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا خلق الله [العبد] الجنة استعمله بأعمال أهل الجنة ، حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة ، فيدخل به الجنة . وإذا خلق الله النار استعمله بعمل أهل النار ، حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار ، فيدخل به النار^(٥) .

وهكذا رواه أبو داود^(٦) عن القعني — والتتائي عن قتبية — والترمذي عن إسحاق بن موسى ، عن معمر — وابن أبي حاتم ، عن يونس بن عبد الأعلى ، عن ابن وهب — وابن جرير من حديث روح بن عباد وسعيد بن عبد الحميد ابن جعفر — وأخرجه ابن حبان في صحيحه ، من رواية أبي مصعب الزبيري ، كلهم عن الإمام مالك بن أنس . به .

قال الترمذي : « وهذا حديث حسن ، ومسلم بن يسار لم يسمع عُمر » ؛ وكذا قاله أبو حاتم وأبو زرعة — زاد أبو حاتم : ويثبتهما نعم بن ربيعة .

وهذا الذي قاله أبو حاتم رواه أبو داود في سنته ، عن عمدة بن مصفى ، عن بقية ، عن عمر بن جَعْنَم القرشي ، عن زيد بن أبي أنيسة ، عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، عن مسلم بن يسار الجهني ، عن نعم ابن ربيعة قال : كنت عند عمر بن الخطاب ، وقد سئل عن هذه الآية : (وإذا أخذ ربك من نبي آدم من ظهورهم ذرياتهم) ... فلذكر .

(١) في الخطوط : « بأحاديث كثيرة غرائب » . ولكتب من التلخيص : ٤٥٧١ .

(٢) أخرجه الطبري من رواية يحيى بن سعيد ، عن سليمان ، الأثر : ١٥٢٥٥ : ١٣ / ٢٢٢ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر : ١٥٢٥٦ : ١٣ / ٢٢٢ .

(٤) عن مسند الإمام أحمد .

(٥) مسند الإمام أحمد : ٤٤٤١ : ٤٥٠ .

(٦) سنن أبي داود ، كتاب السنة ، باب في القدر ، الحديث ٤٧٠٣ : ٢٢٦ / ٤ : ٢٢٧ . وثقة الأحرشي ، حسن .

سورة الأعراف ، الحديث ٥٠٧١ : ٤٥٢ / ٨ : ٤٥٦ .

وقال الحافظ الدارقطني : وقد تابع عمر بن جندب يزيد^(١) بن سنان أبو فروة الراوي ، وقرئنا أولى بالصواب من قول مالك ، والله أعلم .

قلت : الظاهر أن الإمام مالكا إنما أسقط ذكر « نعم بن ربيعة » عمداً لاجل حاله^(٢) ولم يعرفه ، فإنه غير معروف إلا في هذا الحديث ، وكذلك يسقط ذكر جماعة ممن لا يرتضيه ، ولعلنا يرسل كثيراً من المرفوعات ، ويقطع كثيراً من الموصولات ، والله أعلم .

حديث آخر ، قال الرملي عند تفسيره هذه الآية : حدثنا عبد بن حميد ، حدثنا أبو ثعلبة ، حدثنا هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لما خلق الله آدم مسح ظهره ، فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة ، وجعل بين عني كل إنسان منهم وبعثهم^(٣) من مور ، ثم عرضهم على آدم فقال : أي رب ، من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء ذريتك : فرأى رجلاً منهم فأعجب به وبصص ما بين عينيه ، فقال : أي رب ، من هذا ؟ قال : هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك ، يقال له : داود . قال : رب ، كم جعلت عمره ؟ قال : ستين سنة . قال أي رب ، زده من عمرى أربعين سنة : فلما انقضى عمر آدم ، جاءه ملك الموت قال : أو لم يبق من عمرى أربعين سنة ؟ قال : أو لم تعطها ابنك داود ؟ قال : فيجحد آدم فجحدت ذريته ، وسمى آدم فخطت ذريته ، وخطى آدم فخطت ذريته » .

ثم قال الرملي : هذا حديث حسن صحيح ، وقد روى من غير وجه عن أبي هريرة ، عن النبي^(٤) صلى الله عليه وسلم .

ورواه الحاكم في مستدركه ، من حديث ابن ثعلبة الفضل بن دكين ، به ، وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه^(٥) .

ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره ، من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، عن أبيه أنه حدثه عن عطاء بن يسار ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فذكر نحوه ما تقدم ، إلى أن قال : « ثم عرضهم على آدم فقال : يا آدم ، هؤلاء ذريتك . وإذا فيهم الأجلد والأبرص والأعشى ، وأنواع الأسقام » ، فقال آدم : يا رب ، لم فعلت هذا بلدي ؟ قال : كي تشكر نعمي . وقال آدم : يا رب ، من هؤلاء الذين أراهم أظهر الناس نوراً ؟ قال : هؤلاء الأنبياء يا آدم من ذريتك » . ثم ذكر قصة داود ، كنحو ما تقدم^(٦) .

(١) في المطبوعة : ... جندب بن زيد بن سنان ... وينظر التلخيص : ٣٣٥/١١ .

(٢) في التلخيص ٤٦٤/١٠ : « نعم بن ربيعة الأزدي . من عمر بن الخطاب في قوله تعالى : (وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم) وصح مسلم بن يسار الجني ، ذكره ابن سيوط في اللغات » .

(٣) الرئيس : البريق .

(٤) تحفة الأحوي ، تفسير سورة الأعراف ، الحديث ٥٠٧٢ : ٤٥٧/٨ - ٤٥٩ .

(٥) للمستدرک ، تفسير سورة الأعراف : ٣٢٥/٢ .

(٦) القدر المنشور : ١٤٢/٣ - ١٤٣ .

حديث آخر ، قال عبد الرحمن بن قتادة الشَّصْرِي ، عن أبيه ، عن هشام بن حكيم رضى الله عنه : أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، أتبدأ الأعمال ، أم قد قضى القضاء ؟ قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله قد أخذ ذرية آدم من ظهورهم ، ثم أشهدهم على أنفسهم ، ثم أفاض (١) بهم في كفيه ، ثم قال : « هؤلاء في الجنة هؤلاء في النار » ، فأهل الجنة يسرون لعمل أهل الجنة ، وأهل النار يسرون لعمل أهل النار » .

رواه ابن جرير (٢) ، وابن مردويه من طرق عنه .

حديث آخر ، روى جعفر بن الزبير (٣) - وهو ضعيف - عن القاسم ، عن أبي أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا خلق الله الخلق ، وقضى القضية ، أخذ أهل اليمن يمينه وأهل الشمال بشيائه ، قال : يا أصحاب اليمن . قالوا : ليك وسعديك . قال : أأنت يريكم ؟ قالوا : بلى . قال : يا أصحاب الشمال . قالوا : أليك وسعديك . قال : أأنت يريكم ؟ قالوا : بلى . ثم غلط بينهم ، فقال قائل : يا رب ، لم غلطت بينهم . قال : « ولم أعمل من دون ذلك هم لما عاملون ، أن يقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين » ، ثم ردهم في صلب آدم » . رواه ابن مردويه .

أثر آخر ، قال أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب في قول الله تعالى : (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم) ، الآية والتي بعدها ، قال : فجصعهم له يومئذ جميعاً ، ما هو كائن منه إلى يوم القيامة ، فجعلهم [أرواحاً] ثم صورهم ثم استنطقهم فشكلوا ، وأخذ عليهم العهد والميثاق ، وأشهدهم على أنفسهم أأنت يريكم ؟ قالوا : بلى . .. الآية ، قال : فلما أشهد عليهم السموات السبع ، والأرضين السبع ، وأشهد عليهم أبابكم آدم أن تقولوا يوم القيامة : « لم نعلم بهذا » . اعلّموا أنه لا إله غيري ، ولا رب غيري ، فلا تشركوا بي شيئاً ، ولما سأرسل إليكم رسلاً يذكرونكم (٤) عهدى وميثاقى ، وأنزل عليكم كتابي . قالوا : « نشهد أنك ربنا وإلهنا ، لا رب لنا غيرك ، ولا إله لنا غيرك » . فأنقروا له يومئذ بالطاعة ، ووقع أبابهم آدم فخطر إليهم ، فرأى فيهم النقي والفقير ، وحسن الصورة وذن ذلك . قال : يا رب ، لو سويت بين عبادك ؟ قال : إني أحببت أن أشكر . ورأى فيهم الأنبياء مثل السرج عليهم النور ، وخصوا بميثاق آخر من الرسالة والنبوة ، فهو الذي يقول تعالى : (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم) .. الآية ، وهو الذي يقول : (فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله) الآية ، ومن ذلك قال : (هذا نكير من التنزيل الأول) ، ومن ذلك قال : (وما وجدنا لأكثرهم من عهد) ... الآية .

(١) أفاض بهم في كفيه ، أى : معلوم مخزون .

(٢) تفسير القاري ، الأثر ١٥٣٧٧ : ٢٤٤/١٣ .

(٣) قال اللحي في ميزان الاحتجاج ٤٠٦/١ : « كلف فيه » وقال ابن سين : ليس بفتح . وقال البخاري : تركه . وقال ابن حبان : الضم على حقيقته .

(٤) في المثلثة : « يتذكرونكم » . وللمثبت عن لسانه ، ووجه قوله : ٢٥٠/٧ .

رواه عبد الله بن أحمد في مسند أبيه ، ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير وابن مَرْدُويه في تفسيريهم ، من رواية أبي جعفر الرزقي ، به . وروى عن مجاهد ، وهكرمة ، وسعيد بن جبيرة ، والحسن ، وقنادة ، والسدي ، وغير واحد من علماء السلف سياقات توافي هذه الأحاديث ، اكتفيت بإيرادها عن التطويل بتلك الآثار كلها ، وبالله المستعان .

فهذه الأحاديث فائدة على أن الله عز وجل استخرج ذرية آدم من صلبه ، وميز بين أهل الجنة وأهل النار ؛ ولما الإشهاد عليهم هناك بأنه ربهم فما هو إلا في حديث كلثوم بن جبيرة ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس - وفي حديث عبد الله ابن عمرو - وقد بينا أنهما موقوفان لا مرفوعان ، كما تقدم . ومن ثم قال قائلون من السلف والخلف : إن المراد بهذا الإشهاد إنما هو فطرهم على التوحيد ، كما تقدم في حديث أبي هريرة وعياض بن حماسة للجكاشي ، ومن رواية الحسن البصري عن الأسود بن سريع . وقد فسر الحسن البصري الآية بذلك ، قالوا : ولما قال : (وإذا أخذ ربك من بني آدم) ، ولم يقل : (من آدم) ، (من ظهورهم) ، ولم يقل : (من ظهوره) (فرياستهم) ، أي : جعل نسلهم جيلا بعد جيل ، وقرنا بعد قرن ، كما قال تعالى : (وهو الذي جعلكم خلائف الأرض) (١) ، وقال : (ويجعلكم خلفاء الأرض) (٢) ، وقال : (كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين) (٣) .

ثم قال : (وأشهدهم على أنفسهم : ألست بربكم ؟ قالوا : بلى) ، أي : أوجدتم شاهدين بذلك ، قائلين له حالا وقالا . والشهادة تارة تكون بالقول ، كما قال : (قالوا شهدنا على أنفسنا) ... الآية ، وتارة تكون حالا ، كما قال تعالى : (ما كان للمشركين أن يعمروا مسجداً (٤) الله شاهدين على أنفسهم بالكفر) (٥) ، أي : حلف شاهد عليهم بذلك لا أنهم قائلون ذلك ، وكذلك قوله تعالى : (وإنه على ذلك لشهيد) (٦) ، كما أن السؤال تارة يكون بالقول ، وتارة يكون بالحال ، كما في قوله : (وآتاكم من كل ما سألوه) (٧) ، قالوا : وما يدل على أن المراد بهذا هذا ، أن جعل هذا الإشهاد حجة عليهم في الإشراف ، فلو كان قد وقع هذا كما قاله من قال لكان كل أحد يذكره ، ليكون حجة عليه . لأن قيل : إخبار الرسول به كاف في وجوده . فالجواب : أن المكلفين من المشركين يكذبون بجميع ما جاءهم به الرسل من هذا وغيره . وهذا جعل حجة مستقلة عليهم ، فدل على أنه على القطر إلى فطرهم عليها من الإقرار بالتوحيد ، ولهذا قال : (أن يقولوا) ، أي : لتلا يقولوا يوم القيامة : (إننا كنا من هذا) ، أي : التوحيد ، غافلين ، أو يقولوا إنما أشرك آبائنا) ... الآية .

(١) سورة الأنعام ، آية : ١٦٥ .

(٢) سورة البقرة ، آية : ٦٢ .

(٣) سورة الأنعام ، آية : ١٣٣ .

(٤) كلما في غطوة الأضر ، وهي قراءة ابن كثير ولبي عمرو والجهمي . ينظر البصر المحيط : ١٨/٥ .

(٥) سورة التوبة ، آية : ١٧ .

(٦) سورة المائدة ، آية : ٧ .

(٧) سورة الفرقان ، آية : ٣٤ .

وَأَنزَلَ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُ فَنَسَخْنَا مِنْهُ فَأَسْلَخَ مِنْهَا فَأَنصَبَهُ الشَّيْطَانُ فَأَكَان مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٣٧﴾ وَلَوْ شَاءَ لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَنَسَخْنَا مِمَّا نَفَعْنَا لَعَلَّ الْكَفَّاءَ إِنَّ حَمِيلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَرَاهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مِثْلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصِصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿١٣٨﴾ سَاءَ مَثَلًا لِّلْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا بِظُلُمٍ لَّهِ ﴿١٣٩﴾

قال عبد الرزاق ، عن سفيان الثوري ، عن الأعشى ومنصور ، عن أبي القحصى ، عن مسروق ، عن عبد الله ابن مسعود - رضى الله عنه - في قوله تعالى : (وأنزل عليهم نبأ الذي آتيناها فأنسخنا منها) ... الآية ، قال : هو رجل من بني إسرائيل ، يقال له : يلم بن أبر : وكلنا رواه شعبة وغير واحد ، عن منصور ، به (١) .

وقال سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن ابن عباس : هو صفي بن الراهب ؛

قال قتادة : وقال كعب : كان رجلا من أهل البلقاء ، وكان يلم الاسم الأكبر ، وكان مقبلا بيت للكنس مع الجبارين .

وقال العوفي ، عن ابن عباس : هو رجل من أهل اليمن ، يقال له : بكشم ، آتاه الله آياته فتركها .

وقال مالك بن دينار : كان من علماء بني إسرائيل ، وكان بجانب الدعوة ، يقتلونه في الشنك ، بهن لبى الله موسى إلى ملك مدّ يدهو إلى الله ، فأعطاه وأعطاه ، فخرج دينه وترك دين موسى عليه السلام .

وقال سفيان بن حية ، عن حصين ، عن عمران (٢) بن الحارث ، عن ابن عباس : هو يلم بن باهر : وكلنا قال مجاهد وعكرمة ،

وقال ابن جرير : حدثني الحارث ، حدثنا عبد العزيز ، حدثنا إسرائيل ، عن مغيرة ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : هو يلم - وقالت قتيف : هو أمية بن أبي الصلت (٣) .

(١) ينظر تفسير الطبري : ٢٥٤/١٣ - ٢٥٥ .

(٢) في غرصة الأثر : « كان بن الحارث » . وهو خطأ ، وعمران بن الحارث هو السلمي أبو الحكم الكوفي ، يزوي عن ابن عباس وابن الزبير وابن عمر ، وصح قتادة وسلمة بن كهيل وحسين بن عبد الرحمن ، قاله أبو حاتم : صالح الحديث . ينظر الجليلي : ١٢٤/٨ .

(٣) تفسير الطبري : الأثر ١٥٣٩ : ٢٥٥/١٣ ، وقال السيد محقق تفسير الطبري إن هذه الجملة « وقالت قتيف ... » تحصل أن تكون من كلام الطبري ، أو يفسر رواية الخبير عن ابن عباس ، أو من كلام ابن عباس . ورجح أنها من كلام بعض الرواة .

وقال شعبة ، عن بلي بن عطاء ، عن نافع بن عاصم ، عن عبد الله بن عمرو في قوله : (واتل عليهم ليا الذي آتينا) ... الآية : قال : هو صاحبكم أمية بن أبي الصلت (١) .

وقد روى من غير وجه ، عنه : وهو صحيح إليه ، وكأنه إنما أراد أن أمية بن أبي الصلت يشبه فإنه كان قد اتصل إليه علم كثير من علم الشرائع المقتضية ، ولكنه لم يتضح بعلمه ، فإنه أدرك زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبلغته أعلامه وآياته ومعجزاته ، وظهرت لكل من له بصيرة ، ومع هذا اجتمع به ولم يتبعه ، وصار إلى موالاة المشركين ومناصرتهم وامتناعهم ، ورثي أهل بدر من المشركين بمحنة باينة (٢) فيحه الله . وقد جاء في بعض الأحاديث : « أنه ممن آمن لسانه ، ولم يؤمن قلبه » ، فإن له أشعارا وبائية وحكما وفصاحة ولكن لم يشرح الله صدره للإسلام .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا ابن أبي عمر (٣) ، حدثنا سفيان ، عن أبي صيد الأعور ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله : (واتل عليهم نبأ الذي آتينا آياتنا فانسلخ منها) ، قال : هو رجل أعطى ثلاث دعوات يستجاب له فيهن ، وكانت له امرأة له منها ولد ، وقالت : اجعل لي منها واحدة : قال : فلك واحدة ، فإلى الذي تريد ؟ قالت : ادع الله أن يجعلني أجمل امرأة في بني إسرائيل : فدعا الله ، فجعلها أجمل امرأة في بني إسرائيل ، فلما عكمت أن ليس فيها مثليا رغبته عنه ، وأرادت شيئا آخر ، فدعا الله أن يجعلها كلبية ، فصارت كلبية ، فلنبت دعوتان : فجاء بنوها فقالوا : ليس بنا حل هذا قرار ، قد صارت أمنا كلبية يميننا الناس بها ، فادع الله أن يردنا إلى الحال التي كانت عليها ، فدعا الله ، فمادت كما كانت ، فلنبت الدعوات الثلاث ، وسميت البوس (٤) . غريب .

وأما المشهور في سبب نزول هذه الآية الكريمة فلأنما هو رجل من المقتضين في زمان بني إسرائيل ، كما قال ابن مسعود وغيره من السلف .

وقال حل بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : هو رجل من ملجنة الجبارين ، يقال له : « بلعام » ، وكان يعلم اسم الله الأكبر (٥) :

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وغيره من علماء السلف : كان يجاب الدعوة ، ولا يسأل الله شيئا إلا أعطاه إياه (٦) .

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٤٠٣ : ٢٥٦/١٣ . وتلفع بن عاصم دأوى الأثر من عبد الله بن عمرو من ثبوت ، ولذلك قال له عبد الله بن عمر : « هو صاحبكم » .

(٢) ينظر سورة ابن هشام : ٣٠/٢ ، ٣٢ .

(٣) في المخطوطة : « ابن أبي عمر » ، وهو غلط ، فابن أبي عمر هو شريك بن عبد الله القرشي ، وهو متقدم يروي عن أنس ، وأما « ابن أبي عمر » فهو : محمد بن يحيى بن أبي عمر المغيرة المكي ، يروي عن سفيان بن عيينة ، ووجه أبو حاتم ، ينظر المخرج : ١٤٤/١ ، وما تقدم من هذا التفسير : ١٤٧/١ .

(٤) لاند للشود : ١٤٥/٣ ، ١٤٦ .

(٥) ينظر تفسير الطبري ، الأثر ١٥٤٠١ : ٢٥٥/١٣ ، والأثر ١٥٤١٢ : ٢٥٨/١٣ .

(٦) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٤١٣ : ٢٥٨/١٣ .

وأغرب ، بل أبعد ، بل أعلا من قال : كان قد أوتى النبوة فأنسلخ منها : حكاه ابن جرير ، عن بعضهم ولا يصح : (١)

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : لما نزل موسى بهم - يعني بالجبارين - ومن معه ، أتاه - يعني بلعام - أتاه بنو عمه وقومه ، فقالوا : إن موسى رجل حديد ، ومعه جنود كثيرة ، وإنه إن يظهر علينا يهلكنا ، فادع الله أن يرد عنا موسى ومن معه : قال : إن دعوت الله أن يرد موسى ومن معه ، ذهبت دنياي وآخري : فلم يزالوا به حتى دعا عليهم ، فسلخه [الله] ما كان عليه ، فلذلك قوله تعالى : (فأنسلخ منها فأتبعه الشيطان) :: الآية (٢) :

وقال السدي : إن الله لما انقضت الأربعون سنة التي قال الله : (فلها حرمة عليهم أربعين سنة) ، بعث يوشع بن نون نبياً ، فلما بنى إسرائيل ، فأخبرهم أنه نبي ، وأن الله أمره أن يقاتل الجبارين ، فبايعوه وصدقوه - وانطلق رجل من بني إسرائيل يقال له : « بلعم » وكان عالماً ، يعلم الاسم الأعظم [المكنوم] ، ففكر - لعنه الله - وألقى الجبارين وقال لهم : لا تهربوا بني إسرائيل ، فإنني إذا خرجت هاتلونهم أدعو عليهم دعوة فيهلكون ! وكان عندهم فيا شاء من الدنيا ، فبر أنه كان لا يستطيع أن يأخذ النساء ، يظلمهن (٣) ، فكان يتكسب أثماناً له (٤) ، وهو لقيى قال الله تعالى : (فأنسلخ منها) (٥) وقوله : (فأتبعه الشيطان) ، أي : استحوذ عليه وغلبه على أمره ، فهما امتثل وأطاعه ، ولهذا قال : (فكان من الفالوين) ، أي : من المكائيل الحاليتين البائتين .

وقد ورد في معنى هذه الآية حديث رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده حيث قال : حدثنا محمد بن مرزوق ، حدثنا محمد بن بكر ، عن الصلت بن جبرام ، حدثنا الحسن ، حدثنا جندب الجبلي في هذا المسجد : أن حذيفة - يعني ابن اليان ، رضى الله عنه - حدثه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن ما تتوفط عليكم رجلٌ قرأ القرآن ، حتى إذا رويت (٦) جهجه عليه وكان ردء (٧) الإسلام احتراه (٨) إلى ما شاء الله : أنسلخ منه ، ونيله وراء ظهره ، وسي على جواره بالسيف ، ورماه بالشرك . قال قلت : يا نبي الله ، أيها لول بالشرك : الرمي أو الرامي ؟ قال : بل الرامي .

هذا إسناد جيد والصلت بن جبرام (٩) كان من هذات الكوفيين ، ولم يرم بشيء سوى الإرجاء ، وقد وثقه الإمام أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وغيرهما .

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٤١٥ : ١٥٤١٦ : ٢٥٩/١٣ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٤١٧ : ٢٦٠/١٣ .

(٣) كذا في خطيعة الأثر . وفي تفسير الطبري : « من ظلمهن » . ومعنى « يظلمهن » : يرمان ظلمات .

(٤) الأثان : أتى الجار .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٤١١ : ٢٥٧/١٣ : ٢٥٨ .

(٦) في الخطيعة : « رويت » . وللمت من الطبقات السابقة ، وفي جميع الزوائد عن مسند البزار : ١٨٨/١ : « حتى إذا روى عليه جهجه » .

(٧) في جميع الزوائد : « وكان ردءه » . وفي الطبقات السابقة : « ردءه الإسلام » .

(٨) في الخطيعة : « احتره » . والمبت من الطبقات السابقة .

(٩) ينظر الجرح والتعديل لابن أبي حاتم : ٤٣٨/١ : ٤٣٩ ، والتدريج : ٤٣٢/٧ : ٤٣٣ . فقد وقع حوكم اسم « الصلت » خلاف ، ويبرر أن صوابه « الصلت بن مهرا » فهو الذي يروى عن الحسن ، ويروى عنه محمد بن بكر .

وقوله تعالى : (ولو شئنا لرفعناه بها ، ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه) ، يقول تعالى : (ولو شئنا لرفعناه بها) ، أي : لرفعناه من التدنس عن قاذورات الدنيا بالآيات التي آتيناها إياها ، (ولكنه أخلد إلى الأرض) ، أي : مال إلى زينة الدنيا وزهرتها ، وأقبل على لذاتها وتنعيمها ، وخرته كما خرت غيره من غير أولى البصائر والنهى .

وقال أبو الرامرية (١) في قوله تعالى : (ولكنه أخلد إلى الأرض) ، قال ترمذى (٢) له الشيطان على غشوة (٣) من فتنة بانياس (٤) ، فسجدت الحمارة لله ، وسجد بلعام للشيطان . وكذا قال عبد الرحمن بن جبير بن نفير ، وغير واحد .

وقال الإمام أبو جعفر بن جرير رحمه الله : وكان من قصة هذا الرجل ما : - حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، حدثنا للمحضر ، عن أبيه : أنه سئل عن هذه الآية : (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا) ، فحدث عن سيار أنه كان رجلا يقال له بلعام (وكان عند أوى التوبة) (٥) ، وكان يجاب الدعوة ، قال : وإن موسى أقبل في بني إسرائيل يريد الأرض التي فيها بلعام - أو قال : الشام - قال : فرُعب الناس منه رعبا شديدا ، قال : فأتوا بلعام ، فقالوا : ادع الله على هذا الرجل وجيشه ! قال حتى أؤامر ربى - أو : حتى أؤامر (٦) - قال : فإمر في الدعاء عليهم ، فقيل له : لا تدع عليهم ، فإنهم يهادى ، وفيهم نبيهم . قال : فقال لقومه : إني قد وامت ربى في الدعاء عليهم ، وإني قد نبيت فأعدوا له هدية قبلها ، ثم راجعوه فقالوا : ادع عليهم . فقال : حتى أؤامر : فؤامر ، فلم يسحر إليه (٧) شيء . فقال : قد وامت ربى فلم يسحر إلى شيء ! فقالوا : لوكره ربك أن تدع عليهم لنهلك كما نهلك المرة الأولى : قال : فأخذ يلعو عليهم ، فإذا دعا عليهم جرت على لسانه الدعاء على قومه ، وإذا أراد [أن يلعو] أن يفتح لقومه ، دعا أن يفتح لموسى وجيشه - أو نحو ما ذل إن شاء الله : قال : فقالوا : ماتراك تدعو إلا علينا : قال : ما يجرى على لساني إلا هكذا ، ولو دعوت عليه أيضا ما استجيب لي ، ولكن سأدلكم على أمر عسى أن يكون فيه هلاككم : إن الله يخفض الرزق ، وإنهم إن وقعوا بالزنا هلكوا ، ورجوت أن يهلكهم الله ، فأخرجوا النساء يستقبلنهم ، فإنهم قوم مسافرون ، لعسى أن يزولوا فيهلكوا . قال : ففعلوا : قال : فأخرجوا النساء يستقبلنهم : قال : وكان للملك ابنة ، فذكر من عظمها ما الله أعلم به ! قال : فقال أبوها - أو بلعام - : لا تمسكن نفسك إلا من موسى ! قال : ووقعوا في الزنا : قال وأنها رأس سبط من أسباط بني إسرائيل ، قال : فأرادها على نفسه . فقالت : ما أنا بمكة نفسى إلا من موسى . قال : فقال : إن مترلنى كلها وكلها ، وإن من حالى كلها وكلها : قال : فأرسلت إلى أبيها تستأمره ، قال : فقال لها فأمكنه : قال : وباتنهما

(١) في المخطوطة : « أبو الرامرية » ، ولم نجده ، ولعل الصواب ما أثبتناه ، وهو : حطير بن كريب الحضرمي الكوفي ، هروى عن حنيفة وأبي الدرداء وعبد الله بن عمرو بن العاصي . ينظر التذييل : ٢١٨/٢ .

(٢) في المخطوطة : « تريا له الشيطان » . والمثبت عن الطبعات السابقة .

(٣) في المخطوطة والبعثات السابقة : « ملوة » يالين للملعة ، ولم نجده . والمثبوتة : قمر رمية بهم .

(٤) بانياس : من أشهر دمشق (مراسد الاطلاق) .

(٥) عن تفسير الطبري ، ونحسب أنها سقط نظر .

(٦) يسن أنه قال : « أؤامر » ، بقلب الهمزة واواً . أو « أؤامر » بإبقاء الهمزة ، وكلتاها جائزة .

(٧) لم يسحر إليه شيء : لم يجرع .

رجل من بني هارون ومعه الرمح فيلصقهما . قال : وأبى الله بقوة ، فانتقلهما جميعا ، ورفعهما على رءفه ، فركبهما الناس — لو كما حدث — قال : واسلط الله عليهم الطاعون . فمات منهم سبعون ألفا .

قال [أبو] للحمر : فحدثني سيئر : أن بلعاما ركب حمارة له حتى أتى العلوي (١) — أو قال : طريقا من العلوي — جبل يضربها ولا تكفم ، وقامت عليه فقالت : علام تضربني ؟ أما ترى هذا الذي بين يديك ! فإذا الشيطان بين يديه . قال : فترل وسجد له ، قال الله تعالى : (وائل عليهم نبأ الذي آتياه آياتنا فانسلخ منها) إلى قوله ، (لهم ينكرون) . قال : فحدثني بهذا سيار ، ولا أدرى لعله قد دخل فيه شيء من حديث غيره (٢) .

قلت : هو بلعام — ويقال : بلم — بن باعوراء ، ويقال : ابن أير . ويقال : ابن باعورين شهوم بن قوشم ابن ماب بن لوط بن هاران — ويقال : ابن حران — بن آزر . وكان يسكن قرية من قرى البلقاء .

قال ابن عساکر : « وهو الذي كان يعرف اسم الله الأعظم ، فانسلخ من ديبه ، له ذكر في القرآن » : ثم أورد من قصته نحو ما ذكرنا هاهنا ، أوردته عن وهب وغيره ، والله أعلم .

وقال عمدة بن إسحاق بن يسار عن سالم بن النضر : أنه حدث : أن موسى عليه السلام لما نزل في أرض بني كنان من أرض الشام ، أتى قوم بلعام إليه فقالوا له : هذا موسى بن عمران في بني إسرائيل ، فلدجاء نخرجنا من بلادنا ويتطنا ويحلبنا بني إسرائيل ، وإنا نؤمك ، ولبس لنا منزل ، وأنت رجل عجاب الدعوة ، فاعخرج فادع الله عليهم . قال : وليكم ! بني الله هم الملائكة والمؤمنون ، كيف أذهب أدعو عليهم ، وأنا أعلم من الله ما أعلم ؟ ! قالوا له : ما لنا من منزل ! فلم يزوالا به فيركونه ويضربون إليه ، حتى فتقوه فالتفتين ، فركب حمارة له متوجها إلى الجبل الذي يطلعه على صكر بني إسرائيل ، وهو جبل حسيبان (٣) ، فلما صار عليها غير كثير ، ربيشت به ، فترل عنها فضربها ، حتى إذا أذلقها (٤) قامت فركبها . فلم تسر به كثيرا حتى ربيشت به ، فضربها حتى إذا أذلقها أذن [الله] (٥) ما تكلمته حجة عليه ، فقالت : ويحك يا بلعام ، أين تلعب ؟ أما ترى الملائكة أمامي تردني عن وجهي هذا ؟ أذهب إلى بني الله والمؤمنين لتدعو عليهم ؟ فلم يترع عنها يضربها ، فخطى الله سيلها حين فعل بها ذلك . فانطلقت به حتى إذا أشرفت به على رأس حسيبان ، على صكر موسى وبني إسرائيل ، جبل يدعو عليهم ، ولا يدعو عليهم بشر إلا صرف به لسانه إلى قومه ، ولا يدعو قومه غير إلا صرف لسانه إلى بني إسرائيل . فقال له قومه : أتدري يا بلعام ما تصنع ؟ إنما تدعو لهم ، وتدعو علينا ! قال : فهذا ملائكة ، هذا شيء قد حذب الله عليه ! قال : وانطلق (٦) لسانه فوقع على صدره ، فقال لم : قد ذهبت بني الآن الدنيا والآخرة ، ولم يبق إلا للكر والحيلة ، فاسمكركم وأحلت .

(١) في الخطوط : « العلوي » . وكان في خطورة العلوي : « العلوي » . وقد أثبت السيد الحق مكان ذلك « العلوي » بهاء . وقال : « وصحبت قرايتها كما أنبتها ، لأن جيش موسى لما نزل به السحاب ، فهلك معه سبعون ألفا ، صار من بين مئة فلولاً » .

(٢) تفسير العلوي ، الأثر ١٥٤٢٠ : ١٣/٢٦١-٢٦٤ .

(٣) كذا ضبط في تفسير العلوي . ولم يرد هذا الجبل ذكر في كتب المصنف .

(٤) الإذلاق : أن يبلغ منه الجهد ، حتى يثقل ويتصدرو .

(٥) من تفسير العلوي .

(٦) اندلع لسانه ، خرج من فيه واستخرج كلسان الكلب .

جَمَعُوا النِّسَاءَ وَأَعْرَضُوا عَنْ السِّلَاحِ ، ثُمَّ أُرْسِلُوا إِلَى الْمَعْرِكِ يَجِدُهَا فِيهِ ، وَمُرُّوهُمْ فَلَا تَمْنَعُ امْرَأَةٌ نَفْسَهَا مِنْ رَجُلٍ أَرَادَهَا ، لَمْ يَلَمْزْ أَنْ ذَكَرَ رَجُلٌ مِنْهُمْ وَاحِدًا كَقِيصُومِهِمْ . فَعُضِلُوا . فَلَمَّا دَخَلَ النِّسَاءَ الْمَعْرِكِ ، مَرَّتْ امْرَأَةٌ مِنَ الْكِنَانَيْنِ اسْمُهَا « كَسِي » ابْنَةُ صُور ، رَأْسُ امَّةٍ ، بِرَجُلٍ مِنْ عِظَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَهُوَ « زَمْزَرَى بْنُ شُلُومٍ » ، وَأَسَى سَبِيحُ سَمْعَانَ (١) ابْنِ يَحْيَى بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، [فَنَظَّمَ إِلَيْهَا ، فَأَخَذَ يَلِدُهَا حَتَّى أَصْبَحَ جَمَلًا ، ثُمَّ أَقْبَلَ بِهَا حَتَّى وَفَّقَ بِهَا حُلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ] (٢) ، فَقَالَ : إِنْ أَتَيْتُكَ سَقُولُ هَذَا حَرَامٌ عَلَيْكَ ؟ قَالَ أَجَلُ ، هِيَ حَرَامٌ عَلَيْكَ ، لَا تَقْرُبَهَا ، قَالَ : فَوَاللَّهِ لَا نَطْلِقُكَ فِي هَذَا . ثُمَّ دَخَلَ بِهَا فَبَيْتُهُ فَوَقَعَ عَلَيْهَا . وَلَوْ سَلَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الطَّاعُونَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَكَانَ فَتَحَاصُّ بْنُ الْعِزَّازِ بْنِ هَارُونَ ، صَاحِبُ أَمْرِ مُوسَى ، وَكَانَ خَالِيًا حَتَّى صَنَعَ زَمْزَرَى بْنُ شُلُومٍ مَا صَنَعَ ، فَجَاءَهُ وَالطَّاعُونَ يَجُوسُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَأَخْبَرَ الْخَبَرَ ، فَأَخَذَ حَرِيتهُ ، وَكَانَتْ مِنْ حَبِيدِ كُلِّهَا ، ثُمَّ دَخَلَ الْقُبَّةَ وَهِيَ مُضَاجِعَان ، فَأَتَتْهُمَا بِحَرِيتهُ ، ثُمَّ خَرَجَ بِمَا رَافَعَهُمَا إِلَى السِّيَاءِ ، وَالْحَرْبَةُ قَدْ لُغِطَهَا بِلُورَاعِهِ ، وَاعْتَمَدَ بِمَرْقَتِهِ عَلَى خَاصِرَتِهِ ، وَأَسْنَدَ الْحَرْبَةَ إِلَى حَاشِيَتَيْهِ (٣) . وَكَانَ يَكْرِى الْعِزَّازَ - وَجِيلٌ يَقُولُ : اللَّهُمَّ هَكُنَا نَضِلُّ عَنْ يَمِينِكَ . وَزَنَعَ الطَّاعُونَ ، فَحُصِّبَ مِنْ هَؤُلَاءِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الطَّاعُونَ فِيمَا بَيْنَ أَنْ أَصَابَ زَمْزَرَى الْمَرْأَةَ إِلَى أَنْ قَتَلَهُ فَتَحَاصُّ ، فَوُجِدَ قَدْ هَلَكَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا - وَالْقَتْلُ لَمْ يَقُولْ : عَشْرُونَ أَلْفًا - فِي سَاعَةٍ مِنَ النَّهَارِ . فَمِنْ هَؤُلَاءِ تَعَطَّى بَنُو إِسْرَائِيلَ وَلَدَ فَتَحَاصُّ مِنْ كُلِّ ذِيخَةٍ ذَخَرَهَا الْقُبَّةُ (٤) وَاللُّرَاعُ وَالْأَحْشَى - [لِأَهْلِيهِ بِالْحَرْبَةِ عَلَى خَاصِرَتِهِ ، وَأَخَذَهُ إِيَّاهَا بِلُورَاعِهِ ، وَإِسْنَادَهُ إِيَّاهَا إِلَى حَاشِيَتَيْهِ] (٥) - وَالْبِكْرُ مِنْ كُلِّ أُمُومٍ وَأَنْفُسِهِمْ ، لِأَنَّهُ كَانَ يَكْرِى أَبِيهِ الْعِزَّازَ . فَمِنْ بِلَاعِمِ بْنِ يَاحُوْرَاءَ أَنْزَلَ اللَّهُ (وَاتَّعَلَّ عَلَيْهِمْ نَبَأُ الَّذِي أَتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسِلَخْنَا مِنْهَا) إِلَى قَوْلِهِ : (لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) (٦) .

وقوله تعالى : (فَمَنْ لَمْ يَلْحَظْ كَثَلَ الْكَلْبِ إِنْ تَحَمَّلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَرَكَهْ يَلْهَثْ) ، اخْتَلَفَ الْمُقْسِرُونَ فِي مَعْنَاهُ فَأَمَّا عَلَى مِثَاقِ ابْنِ إِسْحَاقَ ، حَتَّى سَأَلَ بَيْنَ أَبِي النَّضْرِ : أَنْ يُلَاعِمَا أَيْدِيَهُمَا لِسَانَهُ عَلَى صَدْرِهِ - فَتَشِيهَهُ بِالْكَلْبِ فِي لَهْثِهِ (٧) فِي كُنْهَاتِهِ إِنْ زَجَرَ وَإِنْ تَرَكَ (٨) . وَقِيلَ مَعْنَاهُ : فَصَلِّ مِثْلَهُ فِي ضَلَالِهِ وَاسْتِمْرَارِهِ فِيهِ ، وَعَلِمَ انْتِزَاعَهُ بِالْهَدَاةِ إِلَى الْإِيمَانِ وَصَدَمَ الْهَدَاةِ ، كَالْكَلْبِ فِي لَهْثِهِ فِي حَالَتِهِ ، إِنْ حَمَلَتْ عَلَيْهِ وَإِنْ تَرَكَهْ ، هُوَ يَلْهَثُ فِي الْحَالَيْنِ ، فَكُلُّكَ هَذَا لَا يَنْتَفِعُ بِالْمَوْعِظَةِ وَالْإِعْرَافَةِ إِلَى الْإِيمَانِ وَلَا عِلْمِهِ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : (سِوَاهُ عَلَيْهِمُ أَلْفُ ثَلَاثِينَ مِثْقَلٌ مِنْ ثَلَاثِينَ أَوْ لَمْ يَلْمِزْهُمْ أَمْ لَمْ يَلْمِزْهُمْ) (٩) (اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ) (١٠) ، وَنَحْوُ ذَلِكَ .

(١) كَلَامٌ فِي مَخْلُوعَةِ الْأَزْهر . وَفِي تَفْسِيرِ الْبُيُورِيِّ : « وَهَمُودُ بْنُ يَحْيَى » .

(٢) مَا بَيْنَ الْقَتْمُونِ سَقَطَ مِنْ مَخْلُوعَةِ الْأَزْهر ، أَتَيْنَاهُ عَنْ تَفْسِيرِ الْبُيُورِيِّ .

(٣) فِي الْمَخْلُوعَةِ : « لَحِيته » . وَالصَّوَابُ عَنْ تَفْسِيرِ الْبُيُورِيِّ . وَالصَّحِيحُ - يَنْتَفِعُ بِالْقَدَمِ وَسُكُونِ الْمَاءِ - مَنِيتُ الْحَمِيَّةِ . وَسَيَأْتِي فِي السِّيَاقِ مَا يُؤَكِّدُ مَا أَتَيْنَاهُ .

(٤) الْقُبَّةُ - بِحَسْرِ الْقَفَافِ وَفِيهِ الْإِلَهُ مُخْفِيَةً - : مِنْ الْكَرْشِ .

(٥) عَنْ تَفْسِيرِ الْبُيُورِيِّ . وَنَحْسَبُ أَنَّهُ سَقَطَ نَظْرٌ .

(٦) تَفْسِيرُ الْبُيُورِيِّ : الْأَثَرُ ١٥٤٧٢ : ١١٣ - ٢٦٤ - ٢٦٧ .

(٧) فِي الْمَخْلُوعَةِ : « فِي قِيَمِهِ » وَفِي نَحْوِ « لَحِيته » : « فِي الْمَخَامِيحِ » .

(٨) فِي السَّانِ ، مَادَّةُ هُثْ : « إِنْ خَلَّتْ عَلَى الْكَلْبِ لَحِيٌّ وَوَلَّى حَارِبًا ، وَإِنْ تَرَكَهُ فَهُوَ عَلَيْكَ وَفِيهِ : فَتَصِيبُ نَفْسِهِ مَقْبِلًا عَلَيْكَ وَدُبْرًا مَكْبَلًا ، فَيَسْتَرِيهِ عَنْ ذَلِكَ مَا يَسْتَرِيهِ عَنْ السُّطْرِ مِنْ إِخْرَاجِ اللِّسَانِ » .

(٩) سُورَةُ الْبَقَرَةِ : آيَةُ ٦ .

(١٠) سُورَةُ التَّوْبَةِ : آيَةُ ٤٠ .

وقيل : معناه أن قلبه الكافر والمناقض للضلال ضعيف فارغ من الهدى ، فهو كبير الوجيب ، فعبر عن هذا بهذا نقل نحوه عن الحسن البصري وغيره .

وقوله تعالى : (فاقصص القصص لعلهم يشكرون) ، يقول تعالى لئيبه محمد صلى الله عليه وسلم : (فاقصص القصص لعلهم) ، أى : لعل بني إسرائيل المالمين بحال بلعام ، وما جرى له في إضلال الله إياه وإيماده من رحمته ، بسبب أنه استعمل نعمة الله عليه - في تعليمه الأمم الأعظم الذى ، إذا سئل به أعطى ، وإذا دعى به أجاب - في غير طاعة وبه ، بل دعا به على حزب الرحمن ، وشعب الإيمان ، أتباع عبده ورسوله في ذلك الزمان ، كليم الله موسى بن عمران ، ولهذا قال : (لعلهم يشكرون) ، أى : فيحذروا أن يكونوا مثله ، فإن الله قد أعطاهم علما ، وميزهم على من عداهم من الأعراب ، وجعل بإيادهم صفة محمد صلى الله عليه وسلم يعرفونها كما يعرفون أبناءهم ، فهم أحق الناس بأولادهم باتباعه ومتابعيه وموازنته ، كما أعجبهم أنبياءهم بذلك ولستهم به ، ولهذا من خالف منهم في كتابه وكنهه فلم يعلم به العباد أحسن الله به ذلا في الدنيا موصولا بذلك الأثر .

وقوله : (ساء مثلا للقوم الذين كذبوا بآياتنا وأنقضهم كانوا يظلمون) ، يقول تعالى : ساء مثلا مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا ، أى : ساء مثلهم أنشبها بالكذب إلى لا همة لها إلا في تحصيل أكلة أو شهوة ، فمن خرج عن حيز العلم والهدى وأقبل على شهوة نفسه ، واتبع هواه ، صار شيعيا بالكذب ، وبسئ لئال مثله . ولهذا ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ليس لنا مثل السود » ، العائد [في حقه] كالكذب يورد في فيه (١) .

وقوله : (وأنقضهم كانوا يظلمون) ، أى : ما ظلمهم الله ، ولكن هم ظلموا أنفسهم ، بإعراضهم عن اتباع الهدى ، وطاعة الهوى ، إلى أن يكون إلى دار البلى ، والإقبال على تحصيل اللذات وموافقة الهوى .

مَنْ يَدِّأْهُمُ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدَى وَمَنْ يُضِلَّهُمْ قَدْ ضَلَّكَ هُمْ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾

يقول تعالى : من هداه الله فإنه لا مضل له ، ومن أضله فقد ضل وخسر وضل لا محالة ، فإنه تعالى ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وهذا جاء في حديث ابن مسعود : « إن الحمد لله ، حمده وتسبيحه وتستويده ونسبته » ، وهو الله من شروء أنفسنا ومن سبقات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

(١) البخارى : كتاب الحية ، باب لا يعل لأحد أن يرجع في حقه وصلته : ٢١٥/٣ . ومسلم : كتاب الحيات ، باب تحريم الرجوع في الصلوة والحية : ٦٥/٥ . وابن ماجه ، كتاب الصلوات ، باب الرجوع في الصلوة ، الحديث : ٢٣٩١ : ٧٩٩/٢ . وسنن أبي حنيفة ، كتاب البيوع ، باب الرجوع في الحية ، الحديث : ٣٥٣٨ : ٢٩١/٣ . وسند الإمام أحمد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ٤٠/١ : ٥٤ ، وعن ابن عباس : ٢١٧/١ : ٢٢٧ ، ٢٨٩ ، ٢٤٩ - ٣٥٠ . وعن ابن عمر وابن عباس : ٢٧/٢ ، ومن حديث ابن عمر : ١٧٥/٢ : ٢٠٨ .

الحديث بتمامه رواه الإمام أحمد (١)، وأهل سنن، وغيرهم.

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أُذُنٌ
لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿٢١﴾

يقول تعالى : (ولقد ذرأنا) أى : خلقنا وجعلنا لهم كثيرا من الجن والإنس ، أى : هبناهم لها ، وبعمل أهلها يصلون ، فإنه تعالى لما أراد أن يخلق الخلق علم ما هم عاملون قبل كونهم ، فكتب ذلك عنده في كتاب قبل أن يخلق السموات والأرض خمسين ألف سنة ، كما ورد في صحيح مسلم ، عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله قدر مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض خمسين ألف سنة ، وكان عرشه على الماء (٢) » .

وفي صحيح مسلم أيضا ، من حديث عائشة بنت طلحة (٣) ، عن عائشة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أنها قالت : دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنازة صبي من الأنصار ، فقلت : يا رسول الله طوبى (٤) له . صفور من حصائر الجنة ، لم يعمل السوء ولم يترك . فقال : « أَرَأَيْتَ ذَلِكَ يَا عَائِشَةُ ؟ إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْجَنَّةَ ، وَخَلَقَ لَهَا أَهْلًا (٥) » ، وهم في أصلاب آبائهم ، وخلق النار ، وخلق لها أهلا ، وهم في أصلاب آبائهم (٦) .

وفي الصحيحين من حديث ابن مسعود : « لَمْ يُنْشَأْ إِلَيْهِ الْمَلَكُ ، فَيُؤَمِّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ ، فَيَكْتَبُ : رِزْقُهُ ، وَأَجَلُهُ ، وَعَمَلُهُ ، وَشَقَى أَمْ سَعِدَ (٧) » ...

وتقدم أن الله لا استخراج خفية آدم من صلبه وجعلهم فرقتين : أصحاب اليمين وأصحاب الشمال ، قال : « هؤلاء للجنة ولا أبلى ، وهؤلاء للنار ولا أبلى » :

(١) سنن الإمام أحمد : ٣٩٢/١ ، ٣٩٣ ، ٤٢٢ ، وقد رواه عن ابن عباس ق : ٢٠٢/١ ، ٣٥٠ . وسنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب الرجل يغلب على قوس ، الحديث ١٠٩٧ : ٢٨٧/١ ، وكتاب النكاح ، باب خطبة النكاح ، الحديث ٢١١٨ : ٢٣٨/٢ ، ٢٢٩ ، ولفسافي في كتاب البسة ، باب كيفية الخطبة : ١٠٤/٢ ، ١٠٥ ، وكتاب النكاح ، باب ما يستحب من الكلام عند النكاح : ٨٩/٦ . وابن ماجه في كتاب النكاح ، باب خطبة النكاح ، الحديث ١٨٩٢ : ٦٠٩/١ .

هذا وقد رواه الإمام مسلم عن ابن عباس في كتاب البسة ، باب تحفيظ الصلاة والخطبة : ١١/٣ ، ١٢ . (٢) مسلم ، كتاب القدر ، باب سباج آدم وموسى عليهما السلام : ٥١/٨ . ولقد : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : كتب الله مقادير ... » .

(٣) أم عائشة بنت طلحة بن عبيد الله بن أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق . ينظر كتاب نسب قريش : ٢٨٣ .

(٤) لفظ مسلم : « طوبى لها » .

(٥) لفظ مسلم : « إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْجَنَّةَ أَهْلًا ، خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ ، وَخَلَقَ النَّارَ أَهْلًا خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ » .

(٦) مسلم ، كتاب القدر ، باب : « متى كل مولود يولد على الفطرة ، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين » : ٥١/٨ .

(٧) البخاري ، كتاب التوحيد ، باب : « ولقد سبقت كلثنا لميادنا للمسلمين » : ١٦٥/٩ . ومسلم ، كتاب القدر ، باب : « كيفية الخلق الأولى في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقوته وسعادته » : ٤٤/٨ .

والأحاديث في هذا كثيرة ، ومسألة القدر كبيرة ليس هذا موضع بسطها ،

وقوله تعالى : (لم قلوب لا يفقهون بها ، ولم أعين لا يصرون بها ، ولم آذان لا يسمعون بها) ، يعني : ليس يتصورن شيئاً من هذه الجوارح التي حصلها الله ، كما قال تعالى : (وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفغنا ، فإغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفتلهم من شيء ، إذ كانوا يحيطون بآيات الله) (١) ... الآية . وقال تعالى : (سم بكم عى فهم لا يرجعون) (٢) ، هلنا في حق المناقذين ، وقال في حق الكافرين : (سم بكم عى فهم لا يعقلون) (٣) ، ولم يكونوا صابراً بكم عيا إلا عن الهدى ، كما قال تعالى : (ولو علم الله فهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون) (٤) ، وقال : (فلنأبها لا نعى الأبصار ، ولكن نعى القلوب التي في الصدور) (٥) ، وقال : (ومن يشن عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين . وإليه يصدونهم عن السبيل ويحبون أنهم مهتلون) (٦) .

وقوله تعالى : (أولئك كالأنعام) ، أى : هؤلاء الذين لا يسمعون الحق ولا يحسونه ولا يصرون الهدى كالأنعام السارحة التي لا تتنصع لجله الحراس منها إلا في الذي يعيشها من ظاهر الحياة الدنيا كما قال تعالى : (ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعى عاماً يسمع إلا دعاءاً ونداءً) (٧) ، أى : ومثلهم في حال دعائهم إلى الإيمان ، كمثل الأنعام إذا دعاها راعيها لا تسمع إلا صوته ، ولا تفقه ما يقول . ولهذا قال في هؤلاء : (بل هم أشمل) ، أى : من الدواب ؛ لأن الدواب تد تتعصب مع ذلك راعيها إذا أبتسبها (٨) ، وإن لم تفقه كلامه ، بخلاف هؤلاء ؛ ولأن الدواب تفقه ما خلقت له إما يطعمها وإما يستخرجها ، بخلاف الكافر فإنه إنما خلق ليهدى الله ويوحده ، فكفر بالله وأشرك به ، ولهذا من أطاع الله من البشر كان أشرف من مثله من الملائكة في مبادءه ، ومن كفر به من البشر ، كانت الدواب أم منه ، ولهذا قال تعالى : (أولئك كالأنعام ، بل هم أشمل ، أولئك هم الغافلون) .

وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الْكُفْرَ بَلِّغُوا فِي أَسْمَائِهِ سُبُحَانَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن لله تسعة وتسعين اسماً [مائة إلا واحداً] ، من أحصاها دخل الجنة » وهو وثرب يحب الوثرة (٩) ،

- (١) سورة الأحقاف ، آية : ٢٦ .
- (٢) سورة البقرة ، آية : ١٨ .
- (٣) سورة البقرة ، آية : ١٧١ .
- (٤) سورة الأنفال ، آية : ٢٣ .
- (٥) سورة الحج ، آية : ٤٦ .
- (٦) سورة الزمر ، آية : ٣٦ ، ٣٧ .
- (٧) سورة البقرة ، آية : ١٧١ .
- (٨) البس : البوق والزجر .
- (٩) البخاري ، كتاب الدعوات ، باب « مائة اسم خير واحد » : ١٠٩/٨ . مسلم ، كتاب الذكر ، باب « في أسماء الله

تعالى وفصل من أحصاها » : ٩٢/٨ .

أخرجاه في الصحيحين من حديث سفيان بن عيينة ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عنه : رواه البخاري ، عن أبي الباق ، عن شعيب بن أبي حمزة عن أبي الزناد به (١) ، وأخرجه الترمذي ، عن الجوزجاني ، (٢) عن صفوان ابن صالح ، عن الوليد بن مسلم ، عن شعيب فذكر بسنده مثله ، وزاد بعد قوله : «عبد الوتر» (٣) : هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ، الملك ، القلوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، الخالق ، الباري ، المصور ، الغفار ، القهار ، الوهاب ، الرزاق ، الفتاح ، العليم ، القابض ، الباسط ، الخافض ، الرافع ، المعز ، المذل ، السميع ، البصير ، الحَكَم ، العدل ، الخبير ، الحليم ، العظيم ، الغفور ، الشكور ، العلي ، الكبير ، الحفيظ ، المقيت ، الحسيب ، الجليل ، الكريم ، الرقيب ، المجيب ، الواسع ، الحكيم ، الودود ، المجيد ، الباعث ، الشهيد ، الحق ، الركيل ، القوي ، المتين ، الولي ، الحميد ، الغني ، المبدئ ، المعيد ، المحيي ، المميت ، الحى ، القيوم ، الواجد ، الماجد ، الواحد (٤) ، الأحد ، الفرد ، الصمد ، القادر ، المقدر ، المقدم ، المؤخر ، الأول ، الآخر ، الظاهر ، الباطن ، الوالي ، المتعالي ، القرب ، التواب ، المتقم ، المتكبر ، الموفق ، مالك الملك ، ذو الجلال والإكرام ، المقسط ، الجامع ، الغنى ، المعنى ، ذا النور ، الضار ، النافع ، النور ، الهادي ، البديع ، الباق ، الوارث ، الرشيد ، الصبور :

ثم قال الترمذي : هذا حديث غريب ... وقد روى من غير وجه عن أبي هريرة ، ولا يعل في كثير من الروايات ذكر الأسماء إلا في هذا الحديث . (٥) .

ورواه ابن حبان في صحيحه ، من طريق صفوان ، به : وقد رواه ابن ماجه في سننه (٦) ، من طريق آخر ، عن موسى ابن عتبة ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة مرفوعا ، فسر الأسماء كنحو ما تقدم بزيادة وقصان :

والذي حول عليه جماعة من الحفاظ أن سرد الأسماء في هذا الحديث مذكور (٧) فيه ، وإنما ذلك كما رواه الوليد بن مسلم وحيد الملك بن محمد الصنعاني ، عن زهير بن محمد : أنه بلغه عن غير واحد من أهل العلم أنهم قالوا ذلك ، أى : أنهم جمعوها من القرآن كما ورد عن جعفر بن محمد وسفيان بن عيينة وأبي زيد القنوي ، والله أعلم .

ثم لبلم أن الأسماء الحسنى : «بست ، منحصر : في التسعة والتسعين ، بدليل ما رواه الإمام أحمد في مسنده ، عن يزيد ابن حارون ، عن فضيل بن مرزوق ، عن أبي سلمة (٨) الجهني ، عن أقام بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن عبد الله

(١) البخاري ، كتاب الشروط ، باب : ما يجوز من الاشتراط : ٢٥٩/٣ . وكتاب الوصية ، باب : إن شأه مائة اسم لإلا واحدا : ١٤٥/٩ .

(٢) الجوزجاني هو : إبراهيم بن يعقوب .

(٣) لم ترد هذه العبارة في سنن الترمذي ، كما في نسخة الأخرى ، والزيادة التي ساقها ابن كثير هي بعد قوله عليه السلام ، «من أحسانا دخل الجنة» .

(٤) لفظ الترمذي : «الواحد الصمد» فلم يرد فيه : «الأحد الصمد» .

(٥) نسخة الأخرى : أبواب النصوص ، الحديث ٣٥٧٤ : ٤٨٢/٩ - ٤٨٩ .

(٦) سنن ابن ماجه ، كتاب للحداد ، باب أسماء الله عز وجل ، الحديث ٣٨٦٦ : ١٣٦٩/٢ - ١٣٧٠ .

(٧) للمرجع في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم هو : أن يذكر الراوي حقيقه كلاما لنفسه أو لغيره ، فيرويه بعده متصلا بالحديث من غير فصل ، فيتم أنه من الحديث .

(٨) في نسخة الأخرى : «من أبي سلمة الجهني» . والمكتبة عن مسند الإمام أحمد .

ابن مسعود - رضى الله عنه - عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما أصابت أحملاً قطُّ همٌ ولا حزنٌ فقال اللهم إني عبدك ، ابن عبدك ، ناصي يديك ، ماضٍ في حكمك ، حادٌ في قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك ، أو أعلمته أحدًا من خلقك ، أو أنزلته في كتابك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن ربيع قلبي ، ونور صدري ، وجنة خزي ، وذباب همي ، إلا أنذهب الله هموم حزنه وأبدله مكانه فرحاً »
 فقيل : يا رسول الله ، أفلا تعلمها ؟ فقال : بلى ، ينبغي لكل (١) من سمعها أن يعلّمها (٢) .

وقد أخرجه الإمام أبو حاتم بن حبان البستي في صحيحه مثله .

وذكر الفقيه الإمام أبو بكر بن العربي أحد أئمة المالكية في كتابه « الأحرار » في شرح الترمذي أن بعضهم جمع من الكتاب والسنة من أسماء الله ألف اسم ، فله أصل (٣) .

وقال العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى : (وفروا للذين يلحدون في أمياله) [قال : إلحاد الملحدين ، أن دعوا اللات] في أمياله (٤) .

وقال ابن جريج ، عن عطاء : (وفروا الذين يلحدون في أمياله) [أ] ، قال : اشتقوا اللات من الله ، واشتقوا العزى من العزى (٥) .

وقال قتادة : (يلحدون) يشركون (٦) . وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « الإلحاد » التشكيك (٧)
 وأصل الإلحاد في كلام العرب : العمل عن التصدد ، والميل والجور والانحراف ، ومنه اللحد في القبر ، لانحرافه إلى جهة القبلة عن صمت الحفر .

وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْتَسِلُونَ ﴿١١﴾

يقول تعالى : (ومن خلقنا) أى : ومن الأمم (أمة) قائمة بالحق ، قولا وعلا ، (يهدون بالحق) يقولونه ويكسبون إليه ، (وبه يعللون) يعملون ويقضون .
 وقد جاء في الآثار أن المراد بهذه الأمة للمذكورة في الآية هي هذه الأمة المحمدية :

- (١) في المسند : « ينبغي لمن سمعها » .
- (٢) مسند الإمام أحمد : ٣٩١/١ ، ٤٥٢ .
- (٣) ينظر الأحرار ، أبواب الأدب : ٢٨١/١٠ .
- (٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٤٥٣ : ٢٨٢/١٤ .
- (٥) ما بين القوسين سقط في خطوة أئتناه من تفسير الطبري .
- (٦) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٤٥٤ : ٢٨٢/١٣ .
- (٧) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٤٥٦ : ٢٨٢/١٣ .
- (٨) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٤٥٥ : ٢٨٢/١٣ .

قال سعيد ، عن قتادة في تفسير هذه الآية : بلغنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول إذا قرأ هذه الآية : « هذه لكم ، وقد أعطى القوم بين أيديكم مثلاً » : (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) (١) .

وقال أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس في قوله تعالى : (ومن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن من أمتي قوماً على الحق ، حتى ينزل عيسى بن مريم متى ما نزل » (٢) .

وفي الصحيحين ، عن معاوية بن أبي سفيان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم ، حتى تقوم الساعة » - وفي رواية - : « حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك » - وفي رواية - : « وهم بالشام » (٣) .

وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٥٨﴾ وَأَمْلِي لَهُمْ إِنَّ كِبْرِيَّ مَتِينٌ ﴿١٥٩﴾

يقول تعالى : (والذين كذبوا بآياتنا نستدرجهم من حيث لا يعلمون) ، ومعناه : أنه يفتح لهم أبواب الرزق ووجوه المعاش في الدنيا ، حتى يفتروا بها ما هم فيه ويضلوا بهم على شيء ، كما قال تعالى : (فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء ، حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبسودون . قطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين) (٤) . ولما قال تعالى : (وأمل لهم) ، أي : وسأمل لهم ، أطول لهم ما هم فيه (إن كبريائي متين) أي : قوتي شديد .

أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ رَحْمَةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿١٦٠﴾

يقول تعالى : (أولم يتفكروا) هؤلاء المكذبون بآياتنا (ما بصاحبهم) يعني محمداً - صلوات الله وسلامه عليه - (من جنة) ، أي : ليس به جنون ، بل هو رسول الله حقا دها إلى حق ، (إن هو إلا نذير مبين) ، أي : ظاهر لمن كان له قلب ولب يعقل به وبشيء ، كما قال تعالى : (وما صاحبكم بمجنون) (٥) ، وقال تعالى : (قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدي طلب شديد) (٦) ، يقول : إنما أطلب منكم أن تقوموا لله قياماً خالصاً لله ليس فيه تعصب ولا عناد ، (مثنى وفرادى) ، أي : مجتمعين ومفرقين ، (لم تفكروا) في هذا الذي جاءكم بالرسالة من الله : أيا جنون لم لا ؟ فإنكم إذا علمتم ذلك بان لكم وظهور أنه رسول حقا وصلفاً .

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٤٦٠ : ١٢/٢٨٦ .

(٢) الدر المنثور ١٤٩/٣ .

(٣) البخاري ، كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : « إنما قولنا لشيء » ١٦٧/٩ . ومسلم ، كتاب الإمامة ، باب قوله صلى الله عليه وسلم : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين ... » ٥٣/٦ .

(٤) سورة الأنعام ، آية : ٤٤ ، ٤٥ .

(٥) سورة التكاوير ، آية : ٢٢ .

(٦) سورة سبأ ، آية : ٤٦ .

وقال قتادة بن دعامه : ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان على الصفا ، ففصحا قريشاً فاجعل يستخذه (١) فتخلوا فتخلوا : « يا بني فلان ، يا بني فلان ، فخذهم بأس الله وواقع الله ، فقال : انظروهم : « إن صاحبكم هنا عنون . فأت بصوت إلى الصباح - أو : حتى أصبح » ، فأنزل الله تعالى (أولم يتفكروا ما يصاح بهم . - ج : إن هو إلا نكير من) (٢) .

أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ إِلَيْهِمْ
فَيَأْتِيَهُمْ جَذِيبٌ بَعْدَهُمْ يُونُثُونَ ﴿٦٦﴾

يقول تعالى : (أولم ينظروا) - هؤلاء المكلبون بآياتنا - في ملك الله وسلطانه في السموات والأرض ، وفيما خلق من شيء بعدهم ، فيستنبهوا ذلك ويستنبهوا به ، ويعدوا أن ذلك لمن لا تقاير له ولا شيء ، ومن نعم من لا ينبري أن تكون المادة والذين انخلصوا إليه ، فيبرهوا به ، ويصدقوا رسوله ، ويتنبهوا إلى طاعته ، ويخلصوا الأنداد والأوثان ، ويعلموا أن تكون أجسامهم قد اقتربت ، فيهلكوا على كفرهم ، ويصبروا إلى عذاب الله وأليم عقابه .

وقوله : (فَيَأْتِيَهُمْ جَذِيبٌ بَعْدَهُمْ يُونُثُونَ) ؟ يقول : فَيَأْتِي تَحْوِيلٌ وَتَحْلِيلٌ وَتَرْهيبٌ - بعد تحليل عمد وترهيبه ، الذي أتاهم به من عند الله في آية كتابه - يصلحون ؟ إن لم يصلحوا بهذا الحديث الذي جاءهم به عند من عند الله ، عز وجل .

وقد روى الإمام أحمد عن حسن بن موسى وصفان بن مسلم (٣) وعبد الصمد بن عبد الوارث ، عن حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد بن جند خان ، عن أبي الصلت ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رأيت ليلة أسرى بي ، لا انتهيت إلى السماء السابعة ، فنظرت فوق ، فإذا أنا برعد ويرق وصوامق ، قال : وأريت على قوم بطونهم كالبيوت فيها الحيات ترى من خارج بطونهم ، قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء أكلة الربا ، فلما نزلت إلى السماء الدنيا فنظرت إلى أسفل مني ، فإذا أنا برجع (٤) ودخان وأصوات ، فقلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذه الشياطين يُحَرِّفُونَ (٥) على أعين بني آدم أن لا يتفكروا في ملكوت السموات والأرض ، ولولا ذلك لرأوا السجائب (٦) » .

(١) جبل يخدمهم : أي يتابعهم فتخلوا فتخلوا ، واللفظ : فرقة من فرق الجماعات والمشار .

(٢) تفسير الطبري : الأثر ١٥٤٦١ ، ١٣ / ٧٨٩ .

هذا ، وقد لعن المشركون في أنهم عبد - صلوات الله وسلطانه عليه - بالجنون ، ولما كثرت الآيات التي نزلت لنبي هذه الأمة ، وكذلك كانت الأمم السابقة ترى أنبياءها جهلة الأتمة : والسر في ذلك هو أن الأنبياء كانوا ينقلون عجمتهم التي أرسلوا إليها ، ويسلمون كل تنقيها غاروا عليها من السيوب . ولتقادم حداث هذه الأمم في نظرم ، وتوارثهم إيماناً جليلاً بعد جيل فقه كانوا يرون الخروج عليها غروياً من العقل . ومن هنا كانوا يرسلون الرسل والأنبياء بالجنون ، والله أعلم .

(٣) في المخطوطة : « حيان بن مسلم » . وهو خطأ ، ينظر التلخيص : ٢٣٠ / ٧ .

(٤) الرجح - بفتحين - : للتيار .

(٥) كلما في مخطوطة الأثر ، ومثله في إحدى روايتي المصنف ، وفي الرواية الأخرى : « يعومون كل أمين » ، وهو الذي أثبت في الطبقات السابقة لتفسير ابن كثير . ومنه « يعومون » : يملكون ، في اللسان : « عرفت للتلويط : يملأها ، ويصليها من حرف ، أي جانب وطرف » ، فلذا كان النص : « يعومون كل أمين بن آدم » فنهت : يملأونها كائنين عليها . والله أعلم .

(٦) مسند الإمام أحمد : ٣٥٢ / ٢ ، ٣٦٢ .

على بن زيد بن جندعان له منكرات ؛

ثم قال تعالى :

مَنْ يُضِلِلْ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَرْزُقْهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْهُمْ ^(١)

يقول تعالى : من كُتِبَ عليه الضلالة فإنه لا حديد له ، ولو نظر انفسه فيما نظر ، فإنه لا يجرى عنه شيئا ، (ومن يرد الله فتته فليس هناك له من الله شيئا) ، قال تعالى : (قل : انظروا ماذا في السموات والأرض ، وما تفي الآيات والكتب من قوم لا يؤمنون) (١) .

يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا لَوْحٌ إِلَّا هُوَ تُقَلَّتْ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْثَةٌ يَسْأَلُونَكَ كَتَانِكَ حَتَّىٰ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ ^(٢)

يقول تعالى : (يسألك عن الساعة) ، كما قال تعالى : (يسألك الناس عن الساعة) (٢) ؛

قيل : نزلت في قريش : قيل : في نهر من اليهود . والأول أشبه ؛ لأن الآية مكية ، وكانوا يسألون عن وقت الساعة ، اسبغها لوقوعها ، وتكليا بوجودها ؛ كما قال تعالى : (ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين) (٣) ، وقال تعالى : (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها ، والذين آمنوا مشفقون منها ، ويعلمون أنها الحق ، ألا إن الذين يمارونه في الساعة لني ضلال بعيد) (٤) .

وقوله : (أيان مرساها) ، قال على بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « متهاها » (٥) ؛ أي : متى عطلها وأيان آخر مدة الدنيا الذي هو أول وقت الساعة .

(قل إنما علمها عند ربّي لا يجليها لوقتها إلا هو) ، أمر تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم إذا سئل عن وقت الساعة ، أن يردّ علمها إلى الله تعالى ، فإنه هو الذي يجليها لوقتها ، أي : يعلم جليلة أمرها ، ومتى يكون على التحديد ، لا يعلم ذلك إلا هو تعالى ، ولهذا قال : (تقلّت في السموات والأرض) :

قال عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة في قوله : (تقلّت في السموات والأرض) ، قال : قل علمها على أهل السموات والأرض ؛ إنهم لا يعلمون (٦) :

(١) سورة يونس ، آية : ١٠١ .

(٢) سورة الأحزاب ، آية : ٦٣ .

(٣) سورة الأنبياء ، آية : ٢٨ .

(٤) سورة الشورى ، آية : ١٨ .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر : ١٥٤٦٧ : ١٣ : ٢٩٤ .

(٦) تفسير الطبري ، الأثر : ١٥٤٧٣ : ١٣ : ٢٩٥ .

قال معمر : قال الحسن : إذا جاءت قتل على أهل السموات والأرض : يقول : كَبُرَتْ عليهم (١) :

وقال الضحاك ، عن ابن عباس في قوله : (قتل في السموات والأرض) ، قال : ليس شيء من المخلوق إلا يصيبه من ضرر يوم القيامة .

وقال ابن جريج : (قتل في السموات والأرض) ، قال : إذا جاءت انشقت السماء ، وانتشرت النجوم ، وكثرت الشمس ، وسيرت الجبال ، وكان ما قال الله عز وجل . فذلك قتلها (٢) .

واختار ابن جرير رحمه الله : أن المراد : نَقَلَ علم وقها على أهل السموات والأرض ، كما قال قتادة (٣) : وهو كما قاله ، كقوله تعالى : (لا تأتكم إلا بئنة) ، ولا ينفي ذلك قتل مجيها على أهل السموات والأرض ، والله أعلم .

وقال السدي : (قتل في السموات والأرض) ، يقول : خفيت في السموات والأرض ، فلا يعلم قيامها حين تقوم ملكك مقرب ، ولا نبي مرسل (٤) .

(لا تأتكم إلا بئنة) ، يعنيهم قيامها ، تأنيهم على غفلة :

وقال قتادة في قوله تعالى : (لا تأتكم إلا بئنة) ، قض الله أيها (لا تأتكم إلا بئنة) - قال : وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الساعة تنبج بالناس ، والرجل يكلح حوضه ، والرجل يسئ ماشيته ، والرجل يتم سائحته في السوق ويغفص ميزانه ويرقيه » (٥) :

وقال البخاري : حدثنا أبو اليان ، أنبأنا شعبة ، حدثنا أبو الزناد عن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت فرأها الناس آمنوا أجمعين ، فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها غيرا ، ولتقرمن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما ، فلا يتصايبانه ولا يطويانه . ولتقرمن الساعة وقد انصرف الرجل بلن لقحنته فلا يطعمه : ولتقرمن الساعة وهو يكلح حوضه (٦) فلا يسقي فيه . ولتقرمن الساعة والرجل قد قنع أكلته إلى فيه فلا يقطعها » (٧) .

وقال مسلم في صحيحه : حدثني زهير بن حرب ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن أبي الزناد ، عن الأهرج ، عن

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٤٧٤ : ٢٩٦/١٣ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٤٧٥ : ٢٩٦/١٣ .

(٣) تفسير الطبري ، ٢٩٦/١٣ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٤٧٢ : ٢٩٥/١٣ .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٤٧٩ : ٢٩٦/١٣ .

(٦) لا طحوض يابله ويلونه : طبعه .

(٧) البخاري ، كتاب الرقاق ، باب : طرق الشمس من مغربها : ١٣٢/٨ . وكتاب الفتن ، ٧٤/٩ .

ابن هريرة يبلغ به [النبي صلى الله عليه وسلم] (١) قال : « تقوم الساعة وتخرج جلب الملقحة ، فما يصل الإناء إلى فيه حتى تقوم الساعة ، والرجلان يتيايمان الثوب فإيتياعته حتى تقوم ، والرجل يكلوط حوضه فما يصير حتى تقوم (٢) »

وقوله : (يسألونك كأنك حتى عنها) ، اختلف المفسرون في معناه ، قيل معناه كما قال البرقي عن ابن عباس : يسألونك كأنك حتى عنها) ، يقول : كأن بينك وبينهم مودة ، كأنك صديق لهم . قال ابن عباس : لما سأل الناس عمداً صلى الله عليه وسلم عن الساعة ، سأله سؤال قوم كأنهم يرون أن عمداً حتى بهم ، فأوحى الله إليه : [عنا علمها عندنا ، استأثر بطمها ، فلم يطلع الله عليها ملكاً مكرهاً ولا رسولاً (٣)] .

وقال قتادة : قالت قريش لعمد صلى الله عليه وسلم : إن بيننا وبينك قرابة ، فاسر إنينا من الساعة ؟ فقال : الله عز وجل : (يسألونك كأنك حتى عنها) (٤) .

وكذا روى عن مجاهد ، وعكرمة ، وأبي مالك ، والسدي ، وهذا قول . والصحيح عن مجاهد - من رواية ابن أبي نجيح وغيره - : (يسألونك كأنك حتى عنها) ، قال : استخفيت عنها السؤال ، حتى عكمت وقتها (٥) .

وكذا قال الضحاك ، عن ابن عباس : (يسألونك كأنك حتى عنها) ، يقول : كأنك عالم بها ، لست تعلمها ، (قل إنما علمها عند الله) .

وقال معمر ، عن يعضهم : (كأنك حتى عنها) كأنك عالم بها (٦) .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : (كأنك حتى عنها) كأنك عالم بها ، وقد أخفى الله علمها على خلقه ، وقرأ : (إن الله عند علم الساعة (٧)) الآية .

وهذا القول أرجح في المعنى من الأول ، والله أعلم :

ولهذا قال : (قل : إنما علمها عند الله ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون) :

ولهذا لما جاء جبريل عليه السلام في صورة أعرابي ، ليعلم الناس أمر دينهم ، فجلس من رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلس السائل للشيخ ، وصاله عن الإسلام ، ثم عن الإيمان ، ثم عن الإحسان ، ثم قال : في الساعة ؟ قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما للسائل عنها بأعلم من السائل » ، أي : لست أعلم بها منك ولا أحد أعلم بها من أحد ثم قرأ النبي صلى الله عليه وسلم : (إن الله عند علم الساعة) الآية :

(١) عن صحيح مسلم .

(٢) مسلم ، كتاب الفتن ، باب قرب الساعة : ٢١٠/٨ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٤٨٠ : ٢٩٨/١٣ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٤٨١ : ٢٩٨/١٣ .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٤٨٦ : ٢٩٩/١٣ .

(٦) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٤٩١ : ٢٩٩/١٣ .

(٧) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٤٩٢ : ٢٩٩/١٣ ، ٣٠٠ .

عن عائشة رضي الله عنها قالت : كانت الأعرابُ إذا قُتِلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم سألوه عن الساعة : متى الساعة ؟ فتنتظر إلى أحدث إنسان منهم فقال : « إن يمش هذا لم يدركه الحرم حتى قامت ساعتكم (١) » : يعني بذلك موتهم الذي يقضى بهم إلى الحصول في برزخ النار الآخرة :

ثم قال مسلم : وحدثن أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا يونس بن محمد ، عن حماد بن سكرية ، عن ثابت ، عن أنس : أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الساعة (٢) [وعنده غلام من الأنصار يقال له محمد (٣)] فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن يمش هذا الغلام فمضى أن لا يدركه الحرم حتى تقوم الساعة » . انفرد به مسلم (٤) .

وحدثني حجاج بن الشاعر ، حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا حماد بن زيد ، حدثنا معبد بن هلال الميموني (٥) ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه : أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم قال : متى الساعة (٦) ؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم هنيهة ، ثم نظر إلى غلام بين يديه من أزد شنوءة ، فقال : « إن عُمِرَ هذا لم يدركه الحرم حتى تقوم الساعة » - قال أنس : ذلك الغلام من أنس (٧) .

وقال : حدثنا هارون بن عبد الله ، حدثنا حنان بن مسلم ، حدثنا همام ، حدثنا قتادة ، عن أنس قال : مر غلام للمغيرة بن شعبة - وكان من أنس - فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن يوشم هذا لم يدركه الحرم حتى تقوم الساعة (٨) » .

ورواه البخاري في كتاب « الأدب » من صحيحه ، عن عمرو بن حاصم ، عن همام بن يحيى ، عن قتادة ، عن أنس : أن رجلاً من أهل البادية قال : يا رسول الله ، متى الساعة ؟ فقال ذكر الحديث ، وفي آخره : « فر غلام للمغيرة ابن شعبة (٩) » ، وذكروه .

وحذا الإخلاقي في هذه الروايات عمول على التقيد : « صاحبكم » في حديث عائشة رضي الله عنها : وقال ابن جرير : أخبرني أبو الزبير : أنه سمع جابر بن عبد الله يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) مسلم ، كتاب الفتن ، باب قرب الساعة : ٢٠٩/٨ . وقد رواه البخاري من وجه آخر عن عائشة . ينظر كتاب الرقاق ، باب سكرات الموت : ١٣٣/٨ . ولقد مسلم : « لم يدركه الحرم ، قلت عليكم ساعتكم » .

(٢) لفظ مسلم : « متى تقوم الساعة ؟ » .

(٣) عن صحيح مسلم .

(٤) مسلم ، الكتاب والباب المختصان : ٢٠٩/٨ .

(٥) في خطوة الأثر : « سبه بن أبي حنبل للمصري » . والمثبت عن مسلم ، والتهذيب : ٢٢٥/١٠ .

(٦) لفظ مسلم : « متى تقوم الساعة ؟ » .

(٧) مسلم ، الكتاب والباب المختصان : ٢٠٩/٨ .

(٨) مسلم ، الكتاب والباب المختصان : ٢١٠ ، ٢٠٩/٨ .

(٩) البخاري ، كتاب الأدب ، باب ما جاء في قول الرجل ويك : ٤٨/٨ .

قُلْ أَنْ مَوْثٍ بِشَهْرِ قَالَهُ : لَسَاوَنُكَ عَنْ السَّاعَةِ ، وَإِنَّمَا عَلَيْهَا خُدُودٌ مُقَدَّرَةٌ ، وَأَنْتُمْ عَلَيْهَا فِي الْأَرْضِ الْيَوْمَ ، كَمَا كُنْتُمْ فِيهَا يَوْمَ الْأَوَّلِ (١) : « وَوَادَعَهُمْ »

وَالصَّاحِبِينَ ، عَنْ ابْنِ عَرَبٍ مَثَلُهُ ، قَالَ ابْنُ عَرَبٍ : وَإِنَّمَا أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخُرُوجَ ذَلِكَ فَهَرُونَ (٢) .
وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ ، أَنَا أَبُو الْعَوَامِ عَنْ ، جَبَلَةَ بْنِ سُهَيْمٍ ، عَنْ مَوْثَرِ بْنِ عَمَّارَةَ ، عَنْ ابْنِ سَمُودَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « قَتِيتَ لَيْلَةَ أُسْرِي فِي إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ، قَالَ : قَتَلْتُمْ كَرُوا أَمْرَ السَّاعَةِ ، قَالَ : فَرَدُّوا أَمْرَهُمْ إِلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَالَ : لَا عِلْمَ لِي بِهَا . فَرَدُّوا [أَمْرَهُمْ] (٣) إِلَى مُوسَى ، قَالَ : لَا عِلْمَ لِي بِهَا . فَرَدُّوا أَمْرَهُمْ إِلَى عِيسَى ، قَالَ عِيسَى : لَمَّا وَجَّهْتُمَا فَلَا يَعْلَمُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ عزَّ وَجَلَّ ، وَفِيهَا عَهْدٌ لِي بِرَبِّي عزَّ وَجَلَّ أَنْ تَجْعَلَ خَارِجٌ ، قَالَ : وَمَعِيَ قَضِيَانِ ، فَأَمَّا رَأَيْتُ خَاطِبًا كَمَا يَذُوبُ الرِّصَاصُ ، قَالَ : فِيهِلْكَ اللَّهُ عزَّ وَجَلَّ إِذَا رَأَى ، حَتَّى إِذَا الْخَجَرُ وَالشَّجَرُ يَقُولُ : يَا مُسْلِمُ ، إِنْ نَحْنُ تَأَلَّوْا فَتَمَالُ فَاقْلَهُ . قَالَ : فِيهِلْكُمْ اللَّهُ عزَّ وَجَلَّ ، لَمْ يَرْجِعِ النَّاسُ إِلَى بَدَنِهِمْ وَأَوْحَاثِهِمْ ، قَالَ : فَتَمَالُ ذَلِكَ يُخْرِجُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ، وَمِنْ كُلِّ سَنَةٍ يَبْسُلُونَ ، فَيَهْتُونَ بِبَدَنِهِمْ ، لَا يَأْتُونَ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا لَمْ يَكُونُوا ، وَلَا يَمُوتُونَ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا شَبَّ بُوَهُ . قَالَ : لَمْ يَرْجِعِ النَّاسُ إِلَى فِيهِلْكُمْ ، فَأَجْعَلَ اللَّهُ عزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِمْ فِيهِلْكُمْ وَيَهْتِمُ ، حَتَّى تَجُوزِيَ الْأَرْضُ مِنْ تَحْتِهِمْ رِيحَهُمْ - أَيْ : تُثَقِّلُ - قَالَ : فَيَقْتُلُ اللَّهُ الْمَطَرُ ، فِيَهْبِرُفْ أَجْسَادَهُمْ حَتَّى يَقْلَعَهُمْ فِي الْبَحْرِ .

قَالَ أَحْمَدُ : قَالَ يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ : ثُمَّ تَسَفَّ الْجِبَالُ ، وَتُسَكَّ الْأَرْضُ مَدَّ الْأَدِيمِ - ثُمَّ رَجَعَ إِلَى حَدِيثِ هُشَيْمٍ قَالَ : فَنَبَا عَهْدٌ لِي بِرَبِّي عزَّ وَجَلَّ أَنْ ذَلِكَ إِذَا كَانَ كَذَا ، فَإِنَّ السَّاعَةَ كَالْحَامِلِ لِلثَّيْمِ لَا يَدْرِي أَهْلُهَا مَتَى تَنْجِيئُهَا يُولَدُهَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا .

وَرَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ هَارُونَ ، عَنْ الْعَوَامِ بْنِ حَوْشِبٍ يَسْتَدُهُ ، نَحْوَهُ (٤) .

فَهَوْلَاءُ أَكْبَارُ أُولِ الْعَزَمِ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ، لَيْسَ عَنْهُمْ عِلْمٌ بِوَقْتِ السَّاعَةِ عَلَى الصَّحْبِينَ ، وَإِنَّمَا رَدُّوا الْأُمُورَ إِلَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَتَكَلَّمَ عَلَى أَشْرَاطِهَا ، لِأَنَّهُ يَتَرَلَّى فِي آخِرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِثْلًا لِأَحْكَامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَيَقُولُ الْمَسِيحُ النَّجْدِيُّ ، وَيَجْعَلُ اللَّهُ هَلَاكَ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ بِبَرَكَتِهِ دَعَاةً ، فَلْيُخْبِرْ بَعَا أَهْلَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ .

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي بَكْرٍ ، حَدَّثَنَا حَبِيبُ اللَّهِ بْنُ إِدْرِيسَ بْنِ قَيْطٍ (٥) : قَالَ : صَمِعْتُ أَبِي يَذْكُرُ عَنْ حَدِيثِهِ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ السَّاعَةِ قَالَ : « عَلَيْهَا خُدُودٌ رُبِّي لَا يُجْعَلُهَا لِرُتْهَا إِلَّا هُوَ ،

(١) مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب قوله صلى الله عليه وسلم : « لَا تَأْتِي مَآئَةُ سَنَةٍ وَحُلَّ الْأَرْضِ نَفْسٌ مَغْشُوءَةٌ » .

١٨٧/٧ . وَنَقَطَ مُسْلِمٌ : « وَأَنْتُمْ مَا عَلَى الْأَرْضِ الْيَوْمَ ... » .

(٢) مسلم ، الكتاب ، أبواب القضاة : ١٨٦/٧ .

(٣) عَنْ مَثَلِ الْإِمَامِ أَحْمَدُ .

(٤) سَبِيحُ تَرْغِيحِ حَدِيثِ الْإِمَامِ أَحْمَدُ ، وَحَدِيثِ ابْنِ مَاجَةَ : ٤٩٠/٢ ، ٤٩٠/٤ . وَفَرَحُ الْقُرَيْبِ هُنَاكَ .

(٥) فِي الْخَطِّ : « عَهْدَ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ » وَلِلثَّقَاتِ مِنَ الْمَثَلِ ، وَتَرْجَمَتْ فِي التَّهْلِيلِ : ٤/٧ .

(٦) مَشَارِيفُ الشَّيْخِ : أَرْكَاتُهُ ، الْوَاحِدُ ، مَشْرَاطٌ ، يَكْسِرُ لِلْمِثْلِ .

ولكن سأخبركم بمشاريطها (١)، وما يكون بين يديها : إن بين يديها فتنة وهرجاء . قالوا : يا رسول الله ، الفتنة قد مرناها فأرجو ما هو ؟ قال : بلسان الحبيشة : القتل . قال : وَيَقْتُلِي بَيْنَ النَّاسِ التَّشَاكُرُ ، فلا [يكاد] أحد يعرف أحدا (٢) لم يروه أحد من أصحاب الكتب [الفتنة] من هذا الوجه .

وقال وكيع : حدثنا ابن أبي خثالة ، عن طارق بن شهاب ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال يذكر من شأن الساعة حتى تولت : (يسألونك عن الساعة أيان مرساها) ... الآية .

ورواه السائي من حديث عيسى بن يونس ، عن إسماعيل بن أبي خثالة ، به . وهذا إسناده جيد قوى :

فهذا النبي الأبي سيد الرسل وخاتمهم - صلوات الله عليه وسلامه - نبي الرحمة ، ونبي التوبة ، ونبي الملحمة ، والمقلب والمفتي ، والخاتم الذي تحشر الناس على قدميه ، مع قوله فيما ثبت عنه في الصحيح من حديث أنس وسهل ابن سعد رضي الله عنهما : « بعثت أنا والساعة كهاتين (٣) » وقرن بين إصبعيه السبابة واليمنى تليها - ومع هذا كله قد أمره الله تعالى أن يتردد علم وقت الساعة إليه إذا سئل عنها ، فقال : (قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون)

قُلْ لَا أَمْرٌ لَّيَّسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنْ أَنْخِفِ وَمَا سَنِي السُّوءَ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾

أمره الله تعالى أن يفرض الأمور إليه ، وإن خبر عن نفسه أنه لا يعلم الغيب ، ولا اطلاع له على شيء من ذلك إلا بما أطلعه الله عليه ، كما قال تعالى : (علم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً) (٤) ... الآية .

وقوله : (ولو كنت أعلم الغيب لاستكترت من الخير) ، قال عبد الرزاق ، عن الثوري ، عن منصور ، عن مجاهد ، (ولو كنت أعلم الغيب لاستكترت من الخير) ، قال : لو كنت أعلم متى أموت ، لعلمت عملا صالحا .

وكذلك روى ابن أبي نجيح عن مجاهد . وقال مثله ابن جريج (٥) .

وفيه نظر ، لأن عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ديمعة (٦) - وفي رواية - « كان إذا عمل عملا أثبته » (٧) ،

(١) مشاريط الشيء : أوله الواحد مشراط بكسر الميم .

(٢) سنة الإسماء : ٣٨٩/٥ . وما بين التوسين عنه .

(٣) البنادري ، كتاب الصلاة ، باب اللذان : ٦٨/٧ . وسلم ، كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة والخطبة : ١١/٣ .

(٤) سورة البقر ، الآية : ٢٦ .

(٥) تفسير الطبري ، الأثران : ١٥٤٩٤ ، ١٥٤٩٥ : ٣٠٢/١٣ .

(٦) البنادري ، كتاب الصوم ، باب هل ينس فحشا من الأيام : ٥٥/٣ . وسلم ، كتاب المساقين ، باب فضيلة العمل الدائم : ١٨٩/٢ .

وكان عمله ديمعة - بكسر الدال وسكون الياء - أي دائما غير منقطع . والديمعة في الأصل : الممر الدائم ، شبه به عمله في عمله مع الاقتصاد .

(٧) سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب ما يؤثر به من القصد في الصلاة ، الحديث : ٤٨/٢ : ١٣٧ . وينظر صحيح مسلم ، كتاب المساقين ، باب فضيلة العمل الدائم : ١٨٨/٢ ، ١٨٩ . ومضى أثبته ، لازمه ودأوم عليه .

فجميع عمله كان على مثال واحد ، كأنه ينظر إلى الله عز وجل في جميع أحواله ، اللهم إلا أن يكون المراد أن يرشد غيره إلى الاستعداد لذلك ، والله أعلم .

والأحسن في هذا ما رواه الفصيح ، عن ابن عباس : (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير) ، أي : من المال — وفي رواية : لعلمت إذا اشتريت شيئاً ما أربح فيه ، فلا أبيع شيئاً إلا ربحت فيه [وما معنى السوء ، قال] ولا يصيبني الفقر (١) .

وقال ابن جرير : وقال آخرون معنى ذلك : لو كنت أعلم الغيب ، لأعدت للسوء الخيبة من الخصبة ، ولعرفت (٢) الفلأمة من الرخص ، فاستعدت له من الرخص (٣) .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : (وما معنى السوء) ، قال : لا تجتنب ما يكون من الشر قبل أن يكون ، واتقته (٤) .

ثم أخبر أنه إنما هو لنير وبشر ، أي : لنير من اللباب ، وبشر المؤمنين بالجنات ، كما قال تعالى : (فاتموا صراطه بساكنة) لنير به المقصود وتلوه قومنا لنا (٥) .

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلٌ مُخْتَلِفٌ رَأْسَ بَيٍّ فَلَمَّا أَفْجَلَتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمْ لَأَبْعِدُنَا مِنْ هَذِهِ الْبَلَاءِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْ ذُنُوبِنَا وَلِنُفِيقَ الْحَبْلَ فَجَعَلَ اللَّهُ نَفْسَهُ فِيهَا فَنَزَلَ اللَّهُ فِيهَا رُوحَهُ فَجَعَلَ مِنْهَا فَرْقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ لِيَتَذَكَّرَ لَهَا كَلِمَاتُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

فيه تعالى على أنه خلق جميع الناس من آدم عليه السلام وأنه خلق منه زوجة حواء ، ثم انفشّر [الناس] منهما ، كما قال تعالى : (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل ، لتعارفوا إنا أكرمكم عتاداً أفاضكم) (٦) وقال تعالى : (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها) (٧) الآية .

وقال في هذه الآية الكريمة : (وجعل منها زوجها ليسكن إليها) ، أي : ليألفها ويسكن بها ، كما قال : تعالى :

(١) انظر المتنوع من ابن أبي حاتم وابن أبي شيبة : ١٥١/٣ ، وما بين القوسين منه .

(٢) في المخطوطة : ولوقت الفلأمة . ولا يستقيم النص عليه . وللمثبت من تفسير الطبري .

(٣) تفسير الطبري : ٣٠٢/١٣ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر : ١٥٤٩٦ : ٣٠٢/١٣ .

(٥) سورة مريم ، آية : ٩٧ .

هذا ، وقد نقت هذا الآية بقراءة النبي صلى الله عليه وسلم على جليب النخلة لعمه ودفع الفرس عنها ، ونكت كذلك من العلم بالغيب ، ويرى من ذلك بأنه لو لم يكن كذلك لاستكثر من الخير ، وهذه الآية توضح بشرته — سلوات الله وسلامه عليه — بما لا يقع جهالا لشبهة ، وذلك حتى لا تتورط أئمة في شأنه ، كما تورطت الأئمة السابقة في شأن أنبيائهم ، فانزعتهم من البشرية ، وعلمت عليهم من الصفات الإلهية ما لا يليق به الحق وأول .

(٦) سورة الحجرات ، آية : ١٣ .

(٧) سورة النساء ، آية : ١ .

(ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة) (١) ، فلا ألفة بين الزوجين أعظم ما بين الزوجين ، ولذا ذكر تعالى أن الساحر ربنا تصل بكبدته إلى الفرقة بين المراء وزوجه .

(فلما تنفخاها) ، أى : حملتها (حملا خفيفا) ، وذلك أول الحمل ، لا نجد المرأة له إلا ، إنما هي النطفة ، ثم المعلقة ثم المعلقة .

وقوله : (فمرت به) ، قال مجاهد : استمرت بحمله (٢) : وروى عن الحسن ، وإبراهيم النخعي ، والسلي ، نحوه .

وقال ميمون بن مهران ، عن أبيه استخفته .

وقال أيوب : سألت الحسن عن قوله : (فمرت به) قال : لو كنت رجلا هربا لمرقت ما هي ؟ إنما هي : فاستمرت به (٣) .

وقال قتادة : (فمرت به) ، واستبان حملها .

وقال ابن جرير : استمرت بالماء ، قامت به وقعدت (٤) .

وقال النوفلي ، عن ابن عباس : استمرت به ، فشكت : حملت أم لا (٥) .

(فلما انفلت) ، أى : صارت ذات عقل بحملها .

وقال السدي : كبر الولد على بطنها (٦) .

دعوا الله رجما لن آتينا (صالحا) ، أى بشراسويا ، كما قال الضحاك ، عن ابن عباس : أشفقا أن يكون بيده (٧) ،

وكذلك قال أبو بصير وأبو مالك : أشفقا أن لا يكون إسما (٨) .

وقال الحسن البصري : إن آتينا غلاما (٩) .

لنكرن من الشاكرين ، فلما آتاهما صالحا جلا له شركاء فيما آتاهما فصلى الله على بشركون ، ذكر المقصرون هاهنا آثار ، وأحاديث مسودها وأين ما فيها ، ثم نبيح ذلك ببيان الصحيح في ذلك ، إن شاء الله وبه الثقة .

(١) سورة الروم ، آية : ٢١ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٥٠٢ : ٣٠٥٪١٣ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٥٠٠ : ٣٠٤٪١٣ ، وأثر قتادة يسمه .

(٤) تفسير الطبري : ٣٠٤٪١٣ .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٥٠٤ : ٣٠٥٪١٣ .

(٦) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٥٠٥ : ٣٠٥٪١٣ .

(٧) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٥١٠ : ٣٠٦٪١٣ .

(٨) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٥٠٧ : ٣٠٦٪١٣ .

(٩) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٥٠٦ : ٣٠٦٪١٣ .

قال الإمام أحمد في مسنده : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا عمر بن إبراهيم ، حدثنا قتادة ، عن الحسن ، عن سُميرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لما ولدت (١) جواء طالت بها إيليس - وكان لا يعيش لها ولد - فقال : « سميه عبد الحارث ، فاته يعيش » ، فسماه عبد الحارث ، ففأش . وكان ذلك من وحى الشيطان وأمره (٢) .

وهكذا رواه ابن جرير ، عن محمد بن بشار ، بنحوه . عن عبد الصمد بن عبد الوارث ، به (٣) .
ورواه الترمذي في تفسيره هذه الآية عن محمد بن الحنفى ، عن عبد الصمد ، به : وقال : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث عمر بن إبراهيم [من قتادة] (٤) ، ورواه بعضهم عن عبد الصمد ، ولم يرقه (٥) .
ورواه الحاكم في مستدركه ، من حديث عبد الصمد مرفوعاً ثم قال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه (٦) .
ورواه الإمام أبو محمد بن أبي حاتم في تفسيره ، عن أبي زرعة الرازى ، عن هلال بن قياض ، عن عمر بن إبراهيم ، به مرفوعاً .

وكما رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره من حديث شاذ بن قياض ، عن عمر بن إبراهيم ، به مرفوعاً . قلت : « وشاذ » : هو : هلال ، وشاذ لقبه : والمفروض أن هذا الحديث معاول من ثلاثة أوجه :
أحدها : أن عمر بن إبراهيم هذا هو البصرى ، وقد وثقه ابن معين ، ولكن قال أبو حاتم الرازى : لا ينجح (٧) به ؛ ولكن رواه ابن مردويه من حديث المصنف ، عن أبيه ، عن الحسن ، عن سمرة ، مرفوعاً ثقة أعلم .
الثاني : أنه قد روى من قول سمرة نفسه ، ليس مرفوعاً ، كما قال ابن جرير : حدثنا ابن عبد الأعلى ، حدثنا المصنف ، عن أبيه - [و] (٨) حدثنا [ابن عليه] (٩) ، عن سليمان التيمي - عن أبي البلاد بن الأشج ، عن سمرة بن جندب قال : سمى آدم أباه عبد الحارث .

الثالث : أن الحسن نفسه فسر الآية بغير هذا ، فلو كان هذا عنده من سورة مرفوعاً ، لعل عنه .
قال ابن جرير : حدثنا ابن وكيع ، حدثنا سهل بن يوسف ، عن عمرو ، عن الحسن : (جعلا لشركاء فيها آلهما) ، قال : كان هذان بعض أهل انزال ، ولم يكن يادم (١٠) .

(١) في المسند : « لما ولدت جواء » .

(٢) مسند الإمام أحمد : ١١/٥ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٥١٣ : ٣٠٩/١٣ .

(٤) عن نسخة الأسنوني .

(٥) نسخة الأسنوني ، تفسير سورة الاعراف ، الحديث ٥٠٧٣ : ٥٠٩/٨ - ٤٦٠ .

(٦) المستدرک ، كتاب التاريخ : ٥٥٥/٢ .

(٧) ينظر ميزان الإحتفال ، الترجمة ٦٠٤٢ : ١٧٩/٣ .

(٨) في المخطوطة : « من أبيه ، سندا » وأثبتنا « الوار » ليستقيم السند ، فابن جرير زواه أولاً عن محمد بن عبد الأمل ، عن المصنف ، عن أبيه ، عن أبي البلاد ، وذلك في الأثر ١٥٥١٤ : ٣١٠/١٣ ، ثم رواه في الأثر الثاني عن محمد بن عبد الأمل ، عن المصنف ، عن أبيه ، عن ابن حلبة ، عن سليمان التيمي ، عن أبي البلاد . فقد أدرج ابن كثير أحد السنتين في الآخر .

(٩) مكانه في المخطوطة : « يكنى بن عبد الله » ، وينظر التصديق المتقدم . ويكره بن عبد الله يروى عن أنس . ينظر التهذيب ٤٨٤/١ .

(١٠) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٥٢٦ : ٣١٤/١٤ .

«حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، حدثنا محمد بن ثور ، عن محمد قال : قال الحسن : «هَيْجَا ذِي آدَمَ ، وَمِنْ أَشْرَكَ مِنْهُمْ بَعْدَهُ - يَهْيُ» (جملته شر كاه في آتاهما) (١)

وحدثنا بشر ، حدثنا يزيد ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : «كَانَ الْحَسَنُ يَقُولُ : هُمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى ، وَزَقَفَهُمْ أَوْلَادًا ، فَهَوَّوْهُوا وَتَصَرَّوْهُا» (٢) .

وله أسانيد صحيحة عن الحسن - رحمه الله - أنه فسر الآية بذلك ، وهو من أحسن التفاسير وأولى ما حملت عليه الآية ، ولو كان هذا الحديث عنه محفوظاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما حلت [عنه] هو ولا غيره ، لاسيما مع قراءته وتوابعه ، فهنا بذلك على أنه موقوف على الصحابي ، ويحتمل أنه تلقاه من بعض أهل الكتاب ، من آمن منهم ، مثل : كعب أو وهب بن منبته وغيرهما ، كما سيأتي بيانه إن شاء الله ، إلا أننا يرتنا من جهة المرفوع ، والله أعلم .

فأما الآثار فقال محمد بن إسحاق بن يسار ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : كانت حواء تلد لآدم عليه السلام أولاداً فيُسميهم الله ويُسَمِّيهِ : «عبد الله» ، «وعبيد الله» ، وغير ذلك فيصميم الموت فأتاه إبليس وأدم فقال : إنكما لو تسميانه بذي الذي تسميانه به لعاش ، قال : فولدت له رجلاً فسماه «عبد الحارث» ، وفيه أنزل الله ، يقول الله : (هو الذي خلقكم من نفس واحدة) إلى قوله : (جعلنا له شركاء فيما آتاهما) ... إلى آخره الآية (٣) .

وقال العوفي ، عن ابن عباس قوله في آدم : (هو الذي خلقكم من نفس واحدة) إلى قوله : (فمرت به) ، «شكنت : أحسبت أم لا ؟ » فلما أظلمت دعوا الله رجماً ابن آتينا صالحاً لنكونن من الشاكرين) ، فأتاه الشيطان ، فقال : هل تدريان ما يولد لكما ؟ أم هل تدريان ما يكون ؟ أبيمة [يكون] (٤) أم لا ؟ وزين لهما الباطل ، إنه غوى مبين ، وقد كانت قبل ذلك ولدت ولدين فماتا ، فقال لهما الشيطان : إنكما إن لم تسمياه بي ، لم يخرج سوا ، ومات كما مات الأولان (٥) فسميا ولهما وعبد الحارث ، فذلك قول الله : (فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما) الآية (٦) .

وقال عبد الله بن المبارك ، عن شريك ، عن خُصيف ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله : (فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما) قال : قال الله تعالى : (هو الذي خلقكم من نفس واحدة ، وجعل منها زوجهما ليسكن إليهما فلما تشاهيا آدم (حملت) ، فأتاه إبليس - له الله - قال : إلى صاحبكما الذي أخرجكما من الجنة لتطعمني أولاً جعلن قرون له أبل فيخرج من بطنك فيشقه ، ولأفمن ولأفمن - فخره فسمياه «عبد الحارث» . فأيا أن يطياه ، فخرج ميتاً [ثم حملت الثانية ، فأتاهما أيضاً فقال : أنا صاحبكما الذي فطمت ما فطمت ، فتفعلن أولاً فعلن .

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٠٥٢٧ : ١٣ : ٣١٥ ، ٣١٤ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٠٥٢٨ : ١٣ : ٣١٥ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٠٥١٦ : ١٣ : ٣١٠ .

(٤) من تفسير الطبري .

(٥) في الخطوط : « والأول » . والمكتبة تفسير الطبري .

(٦) تفسير الطبري ، الأثر ١٠٥١٧ : ١٣ : ٣١١ ، ٣١٠ .

يخرجهما - فأبيا أن يطيعاه ، فخرج مينا] ، ثم حملت الثالثة فأتاهما أيضا ، فذكر لهما ، فأدركهما حب الولد ، فسمياه « عبد الحارث » ، فذلك قوله : (جعلنا له شركاء فيما آتاهما) . رواه ابن أبي حاتم (١) :

وقد تلقى هذا الأثر عن ابن عباس جماعة من أصحابه ، كمجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة : ومن الطبقة الثانية : قتادة ، والسدي ، وغير واحد من السلف وجماعة من الخلف ، ومن المفسرين من المتأخرين جماعات لا يحصون كثرة ، وكانه - والله أعلم - أصله مأخوذ من أهل الكتاب ، فإن ابن عباس رواه عن أبي بن كعب ، كما رواه ابن أبي حاتم :

حدثنا أبي ، حدثنا أبو الجماهر ، حدثنا سعيد - يعني ابن بشر - عن عتبة ، عن قتادة ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، عن أبي بن كعب قال : « حملت حواء أتاهما الشيطان [فقال لها] : أتطيعيني ويسلم لك ولدك ، سمعته « عبد الحارث » ، فلم تفعل . » فولدت فمات ، ثم حملت فقال لها مثل ذلك ، فلم تفعل ، ثم حملت الثالث فجاءها فقال : إن تطيعيني يسلم ، وإلا فانه يكون بهيمة ، فبهيمتهما فأطاعا (٢) :

وهذه الآثار يظهر عليها - والله أعلم أنها من آثار أهل الكتاب ، وقد صح الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا حدثتكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم (٣) » ثم أنبأهم على ثلاثة أقسام ، فمنها : ما علمنا صحته بما دل عليه الدليل من كتاب الله أو سنة رسوله . ومنها ما علمنا كذبه ، بما دل على خلافه من الكتاب والسنة أيضاً . ومنها ما هو مسكوت عنه ، فهو المأذون في روايته ، بقوله عليه السلام : « حدثوا عن نبي إسرائيل ولا حرج » (٤) وهو الذي لا يصدق ولا يكذب ، لقوله : « فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم » - وهذا الأثر هو من القسم الثاني أو الثالث فيه نظر ، فإما من حدث به من ضحكبي أو ثأبي ، فإنه يراه من القسم الثالث (٥) وأما نحن فنل مذهب الحسن البصري رحمه الله في هذا ، وأنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء ، وإنما المراد من ذلك للشركاء من ذرية - ولهذا قال الله : (فعلى الله ما يشركون) ، ثم قال :

(١) الأثر في إدر المنشور عن سعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم ، عن ابن عباس : ١٥٢/٢ .

(٢) الأثر في إدر المنشور عن حيد بن حيد ، وابن أبي حاتم ، وأبي الشيخ عن أبي بن كعب : ١٥١/٢ .

(٣) البغاري ، كتاب الشهادات ، باب لا يسأل أهل الشرك عن الشهادة وغيرها : ٢٢٧/٣ ، وتفسير سورة البقرة : ٢٥/٦ . وكتاب الاحتصاص ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : « لا تسألوا أهل الكتاب » : ١٣٦/٩ . وكتاب التوحيد ، باب ما يجوز من تفسير التوراة وغيرها من كتب الله بالعربية وغيرها : ١٩٣/٩ . ومسته الإمام أحمد - وهذا للفظ - عن أبي نعلة الأنصاري : ١٣٦/٤ . ومسن أبي داود ، كتاب العلم ، باب رواية حديث أهل الكتاب ، الحديث ٣٦٤٤ : ٣١٨/٣ .

(٤) البغاري ، كتاب الأنبياء ، باب ما ذكّر من نبي إسرائيل : ٢٠٧/٤ . ونقطة الأحمدي ، أبواب العلم ، باب ما جاء في الحديث عن نبي إسرائيل ، الحديث ٢٨٠٦ : ٤٣١/٧ ، ٤٣٢ ، وقال القرطبي : « هذا حديث حسن صحيح » . ومسته الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري : ٤٦/٣ .

(٥) كذا النص في مسطورة الأزهر ، ومسطورة دار الكتب ١٥١٥ تفسير ، والمطبوعات السابقة . ولعل فيه سقطاً .

أَيُرِيدُونَ مَا لَا يُخَلِّقُ شَيْعًا وَهُمْ يَخْلُقُونَ ﴿١١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَكُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَصْرِوْنَ ﴿١٢﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْمُدْحَى لَا يَنْصُرُوكُمْ سِوَاكُمْ عَلَيْهِمْ أَدْعَاؤُهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَادِقُونَ ﴿١٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادُ أَثْنَالِكُمْ فَأَدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤﴾ أَلَمْ أَزُجِّلْ بِمَثُونِ بَآءَ أَمْ لَمْ أَبْدِ بِطُشُونِ بَآءَ أَمْ لَمْ أَعِزَّ بِصُرُونِ بَآءَ أَمْ لَمْ ءَاذَنْ بِسَمْعُونِ بَآءَ قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظَرُونَ ﴿١٥﴾ إِنَّ وَلِيِّ اللَّهِ الَّذِي تَزَلُّ أَنْ تَكْتُتَبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَصْرِوْنَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْمُدْحَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يُنْظَرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُصِيرُونَ ﴿١٨﴾

هنا إنكار من الله على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره ، من الأنداد والأصنام والأوثان ، وهي عاوية لله مبروة مصنوعة ، لا تلك شيئا من الأمر ، ولا تضر ولا تنفع ، ولا تصير لعابديها ، بل هي جناد لا تحرك ولا سماع ولا بصير ، وعابدها أكمل منها بسمهم وبصرهم وبطشهم ، ولها قان : (أيشرون) لا يخلق شيئا وهم يخلقون ، أي : أيشرون به من المبرحات ما لا يخلق شيئا ولا يستطيع ذلك ، كما قال تعالى : (يا أيها الناس ، ضرب مثل فاستمعوا له ، إن الذين يدعون من دون الله لخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ، وإن يسلمهم الباب شيئا لا يستنقذوه منه ، ضعف الطالب والمطلوب . ما تقولوا الله حق قلوه إن الله أقوى عزير) (١) أخبر تعالى أنه لو اجتمعت آفنتهم كلها ما استطاعوا خلق ذبابة ، بل أو استكنبتهم اللبابة شيئا من حكير المطام وطارت ، لا استطاعوا إنقاذ ذلك ، منها ، فمن هذه صفة وحاله كيف يعبد ليرزق ويستعصر ؟ . ولها قال تعالى : (لا يخلقون شيئا وهم يخلقون) ، أي : بل هم عارفون مصطورون كما قال الخليل : (أتريدون ما تصحون) (٢) .

ثم قال تعالى : (ولا يستطيعون لكم نصرا) ، أي : له يذهب (ولا أنفسهم يصرون) ، يعني : ولا لأنفسهم يصرون من أرادهم سوء ، كما كان الخليل عليه الصلاة والسلام يكسر أصنام قومه ويهينها غاية الإهانة ، كما أخبر تعالى عنه في قوله : (فراخ عليهم ضربا باليمين) (٣) ، وقال تعالى : (فجعلهم جندكذا إلا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون) (٤) ، وكما كان معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما - وكانا شابين قد أسلما [لا] قدم رسول الله صل الله عليه وسلم المدينة - فكانا يبدون في الليل على أصنام المشركين يكسرنها وينقلانها ويحطبها للأرامل ، ليحترقوهما بذلك ، ويرتاوا لأنفسهم - فكان عمرو بن الجموح - وكان سينا في قومه - كان له من عبده ويطييه فكانا يميئان في الليل فيكسانه على رأسه ، ويطيظانه بالمذرة ، فيجبي عمرو بن الجموح فيرى ما صنع به فيفسله ويطييه ويضع عنده سيفا ، ويقول له : (انصبر) يوحنا لخل ذلك ، ويورد إلى صنيعة أيضا ، حتى أدخله مرة فخرنا معه جثرو

(١) سورة الحج ، آية : ٢٣ ، ٢٤ .

(٢) سورة الصافات ، آية : ٩٥ .

(٣) سورة الصافات ، آية : ٩٣ .

(٤) سورة الأنبياء ، آية : ٥٨ .

كلبه ميت ، وحلباه في حل في يده هناك ، فلما جاء عمرو بن الجموح ورأى ذلك ، نظر فلم أن ما كان عليه من اللين باطل ، وقال : (١)

تَاللَّهِ لَوْ كُنْتُ إِلَيْهَا مُسْتَدِنًا لَم تَكُ وَالْكَتَبُ جَمِيعًا فِي قَرْنٍ (٢)

ثم أسلم فحسن إسلامه ، وقتل يوم أحد شهيداً ، رضى الله عنه ولرضاه ، وجعل جنة الفردوس مأواه ،

وقوله : (وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُكُمْ) : الآية ، يعنى : أن هذه الأصنام لا تسمع دعاء من دعاها ، وسواء لبها من دعاها ومن دحأها (٣) ، كما قال إبراهيم : (يَا أَيُّهَا الْعَالَمِينَ لَا تُعْبُدُوا الصُّوْمَ وَالْأَنْصَابَ وَالشُّجَرَةَ وَالْأَنْصَابَ وَالْأَنْصَابَ) (٤) ، ثم ذكر تعالى أنها عبيد مثل عابديها ، أى : مخلوقات مثلهم ، بل الأناسي أكمل منها ، لأنها تسمع وتبصر وتبطل ، وتلك لا تفعل شيئاً من ذلك .

وقوله : (قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ) : الآية ، أى : استصروا بها على ، فلا تؤثروني طريقة حين ، واجهنوا جهنمكم ! (إِنْ وَلِيَ اللَّهُ شَيْئًا لَآتَى الْكُتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ) ، أى : الله حسي وكافي ، وهو نصيرى ، وعليه متكى ، وإليه ألجأ ، وهو ولي في الدنيا والآخرة ، وهو ولي كل صالح يعلى ، وهذا كما قال هود عليه السلام ، لا قال له قومه : (إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْرَافُكَ بِبَعْضِ كَلِمَاتِنَا بِسْمِ اللَّهِ) ، قال : إِنْ أَشْهَدُ اللَّهَ ، واشهدوا أنى يرى ما تشركون ، من دونه فكيفنوا جميعاً ثم لا ينظرون ، إِنْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ رَبِّكُمْ وَبِذِكْرِهِ تَتَّقُونَ ، فإني أرى ما كنتم تعملون ، فأنه وأبناؤكم الأتقون : فأنهم عدو إلى رب العالمين : الذى مستقيم) (٥) ، ويقول الخليل : (أَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ؟ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْنَمُونَ : فأنهم عدو إلى رب العالمين : الذى خاطبى فهو يهين) (٦) : الآية ، وكقوله لأبيه وقومه : (إِنْ بَرَاءُ مَا تَعْبُدُونَ : إِلَّا الْإِنْسَانُ فَطَرَنِي لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَعْبُدُ آبَاءَنَا وَمَنْ بَيْنَ يَدَيْهِمْ) (٧)

وقوله : (وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ) : إلى آخر الآية ، مؤكداً تقديم ، إلا أنه بصيغة الخطاب ، وذلك بصيغة الغيبة ، ولما قال : (لَا يَسْتَعْلِمُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَهْضَمُونَ)

(١) الرجز في سيرة ابن هشام : ٣٥٤/١ ، وزواجه له :

والله لو كنت إلهاً لم تكن أنت وكلب ومط يتر في قرن
أف لكذلك إلهاً مستند الآن تشكك من سوء الدين

ونحوه في أمه الثانية ، ترجمة عمرو بن الجموح .

(٢) قال السبيل في الروض الأنف ٢٨٠ : « وقوله : « إلهاً مستند » من السادة ، وهي غمة البيت وتطية ، والقرن - بتحتين - : الخيل .

(٣) دحأها : رمأها .

(٤) سورة ص : آية : ٤٢ .

(٥) سورة هود : الآيات : ٥٤ - ٥٦ .

(٦) سورة الشعراء : الآيات : ٧٥ - ٧٨ .

(٧) سورة الزمر : الآيات : ٢٦ - ٢٨ .

وقوله : (وَإِنْ تَعْلَمُوا إِلَى اللَّهِ لَا تَصْبِرُوا عَلَيْهِ) ، وترام ينظرون إليك وهم لا يصبرون) ، كقوله تعالى : (إِنْ تَدْعُهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعْوَانَكُمْ) (١) :: الآية :

وقوله : (وترام ينظرون إليك وهم لا يصبرون) ، إنما قال : (ينظرون إليك) ، أى : يقابلونك بعيون مُصَوَّرَة كأنها ناظرة ، وهى جَسَاد ، ولها حاملهم معاملة من ينقل ، لأنها على صُور مصورة كالإنسان ، (وترام ينظرون إليك) ، فبصر عنها بضمير من ينقل :

وقال السدى : المراد بهذا للمشركون (٢) . وروى عن مجاهد نحوه . والأول أولى ، وهو اختيار ابن جرير ، (٣) .
وقاله قتادة .

خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّا بِزَعْمِكَ مِنَ الشَّاطِئِينَ زَعَجَ مَا سَمِعَ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾

قال حل بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : (خذ العفو) ، بئى : « عذما عفا لك من أملام ، وما أتوك به من شيء . فخذله . وكان هذا قبل أن تنزل » برامة « بفرانس الصدقات وتفصيلها ، وما انتهت إليه الصدقات (٤) » . قاله للسدى .

وقال الضمك ، عن ابن عباس (خذ العفو) أنفق الفضل :

وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس : (خذ العفو) ، قال : الفضل :

(١) سورة طاهر ، آية : ١٤ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٥٣٣ : ١٣/٣٧٤ ، وأثر مجاهد يمه .

(٣) آية الإيمان ابن جرير اختياره بما أثر عن العرب في ذلك ، قال ١٣/٣٧٥ ، ٣٧٦ : « فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : مَا مَعْنَى قَوْلِهِ : (وَتَرَامُ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُصْبِرُونَ) ، « حل يجوز أن يكون شيء ينظر إليه شيء ولا يراه ؟ .

قيل : إن العرب تقول الشيء إذا قابل شيئاً أو حاذاه : « هو ينظر إلى كذا » ، ويقال : « منزل فلان ينظر إلى منزل » ، إذا قابله . وحكى عنها : « إذا أتيت موضع كذا وكذا » فنظر إليك الجبل ، فخذ عينا أو حالاً ، « وحديث عن أبي حبيد قال : قال الكسائي : « لعلنا ينظر إليك » ، إذا كان قريباً منك حيث تراه ، ومعه قول الشاعر :

إذا نظرت بلاد بين يميني
بين أو بلاد بين صياحي

فربما : « تقابل نبيها وحشيها وتحلفي .

قال أبو جبر : لمى الكلام : وترى -- يا محمد -- أكمة هؤلاء المشركين من حبة الأوثان ، يقابلونك ومجاهدوك ، وهم لا يصبرونك ، لأنه لا يصبر لهم .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٥٤٣ : ١٣/٣٢٨ . وأثر السدى يمه .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله : (خذ العفو) : أمره الله بالعفو والصفح عن المشركين عشر سنين ، ثم أمره بالنفقة عليهم ^(١) . واختار هذا القول ابن جرير ^(٢) .

وقال غير واحد ، من يجاهد في قوله تعالى : (خذ العفو) ، قال : من أخلاق الناس وأعمالهم بغیر محسب ^(٣) .

وقال هشام بن عروة ، عن أبيه : أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يأخذ العفو من أخلاق الناس ^(٤) — وفي رواية قال : خذ ما عفا لك من أخلاقهم .

وفي صحيح البخاري ، عن هشام ، عن أبيه عروة ، عن أخيه عبد الله بن الزبير قال : إنما أنزل : (خذ العفو) من أخلاق الناس ^(٥) . وفي رواية لغيره : عن هشام ، عن أبيه ، عن ابن عمر . وفي رواية : عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة أنهما قالتا مثل ذلك ، والله أعلم .

وفي رواية سعيد بن منصور ، عن أبي مطوية ، عن هشام ، عن وهب بن كيسان ، عن ابن ^(٦) الزبير : (خذ العفو) قال : من أخلاق الناس ، والله لأخذه منهم ما صحتهم .

وهذا أشهر الأقوال ، ويشهد له ما رواه ابن جرير وابن أبي حاتم جميعا : حدثنا يونس ، حدثنا سفيان — هو ابن حيينة — عن أمي ^(٧) قال : فلأنزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم : (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین) ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما هذا يا جبريل ؟ قال : إن الله أمرك أن تفو عن ظلمك ، وتعطي من حرمك ، وتصل من قطعك .

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٥٤٦ : ٣٢٨/١٣ .

(٢) قال ابن جرير ٣٢٩/١٣ : « وإنا قلنا ذلك أول بالصواب ، لأن الله — جل ثناؤه — أتبع ذلك بتعليه نبيه صلى الله عليه وسلم عالج المشركين في الكلام ، وذلك قوله : (قل : ادعوا شركاكم ثم كيفون فلا تظفرون ، وحقه بقوله :) وإنشواهم غدوهم في فني ثم لا يفسرون . وإذا لم تأتكم بأية قالوا : لولا اجتبيها) ، فإين ذلك ، بأن يكون من تأديبه نبيه صلى الله عليه وسلم في مشركيه ، أشبه وأول ، من الأعراف بأمره بأخذ الصلوة من المسلمين » .

(٣) في المخطوطة : « تحسيس » . رطله في مخطوطة الطبري ، ولم نجد ، وأثبتنا ما أثبت السيد محقق تفسير الطبري ، قال : « وكأنه يبنى الاستقصاء في الطلب » . والأثر في تفسير الطبري برقم ١٥٥٣٥ : ٣٢٦/١٣ ، وورقم ١٥٥٣٩ : ٣٢٧/١٣ ، وورقم ١٥٥٤٢ : ٣٢٧/١٣ ، ٣٢٨ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٥٣٧ : ٣٢٦/١٣ ، ٣٢٧ .

(٥) صحيح البخاري ، تفسير سورة الأعراف : ٧٦/١ ، ولفظه : « ما أنزل الله إلا في أخلاق الناس » . وقد رواه أبو دارود في كتاب الأدب ، باب التجلوز في الأمر ، الحديث ٤٧٨٧ : ٢٥٠/٤ من هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عبد الله ابن الزبير أيضاً . وكذلك هو عن ابن الزبير في تفسير الطبري ، الأثر ١٥٥٣٨ : ٣٢٧/١٣ .

(٦) في المخطوطة : « أب الزبير » . وهو خطأ لا شك فيه ، وقد ورد رطله في مخطوطة الطبري وطبعها الأول . وكتبة عبد الله بن الزبير هي : أبو بكر ، وأبو عبيد . ينظر أسد الغابة : الترجمة ٢٩٤٧ : ٢٤٧/٢ بتحقيقنا .

(٧) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٥٤٨ : ٣٣٠/١٣ . و « أمي » : هي أمي بن ربيعة المراءى السريفي . سمع الشعرى ، وسماء وطائس ، وروى عنه سفيان بن حيينة ، وشريك . ثقة . ينظر التذييب : ٣٧٠ ، ٣٩٦/١ ، والمخرج والتعديل لابن أبي حاتم : ٣٤٧/١ .

وقد رواه ابن أبي حاتم أيضا ، عن أبي يزيد القراطيسي كتابة ، عن أصبغ بن الفرج ، عن سفيان عن أبيه عن الشعبي . ونحوه ، وهذا على كل حال مرسل ، وقد روى له شاهد من وجوه آخر ، وقد روى مرفوعا عن جابر وقيس ابن سعد بن عباد ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أستدعيا ابن مَرْدُويه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو المنيرة ، حدثنا معاذ بن رفاعه ، حدثني علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة الباهلي ، عن حنيفة بن عامر - رضى الله عنه - قال : لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فابتدأته ، فأعطت بيده ، قلت : يا رسول الله ، أخبرني بفواضل الأعمال . فقال : «بإعاقبة رجل من قطفك ، وإعطاء من حرمك ، وأعرض عن ظلمك» (١) .

وروى الترمذي نحوه ، من طريق حيد الله بن زحمر ، عن علي بن يزيد ، به . وقال : حسن . قلت : ولكن «علي بن يزيد» وشيخه «القاسم أبو عبد الرحمن» ، فيهما ضعف .

وقال البخاري قوله : (خذ الصفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) ، «العرف» : المعروف - حدثنا أبو اليان ، أخبرنا شبيب ، عن الزهري ، أخبرني حيد الله بن عبد الله [بن حبة (٢)] : أن ابن عباس قال : قدم حنيفة بن حصن ابن حكيفة ، فقل على ابن أخيه الحر بن قيس - وكان من النفر الذين يدعونهم عمر ، وكان القراء أصحاب مسجلاي حمر ومشاوره - كهُولاً كانوا أو شيانا - فقال حنيفة لابن أخيه : يا ابن أخي ، لك وجه عند هذا الأمير ، فاستأذن لي عليه . قال : استأذن لك عليه : قال ابن عباس : فاستأذن الحر لمينة ، فأذن له عمر ، فلما دخل [عليه] قال : هي يا ابن الخطاب ، فوالله ما تعطينا الجزل ، ولا تحكم بيننا بالعدل . فغضب عمر حتى هم أن يوقع به ، فقال له الحر : يا أمير المؤمنين ، قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم : (خذ الصفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) . وإن هذا من الجاهلين ، والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه ، وكان وقفا عند كتاب الله عز وجل (٣) . انفراد بإخراج البخاري .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا يونس بن عبد الأعلى قراءة ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني مالا بن أنس ، عن عبد الله ابن نافع : أن سالم بن عبد الله بن عمر مرَّ على حبر لأهل الشام وفيها جترس ، فقال : إن هذا مني عنه ، فقالوا : نحن أعلم بهلما منك ، إنما يكره الجليل الكبير ، فأما مثل هذا فلا بأس به . فسكت سالم وقال : (وأعرض عن الجاهلين (٤)) .

وقول البخاري : «العرف» : المعروف ، نص عليه عروة بن الزبير ، واللسي ، وقناة ، وابن جرير ، وغير واحد . وحكى ابن جرير أنه يقال : «لوليت عرفاً» (٥) ، وعارفاً ، وعرفته ، كل ذلك بمعنى : «المعروف» ، قال :

(١) مسند الإمام أحمد : ١٤٨/٤ من حديث طويل .

(٢) سقط من خطوط الأثر ، أثبتناه من الصحيح .

(٣) صحيح البخاري ، تفسير سورة الأعراف : ٧٦/٦ .

(٤) قلندر المشهور عن ابن أبي حاتم : ١٥٣/٢ : ١٥٤ .

(٥) في الخطوط : «معروفا» ، والخبر من تفسير الطبري : ٣٣١/١٣ .

وقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأمر عباده بالمعروف ، ويدخل في ذلك جميع الطاعات ، وبالإعراض عن الجاهلين ، وذلك وإن كان أمراً لنبيه صلى الله عليه وسلم فإنه تأديب لخلقه بأحوال من ظلمهم واعتدى عليهم ، لا بالأعراف من جهل الحق الواجب من حق الله ، ولا بالصفع عن كفر بالله وجهل وحدايته ، وهو للمعلمين (١) حُرِّبَ :

وقال سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة في قوله : (خط البصر وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) ، قال : هذه أخلاق أمر الله بها نبيه صلى الله عليه وسلم ، ودكّه عليها (٢) :

وقد أخذ بعض الحكماء هذا المعنى ، فسبك في بيتين فيهما جناس فقال :

عَدَّ البصر وأمر بِعُرْفٍ كَمَا أَمَرْتُ وَأَعْرَضَ عَنِ الْجَاهِلِينَ
وَكُنْ فِي الْكَلَامِ لِكُلِّ الْأَنَامِ تَمَسَّحَتْحَنَ مِنْ ذَوِي الْجَاهِ لِيْنِ

وقال بعض العلماء : الناس رجلان : فرجل محسن ، فخذ ما حقا لك من إحسانه ، ولا تكفه فوق طاقته ولا ما يحرجه ، وإما مسيء ، فاره بالمعروف ، فإن تمادى على ضلاله واستصسى عليك واستمر في جهله ، فأعرض عنه ، فلعل ذلك أن يرد كيده ، كما قال تعالى : [ادفع بالتي هي أحسن الآية] نحن أعلم بما يصفون : وقال رب أعوذ بك من همزات الشياطين : وأعوذ بك رب أن يحضرون (٣) ، وقال تعالى : (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة []) ، ادفع بالتي هي أحسن ، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم : وما يلقاها — أي هذه الرخصة — إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم وإما يترغك من الشيطان ترغ فاستبد بالله ، إنه هو السميع العليم (٤) وقال في هذه السورة الكرمة أيضا : (وإما يترغك من الشيطان ترغ فاستبد بالله إنه سميع عليم) ، فهذه الآيات الثلاث في « الأعراف » ، « المؤمنون » ، « وحم السجدة » ، لا رابع لمن ، فإنه تعالى يرشد فيمن إلى معاملة العاصي من الإنس (٥) بالمعروف وإلى هي أحسن ، فإن ذلك يكفه عما هو فيه من التردد ياذنه تعالى ، [ولما قال :] فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم . ثم يرشد تعالى إلى الاستعاذة به [من شيطان الجنان ، فإنه لا يكفه منك الإحسان ، وإنما يريد هلاكك ودمارك بالكلية ، فإنه حمل ميثم لك ولأيامك من قبلك :

قال ابن جرير في تفسير قوله : (وإما يترغك من الشيطان ترغ) : وإما يغضبك من الشيطان غصبا بمذك . عن الإعراف عن الجاهلين ، وبمهلك على مجازاتهم — (فاستبد بالله) ، يقول : فاستبرأ بالله من ترغ — (إنه سميع عليم) ، يقول : [إن الله الذي تستبد به من ترغ الشيطان] — (سميع لجهل الجاهل عليك ، والاستعاذة به من ترغته ، ولغير ذلك من كلام خلقه ، لا يفتي عليه منه شيء ، عليم بما يلحظ منك ترغ الشيطان ، وغير ذلك من أمور خلقه ،

(١) تفسير الطبري : ١٣/٣٣١ ، ٣٣٢ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر : ١٥٥٥٢/١٣ ، ٣٣٢ .

(٣) سورة المؤمنون ، الآيات : ٩٦-٩٨ .

(٤) سورة فصلت - حم - السجدة - الآيات : ٣٤-٣٦ .

(٥) في الخلقة : « العاصي من الأعراف » . والمثبت من العبادات السابقة .

(٦) ما بين القوسين من تفسير الطبري : ١٣/٣٣٢ .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : لا تزل : (خذ الخو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین)، قال : [رسول الله صلى الله عليه وسلم] يارب : كيف بالنفس ؟ فأقول الله : (ولما يترغك من الشيطان ترغ فاستمذ بالله إنه سميع علم) (١) قلت : وقد تقدم في أول الاستمادة حديث الرجلين اللذين تسابا بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم ، فغضب أحدهما حتى جعل أنفه يتمزح غضبا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني لأعلم كلمة لو قلها للحب عنه ما يجد » : « أعود بالله مع الشيطان الرجيم » : قيل له : « فقال ما في من جنون (٢) » .

وأصل « الترغ » التماس ، إما بالنفس أو غيره ، قال الله تعالى : (وقل لعبادي يقولوا لي هي أحسن إن الشيطان يتمرغ بينهم) ، وه التماس : الاتياد والاستناد والاستجارة من الشر ، وأما « اللاذ » فهي طلب الخير ، كما قال : [أبو الطيب] للنبي (٣)

بَا مَنَّ الْوَدُ بِهِ فِيمَا لَوْمَتُهُ وَمَنْ أَعُوذُ بِهِ مَا أَحَاذِرُهُ
لَا يَجْبُرُ النَّاسُ عَظَمًا أَنْتَ كَاسِرُهُ وَلَا يَهَيِّضُونَ عَظَمًا أَنْتَ جَايِرُهُ (٤)

وقد قلنا أحاديث الاستمادة في أول التفسير ، بما أفضى عن إعادته هاهنا .

إِنَّ الْأَيْمَانَ إِذَا مَسَّهُمْ كَلِيفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَلَمَّا نَسُوا مَقْصُورُونَ ﴿١١﴾ وَإِنْ تَوَلَّوْهُمْ يَمُودُونَ ﴿١٢﴾
فِي آتِي تَمْ لَا يَقْصِرُونَ ﴿١٣﴾

يُخْبِرُ تَعَمُّلُ عَنِ الْمُتَيْنِ مِنْ عِبَادَةِ الَّذِينَ أَسْلَمُوا فِي أَمْرٍ ، وَتَرَكَوْا مَا حَتَّى زَجَرَ ، أَنَّهُمْ (إِذَا مَسَّهُمْ) ، أَيْ : أَصَابَهُمْ (كَلِيفٌ) (٥) - وَقَرَأَ آخَرُونَ : (طَائِفٌ) ، وَقَدْ جَاءَ فِيهِ حَدِيثٌ ، وَهُمَا قَرَامَتَانِ مَشْهُورَتَانِ ، فَقِيلَ : بِمَعْنَى وَاحِدٍ . وَقِيلَ : بَيْنَهُمَا فَرْقٌ ، وَمِنْهُمْ مَنْ فَسَّرَ ذَلِكَ بِالْغَضَبِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ فَسَّرَهُ بِمَسِّ الشَّيْطَانِ بِالْصَّرْحِ وَنَحْوِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ فَسَّرَهُ بِالْهَمِّ بِالذَّيْبِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ فَسَّرَهُ بِإِصَابَةِ الذَّيْبِ .

وقوله : (تَذَكَّرُوا) ، أَيْ : عَقَابَ اللَّهِ وَجَزِيلَ ثَوَابِهِ ، وَوَعْدَهُ وَوَعِيدِهِ ، فَتَابُوا وَأَتَابُوا ، وَاسْتَمَذُوا بِاللَّهِ وَرَجَعُوا إِلَيْهِ مِنْ قَرِيبٍ . (فَلَمَّا نَسُوا مَقْصُورُونَ) ، أَيْ : قَدْ اسْتَقَامُوا وَصَبَحُوا عَمَّا كَانُوا فِيهِ .

(١) الأعراف : ٢٠٠

(٢) ينظر فيما تقدم من هذا التفسير : ٢٩/١ . والحديث أعرجه البخاري في كتاب الأدب ، باب ما ينبغي من السباب واللعن : ١٩/٨ ، وباب الحذر من الغضب : ٣٥ ، ٢٤/٨ . ومسلم ، كتاب البر ، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب : ٣٠/٨ ، ٣١ . ونسخة الأيجوزي ، أبواب الكهوات ، باب ما يقول عند الغضب ، الحديث ٣٥١٦ ، ٣٥١٧ : ٤١٥/٩ . وسنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب ما يقال عند الغضب ، الحديث ٤٧٨١ : ٢٤٩/٤ . ومسنن الإمام أحمد من مسند بن جبر : ٢٤٤/٥ ، ٢٤٤ .

(٣) في المخطوطة : كما قال الحسن بن المنجي . وهو خطأ . وفي الطبعات السابقة : الحسن بن هانئ ، وهو خطأ أيضا ، قاله الجليلي أبي الطيب أحمد بن الحسين .

(٤) ديوان المتنبي جنتي البرقوقي : ٢٧٢/٢ .

(٥) قال القرطبي ٣٣٤/١٣ : (طيف) هي قرامة بعض الكهين والكهينين ، وإن (طائف) هي قراء عامة قراء أهل المدينة والكرمة . وينظر البحر المحيط لأبي حيان : ٤٤٩/٤ .

وقد أورد الحافظ أبو بكر بن مردويه ما حدث عن عبد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وبها طيف فقال : يا رسول الله ، ادع الله أن يشفي ، إن شئت دعوت الله فشفاك ، وإن شئت فاصبرى ولا حساب عليك ، قالت : بل أصبر ، ولا حساب على .

ورواه غير واحد من أهل السنن ، وعندهم : قالت : يا رسول الله ، إني أصرعُ وأتكشفُ (١) ، فادع الله أن يشفي . قال : إن شئت دعوت الله أن يشفيك ، وإن شئت صبرت ولك الجنة ؟ قالت : بل أصبر ، ولئى الجنة ، ولكن ادع الله أن لا أتكشف ، فدعا لها ، فكانت لا تتكشف .

وأخرج الحاكم في مستدركه ، وقال : صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه (٢) .

وقد ذكر الحافظ ابن سبكر في ترجمة عمرو بن جامع ، من تاريخه : أن شابا كان يبعد في المسجد ، فهو به امرأة ، فدخلته إلى نفسها ، وما زالت به حتى كاد يدخل معها للزول ، فلذكر هذه الآية : (إن الذين اتقوا إذا سهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون) ، فخر منشيا عليه ، ثم أفاق فأخاها ، فأتت : فجاء حمر فمزى فيه أباه ، وكان قد دفن ليلا ، فلطم ففصل حل قبره بمن معه ، ثم ناداه عمر فقال : يا بنى ، (ولن خاف مقام ربه چتان) فاجابه الفتى من داخل القبر : يا عمر ، قد أعطانيهما ربي ، عز وجل ، في الجنة مرتين .

وقوله : (وإخوانهم) ، أى : وإخوان الشياطين من الإنس ، كقوله : (إن الجالسين كانوا إخوان الشياطين) وهم أبنائهم والمستمعون لهم القابلون لأوامرهم (يملئونهم في النى) ، أى : تساعد الشياطين على المعاصى ، ونسبها عليهم وتحسنها لهم .

وقال ابن كثير : (الله : القيادة) (٣) : يعنى : يملئونهم في النى ، يعنى : الجهل والسفه .

(ثم لا يقصرون) ، قيل معناه : إن الشياطين تسدّ ، والإنس لا تقصر في أعمالهم بلاك : كما قال على بن أبى طلحة . عن ابن عباس في قوله : (وإخوانهم يملئونهم في النى ثم لا يقصرون) ، قال : لا الإنس يقصرون عما يعملون [مع السيات] ، ولا للشياطين تحسك عنهم (٤) .

وقيل : معناه كما رواه التوفى ، عن ابن عباس في قوله : (يملئونهم في النى ثم لا يقصرون) ، قال : هم الجن ، يروحون إلى أوليائهم من الإنس (ثم لا يقصرون) ، يقول : لا يسألون (٥) .

(١) تكشف : كشف ، انكشف ، وفلان : انفضح .

(٢) المستدرک ، كتاب الطب : ٢١٨/٤ .

هذا وقد أخرج الحديث عن ابن عباس البخارى في كتاب الطب ، باب فضل من يصرح من الريح : ١٠٠٧/٧ ، ١٠١/١٠١ . ومسلم في كتاب البر ، باب ثواب المؤمن ليا يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها : ١٦/٨ ، والإمام أحمد : ٣٤٦/١ ، ٣٤٧ .

(٣) أثر عبد الله بن كثير في تفسير البخارى ، برقم ١٠٠٦٧ : ١٣/٢٣٨ ، ٢٢٩ .

(٤) تفسير البخارى ، الأثر ١٠٠٦٤ : ١٣/٢٣٨ . وما بين القوسين عنه .

(٥) تفسير البخارى ، الأثر ١٠٠٦٥ : ١٣/٢٣٨ . وأثر السامى يصرح .

وكلما قال السدي وغيره : يعني أن الشياطين يعدون أوليائهم من الإنس ولا تسأم من إمدادهم في الشر ، لأن ذلك إطمينة لهم وسجية ، لا تفرق به ولا تبطل حبه ، كما قال تعالى : (ألم تر أننا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزّهم أزاً) (١) ، قال ابن عباس وغيره : تؤزّهم إلى المأوى إلى حاجنا .

وَإِذَا لَرْتَلِيمُ عَلَيْهِمْ قَالُوا لَوْلَا جِئْتَنِي بِآيَةٍ مِّن رَّبِّيَ هَذَا بَشَاسٌ مِّن دَكِّكِ وَمُؤَدَّى
وَبِحَمَّةٍ لِّقَوْمٍ يُّؤْمِنُونَ ﴿٦﴾

قال عل بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله تعالى : (قالوا لولا اجييتنا) ، يقول : لولا تكلّفتها . وقال مرة أخرى : لولا أهدتني فاشتبا (٢) .

وقال ابن جرير ، عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد في قوله : (وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجييتنا) ، قال : لولا اقتضيتها (٣) ، قالوا : فخرجنا من نفسك (٤) . وكلما قال قتادة ، والسدي ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، واختاره ابن جرير (٥) .

وقال العوفي ، عن ابن عباس : (لولا اجييتنا) ، يقول : تكلّفتها من الله من وجب (٦) .

وقال الضحاك : (لولا اجييتنا) ، يقول : لولا أهدتني أنت فبحث بها من السماء (٧) .

ومعنى قوله تعالى : (وإذا لم تأتهم بآية) ، أي : معجزة وخارق ، كما قال تعالى : (إن نشأ ثلوث عليهم من السماء آية فظلت أمتهم لها غاضمين) ، يقولون الرسول صل الله عليه وسلم : ألا تعجب نفسك في طلب الآيات حتى نراها وتؤمن بها ، قال الله تعالى له : (قل إنما أتبع ما يوحى إلى من ربي) ، أي : أنا لا أقدم إليه تعالى في شيء [٤] ، وإنما أتبع ما أمرني به فأنزل ما يوحى إلى ، فإن يث آية قبلتها ، وإن منعه لم أسأله ابتداء إياها ، إلا أن يأذن لي في ذلك ، فإنه حكيم عالم .

ثم أرشدنا إلى أن هذا القرآن هو أعظم المعجزات وأبين الدلالات وأصدق الحجج والبرينات ، فقال : (هذا بصائر من ربكم وعلى ورحمة لقوم يؤمنون) .

(١) سورة مريم ، آية : ٨٣ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٥٧٤ : ٣٤١/١٣ ، ٣٤٢ .

(٣) اقتضب الكلام : أرجمه من غير تهيئة ولا إمداد له .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٥٧٢ : ٣٤١/١٣ .

(٥) قال ابن جرير في تفسيره ٣٤٢/١٣ : ٣٤٢ : « وأول التأويلين بالصواب في ذلك ، تأويل من قال : تأويله حلا أهدتني من نفسك ؟ دلالة قول الله : (قل إنما أتبع ما يوحى إلى من ربي ، هذا بصائر من ربكم) ، فينبذ ذلك أن الله إنما أمر نبيه صل الله عليه وسلم ، بأن يجيب بالخبر عن نفسه أنه إنما يتبع ما ينزل عليه ربه ويوحى إليه ، لا أنه يحدث من قبل نفسه قولاً ويثبته فيفسر الناس إليه . »

(٦) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٥٧٧ : ٣٤٢/١٣ ، وقوله : « لولا تكلّفتها . »

(٧) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٥٧١ : ٣٤٢/١٣ .

وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠﴾

ذكر تعالى أن القرآن بصائر للناس وهُدًى ورحمة ، أمر تعالى بالإصغاء عند تلاوته إعظاماً له واحتراماً ، لا كما كان يشتمه كفار قريش للمشركون في قولهم : (لا تسمعوا لهذا القرآن والغا فيه (١)) ، ولكن يتأكد ذلك في الصلاة المكتوبة إذا جهر الإمام بالقراءة كما ورد الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه ، من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إنما جعل الإمام ليؤتم به ، فإذا كبر فكبروا ، وإذا قرأ فأنصتوا (٢)) ، وكذلك رواه أهل السنن من حديث أبي هريرة (٣) ، وصححه مسلم بن الحجاج أيضاً ، ولم يخرج في كتابه (٤) . وقال إبراهيم بن مسلم المجري ، من أبي عياض ، عن أبي هريرة قال : كانوا يتكلمون في الصلاة ، فلما نزلت هذه الآية : (وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له) ، والآية الأخرى ، أمروا بالإصغاء (٥) .

وقال ابن جرير : حدثنا أبو كريب ، حدثنا أبو بكر بن عياض ، عن عاصم ، عن المسيب بن رافع ، قال ابن مسعود : كما يستلم بعضنا على بعض في الصلاة [سلام على فلان ، وسلام على فلان] فجاء القرآن : (وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون) (٦) .

وقال أيضاً : حدثنا أبو كريب ، حدثنا البخاري ، عن داود بن أبي هند ، عن بشر بن جابر قال : صلى ابن مسعود ، فسمع ناساً يقرأون مع الإمام ، فلما انصرف قال : أما أن لكم أن تضيئوا ؟ (٧) ؟ أما أن لكم أن تعقلوا ؟ (وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا) ، كما أمركم الله (٨) .

قال : وحديث أبي السائب ، حدثنا حفص ، عن أشعث ، عن الزهري قال : نزلت هذه الآية في من الأنصار ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما قرأ شيئاً قرأه ، فنزلت : (وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا (٩)) .

وقد روى الإمام أحمد وأهل السنن ، من حديث الزهري ، عن ابن أكيمة الأيبي ، عن أبي هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف من صلاة جهنم فيها بالقراءة ، فقال : هل قرأ أحد منكم مني أمراً ؟ [قال رجل : نعم

(١) سورة فصلت ، آية : ٢٦ .

(٢) مسلم ، كتاب الصلاة ، باب للتشهد في الصلاة : ١٤٢/٢ : ١٥ .

(٣) سنن النسائي ، كتاب الاعتكاف ، باب تأويل قول الله تعالى : (وإذا قرئ القرآن) : ١٤١/٢ ، ١٤٢ . وابن ماجه

كتاب الإملاء ، باب : إذا قرأ الإمام فأنصتوا ، الحديث ٨٤٦ : ٢٧٦/١ . وسند الإمام أحمد : ٢٧٦/٢ ، ٤٢٠ .

(٤) قال أبو بكر بن أبي نعيم : انظر للإمام مسلم به أن ساقط حديث أبي موسى ، فحديث أبي هريرة ؟ فقال : هو صحيح -

يحيى : وإذا قرأ فأنصتوا ، فقال : هو منه صحيح - فقال : لم لم تنسها هذا ؟ قال : ليس كل شيء منه صحيح وضعت

هذا ، إنما وضعت ما هنا ما أجسوا عليه . ينظر مسلم ، كتاب الصلاة ، باب للتشهد في الصلاة : ١٥/٢

(٥) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٥٨٢ : ١٣/٢٤٥

(٦) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٥٨٢ : ١٣/٢٤٥ . وما بين القوسين منه .

(٧) في تفسير الطبري : أن تنفخوا .

(٨) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٥٨٤ : ١٣/٢٤٦ .

(٩) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٥٨٣ : ١٣/٢٤٦ .

يا رسول الله: قال: «إني أؤكد ما لي أنكزع (١) القرآن» قال: فأتيت الناس عن القراءة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لئلا يجهر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقراءة من الصلوات، حين سمعوا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢)».

وقال الترمذي: «هذا حديث حسن»؛ وصححه أبو حاتم الرازي.

وقال عبد الله بن المبارك، عن يونس، عن الزهري قال: «لا يقرأ من وراء الإمام لئلا يجهر به الإمام، تكثيرهم قراءة الإمام وإن لم يسمعهم صوته، ولكنهم يقرأون (٣)» لئلا لا يجهر به سرا في أنفسهم، ولا يصلح لأحد خلفه أن يقرأ معه لئلا يجهر به سرا ولا علانية، فإن الله تعالى قال: «وإذا قرأ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون (٤)».

قلت: هذا ملهبط طائفة من العلماء أن للأوم لا يجب عليه في الصلاة الجهرية قراءة لئلا يجهر فيه الإمام لا القامعة ولا غيرها، وهو أحد قول الثنائي، وهو التقديم كملهبط مالك، ورواية عن أحمد بن حنبل، لا ذكرناه من الأدلة للفتنة؛ وقال في الجليل: «يقرأ القامعة فقط في سككات الإمام، وهو قول طائفة من الصحابة والتابعين فمن بعدهم» وقال أبو حنيفة وأحمد بن حنبل: لا يجب على للأوم قراءة أصلا في السرية ولا الجهرية، لما ورد في الحديث: «من كان له إمام قراءته له قراءة (٥)»؛ وهذا الحديث رواه الإمام أحمد في مسنده عن جابر مرفوعا، وهو في موطن مالك عن وهب بن كيسان، عن جابر موقوف، وهذا أصح؛ وهذه المسألة مبسولة في خبر هذا الموضع، وقد أوردنا الإمام أبو عبد الله البخاري مصفا على حدة، واختار وجوب القراءة خلف الإمام في السرية والجهرية أيضا، والله أعلم.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: «وإذا قرأ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا»، يعني: في الصلاة القروية (٦)؛ وكذا روى عن عبد الله بن المغفل:

وقال ابن جرير: حدثنا حماد بن سماعة، حدثنا بشر بن المغفل، حدثنا الجري، عن طلحة بن حبيد الله ابن كزيب قال: «رأيت حبيد بن عمر وعطاء بن أبي رباح يتحدثان، والقاص يقص، قلت: ألا تسمعان إلى (الذكر) وتسمعان المرحوم؟ قال: فخطرا إلى، ثم أتينا حل حديثهما. قال: فأعلت، فخطرا إلى، وأقبل على حديثهما» قال: فأعلت الثالثة، قال: فخطرا إلى قتالا: إنما ذلك في الصلاة؛ (وإذا قرأ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا) (٧)».

(١) أي: أدخل في القراءة وأدلى عليها.

(٢) مسند الإمام أحمد: ٣٠١/٢، ٣٠٢. تحفة الأحرى: أرباب الصلاة، باب: وما جلد في ترك القراءة خلف الإمام إذا جهر الإمام بالقراءة، الحديث ٣١١/٢، ٣٢٢. ولساني، كتاب الانتعاج، باب ترك القراءة خلف الإمام لئلا يجهر به، ١٤٠/٢، ١٤١، والموطأ، كتاب الصلاة، باب ترك القراءة خلف الإمام لئلا يجهر به، الحديث ٤٤: ٨٦/١، ٨٧.

(٣) غلوطة الأزهري: ولكنهم يجرونه. وأثبتنا ما في تفسير الطبري.

(٤) تفسير الطبري، الأثر ١٠٦٠٧: ٣٥٠/١٣.

(٥) مسند الإمام أحمد: ٣٣٩/٣. وقد رواه ابن ماجه عن جابر، مرفوعا أيضا، ينظر كتاب الإقانة، باب: وإذا قرأ الإمام فاستمعوا له، الحديث ٨٥٠: ٢٧٧/١.

(٦) تفسير الطبري، الأثر ١٠٦٠٤: ٣٤٩/١٣.

(٧) تفسير الطبري، الأثر ١٠٥٨٤: ٣٤٦/١٣.

وقال سفيان الثوري ، عن أبي هاشم إسماعيل بن كثير ، عن مجاهد في قوله : (وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا) ، قال : في الصلاة (١) . وكلما رواه غير واحد عن مجاهد .

وقال عبد الرزاق ، عن الثوري ، عن ليث ، عن مجاهد قال : لا بأس إذا قرأ الرجل في غير الصلاة أن يكلم (٢) . وكلما قال سعيد بن جبير ، والضحك ، وإبراهيم النخعي ، وقادة ، والشمسي ، والسدي ، وعبد الرحمن بن زيد ابن أسلم : أن المراد بذلك في الصلاة ،

وقال شعبة ، عن منصور ، سمعت إبراهيم بن أبي حنيفة يحدث أنه سمع مجاهداً يقول في هذه الآية : (وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا) ، قال : في الصلاة والخطبة يوم الجمعة (٣) . وكلما روى ابن جريج ، عن عطاء ، عنه (٤) .

وقال هشيم ، عن الربيع بن صبيح ، عن الحسن قال : في الصلاة وعند الذكر (٥) .

وقال ابن المبارك ، عن بقية : سمعت ثابت بن حنبلان يقول : سمعت سعيد بن جبير يقول في قوله : (وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا) ، قال : الإصبات يوم الأضحي ، ويوم الفطر ، ويوم الجمعة ، وفيما يجهر به الإمام من الصلاة (٦) . وهذا اختيار ابن جرير أن المراد بذلك خلف الإمام وحال الخطبة .

وقال عبد الرزاق ، عن الثوري ، عن ليث ، عن مجاهد أنه كره إذا مر الإمام بآية خوف أو آية رحمة أن يقول أحد من خطبته شيئاً ، قال : السكوت .

وقال مبارك بن فضالة ، عن الحسن : إذا جلست إلى القرآن فأنصت له .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم ، حدثنا عباد بن ميسرة ، عن الحسن ، عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من استمع إلى آية من كتاب الله ، كتبت له حسنة مضاعفة ، ومن تلاها كانت له لورا يوم القيامة (٧) » . فترد به أحمد ، رحمه الله .

وَأَذْكُرُ بِكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْفَتْرِ وَالْأَصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٥﴾

إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴿٢٦﴾

يأمر تعالى بذكره أول النهار وآخره ، كما أمر بعبادته في هذين الرقتين في قوله : (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب (٨)) . وقد كان هذا قبل أن تفرض الصلوات الخمس ليلة الأسراء ، وهذه الآية مكية ،

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٥٨٧ : ٣٤٧/١٣ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٦٠٥ : ٣٤٩/١٣ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٦١١ : ٣٥١/١٣ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٦١٨ : ٣٥٢/١٣ .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٦١٧ : ٣٥٢/١٣ .

(٦) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٦١٦ : ٣٥١/١٣ .

(٧) مسند الإمام أحمد : ٣٤١/٢ .

(٨) سورة ق ، آية : ٢٩ .

وقال هاتما بالندو - وهو أوائل النهار : « والآصال : جمع أصيل ، كما أن الأعلان جمع عين »

وأما قوله : « فضرعا وحيقة » ، أي : اذكر ربك في ضللك وربة وورقة ، وبالقول لا جورا ، ولهذا قال : (ودون الجهر مع القول) ، وهكذا يُستحب أن يكون الذكر لا يكون نداء وجها بلينا ، ولهذا لا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : أترى ربنا فتاجية أم بعيد فتاديه ؟ فنزل الله : (وإذا سألك عبادي عنى فقلنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان) (١) .

وفى الصحيحين عن أبي موسى الأشعري قال : رفع الناس أصواتهم بالدعاء في بعض الأصفار فقال لم النبي صلى الله عليه وسلم : أيا الناس أربسوا (٢) حل أنفسكم ، فأنكم لا تدعون أصم ولا غائيا ، إن الذى تدعونه سميع قريب (٣) ، وقد يكون المراد من هذه الآية كما فى قوله تعالى : (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها ، واتبع بين ذلك سبيلا) (٤) ، فإن المشركين كانوا إذا سمعوا القرآن سبوه ، وسبوا من أنزله ومن جاء به ، فأمره الله تعالى أن لا يجهر به ، فلا يتألم منه المشركون ، ولا يخافت به من أصحابه فلا يُسبِعَهُمْ ، ولْيَتَخَذْ سبيلا بين الجهر والإسرار ، وكلما قال فى هذه الآية الكريمة : (ودون الجهر من القول بالندو والآصال ، ولا تكن من الغافلين) .

وله زعم ابن جرير وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم قبله : أن المراد بهذه الآية : أمر السامع للقرآن فى حال استماعه بالذكر على هذه الصفة (٥) . وهذا يبعد منافاة للإصصات للأمر به ، ثم المراد بذلك فى الصلاة ، كما تقدم ، أو الصلاة والخطبة ، ومعلوم أن الإصصات إذ ذاك أفضل من الذكر باللسان ، سواء كان سرا أو جبرا ، فهذا الذى قالاه لم يتأبى عليه ، بل المراد الحصى على كثرة الذكر من العباد بالندو والآصال ، لئلا يكونوا من الغافلين . ولهذا مدح للملائكة الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون ، قال : (إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته) .. الآية . وإنما ذكرهم جهلا ليشبههم فى كثرة طاعتهم وعبادتهم . ولهذا شرع لنا السجود هاتما لا ذكر سجودهم لله ، عز وجل ، كما جاء فى الحديث : « لا تَسْجُدُوا كما تَصْنَعُ [الملائكة] عند ربها ، يمتحنون الصفوف الأول ، ويمرصون فى الصف (٦) » .

وهذه أول سجدة فى القرآن ، مما يشرع لئالها ومستمعها السجود بالإجماع . وقد ورد فى حديث رواه ابن ماجه (٧) ، عن أنس الترداء ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه حدّثنا فى سجدة القرآن .
آخر سورة الأعراف ، وه الحمد ولله

(١) أخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه ، ويظهر ليا سبق الآية ١٨٦ من سورة البقرة : ١ / ٣١٤ .

(٢) لى : ارفقوا .

(٣) البخارى ، كتاب الدعوات ، باب الدعاء إذا خلا صفة : ٨ / ١٠١ ، ١٠٢ . وسلم ، كتاب الذكر ، باب استحباب

خفى الصوت بالذكر : ٨ / ٧٢ ، ٧٤ .

(٤) سورة الإسراء ، آية : ١١٠ .

(٥) تفسير الطبرى : ١٣ / ٢٥٢ .

(٦) سلم ، كتاب الصلاة ، باب الأمر بالسكون فى الصلاة والنهى عن الإشارة باليد وركبها عند السلام ، وإمام الصفوف

الأول ، والقرآن فيها ، والآمر بالاجتماع : ٢ / ٢٩ . وسنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب تسوية الصفوف ، الحديث ٦٦١

١ / ١٧٧ ، ١٧٨ . وقسائى ، كتاب الإمامة ، باب حد الإمام على رضى الصفوف ٢ / ٩٢ . وابن ماجه ، كتاب الإمامة

باب إقامة الصفوف ، الحديث ٩٩٢ / ١ / ٣١٧ . ومسنن الإمام أحمد عن جابر بن سمر : ٥ / ١٠١ . ويظهر ٢ / ٩٨ .

(٧) سنن ابن ماجه ، كتاب الإمامة ، باب حد سجد للقرآن ، الحديث ١٠٥٦ / ٢ / ٣٢٠ .

تفسير سورة الأنفال

وهي مدنية ، آياتها سبعون وست آيات : كلماتها اثنتي عشرة كلمة ، وستة كلمة ، وإحدى وثلاثون كلمة : حروفها خمسة آلاف ومائتان ، وأربعة وتسعون حرفاً ، والله أعلم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَنذَرُ اللَّهَ وَأَعْلِيَهُمْ قَاتِلُكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ①

قال البخاري : قال ابن عباس : « الأنفال » القتائم - : حدثنا محمد بن عبد الرحمن ، حدثنا سعيد بن سليمان ، أخبرنا هشيم ، أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس : سورة الأنفال ؟ قال : نزلت في بدر (١) ، أما ما حكمته (٢) عن ابن عباس فذلك رواه علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس أنه قال : « الأنفال » القتائم (٣) ، كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم غنائمة ، ليس لأحد منها شيء . وكذا قال مجاهد ، وعكرمة ، وعطاء ، والفسحاك ، وقتادة ، وعطاء الخراساني ، ومقاتل بن حيان ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وغير واحد أنها القتائم ، وقال الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس أنه قال : « الأنفال » : القتائم ، قال فيها لبيد (٤) :

إِن تَكُونِي رَيْثًا غَيْرَ نَفْلٍ وَيَذْنُ اللَّهُ رَيْثِي وَصَحْلٍ

وقال ابن جرير : حدثني يونس ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني مالك بن أنس ، عن ابن شهاب ، عن القاسم بن محمد قال : سمعت رجلاً يسأل ابن عباس عن « الأنفال » ، فقال ابن عباس رضي الله عنهما : للقرس من النفل ، والسلب من النفل . ثم عاد لسأله ، فقال ابن عباس ذلك أيضاً . ثم قال الرجل : « الأنفال » التي قال الله في كتابه ، ما هي ؟ قال القاسم : فلم يزل يسأله حتى كاد يجرجه ، فقال ابن عباس : أتدرون ما مثل هذا ، مثل صبيح الذي ضربه عمر ابن الخطاب (٥) .

(١) البخاري ، تفسير سورة الأنفال : ٦ / ٧٦ ، ٧٧ .

(٢) المعلق : ما سلف من مبدأ إسناده واحد فأكثر حل للتحال ، ويمزى الحديث إلى ما فوقه المطرف من زواته ، مثل ما رواه البخاري عن ابن عباس من تفسير الأنفال بالقتائم ، فقد حلف برواه من مبدأ إسناده إلى ابن عباس .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٦٣ : ١٣ - ٣٦٢ .

(٤) ديوان : ٢ - ١١ ، وجزء القرائن لابن حيدة : ١ - ٨٠ ، واللسان : مادة نفل .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٦٤٦ : ١٣ - ٣٦٤ .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن القاسم بن محمد قال : قال ابن عباس : كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا سُئِلَ عن شيء قال : « لا أدرك ولا أتاك » ، ثم قال ابن عباس : والله ما بعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم إلا زاجرا آمرا مُحِبًّا عرما - قال القاسم : فسَلَطَ على ابن عباس رجل يسأله عن الأفعال ، فقال ابن عباس : كان الرجل يُتَخَلَّلُ فرس الرجل وصلاحه : فأعاد عليه الرجل ، فقال له مثل ذلك ، ثم أعاد عليه حتى أغضبته ، فقال ابن عباس : أتدرون ما متكل هذا ؟ مثل صبيغ الذي ضرب به عمر بن الخطاب ، حتى سألت الدماء على عتيبه - أو على وجهه - فقال الرجل : أما أنت فقد انتقم (١) الله امرئك .

وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس : أنه قَسَرَ التَّخَلَّلَ بما يفعله الإمام لبعض الأشخاص من سكب أو نحوه ، بعد قسم أصل المنعم ، وهو المجاهد إلى نعم كثير من الفقهاء من لفظ التخلل ، والله أعلم .
وقال ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : إنهم سأروا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخمس بعد الأربعة الأخماس ، فقالت : (يسألك عن الأفعال) (٢) .

وقال ابن مسعود ومسروق : لا تكمل يوم الزحف ، إنما التخلل قبل القضاء الصلوات : رواه ابن أبي حاتم عنهما ،
وقال ابن المبارك وغير واحد ، عن عبد الملك بن أبي سليمان ، عن عطاء بن أبي رباح : (يسألك عن الأفعال) ، قال : يسألك فيما ظن من المشركين إلى المسلمين في غير قتال ، من دابة أو عيد أو أمة أو متاع ، فهو نقل لثني صلى الله عليه وسلم بصنع به ما يشاء (٣) .

وهذا يقتضي أنه نَسَرَ الأفعال بالثني ، وهو ما أخذ من الكفار من غير قتال :

وقال ابن جرير : وقوله أخرون : هي أفعال السرايا :

حدثني الخلوث ، حدثنا عبد العزيز ، حدثنا علي بن صالح بن حمي قال : بانني في قوله تعالى : (يسألك عن الأفعال) ، قال : السرايا (٤) :

يعني هذا ما ينقله الإمام لبعض السرايا زيادة على قسمهم مع بقية الجيش ، وقد صرح بذلك الشعبي ، واختار ابن جرير أنها الزيادات على القسم (٥) ، ويشهد لذلك ما ورد في سبب نزول الآية ، وهو ما رواه الإمام أحمد حيث قال : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا أبو إسحاق الشيباني ، عن محمد بن عبد الله التقي ، عن سعد بن أبي وقاص قال :

« وصيغ » هو « صيغ بن صعل » ، ويقال : « صيغ بن سهل » الخطل . ترجم له ابن حجر في الإصابة ، الترجمة ١٢١٣ ، ٢ / ١٩١ ، وكان قد ندم المدينة ، وجعل يسأل عن متشابه القرآن ، فأرسل إليه عمر ، وقد أمه له هراجين التخلل ، فقال : من أنت ؟ قال : أنا عبد الله صيغ . قال : وأنا عبد الله عمر - فصره حتى أدى رأسه ، فقال : حسبك يا أمير المؤمنين ، قد ذهب الذي كنت أبعد في رأس . ثم فناه إلى البصرة .

(١) في المخطوطة : « اسم الله » . والمثبت عن تفسير الطبري ، الأثر ١٥٦٤٧ : ٣٦٤/١٣ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٥٤٧ : ٣٦٥/١٣ .

(٣) ينظر تفسير الطبري ، الأثر ١٦٥٤٧ : ٣٦٥/١٣ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٦٣٨ : ٣٦٢/١٣ .

(٥) ينظر تفسير الطبري ، ٣٦٥/١٣ : ٣٦٦ .

« لا كان يوم بدر ، وقتل أنى حمير ، وقتلت سيد بن الناصر وأخذت سيفه ، وكان يسمى « ذا الكتيفة » ، فأثبت به نبي الله صلى الله عليه وسلم ، قال : اذهب فاطرحه في القتيض . قال : فرجعت وبى مالا يعلمه إلا الله من قتل أنى وأخذ سبى ، قال : فما جاوزت إلا يسيراً حتى نزلت سورة الأنفال ، قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذهب فخذ سيفك » (١) .

وقال الإمام أحمد أيضاً : حدثنا أسود بن عامر ، أخبرنا أبو بكر ، عن حاصم بن أبى النجود ، عن مصعب بن سعد ، عن سعد بن مالك قال ، قال : يا رسول الله ، قد شغاني الله اليوم من المشركين ، فهب لى هذا السيف . فقال : إن هذا السيف لا لك (٢) ولألى ، ضمه . قال : فرضيته : ثم رجعت قلت : عسى أن يعطى هذا السيف اليوم من لا ييسر (٣) بلألى . قال رجل يدعوى من ورائى ، قال قلت : قد أنزل الله فى شىء ؟ قال : كنت سألتنى السيف ، وليس هو لى وإنه قد وهب لى ، فهو لك : قال : وأنزل الله هذه الآية (يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول (٤)) :

ورواه أبو داود ، والترمذى ، والنسائى من طرق ، عن أبى بن عباس ، به : وقال الترمذى : حسن صحيح (٥) . وهكذا رواه أبو داود الطيالسى : أخبرنا شعبة ، أخبرنا سيار بن حرب ، قال سمعت مصعب بن سعد ، يحدث عن سعد قال : نزلت فى أربع آيات : أصبت سيفاً يوم بدر ، فأثبت الذى صلى الله عليه وسلم قتل : تكليفه : فقال : ضمه من حيث أخذته ، مرتين ، ثم عاده فقال الذى صلى الله عليه وسلم : ضمه من حيث أخذته : فنزلت هذه الآية : (يسألونك عن الأنفال) ، ونعم الحديث فى نزول : (ووصينا الإنسان بوالديه حسناً) (٦) ، وقوله تعالى : (إنما الخمر والميسر) وآية الرخصة (٨) . وقد رواه مسلم فى صحيحه ، من حديث شعبة (٩) ، به .

وقال محمد بن إسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن بعض بنى ساعدة قال : سمعت أبا أسيد مالك بن ربيعة يقول : أصبت سيف ابن عاصم يوم بدر ، وكان السيف يدعى بالمرزبان ، فلما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس أن يردوا ما فى أيديهم من التسلل ، أثبتت به فالثبتة فى التسلل ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمنع شيئاً يسأله ، فراه الأرقم بن أبى الأرقم الخزرجى ، فسأله رسول الله ، فأعطاه (١٠) إياه . ورواه ابن جرير من وجه آخر (١١) .

(١) مسند الإمام أحمد : ١/١٨٠ . والكتيفة - يفتح الكاف - : السيف اليريش . والقتيض - يفتح القاف والياء - : معنى القتيوض ، وهو ما جمع من الغنمية قيل أن تقسم .

(٢) فى المسند : « ليس لك ولا لى » .

(٣) فى المسند : « من لى بيل » ولفظ المخطوطة موافق لترمذى .

(٤) مسند الإمام أحمد : ١/١٧٨ .

(٥) سنن أبى داود ، كتاب الجهاد ، باب فى الغل ، الحديث ٢٧٤٠ : ٣/٧٧ ، ٧٨ ، وثقة الأحمدي ، تفسير سورة الأنفال ، الحديث ٥٠٧٤ : ٨/٤٦٦ - ٤٦٨ .

(٦) سورة المكنوت ، آية : ٨ .

(٧) سورة المائدة ، آية : ٩٠ . وقد مضى الحديث عنه هذه الآية من سنن البيهقى : ٣/١٧٦ .

(٨) هى الآية ١٥ من سورة لقمان .

(٩) مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فى فضل سيد بن أبى وقاص رضى الله عنه : ١٢٧ ، ١٢٦/٧ .

(١٠) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٦٦٠ : ١٣/٣٧٤ .

(١١) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٦٦١ : ١٣/٣٧٥ .

(سبب أكثر في نزول الآية)

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الرحمن ، عن سليمان بن موسى ، عن مكحول عن أبي أمامة قال : سألت عبيدة عن الأنفال ، قال : قينا - أصحاب بدر - نزلت ، حين اخطفنا في النفل ، وسامت فيه أخلاقنا ، فأنزله الله من أبلينا ، وجعله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المسلمين عن يراه - يقول : عن سواء (١) .

وقال أحمد أيضا : حدثنا معاوية بن عمرو (٢) أخبرنا أبو إسحاق (٣) عن عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عياض ابن أبي ربيعة ، عن سليمان بن موسى عن أبي سلام ، عن أبي أمامة ، عن عبيدة بن الصامت قال : خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فشهدت معه بلرا ، فالتقى الناس ، فهزم الله العدو ، فانطلقت طائفة في آثارهم يوزمون ويقتلون ، وأكبت طائفة على السكرك يحرونه ويجمعونه : وأحلت طائفة برسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصيب العدو منه غرة ، حتى إذا كان الليل ، وقاه الناس بعضهم إلى بعض ، قال الذين جمعوا القتال : نحن حريتنا ، فليس لأحد فيها نصيب ، وقال الذين خرجوا في طلب العدو : لستم بأحق به منا ، نحن منته (٤) عنها العدو وهزمناهم . وقال الذين أحلقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم : [لستم بأحق بها منا ، نحن أحقنا برسول الله صلى الله عليه وسلم] ، وخفنا أن يصيب العدو منه غرة ، فاشتغلنا به ، فترلت : (يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم) ، فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المسلمين - وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غار في أرض العدو قتل الرعي ، فإذا أتيل ، وكل الناس رجلا ، قتل الثلث ، وكان يكره الأنفال (٥) (ويقول : ليرد على المؤمنين على نصيبهم) .

ورواه الترمذي وابن ماجه ، من حديث صفيان الثوري ، عن عبد الرحمن بن الحارث به نحوه ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن (٦) . ورواه ابن حبان في صحيحه ، والحاكم في مستدركه من حديث عبد الرحمن بن الحارث ، وقال الحاكم : صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه (٧) .

وروى أبو داود ، والنسائي ، وابن جرير ، وابن مردويه - واقتطع له - وابن حبان ، والحاكم من طرق ، عن داود بن أبي هند ، عن حكيمه ، عن ابن عباس قال : لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من صنع

(١) سنة الإمام أحمد : ٣٢٣/٥ .

(٢) في المخطوطة : « معاوية بن عمرو » . وصوابه ما اقتضاه ، عن التلخيص : ١٠/١٠٥٠ . وهو معاوية بن عمرو بن المغيرة الملقب بأبي عمر البجلي ، يروي عن أبي إسحاق التماري .

(٣) في المخطوطة : ابن إسحاق . ينظر التلخيص السابق ، والتلخيص : ١٥٦/٦ .

(٤) في المتن : « نحن فليتنا هذا » .

(٥) سنة الإمام أحمد : ٣٢٤/٥ . وما بين الأقواس المضافة منه .

(٦) ثقة الأحمدي ، أبواب السير ، باب في النفل ، الحديث ١٦٠٦ : ١٧٥/٥ ، وصح ابن ماجه ، كتاب

الجهاد ، باب لقتل ، الحديث ٢٨٥٢ : ٩٥١/٢ .

(٧) المستدرک ، كتاب قسم الفري : ١٣٦/٢ . وكتاب التفسير ، تفسير سورة الأنفال : ٣٢٦/٢ وفي هذه الرواية :

« الحارث بن عبد الرحمن » ، وهو خطأ لا شك فيه .

كلما وكلنا لله وكلنا وكلمنا في ذلك شأن (١) الرجال وبقى الشيخ تحت الرابطة ، فلما كملت المفاتيح ، جاءوا بطيئون الذين جعل لهم ، فقال الشيخ : لا تستأثروا علينا ، فأتاكم ردماً لكم لو انكشفتم (٢) فتمت ليها : فتنزهوا ، فأقول الله تعالى : (يسألونك عن الأنفال) إلى قوله : (وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين) (٣) .

وقال القرطبي ، عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس قال : « لا كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قتل قتيلاً فله كلما وكلنا ، ومن قتل بأسير فله كلما وكلنا ، فجاه أبو اليسر بياسرين ، فقال : يا رسول الله ، وعدتنا ، فقام سعد بن جادة فقال : يا رسول الله ، إن أعطيت هؤلاء لم يبق لأصحابك شيء ، وإنه لم يمتنا من هذا زهادة في الأجر ، ولا جبن من العدو ، وإنما قمنا هذا المقام بحافطة عليك ثنائاً بأنزلتكم ورائك ، فاشجروا ، ونزل القرآن : (يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول) ، قال : ونزل القرآن : (وأطيعوا الله وأطيعوا أئمة من بعده) ، قال : فأنه خمسة) إلى آخر الآية .

وقال الإمام أبو حنيفة القاسم بن سلام ، رحمه الله ، في كتاب الأموال الشرعية وبين جهاتها ومصاريفها : أما الأنفال فهي المفاتيح ، وكل نيل ناله المسلمون من أموال أهل الحرب ، فكانت الأنفال الأولى التي صلى الله عليه وسلم . يقول الله تعالى : (يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول) ، قسمها يوم بدر حل ما أراد الله من غير أن يتعمها حل ما ذكرناه في حديث سعد . لم نزل بعد ذلك آية الخمس ، فصغت الأولى (٤) .

قلت : هكذا روى علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، سواء (٥) . وبه قال مجاهد ، وعكرمة ، والسدي . وقال ابن أبي : ليست منسوخة بل هي محكمة (٦) .

قال أبو حنيفة : وفي ذلك آثار :... والأنفال أصلها جمع المفاتيح ، إلا أن الخمس منها مخصوص لأهل حل ما نزل به الكتاب ، وجرت به السنة . ومعنى الأنفال في كلام العرب : كل إحسان فعله فاعل تفضلاً من غير أن يجبه ذلك عليه ، فذلك النفل الذي أحله الله للمؤمنين من أموال عدوهم وإنما هو [شيء] خمسة الله به تطولاً منه عليهم بعد أن كانت المفاتيح محرمة حل الأمم قبلهم ففعلها الله هذه الأمة فهذا أصل النفل (٧) .

قلت : شاهد هذا في الصحيحين عن جابر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي . فذكر الحديث إلى أن قال : وأعطيت لي المفاتيح ولم تحل لأحد قبلي » ، وذكر تمام الحديث (٨) .

(١) في المخطوطة : « فتنازح في ذلك » والثبت عن تفسير الطبري ، الأثر ١٥٦٥١ : ٣٦٨/١٣ ، فهو أقرب إلى رواية ابن مردويه .

(٢) انكشفتم : انبهرتم .

(٣) سنن أبي داود ، كتاب الجهاد ، باب في النفل ، الحديث ٢٧٣٧ : ٧٧/٣ . وتفسير الطبري ، الآثار ١٥٦٥١ - ١٥٦٥٣ : ٣٦٨/١٣ ، ٣٦٩ . والمستدرک ، تفسير سورة الأنفال : ٣٢٦/٢ ، ٣٢٧ . وقال الحاكم ، هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وقال الذهبي : صحيح .

(٤) الأموال لأبي حنيفة : ٤٢٦ . ط دار الفکر للطباعة .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٦٦٧ : ٣٧٨/١٣ ، وآثار مجاهد وعكرمة والسدي في الطبري : ٣٨٠/١٣ .

(٦) ينظر تفسير الطبري : ٣٨١/١٣ .

(٧) الأموال لأبي حنيفة : ٤٢٦ ، ٤٢٨ ، ٤٣٠ .

(٨) سبق تخريج هذا الحديث عنه الآية ٤٣ من سورة النساء ، ينظر : ٢٨١/٢ .

ثم قال أبو حيد: ولما سمى ما جعل الإمام المقابلة فلا ، وهو تفضيله بعض الجيش على بعض بشيء سوى سهامهم بأصل ذلك بهم على قدر النماء عن الإسلام والتكاثر في العدو . وفي النفل الذي ينقله الإمام سنن أربع ، لكل واحدة منهم موضع غير موضع الأخرى !

فإحدهن في النفل لا خمس فيه ، وذلك السلب .

والثانية : في النفل الذي يكون من الغنيمة بعد إخراج الخمس . وهو أن يوجه الإمام السرايا في أرض الحرب ، فأتى بالغانم فيكون السرية مما جاءت به الأربع أو الثلث بعد الخمس .

والثالثة : في النفل من الخمس نفسه . وهو أن تعاز الغنيمة كلها ، ثم تخمس ، فإذا صار الخمس في يدى الإمام نفل منه على قدر ما يرى .

والرابعة : في النفل في جملة الغنيمة قبل أن تخمس منها شيء . وهو أن يعطى الأدلاء وروعاة للشيعة والسرايا لما ، وفي كل ذلك اختلاف (١) .

قال الربيع : قال الشافعي : الأنفال أن لا يخرج من رأس الغنيمة قبل الخمس شيء غير السلب (٢) .

قال أبو حيد : والوجه الثاني من النفل هو شيء زبده غير الذي كان لهم ، وذلك من خمس النبي صلى الله عليه وسلم ، فلأن له خمس الخمس من كل غنيمة ، فينبغي للإمام أن يجهد ، فذاكر العدو واشتدت شوكتهم ، وقل من يلزاه من المسلمين ، نفل منه اتباعا لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإذا لم يكن ذلك لم ينفل .

والوجه الثالث من النفل : إذا بحث الإمام سرية أو جيشاً ، فقال لهم قبل القاء : من غنم شيئاً فله بعد الخمس ، لذلك لهم على ما شرط الإمام ؛ لأنهم على ذلك غزوا ، وبه وشوا . انتهى كلامه .

وفيما تقدم من كلامه وهو قوله : « إن غنمتم ولم تخمس » نظر ، ويرد عليه حديث علي بن أبي طالب في شاربته اللعين حصلاله من الخمس يوم بدر ، وقد بينت ذلك في كتاب السيرة بياناً شافياً ، وفي الحمد .

وقوله تعالى : (فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم) ، أي : اتقوا الله في أموركم ، وأصلحوا فيما بينكم ولا تظالموا ولا تحاصروا ولا تشاجروا ؛ لما آتاكم الله من الملقى والعلم خير مما تحتصمون بسية ، (وأطيعوا الله ورسوله) ، أي : في قسمه بينكم على ما أراده الله ، فإنه قسمه كما أمره الله من العدل والإنصاف .

وقال ابن عباس : هذا محرج من الله [على المؤمنين] (٣) أن يتقوا وأصلحوا ذات بينهم . وكلما قال بجاهله .

وقال السدي : (فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم) ، أي : لا تستبوا (٤) . ولذا رواهنا حديثاً أورده الحافظ أبو يعلى أحمد بن علي بن الحسن الموصلي رحمه الله في مستنداته قال : حدثنا جاهد بن موسى ، حدثنا عبد الله بن بكر (٥) ،

(١) ينظر كتاب الأموال لأبي حيد : ٤٣٠ ، ٤٣١ .

(٢) ينظر كتاب الأم : ٦٦/٤ .

(٣) من تفسير البخاري ، الأثر ١٠٦٨١ ؛ ٣٨٤/١٣ . والتمريج التضييق . وأثر جاهد قبله .

(٤) تفسير البخاري ، الأثر ١٠٦٨٢ ؛ ٣٨٤/١٣ .

(٥) في الخطوبة : « حيد الله بن بكر » . وللمبحث من ميزان الاحتيال ، ترجمة جاهد بن شيبه الجعفي ؛ ٣٦٦/٢ ، قال الكشي : « دوى حيد الله بن بكر السهمي » .

حدثنا عباد بن شيبه الجبلي ، عن سعيد بن أنس ، عن أنس رضى الله عنه قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ، إذ أتياه ضحك حتى بدت ثيابه ، فقال عمر : ما أضحكك يا رسول الله بأني أنت وأنى ؟ قال : رجلا جنييا من أمي بن يدي رب الفزة تبارك وتعالى ، فقال أحدكما : يارب ، خذ لي مظلتى من أمي : قال الله تعالى أعط أهلك مظلمته . قال : يارب ، لم يبق من حسنتي شيء . قال : رب ، فليحمل عني من أولزوى . قال : قال : فهاضت وقاضيت حينما رسول الله صلى الله عليه وسلم بالباء ، ثم قال : إن ذلك ليوم عظيم ، يوم يحتاج الناس إلى من يحمل عنهم من أولزاهم . فقال الله تعالى للطالب : ارفع يدك فانظر في الجنان ، ارفع رأسه فقال : يارب ، أرى منان من فضة وتصوراً من ذهب مكللة بالزور ، لأى لى هذا ؟ لأى صديق هذا ؟ لأى شهيد هذا ؟ قال : هذا لمن أعطى الثمن ؟ قال : يارب ، ومن ملك ذلك ؟ قال : أنت تملكه : قال : ماذا يا رب ؟ قال : تصفون أخيك : قال : يارب ، فإني قد عفوت عنه . قال الله تعالى : خذ يد أخيك فأدخله الجنة : ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأتوا الله وأصامرا ذات بينكم ، فإن الله تعالى يصلح بين المؤمنين يوم القيامة .

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تَلَيَّتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ ذُرِّيَّتِهِم بِرُكُودٌ ﴿١﴾ الَّذِينَ يُعْمِلُونَ الصَّلَاةَ وَيُمَارِئُونَهُمْ يَنْفَقُونَ ۖ ﴿٢﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٣﴾

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : [إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ] ، قال : للناقرة لا يدخل قلوبهم شيء من ذكر الله عند [أداء] فرائضه . ولا يؤمنون بشيء من آيات الله ، ولا يتركلون ، ولا يصلون إذا غابوا ، ولا يؤدون زكاة أموالهم . فأخبر الله تعالى أنهم ليسوا بمؤمنين ، ثم وصف المؤمنين فقال : [إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ] ، فأدوا فرائضه - [وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً] ، يقول : تصديقاً - [وعلى ذريتهم بركون] ، يقول : لا يرجون غيره (١) .

وقال مجاهد : (وجلت قلوبهم) ، فرقت . أى : فرحت وغابت . وكلما قال السدى وغير واحد (٢) .

وأما وصف المؤمنين حق المؤمنين ، الذى إذا ذكر الله وجل قلبه ، أى : خاف منه ، فقبل أوامره ، وترك زواجره ، كقوله تعالى : [وَالَّذِينَ إِذَا غُلِبُوا نَجْشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ، ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ، وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٣)] . وكقوله تعالى : [وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَسِيَ الْفِتْنَةَ عَنْ الْمَوْتِ . فَإِنَّ إِلَٰهَهُ (٤)] . ولهذا قال سفيان الثوري سمعت السدى يقول في قوله تعالى : [إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ] ، قال : هو الرجل يريد أن يتكلم - أو قال : يتم بحسبة - فيقال : له اتق الله فيجعل قلبه .

(١) تفسير البكري ، الأثر ١٥٦٨٤ : ٢٨٦/١٣ .

(٢) تفسير البكري ، الآثار ١٥٦٨٩ - ١٥٦٩٢ : ٢٨٦/١٣ .

(٣) سورة آل عمران ، آية : ١٣٥ .

(٤) سورة التناورات ، آية : ٤٤ .

ولقد التوى أيضاً ، مع عبد الله بن عثمان بن عفيم ، عن شهر بن حوشب ، عن أم القراءات في قوله : (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) ، قالت : الرجل في القلب إحراق السفة ، أما نجد لها تفسيره ؟ قال : بل قالت : (إذا وجدت ذلك فادع الله عند ذلك ، فإن الله يلجأ بك) (١) .

وقوله : (وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً) ، كقوله : (وإذا ما أنزلت سورة فهم من يقول إليكم زاده هذه إيماناً ؟ أما ألجأ أنتم إيمانهم إيماناً وهم يستبشرون) (٢) .

وقد استدل البخاري (٣) وغيره من الأئمة بهذه الآية وأشياها ، على زيادة الإيمان وتفاضله في القلوب ، كما هو ملحق بجمهور الأمة ، بل قد حكى الإجماع على ذلك غير واحد من الأئمة ، كالشافعي ، وأحمد بن حنبل ، وأبي حنيفة ، كما بينا ذلك مستقصى في أول الشرح البخاري ، والله الحمد والمثني .

(وحل بهم يتكلمون) ، أي : لا يرجعون سواء ، ولا يفتعلون إلا إياه ولا يلوذون إلا به ، ولا يطلبون الحوائج إلا منه ، ولا يرجعون إلا إليه ، ويعلمون أنه ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وأنه المصروف في الملك ، وحده لا شريك له ، ولا معقب لحكمه ، وهو سريع الحساب . ولهذا قال سعيد بن جبير : التوكل على الله جماع الإيمان .

وقوله : (الذين يقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقون) ، ينفقون على أعمالهم ، بعد ما ذكر احتضارهم : وهذه الأعمال تشمل أنواع الخير كلها ، وهو إقامة الصلاة ، وهو حق الله تعالى .

وقال قتادة : إقامة الصلاة : المحافظة على مواعيدها ، ووضوئها ، وركوعها ، وسجودها .

وقال مقاتل بن حيان : (إقامتها) : المحافظة على مواعيدها ، وإسباغ الطهروفيها ، وتمام ركوعها وسجودها ، وتلاوة القرآن فيها ، والشهادة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم هذا إقامتها .

والإتفاق بما رزقهم الله يشمل خراج الزكاة ، وسائر الحقوق للعباد من واجب ومستحب ، وإلحاق كلهم حيال الله ، فألجهم إلى الله أنهم ملقته .

قال قتادة في قوله : (وما رزقناهم ينفقون) فأنفقوا بما أعطاكم الله ، فأنما هذه الأموال حلال وودائع عندك يا ابن آدم ، أو شئت أن تفارقها .

وقوله : (أولئك هم المؤمنون حقا) ، أي : المتصفون بهذه الصفات هم المؤمنون حق الإيمان .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني : حدثنا محمد بن عبد الله الحضري ، حدثنا أبو كريب ، حدثنا زيد بن الحباب ، حدثنا ابن خزيمة عن خالد بن يزيد السكسكي ، عن سعيد بن أبي حلال ، عن محمد بن أبي الجهم عن الحارث بن مالك الأنصاري : أنه مر برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : كيف أصبحت يا حارث ؟ قال : أصبحت مؤمناً حقاً .

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٦٩١ : ٣٨٧/١٣ . وهو في الخبر عن أبي القراءات .

(٢) سورة التوبة ، آية : ٩ .

(٣) البخاري ، أول كتاب الإيمان : ٨/١ .

قال : أنظر ماذا نقول فإن لكل شيء حقيقة ، فالحقيقة إيمانك : فقال : حرفت قسى من الدنيا ، فأسهرت ليلي ، وأعطت نهارى ، وكأنى أنظر إلى عرش ربى يارزأ ، وكأنى أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها ، وكأنى أنظر إلى أهل النار يتضاغون فيها . فقال : يا حارث ، حرفت القوم ، ثلاث : (١) :

وقال عمرو بن مرة فى قوله : (أولئك هم المؤمنون حقا) ، إنما أنزل القرآن بلسان العرب ، كقولك : فلان سيد حقا ، وفى القوم سادة . وفلان تاجر حقا ، وفى القوم تجار . وفلان شاعر حقا ، وفى القوم شعراء (٢) .
وقوله : (لهم درجات عند ربهم) ، أى : منازل ومقامات ودرجات فى الجنة ، كما قال تعالى : (لهم درجات عند الله والله بصير بما يعملون) (٣) .

(ومضرة) ، أى : ينظر لهم الجنات ، ويشكر لهم الحسنات ؛
وقال الضحاك فى قوله : (لهم درجات عند ربهم) : أهل الجنة بعضهم فوق بعض ، فىرى الذى هو فوق فضل على الذى هو أسفل منه ، ولا يرى الذى هو أسفل أنه فضل على أحد .
ولهذا جاء فى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن أهل حطين إبراهيم من أسفل منهم كما ترون الكوكب النائر فى أفق من أفق السماء . قالوا : يا رسول الله ، تلك منازل الأنبياء ، لا ينالها غيرهم ؟ فقال : بلى ، والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله واصلحوا للمرسلين (٤) »

وفى الحديث الآخر الذى رواه الإمام أحمد أهل السنن من حديث حطية ، عن أبى سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أهل الجنة ليرامون [أهل] الدرجات (٥) الصلى كما ترون الكوكب النائر فى أفق السماء ، وإن أباهم وعصمهم وأنعمهم (٦) » .

كَمَا أُنْعِمُكَ رَبِّي مِنْ بَيْنِكَ بِالْحَقِّ وَإِنْ فَرَسًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكُنْهُمْ ۖ ① يَجْلِسُونَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَافِرُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ۖ ② وَإِذْ يَدْعُرُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنهَذَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّرْكِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَيِّقَ الْحَقَّ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ۖ ③ لِيُخَيِّقَ الْحَقَّ وَيُطَيِّلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ④

قال الإمام أبو جعفر الطبري : اختلف المفسرون فى السبب الجالب لهذه الكلافة فى قوله : (كما أخرجه

(١) ينظر أسمة القافية ، فترجمة الحارث بن مالك : ٤١٤/١ .

(٢) بين أن هؤلاء المتصافين بهذه الصفات هم أشبه الناس بهذا القلب وأسمهم به ، وإن كان غيرهم يشتركهم فيه .

(٣) سورة آل عمران ، آية : ١٦٣ .

(٤) البخارى ، كتاب بدء الخلق ، باب ما جاء فى حفة الجنة وأهلها : ١٤٥/٤ . ومسلم ، كتاب الجنة ، باب

ترام أهل الجنة ، أهل الغرف ، كما يرى الكوكب فى السماء : ١٤٥/٨ . ولفظ الصحيح فيها : « إن أهل الجنة ليرامون ... » .

(٥) فى المصنف : « فيرون أهل حطين » .

(٦) أسمة : زادا وضلا ؛ والحديث رواه الإمام أحمد فى المصنف : ٦١/٢ . وصحيفة هوابن سدة الموقى ويعتبر أيضا

المصنف : ٢٧/٢ . ورواه أبو داود فى كتاب الحروف ، الحديث ٣١٨٧ : ٣٤/٤ . وابن ماجه فى المصنف : باب فى فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الحديث ٩٦ : ٣٧/١ .

وبك) ، فقال بعضهم : شبهه به في الصلاح للمؤمنين ، اتقواهم دينهم ، وإصلاحهم ذات بينهم ، وطاعتهم الله ورسوله (١) .

ثم روى عن عكرمة بن حذاف .

ومعنى هذا أن الله تعالى يقول : كما أنكم لا تحفظون في الغنائم وتنازعونها فيها فاتركوها لله منكم ، وجعلها إلى قسمه وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قسمها على الملك والتسوية ، فكان هذا هو المصلحة العامة لكم ، وكللكم لا كرهتم الخروج إلى الأعداء من قتال ذات الشوك - وهم النضير الذين خرجوا لنصر دينهم ، وإحراز حيرتهم - فكان عاقبة كراحتكم لقتال - بأن قدره لكم ، وجمعت به بينكم عدوكم على غير ميدان - رشداً وهدي ، ونصراً وقصداً ، كما قال تعالى : (كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون) (٢) .

قال ابن جرير : وقال آخرون : معنى ذلك : (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق) ، حل كره من فريق من المؤمنين ، كذلك هم كارهون لقتال ، فهم يجادلونك فيه بعد ما تبين لهم (١) : ثم روى نحوه عن مجاهد أنه قال : (كما أخرجك ربك) ، قال : كذلك يجادلونك في الحق : (٤)

وقال السدي : أنزل الله في خروجه إلى بدر ومجادلتهم إياه فقال : (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون) ، لطالب للشر كين (مجادلونك في الحق بعد ما تبين) (٥) .

وقال بعضهم : يسألونك عن الأفعال مجادلة ، كما يجادلوك يوم بدر فقالوا : «أخرجتنا قير ، ولم تملنا قتالا فتستعد» له (٣) .

قلت : رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما خرج من المدينة طالباً لمير أبي سفيان ، التي يلتهج بحربها أنها صادرة من الشام ، فيها أموال جزيلة قريش ، فاستنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين - من خفف منهم ، فخرج فيه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً ، وطلب نحو السهل من على طريق بدر ، وعلم أبو سفيان بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبه ، فبغت فاستنصم بين عمرو نذيراً إلى مكة ، فنهضوا في قريب من ألف متعتج (٦) ما بين التسع مائة إلى الألف وتبأن أبو سفيان بالمير إلى سيف البحر فنجأ ، وجاء النضير فوردوا ماء بدر ، وجمع الله المسلمين والكافرين على غير ميدان ، لا يريد الله تعالى من إهلاك كلمة المسلمين ونصرهم على عدوهم ، والفتنة بين الحق والباطل ، كما سيأتي بيانه .

(١) تفسير الطبري : ٣٩١/١٣ .

(٢) سورة البقرة : آية ٢١٦ .

(٣) تفسير الطبري : ٣٩١/١٣ .

(٤) تفسير الطبري ، الآثار ١٥٧٠١ - ١٥٧٠٣ : ٣٩١/١٣ ، ٣٩٢ .

(٥) تفسير الطبري ، الآثار ١٥٧٠٤ : ٣٩٢/١٣ .

(٦) تفسير الطبري : ٣٩٢/١٣ .

(٧) للفتح : المختص بالصلاح . وقيل : هو الذي حل رأسه بيضة - وهي الخوذة - لأن الرأس موضع القتال .

والفرض أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلفه خروج النغير ، أوحى الله إليه بَعْدَهُ إحدى الطائفتين : إما البعير وإما النغير ، وورع كثير من المسلمين إلى البعير ، لأنه كسب بلا قتال ، كما قال تعالى : (وتودون أن خير ذات الشوكة تكون لكم ، ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين) .

قال الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره : حدثنا سليمان بن أحمد الطبراني ، حدثنا بكر بن سهل ، حدثنا محمد الله ابن يوسف ، حدثنا ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن أسلم بن عمران حمله أنه سمع أبا أيوب الأنصاري يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن بالمدينة : « إني أخبرت عن حير ابن سفيان أنها مقبلة ، فهل لكم أن نخرج لنبك حله البعير لعل الله يَغْنَمَنا ؟ قلنا : نعم ، فخرج وخرجنا ، فلما سيرنا يوما أو يومين قال لنا : ما ترون في قتال القوم ؟ قلنا : قد أخبروا بمخرجكم ؟ قلنا : لا ، والله ما لنا طائفة بقتال العدو ، ولكننا أردنا البعير . ثم قال : ما ترون في قتال القوم ؟ قلنا : مثل ذلك ، فقال المقداد بن عمرو : إنا لا نقول لك يا رسول الله كما قال قوم موسى لموسى : (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون) ، قال : فتمنينا - معشر الأنصار - أن لو قلنا كما قال المقداد أحب إلينا من أن يكون لنا مال عظيم : قال : فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم : (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون) ۞ وذكر تمام الحديث (١) .

ورواه ابن أبي حاتم ، من حديث ابن لهيعة ، بنحوه .

وروى ابن مردويه أيضاً من حديث محمد بن عمرو بن حلقمة بن وقاص الليثي ، عن أبيه ، عن جده قال : أخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر ، حتى إذا كان بالروحاء خطب الناس فقال : كيف ترون ؟ قاله أبو بكر : يا رسول الله ، بلغنا أنهم يمكن كلنا وكلنا : قال : ثم خطب الناس فقال : كيف ترون ؟ قلت عمر مثل قول أبي بكر ، ثم خطب الناس فقال : كيف ترون ؟ فقال سعد بن معاذ : يا رسول الله ، إيانا تريد ؟ فوالله أكرمك وأتزل عليك الكتاب ، ماسلكها قتل ولا لي بها علم ، ولئن سرت حتى تأتيه برك الغماد (٢) من ذي بمن ليسير معك ، ولا تكون كالذين قالوا لموسى : (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون) ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم متبعون ، ولعلك أن تكون خرجت لأمر ، وأحدث [الله] إليك خبره ، فانظر الذي أحدث الله إليك ، فامض له ، ففصل : حال من شئت ، واقطع حال من شئت ، وحاد من شئت ، وسالم من شئت ، وخذ من أموالنا ما شئت ، فقل القرآن على قول سعد : (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون) ۞ الآية . (٣) .

وقال السوقي ، عن ابن عباس : لما شاور النبي صلى الله عليه وسلم في لقاء العدو ، وقال له سعد بن جابر : ما قال ، وذلك يوم بدر ، أمر الناس فمبوا القتال ، وأمرهم بالشوكة ، ففكره ذلك أهل الإيمان ، فأنزل الله : (كما أخرجك

(١) البدر المشهور : ١٦٢/٣ .

(٢) برك الغماد - بكسر اللين وضمها : موضع وراه مكة - خمس ليال على البحر .

(٣) البدر المشهور : ١٦٤/٣ .

الى ما للفرقة والقتال ، ليظهركم بهم ويتصرم عليهم ، ويظهر دينه ، ويرفع كلمة الإسلام ، ويجعله غالباً على الأديان ، وهو أعلم بوالباب الأمور ، وهو الذي يظهركم بحسن تدبيره ، وإن كان للعباد يحبون خلافتك ذلك فيما يظهر لهم ، كما قال تعالى : (كُتِبَ عليكم القتال وهو كره لكم ، وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ، وعسى أن يحبوا شيئاً وهو شر لكم) (١) .

وقال محمد بن إسحاق رحمه الله : حدثني محمد بن مسلم الزهري ، وعاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر ، ويزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير وغيرهم من علمائنا ، عن عبد الله بن عباس - كل قد حدثني بعض هذا الحديث ، فاجتمع حديثهم فيها مقت من حديث بدر - قالوا : لا سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي سفيان مقيلاً من الشام تدعي المسلمين إليهم ، وقال : هذه عيرُ قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله أن ينقلبكموها فالتدب الناس ، ففخت بعضهم وقتل بعضهم ، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتفى حرباً ، وكان أبو سفيان قد استنصر حين دنا من الحجاز يتجسس الأخبار ، ويسأل من لقي من الركبان ، تخوفاً على أمر الناس ، حتى أصاب خبراً من بعض الركبان : أن محمداً قد استنصر أصحابه لك ولعيرك ، فحذروا عند ذلك ، فاستأجر شمشق بن عمرو الضفاري ، فبعثه إلى أهل مكة ، وأمره أن يأتي قريشاً فيستنفرهم إلى أموالهم ، ويخبرهم أن محمداً قد عرض لما في أصحابه : فخرج ضمضم ابن عمرو سريماً إلى مكة . وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه حتى بلغ وادياً يقال له « ذكران » ، فخرج منه حتى إذا كان بضمه نزل ، وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم الناس ، وأخبرهم عن قريش ، فقام أبو بكر رضى الله عنه فقال فاحسن ، ثم قام عمر رضى الله عنه فقال فاحسن ، ثم قام المقداد ابن عمرو فقال : يا رسول الله ، امض لا أمرك الله به ، فحسن منك ، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قائلون) (٢) ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى بئر الغنماد - يعني مدينة الحبشة - لجاللنا منك من دونه حتى تبغضه ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً ، ودعا له بخير . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أشيروا على أيها الناس - وإنما يريد الأنصار - وذلك أنهم كانوا عند الناس (٣) وذلك أنهم حين يابصروا بالعقبة قالوا : يا رسول الله ، إنا برآء من ذمكم حتى تصل إلى دارنا ، فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمكمنا نحتك مما تمنع منه أيتامنا ونساءنا . فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوف أن لا تكون الأنصار ترى عليها نصرته إلا بمن دهمته بالمدينة ، من علوه ، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى حلو من بلادهم . فلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك قال له سعد بن معاذ : والله لكانك تريدنا يا رسول الله ؟ قال : أجل فقال : فقال : فقد آتاك بك وصفتك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لا أردت فوالذي بعثك بالحق إن استمرضت بنا هذا البحر ففختنفضنا منك ، ما يخطف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً ، إنا لصبر عند الحرب ، صدق عند اللقاء ، ولعل الله

(١) سورة البقرة : آية : ٢١٦ .

(٢) سورة المائدة : آية : ٢٤ .

(٣) أي : جهنم .

(٤) استعرض البحر ، أو الخطر : أقبل عليه لا يزال خطر . ينظر تفسير الطبري : ٤٠١/١٢ : تعليق رقم : ٢ .

يزيدك منا مائتة به عيك ، فمر بنا على بركة الله : فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سعد ، ونشطه ذلك ، ثم قال : سمروا على بركة الله وأبشروا ، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين ، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم ^(١) ، وروى الواقعي عن ابن عباس نحو هذا : وكذلك قال السدي ، وقائدة ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وغير واحد مع علماء السلف والخلف ، انحصرتنا أقوالهم أكثاء بسياق محمد بن إسحاق :

إِذْ تَسْتَغِيثُ رَبِّكَ فَاسْتَجِبْ لَكَ أَنِّي مُبْدِيُ بَأْتٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا جَعَلَ اللَّهُ إِلَّا بُرْئًى
وَلِتُذَكِّرَ الْفُلُوكَ وَمَا أَغْوَيْنَهُمْ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١١﴾

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو نوح فركاد ، حدثنا عكرمة بن صمار ، حدثنا مباله الحنظلي أبو زميل ، حدثني ابن عباس حدثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : لما كان يوم بدر نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه ، وهم ثلاثمائة وثبتت ، ونظر إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة ، فاستقبل النبي صلى الله عليه وسلم القبلة [ثم مد يديه] وعليه رداه وذاؤه ، ثم قال : اللهم [أين ما وعدني ، اللهم] أنجز لي ما وعدني ، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلا تبيد في الأرض أبداً - قال : فما زال يستغيث ربه ويدعوه حتى سقط رداؤه . فأتاه أبو بكر فأطع رداؤه فرداه ^(٢) ، ثم التزمه من رداؤه ، ثم قال : يا رسول الله ، كذاك مناشطك ريك ، فإنه سينجز لك ما وعدك . فأقول الله عز وجل : (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجِبْ لَكُمْ أَنِّي مُبْدِيُ بَأْتٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ) . فلما كان يومئذ والقوا ، فهزم الله للمشركين فقتل منهم سبعون رجلا ، وأسر منهم سبعون رجلا . واستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعلياً وعمر ، فقال أبو بكر : يا رسول الله ، هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان ، وإنني أرى أن تأخذ منهم القدية ، فيكون ما أخذناه منهم قوة لنا على الكفار ، وعسى أن يهديهم الله فيكونوا لنا حَصْبًا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما ترى يا ابن الخطاب ؟ قال ، قلت : والله ما أرى ما رأى أبو بكر ، ولكني أرى أن تُمَكِّنَنِي من فلان - قريب لعمر - فأضرب عنقه ، وتمكن علياً من حنظل فيضرب عنقه ، وتمكن حمزة من فلان - أخيه - فيضرب عنقه ، حتى يعلم الله أن ليس في قلوبنا هودة للمشركين ، هؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم . فهتوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر ، ولم يجر ما قلت ، وأخذ منهم الفداء : فلما كان من الند - قال عمر - غنوت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وإلى بكر وهما يكيان ، قلت : يا رسول الله ، ما ييكلك أنت وصاحبك ، فإن وجدتك بكاء بكيت ، وإن لم أجد بكاء تبكيت بكيت لكانكما ! قال النبي صلى الله عليه وسلم : لاذي ^(٣) عرض على أصحابك من أخذتم الفداء ، قد عرض على حذابكم أدنى من هذه الشجرة - لشجرة قرية - وأقول الله : (ما كان لني أن يكون له أسرى حتى يسخن في الأرض) إلى قوله : (لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم) من الفداء ، ثم أحل لهم التنازع : فلما كان يوم أحد من العام المقبل

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٧٢٠ : ١٣/٣٩٩ - ٤٠١ . وينظر كذلك الأثر ١٥٧١ : ١٣/٣٩٤ وسيرة

ابن هشام : ١٠٦/١ ، ٦٠٧ .

(٢) رداؤه : ألبسه الرداء .

(٣) في المسند : « الذي عرض ... » وفي صحيح مسلم مثله في الخطوبة . ونقلت مسلم : « أبكي الذي ... » .

هو قتلوا بما صنعوا يوم بدر ، من أعطى القداء ، قتل منهم سبعون ، وقرَّ أصحَّابُ النبي صلى الله عليه وسلم من النبي صلى الله عليه وسلم ، وكسرت رِباعيته ، وحُشِيت البَيْضَةُ على رأسه ، وسال الدم على وجهه ، فأقول الله : (أو لا أصابكم مصيبة قد أصبتم مثليها ، قلتم : أئى هذا ؟ قل : هو من عند أنفسكم ، إن الله على كل شيء قدير) ، بأعظم القداء (١) .

ورواه مسلم ، وأبو داود ، والترمذى ، وابن جرير ، وابن مرددويه ، من طرق عن عكرمة بن عمار ، به : وصححه على بن المنبهي والترمذى ، وقالوا : لا يعرف إلا من حديث عكرمة بن عمار الباقى (٢) .

وهكذا رَوَى على بن أبى طلحة والعرقي ، عن ابن عباس : أن هذه الآية الكريمة قوله : (إذ تستغيثون ربكم) أنها في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم : وكلما قال يزيد بن يسيع ، والسدى ، وابن جريج (٣) ،

وقال أبو بكر بن عياش ، عن أبى حصين ، عن أبى صالح قال : لا كان يوم بدر جعل النبي صلى الله عليه وسلم يناشد ربه أشدَّ الشُّدَّةِ يدعو ، فأثاء عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال : يا رسول الله ، بضئ نِشْدَتِكَ ، فوالله ليقتن الله لك بما وعدك (٤) .

وقال البخارى في « كتاب المغازى » ، باب قول الله عز وجل : (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم) إلى قوله : (فإن الله شديد العقاب) : حدثنا أبو نعيم ، حدثنا إسرائيل ، عن مَخْلَق ، عن طارق [بن شهاب] قال : سمعت ابن مسعود يقول : شهدت من القداء بن الأسود مشهوداً لأن أكون صاحبه أحبَّ إلى ما عدك به ، أئى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يدعو على المشركين ، فقال : لا تقول كما قال قوم موسى لموسى : (اذهب أنت وربك فقاتلا) ، ولكن فقاتل من بينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك : قرأيت النبي صلى الله عليه وسلم أشرق وجهه وسره - [بسى قوله] : ،

وحدثنا محمد بن عبد الله بن حَوْشَب ، حدثنا عبد الوهاب ، حدثنا خالد الحذاء ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر : اللهم أنشئك صهلك ووعدك ، اللهم إن شئت لم تمعبد : فأخذ أبو بكر يديه ، فقال : حسبك . فخرج وهو يقول : (سيُهْزَمُ الجَمْعُ ويوفونَ الله دُبرُ) (٥) :

ورواه النسائى عن يَنْفَع ، عن عبد الوهاب بن (٦) عبد المجيد التميمى .

(١) سنة الإمام أحمد : ٣٠١/٣١ .

(٢) مسلم ، كتاب الجهاد ، باب الإمداد باللائكة في قزوة بدر وإيالة القتلى : ١٥٩/٥ - ١٥٨ ، وتسن أبى داود كتاب الجهاد ، باب في فداء الأمير بالمال ، الحديث ٥٠٧٥ : ٤٩٨/٨ - ٤٧١ ، وقال الترمذى : « هذا حديث حسن صحيح قريب » . وتفسير الطبرى ، الأثر ١٥٧٣٤ : ١٣/٤٠٩ : ٤١٠ .

(٣) ينظر آثار هذه الجملة في تفسير الطبرى : ٤١٠/١٣ : ٤١١ .

(٤) تفسير الطبرى ، الأثر ١٥٧٤١ : ١٣/٤١١ .

(٥) الحديثان في البخارى ، كتاب المغازى : ٩٢/٥ ، ٩٣ .

(٦) في النسخة : « عبد الوهاب بن عبد المجيد » . وهو خطأ ، ينظر ترجمته في التلخيص : ٤٤٩/٦ : ٤٥٠ .

وقوله تعالى : (يَأْتِيَنَّكَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مَرَدِفِينَ) ، أى : يَرُدُّونَ بِمَشْهُمٍ بَعْضُ ، كما قال هارون بن عثرة (١) ، عن ابن عباس (مَرَدِفِينَ) : مُتَعَيِّفِينَ (٢) :

ويحتمل أن للراد (مردفين) لكم ، أى : نجدة لكم ، كما قال العوفي ، عن ابن عباس : (مردفين) ، يقول : للذمة ، كما تقول : إقت الرجل فزده وكلنا (٣) :

ومكلا قال مجاهد ، وابن كثير القارىء ، وابن زيد : (مردفين) : مُسَدِّينَ :

وقال أبو كندبة (٤) ، عن قابوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس (مردم بالث من الملائكة مردفين) ، قال : وراه كل ملكك ملك (٥) :

وفى رواية بهذا الإسناد : (مردين) ، قال : بعضهم على أثر بعض : وكذا قال أبو طليان ، والشمسك ، وقادة :

وقال ابن جرير : حدثني لثني ، حدثنا إسحاق ، حدثنا يعقوب بن محمد الزهرى ، حدثني عبد العزيز بن همران ، عن الزمعي (٦) ، عن أبي الحويرث ، عن محمد بن جُبَيْر ، عن علي بن رضى الله عنه قال : نزل جبريل في ألف من الملائكة عن مينة النبي صلى الله عليه وسلم [وفيها أبو بكر : وتزل ميكائيل في ألف من الملائكة عن ميسرة النبي صلى الله عليه وسلم] ، وأتاك ليسرة (٧) :

وهذا يقتضى - لو صح إسناده - أن الألف مرقة بظنها ، ولهذا قرأ بعضهم : (مردفين) بفتح الدال ، فافهم :

والشهر ما رواه علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قال : وأمد الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بألف من الملائكة ، فكان جبريل في خميسة من الملائكة مُجَنَّبَةٍ ، وميكائيل في خميسة مُجَنَّبَةٍ (٨) :

وروى الإمام أبو جعفر بن جرير ، ومسلم ، من حديث عكرمة بن عمار ، عن أبي ذؤَيْل سمك بن وليد الحنظلي ، عن ابن عباس ، عن عمر الحديث المظلم : ثم قال أبو ذؤَيْل : حدثني ابن عباس قال : بينا رجل من المسلمين يشتد (٩) في أثر رجل من المشركين أمامه ، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه ، وصوت لقابوس [يقول : «أقدم حَيْزُومُ» (١٠)] ،

(١) فى المخطوطة : «هارون بن عثرة» . وهو خطأ ، وترجمته فى التلخيص : ٩/١١ : ١٠ .

(٢) تفسير الطبرى : الأثر ١٥٧٤٣ : ٤١٢/١٣ .

(٣) الأثر فى تفسير الطبرى ، برقم ١٥٧٤٢ : ٤١٣/١٣ ، ولفظه : «يقول : للزيد» . وفى مخطوطة الأزهري : «يقول الله» ، والآثار المنقولة عن مجاهد وابن كثير تزيد نص المخطوطة .

(٤) أبو كندبة - بضم الكاف وفتح الدال - هو : يحيى بن المطلب ، ينظر ترجمته فى التلخيص : ٢٨٩/١١ .

(٥) تفسير الطبرى ، الأثر : ١٥٧٤٥ : ٤١٢/١٣ .

(٦) هو موسى بن يعقوب الزمعي القشري ، ثقة - ينظر التلخيص : ٣٧٨/١٠ : ٣٧٩ .

(٧) لفظ الطبرى : «وأنا ليا» . والأثر فى تفسير الطبرى برقم ١٥٧٥٦ : ٤١٧/١٣ . وما بين القوسين سقط عن مخطوطة الأزهري .

(٨) عجنة الجيش : هى التى تكون فى المينة والميسرة . والأثر فى تفسير الطبرى برقم ١٥٧٧٠ : ٤٢٣/١٣ : ٤٢٤ .

(٩) يشتد : يسرع .

(١٠) لى : أجريه ، يا حيزوم حل للمحو ولا تحجم . والحيزوم : اسم فرس الملك .

إذ نظر إلى المشرك أمامه ، فخر مستظبا قال [(١) : فظفر إليه ، فإذا هو كد خُطيم] (٢) ، وشن وجهه كضربة السوط ، فانخر (٣) ذلك أجمع ، فجاء الأنصارى فحدث ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : صدقت ، ذلك من مدد السماء الثالثة ، فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين .

وقال البخارى : باب شهود الملائكة بدرًا : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدثنا جرير ، عن يحيى بن حمزة : من مغازي بن رفاعه بن رافع الزرقى ، عن أبيه - وكان أبوه من أهل بدر - قال : جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ما تمدون أهل بدر فيكم ؟ قال : من أفضل المسلمين - أو كلمة نحوها - قال : وكلتكم من شهد بدرًا من الملائكة . (٤) .

انفراد بإخراجه البخارى ، وقد رواه الطبراني في المعجم الكبير من حديث رافع بن خديج ، وهو خطأ ، والمصواب رواية البخارى ، والله أعلم .

وفى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمرًا شاوره في قتل حاطب بن أبى بلتعة : إنه كد شهيد بدرًا ، وما يدريك لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم (٥) .

قوله تعالى : (وما جعله الله إلا بكري) : الآية ، أى : وما جعل الله بكم الملائكة وإعلامًا لإياكم بهم إلا بكريه (ولتطمئن به قلوبكم) : وإلا فهو تعالى قادر على تصرفكم على أعتابكم بدون ذلك ، ولما قال : (وما النصر إلا من عند الله) ، كما قال تعالى : (فإذا قيم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا اثبتهم فقتلوا الوقت فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ، ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليلو بضكم بعض والذين قلوا في سبيل الله قلن يشل أعلام . سيهديم ويصلح بالهم . ويخلفهم الحجة عرفها (٦) لهم) ، وقال تعالى : (وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويصد منكم شهداء والله لا يحب الظالمين : وليمحى الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين) (٧) ، فهذه حكمت شرع الله جهاد الكفار بأبدى المؤمنين لأجلها . وقد كان تعالى إنما يعالج الأمم الساقطة للكعبة بالأنبياء بالتواريخ التى تم تلك الأمة المكعبة ، كما أملاك قوم نوح بالطوفان ، وحادًا الأولى بالدبور ، وثمود بالصيحة ، وقوم لوط بالنسف والقلب وحجارة السجيل ، وقوم شعيب يوم الظلة ، فلما بعث الله تعالى موسى وأملاك عدوه فرعون وقومه بالفرق في الهم ، ثم أزل عن موسى الثوراة ، شرع فيها قتال الكفار ، واستمر الحكم في بقية الشرائع بعده على ذلك ، كما قال تعالى : (ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر) (٨) ، وكفى المؤمنين الكافرين أشد إهانة

(١) ما بين القوسين عن صحيح مسلم ١٥٧٥ .

(٢) خطم الله : أى حصل على الله أثر من الضربة .

(٣) أى : قصار موضع ذلك كله أعسر .

(٤) البخارى ، كتاب المغازي ، باب شهود الملائكة بدرًا : ١٠٣/٥ .

(٥) البخارى ، كتاب المغازي ، باب فضل من شهد بدرًا : ٩٨/٥ ، ٩٩ . ومسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب من

قتل أهل بدر رضى الله عنهم ، وقصة حاطب بن أبى بلتعة : ١٦٧/٧ ، ١٦٨ .

(٦) سورة هود : آية ٦٤ .

(٧) سورة آل عمران : الآية ١٤٠ ، ١٤١ .

(٨) سورة القصص : آية ٤٣ .

للكافرين ، وأثنى لصدور المؤمنين ، كما قال تعالى المؤمنين من هذه الآية : (قاتلهم بطلبهم الله بأيديكم ، ويضرم ويصترم عليهم ، ويشت صدور قوم مؤمنين (١)) ، ولهذا كان قتلُ صناديد قریش بأيدي أعدائهم الذين ينظرون إليهم بأعين ازدراهم أنكى لهم وأثنى لصدور حزب الإيمان . فقتلُ أبي جهل في معركة القتال وحومة الوغى أشد إهانة له من أن يموت على فراشه بقنطرة أو صابغة أو نحو ذلك ، كما مات أبو لبب - لعنه الله - بالعدسة (٢) بحيث لم يقر به أحد من أقاربه ، وإنما ضلوه بالده فلما من بعيد ، ورجموه حتى دفعوه ، ولهذا قال تعالى : (إن الله عزيز) ، أي : له العزة ولرسوله والمؤمنين . هما في الدنيا والآخرة ، كما قال تعالى : (إنا لننصر رسلا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد) ، (حكم) فيما شرحه من قتال الكفار ، مع القنطرة على دمارهم وإهلاكهم ، بحوله وقوته ، سبحانه ومعالى .

إِذْ يَتَنَبَّهَاتُ النَّاسُ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١٠﴾ إِذْ يُرْسِي رَبُّكَ إِلَى الْحَلَكَةِ إِيَّاهُ مَعْكُمْ فَذَعَبُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَائِلِينَ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَلْعَبَ فَأَظْهَرُوا قُوَّةَ الْأَعْتَقِ وَأَضْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ هَانُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُسِغْ فِي اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٢﴾ ذَلِكَ فَذُوقُوا وَلَئِنَّ الْكَافِرِينَ لَعَلَابِ النَّارِ ﴿١٣﴾

يذكرهم الله بما آلم به عليهم من إلقاءه الناس عليهم ، أماناً من خوفهم الذي حصل لهم من كثرة عدوهم وقلة عدوهم ، وكذلك فعل تعالى بهم يوم أحد ، كما قال تعالى : (ثم أنزل عليكم من بعد الفم أمة فأنشأ طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم (١٣)) :

قال أبو طلحة : كنت من أصحابه الناس يوم أحد ، ولقد سقط السيف من يدي مراراً يسقط وأخذه ، ويسقط وأخذه ، ولقد نظرت إليهم يعملون وهم تحت الحججف (١٤) :

وقال الحافظ أبو يعلى : حدثنا زهير ، حدثنا ابن مهدي ، عن شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن حارثة بن مضرب ، عن علي رضي الله عنه قال : ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد ، ولقد رأيته وما فينا إلا نائم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يعمل تحت شجرة ويكيى حتى أصبح :

وقال سفيان الثوري ، عن حاتم عن أبي رزین ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال : الناس في القتال لمة من الله ، وفي الصلاة من الشيطان (١٥) :

(١) سورة لقوة : آية : ١٤ .

(٢) اللعة : بزة تلبس اللعة ، تخرج في مواضع من الجسد ، لتقل صاحبها غالباً (النهاية) .

(٣) سورة آل عمران : آية : ١٥٤ .

(٤) ينظر فيما تقدم الآية ١٥٤ من سورة آل عمران ، فقد مضى هذا الأثر ، وأخرجناه ، وخرجناه كلمة الحجة هناك ١٢٥٪٢ .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٧٨ : ١٤٪١٣ .

وقال قتادة : التماس في الرأس ، والتمس في القلب .

قلت : أما التماس فقد أصبح يوم أحد ، وأمر ذلك مشهور جدا ، وأما يوم بدر فلهذه الآية الشريفة إنما هي في سياق قصة بدر ، وهي حالة حل وقوع ذلك أيضا وكان ذلك كان سجية المؤمنين عند شدة الهأس لتكون قلوبهم آمنة مطمئنة بنصر الله . وهلمن فضل الله ورحمته بهم ونعمته عليهم ، وكما قال تعالى : (فإن مع العسر يسرا : إن مع العسر يسرا) (١) ولهذا في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان يوم بدر في العريش مع الصديقين رضي الله عنه ، وهما يدهوان ، أعلنت رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة من القوم ، ثم استيقظ متبهما فقال : أبشرا يا أبكر ، هذا جبريل على ثيابه النّعْج (٢) . ثم خرج من باب العريش وهو يتلو قوله تعالى : (سيعزم الجمع ويرولون لذّ يور) .

وقوله : (ويتزل عليكم من السماء ماء) ، قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قال : نزل النبي صلى الله عليه وسلم - يعني : حين سار إلى بدر - والمسلمون (٣) بينهم وبين الماء ملة دعهمة (٤) ، فأصاب المسلمين ضحكة شديدة ، وألقى الشيطان في قلوبهم الغيظ ، يوسوس بينهم : ترحمون أنكم أولياء الله تعالى وفيكم رسوله ، وقد عليكم المشركون على الماء ، وأنتم تصلون مجتنبين إظمار الله عليهم مطرا شديدا ، فشرب المسلمون وتطهروا ، وأذهب الله عنهم رجز الشيطان واشتد (٥) الرمل حين أصابه للطر ، ومشى الناس عليه والدواب ، فصاروا إلى القوم ، وأمد الله نبيه صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين بألف من الملائكة ، فكان جبريل في حسيمة مجتنبية ، وميكائيل في حسيمة مجتنبية (٦) . وكذا قال العوفي عن ابن عباس : إن للمشركين من قريش لما خرجوا لينصروا العبر وليقاتلوا عنها ، نزلوا على الماء يوم بدر ، فظفروا المؤمنين عليه . فأصاب المؤمنين القلما ، فطبعوا يصلون مجتنبين مسجلين ، حتى تاملوا ذلك في صلورهم ، فأتوا الله من السماء ماء حتى سال الوادي ، فشرب المؤمنون ، واملأوا الأسقية ، وسقوا الرّكاب ، واغتسلوا من الجنابة ، فبعل الله في ذلك طهورا ، وثبت الأقدام . وذلك أنه كانت بينهم وبين القوم ملة ، فبعث الله المطر عليها ، ففصرها حتى اشتدت ، وثبت عليها الأقدام (٧) .

ونحو ذلك روى عن قتادة ، والفسحك ، والسدّي ،

وقد روى عن سعيد بن المسيب ، والشعبي ، والزهرى ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم : أنه طش أصحابهم يوم بدر (٨) .

(١) سورة الانشراح : آية : ٦٥ .

(٢) التّعج : التّيسار .

(٣) في المخطوطة : « والمشركون بينهم وبين الماء » . ولا يستقيم عليه السياق ، ولعلّ من تفسير الطبري .

(٤) « البصة » ، بكسر الهمزة وسكون العين : طائفة من الرمل مجتمعة ، يعني أنها أرض لينة تسوخ فيها القدم وتكونس .

(٥) كذا في خطوطة الأثر ، وممنه : بيب الرمل . وفي تفسير الطبري : « وثبت الرمل » .

(٦) تفسير الطبري ، الأثر : ١٥٧٧٠ : ١٣/٤٢٢ : ٤٢٤ . وفيه معنى تفسير « حسيمة » منه قوله تعالى : « فاصبحنا لكم

أني بمدكم بألف من الملائكة جرحين » .

(٧) تفسير الطبري : الأثر : ١٥٧٧٠ : ١٣/٤٢٤ .

(٨) ينظر تفسير الطبري : ١٣/٤٢٢ : ٤٢٣ . والنفس : الخطر الثقيل ، وهو فوق الرذاذ .

والمعروف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سار إلى بدر ، ترك حلل أدنى ماء هناك ، أي : أول ماء وجدته ، فقدم إليه الحباب بن المنذر فقال : يا رسول الله ، هذا المنزل الذي تركته منزل أنزلكه الله قليس لنا أن نجاوزه ، أو منزل تركته الحرب والمكيبة ؟ فقال : بل ترك تركته الحرب والمكيبة : فقال : يا رسول الله ، إن هذا ليس بمنزل ، ولكن سر بنا حتى نزل حلل أدنى ماء على القوم ونموت ماوراءه من القتل^(١) ، ولستى الحياض فيكون لنا ماء وليس لهم ماء ، فصار رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل كذلك (٢) .

وفي مناقب « الأمل » أن الحباب لما قال ذلك ترك ملك من السماء وجبريل جالس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال ذلك الملك : يا بعدد ، إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك : إن الرأى ماأشار به : الحباب بن المنذر ، فالتفت رسول الله إلى جبريل عليه السلام فقال : هل تعرف هذا ؟ فنظر إليه فقال : ماكل الملائكة أمرهم ، وإنه ملك وليس يشيطان .

وأحسن ما في هذا ما رواه الإمام محمد بن إسحاق بن يسار صاحب « المناقب » رحمه الله : حدثني يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير قال : بعث الله السماء وكان قرادى دحسا (٣) ، فأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ما لم يدلم الأرض ولم يمتهم من المسير ، وأصاب قريبا ما لم يقدروا على أن يرحلوا معه (٤) . وقال مجاهد : أنزل الله عليهم المطر قبل القماس ، فأطفأ بالمطر النار ، وتبدلت به الأرض ، وطابت نفوسهم ، ولبت به أنفاسهم (٥) .

وقال ابن جرير : حدثنا هارون بن إسحاق ، حدثنا مصعب بن القدام ، حدثنا إسرائيل ، حدثنا أبو إسحاق عن حارثة ، عن علي بن رضى الله عنه قال : أصابتنا من الليل مئذ من المطر - يعني الليلة التي كانت في صبيحتها وفاة بدر - فانتقلنا تحت الشجر والصحف (٦) ، تستظل تحتها من المطر : وبات رسول الله صلى الله عليه وسلم [يلحى ربه] اللهم ، إن تهلك هذه العصابة لانتبدل الأرض : ، فلا أن طلع الحجر ، نادى : « الصلاة ، عباد الله ! » ، فجاء الناس من تحت الشجر والصحف ، فصل بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم (٧) وحرص على القتال .

وقوله (ليظهركم به) ، أي : من حدث أصغر أو أكبر . وهو تطهير الظاهر : (ويلعب عنكم رجس الشيطان) ، أي : من وسوسة أو خاطر سيء ، وهو تطهير الباطن ، كما قال تعالى في حق أهل الجنة : (عليهم ثياب خضر) ولسترهم وحلوا أساور من فضة) ، فهنا زينة الظاهر ، (وسقامهم ربه شربا طهورا (٨)) ، أي : مطهرا لما كان من قبل أو حسدا أو تافضا ، وهو زينة الباطن وطهارته .

(١) القلب - يستعين - جميع قلب ، وهو : البتوني مستغرق تاج العروس ، مادة حور ، وقال شمر : حورت حيون المياه : إذا دفنتها وسدتها . وينظر فروض الألف السهل : ٦٦/٢ .

(٢) ينظر سيرة ابن هشام : ١٦٠/١ .

(٣) القم : كل مكان لين .

(٤) سيرة ابن هشام : ٦٢٠/١ .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر : ١٥٧٧ : ١٣/٤٢٥ .

(٦) الحجب - يفتحان - واحدة حجفة : وهي الترس ، يكون من الجلود ، ليس فيه خشب ولا مطب .

(٧) ما بين القومين سفل من غلظة الأزهر ، والبطيات الصائفة ، أجتهد من تفسير الطبري ، الأثر : ١٥٦٦ : ١٤/٤٢٢ .

(٨) سورة الإنسان ، آية : ٢١ .

(وليربط على قلوبكم) ، أى : بالصبر والإقدام على مجالبة الأعداء ، وهو شجاعة الباطن ، (وَيُثَبِّتْ بِهِ الْأَقْدَامَ) ، وهو شجاعة الظاهر ، والله أعلم .

وقوله : (إِذْ يُوْحَىٰ رِبْكَ إِلَى الْمَلَكَةِ أَنْ مَعَكُمْ قَبِيلُ الَّذِينَ آمَنُوا) ، وهذه نعمة خفية أظهرها الله تعالى لمحمد ، ليذكروه عليها وهو أنه - تعالى وتعالى وتبارك وتعالى - أوحى إلى الملائكة الذين أنزلهم لنصرة نبيه ودينه وحزبه المؤمنين يوحى إليهم فيما بينه وبينهم أَنْ يُخْرِجُوا الَّذِينَ آمَنُوا ،

قال ابن إسحاق : ولزروهم . وقال غيره : قاتلوا معهم : وقيل : كثروا صَوَادِمَهُمْ : وقيل : كَانَ ذَلِكَ بِأَنَّ الْمَلَكَةَ كَانَتْ بِأَنَّى الرَّجُلِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : سمعت هؤلاء القوم - يعنى المشركين - يقولون : والله لئن حملوا علينا لَنَنكُتْكَسِفْنَ . فيحدث المسلمون بعضهم بعضا بذلك ، فعزى أنفسهم . حكاه ابن جرير ، وهذا لفظه بحروفه (١) .

وقوله : (سَأَلَنِي فِى الْغَرْبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّحْبَ) ، أى : فَبِتُّرَا أَنْتُمْ لِلْمُسْلِمِينَ وَقَرُّوا أَنْفُسَهُمْ عَلَى أَعْدَائِهِمْ ، من أمرى لكم بذلك : سألتى الرب والملائكة والجن على من خالف أمرى ، وكذب رسولى ، (فَاضْرِبُوا فُجُورَ الْأَعْتَقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمُ كُلَّ بَنَانٍ) ، أى : اضربوا اللام فقلعوها ، واحترقوا الرقاب قسطعوها ، وقطعوا الأطراف منهم ، وهى أيديهم وأرجلهم .

وقد اختلف المفسرون فى معنى : (فُجُورَ الْأَعْتَقِ) ، فقليل : معناه اضربوا الرموس ، قاله عكرمة (٢) ،

وقيل : معناه (فُجُورَ الْأَعْتَقِ) ، أى : على الأعناق ، وهى الرقاب ، قاله الضحاك ، وعصية الصَّوْقِ (٣) ،

ويشهد لهذا المعنى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَرْشَدَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى هَذَا فِى قَوْلِهِ تَعَالَى : (فَإِذَا قُتِلُوا فَمِنْهُمْ كُفَرُوا فَضَرْبُ الرِّقَابِ) ، حتى إِذَا اخْتَصَمُوا فَضَلُّوا الْوَلَّى (!) .

وقال وكيع ، عن المسعودى ، عن القاسم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إِنْ لَمْ يُبْعَثْ لَأَعْلَبِ بِلَدَابِ اللَّهِ ، إِنْما بعثت بضرب الرقاب [وشد الرقاب (٤)] .

واخطأ ابن جرير أنما قد نكح على ضرب الرقاب وقتل اللام ،

قلت : وفى مغازى الأعمى : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جبل بمر بين القتل يوم بدر فيقول :

نُفِّكْتُ هَامَا ١٣٪ ٤٢٩ ، وما بين القوسين .

(١) تفسير الطبري : ٤٢٨٪ ١٣ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٧٨٧ : ١٣٪ ٤٣٠ .

(٣) تفسير الطبري : ٤٢٩٪ ١٣ .

(٤) سورة محمد ، آية : ٤ .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٧٨٥ : ١٣٪ ٤٢٩ ، وما بين القوسين .

فيقول أبو بكر :

مِنْ رِجَالٍ أَعَزَّةٌ حَكِيمَاتٌ وَهُمُ كَانُوا أَعَزَّ وَأَعْلَمَا (١)

فيعتد به رسول الله صلى الله عليه وسلم بأول البيت ، ويستعلم أبا بكر رضي الله عنه إنشاء آخره ، لأنه كان لا يحسن إنشاء الشعر ، كما قال الله تعالى : (وما علمناه الشعر وما ينبغي) (٢) له .

وقال الريح بن أنس : كان الناس يوم بدر يعرفون قتل الملائكة عن قتالواهم بضرب فوق الأحناف ، وعلى البتآن مثل سمة النار قد أحرق (٣) به .

وقوله : (واضربوا منهم كل بنان) ، قال ابن جرير : معناه : واضربوا أيها المؤمنون من عدوكم كل طرف ومفصل أطراف أيديهم وأرجلهم : « والبنان » : جميع بناتة ، كما قال الشاعر (٤) :

أَلَا تَجِدُنِي قَطَعْتُ مَنَى بَنَاتِكُ وَلَا كَيْفَتُهُ فِي الْبَيْتِ يَكْظُمَانِ حَكَادِرَا (٥)

وقال علي بن أبي حمزة ، عن ابن عباس : (واضربوا منهم كل بنان) يعني بالبنان : الأطراف (٦) : وكلما قال الضحاك وابن جرير .

وقال السدي : البنان الأطراف ، ويقال : كل مفصل .

وقال حكرمة ، وعليه الموق والضحاك - في رواية أخرى - : كل مفصل .

وقال الأوزاعي في قوله تعالى : (واضربوا منهم كل بنان) ، قال : اشرب منه الوجه والعين ، وأرمه بشهاب من نار ، فإذا أخطه حرم ذلك كله عليك (٧)

وقال العوفي ، عن ابن عباس - فلنكر قصة بدر إلى أن قال - : فقال أبو جهل : لا تقتلهم قتلا ، ولكن خذوهم أخطاء ، حتى تعرفهم التي صنعوا من طعنهم في دينكم ، ورضيتهم عن الفلات والذرى . فأوحى الله إلى الملائكة : (أني معكم ، فقتلوا الذين آمنوا ، سألني في قلوب الذين كفروا الرعب ، فاضربوا فوق الأحناف واضربوا منهم كل بنان) فقتل أبو جهل لعنه الله في تسعة وستين رجلا ، وأسر حقيق بن أبي معيط فقتل صبيرا ، فوئى ذلك سبعين يعني قبلا .

ولذلك قال تعالى : (ذلك بأنهم شاكروا الله ورسوله) ، أي : خالفوها فصاروا في شق ، وتركوا الشرع والإيمان به واتباعه في شق ، - و[هو] ماؤذ أيضا من شق الصبا ، وهو جعلها فرقتين - (ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله

(١) البيت للصين بن الحمام المري ، وهو شاعر جاهل ، يمه من أوفياء العرب ، وكان شاعرا مقلا . وقد ذكر ابن قتيبة البيت في أبيات آخر ، ينظر الشعر والشعراء : ٦٤٨/٢ .

(٢) سورة يس ، آية : ٦٩ .

(٣) قال المتنوري السيوطي : ٧٢/٣ .

(٤) هو العباس بن مرداس السلمي .

(٥) البيت في تفسير الطبري : ٤٣١/١٣ ، وجزاز القرآن لأبي حنيفة : ٢٤٢/١ ، واللسان ، مادة : بنن .

(٦) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٧٩٢ : ٤٢٢/١٣ .

(٧) الفهر المستورد السيوطي : ١٧٢/٢ .

شديد العقاب ، أي : هو الطالب الطالب من مخالفه وتناوله ، لا يفوته شيء ، ولا يقوم لغضبه شيء ، تبارك وتعالى لا إليه [غيره ، ولا رب] سواء
(ذلكم فلو ترون وأن الكافرين عذاب النار) هذا خطاب للكفار ، أي : فلو تروا هذا العذاب والهلاك في الدنيا ، واعلموا أيضا أن الكافرين عذاب النار في الآخرة :

يُنَادِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا تُقُولُوهُمْ الْآذَانُ مَوْتٌ يَوْمَئِذٍ مَمَّاتٌ وَلَا مَمَرٌ لَّهَا
لِقَاتُهَا لَوْ مَتَّعْنَاهَا إِلَىٰ قِيَمَةِ وَقْتٍ إِنَّهُ يَفْقَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ جَهَنَّمَ وَبَيْنَ يَدَيْهِ الْمَصِيرَ ﴿١٠﴾

يقول تعالى من عندنا على القرار من الزحف بالنار من قبل ذلك : (يا أيها الذين آمنوا ، إذا نفخ في الصور ، أي : فناديهم منهم وندوتهم إليهم ،) فلا تقولوا لهم الأذان ، أي : تروا وتذكروا أصعابكم ، (ومن يولم يومئذ وجهه إلا متحرقا لقتال) ، أي : يفترق بين يدي قبره مكبلة ، ليريه أنه خائف منه فيقتله ، ثم يكبر عليه فيقتله ، فلا بأس عليه في ذلك : نص عليه سعيد بن جبير ، والسدي (١) :

وقال الفساحي : أن يقدم عن أصحابه ليرى غيره من العدو فيصيحوا
(أو متحيزا إلى فئة) ، أي : فر من هاتنا إلى فئة أخرى من المسلمين ، يمازتهم ويماولوه ، فيجوز له ذلك ، حتى لو كان في سرية لفر إلى أميره أو إلى الإمام الأعظم دخل في هذه الرخصة .

قال الإمام أحمد : حدثنا حسين ، حدثنا زهير ، حدثنا يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : كنت في سرية من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخاص (٢) الناس حشيشة وكنت فيمن [خاص] ، قلنا : كيف صنعت وقد فروا من الزحف ويؤثرون بالغضب ؟ ثم قلنا : لو دخلنا المدينة فقتلنا ؟ ثم قلنا : لو عرضنا أنفسنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن كانت لنا توبة وإلا فقتلنا ؟ فأتينا قبل صلاة الغداة ، فخرج فقال : من القوم ؟ قلنا : نحن القارون . فقال : لا ، بل أنتم السكارون (٣) أنا فتكم ، وأنا فئة المسلمين ، قال : فأتيناه حتى قبلكم يده . (٤) .

وهكذا رواه أبو داود (٥) ، والترمذي ، وابن ماجه ، من طرق عن يزيد بن أبي زياد ، وقال الترمذي : حسن (٦) لا نعرفه إلا من حديثه .

ورواه ابن أبي حاتم ، من حديث يزيد بن أبي زياد ، به - وزاد في آخره : « وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية : (أو متحيزا إلى فئة) »

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٧٩٦ : ١٣ / ٤٣٦ . وأثر الفساحي الذي يأتي قبله .

(٢) الحشيش : الحية من الثياب ، يقال : خاصته حشيشا : رجع ، وخاصوا من العدو : أجزأوا .

(٣) السكر : البلى يمر إلى إبله ليصره ، ليس يريه للفرار من الزحف . ولفظة : الجماعة من الناس ، والمائة التي تقوم وراء الجيش .

(٤) مستدرك الإمام أحمد : ٧٠ / ٢ ، ويظهر أيضا المستدرك ٨٦ / ٢ : ١٠٠ ، ١١١ .

(٥) سنن أبي داود ، كتاب الجهاد ، باب : في القول يوم الزحف ، الحديث ٣٦٤٦ : ٤٦ / ٢ ، وصحفة الاحمدي .

أبو داود الجهاد ، باب ما جاء في الفرار من الزحف ، الحديث ١٧٧ : ٣٧٨ / ٥ : ٣٧٩ .

(٦) في نسخة الأخرى : « حسن قريب ... »

قال أهل العلم : معنى قوله : « المكرون » ، أى : العطفون . وكذلك قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى ابن عبّيد لما قتل على الجسر بأرض فارس ، لكثرة الجيش من ناحية المجوس ، فقال عمر : لو انحاز إلى كُنتَ له فته . هكذا رواه محمد بن سيرين ، عن عمر (١)

وفى رواية أبى عثمان النهدي ، عن عمر قال : لما قتل أبو عبّيد قال عمر : يا أيها الناس ، أنا فُتِكم (٢)

وقال مجاهد : قال عمر : أنا فُتِ كل مسلم

وقال عبد الملك بن عمار ، عن عمر : أيها الناس ، لا تترككم هذه الآية ، فإنما كانت يوم بدر ، وأنا فُتِ لكل مسلم

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا حسان بن عبد الله المصرى ، حدثنا خُثَلاَد بن سُلَيمان الحضرمى ، حدثنا قانع : أنه سأل ابن عمر قلت : إنا قوم لا نثبت عند قتال عدونا ، ولا نلوى من الفقه : إمامنا أو صكرنا ؟ قال : إن إن القيثّة رسول الله صلى الله عليه وسلم : قلت : إن الله يقول : (إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً) ... الآية ، فقال إنما نزلت هذه الآية فى يوم بدر ، لا قبلها ولا بعدها (٣)

وقال الفصحاك فى قوله (أو متحيزاً إلى فقه) : « التحيز » : القار إلى التّبي وأصحابه ، وكذلك من فر اليوم إلى أميره أو أصحابه (٤)

فلما إن كان القرار لاعتبر سبب من هذه الأسباب ، فإنه حرام وكبيرة من الكبائر ، لا رواه البخارى ومسلم فى صحيحهما عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اجتنبوا سبع الموبقات : قيل : يا رسول الله ، وما هن ؟ قال : « الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم والتولى يوم الزحف » وقلدت المصنعات للفاضلات للمؤمنات (٥)

ولمّا الحديث شواهد من وجوه أخر ، ولمّا قال تعالى : (قد ياه) ، أى : رجع (بغضب من الله ومأواه) ، أى : مصيره ومثله يوم يحاده (جهنم ويسى للصير)

وقال الإمام أحمد : حدثنا زكريا بن عدى ، حدثنا حيد الله بن صَمْرُو الرقى ، عن زيد بن أبى أنيسة ، حدثنا جبلة ابن سحّيم عن أبى الخثعميّ ، سمعت السدوسى - يعنى ابن الخصاصية ، وهو بشر بن مَعْبُد - قال : أتيت النبي - صلى الله عليه وسلم لأبأيه ، فاشتَرَطَ حلى : « شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وأن أقيم الصلاة ، وأن أؤدى الزكاة ، وأن أحجّ حجّة الإسلام ، وأن أصوم شهر رمضان ، وأن أجاهد فى سبيل الله » .

قلت : يا رسول الله ، أما الشان فوالله لا أطيقهما : الجهاد لأنهم عوا أنه من ولىّ الدّير فقد ياه بغضب من الله ، فأعاف

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٨١٢ : ٤٣٩/١٣ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٨١٤ : ٤٣٩/١٣ . ٤٤٠ . وأثر مجاهد يفسره .

(٣) اللد المنثور للسيوطي : ١٧٣/٣ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٧٩٥ : ٤٣٩/١٣ .

(٥) معنى تخرج هذا الحديث ، عنه قوله تعالى : « إن تجتنبوا كبائر ما نهون عنه ... الآية ٢١ من سورة النساء : ٢٣ » .

إن حضرت ذلك! خشعت (١) نفسي وكرهت للموت - والصدقة ، فوالله ما لي إلا غنيمَةٌ وعشر ذُودٌ هنَّ رسلُ (٢) أهلٍ وحَمُولَتُهُمْ . قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ، ثم حرك يده ، ثم قال : فلا جهاد ولا صدقة ، فم تدخل الجنة إذا ؟ قلت : يا رسول الله ، أنا أباطك : فبابك عليهم كلهم (٣)

هذا حديث غريب من هذا الوجه ، ولم يخرجوه في الكتب الستة .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني : حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى بن حمزة ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم أبو النضر ، حدثنا يزيد بن ربيعة ، حدثنا أبو الأشعث ، عن ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاثة لا يضرهم عمل الشر : أباه ، وعقوق الوالدين ، والفرار من الجحش » .

وهذا أيضا حديث غريب جدا

وقال الطبراني أيضا : حدثنا العباس بن الفضل الأسفاطي (٤) حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا حصن بن حشمر الشنقي ، حدثني عمرو بن مرة قال : سمعت بلال بن يسار بن زيد - مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : سمعت أبي عجلت من جدتي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قال : « أستغفر الله الذي لا إله إلا هو وأتوب إليه » غفر له وإن كان قد فرَّ من الجحش »

وهكذا رواه أبو داود عن موسى بن إسماعيل ، به : وأخرجه الترمذي ، عن البخاري ، عن موسى بن إسماعيل به : وقال : غريب لا ترمه إلا من هذا الوجه (٥) .

قلت : ولا يعرف يزيد مولى النبي صلى الله عليه وسلم ، عنه سواء

وقد ذهب ذاهبون إلى أن القرار إنما كان حركا على الصلابة ، لأنه [يعني الجهاد (٦)] كان فرض عين عليهم . وقيل : على الأنصار خاصة ، لأنهم بايعوا على السمع والطاعة في المشقة واللحز . وقيل : المراد بهذه الآية أهل بدر خاصة ، يروى هذا عن عمر ، وابن عمر ، وابن عباس ، وأبي هريرة ، وأبي سعيد وأبي نضرة ، ونافع مولى ابن عمر ، وسعيد بن جبير ، والحسن البصري ، وعكرمة ، وقنادة ، والفضالة ، وغيرهم (٧) .

وحجبتهم في هذا أنه لم تكن عصابة لما شوكة يفتنون إليها سوى عصابته تلك ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « اللهم إن تهاك هذه العصابة لا تميد في الأرض » ، ولهذا قال عبد الله بن المبارك ، من مبارك بن فضالة ، من الحسن في قوله : (ومن يولم يرمئ ذبره) ، قال : ذلك يرم بدر ، فلما اليوم فلان انضج إلى فة أو مصر - أحسبه قال : فلا بأس عليه (٨) .

(١) في الحديث : « خشعت » . وفي نسخة الثانية ٢٢٠/١ بتحقيقنا : « جئت » .

(٢) الفرد من الإبل : ما فوق الخنتين إلى الخنق . والمرسل - يفتحن - : القلح .

(٣) سمته الإمام أحمد : ٢٢٤/٥ .

(٤) في المخطوطة : « الأسفاطي » بالفتح . وفي المجمع الصغير الطبراني ٢٠٩/١ : « الأسفاطي » بالياء ، وكلاما خطأ ، ينظر الباب : ٤٣/١ .

(٥) سنن أبي داود : كتاب الصلاة : باب : في الاستغفار ، الحديث ١٥١٧ : ٨٥/٢ . ونسخة الأحوص ، أبواب الدعوات ، الحديث ٣٩٤٨ : ٢٠/١٠ : ٣١ .

(٦) ما بين القوسين زيادة يستقيم بها السياق .

(٧) ينظر آثارهم في تفسير الطبري : ٤٣٩/١٣ - ٤٣٩ .

(٨) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٧٠٩ : ٤٣٨/١٣ .

وقال ابن المبارك أيضا ، عن ابن تهيبة : حدثني يزيد بن أبي حبيب قال : أوجب الله تعالى لمن قر يوم بدر النار ، قال : (ومن يومهم يومئذ جبره إلا متحرقا قتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله) ، فلما كان يوم أحد بعد ذلك قال : (إن الذين تولوا منكم يوم التي الجمعان) إلى قوله : (ولقد عفا الله عنهم) ، ثم كان يوم حنين بعد ذلك يسبع سنين ، قال : (ثم وليتم مدبرين : ثم يأتب الله من بعد ذلك حل من يشاء (١)) ، وفي سنه أبي حاد ، والنسائي ، ومستدرك الحاكم ، وتفسير ابن جرير ، وابن مرفوعة ، من حديث داود بن أبي حله عن أبي نصره ، عن أبي سعيد أنه قال في هذه الآية : (ومن يومهم يومئذ جبره) : إنما أنزلت في أهل بدر (٢) : وهلاكه لا يثنى أن يكون القتل من الخوف حرأما على خير أهل بدر ، وإن كان سبب التزول فيهم ، كما دل عليه حديث ابن هريرة المضمن ، من أن القرار من الرزق من الموفيات ، كما هو ملحق الجمابر ، والله أعلم ،

قُلْ مَنْ يُغْنِيكُمْ عَنْهُ اللَّهُ فَقَدْ غْنَىٰ وَلَكُمْ آلَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا مِّنْ كُلِّ ثَلَاثٍ ۚ ذَٰلِكُمْ هُوَ اللَّهُ مُخَيَّرُ الْغَنِيِّمْ فَهُوَ الْمَنَّانُ ۚ

بين تعالى أنه خالق أعمال العباد ، وأنه الممجد على جميع ما صدر عنهم من خير ، لأنه هو الذي وفقهم للملك وأمانهم ، ولذا قال : (فلم تغنهم ولكن الله غنى) ، أي : ليس يحولكم وقوتكم قطع أمدادكم مع كثرة عذمهم وقلة عذمكم ، أي : بل هو الذي أغنىكم عليهم كما قال تعالى : (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة (٣)) : الآية ، وقال تعالى : (لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا ، وضاعت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين (٤)) ، يعلم - تبارك وتعالى - أن النصر ليس عن كثرة العدد ، ولا بلبس الأداة (٥) والعدد ، وإنما النصر من عند الله تعالى ، كما قال : (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين (٦)) ،

ثم قال ليهي صلى الله عليه وسلم أيضا في شأن القريضة من الرقاب ، التي حصص بها وجوه المشركين يوم بدر ، خرج من العرش بعد دماحه ونصره واستكاثته ، فرماهم بها ، وقال : « شامت الوجوه » : ثم أمر أصحابه أن يصدقوا الحيلة إثرها ، ففعلوا ، فأوصل الله تلك الحصبة إلى أعين المشركين ، فلم يبق أحد منهم إلا ناله منها ما شغله عن حاله ، ولهذا قال : (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) ، أي : هو الذي بلغ ذلك إليهم ، وكهنتهم بها أنت ،

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٨١١ : ٢٨٨/١٣ : ٤٣٩ .

(٢) سنن أبي حاد ، كتاب الجهاد ، باب في التزول يومئذ ، الحديث ٢٦٤٨ : ١٦٣/٤ . والمستدرك ، كتاب التفسير : ٣٢٧/٢ ، وقال الحاكم : « هنا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجه » ووافقه الذهبي . وتفسير الطبري ، الآثار ١٥٨٠٢ - ١٥٨٠٣ : ٢٧٧/١٣ .

(٣) سورة آل عمران ، آية : ١٧٣ .

(٤) سورة التوبة ، آية : ٢٥ .

(٥) الكلمة : الفروع ، والصلاح .

(٦) سورة البقرة : آية : ٢٤٩ .

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه يني يوم بدر ، فقال : « يا ربه » إن هلك هذه العصابة ظن تصدق في الأرض أبداً . فقال له جبريل : « أخذ قبضة من التراب ، فأمس بها في وجوههم » [فأخذ قبضة من التراب ، فرمى بها في وجوههم] لما من المشركين أحد إلا أصاب عينيه ومنخره وفه تراب من تلك القبضة ، فولوا مدبرين (١) .

وقال السدي : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعل ، رضى الله عنه ، يوم بدر : « أعطى حصبا من الأرض » فناوله حصبا عليه تراب ، فرمى به في وجوه القوم ، فلم يبق مشرك إلا دخل في حبيته من ذلك التراب ، « حتى لم يردفهم » (٢) المؤمنين يقتلونهم ويأسرونهم ، وأنزل الله : (فلم تقتلهم ولكن الله قتلهم ، وما ميت إذ رميت ولكن الله رمى) (٣) . وقال أبو مشر المديني ، عن محمد بن قيس وعبد بن كعب القرظي قالا : « لما دنا القوم بعضهم من بعض ، أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضة من تراب ، فرمى بها في وجوه القوم ، وقال : « شأبت الوجوه » : فدخلت في أصيحتهم كلهم ، وأقبل أصحاب رسول الله يقتلونهم ويأسرونهم ، وكانت خزيمتهم في رمية رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأنزل الله : (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) (٤) .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) ، قال : هذا يوم بدر ، أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث حصصيات فرمى بحصاة ميمنة القوم ، وحصاة في يمسرة القوم ، وحصاة بين أظهرهم ، وقال : « شأبت الوجوه » فانزموها (٥) .

وقد روى في هذه القصة عن عروة بن الزبير ، وعجاء وعكرمة ، وقائدة وغير واحد من الأنمة : أنها نزلت في رمية النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر ، وإن [كان] قد فعل ذلك يوم حنين أيضاً .

وقال أبو جعفر بن جرير : حدثنا أحمد بن منصور ، حدثنا يعقوب بن محمد ، حدثنا عبد العزيز بن همران ، حدثنا موسى بن يعقوب بن عبد الله بن زمامة ، عن يزيد بن عبد الله ، عن أبي بكر بن سليمان بن أبي حشمة ، عن حكيم بن حزام قال : لما كان يوم بدر ، سمعنا صوتاً وقع من السماء ، كأنه صوت حصاة وقعت في طست ، وروى رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الرمية فانزمتنا (٦) .

غريب من هذا الوجه . وأما قولنا آخران غريان جداً ، أحدهما :

قال ابن جرير : حدثني محمد بن حوف الطائي ، حدثنا أبو المفيرة ، حدثنا عوفان بن هرو ، حدثنا عبد الرحمن ابن جبير : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم ابن أبي الحقيق بخير ، دعا بقوس ، فألقى بقوس طويلة ، وقال :

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٨٢٧ : ١٣ / ٤٤٥ .

(٢) رده : تبعه .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٨٢٥ : ١٣ / ٤٤٥ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٨٢٣ : ١٣ / ٤٤٤ .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٨٢٦ : ١٣ / ٤٤٥ .

(٦) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٨٢٢ : ١٣ / ٤٤٢ .

« جيثون بقوس غيرها : فجاءه بقوس كَيْلَهُ (١) ، فرى النبي صلى الله عليه وسلم الحصن ، فأقبل السهم بجوى حتى قتل ابن أبي الحقيق ، وهو في فراشه ، فأقول الله عز وجل : (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) (٢) .
 وهذا غريب ، وإسناده جيد إلى عبد الرحمن بن جُبَيْر بن نَفِير ، ولعله اشتبه عليه ، أو أنه أراد أن الآية تم هذا كله ، وإلا فسباق الآية في سورة الأناجيل في قصة بدر لا محالة ، وهذا مما لا يخفى على أئمة العلم ، والله أعلم .
 والثاني : روى ابن جرير أيضاً ، ولخاكم (٣) في مستدركه ، بإسناد صحيح إلى سعيد بن المسيب والزهرى أنهما قالا : أنزلت في رمية رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد أبي بن خلف بالحرية وهو في لأمته ، فخنقه في ترقوته ، فجعل يعللها عن فرسه مراراً ، حتى كانت وفاته بعد أيام قاسى فيها العذاب الأليم ، موصولاً بطلب البرزخ ، للتصل بطلب الآخرة »

وهذا القول عن هذين الإمامين غريب أيضاً جداً ، ولطهما أرادا أن الآية تتناوله بعمومها ، لا أنها نزلت فيه خاصة كما تقدم ، والله أعلم .
 وقال محمد بن إسحاق : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير في قوله : (وليلى المؤمنين من بلاد حسنا) ، أى : ليصرف المؤمنين من نعمته عليهم ، من إظهارهم على عدوهم مع كثرة عدوهم . وقلة عدوهم ، ليعرفوا بذلك حقه ، ويشكروا بذلك نعمته (٤) :

وهكذا فسر ذلك ابن جرير أيضاً . وفى الحديث « وكلّ بلاء حسن أبلاء »
 وقوله : (إن الله صبح عالم) ، أى صبح : الدعاء ، علم عن يستحق النصر والفتنة ؛
 وقوله : (ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين) : هله بشاره أخرى مع ما حصل من النصر : أنه أعلمهم تعالى بأنه مصفّ كيد الكافرين فيما يستقبل ، مصفّر أرمهم ، وأنهم كل ملغم في تيار ودمل ، والله الحميد والمنة .

إِنْ تَسْتَعِزُّوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَنُوحِشْكُمْ لَكُمْ وَإِنْ تَوَدُّوا نَعْدُ وَإِنْ تَنْفِرْ فَنُفِثْكُمْ شَيْعًا وَنُفِثْكُمْ
 كَثُرَتْ وَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦﴾

يقول تعالى للكفار : (إن تستعصروا) أى : تستصروا وتستعصوا الله وتحتكموه أن يفصل بينكم وبين أعدائكم المؤمنين ، قد جاءكم ما سألتم ، كما قال محمد بن إسحاق وغيره ، عن الزهرى ، عن عبد الله بن ثعلبة بن صهبر : أن أبا جهل قال يوم بدر : « اللهم أقطعنا رحم ، وأتانا بما لا نعرف ، فأخبره (٥) الفتنة » . وكان ذلك استغاثا منه فترات : (إن تستعصوا فقد جاءكم الفتح) ... إلى آخر الآية (٦) .

- (١) قوس كيداء : غليظة الكيد شديدتها . وكيد القوس : فوق مقبضها حيث يقع السهم .
 (٢) لم نجد هذا الأثر والى يليه في تفسير الطبري عند هذه الآية ، وقد نهى إليه المحدث عليه ، وذكر الأثرين وأخرجهما وقال :
 « فملا كله ، يوشك أن يربح سقوط شيء من أخبار أبي جعفر في هذا الموضع ... » ، ينظر تفسير الطبري : ١٣/٤٤٦-٤٤٨ .
 (٣) ينظر المستدركه ، كتاب التفسير : ٢٢٧/٢ .
 (٤) ينظر سيرة ابن هشام : ١/٦٦٨ ، وتفسير الطبري : ١٣/٤٤٨ .
 (٥) يقال : « حان فلان » : حلك ، وأساءته الله : أهلكه .
 (٦) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٨٤٦ : ١٣/٤٥٢ ، ٤٥٤ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد - يعني ابن حارون - أخبرنا محمد بن إسحاق (١) ، حدثني الزهري ، عن عبد الله بن ثعلبة : أن أبا جهل قال حين اتقى القوم : اللهم ، اقلعنا بالرحم ، وأكفنا بما لا نعرف ، فأخذه التلدة (٢) ، فكان المستفتح (٣) وأخرجه النسائي في التفسير من حديث ، صالح بن كيسان ، عن الزهري ، به : وكلما رواه الحاكم في مستدركه من طريق الزهري ، به ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه (٤) ، ورؤي هذا عن ابن عباس ، ومجاهد ، والفسحاك ، وقاعدة ، وي زيد بن رومان ، وغير واحد .

وقال السدي : كان المشركون حين خرجوا من مكة إلى بدر ، أعطوا بأستار الكعبة لاستعصروا الله وقالوا : اللهم انصر أهل الجنتين ، وأكرم القتين ، وغير القيلتين ، فقال الله : (إن تستفحوا فقد جاءكم الفتح) ، يقول : قد نصرت ما قلتم ، وهو محمد صلى الله عليه وسلم (٥) .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : هو قوله تعالى ليعلموا أنهم : (وإذا قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك) . . . الآية (٦) .

وقوله : (وإن تنصروا) ، أي : مما أنتم فيه من الكفر بالله والتكليب لرسوله ، (فهو خير لكم) ، أي : في الدنيا والآخرة : (وإن تمردوا بعد كفو له) (وإن هدمت دينا) (٧) ، معناه : وإن هدمت إلى ما كنتم فيه من الكفر والفلاة ، بعد لكم مثل هذه الواقعة .

وقال السدي : (وإن تمردوا) ، أي : إلى الاستطاح (نعد) إلى الفتح لمحمد صلى الله عليه وسلم ، وانصروه وتنظيره على أعدائه ، والأول أقوى (٨) ،

(وإن تنفي حكم فتكم شيئا ولو كنتم) ، أي : ولو جمعت من الجوع ما حصى أن يجمعوا ، فإن من كان الله معه فلا غالب له ، فإن الله مع المؤمنين ، وهم الحزب النوري ، والجناب للمصطفى .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اطِّيعُوا اللَّهَ وَرُسُلَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٩﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْرُ الَّذِينَ لَا يَبْقُلُونَ ﴿١٠﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿١١﴾

يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطاعة رسوله ، ويزجرهم عن مخالفة وشبه بالكافرين به الممانين له ، ولما

(١) في المسند : محمد بن أبي إسحاق . وهو خطأ .

(٢) في المسند : وقاعدة التلدة . وهو خطأ أيضا .

(٣) مسند الإمام أحمد : ٤٣١/٥ .

(٤) المستدرك ، كتاب التفسير : ٣٢٨/٢ . وواقعه الذهبي .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٨٤١ : ١٥٢/١٣ .

(٦) الأثر بآية في تفسير الطبري برقم ١٥٨٤٣ : ١٥٣/١٣ .

(٧) سورة الإسراء : آية : ٨ .

(٨) ينظر تفسير الطبري ، الأثر ١٥٨٥١ : ١٥٦/١٣ .

قال : (ولا تزلوا عنه) ، أى : تركوا طاعته واعتكفوا له وتركوا زواجه ، (وأنتم تسمعون) ، أى : بعد ما علمتم مادحاكم إليه .

(ولا تكونوا كالذين قالوا : سمعنا ، وهم لا يسمعون) ، قيل : المراد المشركون : واعتذروا ابن جرير .

وقال ابن إسحاق : هم المنافقون ، فزعم يظهرون أنهم قد سمعوا واستجابوا ، وليسوا كذلك (١) :

ثم أخبر صلى الله عليه وسلم أن هذا القريب من بني آدم شر الخلق والخليقة ، فقال : (إن شر الدواب عند الله الصم) ، أى : من صام الحق (الجحيم) من فهمه : ولما قال : (الذين لا يفكرون) ، فهو لاء شر البرية ، لأن كل دابة مما سواهم مطيعة لله فيما خلقها له ، وهو لاء خلقها لقادة فكفروا : ولما شبههم بالأنعام في قوله : (ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعى بما لا يسمع إلا دعاء ونداء (٢)) : الآية : وقال في الآية الأخرى : (أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون (٣))

وقيل : المراد هؤلاء المذكورين لكثرة من بين عبد الله من قريش : روى عن ابن عباس ومجاهد ، واعتذروا ابن جرير . وقال محمد بن إسحاق : هم المنافقون (٤) .

قلت : ولا منافاة بين الشركين والمنافقين في هذا ، لأن كلا منهم مسلوب الفهم الصحيح والتقصيد إلى العمل الصالح . ثم أخبر تعالى أنهم لم يفهم لم صحيح ، ولا قصد لم صحيح لو فرض أن لم فهم ، فقال : (ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم) ، أى : لأفهمهم ، وتقدر الكلام : ولكن لا أخبر فيهم لم يفهمهم ، لأنه يعلم أنه (لو أسمعهم) ، أى : لأفهمهم (لعلوا) من ذلك قصدا وحنانا بعد فهمهم ذلك ، (وهم معرضون) عنه .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ سَرِيعٌ
وَلِيَهُ تُحْشَرُونَ ﴿٥﴾

قال البخاري : (استجيبوا) : أجبوا ، (لا يحْيِيكُمْ) : لا يصلحكم - حدثنا إسحاق ، حدثنا روح ، حدثنا شعبه ، عن خُبَيْب بن عبد الرحمن قال : سمعت حفص بن عاصم يحدث عن أبي سعيد بن المثل قال : كنت أصلي ، فرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعاني فلم آتته حتى صليت ، ثم أتته فقال : ما منعك أن تأتيني ؟ ألم يقل الله : (يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم) ، ثم قال : لأعلمنكم أحظم سورة في القرآن قبل أن أخرج فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرج ، فذكرت له - وقال معاذ : حدثنا شعبه ، عن خُبَيْب بن عبد الرحمن سمع حفص بن عاصم ، سمع أبا سعيد رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بهما - وقال (ج) [الحمد لله رب العالمين] ، السبع المثاني (٥)

(١) ينظر تفسير الطبري : الأثر ١٥٨٥٣ : ٤٥٨٪١٣ .

(٢) سورة البقرة ، آية : ١٧١ .

(٣) سورة الأعراف ، آية : ١٧٩ .

(٤) ينظر تفسير الطبري : ٤٦٠٪١٣ : ٤٦١ .

(٥) صحيح البخاري ، تفسير سورة الأنفال : ٧٧٪٦ .

هذا لفظه معروفه ، وقد تقدم الكلام على هذا الحديث بذكر طرقة في أول تفسير الفاتحة (١) ،

وقال مجاهد في قوله : (لا يحبيكم) ، قال : الحق (٢) .

وقال قتادة : (لا يحبيكم) ، قال : هو هذا القرآن ، فيه النجاة والثقة والحياة (٣) .

وقال السدي : (لا يحبيكم) ، ففي الإسلام إحيائهم بعد موتهم بالكفر (٤) ،

وقال محمد بن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير : (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله ولرسوله إذا دعاكم لما يحبيكم) ، أي : للحرب التي أحرككم الله تعالى بها بعد ذلك ، وقواكم بها بعد الضعف ، ومنكم من عدوك بعد الفهم منهم لكم (٥) ،

وقوله تعالى : (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) ، قال ابن عباس : يحول بين المؤمن وبين الكفر ، وبين الكافر وبين الإيمان (٦) .

رواه الحاكم في مستدركه موقوفاً ، وقال : صحيح ولم يخرجاه (٧) : ورواه ابن مردويه من وجه آخر مرفوعاً ، ولا يصح لضعف إسناده ، والموقوف أصح . وكذا قال مجاهد ، وسعيد ، وعكرمة ، والفسطاطي ، وأبو صالح ، وعطية ، ومقاتل بن حيان ، والسدي .

وفي رواية عن مجاهد في قوله : (يحول بين المرء وقلبه) ، حتى تركه لا يقل (٨) .

وقال السدي : يحول بين الإنسان وقلبه ، فلا يستطيع أن يؤمن ولا يكفر إلا بإذنه (٩) ،

وقال قتادة هو كقول : (ونحن أقرب إليه من حسبي الخ) (١٠) .

وقد وردت الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بما يناسب هذه الآية ،

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول : « يامقلب القلوب ، ثبتت قلبي على دينك » . قال : قلنا : يا رسول الله ، آتانا بك وما جئت به ، فهل تخاف علينا ؟ قال : نعم ، إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله تعالى (١) ! يقلبها »

(١) ينظر فيما تقدم ١/٢٣ ، ٧٤ .

(٢) تفسير الطبري ، الآثار ١٥٨٦٨ - ١٥٨٧١ : ١٣/٤٦٤ .

(٣) كذلك في غرصة الأثر . وفي تفسير الطبري ، الآثار ١٥٨٧٢ : ١٣/٤٦٤ ، ٤٦٥ : فيه « الحياة والثقة والنجاة والمصعة في الدنيا والآخرة » .

(٤) تفسير الطبري ، الآثار ١٥٨٦٧ : ١٣/٤٦٤ .

(٥) تفسير الطبري ، الآثار ١٥٨٧٣ : ١٣/٤٦٥ . وسيرة ابن هشام : ١/٦٦٩ .

(٦) تفسير الطبري ، الآثار ١٥٨٨١ : ١٣/٤٦٨ .

(٧) المستدرک ، تفسير سورة الأنفال : ٢/٣٢٨ ، وواقعه للعلوي .

(٨) تفسير الطبري ، الآثار ١٥٨٩٥ - ١٥٩٠٠ : ١٣/٤٧١ .

(٩) تفسير الطبري ، الآثار ١٥٩٠١ : ١٣/٤٧١ .

(١٠) تفسير الطبري ، الآثار ١٥٩٠٢ : ١٣/٤٧١ .

(١١) مسند الإمام أحمد : ٣/١١٢ .

وهكلا رواه الترمذي في «كتاب القدر» من جماعة، عن هناد بن السرى، عن أبي معاوية محمد بن حازم الضرير، عن الأعمش - واسمه سليمان بن مهران - عن أبي سفيان - واسمه طلحة بن تافع - عن أنس، ثم قال: «حسن (١)»، وهكلا روى عن غير واحد عن الأعمش، ورواه بعضهم عنه، عن أبي سفيان، عن جابر، عن النبي صلى الله عليه وسلم وحديث أبي سفيان عن أبي أسحق، (٢)»

حديث آخر: قال عبد بن حميد في مسنده (م): حدثنا عبد الملك بن عمرو، حدثنا شعبة، عن الحكم، عن ابن أبي ليلى، عن يثرب رضى الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو: «ياقلب القلوب ثبت قلبي على دينك» هذا حديث جيد الإسناد إلا أنه في انقطاعه وهو مع ذلك على شرط أهل السنن ولم يخرجوه.

حديث آخر: وقال الإمام أحمد: حدثنا الوليد بن مسلم قال: سمعت ابن جابر يقول: «حدثني يسر بن عبد الله الحنظلي: أنه سمع أبا هريرة الخولاني يقول: سمعت أنس بن مالك الكلابي رضى الله عنه يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع الرحمن رب العالمين» (٣) إذا شاء أن يقيم أهله، وإذا شاء أن يزيه أزواجه: «وكان يقول: «ياقلب القلوب، ثبت قلوبنا على دينك» - قال: «والخير أن يهد الرحمن بقضيه ويرحمه» (٤)»

وهكلا رواه النسائي وابن ماجه، من حديث عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، فذكر مثله

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا يونس، حدثنا حماد بن زيد، عن الملق بن زياد، عن الحسن أن عائشة قالت: «دعوات كان رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥) يدعو بها: «ياقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك»، قالت: فقلت: يا رسول الله، إنك تكثر (٦) تدعو بهذا الدعاء. فقال: «إن قلب الآدي بين أصبعين من أصابع الله، فإذا شاء أزواجه، وإذا شاء أهله» (٧)»

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا هاشم، حدثنا عبد الحميد، حدثني شهر، سمعت أم سلمة تحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكثر في دعائه يقول: «اللهم ياقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك»، قالت: «فقلت: يا رسول الله، أو إن القلوب لتقلب؟ قال: «نعم، ما خلق الله من بشر من بني آدم إلا أن قلبه بين أصبعين

(١) في الترمذي: «كان في تحفة الأحرف» «حسن صحيح».

(٢) تحفة الأحرف: أبواب القدر، باب ما جاء أن القلوب بين أصبعين الرحمن، الحديث ٢٢٢٦ / ٦ / ٢٤٩ / ٣٠٠.

(٣) في غزوة الأحرار: «قال الإمام أحمد: قال الإمام حماد بن زيد في مسنده: ولعل الصواب ما ألقناه، ونظر ترجمة عبد ابن حماد في التلخيص ٤٥٥ / ٦ - ٤٥٧».

(٤) لفظ الحديث: «من أصابع ربه الملقين، إن شاء...».

(٥) مسند الإمام أحمد: ١٨٢٤.

(٦) مسند ابن ماجه: المقدمة، باب ليا أنكرت الجهمية، الحديث ١٩٩ / ٧٢ / ١.

(٧) لفظ الحديث: «... يكثر يدعو بها».

(٨) في غزوة الأحرار: «تكثر أن تدعو»، وألقناه لفظ الحديث، وهو مستقيم.

(٩) مسند الإمام أحمد: ٩١٦ / ٦.

من أصابع الله عز وجل ، فإن شاء أنامه ، وإن شاء أزعجه : فقال الله ربنا أن لا يُزيغَ قلوبنا بعد إذ هدانا ، ونسأله أن يهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب . قالت ، قلت : يا رسول الله ، ألا تظنني دعوة أدعو بها لنفسي ؟ قال : بلى ، قولي : اللهم رب النبي محمد ، اغفر لي ذنبي ، وأذهب غيظ قلبي ، وأجرتني من مضلات الفتن ما أحبيتي (١) .

حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا حيوة ، أخبرني أبو حنيفة : أنه سمع أبا عبد الرحمن الحلي : أنه سمع عبد الله بن عمرو : أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن ، كقلب واحد يُصرف كيف شاء » : ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم ، مُصْرِفَ القلوب صرف قلوبنا إلى طاعتك » (٢) :

انفراد بإخراجه مسلم عن البخاري ، فرواه مع الثقات من حديث حيوة بن شريح المصري ، ٢٩ : (٣)

وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَعَلِيمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٩﴾

عَلَّامٌ تَعَالَى عِبَادَةُ الْمُؤْمِنِينَ (فتنة) ، أي : اختبارا وعنتا ، يمس بها للمسيء وغيره ، لا يخص بها أهل المصطفى ولا من يأسر الذنب ، بل يمسهما ، حيث لم ترفع ورفع ، كما قال الإمام أحمد :

حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم ، حدثنا هناد بن سعيد ، حدثنا غيلان بن جوير ، عن مطرف قال : قلنا الزبير ! بأبنا عبد الله ، ما جاءكم ؟ ضيمت الخليفة الذي قتل ، ثم جثم تطليون بدمه ؟ فقال الزبير رضي الله عنه : إنا قرأنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم : (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا الذين ظلموا منكم خاصة) ، لم تكن نجسب أنا أهلها حتى وقعت منا حيث وقعت : (٤)

وقد رواه الزوار من حديث مطرف ، عن الزبير ، وقال : لا يعرف مطرفا روى عن الزبير غير هذا الحديث . وقد روى الثقات من حديث جرير بن حازم ، عن الحسن ، عن الزبير نحو هذا :

وروى ابن جرير : حدثني الحارث ، حدثنا عبد العزيز ، حدثنا مبارك بن فضالة ، عن الحسن قال : قال الزبير ! لقد خوفنا بها يعني قوله : (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) ، وعين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما ظننا أنا نخصصنا بها خاصة (٥) :

وكذا رواه حميد ، عن الحسن ، عن الزبير رضي الله عنه (٦) :

(١) سنة الإمام أحمد : ٣٠١/٦ ، ٣٠٢ ، مع اختلاف يسير .

(٢) سنة الإمام أحمد : ١٦٨/٢ ، ويظهر أيضا للمسنن : ١٧٣/٢ .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب القدر ، باب « تصرف الله تعالى القلوب كيف شاء » : ٥١/٨ .

(٤) سنة الإمام أحمد : ١٦٥/١ .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر ١٠٩١ : ٤٧٥/١٣ ، ومن قوله : « ونحن مع رسول الله ... » إلخ آخر الأثر سقط من تفسير الطبري . وهو سقط نظر .

(٦) تفسير الطبري ، الأثر ١٠٩٠ : ٤٧٤/١٣ .

وقال داود بن أبي هند، عن الحسن في هذه الآية قال: نزلت في علي، وعثمان، وطليحة والزبير، وفيهم الله عنهم (١)، وقال سميان الثوري عن الصلت بن دينار، عن عتبة بن مهران، سمعت الزبير يقول: لقد قرأت هذه الآية ومالنا وما أكرأنا من أهلها فإن نحن المعتبرين بها: (واقروا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة، واعلموا أن الله شديد العقاب) (٢) .

وقد روي من غير وجه، عن الزبير بن العوام:

وقال السدي: نزلت في أهل بدر خاصة، فأصابهم يوم الجمل، فاقتلوا (٣) .

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله تعالى: (واقروا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة)؛ يعني أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خاصة .

وقال في رواية له، عن ابن عباس، في تفسير هذه الآية: أمر الله المؤمنين أن لا يقرؤا الذكر بين ظهرانيهم فيجمعهم الله بالعقاب (٤) .

وهذا تفسير حسن جداً، ولهذا قال مجاهد في قوله تعالى: (واقروا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) . هي أيضاً لكم (٥) وكلما قال الضحاك، ويزيد بن أبي حبيب، وغير واحد .

وقال ابن مسعود: ما منكم من أحد إلا وهو مشتمل على فتنة، إن الله تعالى يقول: (إنما أموالكم وأولادكم فتنة)، فأينكم استمداً ليستبد بالله . في فضائل القرآن . رواه ابن جرير (٦) .

واقول بأن هذا التحليل يتم الصحابة وغيرهم - وإن كان الخطاب معهم - هو الصحيح، ويؤكد على ذلك الأحاديث الواردة في التحليل من القرآن، ولذلك كتاب مستقل يوضح فيه إن شاء الله تعالى، كما فعله الأئمة والفردوس بالتصنيف، ومن أعصى ما ينكر هاهنا ما رواه الإمام أحمد حيث قال:

حدثنا أحمد بن الحجاج أخبرنا عبد الله - يعني ابن المبارك - أن أبا بصير بن أبي سليمان، سمعت عكرمة بن عدي - الكندي يقول: حدثني مولى لنا أنه سمع جدي - يعني عدي بن حيرة - يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الله عز وجل لا يعلب العامة بعمل الخاصة حتى يروا للذكر بين ظهرانيهم، وهم قادرون على أن ينكروا فلا ينكروه، فإذا فعلوا ذلك عذبت الله الخاصة والعامة) (٧) .

(١) تفسير الطبري، الأثر ١٠٩٠٣: ٤٧٣/١٣. وكان في الخطوط: (وقال علي وعمر) وأثبتنا للثعلبي .

(٢) تفسير الطبري، الأثر ١٠٩٠٦: ٤٧٤/١٣ .

(٣) تفسير الطبري، الأثر ١٠٩٠٧: ٤٧٤/١٣ .

(٤) تفسير الطبري، الأثر ١٠٩٠٩: ٤٧٤/١٣ .

(٥) تفسير الطبري، الأثر ١٠٩١٠: ٤٧٥/١٣ .

(٦) تفسير الطبري، الأثر ١٠٩١٢: ٤٧٥/١٣ .

(٧) مستدرك الإمام أحمد: ١٩٢/٤ .

فيه رجل منهم ، ولم يخرجوه في الكتب الستة ، ولا واحد منهم ، والله أعلم .

حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا سليمان المصمعي ، حدثنا إسماعيل - يعني ابن جعفر - أخبرني عمرو بن أبي عمرو ، عن عبد الله بن عبد الرحمن الأشهل ، عن حذيفة بن اليمان : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « والذى نفسى بيده لأمرن بالمرء ، ولننهون عن النكر ، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا من عنده ، ثم لنذعننكم فلا يستجيبه (١) لكم » .

ورواه عن أبي سعيد ، عن إسماعيل (٢) بن جعفر ، وقال : « أو ليمضن الله عليكم قوما ثم تدعون فلا يستجيب لكم » .

وقال أحمد : حدثنا عبد الله بن غير ، حدثنا زَيْن بن حبيب الجبلي (٣) ، حدثني أبو الرقاد قال : خرجت مع مولاي ، فلعلت إلى حليفة وهو يقول : إن كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصير منافقا ، وإن لأسمعا من أحدكم في القعد الواحد أربع مرات ، لأمرن بالمرء ، ولننهون عن النكر ، ولننقضنكم على الخير ، أو لنسحقنكم (٤) الله جميعا بملاب ، أو ليؤمنن عليكم شراركم ، ثم يدعو خياركم فلا يستجيب لهم (٥) .

حديث آخر : قال الإمام أحمد أيضا : حدثني يحيى بن سعيد ، عن زكريا ، حدثنا حامر قال : سمعتُ عثمان بن بشير رضي الله عنه يخطب يقول - وأومأ بأصبعه إلى أذنيه - يقول : مثل القاتم على حدود الله والواقع فيها - أو المكذمين فيها - كمثل قوم ركبوا سفينة ، فأصاب بعضهم أسفلها وأوعرها وشرها ، وأصاب بعضهم أعلاها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا الماء منوؤا على من فوقهم فأذوهم ، فقالوا : « لو عرفنا في نصيبنا عرقا ، فاستقينا منه ، ولم نؤفمن فوقنا ، لأن تركوهم وأمرهمهلكوا جميعا ، وإن أخطوا على أيديهم نجوا جميعا (٦) » .

أفراد يخرجه البخاري دون مسلم ، فرواه في « الشركة » (٧) ، « والشهادات » ، « والتملى في القتن من غير وجه » ، « من سليمان بن مهران الأعمش » ، « عن حامر بن شرأهيل الشعبي » ، « » .

حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا حسين ، حدثنا خلف بن خليفة ، عن ليث ، عن علقمة بن مرثد ، عن عمرو بن سويد ، عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

(١) مسند الإمام أحمد : ٢٨٨/٥ ، ٢٨٩ .

(٢) أبي أمامة في المسند الآن رواية : أبي سعيد بن هشام ، عن سليمان بن بلال . المسند : ٣٩١/٥ .

(٣) في القطر : ٥٠٨/٢/١ . وهو خطأ ، والمثبت عن المسند ، وأبو جراح لابن أبي حاتم : ٥٠٨/٢/١ .

واللهيب : ٢٧٥/٣ .

(٤) لمستحکم : لمستحکم .

(٥) مسند الإمام أحمد : ٣٩٠/٥ .

(٦) مسند الإمام أحمد : ٢٦٩/٤ . ويظهر أيضا : ٢٢٣/٤ ، ٢٢٤ .

(٧) صحيح البخاري ، الشركة ، باب هل يفرق في القسمة والاستبام له : ١٨٢/٣ . وكتاب الشهادات ، باب القرعة في المكاتبات : ٢٢٧/٢ ، ٢٢٨ . ونقطة الأخرى : أبواب القتن ، الحديث ٢٢٦٤ ، ٢٩٤/٦ ، ٣٩٥ ، وقال الترمذي :

« هذا حديث حسن صحيح » .

« إذا ظهرت المصا في أمي ، حسنتهم الله يطلب من عبده . قلت : يا رسول الله ، أما فيهم أناس صالحون ؟ قال : بل : قالت : فكيف يصنع أولئك ؟ قال : يصيبهم ما أصابت الناس ، ثم يصبرون إلى مغفرة من الله ورضوان (١) » .

حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا حجاج بن محمد ، أخبرنا شريك عن أبي إسحاق عن المنذر بن جوير عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من قوم يعملون بالمصا ، وفيهم رجل أحز منهم وأمنع لا يشرون ، إلا محهم الله بمصاب - أو : أصابهم العقاب (٢) » :

ورواه أبو داود ، عن مسدد ، عن أبي الأحوص ، عن أبي إسحاق ، به (٣) ، وقال أحمد أيضاً : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، سمعت أبا إسحاق يحدث ، عن حبيب الله بن جوير ، عن أبيه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما من قوم يعمل فيهم بالمصا ، هم أحز وأكثر بمن يعمله ، لم يشروه ، إلا محهم الله بمصاب (٤) » .

لم يرواه أيضاً عن وكيع ، عن إسرائيل - وعن عبد الرزاق ، عن معمر - وعن أسود ، عن شريك ويوس - كلهم عن أبي إسحاق السبيعي ، (٥) به :

وأخرجه ابن ماجه ، عن علي بن محمد ، عن وكيع ، به (٦) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، حدثنا جامع بن أبي راشد ، عن منذر ، عن حسن بن محمد ، عن امرأته عن عائشة تبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم : « إذا ظهر السود في الأرض ، أزل الله بأهل الأرض بأسه . قالت : وفيهم أهل طاعة الله ؟ قال : نعم ، ثم يصبرون إلى رحمة الله (٧) » :

وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ يَخَافُونَ أَنْ يَخِفُّنَاكَ الْإِنْسُ فَعَاوَنُكَ وَأَيَّدَ لَمْ يَنْصُرْهُ وَزَوَّجَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٥﴾

فيه تعالى حمادة المؤمنين حل نعمته عليهم وإحسانه إليهم ، حيث كانوا قليلين فكثروهم ، ومستضعفين غافلين قهراهم ونصرهم ، وقرءاءة فرزهم من الطيبات ، واستكبرهم فأطاعوه وامتثلوا جميع ما أمرهم . وهذا كان حال المؤمنين حال مقامهم بمكة قليلين مستضعفين مضطرين ، يتأفون أن يتخلفهم الناس من سائر بلاد الله ، من مشرك ويحرمي وروى ، كلهم أعداء لم قتلهم وعدم قوتهم ، فلم يزل ذلك جأهم حتى أذن لهم في الهجرة إلى المدينة ، فأراهم إليها ، وقبض لهم أهلها ، وآروا ونصروا يوم بدر وغيره وآسوا بأموالهم ، وبلغوا منهجهم في طاعة الله وطاعة رسوله ،

(١) مسند الإمام أحمد : ٣٠٤/٦ .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٣٦١/٤ .

(٣) سنن أبي داود ، كتاب المصا ، باب الأمر والنهي ، الحديث ٤٣٣٩ : ١٢٢/٤ ، ١٢٣ .

(٤) مسند الإمام أحمد : ٣٦٤/٤ .

(٥) طه الروايات في مسند الإمام أحمد : ٣٦٦/٤ .

(٦) سنن ابن ماجه ، كتاب القنن ، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، الحديث ٤٠٠٩ : ١٣٢٩/٢ .

(٧) مسند الإمام أحمد : ٤٦/٦ .

قال قتادة بن دعامة السدوسي رحمه الله في قوله تعالى : (واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض) ، قال : كان هذا الحى من العرب أهل الناس ذلاً ، وأشقاء جيشاً ، وأجوعه بطونا ، وأعره جلوداً ، وأبيته ضلالاً [مكومعياً] رأس حجر ، بين الأسلمين فارس والريدم : ولا والله ما في بلادهم يؤمن من شيء يصدون عليه [من حاش منهم حاش فلياً ومن مات منهم ردى في النار ، يؤكلون ولا يأكلون . والله ما تعلم قبيلة من حاض أهل الأرض يؤمنه كانوا أشد مثلاً منهم ، حتى جاء الله بالإسلام فكأن به في البلاد ، ووسع به في الرزق ، وجعلهم به ملوكاً على رقاب الناس ، وبالإسلام أعطى الله ما رأيت ، فاشكروا لله نعمه ، فإن ربكم منكم يحب الشكر ، وأهل الشكر في مزيد من الله .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْزَنُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَمْسِكُوا أَمْتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ وَأَطِيعُوا أَمْرَ اللَّهِ وَأَمْرَ الْكَرِيمِ ﴿١٧﴾

قال عبد الله (٢) بن أبي قتادة والقرمى : أنزلت في أبي لياحة بن عبد المنذر ، حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني قريظة ليتروا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستشاروه في ذلك ، فطار عليهم بملك - وأشار بيده إلى حلقه - أى : إنه السليح : ثم طعن أبو لياحة ، ورأى أنه قد خان الله ورسوله ، فحلف لا يلقو ذوقاً [حتى] يموت [أرى] أو يتوب الله عليه : وانطلق إلى مسجد المدينة ، فربط نفسه في سارية منه ، فبكك ذلك سعة أيام ، حتى كان [يفر] مشياً عليه من الجهد ، حتى أنزل الله توبته على رسوله : فجاه الناس يشروه بخرقه الله عليه ، وأرادوا [أن] يخلوه من السارية ، فحلف لا يخله منها إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، إني كنت لثرت أن أخلع من مالى صلوة . فقال : وبزك التلث أن تصدق به (٣) .

وقال ابن جرير : حدثني الحارث ، حدثنا عبد العزيز ، حدثنا يونس بن الحارث الطاقى ، حدثنا محمد بن حبيب الله أبو حرون الطقفى ، عن المغيرة بن شعبة قال : نزلت هذه الآية في قتل عثمان رضى الله عنه : (يا أيها الذين آمنوا لا تحزنوا الله ورسوله) الآية (٤) .

- (١) ما بين القوسين عن تفسير الطبري ، الأثر ٧٥٩١ : ٨٧/٧ ، ٨٨ ، والأثر ١٥٩١٩ : ١٣/٤٧٨ .
ومضى مكومعين : مقيدين أذلاء ، من كم ثم الجير ، أى : شدة تلا يأكل أو يفسد ، وألقى بيده به كمام يده كمام .
وقد وردت هذه اللفظة في كلام الإمام جل ، ينظر نيج البلاغة : ٥٨ ، ١١٥ بتحقيقنا .
(٢) في الخطوط : عبد الرزاق بن أبي قتادة ، وهو خطاً . وأثبت عن تفسير الطبري ، الأثر ١٥٩٢٥ : ويظهر ترجمته في التهذيب : ٣٦٠/٥ .
(٣) ينظر قصة أبي لياحة في سيرة ابن هشام : ٢٣٦/٢ ، ٢٣٧ ، وأما قتادة : باب الكنى : ٢٨٤/٥ ، ٢٨٥ ط الرمية .
وتفسير الطبري ، الأثر ١٥٩٢٣ : ١٣/٤٨١ ، ٤٨٢ . أما قصة أنخلعه من ماله فانظر ما في مسند الإمام أحمد : ٤٥٢/٣ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٩٢٥ : ١٣/٤٨٢ .
هذا وقد كان مقتل عثمان - رضى الله عنه - بعد تمام نزول القرآن ، وبعد موت النبي - صلى الله عليه وسلم - بزمان طويل . ولعل للمغيرة بن شعبة - رضى الله عنه - من هذا إطلاق الآية على هذا الحدث الجلل ، قد كان فقه حياته لله ورسوله ، وحياته للأمانة ، وهي يمشي به .

وقال ابن جرير أيضاً : حدثنا القاسم بن بشر بن معروف ، حدثنا شاذان بن سوار ، حدثنا محمد بن الحرث قال :
 لقيت عطاء بن أبي رباح ضحى قال : حدثني جابر بن عبد الله : أن أبا سفيان خرج من مكة ، فأتى جبريل رسول
 الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن أبا سفيان [في كذا وكذا] . فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه : إن أباسفيان (١)
 في موضع كذا وكذا ، فأتجروا إليه واكتبوا . فكتب رجل من المنافقين إليه : إن عمدا يريدكم ، فخذلوا حلوكم ،
 فأول الله : (لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم) (٢) الآية .

هنا حديث غريب جدا ، وفي منته وسياقه نظر .

وفي الصحيحين قصة - حاطب بن أبي بلتعة - أنه كتب إلى قريش يعلمهم بقصد رسول الله صلى الله عليه وسلم لإيهم
 عام الفتح . فاطلع الله رسوله على ذلك ، فبث في إثر الكتاب فاسترجعه ، واستحضر حاطبا فأقر بما صنع ، فقام عمر
 ابن الخطاب فقال : يا رسول الله ، ألا أضرب عنقه ، فإنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين ؟ فقال : « دعه » ، فإنه قد شهد
 بدنا ، ما يريدك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) (٣) .

قلت : والصحيح أن الآية عامة ، وإن صرح أنها وردت على سبب خاص ، فالأخذ بعموم اللفظ لا بخصوص السبب
 عند الجواهر من العلماء . والخيانة تعم القلوب الصغار والكبار اللازمة والمتصلة .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : (وغنونا أماناتكم) : « الأمانة » الأعمال التي ائتمن الله عليها العباد -
 يعني القريصة . يقول : لا تخونوا لا تنقضوها (٤) .

وقال في رواية : (لا تخونوا الله والرسول) ، يقول : بترك سنته ولو تكاب معصيته (٥) .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير في هذه الآية ، أي : لا تظهروا الله
 من الخفاء ما يرى به منكم ، ثم يخافوه في السر إلى غيره ، فإن ذلك هلاك لأماناتكم ، وخيانة لأنفسكم (٦) .

وقال السدي : إذا خانوا الله والرسول فقد خانوا أماناتهم (٧) .

وقال أيضا : كانوا يسمعون من النبي صلى الله عليه وسلم الحديث فيقشونه حتى يبلغ المشركين (٨) .

وقال عبد الرحمن بن زيد : نهاكم أن تخونوا الله والرسول ، كما صنع المنافقون (٩) .

(١) ما بين القوسين سقط من ضلوة الأثر ، أئتمناه من تفسير الطبري .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٩٢٢ : ٤٨٠/١٣ .

(٣) مضي تفريغ هذا الحديث منه الآية ٩٩ من هذه السورة .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٩٢١ : ٤٨٥/١٣ .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٩٢٢ : ٤٨٥/١٣ .

(٦) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٩٢٩ : ٤٨٤/١٣ .

(٧) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٩٢٨ : ٤٨٤/١٣ .

(٨) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٩٢٧ : ٤٨٣/١٣ .

(٩) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٩٢٦ : ٤٨٢/١٣ .

وقوله تعالى : (واعلموا انما أموالكم وأولادكم فتنة) ، أى : اجتنبوا وامتنعوا منه لكم ، إذ أصلاكموها ليعلم
 انشكر الله عليها وتطيقونه فيها ؟ أو تشتغلون بها عنه ، ويقتاتسون بها منه ، كما قال تعالى : (انما أموالكم وأولادكم
 فتنة والله عنته أجر عظيم (١)) ، وقال : (ويؤلكم بالشر والخير فتنة (٢)) ، وقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا
 لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله من يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون (٣)) ، وقال تعالى : (يا أيها الذين
 آمنوا ، إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم) :: الآية .

وقوله : (وأن الله عنته أجر عظيم) ، أى : ثوابه وعطاؤه وجناته خير لكم من الأموال والأولاد ، فانه قد يوجد
 منهم عدو ، وأكثرهم لا ينفى عنه شيئا ، والله سبحانه هو المتصرف المالك للنسب والآخرة ، ولديه الثواب الجزيل
 يوم القيامة .

وفى الأثر يقول تعالى : « ابن آدم ، اطلبني نجف ، فان وجدني وجنت كل شيء ، وإن فُتِنْتُ فلك كل شيء » ،
 وأنا أحب إليك من كل شيء » .

وفى الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : من كان الله ورسوله
 أحب إليه مما سواهما ، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا الله ، ومن كان أن يلقى في النار أحب إليه [من] أن يرجع
 إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه » (٤) .

بل حب رسول الله مقدم على الأولاد والأموال ونفوس ، كما ثبت في الصحيح أنه عليه السلام قال : « والى نفسى
 يده ، لا يمين أحسبم حتى أكون أحب إليه من نفسه وأهله وماله والناس أجمعين » (٥) .

وَبَيِّنَّا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَقْوَى اللَّهِ تَجْعَلُ لَكَ فُرْقَانًا يُبَيِّنُ عَنْكَ مِثْرَكَ وَمِثْرَكَ وَالْمَقْدُورُ

الْعَظِيمُ ﴿٦﴾

قال ابن عباس ، والسلى ، وجاهد ، وعكرمة ، والفسحاك ، وقادة ، ومقاتل بن حيان : (فرقانا) ، خرجا -
 زاد جاهد : « فى الدنيا والآخرة » .

وفى رواية عن ابن عباس : « فرقانا » : نجات ، وفى رواية عنه : نصرنا .

(١) سورة التباين ، آية : ١٥ .

(٢) سورة الأنبياء ، آية : ٣٥ .

(٣) سورة المنافقون ، آية : ٩ .

(٤) صحيح البخارى ، كتاب الإيمان ، باب « حلاوة الإيمان » : ١٠٧/١ ، ١١ ، وباب « من كره أن يموت فى الكفر » :
 ١٧٧/١ . وكتاب الإكراه ، باب « من اختار القرب والقتل والموت على الكفر » : ٢٥/٩ . وكتاب الأدب ، باب « الحب لله
 الله » : ١٧٧/٨ . كل ذلك من أنس بن مالك رضى الله عنه . وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب « بيان خصائص من أخلص بين وجه
 حلاوة الإيمان » : ٤٨٢/١ . من أنس أيضا .

(٥) صحيح مسلم من أنس ، كتاب الإيمان ، باب « وجوب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم » : ١ : ٤٩٦ .
 والبخارى ، كتاب الإيمان ، باب « حب الرسول الله صلى الله عليه وسلم من الإيمان » : ١٥٤١ .

وقال محمد بن إسحاق : (فرقات) ، أي : فصلا بين الحق والباطل (١) .

وهذا التفسير من ابن إسحاق أم ما تقدم وقد يستلزم ذلك كله ، فإن من اتقى الله قبل أوامره وترك زواجره ، وابتغى لمرقة الحق من الباطل ، فكان ذلك سبب نصره ونجاته ومخرجه من أمور الدنيا ، وسعادته يوم القيامة : ويكفر ذنوبه وهو عموها ، وفقرها ، وسوءها عن الناس — سيئاً لنيل ثواب الله الجزيل ، كما قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وأمنوا برسوله ، يؤتكم كفاً من رحمته ، ويجعل لكم نورا تمشون به ، وبغفر لكم ، والله غفور رحيم) (٢) .

وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَكُورِينَ (٥٦)

قال ابن عباس ، ومجاهد ، وقطادة : (ليثبتوك) ، ليثبتوك .

وقال عطاء ، وابن زيد : ليحبسوك .

وقال السدي : (الإثبات) ، هو الحبس والرق : (٣) .

وهذا يشهد ما قاله هؤلاء هؤلاء ، وهو جميع الأحوال ، وهو الغالب من صنيع من أراد هبته بسوء .

وقال سفيان ، عن حجاج ، عن ابن جريج ، قال عطاء : سمعت عبيد بن حمير يقول : يا ائمتروا بالذي صلى الله عليه وسلم ليثبتوه أو يقتلوه أو يخرجوه ، قال له همه أبو طالب : هل تدري ما ائتمروا بك ؟ قال : يريدون أن يسحروني أو يقتلوني أو يخرجوني . فقال : من أخبرك بهذا ؟ قال : ربي . قال : نعم الرب ربك ، فاستوص به خيراً . فقال : أنا استوصي به ؟ بل هو يستوصي بي (٤) .

وقال أبو جعفر بن جرير : حدثني محمد بن إسماعيل البصري (٥) المعروف بالسأسي ، أخبرنا عبد الحميد بن أبي رواد عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن عبيد بن حمير ، عن المطلب بن أبي وداعة : أن أبا طالب قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ما يأتى بك قومك ؟ قال : يريدون أن يسحروني أو يقتلوني أو يخرجوني . فقال : من أخبرك بهذا ؟ قال : قال : ربي . قال : نعم الرب ربك ، فاستوص به خيراً . قال : أنا استوصي به ؟ بل هو يستوصي بي . قال : فترلت : (وإذ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ) (٦) الآية .

وذكر أبي طالب في هذا غريب جدا ، بل منكراً ، لأن هذه الآية مدنية ، ثم إن هذه القصة واجتباخ قريش على حلف الأئمة والمشاورة على الإيثام أو القتل أو القتل ، إنما كان ليلة الهجرة سواء ، وكان ذلك بعد موت أبي طالب ينصر من ثلاث سنين كما تحكوا منه واجتروا عليه بعد موت عمه أبي طالب ، الذي كان يحولته وينصره ويقوم بأعباءه ، والدليل على

(١) ينظر هذه الآثار في تفسير الطبري ٤٨٨/١٢٠ - ٤٩٠ .

(٢) سورة الحديد ، آية ، ٢٨ .

(٣) ينظر هذه الآثار في تفسير الطبري ٤٩١/١٣ - ٤٩٢ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٩٦٤ : ١٣/١٣٢ .

(٥) في غلطة الأثر : والمرى . والمثبت من تفسير الطبري ، وينظر المرح لاين أبي حاتم : ١٩٠/٢٢٢ .

(٦) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٩٦٣ : ١٣/١٣٢ .

صحة ما قلنا ما رواه الإمام محمد بن إسحاق بن يسار صاحب الملتقى : عن عبد الله بن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس - قال : وحديث الكلبي ، عن باذان (١) مولى أم حانقة ، عن ابن عباس : أن قرأنا من قریش من أشرف كل قبيلة ، اجتمعوا ليخبروا دار النخوة ، فأعرضهم إليس في صورة شيخ جليل ، فلما رأوه قالوا : من أنت ؟ قال : شيخ من نجد ، سمعت أنكم اجتمعتم ، فأردت أن أحضركم ولن يسمعكم (٢) ولبي ونصحي . قالوا : لئيل ، ادخل . فدخل معهم فقال : انظروا في شأن هذا الرجل ، والله لو شكن أن يوائكم في أمركم بأمره - قال : فقال قاتل منهم : أجسوه في وفاق ، ثم تربعوا به [ريب] المنون ، حتى جهك كما جهك من كان قبله من الشعراء : زهير والثابتة ، إنما هو كأحدكم . قال : فصرخ فظفر الله الشيخ النجدي فقال : والله ما هذا لكم يرئى ، والله ليخرجه ربه من عبسه إلى أصحابه ، فلنؤشكن أن يبرأ عليه حتى يأخذوه من أيديكم ، فيمنعه منكم ، فأتأمن عليكم أن يخرجوكم من بلادكم . قال : فانظروا في غير هذا :

قال : فقال قاتل منهم : أخرجوه من بين أظهركم فسترخوا منه ، فإنه إذا خرج إن يضركم ما صنع وأين وقع ، إذا غاب عنكم إذاه واسترحم ، وكان أمره في غيركم . قال الشيخ النجدي : والله ما هذا لكم يرئى ، ألم تروا حلاوة وطلاوة لسانه ، وأخذ القلوب ما تسع من حديثه (٣) ؟ والله لئن علمت - [لم أعرض العرب] - ليجتمعن عليكم ، لم يأتين [إليكم] حتى يخرجكم من بلادكم ويقتل أشرافكم قالوا : صدق والله : فانظروا بأبأ غير هذا (٤) :

قال : فقال أبو جهل لعه الله : والله لأشرون عليكم يرئى ما أراكم تصرموه (٥) ، يحد ، ما لرئى غيره : قالوا : وما هو ؟ قال : فلعن من كل قبيلة غلاما شابا وصيحا (٦) ، ثم يعلى كل غلام منهم مينا صارما ، ثم يفرقه غيره رجل واحد ، فإذا طووه فترق دمه في القبائل ، فلا أعطن هذا المرء من بني حاتم يقرون على حرب قریش كلها . فأنهم إذا رأوا ذلك قتلوا (٧) القتل ، واسترحنا وقطعنا عنا إذاه :

قال : فقال الشيخ النجدي : هذا والله الرأي القول ما قال الحق لا لرئى غيره : قال : فسترخوا على ذلك وهم مجموعون ، فأتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم ، فأمره أن لا يبيت في مضجعه الذي كان يبيت فيه ، وأخبره بمكر القوم ، فلم يبيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته تلك الليلة ، وأذن الله له عند ذلك بالخروج ، وأقول الله عليه يحد قلوبهم للدينه والأفانال : ولكن لعه عليه وبلاد عتده : (وإذا مكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون

(١) في تفسير الطبري : « زاذان » . وهو غطأ . ينظر التلخيص : ٤١٦ .

(٢) لن يسمعكم : لا يسمعكم ويشتككم .

(٣) في المضطربة : « وأخذ القلوب ما تسع من حديثه » . وأثبتنا ما في تفسير الطبري .

(٤) في تفسير الطبري : « فانظروا بأبأ غير هذا » .

(٥) تصرموه : تصرموه ، من الصرم وهو القطع ، أي فزع كان ، ومنه الحديث : « لا يحل لسلطان يسلم مسلما فركه ثلاث » ، أي يجره ويقطع مكانه . وكان في مضطربة الأثر : « تصرموه » بالفتح للمجسة ، ونسب انقط تصريف . ونقط الطبري والطبريات السابقة من هذا التصريف : « وما أراكم أيسرموه يحد » . وكلية « أيسرموه » فلفظ في هذا الموضع .

يريد أبو جهل أن يقول : إن ما ألتزم به عليكم هو الرأى ، لا يقبل النقض .

(٦) أبو سريته : الشريف المحيى في قومه ، ولله : الكرم ، الذي يفيض في صالح الأمور .

(٧) القتل : القتل : القتل .

الله والله خير للأكبرين) ، وأُتِل في قريش : « تربعوا به [ريب المتن] حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء » ، (أم يقولون شاعر نربص به ريب المتن) ، وكان ذلك اليوم يسمى « يوم الرحمة » ، قلدى اجتمعوا عليه من الرأى (١) .
ومن السلى نحو هذا السباق ، وأُتِل الله في إرادتهم إخراجهم قوله تعالى : (وإن كادوا ليستزواك من الأرض ليخرجنك منها ، وإن لا يبلغن خلالك إلا قليلا (٢)) .

وكذا روى العزقي ، عن ابن عباس : ودوى عن مجاهد ، وعروة بن الزبير ، وموسى بن عقبة ، وقاعدة ، ومثقم ، وغير واحد ، نحو ذلك .

وقال يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظر أمر الله ، حتى إذا اجتمعت قريش فذكرت به ، وأرادوا به ما أرادوا ، أثناء جبريل عليه السلام فأمره أن لا يبيت في مكانه الذي كان يبيت فيه . فلما رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب ، فأمره أن يبيت على فراشه وأن يسجى يورده أخضر ، ففعل . ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على القوم وهم على بابهم ، وخرج معه حفنة من تراب ، ففعل بلرهما على وموسم ، وأخذ [الله] بأبصارهم من نبيه عهد صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ : (يس والقرآن الحكيم) إلى قوله : (فاعشيتهم فهم لا يصرون) .

قال الحافظ أبو بكر البيهقي : ورؤى عن عكرمة ما يؤكد هذا .

وقد روى ابن حبان في صحيحه ، والحاكم في مستدركه ، من حديث عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن سعيد بن جببر ، عن ابن عباس قال : دخلت فاطمة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تبكي ، فقال : ما يبكيك يا بنية ؟ قالت : يا أبت ، ما لي لا أبكي . وهؤلاء الملاء من قريش في الحجر ينامون باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ، لو قد رأوك قداما إليك ليقطوك ، وليس منهم إلا من قد حرّف نصيبه من ذلك ، فقال : يا بنية ، انصبي بوضوء : فوضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج إلى المسجد . فلما رأوه قالوا : إنما هو ذا : فطأطأوا وموسمهم ، وسقطت أذنقهم بين أيديهم ، فلم يرفعوا أبصارهم . فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضة من تراب فحصبهم بها ، وقال : شامت الوجوه . فأصاب رجلا منهم حصاة من حصياته إلا قُتِل يوم بدر كافرا .
ثم قال الحاكم : صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه . ولا أعرف له حقة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، أنبأني عثمان بن الجوزي (٣) ، عن مثقم بن مولى ابن عباس أخبره عن ابن عباس في قوله : (ولإيكم بكم الذين كفروا ليبتلوك) . قال : شاورت قريش [ليلة] بحكة ، فقال بعضهم : إذا أصبح فأنبئوه بالوفاق - يريدون النبي صلى الله عليه وسلم - وقال بعضهم : بل اتكوه . وقال بعضهم : بل أخرجه : فأطلع الله نبيه على ذلك ، فبات على رضى الله عنه على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخرج

(١) تفسير الطبري : الأثر ١٥٩٦٥ - ١٣ / ٤٩٤ - ٤٩٦ . وينظر سيرة ابن هشام : ٤٨٠ / ١ - ٤٨٣ .

(٢) تفسير الطبري : الأثر ١٥٩٦٦ - ١٣ / ٤٩٨ - ٤٩٩ .

(٣) في المطبوعة : « مكان الطبري » . وهو خطأ . وألحقت من مسند الإمام أحمد ، وإخراج والتعديل لابن أبي حاتم : ١٧٤ / ١٢٢ .

ورسل الله صلى الله عليه وسلم حتى لحق بالثائر ، وبات للمشركون عرسون ملياً بحسبه النبي صلى الله عليه وسلم : فلما أصبحوا ثاروا إليه ، فلما رأوا حلياً ردَّ الله تعالى مكرهم ، قالوا : أين صاحبك هذا ؟ قال : لا أدري : فاقصموا أثره ، فلما بلغوا الجبل انخطط عليهم ، فاضطوا في الجبل فرزوا بالثائر ، فرأوا على يابه نسج المنكيوت ، فقالوا : لو دخلنا هاهنا لم يكن نسج المنكيوت على يابه ، فكش فيه ثلاث ليال (١) :

وقال محمد بن إسحاق ، عن عمه بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير في قوله : (ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) ، أي : فكرت [بهم] يكتلى اللتين ، حتى خلصتك منهم (٢) :

وَمَا تَكُنْ لَهُمْ عَلَيْهِمْ فِي سَبِيلِ الْإِسْلَامِ فِى أَوَّلِ حَرَسِهِمْ إِلاَّ أَنِىَ لَآتِيَهُمُ الْغُلَامُ يَوْمَ هُمْ كَامِلُونَ
وَمَا تَكُنْ لَهُمْ عَلَيْهِمْ فِي سَبِيلِ الْإِسْلَامِ فِى أَوَّلِ حَرَسِهِمْ إِلاَّ أَنِىَ لَآتِيَهُمُ الْغُلَامُ يَوْمَ هُمْ كَامِلُونَ
وَمَا تَكُنْ لَهُمْ عَلَيْهِمْ فِي سَبِيلِ الْإِسْلَامِ فِى أَوَّلِ حَرَسِهِمْ إِلاَّ أَنِىَ لَآتِيَهُمُ الْغُلَامُ يَوْمَ هُمْ كَامِلُونَ

غير تعالى عن كثر قرش وعنتوم وعندهم وعندهم ، ودعواهم الباطل عند صباح آياته حين قتل عليهم أنهم يقولون : قد سمعنا لو نشاء قلنا مثل هذا) : وهذا منهم قول بلا فعل ، وإلا فقد تحذوا غير ما مرة أن أتوا بسورة من الله فلا يجدون إلى ذلك سبيلاً : وإنما هذا قول منهم يفترون به أنفسهم ومن اتبعهم على باطلهم :

وقد قيل : إن القتال للآل هو النضر بن الحارث — لمت الله — كما قد نص على ذلك سيد بن جبيرة ، والصلبي وابن جرير وغيرهم ، فانه — لمت الله — كان قد ذهب إلى بلاد فارس ، وتعلم من أخبار ملوكهم رسم واسه لتجار ، ولا قدم وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بهت الله ، وهو يلو على الناس الفرقان ، فكان إذا قام صلى الله عليه وسلم من مجلس ، جلس فيه النضر فيحدثهم من أخبار أولئك ، ثم يقول : يا هؤلاء أحسن قصصاً ؟ أنا أم محمد ؟ ولهذا لا أمكن الله تعالى من يوم بدر ووقع في الأسارى ، أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تضربت رقبته صبراً بين يديه ، فتشعل ذلك ، والله الحمد : وكان الذى أسره المقداد بن الأسود رضى الله عنه ، كما قال ابن جرير :

حدثنا محمد بن بشر ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سيد بن جبيرة قال : قتل النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر صبراً عتيق بن أبي مصيصة ، ومصيصة بن حلى ، والنضر بن الحارث : وكان المقداد أسرى النضر ، فلما أمر بقتله قال للمقداد : يا رسول الله ، أسبرى : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه كان يقول في كتاب الله عز وجل ما يقول : فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله ، فقال للمقداد : يا رسول الله ، أسبرى : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم أئنثى للمقداد من فضلك : فقال للمقداد : هذا الذى أردت : قال : وفيه أنزلت هذه الآية : (وإذا قتل عليه آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء قلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين (٣)) .

(١) مسند الإمام أحمد : ٣١٨/١ .

(٢) ينظر سيرة ابن هشام : ٦٦٩/١ ، وتفسير الطبري ، الأثر ١٥٩٧٥ : ١٥٩٧٤/١ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٩٧٧ : ١٥٩٧٤/١ .

وكذا رواه هشيم ، عن أبي بشر جعفر بن أبي وحشية ^(١) ، عن سعيد بن جبير : أنه قال : « الملعون بن عدى » يدل طيبة ^(٢) . وهو غلط ، لأن الملعون بن عدى لم يكن حيا يوم بدر ، ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ : « لو كان الملعون حيا ، ثم سألتني في هؤلاء النفتى ، لو هبتهم ^(٣) له » . يعنى الأسارى ، لأنه كان قد أجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم رجع من الطائف .

ومعنى : (أساطير الأولين) ، وهو جمع أسطورة ، أى : كتبهم اقتبسها ، فهو يتعلم منها ويتلوها على الناس ، وهذا هو الكلب البحت ، كما أخبر الله عنهم في الآية الأخرى : (وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا . قل : أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض إنه كان غفورا رحيما ^(٤)) ، أى : لمن تاب إليه وأتاب ، فإنه يظيل منه ويصفح عنه .

وقوله : (وإذا قالوا : اللهم ، إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم) ، هذا من كثرة جهلهم وعُتُوهم وعتادهم وحشة تكذيبهم ، وهذا مما عيَّبوا به ، وكان الأول لم أن يقولوا : « اللهم ، إن كان هذا هو الحق من عندك ، فأهنا له ، ووقتنا لاتباعه » . ولكن استنجدوا على أنفسهم ، واستعجلوا العذاب ، وتقديم العقوبة كما قال تعالى : (ويستعجلونك بالعذاب ، ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب ، ولولا أنهم بينة وهم لا يشعرون ^(٥)) : (وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب ^(٦)) ، (سأل سائل بعذاب واقع . للكافرين ليس له دافع . من الله ذى المارج ^(٧)) : وكذلك قال الجهلة من الأمم السالفة : كما قال قوم شعيب له : (فاستطع علينا كسفا من الماء إن كنت من الصادقين ^(٨)) ، وقال هؤلاء : (اللهم ، إن كان هذا هو الحق من عندك ، فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم) .

قال شعبه ، عن عبد الحميد صاحب التزياتى ، عن أسد بن مالك قال : هو أبو جهل بن هشام قال : (اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم) ، فترلت : (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستفرون) ... الآية .

(١) فى المخطوطة مكان « وحشية » : « حية » . وهو غلط ، وهو جعفر بن لياس - ويقال : ابن أبي وحشية ينظر - ترجمته فى التلخيص : ٨٣/٢ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٩٨٠ : ١٣/٥٠٤ .

(٣) صحيح البخارى ، كتاب الجهاد ، باب ما من الذى صلى الله عليه وسلم من خير أن يغيب : ١١١/٤ . وكتابه المغازى : ١١٠/٥ . عن محمد بن جبير ، من أبيه . ورواه أبو داود فى كتاب الجهاد ، باب « فى المن على الأسير بغير فداء » الحديث ٣٦٨٨ : ٩١/٣ . والإمام أخذ فى سننه جبير بن مطعم : ٨٠/٤ .

(٤) سورة الفرقان : آية ٥٥ : ٦ .

(٥) سورة المتكوير : آية ٥٣ .

(٦) سورة ص : آية ١٦ .

(٧) سورة المارج : الآيات ١ - ٣ .

(٨) سورة الشراء : آية ١٨٧ .

رواه البخاري عن أحمد ومحمد بن النضر ، كلاهما عن حبيب الله بن معاذ ، عن أبيه ، عن شعبة (١) ، به .
وأحمد هنا هو : أحمد بن النضر بن عبد الوهاب ، قاله الحاكم أبو أحمد ، والحاكم أبو عبد الله النيسابوري .
والله أعلم .

وقال الأعمش ، عن رجل ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله : (وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم) ، قال : هو النضر بن الحارث بن كلفة : قال : فأترل الله : (سأل سائل بعذاب واقع : للكافرين ليس له دافع) : وكذا قال مجاهد ، وعطاء ، وسعيد بن جببر ، والسدي : إنه النضر بن الحارث — زاد عطاه : فقال الله تعالى : (وقالوا ربنا جعل لنا قبل يوم الحساب) ، وقال : (وقد جئتمونا فرادى كما خطبناكم أول مرة) ، وقال : (سأل سائل بعذاب واقع للكافرين) : قال عطاه : وقد أتزل فيه يضع عشرة آية من كتاب الله عز وجل (٢) :

وقال ابن مردويه : حدثنا محمد بن إبراهيم ، حدثنا الحسن بن أحمد بن الليث ، حدثنا أبو هسان ، حدثنا أبو ثعلبة ، حدثنا الحسين ، عن ابن بريدة ، عن أبيه قال : رأيت عمرو بن العاص واقفا يوم أحد على فرس ، وهو يقول : اللهم ، إن كان ما يقول محمد حقاً فاصحبه في قبري .

وقال قتادة في قوله : (وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك) ، الآية ، قال : قال ذلك سكة (٣) هذه الأمة وجهتها ، فعاد الله بمائلته ورحمته على سكة هذه الأمة وجهتها (٤) .

وقوله تعالى : (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله ليعذبهم وهم يستغفرون) ، قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو حنيفة موسى بن مسعود ، حدثنا عكرمة بن حمار ، عن أبي زميل سبك الحنفى ، عن ابن عباس قال : كان للمشركون يطوفون بالبيت ويقولون : أيبك اللهم ليك ، لييك لا شريك لك : فيقول النبي صلى الله عليه وسلم : قد ، قد ! ويقولون : لا شريك لك ، إلا شريكاً هو لك ، تملكه وما ملك : ويقولون : غفراك ، غفراك ، فأترل الله : (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله ليعذبهم وهم يستغفرون) : قال ابن عباس : كان فيهم أمانان : النبي صلى الله عليه وسلم والاستغفار ، فذهب النبي صلى الله عليه وسلم وفق الاستغفار (٥) .

وقال ابن جرير : حدثني الحارث ، حدثنا عبد الويز ، حدثنا أبو معشر ، عن يزيد بن رومان ومحمد بن قيس قال : قالت قريش بعضهم لبعض : عبد أكرمهم الله من بيتنا : (اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة

(١) البخاري ، تفسير سورة الأنفال : ٧٨/٦ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٩٨٥ : ١٣/١٣٠٦ .

(٣) كذا « سكة » . ولم يحدد في كتب اللغة . وفي اللسان : « وسكة — يضم اللام — : جبل ، فهو سكة » ، والجميع : سلهاء وسقاء ، والأش : سكة ، والجميع : سكة ، وسقاء : « يضم السين وتشديد اللام مفتوحة — وسقاء » .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٩٨٨ : ١٣/١٣٠٧ .

(٥) رواه ابن جرير الطبري عن أحمد بن منصور الرمادي ، عن أبي حنيفة بإسناده ، ينظر الأثر ١٦٥٥٥ : ١٣/١١٦١ .

من السماء أو إلهًا يعذبكم أليم) ، فلما أسوأ تدما على ما قالوا ، قالوا : غفرانك اللهم ! فأنزل الله عز وجل : (وما كان الله معكم وهم يستغفرون) إلى قوله : (ولكن أكثرهم لا يعلمون (١)) .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : (وما كان الله ليطلبهم وأنت فيهم) ، يقول : ما كان الله ليطلب قوما وأنبياؤهم بين أظهرهم حتى يخرجهم ، ثم قال : (وما كان الله معكم وهم يستغفرون) ، يقول : وفيهم من قد سبق له من الله الخلق في الإيمان ، وهو الاستغفار — يستغفرون ، يعني : يصلون ، يعني بهذا أمل مكة (٢) .

... وروى عن مجاهد ، وعكرمة ، وعطية القوف ، وسعيد بن جبّير ، والسدي نحو ذلك .

وقال الفساحك وأبو مالك : (وما كان الله معكم وهم يستغفرون) ، يعني : المؤمنين الذين كانوا معكم ،

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عبد الغفار بن داود ، حدثنا النضر بن عرق قال ابن عباس : إن الله جبل في هذه الأمة أمانين لا يزالون معصومين مجارين من قوارع الطلب مادام بين أظهرهم ، فأمان قبضه الله إليه ، وأمان بقي فيكم ، قوله : — (وما كان الله ليطلبهم وأنت فيهم وما كان الله معكم وهم يستغفرون) .

قال أبو صالح عبد الغفار : حدثني بعض أصحابنا أن النضر بن عرق حدثه هذا الحديث ، عن مجاهد ، عن ابن عباس (٣) .

وروى ابن مردويه وابن جرير (٤) ، عن أبي موسى الأشعري نحواً من هذا ، وكلما روي عن قتادة وأبي العلاء السخري القري :

وقال الترمذي : حدثنا سفيان بن وكيع ، حدثنا ابن نُمَيْر ، عن إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر ، عن حَبَّاد بن يوسف ، عن أبي بردة بن أبي موسى ، عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنزل [الله] على أمانين لأمتي : (وما كان الله ليطلبهم وأنت فيهم وما كان الله معكم وهم يستغفرون) ، فإذا مضيت تركت فيهم الاستغفار [اليوم القيامة (٥)] .

ويشهد لهذا مرواه الإمام أحمد في مسنده ، والحاكم في مسنده ، والحاكم في مستدركه ، من حديث عبد الله بن وهب : أخبرني عمرو بن الحارث ، عن ذؤيب ، عن أبي الميثم ، عن أبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «إن الشيطان قال : ورحلتك يارب ، لا أبرح أغوى عبادك مادامت أرواحهم في أجسادهم ، فقال الرب : ورحلتك وجلالتك لا تزال أخفرهم ما يستغفرون (٦) » .

ثم قال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٠٠١ : ١٦٠١٣/١٣ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٠١٢ ، ١٦٠١٣ : ١٦٠١٣/١٣ .

(٣) أخرجه السيوطي في الدر المنثور عن ابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه : ١٨٢/٣ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٠٠٣ : ١٦٠١٣/١٣ .

(٥) تحفة الأحوف ، تفسير سورة الأنفال ، الحديث ٥٠٧٧ : ٤٧٢/٨ ، وقال الترمذي : ٤١ ، وهذا حديث غريب .

(٦) إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر يثبت في الحديث : .

(٧) ألقى أماناً في المست رواية يزيد بن الحارث عن عمرو ، بنظر ، ٢٩/٣ ، ٤١ ، كما ينظر أيضاً المست : ٧٦/٣ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا معاوية بن عمرو ، حدثنا رشدين - هو ابن سعد - حدثني معاوية بن سعد التميمي ، عن جدته ، عن فضالة بن عبيد ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « للبد آمن من عذاب الله ما استغفر الله عز وجل » (١) .

وما علم إلا يعلمهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءهم إن أولياءهم إلا الذين آمنوا ولا يفتهم ولا يعلمون (٢) وما كان صلاحهم عند البيت إلا مكافؤ تصديقهم فذو العذاب بما كذبوا بآياتهم يكفرون (٣)

بشر تعالى أنهم أهل لأن يعلمهم ، ولكن لم يوقع ذلك بهم لبركة مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم ، ولهذا لا يخرج من بين أظهرهم ، لوقع الله بهم بئس يوم بدر ، فتقبل صناديدهم وأسررت سرانهم (٤) . وأرسلهم تعالى إلى الاستغفار من الذنوب ، التي هم متلبسون بها من الشرك والفساد .

قال قتادة والسلي وغيرهما : لم يكن القوم يستغفرون ، ولو كانوا يستغفرون ما علموا (٥)

واختاره ابن جرير ، لولا ما كان بين أظهرهم من المستضعفين من المؤمنين المستغفرين لأوقع بهم البأس الذي لا يرد ، ولكن دفع عنهم بسبب أولئك ، كما قال تعالى في يوم الحديبية : (هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والمضى معكوا فأن يبلغ عمله ، ولولا رجال مؤمنون ولساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطوهم فتصيحكم منهم فبشر علم ، ليعمل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما (٦))

قال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا يعقوب ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن ابن أبيزي قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ، فأنزل الله : (وما كان الله ليعلمهم وأنت فيهم) ، قال : فخرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، فأنزل الله : (وما كان الله معلهم وهم يستغفرون) . قال : وكان أولئك البقية من المؤمنين الذين بقوا فيها يستغفرون - يعني بمكة - فلما خرجوا أنزل الله : (وما علم أن لا يعلمهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءهم) ، قال : فأذن الله في فتح مكة ، فهو العذاب الذي وعدهم (٧) :

وروي عن ابن عباس ، ولقي مالك ، والضحك ، وغير واحد نحو هذا

وقد قيل : إن هذه الآية ناسخة لقوله : (وما كان الله معلهم وهم يستغفرون) ، على أن يكون المراد صلوات الاستغفار منهم أنفسهم .

(١) مسند الإمام أحمد : ٢٠/٦ .

(٢) السراء : الأثران .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر : ١٦٠٠/١٣/١٤ .

(٤) سورة الفتح ، آية : ٢٥ .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر : ١٥٩٩/١٣/٩ : ٥١٠ .

قال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا يحيى بن واضح ، عن الحسن بن واقد ، عن يزيد بن قحوي ، عن عكرمة والحسن البصري قالا : قال في « الأفعال » : (وما كان الله ليعلمهم وأنت فيهم ، وما كان الله معلهم وهم يستغفرون) ، فتسخطها الآية التي عليها : (وما لم أَلَمْ يعلمهم الله) إلى قوله : (فلو قولا المذاب بما كنتم تكفرون) ، فقوتلوا بمكة ، فأصابهم فيها الجوع والفسر (١) .

وكلما رواه ابن أبي حاتم من حديث أبي تَمِيْلَةَ يحيى بن واضح ،

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح ، حدثنا حجاج بن محمد ، عن ابن جُرَيْجٍ وهشام بن عطاء ، عن عطاء عن ابن عباس : (وما كان الله معلهم وهم يستغفرون) ، ثم استثنى أهل الشرك فقال : (وما لم أَلَمْ يعلمهم الله وهم يصلون من المسجد الحرام) (٢) .

وقوله : (وما لم أَلَمْ يعلمهم الله وهم يصلون من المسجد الحرام ، وما كانوا أوليائه إلا المقنون ، ولكن أكثرهم لا يعلمون) ، أي : وكيف لا يعلمهم الله وهم يصلون من المسجد الحرام ، أي الذي بيك ، يصلون المؤمنون الذين هم أمته عن الصلاة عنده والطواف به ؛ ولهذا قال : (وما كانوا أوليائه) ، أي : هم ليسوا أهل المسجد الحرام ، وإنما أمهه التي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، كما قال تعالى : (ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي الثار هم خالدون : إنما يعمروا مساجد الله من كذبوا بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يحش إلا الله ففسى أولئك أن يَكُونُوا مِنَ الْمُتَكِبِّينَ (٣)) ، وقال تعالى : (وعد عن سبيل الله وكفر به وللمسجد الحرام وإعراج أمهه أكبر عتد الله (٤) الآية .

وقال الحافظ أبو بكر بن مَرْثُودٍ في تفسير هذه الآية : حدثنا سليمان بن أحمد - هو الطبراني - حدثنا جعفر ابن إلياس بن صدقة المصري ، حدثنا تميم بن حماد ، حدثنا نوح بن أبي مريم ، عن يحيى بن سعيد الأنصاري ، عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم من آلك ؟ قال : كل نبي ، وتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن أوليائه إلا المقنون (٥)) .

وقال الحاكم في مستدرکه : حدثنا أبو بكر الخافى ، حدثنا إسماعيل بن الحسن ، حدثنا أبو حنيفة ، حدثنا مكيان ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن إسماعيل بن حبيب بن رافعة ، عن أبيه ، عن جده قال : جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا فقال : هل فيكم من غيركم ؟ قالوا : فينا ابن أختنا ، وفيها حليفتا ، وفيها مولاتا . قال : حليفتا منا ، وابن أختنا منا ، ومولاتا منا ، إن أوليائى منكم المقنون .

(١) تفسير الطبري : الأثر ١٦٠١٧ : ١٣ / ١٧٧ .

(٢) أخرجه السيوطي في الدر المنثور عن ابن أبي حاتم ، ١٨٢ / ٣ .

(٣) سورة التوبة : آية ١٦ / ١٧٧ .

(٤) سورة البقرة : آية ٢١٧ .

(٥) رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْمَجْمَعِ الصَّغِيرِ : ١١٥ / ١ . وَفِيهِ مَكَانٌ : « مَنْ آلَكَ ؟ » : « مَنْ آلَ مُحَمَّدٍ ؟ » وَقَالَ الطَّبْرَانِيُّ : « لَمْ يَرَوْا » .

عن يحيى بن سعيد لا نوح ، فردد به نعم .

ثم قال : « هذا صحيح ، ولم يخرجاه (١) »

وقال هرو ، والسدي ، ومحمد بن إسحاق في قوله تعالى : (إن أولياته إلا للقرن) ، قال : « محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم »

وقال مجاهد : « هم للجاهلون ، من كانوا ، وحيث كانوا (٢) »

ثم ذكر تعالى ما كانوا يضمونه عند المسجد الحرام وما كانوا يملونه به ، فقال : (وما كان صلاحهم عند البيت إلا مكاء وتصدية) .

قال عبد الله بن عمر ، وابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، وأبو رجاء السطاردي ، ومحمد بن كعب القرظي ، وحجر بن عتيب ، وثيب بن شريط ، وقادة ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم : « هو الصفر — وزاد مجاهد : وكانوا يدخلون أصحابهم في أفراعهم »

وقال السدي : « المكاء » ، الصفر على نحو طير أبيض يقال له : « المكاء » ويكون بأرض الحجاز [و« التصدية » :

التصفين] (٣)

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو غلام سليمان بن غلام ، حدثنا يونس بن محمد الأزدي ، حدثنا بقرب — يعني ابن عبد الله الأحمري — حدثنا جعفر بن [أبي] (٤) لليرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله : (وما كان صلاحهم عند البيت إلا مكاء وتصدية) ، قال : « كانت قريش تطوف بالكعبة مرة تصفر وتصفن — و« المكاء » : الصفر ، وإفراجهوا بصفر الطير وتصدية التصفين (٥) »

وهكذا روى عن أبي طلحة العوفي ، عن ابن عباس : « وكلما روى عن ابن عمر ، ومجاهد ، ومحمد بن كعب ، وأبي سلمة بن عبد الرحمن ، والفسحاك ، وقادة ، وعطية العوفي ، وحجر بن عتيب ، وابن أبي نجيح »

وقال ابن جرير : حدثنا ابن بشر ، حدثنا أبو عمر ، حدثنا قرة ، عن حنبلية ، عن ابن عمر في قوله : (وما كان صلاحهم عند البيت إلا مكاء وتصدية) ، قال : « للمكاء : الصفر ، و« التصدية » : التصفين — قال قرة : وحكي لنا حنبلية فعل ابن عمر ، فصفر ابن عمر ، وأمال عده ، وصفق يديه (٦) »

وعن ابن عمر أيضاً أنه قال : « كانوا يضحون بخدودهم على الأرض ويصقون ويصفرون ، رواه ابن أبي حاتم في تفسيره يستنبه عنه (٧) »

(١) المستدرک ، تفسير سورة الأنفال : ٢/٢٢٨ .

(٢) ينظر حذو الآثار في تفسير الطبري : ١٣/٥٢٠ .

(٣) ما بين القوسين من تفسير الطبري ، الأثر ١٦٠٤٧ : ١٣/٥٢٦ ، ومكانه في الخطوط : « وتصدية » . والمكاء — يسمي المم وتشدید الکاف ، وجهه : مكائي — « طائر نحو القبرة إلا أنه في جناسه يلقأ . سى يلقأ لأنه يمس به » ثم صفر لهما صفرًا حسنًا .

(٤) ما بين القوسين المختوفين من ترجمته في التلخيص : ١٠٨/٢ ، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم : ١/٤٩٠ .

(٥) لندل المنصور للسيوطي عن ابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه والبيهقي : ١٨٢/٤ .

(٦) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٠٢٩ : ١٣/٥٢٣ .

(٧) لندل المنصور للسيوطي : ١٨٢/٣ .

وقال عكرمة : كانوا يلقون بالبيت على الشبال ،

قال مجاهد : وإنما كانوا يصنعون ذلك ليخطوا بذلك على النبي صلى الله عليه وسلم صلاته .

وقال الزهري : يستهزئون بالمؤمنين :

وعن سعيد بن جبيرة وعبد الرحمن بن زيد : (وتصدية) ، قال : صدقهم الناس عن سبيل الله عز وجل .

قوله : (فلقوا الطلاب بما كنتم تكفرون) ، قال الضحاك ، وابن جريج ، ومحمد بن إسحاق : هو ما أصابهم يوم بدر من القتل والسبي . واغتراه ابن جرير ، ولم يحك فيه (١) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا ابن أبي عمر ، حدثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : غلب

أهل الإفرار بالسيف ، وغلب أهل التكليب بالصيحة والزولة .

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَتَّبِعُونَ أُمُورَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُفْقَهُنَّهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يَقْلِبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُعْشَرُونَ ﴿٥٣﴾ لِيَبْزِيَ اللَّهُ أَتَّخِذْتَ مِنَ ظُلْمِ اللَّهِ وَيَجْعَلَ أَتَّخِذْتَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكَبَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَكْسِرُونَ ﴿٥٤﴾

قال محمد بن إسحاق : حدثني الزهري ، ومحمد بن يحيى بن حبان ، وحامد بن عمر بن قتادة ، والحسين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ قالوا : لا أصيب قريش يوم بدر ، ورجع فكلهم إلى مكة (٢) ، ورجع أبو سفيان ، وبه ، على عبد الله بن أبي ربيعة ، وعكرمة بن أبي جهل ، وصفوان بن أمية ، في رجال من قريش أصيب أبائهم وأبنائهم وأخراهم . يبر ، فكلوا أبا سفيان بن حرب ومن كانت له في تلك الحرة من قريش نجارة ، فقالوا : يا مشر قريش ، إن محمدا قد وتركم (٣) . وقتل خيارك ، فأهينونا بهذا اللال على حرب ، لعنا أن نترك منه ثأراً بمن أصيب منا ! فقلوا قال : فقيمهم - كما ذكر عن ابن عباس - أنزل الله عز وجل : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَتَّبِعُونَ أُمُورَهُمْ) إلى قوله : (وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُعْشَرُونَ) (٤) .

وهكذا روى عن مجاهد ، وسعيد بن جبيرة ، والحكم بن عتيبة ، وقتادة والسدي ، وابن أبيزى : أنها نزلت في أبي سفيان ونفقة الأموال في أحد قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال الضحاك : نزلت في أهل بدر (٥) .

وعلى كل تقدير فهي عامة ، وإن كان سبب نزولها خاصا ، فقد أخبر تعالى أن الكفار يتفقون أمورهم ليصدوا عن اتباع طريق الحق ، ليعملوا ذلك ، ثم تلعب أمورهم ، (ثم تكون عليهم حسرة) ، أي : ندامة ، حيث لم يتجدد شيئا ،

(١) تفسير الطبري : ١٣ ، ٢٨٢ .

(٢) القل - يفتح لقاء وتشديه اللام - المزمعون ، أراجعون من جيش قحظم .

(٣) وتركم : أدرك فيكم مكروها بالقتل ، والموتور : الذي قتل له قتل ، فلم يأخذ بأثره .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٠٦٣ ، ١٣ ، ٣٢٢ ، ٣٣٠ .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٠٥٥ ، ١٣ ، ٢٨٢ .

لأنهم أرادوا إلقاء نور الله وظهور كلمتهم على كلمة الحق ، والله من نوره ولو كره الكافرون ، وتاصر دينه ، وممن كلمته ، ومظهر دينه على كل دين . فلما انزى لهم ، في الدنيا ، ولم في الآخرة عذاب النار . فن عاش منهم رأى بهيه وسمع بأذنه ما سوره ، ومن قُتل منهم أو مات قاتل انزى الأبدى والعلاب السردى . ولما قال : (فسيقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يلقيون ، واللذين كفروا إلى جهنم يحشرون) .

وقوله تعالى : (ليجزي الله الخبيث من الطيب) ، قال على بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : (ليميز الله الخبيث من الطيب) : ليميز أهل السعادة من أهل الشقاء . وقال السدي : يميز المؤمنين من الكافر . ولما يحتمل أن يكون هذا التمييز في الآخرة ، كما قال تعالى : (ثم يقول للذين أشرَكوا : مكانكم أنتم وشركاكم فريثا بينهم)^(١) ، وقال تعالى : (ويوم تقوم الساعة يومئذ ينفلقون^(٢)) . وقال في الآية الأخرى : (يومئذ يصدحون^(٣)) ، وقال تعالى : (واستأزوا اليوم أيها المحرمين^(٤)) . ويحتمل أن يكون هذا التمييز في الدنيا ، بما يظهر من أعمالهم المؤمنين ، وتكون « اللام » معلقة لا جمل الله للكفار من مال ينفقون في الصد عن سبيل الله ، أي : إنما أنفدناهم على ذلك (ليميز الله الخبيث من الطيب) ، أي : من يطيعه يقتل أصله الكافرين ، أو يعصيه بالكفر عن ذلك كما قال تعالى : (وما أصابكم يوم التقى الجمعان فليخذل الله وليلم المؤمنين . وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم : تعالوا فقاتلوا في سبيل الله أو اخلوا . قالوا : لو تعلم خلا لايتناكم)^(٥) . الآية ، وقال تعالى : (ما كان الله ليلد المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ، وما كان الله ليطعكم على الغيب)^(٦) الآية ، وقال تعالى : (أم حسبم أن تدخلوا الجنة ولا يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين^(٧)) ، ونظيرتا في برائة أيضا^(٨) ، وفي الآية على هذا : إنما اجتباياكم بالكفر فقاتلونكم ، وأقدرناهم على إتفاق الأموال ويلما في ذلك ، ليميز الخبيث من الطيب ، فيجبل الخبيث بعضه على بعض ، (فركمه) ، أي : يجمعه كله ، وهو جمع الشيء بعضه على بعض ، كما قال تعالى في السحاب : (ثم يجعله ركاما) ، أي : مراكما مراكبا ، (فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون) ، أي : هؤلاء هم الخاسرون في الدنيا والآخرة .

قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنتُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ وَقَتْلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنَّ آتَيْنَا لَهُمْ بَرَاءَةً أَنْ يَقُولُوا قَاعِلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاهُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿١٦﴾

يقول تعالى لنبيه محمد صل الله عليه وسلم : « قل للذين كفروا إِنْ يَنْتَهُوا ، أي : عما هم فيه من الكفر والمشاقة والعداء ، ويدخلوا في الإسلام والطاعة والإنابة ، يغفر لهم ما قد سلف ، أي : من كفرهم ،

(١) سورة يونس ، آية : ٢٨ .

(٢) سورة الروم ، آية : ١٤ .

(٣) سورة الروم ، آية : ٤٣ .

(٤) سورة هود ، آية : ٥٩ .

(٥) سورة آل عمران ، آية : ١٦٦ ، ١٦٧ .

(٦) سورة آل عمران ، آية : ١٧٩ .

(٧) سورة آل عمران ، آية : ١٤٢ .

(٨) سورة براءة والفتح ، آية : ١٦ .

وذوهم وخطابهم ، كما جاء في الصحيح ، من حديث أبي وائل عن ابن مسعود ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من أحسن في الإسلام لم يؤمخك بما حل في الجاهلية ، ومن أساء في الإسلام أخذ بالأول والآخر (١) » .

وفي الصحيح أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الإسلام ينبغي ما قبله ، والتوبة تجب ما كان قبلها » (٢) ، وقوله : « وإن يهودوا » ، أي : يستمروا على ما هم فيه ، (فقد مضت سنة الأولين) ، أي : قد مضت سنتا في الأولين أنهم إذا كلوا واستمروا على عاداتهم أنا نأكلهم بالمداب والمقوية .

قال مجاهد في قوله : « قد مضت سنة الأولين » ، أي : في قريش يوم بدر وغيرها من الأمم (٣) ، وقال السدي ومحمد بن إسحاق أي : يوم بدر (٤) :

وقوله : « وقالوا لهم حتى لا تكون فتنة ويكون للذين كله الله » ، قال البخاري : حدثنا الحسن بن عبد العزيز ، حدثنا عبد الله بن يحيى ، حدثنا حيوة بن شريح ، عن بكر بن عمرو ، عن بكير ، عن نافع ، عن ابن عمر : أن رجلاً جاءه فقال : يا أبا عبد الرحمن ، ألا تسمع ما ذكر الله في كتابه : « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ... الآية » ، فما يملك أن لا يقتل كما ذكر الله في كتابه ؟ فقال : يا ابن أخي ، أحيّر بهله الآية ولا أقاتل ، أحب إلى من أن أحيّر بالآية التي يقول الله عز وجل : « ومن يقتل مؤمناً متعمداً ... إلى آخر الآية » - قال : فإن الله تعالى يقول : « وقالوا لهم حتى لا تكون فتنة » ؟ قال ابن عمر : قد فعلنا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم إذ كان الإسلام قليلاً ، وكان الرجل يمتن في دينه : إما أن يقتله ، وإما أن يوقوه ، حتى كثر الإسلام فلم تكن فتنة ، فلما رأى أنه لا يوافقه فيها يريد ، قال : فما قولاك في علي وعثمان ؟ قال ابن عمر : ما قولي في علي وعثمان ؟ أما عثمان فكان الله قد حفا عليه ، وكرهتم أن يفرعه ، ولما حل فابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعتقته - وأشار بيده - وعله ابنته - أو : بنته - حيث ترون (٥) ،

وحدثنا أحمد بن يونس ، حدثنا زهير ، حدثنا بيان أن وبرة حدثه قال : حدثني سعيد بن جبيرة قال : خرج علينا - أو : إلينا - ابن عمر رضي الله عنهما ، فقال [رجل] : كيف ترى في قتال القنتة ؟ فقال : وهل تلتري ما القنتة ؟ كان محمد صلى الله عليه وسلم يقاتل للمشركين ، وكان الدخول عليهم فتنة ، وليس بقتالكم على الملك (٦) ، هلاكه سبب البخاري رحمه الله .

وقال حبيب الله ، عن نافع ، عن ابن عمر : أنه أتاه رجلاً في فتنة ابن الزبير فقالا : إن الناس قد صنعوا ما ترى ، وأنت ابن عمر بن الخطاب ، وأنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما يملك أن يخرج ؟ قال : ينبغي أن الله

(١) البخاري ، كتاب استنباط المرتدين : ١٧/١ ، ١٨ . ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب « هل يؤخذ بأعمال الجاهلية » : ٧٧/١ .

(٢) سنة الإمام أحمد من عمرو بن عمرو بن القاسم : ١٩٩/٤ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ . ولغة في الجميع : « وإن المجرة تجب ما كان قبلها » .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٠٢٠ : ١٣/١٣ .

(٤) ينظر تفسير الطبري : ١٣/١٣ .

(٥) صحيح البخاري ، تفسير سورة الأنفال : ٧٨/٦ ، ٧٩ .

(٦) المرجع المتقدم : ٧٧/٦ .

حرم على دم أذى المسلم : قالوا : أو لم يقل الله : « وتقاتلهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله » ؟ قال : قد فتننا حتى لم تكن فتنة ، وكان الدين كله لله : وأنتم تريدون أن فتنوا حتى تكون فتنة ، ويكون الدين لله : الله :

وكلما رواء حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن أيوب بن عبد الله النخعي قال : كنت عند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، فأتاه رجل فقال : إن الله يقول : (وتقاتلهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ، قال ابن عمر : فأتيت أنا وأصحابي حتى كان الدين كله لله ، وذهب الشرك ولم تكن فتنة ، ولكلك وأصحابك تقاتلون حتى تكون فتنة ، ويكون الدين لله : رواهما ابن مَرْدُويه .

وقال أبو حنيفة ، عن الأعمش ، عن إبراهيم التيمي ، عن أبيه قال : قال ذو البطين — يعني أسامة بن زيد — لا أكافل رجلا يقول : لا إله إلا الله ، أبدا ، قال : [فقال سعد بن مالك : « وأنا والله لا أكافل رجلا يقول : لا إله إلا الله أبدا] ، قال رجل : ألم يقل الله : (وتقاتلهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) ؟ قال : قد فتننا حتى لم تكن فتنة ، وكان الدين كله لله . رواه ابن مَرْدُويه .

وقال الضمك ، عن ابن عباس : (وتقاتلهم حتى لا تكون فتنة) ، يعني : لا يكون شرك ، وكلما قال أبو العالية ، ومجاهد ، والحسن ، وقاعدة ، والربيع بن أنس ، والسلي ، ومقاتل بن حنيفة ، وزيد بن أسلم .

وقال محمد بن إسحاق : بلغني عن الزهري ، عن عروة بن الزبير وغيره من حفاظنا : (حتى لا تكون فتنة) : حتى لا يفتن مسلم عن دينه .

وقوله : (ويكون الدين كله لله) ، قال الضمك ، عن ابن عباس في هذه الآية : قال : مخلص التوحيد لله ،

وقال الحسن وقاعدة ، وابن جرير (ويكون الدين كله لله) : أن يقال : لا إله إلا الله .

وقال محمد بن إسحاق : ويكون التوحيد خالصا لله ، ليس فيه شرك ، ومخلص ماحونه من الأنداد ،

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : (ويكون الدين كله لله) ، لا يكون مع دينكم كفر .

ويشهد له ما ثبت في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أمروا أن أكافل الناس حتى يقولوا :

« لا إله إلا الله » ، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، وحسابهم على الله عز وجل » (١) وفي الصحيحين

عن أبي موسى الأشعري قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ، ويقاتل

رياء ، أي ذلك في سبيل الله عز وجل ؟ فقال : من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ، فهو في سبيل الله عز وجل . (٢)

وقوله : (فإن انتهوا) ، [أي : يقاتلكم عاصم فيه من الكفر ، فكفوا عنه وإن لم تعلموا برايتهم] ، (فإن الله بما

يعملون بصير) ، كما قال تعالى : (فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ، إن الله غفور رحيم) (٣) ،

وفي الآية الأخرى : (فاعزواكم في الدين) (٤) .

(١) أخرجه في كتاب الإيمان ، بنظر البزار ، باب « فإن تابوا وأقاموا الصلاة .. » : ١٢/١ ، ١٣ . ومسلم ، باب « الأمر بقتال الكفار حتى يقولوا : لا إله إلا الله عند رسول الله » : ٣٨/١ .

(٢) البزار ، كتاب العلم ، باب « من سأل وهو قائم جالسا » : ٤٢/١ ، ٤٣ . ومسلم ، كتابه الإمارة ، باب « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » : ٤٦/١ .

(٣) سورة التوبة ، آية ٥ .

(٤) سورة التوبة ، آية ١١ .

وقال: (وقالوا هم حتى لا نكون فنتدبر يكون للذين لله، فإن انتهروا فلا حولنا إلا على الظالمين) وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأسامة - «لا علا ذلك الرجل بالسيف» قال: «لا إله إلا الله»، فصره قتلته، فذكر ذلك لرسول الله - فقال لأسامة - «أخذه بعد ما قال «لا إله إلا الله»؟ وكيف تصنع بلا إله إلا الله يوم القيامة؟ قال: يا رسول الله، إنما قلنا نوتنا - قال: «هلاً شقت من قلبه؟» وجعل يقول ويكرر عليه: من لك بدلاً إله إلا الله يوم القيامة؟ قال أسامة: حتى تمت أني لم أكن أسلمت إلا ذلك اليوم (١)»

وقوله: (وإن تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير)، أي: وإن استمروا على خلافكم ومحاربتكم، (فاعلموا أن الله مولاكم) أي: سيديكم وتناصركم على أعدائكم، فتم المولى ونعم النصير،

وقال محمد بن جرير: حدثني عبد الوارث بن عبد الصمد، حدثنا أبي، حدثنا أبان السطار، حدثنا هشام بن هرو، عن عروة: أن عبد الملك بن مروان كتب إليه يسأله عن أشياء، فكتب إليه عروة: «سلام عليك، فإنني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو» أما بعد، فإنك كتبت لي تسألني عن عرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة، وسأخبرك به، ولا حول ولا قوة إلا بالله: كان من شأن عرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة، أن الله أعطاه النبوة، فَنَحِمَ النبي، ونعم السيد، ونعم المشيرة، فجزاه الله خيراً، وهرقنا وجهه في الجنة، وأحباها على ملته، وأمانتنا عليها، وبشنا عليها، وإته لا دعا قومه إلا بشفه الله له من الملقى والثور الذي أزل عليه، لم يعملوا منه أول ما دعاهم إليه، وكادوا يسمعون منه، حتى ذكر طولابيتهم: وقدم ناس من الطائف من قريش، لهم أموال، أنكر ذلك عليه الناس واشتدوا عليه، وكرهوا ما قال، وأغروا به من أطاعهم، فانصلق (٢) عنه عامة الناس، فزكوه إلا من حفظه الله منهم، وهم قليل، فسكت بذلك ما قدر الله أن يمكث، ثم اتهمتم وحوسهم بأن يفتنوا من اتبعه عن دين الله من أبنائهم وإخوانهم وقيادتهم، فكانت فتنة شديدة الأثر، فافتن من افتن، وعصم الله من شاء منهم. فلما فعل ذلك بالمسلمين، أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخرجوا إلى أرض الحبشة: وكان بالحبشة ملك صائح يقال له «التجاشي»، لا يظلم أحد بأرضه، وكان يشتري عليه مع ذلك، وكانت أرض الحبشة متجراً لقريش، ينجرون فيها، وكانت مسكنة لتجارهم، يحدون (٣) فيها، وفالها من الرزق وأمانا ومتجراً حسناً، فأمرهم بها النبي صلى الله عليه وسلم، فذهب إليها عامتهم لا فقروا بمكة، وخاف (٤) عليهم القتن: ومكث هو فلم يرح، فكث بذلك سنوات يشتون على من أسلم منهم: ثم إنه فشا الإسلام

(١) مسلم، كتاب الإيمان، باب: تحريم قتل الكافر بعد أن قال: «لا إله إلا الله»، ٦٦/١. وسنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب: «علم يقال المشركون»، الحديث ٢٦٤٣، ٤٤/٢، ٤٥. وابن ماجه، كتاب الفتن، كتاب، «الكف عن نال»، لا إله إلا الله، الحديث ٣٩٣٠، ١٣٩٦/٢. ومسنن الإمام أحمد، ٣٠٧/٥.

(٢) انصلق عنه الناس، وذهبوا وانصرفوا.

(٣) في المطبوعة: «يشتون فيها وفالها»، وأثبتنا ما في تفسير الطبري والطيبة السابقة، «لأننا لم نجد في المأجهم» وقلنا: «في الشأن» و«دفع عيشه» بالفهم - وقلة، «اتبع» و«ترفع الرجل» توسع، «وإنه لفي رفاقة ورفاقية من البشر»، مثل «مسانية».

(٤) في المطبوعة: «وخافوا عليهم»، ومثله في الطبقات السابقة، وخطوط الطبري وطبعها الأول. وقد أثبت السيد هادي تفسير الطبري، «وخاف» نقلنا من تاريخ الطبري.

لها ، ودخل فيه رجال من أشراقتهم ومنعتهم (١) : فلما وأوا ذلك استرخوا (٢) استرخاوة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه . وكانت الفتنة الأولى هي أخرجت من خرج من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبيل أرض الحبشة مخافتها ، وفرارا عما كانوا فيه من الفتن والثرزال . فلما استرخى عنهم ودخل [في] الإسلام من دخل منهم ، تحدث باسترخاقتهم عنهم ، فبلغ ذلك من كان يارضى الحبشة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنه قد استرخى من كان منهم بمكة ، وأنهم لا يفتنون : فرجعوا إلى مكة ، وكادوا يأمنون بها ، وجعلوا يزدادون ويكثررون : وأنه أسلم من الأنصار بالمدينة نام كثير ، وفشا بالمدينة الإسلام ، وطلق أهل المدينة يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة : فلما رأيت قريش ذلك تأمرت على أن يفتنهم ويشتلوا ، فأعطوهم ، فحرموا على أن يفتنهم ، فأصابهم جهنم شديد ، فكانت الفتنة الأخيرة ، فكانت فتنتان : فتنة أخرجت من خرج منهم إلى أرض الحبشة ، حين أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بها ، وأذن لهم في الخروج إليها - وفتنة لا رجعوا ورأوا من يأتيهم من أهل المدينة . ثم إنه جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة سيحون نقياً ، وعوس اللين ألسوا ، فوافوه بالحج ، فبأيامه بالعبدة ، وأعطوه عهدهم على أنا منك وأنت منا ، وحل أن من جاء من أصحابك أو جنتنا ، فإنا نعتك بما نعت من أنفسنا ، فاشتدت عليهم قريش عند ذلك ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يخرجوا إلى المدينة ، وهي الفتنة الأخيرة التي أخرج فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ، وخرج هو ، وهي التي أنزل الله عز وجل فيها : (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله الله (٣)) . ثم رواه عن يونس بن عبد الأعلى ، عن ابن وهب ، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن عروة بن الزبير : أنه كتب إلى الوليد - يعني ابن عبد الملك بن مروان - بهذا ، فذكر مثله (٤) . وهذا صحيح إلى عروة رحمه الله .

(١) الفتنة - فتنة - جمع مانع ، مثل كفرة وكافر ، وهم الذين يفتنون من يريدون بسوء .

(٢) استرخوا - خففوا عنهم المذابح .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٠٨٣ : ٣٩٪ ١٣ - ٥٤٢ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٠٨٤ : ٤٢٪ ١٣ - ٥٤٢ .

فهرس موضوعى لسورة المائدة

- من -

سواك الرسل يوم القيامة : ٢١٧ ، ٢٢٦ - ٢٣١ ،
السرقة : ١٠٥ - ١٠٥

- ش -

الشهادة : ٥٧ ، ٢١٠ - ٢١٧ .

- من -

إصلاح النفس : ٢٠٧ ،

الصلاة : ٤٠ - ٥٧ ،

الصيد : ٢٨ - ٣٥ ، ١٨١ ،

صيد البحر : ١٨٩ - ١٩٨ ،

- ط -

الطعام : ٣٦ ، ٣٧

الطيب : ١٩٨

- ظ -

الظلم : ٧٥

- ح -

المعزود : ٤

الملك : ٩ ، ٥٧ ، ٥٨

المطاب : ٩٨ - ١٠٠

عصاة الله للأتقياء : ١٤٣ - ١٤٦ ،

- خ -

خسل الرجل : ٤٧ - ٥٢ ،

- ف -

الفتنة : ١٠٨ ، ١٢٢ ،

- ق -

القتل : ٨٦ - ٨٧

قتل الصيد في الإحرام : ١٨٢ - ١٨٨

القتل : ٨

- أ -

الغائب : ١١٨ ،

الامر بالمعروف : ٢٠٧ - ٢١٠ ،

الإيجل : ١١٨ ،

أهل الكتاب : ٣٦ - ٣٩ ، ٦١ - ٦٧ ، ١٠٥ - ١٣٤ ،

١٣٧ - ١٤٠ ، ١٤٧ - ١٥٩ ، ٢١٨ ،

- ب -

البلاغ : ١٤٠ - ١٤٦

- ج -

الجهاد : ٩٨ ، ١٢٨

- ح -

الحنود : ١٠٥ - ١٠٥ ،

الحارون : ٨٨ - ٩٦ ،

الحرام : ٦ ، ٧ ، ١١ - ٢٨ ، ١٦٠ - ١٦٨ ، ١٨١ ،

٢٠٣ ، ٢٠٧ ،

الحق : ١٢٨ - ١٢٩

الحكم بما أنزل الله : ١٠٩ - ١١٢ ، ١١٨

الحاكمية : ١٠٩

الأحلام : ٥

الحلال : ٦ ، ٢٨ ، ١٦٠ ، ١٨٩ ،

- خ -

الخمر (عمرها) : ١٦٨

الخسيف : ١٩٨

- د -

الارتداد : ١٢٧

- ز -

الزنى : ٣٩ ، ١٠٥ - ١٠٨

القرآن : ١١٨ •

قصة موسى عليه السلام : ٦٧ - ٧٥ •

قصة ابنى آدم : ٧٥ - ٨١ •

قصة المائدة : ٢١٩ •

قصص : ١١٢ - ١١٧ •

نعم الله : ٥٧ ، ٥٨ ، ٢١٨ •

النسخ : ٩٤ ، ١٠

النكاح : ٢٨ ، ٣٩ •

- ك -

الكفر : ١٠٥

- م -

المسح على الخفين : ٥٤ •

المائدة : ٢١٩ •

- و -

المصية : ٢١٠ - ٢١٧ •

الوضوء : ٤٥ - ٥٧ •

الوفاء بالعقود : ٤ •

الزورى : ٩٦ •

الزلالة : ١٢٣ - ١٢٦ ، ١٢٩ ، ١٣١ - ١٣٣ •

- ي -

اليسر : ١٦٨ - ١٧١ •

اليمان : ١٦٣ - ١٦٨ •

يوم القيامة : ٢١٧ •

فهرس موضوعي لسورة الأنعام

<p>- ط -</p> <p>طبيعة الكفار : ٢٣٦ - ٢٣٧ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٣٠٩ -</p> <p>٣١٤ ، ٣٢٢ - ٣٢٩ .</p> <p>- ظ -</p> <p>النظام : ٢٩٥ -</p> <p>- ع -</p> <p>الطلب : ٢٥٢ ، ٢٧٠ - ٢٧٢</p> <p>علم الله : ٢٣٤ ، ٢٦٠ .</p> <p>- غ -</p> <p>غنى الله : ٢٣٥ .</p> <p>- ق -</p> <p>قدره الله : ٢٣٩ ، ٢٤٨ ، ٢٥٢ ، ٢٦٣ - ٢٧٢ ، ٢٩٣ - ٢٩٤ ، ٣٠٠ ، ٣٠٢ .</p> <p>قصة إبراهيم عليه السلام : ٢٨٢ - ٢٩٠ .</p> <p>- ك -</p> <p>الكتب السماوية : ٢٣٦ ، ٢٩٣ - ٢٩٥ ، ٣٦٥ .</p> <p>تكليب رسالة : ٢٧٢ .</p> <p>- ل -</p> <p>لدى الله : ٢٤٥ ، ٢٩٢ ، ٣٧٦ - ٣٧٩ .</p> <p>إهلاك الأمم الماضية : ٢٣٥ ، ٢٥٠ ، ٢٣٤ .</p> <p>- و -</p> <p>الروح : ٣٠٧ .</p> <p>الفرقة : ٣٦٣ .</p> <p>الفرقة : ٢٦١ - ٢٦٣ .</p> <p>- هـ -</p> <p>يوم القيامة : ٣٦٦ - ٣٧٢ .</p>	<p>- أ -</p> <p>آيات الله : ٣٠٥</p> <p>- ب -</p> <p>بلغ الرسالة : ٢٥٣ - ٢٦٠ ، ٢٧٢ - ٢٨٢ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣١٤ .</p> <p>- ج -</p> <p>الحرام : ٣٣٦ - ٣٦٢ .</p> <p>الحساب : ٢٤١ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٣٠ - ٢٣٤ .</p> <p>الحسن : ٣٧٣ .</p> <p>الاحضار : ٢٩٥ ، ٢٩٦ .</p> <p>الحياة الدنيا : ٢٤٤ .</p> <p>- ح -</p> <p>حق السموات والأرض : ٢٣٤ ، ٣٤٥ ، ٣٧٩ - ٣٨٠ .</p> <p>- ذ -</p> <p>الذائق : ٣١٥ - ٣٢٢ .</p> <p>- ر -</p> <p>الرحمة : ٢٣٨ ، ٢٥٣</p> <p>الرسول : ٢٥٣</p> <p>- س -</p> <p>سلبية الرسول : ٢٤٥ .</p> <p>السيرة : ٣٧٣ .</p> <p>الصاحبة : ٢٤٤ - ٢٥٠ .</p> <p>- ش -</p> <p>الشرك والمشركون : ٣٠٠ ، ٣٠٩ ، ٣٣٦ - ٣٤٠ .</p>
---	---

فهرس موضوعى لسورة الأعراف

الإسعاد : ٤٤٥ .	ب -	التبليغ : ٤٨٨ ، ٥٣٤
القطرة الإنسانية : ٥٠٠ - ٥٠٦ .	ج -	الجنة : ٤٠٧ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ .
ق -	ح -	الحرام : ٤٠٤ .
قصة آدم عليه السلام : ٤٢٥ - ٤٣٧ .	خ -	خلق السموات والأرض : ٤٢٢ ، ٤٢٣ ،
الجنم : ٥١٤ .	د -	خلق الناس : ٥٢٧ .
القرآن : ٣٨٢ ، ٤٢١ .	ز -	الاستقراج : ٥١٨ .
قصة نوح عليه السلام : ٤٢٧ - ٤٢٩ .	ح -	الدعاء : ٤٢٣ .
قصة هود عليه السلام : ٤٢٩ - ٤٣٤ .	ر -	الرسول في التوراة والإنجيل : ٤٨١ .
قصة صالح عليه السلام : ٤٣٤ - ٤٤١ .	س -	الزينة : ٤٠١ - ٤٠٤ .
قصة لوط عليه السلام : ٤٤١ - ٤٤٣ .	ش -	الساعة : ٥٢٠ .
قصة شعيب عليه السلام : ٤٤٣ - ٤٤٩ .	ط -	آباء الله : ٥١٥ .
قصة موسى عليه السلام : ٤٤٩ - ٤٧٧ - ٤٩٠ - ٥٠٠ .	ع -	الشرك : ٤٠٦ ، ٥٣٢ .
قصة رجل من بني إسرائيل : ٥٠٧ - ٥١٣ .	ف -	النظم : ٤٥٥ .
التقليد : ٣٩٨ .	غ -	الملاب : ٤٧٩ .
ك -	ق -	الأعراف : ٤١٧ - ٤١٩ .
الكتب السماوية : ٤٢١ .	ف -	الفتنة : ٣٩٧ .
التكليف : ٤١١ .	ي -	لقاحشة : ٣٩٨ ، ٤٠٤ .
ن -		
النار : ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ .		
ه -		
الملى : ٥١٣ .		
إهلاك الأمم الماضية : ٣٨٣ ، ٤٤٥ - ٤٤٧ .		
و -		
التوحيد : ٣٨٢ .		
ي -		
يوم القيامة : ٣٨٤ - ٣٨٦ .		

أعلام المفسرين والفقهاء

أبو بكر بن ميثاق : ١٢٧

أبو بكر الملقب : ٤٦٨

(ث)

أبو ثور : ١٠١ ، ١٩٣ ، ٣١٧

(ج)

جابر بن زيد (أبو القشاش) : ١٩٤ ، ٣٤١

جابر بن عبد الله : ٣٩ ، ٤٩٩ ، ٥٨٢

أبو جريح : ٨ ، ٢٠ ، ٢٣ ، ١٩٥ ، ٢١٧ ، ٢٧٣

٣٢٩ ، ٣٣١ ، ٣٤١ ، ٣٩٦ ، ٤١٠ ، ٤٢٤ ، ٤٥٥ ، ٤٩٧ ، ٥٢٦ ، ٥٨٧ ، ٥٩٧

أبو جعفر القلندر (عبد بن علي بن الحسين) : ٨٢ ، ١٣٠ ، ١٦٦

جعفر بن عبد : ٢١٨

(ح)

الحارث النخعي : ١١٥

حبيب بن أبي ثابت : ٢٤٣

حجر بن عتيق : ٥٩٣

الحسن البصري : ٦ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢١ ، ٢٩ ، ٣٢

٣٦ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٦٨ ، ٨٥ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٣ ، ٩٤

٩٦ ، ١١٥ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١٢٠ ، ١٢٣

١٢٧ ، ١٤٧ ، ١٦٤ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٧٠ ، ١٨٨

١٨٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٣ ، ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٢٥

٢٣٤ ، ٢٥١ ، ٢٦٤ ، ٢٧٠ ، ٢٧٣ ، ٢٧٣ ، ٢٩٦

٣٠٦ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٩٩

٤١٠ ، ٤١٧ ، ٤٢٤ ، ٤٤٧ ، ٤٥٦ ، ٤٦١ ، ٤٦٤

٥٠٦ ، ٥٢١ ، ٥٢٨ ، ٥٣٠ ، ٥٣٣ ، ٥٤٣ ، ٥٧٨ ، ٥٩٢ ، ٥٩٧

الحسن بن صالح بن حي : ١٨٢

الحسن بن علي : ٤٤

حليمة بن القيان : ١١٥ ، ٢١١ ، ٤١٨

أبو الحسن يحيى بن الحسن : ٤٥٧

(أ)

أبا : ٢٣٥

أبراهيم التيمي : ٤٧

أبراهيم بن خالد الكلبي أبو ثور : ٣٧

أبراهيم التيمي : ١٨ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٦ ، ٣٩ ، ٤٤

٨٤ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ١١١ ، ١١٤ ، ١٣٩ ، ١٦٤ ، ١٦٦

١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٦

٢٩٩ ، ٣٤٧ ، ٥٤٣

أبو أزي : ٥٩٣ ، ٥٩٥

أبي بن كعب : ٣٩ ، ٢٧٠ ، ٣٩٣

أحمد بن حنبل : ٥ ، ١٦ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٩ ، ٣٦

٣٧ ، ٣٩ ، ٤٦ ، ٩٣ ، ١٠١ ، ١١٤ ، ١٦٦ ، ١٧٠

١٨٧ ، ١٨٦ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٣١٨ ، ٥٥٢

إسحاق بن راهوية : ١٠١ ، ١٩٤ ، ٣١٨

إسحاق بن عبد الله : ٢٢٢

أبو إسحاق السبيعي : ١٧٠

أبو إسحاق المدايني : ١١٥ ، ٣٠٦

أشعث بن قيس : ٢٣٣

أشعث بن قيس : ٣٠٢

الأسود : ١٦٤

الأصم : ١٦٩

أبو ألفة : ٣٦ ، ٣٧٢

أنس بن مالك : ٤٩ ، ٩٤ ، ٣٤١ ، ٥٨٨

الأوزاعي (أبو عمرو) : ٩٣ ، ١٤١ ، ١٨٢

٣٢٩ ، ٥٦٦

إسحاق بن عمار : ٣٤٣

أبو أيوب الأنصاري : ١٨٩

(ب)

البحاري : ٥٥٢

البراء بن عازب : ١١٠

أبو بكر الصديق : ١٨٩ ، ٢٠٧

أبو بكر بن عبد الله : ٤٩٩

أبو بكر بن العري : ٥١٧

٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢٠ ٢٣ ٢٢ ٢١ ١٩ ١٨
 ٧٨ ٧٦ ٧٤ ٧٣ ٧٠ ٦٩ ٦٠ ٥٩ ٢٦
 ٩٦ ٩٤ ٩٣ ٨٨ ٨٧ ٨٦ ٨٤ ٨٢ ٨١
 ١١٩ ١١٥ ١١٤ ١١٢ ١١١ ١١٠ ١٠٠
 ١٢٧ ١٢٦ ١٢٠ ١٢٧ ١٢٢ ١٢٢ ١٢٠
 ١٥٧ ١٥١ ١٤٢ ١٤٢ ١٤٠ ١٢٩ ١٢٨
 ١٦٩ ١٦٦ ١٦٥ ١٦٤ ١٦٢ ١٦٠ ١٥٩
 ١٩٠ ١٨٩ ١٨٨ ١٨٧ ١٨١ ١٧١ ١٧٠
 ٢١٢ ٢١١ ٢٠٦ ٢٠٥ ٢٠٢ ١٩٦ ١٩٤
 ٢٢٢ ٢٢٠ ٢٢٦ ٢٢٢ ٢٢١ ٢١٧ ٢١٦
 ٢٥١ ٢٤٩ ٢٤٢ ٢٤١ ٢٢٧ ٢٢٥ ٢٢٤
 ٢٧٢ ٢٧٢ ٢٧١ ٢٦٢ ٢٦١ ٢٦٠ ٢٥٢
 ٢٠١ ٢٩٩ ٢٩٤ ٢٩٢ ٢٨٢ ٢٧٥ ٢٧٤
 ٣١٩ ٣١٨ ٣١٠ ٣٠٨ ٣٠٦ ٣٠٥ ٣٠٢
 ٣٢٠ ٣٢٩ ٣٢٨ ٣٢٧ ٣٢٢ ٣٢٢ ٣٢١
 ٣٤٢ ٣٤١ ٣٤٠ ٣٣٩ ٣٣٦ ٣٣٢ ٣٣١
 ٣٥٠ ٣٤٩ ٣٤٨ ٣٤٨ ٣٤٦ ٣٤٥ ٣٤٤
 ٣٨٧ ٣٧٢ ٣٦٥ ٣٦٠ ٣٥٦ ٣٥٢ ٣٥١
 ٣٩٢ ٣٩١ ٣٩٠ ٣٨٩ ٣٨٧ ٣٨٥ ٣٨٤
 ٤٠٢ ٤٠١ ٤٠٠ ٣٩٧ ٣٩٦ ٣٩٥ ٣٩٤
 ٤١٥ ٤١٤ ٤١٣ ٤١٠ ٤٠٧ ٤٠٤ ٤٠٢
 ٤٢٩ ٤٢٦ ٤٢٤ ٤٢٠ ٤١٩ ٤١٨ ٤١٧
 ٤٥٢ ٤٥٢ ٤٠١ ٤٠٠ ٤٤٧ ٤٤٤ ٤٤٢
 ٤٩٩ ٤٩٧ ٤٩١ ٤٥٨ ٤٥٧ ٤٥٥ ٤٥٤
 ٤٩٤ ٤٩٣ ٤٩٢ ٤٩١ ٤٨٧ ٤٨٧ ٤٨٦
 ٥٠٨ ٥٠٧ ٥٠٦ ٥٠٢ ٤٩٩ ٤٩٧ ٤٩٥
 ٥٢٤ ٥٢٠ ٥٢٨ ٥٢٢ ٥٢١ ٥١٧ ٥٠٩
 ٥٥٠ ٥٤٩ ٥٤٦ ٥٤٥ ٥٤٢ ٥٤٠ ٥٣٩
 ٥٦٦ ٥٦٢ ٥٦٠ ٥٥٦ ٥٥٨ ٥٥٧ ٥٥١
 ٥٨٩ ٥٨٦ ٥٨٥ ٥٨٤ ٥٨٣ ٥٨٢ ٥٨١
 ٥٩٧ ٥٩٢ ٥٩٢ ٥٩٢ ٥٩١ ٥٩٠ ٥٨٩

حیدر اللہ بن حیدر بن حیدر : ٨

حیدر اللہ بن حیدر : ١٢٤

حیدر اللہ بن عمر : ٦ ١٢ ١٨ ٢٩ ٣٢
 ٣٨ ٤٤ ٤٥ ١٠٤ ١٦٤ ١٦٦ ١٦٩ ١٧٠ ١٧١
 ١٨٩ ١٩٢ ١٩٤ ٢١٧ ٢١٧ ٢٢٢ ٢٢٢ ٢٢٢
 حیدر اللہ بن عمرو : ٧٧ ٧٩ ٨٣ ١١٦ ٢٢٠
 ٢٢١ ٢٦٠ ٥٠٣ ٥٠٨
 حیدر اللہ بن ابن قنات : ٥٨١
 حیدر اللہ بن کثیر : ٩٦ ١٢٢ ٢٢٢ ٢٩٢
 ٤٩٢

حیدر اللہ بن مسعود : ٤ ٤٧ ٨٢ ٨٤ ١١١
 ١١٥ ١٦١ ١٦٨ ٢٠٨ ٢١٢ ٢٢٢ ٢٥٤

١٧٠ ١٨٢ ١٨٦ ١٨٧ ١٩٤ ٢٠٣
 ٣١٧ ٣١٨ ٤٤٢ ٥٥٢

شرح : ١٦٤ ١٨٨ ٢١١

ابن شوب : ٦٨

(ص)

أبو صالح : ٢٤٦ ٢٩٥ ٥٥٢

ابن الصباح : ١٦

أبو سفيان : ١٤٩

(ض)

الفسح : ١٩ ٤٧ ٦٥ ٨١ ٩٣ ٩٤
 ١٢٠ ١٢٢ ١٢٨ ١٦٤ ٢٢٤ ٢٢٤ ٢٢٤
 ٢٦٥ ٢٩٩ ٣٠١ ٣٠٠ ٣٢١ ٣٢٢ ٣٢٢
 ٣٥٢ ٣٧٢ ٣٨٧ ٣٩٥ ٤٠٢ ٤٠٥ ٤١٠
 ٤١١ ٤٥٤ ٤٤٣ ٥٥٢ ٥٦٢ ٥٦٥ ٥٦٦
 ٥٦٧ ٥٦٨ ٥٨٣ ٥٩١ ٥٩٢ ٥٩٤

(ط)

طوس : ١٩ ٢٩ ١١١ ١٢٢ ١٦٦ ١٦٨
 ١٨٣ ١٩٤ ٢٤١

الطبري : ٦ ٧ ٩ ١٠ ١٤٩ ١٦٧ ١٩٠
 ١٩٥ ١٩٦ ١٩٧ ٢٢٥ ٢٤٢ ٢٧٠ ٢٧١
 ٢٧٥ ٢٧٦ ٢٨٣ ٣٠٠ ٣٠١ ٣٠٦ ٣١٨
 ٣١٩ ٣٢٩ ٣٣١ ٣٢٤ ٣٥٠ ٣٦٤
 ٣٨٢ ٣٨٦ ٣٨٧ ٣٨٩ ٣٩٢ ٣٩٦ ٣٩٩
 ٤٠١ ٤٠٥ ٤١٣ ٤٤٧ ٤٥٢ ٤٦١ ٤٧١
 ٤٧٢ ٤٩٢ ٥٢١ ٥٣٦ ٥٣٧ ٥٤٤ ٥٦٥ ٥٩١ ٥٩٤

أبو القليل : ١٤

أبو طلحة : ٥٦٢

(ع)

حاشية رضى الله عنها : ١٢ ١٤١ ١٦٤
 أبو الفداء : ٣٠٥ ٣٠٠ ٣٢٩ ٣٢٩ ٤١٠
 حاشية الفهرست : ١٨ ٢٢ ٢٩ ٩٤ ٩٥ ١١١
 ١١٤ ١٦٤ ١٨٧ ٢١١ ٢١٢ ٢١٧ ٢١٩
 ٢٢٩ ٢٣٩ ٤١٥ ٤٤٢ ٤٦٦ ٥٦٢
 حیدر اللہ بن ثعلبة بن سفيان : ٥٧٢ ٥٧٣
 حیدر اللہ بن الحارث : ٢٦١ ٤١٦
 حیدر اللہ بن حابس : ٤ ٦ ٧ ٩ ١٢

مرة المعلق : ٢٧٤

أبو مرزوق : ٢٤٤

الزرق : ١٦ : ١٧

مطرف بن حبه الله : ٨

المغيرة بن شعبة : ٥٨١

مقاتل بن حيان : ٧ : ٨ : ٢١ : ٢٢ : ٣٦ : ٤٧ : ١٦٤ : ١٨١ : ٢١١ : ٢٣٤ : ٥٨٢

مقسم : ٥٨٦

مكحول : ٢٩ : ٣٦ : ٣٧ : ١٦٤

منصور : ٦٨

موسى بن عقبة : ٥٨٦ : ٥٩٠

أبو موسى الأشعري : ١٦٦ : ٢١٥

موسرة : ٢٢٧

(٥)

نافع مولد ابن عمر : ٣١٧

نبيب بن شريط : ٥٩٣

نوف البكال : ٧٥

(٥)

أبو الخليل : ٢١٨

أبو هريرة : ١٨ : ٢٥ : ٣٢ : ٨٦ : ١٩٠ : ١٩٣ : ١٩٤ : ٢٢٨ : ٢٤٩

(و)

أبو وائل : ٩٦ : ٣٣٩

الوليد بن حبه للملك : ٤٤١

وهب بن منبه : ١٤٧ : ٢٢٧ : ٣٩٤ : ٤٥١

(٥)

يزيد بن يعمر : ٢١١

يزيد بن أبي حبيب : ٥٧٠

يزيد بن رومان : ٥٨٩

أبو يزيد الملقب : ٢٤٦ : ٢٨٢

أبو يوسف : ١٨ : ١٥٢ : ١٨٦

مالك بن دينار : ٣٣٧ : ٥٠٧

أبو مالك : ٥٩ : ٦٩ : ١٦٦ : ٢٧٠ : ٢٧٧ : ٣١٠ : ٥٢٢ : ٥٩١

مجاهد بن جبر : ٥ : ٦ : ٨ : ٢٠ : ٢١ : ٢٢ : ٢٩ : ٣٦ : ٣٨ : ٤٤ : ٤٧ : ٥٦ : ٨١ : ٨٢ : ٨٤ : ٨٦ : ٩٣ : ٩٦ : ١١٥ : ١١٩ : ١٢٠ : ١٢١ : ١٣٠ : ١٣٨ : ١٤٠ : ١٤٧ : ١٦٤ : ١٦٦ : ١٦٨ : ١٧٠ : ١٨١ : ١٨٣ : ١٨٧ : ١٨٨ : ١٩٠ : ١٩٣ : ١٩٦ : ٢١١ : ٢١٧ : ٢٢٢ : ٢٢٥ : ٢٢٤ : ٢٢٧ : ٢٣٢ : ٢٤٨ : ٢٤٩ : ٢٥٢ : ٢٥٦ : ٢٦٤ : ٢٧٠ : ٢٧٣ : ٢٧٥ : ٢٨٤ : ٢٩٣ : ٣٠١ : ٣٠٥ : ٣١٠ : ٣١١ : ٣١٤ : ٣٢١ : ٣٢٣ : ٣٢٨ : ٣٣٠ : ٣٣٧ : ٣٣٩ : ٣٤٢ : ٣٤٣ : ٣٤٩ : ٣٥٥ : ٣٦٧ : ٣٨٢ : ٣٨٩ : ٣٩٠ : ٣٩٤ : ٣٩٨ : ٣٩٩ : ٤٠٢ : ٤٠٣ : ٤٠٤ : ٤٠٥ : ٤٠٧ : ٤١١ : ٤١٦ : ٤١٧ : ٤٤٢ : ٤٤٤ : ٤٤٩ : ٤٥٧ : ٤٥٨ : ٤٦٠ : ٤٦٤ : ٤٦٨ : ٤٦٩ : ٤٩٢ : ٤٩٨ : ٥٠٦ : ٥١٧ : ٥٢٦ : ٥٣٤ : ٥٤٠ : ٥٤٣ : ٥٤٦ : ٥٥١ : ٥٦٠ : ٥٦٤ : ٥٧٥ : ٥٧٨ : ٥٨٣ : ٥٨٤ : ٥٩٠ : ٥٩٣ : ٥٩٤ : ٥٩٦

أبو عجلان : ٩٤ : ١١٠ : ١٩٥ : ٢١١ : ٢٤٦ : ٤٠٤

عبد بن إسماعيل بن يسار : ٥٩ : ٦٠ : ٨٤ : ١٢٦ : ١٣٧ : ٣٠٥ : ٣٠٦ : ٣٨٥ : ٤٢٩ : ٤٣٠ : ٤٤٣ : ٤٥٣ : ٥٦٥ : ٥٧٤ : ٥٨٤ : ٥٨٦ : ٥٩٧

عبد بن الحسن : ١٨ : ١٠٢ : ١٨٦

عبد بن الخطيب : ٢٤٧ : ٢٤٧

عبد بن سيرين : ٤٢ : ٩٢ : ١٦٤ : ١٦٦ : ٢١١ : ٢١٧ : ٢١٩ : ٢٤٧

عبد بن صبران : ٩٣

عبد بن قيس : ٥٨٩

عبد بن كعب القرظي : ٥ : ٢٥ : ١٢٧ : ٢٤٠

٢٤٣ : ٢٣١ : ٢٤١ : ٢٤٣ : ٣٩٩ : ٤٠٥ : ٤١٠ : ٥٩٢

عبد بن محمد بن حل الطائي (أبو الفتح) : ٢١٧

غريب اللغة

الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة
ج -		أ -	
٢٤٠ ...	: لا يرفع ذا الجَدَّة	٣٠٠ ...	: أنث أماليه
٣٤١ ...	: كل جاد عشرة أوسق	٢١٤ ...	: تأذنت
٧٦ ...	: جدعة سمينة	٤٦١ ...	: ملاصلاً لجداً
٢٤٦ ...	: نجاذينا على الركب	٥٠٢ ...	: وهو في أذى من الله
١٥٨ ...	: جرد كان	١٥٢ ...	: تأطروهم على الحق أطرا
٤٩٧ ...	: الجزى	٧٧ ...	: أكله غنمه
٢٦ ...	: تجمششوا بقلا	٢٦٠ ...	: استأق به
٥٦٠ ...	: مجشبة الجيش	١٨٥ ...	: واستبق إهابها
٧٨ ...	: جوية من الأرض	٣٧ ...	: إهابك ستحق
٢١٤ ...	: جام من فضة	ب -	
٩٢ ...	: نجوى المدينة	٢٩٦ ...	: كانه بكج
ح -		١٧٤ ...	: الرباط
٤١ ...	: أكال من حب	٤٧٥ ...	: البرافين
٢٧٩ ...	: إلى حيزتهم	٤٨٢ ...	: البرافين
٥٦٤ ...	: الحنيفة	٤٩٤ ...	: تنبش
٤٥ ...	: غرا منحجكين	١٧٧ ...	: باطية
٤٤ ...	: الحليف	٢٨٩ ...	: تخف بكره
٢٢ ...	: التحريش	٤٤١ ...	: على بكرات
١٢٦ ...	: حامر	٣٦ ...	: وفي أبهره
٨٩ ...	: لم يحسنهم	٧١ ...	: في العدة والبيضة
٣٨ ...	: أحشأ وسوء كيلة	٤٣١ ...	: حتى تبنيه
٢٦ ...	: تحضوا بقلا	ت -	
٢٦ ...	: تحضوا بقلا	١٠١ ...	: أنزجته
٢٨١ ...	: حقويه	ث -	
٤٨٤ ...	: حمش ماقية	٢١٤ ...	: كان إذا عمل علا أثيته
٢٨١ ...	: حميل الصل	٤٣١ ...	: قلغ رأسه
١٠٥ ...	: التحميم	٦٦ ...	: يلقوا رأسي
٢٨١ ...	: كاهم حتم		

الكلمة	الصفحة	الكلمة	الصفحة
حنن	٤٦١	حوس	٤٦٢
حور	٥١٠	حوم	٥٢٦
حوص	٥٦٧	حزق	٥١١
حزير	٦٦	حزير	٤٣٨
حزم	٤٩٥	حزير	٤٩٥
حشش	١٨٤	حزير	٤٨٣
حضل	١٥٧	حزير	٥٤٤
حطلم	٥٦١	حزير	٤٦٠
حطلم	٣٧٠	حزير	١٨٤
حطلم	٤٤١	حزير	٤٢٥
حطش	٤٨٤	حزير	١٠
حطش	٦٤	حزير	٤٣٢
حطش	٢٦	حزير	٣٩٤
حطش	٢٠٦	حزير	٥١٩
حطش	١٩٨	حزير	٦٦
حطش	٢١٤	حزير	٢٣٣
حطش	٤٠٢	حزير	١٥
حطش	٢٩٨	حزير	١٧٨
حطش	٥٣٣	حزير	٢٢٤
حطش	٢٨٠	حزير	٤٢٤
حطش	١٢٦	حزير	٢٦٨
حطش	٣٠٤	حزير	٢٦٨
حطش	٣٥	حزير	٢٦٨
حطش	٤٨٦	حزير	٢٦٨
حطش	٤٦٨	حزير	٢٦٨
حطش	٥١١	حزير	٢٦٨
حطش	٢٨٥	حزير	٢٦٨
حطش	٣٠٤	حزير	٢٦٨
حطش	٤٨١	حزير	٢٦٨

الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة
٧٤ ...	تَضَيَّقَتِ الشَّمْسُ ...	٥٢٣ ...	إِلْمًا مُسْتَعْدَنٌ ...
١٦١ ...	ضَاهَهُ ضَيْفٌ ...	٦٨ ...	أَمَنَّا فِي صَوْبِهِ ...
...	ط -	٢٨٥ ...	خَرَجَ مِنَ السَّرَبِ ...
٢٧٨ ...	نَبَاتُ الطَّرَائِثِ ...	٤٠٢ ...	السَّرَفُ ...
٤٧٥ ...	طَغَطَطَتِ بِهِمُ الرِّافِقِينَ ...	٢٨٠ ...	حَصَلَ السَّعْلَانُ ...
٣٩٠ ...	كَالْقَرَسِ فِي الطَّلَوِ ...	٤٣٨ ...	تَحَذَّرَ صَدِّهَا ...
٢١ ...	رَجَعَ مِنْ سَفَرٍ طَوَّارٍ ...	٣٩٣ ...	السَّلَوَى ...
...	ط -	٨٩ ...	سَمِرَتْ أَعْيُنُهُمْ ...
١٩٠ ...	ظَلَا حَوْتَ مِثْلَ الظَّرْبِ ...	١٨٤ ...	سَمَحَ لَنَا ظِيٌّ ...
١٢٦ ...	حَقَى وَجْهُهُ ظُلُكَلًا ...	٣٧ ...	إِلَهَالَةً صَبِيحَةً ...
١٧ ...	ظَهَرَ الظَّهَارُ ...	٢٦٨ ...	بَسِطَتْ بِهَامَةً ...
...	ع -	١٥٠ ...	سَوِيَّةٌ أَمْثَالُهُ ...
٤٦١ ...	دَمٌ عَيْبُطٌ	ش -
٤٧٤ ...	عَجِلَ فُلَانٌ فُلَانًا ...	٥٦٠ ...	يَشْتَدُّ ...
٣٤٤ ...	العِجَالُ ...	٥٢٦ ...	مُنْخَرِمٌ مَشَارِطُهَا ...
٥٦٢ ...	عَلَسَ ...	٣٠ ...	إِذَا أَشْلَاهُ اسْتَشَلَّ ...
١١٦ ...	عَلَى ...	١٠ ...	شَتَا ...
٤٨٢ ...	عَلَّقَ ...	٥٩ ...	شَامَ السَّيْفِ ...
٤٣٨ ...	عَرَقَ ...	١٤٦ ...	أَطْعَى سَيْفَهُ أَثْمِيهِ ...
١٤ ...	عَرَبٌ ...	٣٩٣ ...	تَشَوَّرَهَا ...
٢٥٦ ...	عَسَاوَاتَا ...	٤٥٩ ...	بَغِيضٌ شَيْخٌ ...
٢١٠ ...	عَصَبٌ	ص -
٩٥ ...	عَضَهُ ...	٢٦ ...	الْأَصْطِلَاحُ ...
٥٨ ...	عَضَهُ ...	٢٨٥ ...	مَصَابِيحُ (الْإِبِلِ) ...
٢١٤ ...	عَظْمٌ ...	٧٧ ...	صَبْرٌ ...
٥٦٧ ...	عَكَرَ ...	٤٨٦ ...	صَبْرًا ...
١٦٦ ...	عَقْدٌ ...	٤٨٦ ...	صَدْعٌ ...
٢١٦ ...	عَلَجَ ...	٤٨٦ ...	صَدْعٌ حَلِيدٌ ...
٢٢٩ ...	عَتَى ...	٩٢ ...	صَدَى ...
٢٧٩ ...	عَتَى ...	٥٨٥ ...	صَرَخَ ...
٩ ...	عَوْرٌ ...	٤٨٢ ...	صَرْمٌ ...
٣٣٧ ...	عَيْلٌ ...	٣٢ ...	صَلْبٌ ...
٤٣٢ ...	عِمٌّ ...	٣٦ ...	صَلٌ ...
...	غ -	٢٨٠ ...	صَيَّحَ ...
٢٢٤ ...	غَبٌ	ض -
١٧٤ ...	غَبْرٌ ...	٩ ...	ضَغْمٌ ...

الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة
	ك -		ك
٥٧٢ ...	كوم كتهام ...	٢٦ ...	كيد
١٧٨ ...	الكبارك ...	١٥٥ ...	كبر
٥٤٧ ...	الكثيفة ...	٢٧٨ ...	كتف
٢٨٠ ...	مكترم على وجهه ...	٥١٠ ...	كردس
٣١٩ ...	طبر كرى ...	٤٨٨ ...	كرو
٤٣٨ ...	ككف عروبها ...	٢٢٤ ...	كصف
١٤ ...	يكفان عروبها ...	٤٣ ...	كصف
٥٣ ...	ككطامة قوم ...	١٣٨ ...	كصف
١٨١ ...	وامان الكيتان ...		ك - ف -
٨٨١ ...	مكرم ...	٥١٩ ...	كبد
١٧٤ ...	الكورية ...	١٩١ ...	كبر
	ك - ل -	٥٣ ...	كرب
٤٥١ ...	واضحة لحيها ...	١٧٣ ...	كرب
٥١٢ ...	ولمده الحرة إلى لحيته ...	٤٧٧ ...	كرب
٩ ...	اللعاء ...	٥٩٤ ...	كرب
٩٢ ...	لقاح ...	١٠ ...	كرب
٩٠ ...	يتكلمون الحجارة ...		ك - ق -
٢٢٨ ...	لقاء الشيء ...	٩٣ ...	قب
٢١٣ ...	ظهر لوث ...	٥٤٧ ...	قب
	م -	٤٨٣ ...	قب
١٣ ...	لم تمنعوه ...	٧٧ ...	قب
٤٨٠ ...	قد منعه النار ...	٢٠٣ ...	قب
٤٩٤ ...	كأها للاعش ...	٤١٩ ...	قب
١٣ ...	لم تجره بمذقة ...	٥٦٤ ...	قب
١٧٥ ...	أمرزا الرقة ...	١٨٥ ...	قب
٩ ...	يبران بالأبدى ...	٤١٠ ...	قب
١٦١ ...	وليسوا المستوح ...	٤٨٣ ...	قب
١٩ ...	منعت بلنها ...	١٥٨ ...	قب
٥٩٣ ...	المكاه ...	١٧٣ ...	قب
٢٧ ...	الميرة ...	٤٦١ ...	قب
	ن -	٤٦١ ...	قب
٢٥ ...	نزع هذه الآية ...	١٧٤ ...	قب
٢٠٩ ...	نزع آية ...	٤٨٣ ...	قب
٤٣ ...	ليس بأوطا ...	١٧٧ ...	قب
	ق -	٢٢٩ ...	قب
	ق -	٤٦٠ ...	قب
	ق -	٤٩٤ ...	قب

الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة
٤٠٢ ...	يَحْمَرُونَ عَلَيْهِمُ الْوَدَّكَ	٤٤ ...	تَرْع
٣٤٩ ...	الْوَزِينَ .	٤٨٢ ...	تَزَلْ
٩٧ ...	الْوَسِيلَةَ ..	٣٩٨ ...	لَسَمَ
١٩١ ...	مِنْ لَحْمِهِ وَشَاقِقِ	٧٠ ...	تَضَعُ
٣٥٩ ...	حَلَّةَ (زَائِلَةٌ) .	١٤٢ ...	نَكَبَ
٢٨٩ ...	يُؤْمِنُ بِخُوتَا .	٤٤١ ...	نَمَرَ
٤٣٣ ...	اسْتَوَفَّتْ	٤٦٥ ...	تَوَطَّ
١٩١ ...	تَغْتَرَفُ وَقَبَ عَلَيْهِ	- - -	
٥١٢ ...	الْقَبِيَّةَ ...	١١٧ ...	هَمَّ
١٥ ...	تُوقَدُ بِهَا	٤٧٥ ...	هَامَجَ
٣٩٠ ...	وَقَصَصَتْ دَابَّةَ ...	٣١١ ...	هَيْدَ
١٧٧ ...	حَلَا أَوْكِتَهَا ...	٤٦٣ ...	هَيْلَ
(ي)		(و)	
١٧٥ ...	لَمْ يَكُنْ لَكُمْ يَدُ بَقَاتِلَا .	٨٩ ...	وَحَمَّ
١٧٣ ...	يَسْقَى ...	٣٧ ...	وَدَكَ
٧١ ...	فِي الْمَدَنَةِ وَالْبَيْضِ وَالْيَكْبِ		

فهرس الأماكن والبلدان والآيام

(ج)	(أ)
جزيرة العرب : ٣٦٨، ٣٣٦، ٢٢	الأبراه : ١٩٤
(ح)	أحجار الزيت : ٨٠
الحبيشة : ٥٥٧، ٥٢٦، ٣٧٦، ١٥٩، ١٥٧، ٢٠، ١٦ : ٥٩٨	أحد : ٤٦٨، ٤٠٠، ١٨٥، ١٧٧، ١٧٦، ١٢٥ : ٥٨٠، ٥٦٣، ٥٦٢، ٥٥٨
الحجاز : ٤٣٥، ٣٠٠، ٢٠٤، ١٨٦، ١٣١ : ٥٩٣، ٥٥٧، ٤٤٣	أديل : ٢١٥
الحديثة : ١٨١، ٧٣، ١٠، ٩ : ٩٢	أريحا : ٧٠، ٦٩
الحرّة : ٩٢، ٩٠، ٨٩، ٢٨ : ٤٦٨	أطاكيا : ٣٧٠
حماه : ٤٣١، ٤٢٩	أيله : ٤٩٤، ٤٩٣، ٤٩٢
حضر موت : ٤٦٥، ٤٦٤، ١٣٣	الأمرات : ٤٨، ٤٨
حنين : ٤١١، ٢٦٧، ١٢٥، ٧٣، ٧٢، ٧١ : ٤١٢ - ٤١٠	(ب)
(خ)	البحرين : ٣٣٦ - ٩٠
خيبر : ٥٤٨، ٥٤٧، ٥٤٥، ٤٤٠ : ٥٥٦، ٥٥٥، ٥٥٤، ٥٥٠، ٥٤٩	بدر : ٤١١، ٢٦٧، ١٢٥، ٧٣، ٧٢، ٧١ : ٤١٢ - ٤١٠
يوم النصار : ٥٦٢، ٥٦١، ٥٥٩، ٥٥٨، ٥٥٧ : ٥٦٨، ٥٦٦، ٥٦٥، ٥٦٤، ٥٦٣	٤١٢ - ٤١٠ : ٥٥٦، ٥٥٥، ٥٥٤، ٥٥٠، ٥٤٩ : ٥٦٢، ٥٦١، ٥٥٩، ٥٥٨، ٥٥٧
(د)	٥٦٢، ٥٦١، ٥٥٩، ٥٥٨، ٥٥٧ : ٥٦٨، ٥٦٦، ٥٦٥، ٥٦٤، ٥٦٣
دار القنوة : ٥٨٧، ٥٨٥ : ٥٧٣، ٥٧٢، ٥٧١، ٥٧٠، ٥٦٩	٥٧٣، ٥٧٢، ٥٧١، ٥٧٠، ٥٦٩ : ٥٦٨، ٥٦٦، ٥٦٥، ٥٦٤، ٥٦٣
دمشق : ٥٦١، ٥٥٨، ٥٨٧، ٥٨٠، ٥٧٨ : ٥٩٦، ٥٩٤	برك القمام : ٥٥٧، ٥٥٥، ٧٢، ٤٨
دقنقا : ٤٧٣، ١٣١، ٩٥ : ٢١٥، ١٠٢	البصرة : ٤٧٣، ١٣١، ٩٥ : ٢١٥، ١٠٢
(ذ)	بشاه : ٢١٥، ١٠٢
ذات الرقاق : ١٤٦ : ٥٠٧	البيضاء : ٥٠٧
ذى الحليفة : ٧ : ١٩٧، ١٩٦، ٩٠، ٨	البيت الحرام : ١٩٧، ١٩٦، ٩٠، ٨
(ر)	بيت القلمس : ٥٠٧، ١٨١، ٧٤، ٦٩، ٨
الربذة : ٢٢٩ : ٤٨٩، ٤٥٣	(ت)
رضوى : ٤٦٨ : ٤٨٩، ٤٥٣	توك : ٤٨٩، ٤٥٣
الروم : ٢٥٦، ١٧٤، ٩٦، ٢٢، ١٤ : ٤٨٩، ٤٥٣	(ث)
٢٥٦، ١٧٤، ٩٦، ٢٢، ١٤ : ٤٨٩، ٤٥٣	ثبير : ٤٦٨
٤٨٩، ٤٥٣ : ٥٨١	

(ف)	
٢٢ : ٣٢١ ، ٥٨٧ ، ١٣٢ ، ١٢٤ ، ١٠٤ ، ٤٠ ، ٩	قارس
٥٨٢ ، ٣٥٠	الفتح
(ق)	
٢٣٩	قيام
٢٥٩	قرن الصائب
٢٥٩	قرن للنازل
٤٩٢	القرم
٣٩٧	قوسنك
(ك)	
١٣٢ ، ١٠٠ ، ٩٣ ، ٢١ ، ٢٠ ، ٧	الكمية
٢٥١ ، ١٩٧ ، ١٩٦ ، ١٨٧ ، ١٨٦	
٥٩٣ ، ٥٧٣	
١٤٧	كولي
٢١٥ ، ١٣١ ، ٩٦ ، ٤٩ ، ١٤	الكوة
٥٣٨ ، ٤٧٣ ، ٣٤٣	
(م)	
٣٢٧	للنازل
٥٥ ، ٣٨ ، ٣٠ ، ٢٥ ، ٢١ ، ٨	للنينة
١٠٧ ، ٩٦ ، ٨٩ ، ٨٨ ، ٨٠ ، ٥٩	
١٤٥ ، ١٤٤ ، ١٤٠ ، ١٣٢ ، ١٣١	
١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ، ١٩١ ، ٢٠٨	
٢١٤ ، ٢٤٢ ، ٢٨٢ ، ٢٨٩ ، ٣٦٩	
٤٣٣ ، ٤٥٠ ، ٤٦٨ ، ٤٧٣ ، ٤٨١	
٤٩٣ ، ٥٣٢ ، ٥٤٨ ، ٥٥٥ ، ٥٥٧	
٥٦٧ ، ٥٨٠ ، ٥٨٥	
٤٤٣ ، ٤٥٤ ، ٤٩٢ ، ٥٠٧	ملحن
١٧٥	المريد

(س)	
٤٤١	معلوم
(ش)	
٢١٤ ، ١٧٢ ، ١٣٢ ، ١٢٥	الشام
٤٧١ ، ٤٤١ ، ٤٣٥ ، ٣٢٥ ، ٢٤٩	
٥٥٧ ، ٥٥٤ ، ٥٣٦ ، ٤٨٥	
(ص)	
٥١٩ ، ٤٨ ، ٦	الصفا
٤٩١	الصين
(ط)	
٥٩٨ ، ٤٣٩ ، ٣٢٤	الطائف
٤٧٧ ، ٤٧٣ ، ٤٦٩ ، ٣٧٩ ، ٦٩	الطور
٤٩٢	
(ع)	
٣٦٨	عدن
٢٤٩ ، ١٤٧	العراق
١٩٥	المرج
٤٧٨ ، ٢٦ ، ٢٥ ، ٢٤ ، ٢٣	مرقه
٤٤١ ، ٤٤٠	مصفا
٦١	العقبة
٢٥٩	يوم العقبة
٢٧٨	مكاظ
٣٠	الموال
٤٩٢	حيلوني
(غ)	
٥٨٧	ظار حراء
٢٥	ظهير شيم
٤٨٢	الغيط

(أ)	٦	للروة
٣٧ : حجر	٦٩ : ١٧١ : ٤٥٠ : ٤٥٥	مصر
٣٩٧ : هراة	٤٣	مغان
(و)	٢٢٦	للقرب
٧ : وادى الشقيق	٢٥ : ٧٢ : ٧٦ : ١٣٢ : ١٤٥	مكة
٤٣٥ : وادى القري	١٨٤ : ١٨٥ : ١٨٧ : ٢١٥ : ٢٣٣	
١٩٤ : ودان	٢٤٦ : ٢٥٩ : ٢٦٠ : ٢٩٢ : ٢٩٣	
(ى)	٣٠٣ : ٣٢٤ : ٣٣٦ : ٣٨٩ : ٤٣٢	
يوم البرموك : ٣٧٠	٤٤٠ : ٤٦٤ : ٤٦٨ : ٤٧٣ : ٥٥٤	
البحن	٥٥٧ : ٥٧٣ : ٥٨٢ : ٥٩٢ : ٥٩٨	
٥ : ٧٢ : ١٢٧ : ١٤٧ : ٢١٠	(ن)	لجد
٢٤٩ : ٣٣٦ : ٣٨٨ : ٤٢٩ : ٤٣١	٣٠	نجران
٤٨٧ : ٥٠٧	٥	نيسابور
	٣٩٧	

(ك)		٢٢١	بنو عجل
	كتلة ١٧٧	١٢٧	بنو عدى
	بنو كعب ٢٠٤	٨٩ ، ٩٠ ، ٩١	حرينة
(د)		٨٩ ، ٩٠	عكل
	تلم ٣٧	(ف)	
(م)		٩١	بنو قزارة
	بنو مملح ٣٢٨ ، ٢٠٤	(ق)	
	ملحج ١٢٧	١١٦ ، ١٠٤ ، ١٠٠ ، ٦١ ، ٢١	قريش
	مراد ٩٦	١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٧٦ ، ١٩٩ ، ٢٠٣	
	مريضة ١٠٧	٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦	
	مضر ٤٣٣	٢٥٧ ، ٢٧٢ ، ٢٩٣ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩	
	للهاجرون ٧١ ، ١٧٠ ، ٢٩٢	٣١٨ ، ٣٢١ ، ٣٢٥ ، ٣٤٠ ، ٣٩٨	
(هـ)		٤٠٤ ، ٤١٥ ، ٤٣٠ ، ٤٣٣ ، ٤٨١	
	بنو النجار ١٤٦	٥١٤ ، ٥١٩ ، ٥٢٠ ، ٥٢٢ ، ٥٥٤	
	بنو النضير ١١٠ ، ٨٧ ، ٥٩	٥٥٦ ، ٥٥٧ ، ٥٦٢ ، ٥٦٤ ، ٥٨٢	
(و)		٥٨٤ ، ٥٨٦ ، ٥٩٢ ، ٥٩٣ ، ٥٩٤	
	بنو هاشم ٣٢٥	٥٩٦ ، ٥٩٨	
	هذيل ٩٦ ، ٩٥	٦٨ ، ٤٥٠ ، ٤٧٣	القبط
(ى)		٨٨ ، ١١٠ ، ١٢٥ ، ٥٨١	بنو قريظة
	اليولاد ٦٨	٨٨ ، ١٢٦	بنو قيسقاع
		٣٢٥	كتانة

فهرس الشعر

الصفحة	الشاعر	القافية	الصفحة	الشاعر	القافية
٥٣٨	أبو الطيب المتنبي	أحاذره	(ب)		
٥٣٨	أبو الطيب المتنبي	جائره	٢٩٢		الأجانب
٥٦٦	العباس بن مرداس	حاذرا	٩٥	حارثة بن بدر	بصبيها
(ع)			٩٦	حارثة بن بدر	خصلتها
٤٣	البخري الجعلي	بأنزعا	٤٣٦	مهوس بن حنمة	شهابا
(ف)			٤٣٦	مهوس بن حنمة	أجابا
٤٩٦	الأعشى ميمون بن قيس	مالوف	٤٣٧	مهوس بن حنمة	ذوئابا
(ل)			٤٣٧	مهوس بن حنمة	ذئابا
٩٧	—	والرسائل	(ح)		
٣٩٨	—	أحله	٨٥	آدم	نبيح
٤٠١	—	أحله	٨٥	آدم	ملح
٤٢٦	زيد بن عمرو بن ثعلب	زلالا	٨٥	—	الليح
٤٢٦	زيد بن عمرو بن ثعلب	تقالا	٨٥	—	بصرح
٥٤٥	ليد	وحجل	٥٣٤	—	صباح
(م)			(د)		
١٣١	أبو الطيب المتنبي	المقم	١٠	الأحوص	فلبا
٣٣٢	—	بنقالم	١٣	الأعشى	قصفا
٤٣٢	معاوية بن بكر	فماما	١٣	الأعشى	فاصفا
٤٣٢	معاوية بن بكر	الكلاما	٣١٠	علي بن زيد	الفد
٤٣٢	معاوية بن بكر	الغلاما	٣٥٤	—	الأعبدا
٤٣٢	معاوية بن بكر	عياي	٣٥٤	—	أعبدا
٤٣٢	معاوية بن بكر	سهاما	٣٥٤	—	مربدا
٤٣٢	معاوية بن بكر	الهاما	٣٦٣	—	جده
٤٣٢	معاوية بن بكر	السلاما	٤٦١	الأعشى	مؤصفا
٤٥٦	—	حظيم	(ر)		
٥٦٦	الحسين بن الحمام المري	وأظلما	٩	حليقة بن أنس	للمصفا
(ن)			١٠٢	أبو العلاء للمري	ديثار
٧٣	—	الثنين	١٠٢	أبو العلاء للمري	الثار
٥٣٣	عمرو بن الجهمج	قرن	٢٦٠	المرصري	توراي
٥٣٣	عمرو بن الجهمج	الثنين	٣٠٠	امرو القيس	أحمرا
٥٣٧	—	الجماعين	٣٦٤	عبد الله بن رواحة	نصروا
٥٣٧	—	الجماعين	٣٩٣	علاء بن زهير	نشوروا

﴿وَأَعْلَوْا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ وَرِيسَ الْوَسْطَىٰ وَالْغَنِيمَ وَالْغَنِيمَ وَالْغَنِيمَ﴾
 ﴿إِنْ كُنْتُمْ هَٰؤُلَاءِ عَلَىٰ عَهْدِي فَلَا تُغْنِي عَنْكُمْ غَنِيمَتُكُمْ وَلَا تُضَارِجُكُمْ﴾
 ﴿وَالْغَنِيمَ﴾

بين تعالى تفصيل ما شرعه مخصصا لهذه الأمة الشريفة ، من بين سائر الأمم الماضية ، من إحلال للغنائم ، وهذه الغنيمة : هي المال المأخوذ من الكفار بإيجاف (١) الخيل والركاب ، والغنيمة : ما أخذ منهم بغير ذلك ، كالأموال التي يصالحون عليها أو يتوفون عنها ولا وراث لهم ، والجزية والحراج ونحو ذلك ، هذا ملحوظ الإمام الشافعي في طائفة من علماء السلف والخلف :

ومن العلماء من يطلق الغنيمة على ما يطلق عليه الغنيمة ، والغنيمة على الغنيمة ، ولهذا ذهب قتادة إلى أن هذه الآية لاسنة لآية والحشر : (ما آتاه الله على رسوله من أهل القرى لله والرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين) (٢) الآية ، قال : فسخت آية (الأنفال) تلك ، وجعلت الغنائم : أربعة أخماسها [للمجاهدين] وخمسا منها لولاة المكونين (٣) وهذا الذي قاله إبيد ، لأن هذه الآية نزلت بعد وقعة بدر ، وتلك نزلت في بني النضير ، ولا خلاف بين علماء السير والمنازى فاطبة أن بني النضير بعد بدر . هذا أمر لا يشك فيه ولا يرتاب ، فن يفرق بين معنى الغنيمة يقول : تلك نزلت في أموال الغنيمة وهذه في الغنائم ، ومن يجعل أمر الغنائم والغنيمة واجبا إلى رأى الإمام يقول : لا منافاة بين آية الحشر وبين تخصيص إذا وآه الإمام ، والله أعلم .

وقوله تعالى : (واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسة) تركبنا تخصيص كل قليل وكثير حتى الضئيل والخطيئ ، قال الله تعالى : (ومن يظلم يات بما غل يوم القيامة ، ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون) (٤) .

وقوله : (فإن لله خمسة والرسول) ، اختلف المفسرون هاهنا ، فقال بعضهم : قد نصيب من الخمس الجليل في الكفة ؛ قال أبو جعفر الرازي ، عن الربيع ، عن أبي العالية الرباعي قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوزن بالغنيمة فيقسمها على خمسة ، تكون أربعة لأشخاص من شهداء ، ثم يأخذ الخمس فيضرب بيده فيه ، فيأخذ منه الذي يقضي كفه ، فيجعله لكفة ، وهو سهم الله . ثم يقسم ما بقى على خمسة أسهم ، فيكون سهم الرسول ، وسهم الذي القربى ، وسهم اليتامى ، وسهم المساكين ، وسهم لآين السبيل (٥) .

وقال آخرون : ذكر الله هاهنا استفتاح كلام لتذكرك ، وسهم لرسول عليه السلام :

قال الضحاك ، عن ابن عباس رضى الله عنهما : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بحث مربة فغنموا خمس الغنيمة ، فضرب ذلك الخمس في خمسة : ثم قرأ : (واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسة والرسول) ، [قال :

(١) الإيجاف : سرقة السر ، وأوجبت طاعة : حيا .

(٢) سورة الحشر ، آية : ٨ .

(٣) ينظر تفسير الطبري ، الأثر ١٦٠٨٩ : ١٣/٤٦٠ ، ولقد انتشر السيوطي ، تفسير سورة الحشر : ١٩٢/١٩٢ .

(٤) سورة آل عمران ، آية : ١٦١ .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر ١٦١٠٢ : ١٣/٤٠٠٠ .

وقوله: [١] فإن الله خمسة، مفتاح كلام ، فله ما في السموات وما في الأرض. يجعل سهم الله وسهم الرسول واحداً (٢) ، وهكذا قال إبراهيم الخليل ، والحسن بن محمد بن الحنفية . والحسن البصري : ، والسبي ، وعطاء بن أبي رباح ، وعبد الله بن بريدة ، وكفادة ، ومغيرة ، وغير واحد : أن سهم الله ورسوله واحد .

ويؤيد هذا ما رواه الإمام الحافظ أبو بكر البيهقي بإسناد صحيح ، عن عبد الله بن شقيق ، عن رجل [من بلقين] (٣) قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يردى القري ، وهو يمرض فرساً ، فقلت : يا رسول الله ، ما تقول في النخبة ؟ قال : خمسة ، وأربعة أخماس للجيش . قلت : فما أحد لولي به من أحد ؟ قال : لا ، ولا السهم نستخرجه من جنيك ، ليس أنت أحق به ، من أخيك للمسلم (٤) .

وقال ابن جرير : حدثنا عمران بن موسى ، حدثنا عبد الوارث ، حدثنا أبان ، عن الحسن قال : أوصى أبو بكر (٥) بالخميس من ماله ، وقال : ألا أرضى من مالي ما رضى الله لنفسه (٦) .

ثم اعطف قالوا : هذا القول ، فروى على بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قال : كانت النخبة تقسم على خمسة أخماس ، لأربعة منها بين من قاتل عليها ، وخمس واحد يقسم على أربعة (٧) : فربع لله والرسول [وللى القري - يعني قرابة (٨) التي] صلى الله عليه وسلم . فما كان لله والرسول فهو القرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يأخذ النبي صلى الله عليه وسلم من الخمس شيئاً [والربع الثاني للباقي ، والربع الثالث للمساكين ، والربع الرابع لابن السيل (٨)] .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو معمر المظري ، حدثنا عبد الوارث بن سعيد ، عن حسين المعلم ، عن عبد الله بن بريدة في قوله : (واحملوا أنما خضع من شيء فإن الله خمسة والرسول) ، قال : الذي لله ثلثيه ، والذي للرسول لأزواجه . وقال عبد الملك بن أبي سليمان ، عن عطاء بن أبي رباح قال : خمس الله والرسول واحد ، يحبل منه ويصنع فيه ما شاء - يعني النبي صلى الله عليه وسلم .

وهذا أم وأصل ، وهو أن الرسول صلى الله عليه وسلم يتصرف في الخمس الذي جعله الله له بما شاء ، ويرده في أي كيف شاء ، ويشهد لهذا ما رواه الإمام أحمد حيث قال :

حدثنا إسحاق بن عيسى ، حدثنا إسماعيل بن عيان . عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم ، عن أبي سلام الأخرج ،

(١) ما بين القوسين المتوفين عن تفسير الطبري .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٠٩٥ : ١٣ / ٥٤٩ .

(٣) ما بين القوسين من السنن الكبرى البيهقي ، ومكانه في المخطوطة « بلقين » دون نقط ، و « بلقين » أصله : بنو القين ، من بني أسد ، كما قالوا : « بلقرث » ، و « بلهيم » ، يعنون : بني الحارث ، وبني الحميم ، تحذف الحرب ذاك ، فتصنف بعض شرف هذه الإضافة . ينظر تاج العروس ، مادة : قين .

(٤) السنن الكبرى البيهقي ، كتاب قسم القتيه والقتية ، باب إخراج الخمس : ٢٢٤ / ٦ .

(٥) في المخطوطة : « أموي الحسن بن الحسن » ، وللمختار من تفسير الطبري .

(٦) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٠٩٩ : ١٣ / ٥٥٠ .

(٧) في المخطوطة : « يقسم على أربعة أخماس » ، وللمختار من تفسير الطبري .

(٨) ما بين القوسين المتوفين عن تفسير الطبري .

من التقدم بن معد يكره الكنتى : أنه جلس مع حيازة بن الصامت ، وأبى القرداء ، والحارث بن معاوية الكنتى رضى الله عنهم ، فتناكروا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال أبو القرداء لعباذة : يا حيازة ، كلمات رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة كذا وكذا في ثائن الأخاس ؟ فقال حيازة : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بهم في غزوة إلى بجر من المنى ، فلما سلم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فتناول وبرة بين أعليه فقال : إن هذه مع خاتمكم ، وإته ليس لي فيها إلا نصيبى معكم إلا الخمس ، ولنلبس مرقود عليكم ، فأدوا الخيط والخيط ، وأكبر من ذلك وأصغر ، ولا تنزلوا عن الفلول نار وحلر على أصحابه في الدنيا والآخرة ، وجاهدوا الناس في الله القريب والبعيد ، ولا يبالوا في الله لومة لائم ، وأقيموا حدود الله في الخضر والفسر ، وجاهدوا في [سبيل] الله ، فإن الجهاد باب من أبواب الجنة [عظيم] ، يتجى به الله من المم والمم (١) .

هذا حديث حسن عظيم ، ولم أره في شيء من الكتب الستة من هذا الوجه : ولكن روى الإمام أحمد أيضاً ، وأبو داود ، والنسائي ، من حديث عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده عبد الله بن عمرو ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوه في قصة الخمس والنهي عن الفلول (٢) .

وعن عمرو بن حبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بهم إلى بجر من المنى ، فلما سلم أخذ وبرة من ذلك الجير ثم قال : ولا يحل لي من خاتمكم مثل هذه ، إلا الخمس ، والخمس مرقود فيكم . رواه أبو داود والنسائي (٣) ، وكذلك كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخاتم شيء يصطفيه لنفسه عبداً أو لمة أو فرساً أو سيفاً أو نحو ذلك ، كما نص على ذلك محمد بن سيرين وعامر الشعبي ، وتبعهما على ذلك أكثر الطوائف .

وروى الإمام أحمد ، والترمذي - وحسنه - عن ابن عباس : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تغفل سيفه (٤) فاقتنار يوم بدر ، وهو الذي رأى فيه الرواية (٥) يوم أحد (٦) » .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : « كانت صفيية من الصقي (٧) » : رواه أبو داود في سننه .

وروى أيضاً بإسناده ، والنسائي أيضاً عن يزيد بن عبد الله قال : كنا باليريد إذ دخل رجل معه قطعة آدم ، فمرأناها فإذا فيها : « من محمد رسول الله إلى بني زهير بن أبيش ، إنكم إن شهدتم أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ،

(١) سنن الإمام أحمد : ٣١٢/٦ ، وما بين الأقواس منه ، وينظر أيضاً للمسته : ٣٢٦/٥ .

(٢) مضى هذا الحديث ، منه تفسير الآية ١٦١ من سورة آل عمران ، ينظر : ١٣٤/٢ .

(٣) سنن أبي داود ، كتاب الجهاد ، باب « في الإمام يستأثر بجني من الفري » : الحديث ٢٧٥٥ : ٨٢/٣ ، والحديث في مطبوعة النسائي ، كتاب قسم الفري ، من حيازة بن الصامت ، وعمرو بن عباس ، ينظر : ١٣١/٧ .

(٤) تغفل سيفه : أي أعطاه زيادة من السهم .

(٥) رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في منته يوم أحد أنه حرّ ظا لقتار ، فالتفتلح من وسبه ، ثم حرّ حرّة أخرى فساد أسنن ما كان . (تحفة الأحرفى لمحافظة أبي اللؤلؤ : ١٧٧/٥) .

(٦) سنن الإمام أحمد عن ابن عباس : ٢٧١/١ . وتحفة الأحرفى : أبواب السير ، باب في الفتل ، الحديث ١٦٠٧ : ١٧٧/٥ ، وقال الترمذي : « هذا حديث حسن غريب » .

(٧) سنن أبي داود ، كتاب الإمارة ، باب « ما جله في سهم الصقي » : الحديث ٢٩٩٤ : ١٥٢/٣ .

وأتمم الصلاة ، وتيمم الزكاة ، وأدبهم الخمس من الخنزير ، وسهم النبي وسهم الصفي ، أنتم آمنون بأمان الله ورسوله .
فقلنا : من كتب لك هذا ؟ قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) :

فهذه أحاديث جيدة تدل على نحر هذا وثوره ، ولما جعل ذلك كثيرون من المصالح له صلوات الله وسلامه عليه ،
وقال آخرون : إن الخمس يصرف في الإمام بالمصلحة للمسلمين ، كما يصرف في مال القدي ،

وقال شيخنا الإمام العلامة ابن تيمية رحمه الله : وهذا قول مالك وأكثر السلف ، وهو أصح الأقوال ،
فلذا ثبت هذا وعلم ، فقد اختلفت أئمة في الذي كان يناله عليه السلام من الخمس ، ماذا يصنع به من بعده ؟
فقال قائلون : يكون لمن يلي الأمر من بعده . روى هذا عن أبي بكر وعمر وقادة جماعة ، وجاء فيه حديث مرفوع ،
وقال آخرون : يصرف في مصالح المسلمين .

وقال آخرون : بل هو مردود على بقية الأصناف : ذوي القربى ، واليتامى ، والمساكين ، وابن السبيل ، اختاره
ابن جرير (٢) .

وقال آخرون : بل سهم النبي صلى الله عليه وسلم وسهم ذوي القربى مردودان على اليتامى والمساكين وابن السبيل .
قال ابن جرير : وذلك قول جماعة من أهل العراق ،

وقيل : إن الخمس جميعه المردود فقربى كما رواه ابن جرير .
حدثنا المحرث ، حدثنا عبد العزيز ، حدثنا عبد الغفار ، حدثنا المنهاك بن عمرو ، وسألت عبد الله بن محمد بن علي ،
وعلى بن الحسين ، عن الخمس فقالا : هو لنا . فقلت ليلي : فإن الله يقول : (واليتامى والمساكين وابن السبيل) ، فقالا :
طامانا ونسأكتنا (٣) .

وقال صفوان الثوري ، وأبو بصير ، وأبو أسامة عن قيس بن مسلم : سألت الحسن بن محمد بن الحنفية رحمه الله
عن قول الله تعالى : (واضربوا أموالكم خنثى من شيء فإن الله خصه بالرسول) ، قال : هذا مفتاح كلام ، له
للعندين والآخرة . ثم اختلف الناس في هلين السهمين بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال قائلون : سهم النبي
- صلى الله عليه وسلم نيليا - للخليفة من بعده ، وقال قائلون : لقربا النبي صلى الله عليه وسلم - وقال قائلون : سهم
القربا لقربا للخليفة - فاجتمع قولهم على أن يجعلا هلين السهمين في الخليل والعدنة في سبيل الله ، فكانا على ذلك في
خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما (٤) .

قال الأعمش ، عن إبراهيم : كان أبي بكر وعمر يجعلان سهم النبي صلى الله عليه وسلم في الكراع (٥) والسلاح ،
فقلت لإبراهيم : ما كان على يقول فيه ؟ قال : كان [على] أشد فيه (٦) .

(١) سنن أبي داود ، كتاب الزكاة ، الكتاب والباب المتقدمان ، الحديث ٢٩٩٩ : ١٥٣/٢ ، والسنن ، كتاب قسم القدي
١٣٤/٧ ، ومسنن الإمام أحمد : ٧٧/٥ ، ٧٨ ، ٣٦٤ .

(٢) تفسير الشري : ٥٥٩/١٢ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٦١٢٨ : ٥٥٩/١٣ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٦١٢١ : ٥٥٧/١٣ .

(٥) الكراع - يتم الكفاف - يسع الخيل والسلاح .

(٦) تفسير الطبري ، الأثر ١٦١٢٢ : ٥٥٧/١٣ .

تفسير سورة الأنفال

وهذا قول طائفة كثيرة من العلماء رحمهم الله :

وأما سهم دوى اقربى فإنه يصرف إلى بنى هاشم وبنى المطلب ، لأن بنى المطلب وازروا بنى هاشم في الجاهلية ، وجعلوا معهم في الشعب غضبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحماية له : مسلمهم طاعة لله ولرسوله ، وكافروهم حمية للعشيرة وأتفة وطاعة لأبي طالب حم رسول الله . ولما بنو عبد حمس وبنو نوفل - وإن كانوا أبناء حمهم - فلم يوافقهم على ذلك ، بل حاربوهم وتبادلهم ، ومالوا بطون قريش على حرب الرسول ، ولهذا كان دم بنى طالب لم في قصيدته اللامية أشد من خيبرهم ، لشدة قريشهم . ولهذا يقول في أثناء قصيدته :

جَزَى الله حَتًّا عَبْدَ هَمْسٍ وَتَوَلَّا [عَمُوبَة] شَرَّ حَاجِلٍ غَيْرِ كَبَلٍ
بِمِيزَانٍ لَسَطَ لَا يَخِيْسُ (١) أَشْمُورَةً لَهُ شَاهِدٌ مِنْ نَفْسِهِ غَيْرِ عَائِلٍ
قَدْ سَكَنَتْ أَسْلَامٌ قَوْمَ تَبَدُّكُوا بِنِي عَكْلَفٍ قَبِيْعًا بَنَا وَالْفَيْحَاطِلِ (٢)
وَنَحْنُ قَصَصِمُ مِنْ ذُوَابَةِ هَاشِمٍ وَأَلْ قُصَى فِي الْخُطُوبِ الْأَوَائِلِ (٣)

وقال جبر بن مطعم بن عدى : شيت أنا وعثمان بن عفان - بنى ابن أبي العاص بن أمية بن عبد حمس - إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قلنا : يا رسول الله ، أعطيت بنى المطلب من لمس خيبر ونركتنا ، ونحن وهم منك بمنزلة واحدة ، فقال : إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد .

رواه مسلم (٤) . وفي بعض روايات هذا الحديث : « لهم لم يفرقونا في جاهلية ولا إسلام » (٥) .

وهذا قول جمهور العلماء أنهم بنو هاشم وبنو المطلب ،

قال ابن جرير : وقال آخرون : هم بنو هاشم . لم روى عن شخصيت ، عن مجاهد قال : لم الله أن في بنى هاشم قراء ، فجعل لم الخمس مكان الصدقة (٦) .

وفي رواية عنه قال : لم غزاة رسول الله صلى الله عليه وسلم للذين لا تحمل لم الصدقة (٧) .

لم روى عن علي بن الحسين نحو ذلك (٨) .

قال ابن جرير : وقال آخرون : لم هم قريش كلها :

(١) حمس فخرج هذا الخط في : ١٨٥/٢ .

(٢) « ديشا » : حوشا . « د القيلال » : بنو سهم .

(٣) الأبيات في سيرة ابن هشام : ٢٧٧/١ ، ٢٧٨ .

(٤) كلما قال : « رواه مسلم » . ولم نجده فيه ، والحديث رواه البخاري في كتاب المئاثب ، باب « ما علق قريش » .

(٥) ٧٨/٤ ، وكتاب المغازي ، باب « غزوة خيبر » : ١٧٤/٥ . و« السلي » : كتاب قسم القى : ١٣٠/٧ ، ١٣١ .

(٦) هذه التزيادة في سنن الصفاق ، ينظر التصديق السابق .

(٧) تفسير الطبري ، الأثر ١٦١١٢ : ١٣/١٣٠ .

(٨) تفسير الطبري ، الأثر ١٦١١٢ : ١٣/١٣٠ .

(٩) تفسير الطبري ، الأثر ١٦١١٢ : ١٣/١٣٠ .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، حدثني عبد الله بن نافع ، عن أبي معشر . عن سعيد المقبري قال : كتب مجله (١) إلى عبد الله بن عباس يسأله عن « ذى القربى » ، فكتب إليه ابن عباس : كنا نقول : إننا هم فأبى ذلك علينا قوما ، وقالوا : قريش كلها ذؤوقرى (٢) ؛

وهذا الحديث في صحيح مسلم ، وأبى داود ، والترمذي ، والنسائي من حديث سعيد المقبري (٣) [عن يزيد ابن هرمز أن مجده كتب إلى ابن عباس يسأله عن ذؤوقرى] ، فذكره إلى قوله : « فأبى [ذلك] علينا قوما (٤) » . والزائدة من أفراد أبي معشر ترجيح بن عبد الرحمن للذئب ، وفيه ضعف . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا إبراهيم بن مهدي المصيصي ، حدثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن حنن ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رغبت لكم عن غسالة الأبدى لأن لكم من خمس النعم ما ينفيكم أو يكتفيكم (٥) » .

هذا حديث حسن الإسناد ، وإبراهيم بن مهدي هذا وثقه أبو حاتم (٦) ، وقال يحيى بن معين : بأبي عتبة . والله أعلم .

وقوله (واليتامى) ، أى : يتامى للمسلمين . واخطف العلماء : هل يخص باليتامى الفقراء ، أو يعم الأغنياء والفقراء ؟ على قولين .

(والساكين) ، هم المهاجرون الذين لا يجدون ما يسد خلقتهم ومسكتهم .

(وابن السبيل) ، هو : المسافر ، أو المريد السفر ، إلى مسافة تقصر فيها الصلاة ، وليس له ما ينفقه في سفره ذلك . وسألت تفسير ذلك في آية الصدقات في « سورة براءة » ، إن شاء الله تعالى ، وفيه الفتحة ، وعليه التكلان .

وقوله : (إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا) ، أى : امتثلوا ما شرعنا لكم من الخمس في التناهم ، إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وما أنزل على رسوله . ولذا جاء في الصحيحين ، من حديث عبد الله بن عباس ، في حديث وفد عبد القيس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم : « وأمركم بأربع وأنهاكم عن أربع : أمركم بالإيمان بالله ... ثم قال : هل تدرون ما الإيمان بالله ؟ شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وأن تؤدوا الخمس من المنعم ... الحديث يلو له ، فجعل أداء الخمس من جملة الإيمان ، وقد بوب البخاري على ذلك في

(١) هو نسخة من حوزة الخروري ، من وسائل الترواج .

(٢) تفسير الطبري ، للأثر ١٦١١٧ : ١٣/٥٥٥ .

(٣) كذا ، وهو في سنن أبي داود والنسائي من حديث الزهري عن يزيد بن هرمز . والزهري وسعيد المقبري يرويان عن يزيد . ينظر التلخيص : ٣٦٩/١١ .

(٤) مسلم ، كتاب الجهاد ، باب « الفاء التنازيات يرضخ لمن ... » : ١٩٧/٥ ، ١٩٨ . وسنن أبي داود ، كتاب الإمامة ، باب « في بيان مواضع رسم الخمس رسم ذؤوقرى » الحديث ٢٩٨٢ : ١٤٦/٣ ، والنسائي ، كتاب قسم النعم : ١٢٨/٧ ، ١٢٩ . ومسنن الإمام أحمد عن ابن عباس : ٢٤٨/١ ، ٢٩٤ .

(٥) الله المتصور للسيوطي : ١٨٦/٢ .

(٦) ينظر الجرح والتعديل لابن أبي حاتم : ١٢٨/١ ، ١٣٩ ، وميزان الاحكام : ٦٨/١ .

« كتاب الإيمان » من صحيحه فقال : (باب أداء الخمس من الإيمان) ، ثم أورد حديث ابن عباس هذا ، وقد بسطنا الكلام عليه في « شرح البخارى » والله الحمد والمآلة (١) .

وقال مقاتل بن حيان ، (وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان) ، أى : في القسمة ، (وقوله) : (يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير) ، بنية تعالى على نعمته وإحسانه إلى خلقه بما فُرق به بين الحق والباطل بينو ، ويسمى « الفرقان » ، لأن الله تعالى أعلّى فيه كلمة الإيمان على كلمة الباطل ، وأظهر دينه ونصر ليه وحربه ،

قال على بن أبى طلحة والمروى ، عن ابن عباس : (يوم الفرقان) يوم بدر ، فُرق الله فيه بين الحق والباطل رواء (٢) الحاكم .

وكذا قال مجاهد ، ومقسم وعبد الله بن عبد الله ، والفسحاك ، وقنادة ، ومقاتل بن حيان ، وغير واحد : أنه يوم بدر .

وقال عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري ، عن هروة بن الزبير في قوله : (يوم الفرقان) : يوم فرق الله بين الحق والباطل ، وهو يوم بدر ، وهو أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان رأس المشركين حينئذ ابن ربيعة ، فالتقوا يوم الجمعة لسبع عشرة - أو : سبع عشرة - مضت من رمضان ، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ثلثائة وبضعة عشر رجلاً ، وللشركون ما بين الألف والثلثمائة . فهزم الله المشركين ، وقتل منهم زيادة على السبعين ، وأسر منهم مثل ذلك .

وقد روى الحاكم في مستدركه ، من حديث الأعمش ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن ابن مسعود قال في ليلة القدر : هجروها لإحدى عشرة يقين لأن صيحتها يوم بدر . وقال : على شرطها (٣) .

وروى مثله عن عبد الله بن الزبير أيضاً ، من حديث جعفر بن برقان ، عن رجل ، عنه .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا يحيى بن واضح ، حدثنا يحيى بن يخبوب أبو طالب ، عن ابن عدن محمد (٤) بن هيب الله الثقفى ، عن أبي عبد الرحمن السلى قال : قال الحسن بن على : كانت ليلة « الفرقان » يوم النسي الجمعان ، لسبع عشرة من رمضان (٥) . إسناده جيد قوى .

ورواه ابن مردويه ، عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن حبيب ، عن على قال : كانت ليلة « الفرقان » ، ليلة التقى الجمعان ، في صيحتها ليلة الجمعة لسبع عشرة مضت من شهر رمضان .

(١) أوردته البخارى وسلم في كتاب الإيمان ، ينظر البخارى ، باب « أداء الخمس من الإيمان » : ٢٠/١ ، ٢١ . وسلم باب « الأمر بالإيمان بالله ورسوله وشرائع الدين ولقائه إليه » : ٣٥/١ .

(٢) وكذا رواه الطبري ، ينظر الأثر ١٦١٣٠ : ١٦١/١٣ ، والأثر ١٦١٣٤ : ١٦٢/١٣ .

(٣) المستدرک ، كتاب المنار : ٢٠٢٢ .

(٤) في المخطوطة : « من ابن عون » ، عن عبد الله بن عبد الله الثقفى « وهو خطأ » ، والمثبت من تفسير الطبري ، وينظر ترجمته في التذييل : ٢٢٢/٩ .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر ١٦١٣٠ : ١٦٢/١٣ .

وهو الصحيح عند أهل المنازي والسير .

وقال يزيد بن أبي حبيب إمام أهل الديار المصرية في زمانه : « كان يوم بدر يوم الاثنين » ولم يتابع على هذا ، وقول الجمهور مقدم عليه ، والله أعلم :

إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدُوِّ الدِّينِيِّينَ بِالْعُدُوِّ الْقَصُوفِيِّينَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتِلَافٍ فِي الْمِيعَةِ
وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾

يقول تعالى من يوم الفرقان : (إذ أنتم بالعدوة الدنيا) ، أى : إذ أنتم نزول بعلوة الوادي الدنيا القريبة إلى المدينة ، (وهم) ، أى : المشركون نزول (بالعدوة القصوى) ، أى : البعيدة إلى من ناحية مكة ، (والركب) ، أى : العبر التي فيه أبو سفيان بما معه من التجارة (أسفل منكم) ، أى : بما يلي سيف البحر (ولو تواعدتم) ، (أى : أنتم والمشركون إلى مكان) (لاختلفت في الميعاد) .

قال محمد بن إسحاق : وحديثي يحيى بن عبد الله بن الربيع ، عن أبيه في هذه الآية قال : ولو كان ذلك من ميعاد منكم ومنهم ، لم بلغكم كثرة عددهم وقلة عدوكم ، ما لقيتموهم ، (ولكن ليقضى الله أمرا كان مفعولا) ، أى : ليقضى الله ما أراد بقدرته من إزاز الإسلام وأهله ، وإذلال الشرك وأهله ، عن غير مكة (١) منكم ، فضل ما أراد من ذلك بطلقه (٢) .

وفي حديث كعب بن مالك قال : إنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يريدون حير قريش ، حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد (٣) .

وقال ابن جرير : حديثي يعقوب ، حدثنا ابن عثمة ، عن ابن عون ، عن حمير بن إسحاق قال : أبليل أبو سفيان في الركب من الشام ، وخرج أبو جهل ليعتقه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فالتقوا بينر ، لا يشعر هؤلاء جهلاء ، ولا هؤلاء جهلاء ، حتى التفتت السقاة ، ونهكت الناس بعضهم بعضا (٤) :

وقال محمد بن إسحاق في السيرة : ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهه ذلك حتى إذا كان قريبا من « الصفراء » بئس بئس بن عمرو ، وعلى بن أبي الرُّخَاءِ الجُهَيْنِيَّ ، يلتمسان الخبر عن أبي سفيان ، فانطلقا حتى إذا وودا بدرًا فأناخا بهيريهما إلى تل من البلطاء ، فاستقيا في شَرٍّ (٥) لهما من الماء ، فسمعا جاريين يتكلمان ، تقول أحدهما لصاحبتها : « انصبي حتى » : وتقول الأخرى : « إنما تأتى العير غدا أو بعد غد ، فأفصيك حقا » : فتخلص بينهما

(١) حل غير عاذ ، أى : أجنب وتشاور . وفي سيرة ابن هشام : « حل غير بلاد » وهو خطأ واضح .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ، ١٦١٤٦ : ١٦١٤٧ ، وسيرة ابن هشام : ٦٧٧٢ .

(٣) البخاري ، كتاب المنازي ، باب « قصة غرة بدر » ٩٢٪٥٠ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ، ١٦١٤٨ : ١٦١٤٩ ، ومضى : « نهد الناس بعضهم إلى بعض » : نهضوا إلى القتال .

(٥) الشن : القسرة العالية .

مُجَدِّىَ بْنِ عَمْرٍو ، وقال : « صدقت » ، فسمع ذلك بَسْبَسَ وَعَدَّى ، فجلبا على بعيرهما ، حتى أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنجزاه الخبر . وأقبل أبو سفيان حين وليا وقد حذر ، فقدم أمام عبده وقال لهندي بن عمرو : هل أحسست على هذا الماء من أحد تنكره ؟ فقال : لا والله ، إلا أنى قد رأيت راكبين أتاخا إلى هذا التل ، فاستيقنا في شئ لهما ، ثم انطلقا نجاء أبو سفيان إلى متناخ بعيرهما ، فأخذ من أبطارهما ، فقتنه ، فإذا فيه النوى ، فقال : « هذه والله علائف بئر » . ثم رجع سريعاً ففرض وجه عبده ، فانطلق بها فساحل^(١) حتى إذا رأى أن ند أحرز عبده بحث إلى قريش فقال : إن الله قد نجى هيركم ولمولكم ورجالكم ، فارجموا :

فقال أبو جهل : والله لا نرجع حتى نأق بلداً — وكانت بلد سوقاً من أسواق العرب — فقيم بها ثلاثاً ، فنطعم بها الطعام ، وننحرُ بها الجُزُرَ ، ونُسقي بها الخمر ، ونزف علينا اللحيان^(٢) ، وتسمع بنا العرب وسيرنا ، فلا يزالن يابرننا بملحها أبداً .

فقال الأخنس بن شريق : يا معشر بني زُهرة ، إن الله قد تجبى أموالكم ، وتجبى صاحبكم ، فارجموا ، فأطاعوه ، فرجمت بئر زهرة ، فلم يشهلوها ولا ينر على^(٣) .

قال محمد بن إسحاق : وحديث يزيد بن رومان ، عن عمرو بن الزبير قال : وبث رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذنا من بدر — على أنى طالب ، ومسدًى بن أبى وقاص ، والزبير بن العوام ، في نفر من أصحابه ، يتجسسون له الخبر فأصابوا سكة قريش : غلاماً لى سعيد بن العاص ، وغلاماً لى الحجاج ، فأتوا بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرجلاه يمشي ، فجعل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونهما : لى أنيا ؟ فيقولان : « نحن سكة قريش ، يمشوننا نقيم من الماء » ، فذكره القوم خبرهما ، ورجوا أن يكونا لى سفيان ، ففسروهما فلما أذلقوها^(٤) قالاه : ونحن لآبى سفيان » . فتركوهما ، وركع رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجد سجدتين ، ثم سلم وقال : « إذا صدقاكم ضربتموهما ، وإذا كلباكم تركتموهما . صدقنا ، والله إنهما قريش ، أخبرنا عن قريش : قالاه ، هم وراء هذا الكتيب الذى ترى بالمدوة القصوى — وللكتيب : المقتفل — فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : كم القوم ؟ قالاه : كثير . قال : ما حدثهم ؟ قالاه : ما ندرى . قال : كم ينحرون كل يوم ؟ قالاه : يوماً تسماً ، ويوما عسراً ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : القوم ما بين التسمة إلى الألف . ثم قال لهما : فمن فيهم من أشراف قريش ؟ قالاه : هبة بن ربيعة ، وشبة بن ربيعة ، وأبو النخعى بن هشام ، وحكيم بن حزام ، ونوفل بن خويلد ، ولخارث بن عامر ابن نوفل ، وطعيمة بن على بن [نوفل ، والنضر بن الحارث ، وزينة بن الأسود ، وأبو جهل بن هشام ، وأمية]^(٥) ابن خلف ، وثببة ومثبه ابنا الحجاج ، وسهيل بن عمرو ، وعمرو بن عبد ود . فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس فقال : هذه مكة قد أثقت إليكم أفلاذ كيلها^(٦) .

(١) لى : سار بها جهة الساحل .

(٢) اللحيان : الجوارى .

(٣) ينظر سيرة ابن هشام : ١/٦١٧ - ٦١٩ .

(٤) أذلقوها : بالوا أن يفرجها .

(٥) سقط عن خطوط الأثر ، أئتمناه من سيرة ابن هشام .

(٦) سيرة ابن هشام : ١/٦١٩ - ٦١٧ .

قال عبد بن إسحاق رحمه الله تعالى : وحدثني عبد الله بن أبي بكر بن حرم : أن سعد بن معاذ قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، يا أبا القاسم ، يا رسول الله ، ألا نبني لك عريشاً (١) تكون فيه ، ونسبح إليك ركائبك ، وتلقى عدونا ، فإن أظهرنا الله عليهم وأعزنا فلناك ما نحب ، وإن تكن الأخرى فتجلس على ركائبك ، وتلقى عن وراثة من قوما ، قد - والله - خلفت عنك أقوام ما نحن بأشد لك حياء منهم ، وعلما أنك تلقى حرباً لا تغلفوا عنك ، ويؤدونك ويتصرونك : فأتى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً ، ودعا له به . فبسي له عريش ، فكان فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ، ما معهما غيرهما (٢) .

قال ابن إسحاق : وارتحلت قريش حين أصبحت ، فلما أتيت وراثة رسول الله صلى الله عليه وسلم نُصُوب (٣) من المقتل - وهو الكتيب - الذي جاءوا منه إلى الوادي قال : « اللهم ، هذه قريش قد أتيت بفخرها وخيلائها فتحدك (٤) » وتكلم رسولك ، اللهم أحشهم القلة (٥) .

وقوله : (ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة) ، قال عبد بن إسحاق : أي ليكثر من كفر بعد الحجة ، لا رأي من الآية والعمرة ، ويؤمن من آمن على مثل ذلك (٦) .

وهذا تفسير جيد ، ويستطرد ذلك أنه تعالى يقول : إنما جمعكم مع عدوكم في مكان واحد على غير ميعاد ، ليصبركم عليهم ، ويرفع كلمة الحق على الباطل ، ليصبر الأمر ظاهراً ، والحجة قاطعة ، والبراهين ساطعة ، ولا يبقى لأحد حجة ولا شبهة ، فحيث (هناك من هلك) ، أي : يستمر في الكفر من استمر فيه على بصيرة من أمره أنه مبطل ، لقيام الحجة عليه ، (ويحيى من حي) ، أي : يؤمن من آمن ، (عن بينة) ، أي : حجة وبصيرة . والإيمان هو حياة القلوب ، قال الله تعالى : (أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً عمى به في الناس) (٧) ، وقالت عائشة في قصة الإفك : « لم يهلك من هلك (٨) » أي : قال فيها ما قال من الكلب والبهتان والإفك .

وقوله : (وإن الله لسميع) ، أي : لسماعكم وتصريحكم واستغاثكم به ، (عالم) ، أي : بكم وأنكم تستحقون النصرة على أعدائكم الكفرة للمعادين .

(١) العريش : شبه عيمة يستل به .

(٢) سيرة ابن هشام : ١/ ٦٢٠ ، ٦٢١ .

(٣) التصوب : المنجى من مكان حال .

(٤) تحديك : تماديك .

(٥) أي : أهلكم - ينظر سيرة ابن هشام : ١/ ٦٢١ .

(٦) تفسير الطبري ، الأثر ١٦١٤٩ : ١٣/ ٥٦٨ . وسيرة ابن هشام : ١/ ٦٧٢ ، ٦٧٣ .

(٧) سورة الأنعام : آية ١٢٢ .

(٨) كذلك لفظ خطبوة الأثر . وقد أخرجه البخاري في تفسير سورة النور : ١٢٨/٦ . ومسلم في كتابه النور : ١٠٠٠ .

وفي حديث الإفك وقبول توبة للقائف : ٨/ ١١٤ ، ومسند أحمد من عائشة : ١٩٥/٦ ، واللفظ الجريح : « فهلك من هلك في فاني » .

إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَتْلَكٍ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَأَيْتُمْ كَيْفَ لَفُتِلْتُمْ وَلَتَنْتَعِمَنَّ فِي الْآخِرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٦﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذْ اتَّبَعْتُمْ فِي آفِكُمْ قَلِيلًا وَيَقْلِلُكُمْ فِي أَغْيَابِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ لَكُمْ أَمْرًا كَانَ مَعَكُمْ وَلَا يَأْتِي اللَّهُ تَرْجِعَ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾

قال جاهد : [نراه الله إياهم] (١) في مثله قليلا ، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بذلك ، فكان تنبيها لهم ، وكلنا قال ابن إسحاق وغير واحد . وحكى ابن جرير عن بعضهم أنه وآم بهم إليه بنام (٢) .

وقد روى ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا يوسف بن موسى اللبدي (٣) ، حدثنا أبو قتية ، عن سهل السراج ، عن الحسن بن قولة : (إذ يريكم الله في مثلك قليلا) ، قال : بينكم .

وهذا القول غريب ، وقد صرح بالتمام ما هنا ، فلا حاجة إلى التأويل الذي لا دليل عليه .

وقوله : (ولو أراكم كثيرا لفتلتم) ، أي : لجنتم عنهم وانظفتم ليا بينكم ، (ولكن الله سلم) ، أي : من ذلك ، بأن أراكم قليلا : (إنه عليم بذات الصدور) ، أي : بما تجننه الضالار ، وتطوى عليه الأحشاء ، فيعلم خائفة الأعين وما تخفى الصدور .

وقوله : (وإذ يريكمهم إذ اتبعتهم في أميكم قليلا) ، وهذا أيضا من لطفه تعالى بهم ، إذ أراهم إياهم قليلا في رأى العين ، فيجروهم عليهم ، ويظلمهم فيهم :

قال أبو إسحق السبيعي ، عن أبي حيدة ، عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : لقد قتلوا في أميتم يوم بدر ، حتى قلت لرجل إلى جانبي : تراهم سمين ؟ قال : لا ، بل مالة ، حتى أخطنا رجلا منهم فسألناه ، قال : كنا ألفا . رواه ابن أبي حاتم ، وابن جرير (٤) .

وقوله : (ويقللكم في أميتم) ، قال ابن أبي حاتم : حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا حماد بن زيد ، عن الربيع ابن الخريت ، عن عكرمة (وإذ يريكمهم إذ اتبعتهم في أميكم قليلا ويقللكم في أميتم) قال : حضض بهمهم على بعض (٥) .

إستناد صحيح :

(١) مكانه في غلظة الأثر : أراهم الله . - والكتب من تفسير الطبري ، الأثر ١٦١٠٠ : ٥٧٠/١٣ .

(٢) تفسير الطبري : ٥٧٠/١٣ .

(٣) كلما في غلظة الأثر وغلظة دار الكتب : ٥١٥ تفسير . وهو يوسف بن موسى التستري ، مخرج له في الجرح

لاين أبي حاتم : ٢٣٩/٢/٤ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٦١٠٦ : ٥٧٢/١٣ .

(٥) لدر المنشر للسيوطي : ١٨٩/٣ .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير . عن أبيه في قوله تعالى : (ليقض الله أمرًا كان مفعولاً) ، أي : ليقض بينهم الحرب ، الفقرة (١) من أواد الانتقام منه ، والانتقام على من أواد عام التمسع عليه من أهل ولايته .

ومعنى هذا أنه تعالى أغرى كلًا من الفريقين بالآخر ، وكفله في حبه ليطمع فيه ، وذلك عند المواجهة . فلما اهتم القتال وأبد الله للمؤمنين بالغ من اللاتكة مردفين ، بقي حزب الكفار يرى حزب الإيمان ضعفيه ، كما قال تعالى : (قد كان لكم آية في فتنة القنص : فقة قتال في سبيل الله وأخرى كافتة ، يرونهم مثليهم رأى العين ، والله يؤيد بنصره من يشاء ، إن في ذلك لبرة لأولى الأبصار) (٢) . وهذا هو الجمع بين هاتين الآيتين ، فإن كلا منها حق وصدق ، وفيه الحمد والمنة .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ قَوْمًا فَانصَبُوا وَادُّوهُمْ وَأَلْمَسُوا لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ ﴿١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَكْذِبُوا رِيعَكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢﴾

هذا تعليم الله عباده للمؤمنين آداب القتاء ، وطريق الشجاعة عند مواجهة الأعداء : (يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم قوما فاقبلوهم) .

ثبت في الصحيحين ، عن عبد الله بن أبي أوفى ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه انتظر في بعض أيامه إلى أن يفيها العدو حتى إذا مالت الشمس قام فيهم فقال : « يا أيها الناس ، لا تمنوا لقاء العدو ، واسألوا الله العافية ، فإذا لقيتموهم فاصبروا ، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف . ثم قام النبي صلى الله عليه وسلم وقال : اللهم ، منزل الكتاب ، ومجري السحاب ، وهازم الأحزاب ، اهزمهم وانصرنا عليهم (٣) » .

وقال عبد الرزاق ، عن سفيان الثوري ، عن عبد الرحمن بن زياد ، عن عبد الله بن يزيد ، عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية ، فإذا لقيتموهم فاقبلوا واذكروا الله فإن أجابوا وضجوا لعلكم بالصمت (٤) » .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني : حدثنا إبراهيم بن هاشم البخري ، حدثنا أمية بن بسطام ، حدثنا معمر بن سليمان ، حدثنا ثابت بن زيد ، عن رجل ، عن زيد بن أرقم ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله يحب الصمت عند ثلاث : عند تلاوة القرآن ، وعند الرحف ، وعند الجائزة » .

(١) كذا في غلظة الأثر ، وفي سيرة ابن هشام ٦٧٣/١ ، وتفسير الطبري ، الأثر ١٦١٦٠ / ١٣ / ٥٧٢ : « ليؤلف بينهم حل الحرب » .

(٢) سورة آل عمران ، آية : ١٣ .

(٣) البخاري ، كتاب الجهاد ، باب « كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا لم يقاتل أول النهار أمر القتال حتى تزول الشمس » : ٦٢/٤ . ومسلم كتاب الجهاد أيضاً ، باب « كراهية من لقاء العدو ، والأمر بالصبر عند القتال » : ١٤٢/٥ .

(٤) رواه الهاربي في كتاب السير ، باب « لا تمنوا لقاء العدو » : ١٣٥/٢ ، عن عبد الله بن يزيد ، عن عبد الرحمن بن زيد ، عن « عبد الله بن يزيد » الذي يروي عن « عبد الله بن عمرو » هو : للحارثي أبو عبد الرحمن الحجلي ، وفي سنن الهاربي مكانه : « عبد الله بن يزيد » وهو خطأ ، ينظر الهادي : ٨١/٦ ، ٨٢ .

وفي الحديث الآخر للرؤف يقول الله تعالى : « إن عدي كل عدي الذي يذكرني وهو متاجر قرنته (١) ، أي : لا يخطئه ذلك الحال عن ذكرى ودعائي واستغاثي :

وقال سيد بن أبي عروبة ، عن قتادة في هذه الآية ، قال : افترض الله ذكره عند لثقل ما تكونون ، عند الضرب بالسيف (٢) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عبد بن سليمان ، حدثنا ابن المبارك ، عن ابن جريج ، عن حطاء قال : وجب الانصات والذكر عند الحرب ، ثم تلا هذه الآية ، قلت : يجهرون بالذكر ؟ قال : نعم (٣) .

وقال أيضاً : قرئ على يونس بن عبد الأعلى ، أنبات ابن وهب ، أخبرني عبد الله بن عياض ، عن يزيد بن قزدر ، عن كعب الأحبار قال : ما من شيء أحب إلى الله تعالى من قراءة القرآن والذكر ، ولولا ذلك ما أمر الناس بالصلاة والقتال ، ألا ترون أنه أمر الناس بالذكر عند القتال ، قال : (يا أيها الذين آمنوا إذا قاتلتم في سبيل الله فاخبروا الله كثيراً) لمحكم للمصنف (٤) .

قال الشاعر :

ذَكَرْتُكَ وَالْحَقُّ يُخْطَرُ بَيْنُنَا وَكَذَلِكَ فِينَا التَّكَلُّفُ السَّمَرُ

وقال حنر :

وَلَكِنْ ذَكَرْتُكَ وَالرِّمَاحُ شَوَاجِرُ فِينَا وَيَضُّ الْمُنْدُ تَغَطُّرُ مَنْ دَمِي

فأمر تعالى بالثبات عند قتال الأعداء والصبر على مبارزتهم ، فلا يفرو ولا ينكلوا ولا يجنوا ، وأن يذكروا الله في تلك الحال ولا ينسوه بل يستعينوا به ويذكروا عليه ، ويسألوه النصر على أعدائهم ، وأن يطيعوا الله ورسوله في عالم ذلك . لما أمرهم الله تعالى به التمسوا ، وما نهاهم عنه اتزجروا ، ولا يتجاوزوا فيما بينهم أيضاً فيختلفوا فيكون سبياً لتخاذلهم ولشلهم .

(وتذهب ريحكم) ، أي : قوتكم وحذتكم وما كنتم فيه من الإقبال ، (واصبروا إن الله مع الصابرين) .

وقد كان للصحابية رضى الله عنهم - في باب الشجاعة والاقبال بأمر الله ، وامتنال ما أُرشدن إليه - ما لم يكن لأحد من الأمم والقرون قبلهم ، ولا يكون لأحد ممن بعدهم ، لأنهم ببركة الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - وطاعته فيما أمرهم ، فصرحوا للغرب والأقاليم شرقاً وغرباً في اللذة اليسيرة ، مع قلة حذتهم بالنسبة إلى جيوش سائر الأقاليم ، من الروم والفرس والترك والصقالبة والبربر والجهوش وأصناف السودان والقيبط ، وطوائف بني آدم ، قهرروا الجميع حتى حلت كلمة الله ، وظهر ديبه على سائر الأديان ، وامتدت للملك الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها ، في أقل من ثلاثين سنة ، فرضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين ، وحشرنا في زمريهم ، إنه كريم وهاب .

(١) أخرجه القرطبي في أبرار الصحوات ، ينظر تحفة الأحرف ، الحديث ٣٦٥١ : ٤٠٤/١٠ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٦١/٦١ : ٥٧٤/١٣ .

(٣) الله للمفسر السيرة ، ١٧٩/٢ .

وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِيعَةً لِلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ حَيِّطٌ ﴿١٧﴾
وَإِذْ زَيَّاتُ لُحْمِ الشَّيْطَانِ أَهْلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَآتِ الْفَتَنَ
نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَكُفِّرُ بِالْأَرْثِ مَا لَا تُرَوِّنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٨﴾ إِذْ يَقُولُ
الْمُتَنَفِّرُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَمٌ عَرَاهُ لَكُمْ مِنْكُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٩﴾

يقول تعالى بعد أمره المؤمنين بالإخلاص في القتال في سبيله وكثرة ذكره، ناهياً لهم عن التشبه بالمشركين في خروجهم من ديارهم (بطراً) ، أي : دغماً للحق ، (ورعاً للناس) ، وهو : المفاخرة والتكبر عليهم ، كما قال أبو جهل - لما قيل له : إن السير لندجها فارجوا - قال : لا ، والله لا نرجع حتى نرد ماء بدر ، ونشر الجزر ، ونشرب الخمر ، ونحرف علينا القيان ، وتحدث العرب بمكانتها فيها يوماً أبداً ، فانكس ذلك عليه أنجع ، لأنهم لا وردوا ماء بدر ووردوا به الحماكم ، وورموا في أطواء بدر مهابين أذلاء ، منفرة أشقياء في طلب سركتي أبدى . ولهذا قال : (والله بما يعملون عيظ) ، أي : عالم بما جاءوا به وله ، ولهذا جازاهم حل ذلك شر الجزاء لهم .

قال ابن عباس ، وعجماء ، وكندة ، والفضحاك ، والسدي في قوله تعالى : (ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورعاً للناس) ، قالوا : هم للمشركون ، الذين قاتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر . وقال محمد بن كعب : لما خرجت قريش من مكة إلى بدر ، خرجوا بالقيان والدنوف ، فأزل الله : (ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورعاً للناس) ، ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون عيظ (١) .

وقوله : (وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غلب لكم اليوم من الناس وإنني جار لكم) ... الآية ، حسن لهم - لسه الله - ما جاءوا له وما هموا به ، وأطمعهم أنه لا غلب لهم اليوم من الناس ، ونفى عنهم الخشية من أن يؤتوا في ديارهم من حلوم بني بكر فقال : « أنا جار لكم » ، وذلك أنه تبدي لهم في صورة سراقة بن مالك بن جعشم ، سيد بني مدلج ، كبير تلك الناحية ، وكل ذلك منه ، كما قال تعالى عنه : (يعلم ويخبرهم وما يعلم الشيطان إلا غروراً) .

قال ابن جرير : قال ابن عباس في هذه الآية : لما كان يوم بدر سار إلياس برأيه وجنده مع المشركين ، وإلى في قلوب المشركين : أن أحداً لن يملكهم ، وإنني جار لكم . فلما اتفوا ، ونظر الشيطان إلى إمداد الملائكة ، (نكس على عقبيه) - قال - رجح مديراً - وقال : (إلى لوى مالا ترون) ... الآية (٢) .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قال : جاء إلياس يوم بدر في جند من الشياطين ، معه رايته ، في صورة رجل من

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٨٢ : ١٦ / ١٣ : ٥٨١

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٨٨ : ١٦ / ١٤ : ٥٩

بني مُدَلِّج ، والشيطان في صورة سراقته بن مالك بن جهم ، فقال الشيطان للمشركين : (لا غالب لكم اليوم من الناس ، وإني جبار لكم) فلما اصطف الناس أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضة من الراب فرمى بها في وجوه المشركين ، فولوا مدبرين . وأقبل جبريل عليه السلام إلى إيليس ، فلما رآه - وكانت يده في يد رجل من المشركين - اتزع به ثم ولى مدبراً [هو] وشيخه ، فقال الرجل : يا سرقة ، أترحم أنك لنا جبار ؟ فقال : (إني أرى مالا ترون ، إني أخاف الله ، والله شديد العقاب) وذلك حين رأى للملائكة (١) ۞

وقال محمد بن إسحاق : حدثني الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس : أن إيليس خرج مع قريش في صورة سراقته بن مالك بن جهم ، فلما حضر القتال ورأى للملائكة ، نكس على حفيه ، وقال : (إني برىء منكم) ، فثبت الحارث بن هشام فنشتر (٢) في وجهه ، فخر صمغاً ، قتل له ۞ وذلك بأسراقة . على هذه الحال تحدثنا وبراءتنا . قال : (إني برىء منكم ، إني أرى مالا ترون ، إني أخاف الله شديد العقاب) ۞

وقال محمد بن عمر الواقدي : أخبرني عمر بن حنظلة ، عن شعبة - مولى ابن عباس - عن ابن عباس قال : لا توافق الناس أنمي على رسول الله صلى الله عليه وسلم صاعاً ثم كشفه ، فبشر الناس بجبريل في جند من الملائكة ميمية الناس ، وميكائيل في جند آخر ميسرة الناس ، وإسرائيل في جند آخر ألف . وإيليس قد تصور في صورة سراقته بن مالك بن جهم للندى ، يلبر للمشركين ويخبرهم أنه لا غالب لهم اليوم من الناس . فلما أصر عدو الله للملائكة ، نكس على حفيه ، وقال : (إني برىء منكم ، إني أرى مالا ترون) ، فثبت به الحارث بن هشام ، وهو يرى أنه سراق لا سبع من كلامه ، فضرب في صدر الحارث ، فسقط الحارث ، واثملى إيليس لا يرى حتى سقط في البحر ، ووقع فيه وقال : يا رب ، موعدك الذي وعظني .

وفي الطبراني عن رفاعة بن رافع قريب من هذا السياق وأبسط منه ، ذكرناه في السيرة ۞

وقال محمد بن إسحاق : حدثني يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير قال : لما اجتمعت فريش السبر ، ذكرت التي بينها وبين بني بكر من الحرب ، فكان ذلك أن يشبههم ، فثبت في إيليس في صورة سراقته بن مالك بن جهم المدحجي - وكان من أشرف بني كنانة - فقال : أنا جبار لكم أن تأتكم كنانة بنى نكرهونه ، فخرجوا سرا (٣) .

قال محمد بن إسحاق : فلذكر لي أنهم كانوا يرونه في كل سر ۞ صورة سراقته بن مالك لا يتكروه ، حتى إذا كان يوم يملر والقي الجمعان ، كان الذي رآه حين نكس الحارث بن هشام - لو ۞ عسير بن وهب - قال : « أين ، أي سراق ؟ » وتكلم عدو الله للغب - قال : فأوردتهم ثم أسلمهم - قال : ونظر عدو الله إلى جند الله ، قد أيد الله بهم وسوله للمؤمنين فالتكس على حفيه ، وقال : (إني برىء منكم ، إني أرى مالا ترون) ، وصدق عدو الله ، وقال :

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٦١٨٣ : ٧٢/١٤ .

(٢) التفسير : صوت الألف ، وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما : « لا علق الله إيليس نثر ۞ ينثر لسان العرب ، مادة : تنشر .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٦١٨٥ : ٨٤/١٤ .

(إني أنفث الله والله شديد العقاب^(١)) ومكنا روى عن السدي ، والضحاك ، والحسن البصري ، وعمد بن كعب القرظي ، وغيرهم رحمهم الله .

وقال قتادة : وذكر لنا أنه رأى جبريل عليه السلام تنزل معه للملائكة ، فلم عدو الله أنه لا يدان^(٢) له بالملائكة فقال : (إني أرى مالا نرون ، إني أنفث الله) ، وكتب عدو الله ، والله مابه عناق الله ، ولكن علم أنه لا قوة له ولا منعة ، وتلك عادة عدو الله أن أطاعه واستأذ^(٣) له ، حتى إذا اتقى الحق والباطل أسلمهم شر منكم ، وتبرأ منهم عند ذلك^(٤) .

قلت : يعني بعباده أن أطاعه قوله تعالى : (كملت الشيطان إذ قال للإنسان : اكفر ، فلما كفر قال : إني يرى منك إني أنفث الله^(٥)) ، وقوله تعالى : (وقال الشيطان لا قضى الأمر : إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخطفكم ، وما كان في عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي ، فلا تلموني ولوموا أنفسكم ، ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي ، إني كفرت بما أشركتمون من قبل ، إني الظالم لم حذاب أليم^(٦)) .

وقال يونس بن بكير ، عن عمدة بن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم ، عن بعض بني ساعدة قال : سمعت أبا أسيد مالك بن ربيعة يعلمنا أصيب بصره يقول : لو كنت معكم الآن بدير ومعي بصرى ، لأخبركم بالشئ الذي خرجت منه للملائكة لا أشك ولا أماري^(٧) .

فلما نزلت للملائكة ورأى إبليس ، ولوحى الله إليهم : أتى معكم فتجروا الذين آمنوا . وتثبيتهم أن للملائكة كانت تأتي الرجل في صورة الرجل يحمله ، فيقول له : أبشر فإنهم ليسوا بشيء ، والله معكم ، كروا عليهم . فلما رأى إبليس للملائكة نقص على عييه ، وقال : (إني يرى منكم إني أرى مالا نرون) ، وهو في صورة سراقه ، وأقبل أبو جهل يحضض أصحابه ويقول : لا يهولكم خذلان سرقة إياكم ، فإنه كان على موعده من عهد وأصحابه ، ثم قال : واللوات والعزى لا نرجع حتى نفرق عمدا وأصحابه في الخيال ، فلا تقتلوه وتخلوهم أخلا . وهذا من أبي جهل لعنه الله كقول فرعون للسحرة لا أسلموا : (إن لنا لكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها^(٨)) ، وكقوله : (إنه لكبيركم الذي علمكم السحر^(٩)) ، وهو من باب البهت والافتراء ، ولهذا كان أبو جهل فرعون هذه الأمة .

(١) سيرة ابن هشام : ١/٦٦٣ ، وتفسير الطبري ، الأثر ١٦١٨٥ ، ١٦١٨٦ ، ١٤/٨ ، ٩ . وفي المخطوطة : « ابن ، ابن سراقه » والخط من المرجع السابقين .

(٢) أي : لا قدرة له ولا طاقة . ولفظ الطبري : « لا يدعى له » .

(٣) استأذنه : افتاد له وأطاعه .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٦١٨٧ ، ١٤/٩ .

(٥) سورة الحجر ، آية : ١٦ .

(٦) سورة إبراهيم ، آية : ٢٢ .

(٧) سيرة ابن هشام : ١/٦٦٣ .

(٨) سورة الأعراف ، آية : ١٢٣ .

(٩) سورة طه ، آية : ٧١ .

وقال مالك بن أنس ، عن إبراهيم بن أبي عبد الله ، عن طلحة بن عبيد الله بن كثير : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما رَأَى إبليس في يوم هو فيه أصغر ولا أحر ولا أَدْحَرُ ولا أَظْيَضُ منه [أ] في يوم عرفة . وذلك مما يرى من تَشَرُّك الرحمة والمغفرة عن الذنوب إلا ما رأى يوم بدر . قالوا : يا رسول الله ، وما رأى يوم بدر ؟ قال : أما إنه رأى جبريل عليه السلام يَتَرَعَّى للآلائكة (١) » .
هذا مرسل من هذا الوجه .

وقوله : (إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم) ، قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في هذه الآية قال : لا دنا لقوم بعضهم من بعض فَكَلَّ الله المسلمين في أمين المشركين ، وَكَلَّ المشركين في أمين المسلمين فقال للمشركون : « غَرَّ هؤلاء دينهم » . وإِنَّمَا قالوا ذلك من قنهم في أميهم ، فظنوا أنهم سيهزمونهم ، لا يشكُّون في ذلك ، فقال الله : (ومن يحوكل على الله فإن الله حريق حكيم) .

وقال قتادة : رأوا حصابة من المؤمنين تشدَّت لأمر الله ، وذكر لنا أن أبا جهل عدو الله لما أشرف على همد صلي الله عليه وسلم وأصحابه قال : « والله لا يعيدوا الله بعد اليوم . » ، فسوة وعُتُوا (٢) .

وقال ابن جرير في قوله : (إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض) : هم قوم كانوا من المنافقين بمكة ، قالوه يوم بدر (٣) .

وقال عامر الشعبي : كان ناس من أهل مكة قد تكلموا بالإسلام ، فخرجوا مع المشركين يوم بدر ، فلما رأوا قلة المسلمين قالوا : (غر هؤلاء دينهم) (٤) .

وقال مجاهد في قوله عز وجل : (إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض : غر هؤلاء دينهم) ، قال : قلة من قريش : [أبو] قيس بن الوليد بن المغيرة ، وأبو قيس بن الحَكَّاء بن المغيرة ، والحارث بن زُمنة بن الأسود ابن المطلب (٥) ، وحل بن أمية بن خلف ، والعباس بن مَتْنَبَة بن الحجاج ، خرجوا مع قريش من مكة وهم على الارتياح فحبسهم أرتياهم ، فلما رأوا قلة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا : « غَرَّ هؤلاء دينهم » ، حتى قَلَمُوا على ما قَلَمُوا عليه ، مع قلة عددهم وكثرة عدوهم . (٦)

وهكذا قال محمد بن إسحاق بن يسار ، سواء .

وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن في هذه الآية ، قال : هم قوم لم يشهدوا القتال يوم بدر ، فسماوا منافقين — قال معمر : وقال بعضهم : هم قوم كانوا أقروا بالإسلام ، وهم بمكة فخرجوا مع المشركين يوم بدر ، فلما رأوا قلة المسلمين قالوا : « غر هؤلاء دينهم » (٨) .

-
- (١) الموطأ ، كتاب الحج ، باب جيلع الحج ، الحديث ٢٤٥ : ٢٢٢/١ .
 - وأدحر : أبعد عن الخير ، ويرح الآلائكة : أي يصفهم للقتال ، وعنهم أن يخرج بعضهم عن بعض في الصف .
 - (٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٦١٩٧ : ١٤/١٤ .
 - (٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٦١٩٨ : ١٤/١٤ .
 - (٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٦١٩٣ : ١٣/١٤ .
 - (٥) ما بين القوسين سقط من المخطوطة ، ولتثبت عن سيرة ابن هشام : ٦٤١/١ ، وتفسير الطبري .
 - (٦) في سيرة ابن هشام ٦٤١/١ : « الأسود بن عبد المطلب » ، وهو خطأ ، صوابه ما في تفسير ابن كثير وتفسير الطبري ، ويعتبر كتاب نسب قريش : ٢١٨ .
 - (٧) تفسير الطبري ، الأثر ١٦١٩٥ : ١٣/١٤ .
 - (٨) تفسير الطبري ، الأثر ١٦١٩٦ : ١٣/١٤ : ١٤ .

وقوله: (ومن يولك على الله) ، أى: يستمد على جنبه ، (فإن الله عز) ، أى: لا يقسم من النجا إليه ، فإن الله عزيز منيع الجانب ، عظيم السلطان ، حكيم فى أفعاله ، لا يضعها إلا فى مواضعها ، فينصر من يستحق النصر ، ويغلب من هو أهل لذلك ،

وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ قَلِيلٍ ﴿٥١﴾

يقول تعالى: ولو عاينت باعده حال توفى الملائكة أرواح الكفار ، لرأيت أمرا عظيما هائلا فظيما منكرا ؛ إذ يضربون وجوههم وأدبارهم ، ويقولون لهم: (ذوقوا عذاب الحريق) ؛

قال ابن جرير ، عن مجاهد: (وأدبارهم) : أستاذهم ، قال: يوم بدر (١) .

قال ابن جرير ، قال ابن عباس: إذا أقبل المشركون بوجوههم إلى المسلمين ، ضربوا وجوههم بالسيف ، وإذا ولوا أذرعتهم للملائكة فضربوا أدبارهم .

قال ابن أبى نجیح ، عن مجاهد قوله: (إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم) : يوم بدر .
وقال وكيع ، عن سفيان الثوري ، عن أبى هاشم إسحاق بن كثير ، عن مجاهد ، عن شعبة ، عن يعل بن مسلم ، عن سعيد بن جبیر: (يضربون وجوههم وأدبارهم) قال: وأستاذهم ، ولكن الله يكفى .
وكذا قال عمر مولى غفيرة (٢) .

ومن الحسن البصري قال: قال رجل: يا رسول الله ، إنى رأيت يظهر أبى جهل مثل الشراك (٣) قال: [ماذا لك] قال: ضرب للملائكة .

رواه ابن جرير (٤) ، وهو مرسل ،

وهذا السياق - وإن كان سيبه وقعة بدر - ولكنه عام فى حق كل كافر : ولما لم يخصه تعالى بأهل بدر : بل قال تعالى: (ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم) . وفى سورة القتال مثلها (٥) ، وتقديم فى سورة الأنعام قوله: (ولو ترى إذ المجرمون فى غمرات الموت ، والملائكة باسطو أيديهم ، أخرجوا أنفسهم) (٦) ، أى: باسطو أيديهم بالضرب فيهم ، يأمرتهم إذا استصعبت أنفسهم ، واستنمت من الخروج من الأجساد أن تخرج قهرا ؛

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٢٠٤ : ١٦/١٤ .

(٢) هو أبو حفص عمر بن عبد الله المدنى ، ينظر القليوب : ٤٧١/٧ ، والجرير والفتيل لابن حاتم : ١١٩/١٧٢ .

وأثره فى تفسير الطبري ، برقم ١٦٢٠٧ : ١٨/١٤ .

(٣) فى غزوة الأحرار : «مثل الشوك» . والمثبت عن تفسير الطبري ، والشراك : سير قتال الذى يكون مل ظهورها .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٢٠٥ : ١٦/١٤ ، ١٧ . وما بين القومين عنه .

(٥) هى سورة محمد أيضا ، والآية فى هذه السورة برقم ٢٧ .

(٦) الآية رقم : ٩٣ .

وذلك إذ بشرهم بالهلب والغضب من الله ، كما في حديث الهراء : إن ملك الموت - إذا جاء الكافر عند احتضاره في تلك الصورة المكنكة - يقول : اخرجي أيها النفس الحبيبة إلى سموم وحم ، وظل من محبوم ، فتتفرق في بدنه ، فيستخرجونها من جسده ، كما يخرج السمود (١) من أنصوف البلول (٢) ، فتخرج منها العروق والعصب . ولهذا أخبر تعالى أن الملائكة تقول لهم : (فزقوا علب الحريق)

وقوله تعالى : ذلك : (عما قدمت أيديكم) ، أي : هذا الجزاء بسبب ما عملتم من الأعمال السيئة في حياتكم الدنياه ، جزاكم الله بها هذا الجزاء ، (ولأن الله ليس بظلام للعبيد) ، أي : لا يظلم أحدا من خلقه ، بل هو الحكم العدل ، الذي لا يجر ، تبارك وتعالى وقطس وتزه النقي الحميد . ولهذا جاء في الحديث الصحيح عند مسلم رحمه الله ، من رواية أبي ذر رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله تعالى يقول : (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي ، وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا . يا عبادي ، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ، فمن وجد غيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه (٣) » . ولهذا قال تعالى :

كَلَيْفَ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَءَالِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخْلَعَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢١﴾

يقول تعالى : فعل هؤلاء المشركون المكلبون بما أرسلت به يا محمد ، كما فعل الأمم المكلبة قبلهم ، فعملنا بهم ما هو دأبنا ، أي : عادتنا وسنتنا في الظلم من المكلبين من آل فرعون ومن قبلهم من الأمم المكلبة بالرسول . الكافر ين آيات الله . (فاحلهم الله بذنوبهم) ، أي : بسبب ذنوبهم أحلهم ، فاحلهم أخذ عزيز مقتدر ، (إن الله قوي شديد العقاب) ، أي : لا يغلبه غالب ، ولا يهزله هارِب .

ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾
كَذَٰبٌ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَءَالِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ صَدُّوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَلَحَلَّتْ لَهُمْ ذُنُوبُهُمْ ۚ وَأُغْرِقُوا ۚ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٢٣﴾

غير تعالى عن تمام حمله ، وقسطه في حكمه ، بأنه تعالى لا يغير نعمة أنعمها على أحد إلا بسبب ذنب ارتكبه ، كما قال تعالى : (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) ، وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له . وما لم من دونه من وال (٤) ، وقوله : (كذاب آل فرعون) ، أي : كسبه آل فرعون والظلم حين تكذيب آيائه ، أحلهم بسبب ذنوبهم ، وسلبهم تلك النعم التي أسداها إليهم من جنات وعيون ، وزروع وكثور ومقام كريم ، ونعمة كانوا فيها فاكهين ، وما ظلمهم الله في ذلك ، بل كانوا هم الظالمين .

(١) السمود : حبيطة ذات شنب معلقة ، يشوي بها اللحم .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٢٨٨/٤ ، ٢٩٦ .

(٣) مسلم ، كتاب البر ، باب تحريم الظلم : ١٧/٧ .

(٤) سورة الفرق ، آية : ١١ .

إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَإِنَّا نُنَقِصُكُمْ فِي الْحَرْبِ قَلِيلًا مِمَّنْ خَلَفَهُمْ لَهُمْ يَذْكُرُونَ ﴿٢٤﴾

أخبر تعالى أن شر ما دبت على وجه الأرض هم الذين كفروا فهم لا يؤمنون ، الذين كلما عاهدوا عهدا نقضوه ، وكلما أكلوه بالأمان نكثوه ، (وهم لا يتقون) ، أى : لا يحفظون من الله في شيء ارتكبه من الآثام .
(فإما ننقصكم في الحرب) ، أى : ننقصهم ونقلع بهم في حرب ، (فنشرد بهم من خلفهم) ، أى : نكل بهم ، قاله ابن عباس ، والحسن البصري ، والفساحك ، والسدي ، وعطاء الخراساني ، وابن عبيدة (١) - ومعناه غلبت قوتهم وأضعفهم ، ليخاف من سواهم من الأعداء ، من العرب وغيرهم ، ويصبروا لهم صبرة (لهم يذكرون) .
وقال السدي : لهم يعلمون أن ينكثوا فيمنع بهم مثل ذلك (٢) .

وَأَمَّا الْمُتَمَتِّعِينَ مِنْ قَوْمٍ بِحَيَاةٍ قَائِلَةٍ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُتَمَتِّعِينَ ﴿٢٥﴾

يقول تعالى لنبيه - صلوات الله وسلامه عليه - : (وأما المتماثلين من قوم) قد عاهدكم (بحياة) ، أى : نقضا لا يترك وينتهي من المواقف والعهود ، (قائل إلى إليهم) ، أى : عهدهم (على سواء) ، أى : أعلمهم بأنك قد نقضت عهدهم حتى يبقى ملكك وعلمهم بأنك حرب لهم ، وهم حرب لك ، وأنه لا عهد بينك وبينهم على السواء ، أى : ستوى أنت وهم في ذلك ، قال الرازي :

فَأُخْرِجُوا رَجُلُهُمْ فَتَدْرُ [الْأَعْدَاءُ] حَتَّى يَجِيبُواكَ إِلَى السَّوَاءِ (٣)

وعن الوليد بن مسلم أنه قال في قوله : (قائل إليهم على سواء) ، أى : على مهل ، (إن الله لا يحب المتماثلين) ، أى : حتى ولو في حق الكافرين ، لا يجيبها أيضا
قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن أبي القيس ، عن مسلم بن حامر ، قال : « كان معاوية يسير في أرض الروم ، وكان بينه وبينهم أمد ، فأراد أن يدنو منهم فإذا انقضى الأمد فرأهم ، فإذا شيخ على دابة يقول : الله أكبر [الله أكبر] ، وفاء لا خيرا ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ومن كان بينه وبين قوم عهد فلا يحسب أن يحل له ولا يشدها حتى ينقض أمدها ، أو ينبل إليهم على سواه قال - : فبلغ ذلك معاوية ، فرجع ، وإذا الشيخ عمرو ابن عبسة (٤) رضى الله عنه » (٥)

وهذا الحديث رواه أبو داود الطيالسي ، عن شعبة . وأخرجه أبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، وابن حبان في صحيحه من طرق عن شعبة ، به . وقال الترمذي : « حسن صحيح » . (٦)

(١) ينظر تفسير الطبري ١ : ٢٢٣ / ١٤ ، ٢٤ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٢١٥ : ٢٣ / ١٤ .

(٣) الرجز في تفسير الطبري ١ : ٢٧ / ١٤ ، ولا نعلم له قاللا ، والاندلس : جميع غيور . وما بين التوسمين سقط من المخطوطة .

(٤) في المخطوطة : « حبة » . وهو خطأ . ينظر أمدة القافية ، ط القرطبية ٤ : ١٢٠ / ٤ ، ١٢١ .

(٥) سنة الإمام أحمد ١١١ / ٤ .

(٦) سنن أبي داود ، كتاب الجهاد ، باب في الإمام يستعين به في اليهود ، الحديث ٢٧٥٩ : ٨٣ / ٣ ، ونقطة الأحرفي ،

أبراهام الصير ، باب ما جاء في التوراة ، الحديث ١٦٢٩ : ٧٣ / ٥ ، ٢٠٤ .

وقال الإمام أحمد أيضا : حدثنا محمد بن عبد الله الزبيري، حدثنا إسرائيل، عن عطاء بن السائب، عن أبيه البختري عن من سليمان - يعني القاسمي - رضي الله عنه : أنه انتهى إلى حصن - أو : مدينة - فقال لأصحابه : دعوني أدعهم كما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعهم، فقال : إنما كنت رجلا منهم ، فهذان الله عز وجل للإسلام ، فافا أسلمهم فلهم ماتا وعليكم ما عليا ، وإن آيتم فأدوا الجزية وأتم صاغرون ، فإن آيتم فلنلتاكم هل سواء ، (إن الله لأصيل لثنائين) ، فبطل بهم ذلك ثلاثة أيام ، فلما كان اليوم الرابع غدا الناس إليها فتحوها بحول الله (١) .

وَلَا يَحْزَنُ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبْقًا إِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَعْلَوْا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ دِيَارِكُمْ طَبَقًا مِمَّا يَكُونُ لَكُمْ رِزْقًا وَمَا يَسْتَلْزِمُهُمُ اللَّهُ بِغُلَامَيْهِمْ وَلَا بِغُلَامَيْهِمْ مِنْ دُونِهِمْ إِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ اللَّهُ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرَ ﴿٥١﴾ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾

يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: (ولا تحزن (٢)) - يا محمد - (الذين كفروا سيقرا) أي : فاتوا فلا تفقدوا عليهم ، بل هم تحت قبضتي قدرتنا وفي قبضة مشيئتنا فلا يفرجونا ، كما قال تعالى : (أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ساء ما يحكمون (٣)) أي : يظنون ، وقال تعالى : (لا تحزن الذين كفروا سيجزون في الأرضي ومأواهم النار ويلبسوا المسير) (٤) وقال تعالى : (لا يفرئك قلب الذين كفروا في البلاد . متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد) (٥) ثم أمر تعالى بأعداد آلات الحرب لقتلتهم حسب الطاقة والإمكان والاستطاعة ، قال : (وأعدوا لهم ما استطعتم) أي : مهما أمكنكم ، (من قوة ومن رباط الخيل) .

قال الإمام أحمد : حدثنا هارون بن معروف ، حدثنا ابن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث ، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما من رجل أتى المسجد فسمع قارئاً يقرأ فقال آمين معك اللهم آمين ، ثم لم يجلس ولم يستلم من قرة ، ألا إن القرة أرى » .^(٦)

رواه مسلم ، عن هارون بن معروف ، وأبو داود عن سعيد بن منصور ، وابن ماجه عن يونس بن عبد الأعلى ،
ثلاثهم عن عبد الله بن وهب ، به (٧) .

(١) مسند الإمام أحمد : ٤٤١٠٠ ، ورواه الترمذى فى أبواب السير ، باب : ما جاء فى الفحوة قبل القتال ، ، الحديث ١٥٨٨٨ : ١٥٨٩٠ من تحفة ، من أبى حوالة ، من خطاب بن السائب به نحوه ، وقال الترمذى : وروى سليمان حديث حسن لا نكره إلا من حديث خطاب بن السائب ، وسند محمد يقول : أبو البختري لم يترك سليمان ، لأنه لم يترك مليا ، وسليمان مات قبل كل .

(٢) قرأ ابن عمر حمزة وحفص : (ولا يحسن) بالياء ، أي ولا يحسن الرسول ، أو حسب ، أو المألوف . وقرا باقي السبعة (ولا تحسن) ، ببناء غلباً لرسول أو السماع ، وهي القراءة التي اتبعها ابن كثير . ينظر البحر المحيط لأبي حيان ٤٥١/٤ ، وتفسير الطبري : ٢٨/١٤ - ٣١ .

(۳) سورة النكیوت ، آیه ۱ : ۴ .

(٤) سورة النور ٤ آية : ٥٧ .

(و) سورة آل عمران، آية : ١٩٦ ، ١٩٧ .

(2) مع العلم بالآلة: 1.44 1.46 1.48 1.50 1.52 1.54 1.56 1.58 1.60 1.62 1.64 1.66 1.68 1.70 1.72 1.74 1.76 1.78 1.80 1.82 1.84 1.86 1.88 1.90 1.92 1.94 1.96 1.98 2.00 2.02 2.04 2.06 2.08 2.10 2.12 2.14 2.16 2.18 2.20 2.22 2.24 2.26 2.28 2.30 2.32 2.34 2.36 2.38 2.40 2.42 2.44 2.46 2.48 2.50 2.52 2.54 2.56 2.58 2.60 2.62 2.64 2.66 2.68 2.70 2.72 2.74 2.76 2.78 2.80 2.82 2.84 2.86 2.88 2.90 2.92 2.94 2.96 2.98 3.00 3.02 3.04 3.06 3.08 3.10 3.12 3.14 3.16 3.18 3.20 3.22 3.24 3.26 3.28 3.30 3.32 3.34 3.36 3.38 3.40 3.42 3.44 3.46 3.48 3.50 3.52 3.54 3.56 3.58 3.60 3.62 3.64 3.66 3.68 3.70 3.72 3.74 3.76 3.78 3.80 3.82 3.84 3.86 3.88 3.90 3.92 3.94 3.96 3.98 4.00 4.02 4.04 4.06 4.08 4.10 4.12 4.14 4.16 4.18 4.20 4.22 4.24 4.26 4.28 4.30 4.32 4.34 4.36 4.38 4.40 4.42 4.44 4.46 4.48 4.50 4.52 4.54 4.56 4.58 4.60 4.62 4.64 4.66 4.68 4.70 4.72 4.74 4.76 4.78 4.80 4.82 4.84 4.86 4.88 4.90 4.92 4.94 4.96 4.98 5.00 5.02 5.04 5.06 5.08 5.10 5.12 5.14 5.16 5.18 5.20 5.22 5.24 5.26 5.28 5.30 5.32 5.34 5.36 5.38 5.40 5.42 5.44 5.46 5.48 5.50 5.52 5.54 5.56 5.58 5.60 5.62 5.64 5.66 5.68 5.70 5.72 5.74 5.76 5.78 5.80 5.82 5.84 5.86 5.88 5.90 5.92 5.94 5.96 5.98 6.00 6.02 6.04 6.06 6.08 6.10 6.12 6.14 6.16 6.18 6.20 6.22 6.24 6.26 6.28 6.30 6.32 6.34 6.36 6.38 6.40 6.42 6.44 6.46 6.48 6.50 6.52 6.54 6.56 6.58 6.60 6.62 6.64 6.66 6.68 6.70 6.72 6.74 6.76 6.78 6.80 6.82 6.84 6.86 6.88 6.90 6.92 6.94 6.96 6.98 7.00 7.02 7.04 7.06 7.08 7.10 7.12 7.14 7.16 7.18 7.20 7.22 7.24 7.26 7.28 7.30 7.32 7.34 7.36 7.38 7.40 7.42 7.44 7.46 7.48 7.50 7.52 7.54 7.56 7.58 7.60 7.62 7.64 7.66 7.68 7.70 7.72 7.74 7.76 7.78 7.80 7.82 7.84 7.86 7.88 7.90 7.92 7.94 7.96 7.98 8.00 8.02 8.04 8.06 8.08 8.10 8.12 8.14 8.16 8.18 8.20 8.22 8.24 8.26 8.28 8.30 8.32 8.34 8.36 8.38 8.40 8.42 8.44 8.46 8.48 8.50 8.52 8.54 8.56 8.58 8.60 8.62 8.64 8.66 8.68 8.70 8.72 8.74 8.76 8.78 8.80 8.82 8.84 8.86 8.88 8.90 8.92 8.94 8.96 8.98 9.00 9.02 9.04 9.06 9.08 9.10 9.12 9.14 9.16 9.18 9.20 9.22 9.24 9.26 9.28 9.30 9.32 9.34 9.36 9.38 9.40 9.42 9.44 9.46 9.48 9.50 9.52 9.54 9.56 9.58 9.60 9.62 9.64 9.66 9.68 9.70 9.72 9.74 9.76 9.78 9.80 9.82 9.84 9.86 9.88 9.90 9.92 9.94 9.96 9.98 10.00 10.02 10.04 10.06 10.08 10.10 10.12 10.14 10.16 10.18 10.20 10.22 10.24 10.26 10.28 10.30 10.32 10.34 10.36 10.38 10.40 10.42 10.44 10.46 10.48 10.50 10.52 10.54 10.56 10.58 10.60 10.62 10.64 10.66 10.68 10.70 10.72 10.74 10.76 10.78 10.80 10.82 10.84 10.86 10.88 10.90 10.92 10.94 10.96 10.98 11.00 11.02 11.04 11.06 11.08 11.10 11.12 11.14 11.16 11.18 11.20 11.22 11.24 11.26 11.28 11.30 11.32 11.34 11.36 11.38 11.40 11.42 11.44 11.46 11.48 11.50 11.52 11.54 11.56 11.58 11.60 11.62 11.64 11.66 11.68 11.70 11.72 11.74 11.76 11.78 11.80 11.82 11.84 11.86 11.88 11.90 11.92 11.94 11.96 11.98 12.00 12.02 12.04 12.06 12.08 12.10 12.12 12.14 12.16 12.18 12.20 12.22 12.24 12.26 12.28 12.30 12.32 12.34 12.36 12.38 12.40 12.42 12.44 12.46 12.48 12.50 12.52 12.54 12.56 12.58 12.60 12.62 12.64 12.66 12.68 12.70 12.72 12.74 12.76 12.78 12.80 12.82 12.84 12.86 12.88 12.90 12.92 12.94 12.96 12.98 13.00 13.02 13.04 13.06 13.08 13.10 13.12 13.14 13.16 13.18 13.20 13.22 13.24 13.26 13.28 13.30 13.32 13.34 13.36 13.38 13.40 13.42 13.44 13.46 13.48 13.50 13.52 13.54 13.56 13.58 13.60 13.62 13.64 13.66 13.68 13.70 13.72 13.74 13.76 13.78 13.80 13.82 13.84 13.86 13.88 13.90 13.92 13.94 13.96 13.98 14.00 14.02 14.04 14.06 14.08 14.10 14.12 14.14 14.16 14.18 14.20 14.22 14.24 14.26 14.28 14.30 14.32 14.34 14.36 14.38 14.40 14.42 14.44 14.46 14.48 14.50 14.52 14.54 14.56 14.58 14.60 14.62 14.64 14.66 14.68 14.70 14.72 14.74 14.76 14.78 14.80 14.82 14.84 14.86 14.88 14.90 14.92 14.94 14.96 14.98 15.00 15.02 15.04 15.06 15.08 15.10 15.12 15.14 15.16 15.18 15.20 15.22 15.24 15.26 15.28 15.30 15.32 15.34 15.36 15.38 15.40 15.42 15.44 15.46 15.48 15.50 15.52 15.54 15.56 15.58 15.60 15.62 15.64 15.66 15.68 15.70 15.72 15.74 15.76 15.78 15.80 15.82 15.84 15.86 15.88 15.90 15.92 15.94 15.96 15.98 16.00 16.02 16.04 16.06 16.08 16.10 16.12 16.14 16.16 16.18 16.20 16.22 16.24 16.26 16.28 16.30 16.32 16.34 16.36 16.38 16.40 16.42 16.44 16.46 1

(۷) مسلم ، کتاب الإمامۃ ، باب فضل الری والحث علیہ ودم من علمہ ثم نسیہ : ۵۲/۶ . وستن ابی داود ، کتاب کتاب الجہاد ، باب فی الری ، الحدیث ۲۵۱۶ : ۱۴/۳ . وابن ماجہ ، کتاب الجہاد ، باب فی الری فی سبیل اللہ : ۵۲/۶ .

ولهذا الحديث طرق أكثر ، عن عتيبة بن حار ، منها ما رواه الرملي ، من حديث صالح بن كيسان ، عن رجل ، (١) عنه .

وروى الإمام أحمد وأهل السنن ، عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لمواوا ركبوا ، وأن ترموا » خبر من أن تركبوا (٢) .

وقال الإمام مالك ، عن زيد بن أسلم ، عن أبي صالح السمان ، عن أبي هريرة رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لثليل ثلاثة : لرجل أجر ، ولرجل ستر ، وعلى رجل وزر ، فأما الذى له أجر فرجل ربطها في سبيل الله ، فأطاع ما في صرح (٣) - أو : روضة - فما أصابت في طيعها ذلك (٤) من المرج - أو : الروضة - كانت له حسنت ، ولو أنها قطعت طيعها فاستقتت (٥) شركاً أو شركين (٦) ، كانت آثارها وأروائها حسنت له ، ولو أنها موت بنهر فقتلته ، ولم يرد أن يسقي به ، كان ذلك حسنت له ؛ ففى للملك الرجل أجر . ورجل ربطها تقنياً (٧) ، ولم ينس حق الله في رقابها ولا ظهورها ، ففى له ستر . ورجل ربطها فخراً ورياء ونواها (٨) ففى على ذلك وزر (٩) » .

(١) نسخة الإسنوي ، تفسير سورة الأنفال ، الحديث ٥٠٧٨ : ٤٧٣/٨ ، ٤٧٤ من أسد بن منيع ، عن وكيع ، عن أسامة بن زيد ، عن صالح بن كيسان . وقال الرملي : وقد روى بعضهم هذا الحديث عن أسامة بن زيد ، عن صالح بن كيسان ، عن عتيبة بن حار ، وصحبت وكيع أسح ، وصالح بن كيسان لم يترك عتيبة بن حار ، وقد أدرك ابن عمر ، والحديث في الرملي بقية ، بعد قوله عليه السلام : « ألا إن القوة كبرى ، وكنته : « ألا أن الله يفتح لكم الأرض ، وستكون المونة ، فلا يسير أحدكم أن يلبس بأسبه » . وقوله عليه السلام : « وستكون المونة » ، أى : سيحكم الله مؤنة القتال بما يفتح عليكم . ومعنى « يلبس بأسبه » ، أى : يشغل .

(٢) سنن الإمام أسد : ١٤٤/٤ ، ١٤٦ ، ١٤٨ . وسنن أبي حنود ، كتاب الجهاد ، باب « في الرى » ، الحديث ٢٥٠٣ ، ١٣/٣ ، والنسائي ، كتاب الخيل ، باب « تأديب الرجل فرسه » ٦٥ / ٢٤٣ ، وابن ماجة ، كتاب الجهاد ، باب « الرى في سبيل الله » ، الحديث ٢٨١١ : ٩٤٠/٢ . وسنن الترمذي ، كتاب الجهاد ، باب « في فضل الرى والأمر به » ٢٢٤/٢ . (٣) المرج : الأرض الواسعة ذات نبات كثير تخرج فيه الثواب ، أى : تفل تخرج خضرة من شات . (٤) التليل - يكسر فتح - : الخيل الذى تربط فيه . (٥) استندت : جرت .

(٦) كثر - بفتح اللين والراء - : المكان العالي من الأرض . (٧) أى : استفاد من الناس ، و « تقنياً » من السوال . (٨) أى : منارة ومساعدة . (٩) الموطأ ، كتاب الجهاد ، باب « القريب في الجهاد » ، الحديث رقم ٤١٤/٢ .

هذا والحديث رواه البخارى في كتاب الجهاد ، باب الخيل لثلاثة : ٣٦ ، ٣٥/٤ ، والمناقب : ٢٥٢/٤ ، ٢٥٣ من عبد الله ابن مسلمة ، عن مالك . وفي كتاب التفسير ، تفسير سورة الفرقة : ٢١٧/٦ . وكتاب الاحصام ، باب « الأسكام التى تعرف باللائل » : ١٣٤/٩ من إسماعيل بن عبد الله ، عن مالك . ورواه مسلم في كتاب الزكاة ، باب « ثم مانع الزكاة » ، عن سويد بن سبه ، عن حفص بن يسيرة الصنعاني ، عن زيد بن أسلم ، عن حديث طويل : ٧٠/٣ ، ٧١ .

ورواه ابن ماجة في كتاب الجهاد ، باب « ارتباط الخيل في سبيل الله » ، الحديث ٢٧٨٨ : ٩٣٢/٢ ، عن محمد بن عبد الملك ابن أبي الثواب ، عن عبد العزيز بن المختار ، عن سبيل ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، بنحوه .

ورواه الإمام أسد في مسنده من غير وجه : ٢٨٣ ، ٢٦٢/٢ ، ٢٨٣ .

وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحمر فقال: « ما أتول الله على فيها شيئاً إلا هله الآية الجامعة الفاضة »
(فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره . ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) :
رواه البخاري (١) - وهذا لفظه - ومسلم ، كلاماً من حديث مالك ،

وقال الإمام أحمد : حدثنا حجاج ، أخبرنا شريك ، عن الركين بن الربيع ، عن القاسم بن حسان ، عن عبد الله بن مسعود ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الخيل ثلاثة : فرس الرحمن ، وفرس للشيطان ، وفرس للإنسان ، فأما فرس الرحمن فالذي يربط في سبل الله ، ضلعه وروثه ويوله ، وذكر ما شاء الله : وأما فرس الشيطان فالذي يقامر أو يراهن عليه ، وأما فرس الإنسان فالفرس يربطها الإنسان بالتمس بطنها ، فهي ستر من فقر (٢) :

وقد ذهب أكثر العلماء إلى أن الرمي أفضل من ركوب الخيل ، وذهب الإمام مالك إلى أن الركوب أفضل من الرمي ، وقول الجمهور أقوى للحنث ، والله أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حجاج وحشام قالا : حدثنا ليث ، حدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن ابن شهاب (٣) :
أن معاوية بن حنيفة سأل عن أبي حنيفة ، وهو قائم عند فرس له ، فسأله ما تعالج من فرسك هذا ؟ فقال : إنه أظن أن هذا الفرس قد استجب له دعوته ! قال : وما دعاء جيمة من البهائم ؟ قال : وللي دعوى بيده ، ما من فرس إلا وهو يدعو كل سحر فيقول : اللهم ، أنت غوثي هذا من عبادك ، وجعلت رزقي بيده ، فأجبتني أحبة إليه من أهله وماله وولده (٤) .

قال : وحدثنا يحيى بن سعيد ، عن عبد الحميد بن جعفر ، حدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن سويد بن قيس ، عن معاوية بن حنيفة ، عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنه ليس من فرس عربي إلا يؤذن له مع كل فجر ، يدعو بدعوتين ، يقول : اللهم ، إنك غوثي من غوثوني من بني آدم ، فأجبتني من أحبة أهله وماله إليه - أو : أحب أهله وماله إليه (٥) .

رواه النسائي ، عن عمرو بن علي الفلاس ، عن يحيى القطان (٦) به .

(١) ينظر التعليل المختصم .

(٢) مسند الإمام أحمد : ١ / ٣٩٥ .

(٣) كتاب في فضيلة الأثر : « ابن شهاب » . وفي المسند : « أبي حنيفة » وسبق في رواية الإمام أحمد عن يحيى بن سعيد :
قول عبد الله بن الإمام أحمد : « قال لي : عاتقه - يعني عبد الحميد بن جعفر - عمرو بن الحارث ، فقال : « من يزيد ، عن عبد الرحمن بن شهاب » . وقال ليث : « عن أبي حنيفة » انتهى كلام عبد الله بن الإمام أحمد .

وفي التلخيص ٦ / ١٩٥ : « عبد الرحمن بن شهاب بن ذئب بن أجور النهري ، أبو عمرو المصري . روى عن ابن عمرو بن النضر وعبد الله بن عمر ... روى عنه يزيد بن أبي حبيب » . وحل هذا في المسند ، وهو « أبو حنيفة » خطأ .

(٤) مسند الإمام أحمد : ٥ / ١٦٢ . وقال عبد الله بن الإمام أحمد : « قال لي : رواه عمرو بن الحارث عن أبي حنيفة » .

(٥) مسند الإمام أحمد : ٥ / ١٧٠ . ورواه الحاكم في المستدرک ، كتاب قسم أنفه : ٢ / ١٤٤ ، وقال : « صحيح » .

الإسناد ولم يخرجاه » .

(٦) الفسائي ، كتاب الخيل ، باب : « دعة الخيل » : ٦ / ٢٢٢ .

وقال أبو القاسم الطبراني : حدثنا الحسن بن إسحاق الثوري ، حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا يحيى بن حمزة ، حدثنا الطعم بن القدام الصنعاني ، عن الحسن بن أبي الحسن أنه قال لأبن الحنظلية - يعني سهلاً - : حدثنا حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الخليل موقود في نواصبيها الخبير إلى يوم القيامة ، وأهلها معانول عليها ، ومن ربط فرساً في سبيل الله كانت النفقة عليه ، كالإدابة بالصدقة لا يقبضها » (١) .

والأحاديث الواردة في فضل ارتباط الخليل كثيرة ، وفي صحيح البخاري ، عن عروة بن أبي الجعد الباري : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الخليل موقود في نواصبيها الخبير إلى يوم القيامة : الأجر والمغرم » (٢) .

وقوله : « ترجمون » ، أي : تخوفون (به جلوه الله وعلوكم) أي : من الكفار (وآخرين من دولهم) - قال عياض : يعني « قرطبة » (٣) ، وقال السدي « فارس » (٤) ، وقال سفيان الثوري : قال ابن عباس : « هم الشياطين التي في الدور » (٥) ، وقد ورد حديث مثل ذلك ، قال ابن أبي حاتم :

حدثنا أبو حنيفة أحمد بن القرج الحمصي ، حدثنا أبو حنيفة - يعني شريح بن يزيد المقرئ - حدثنا سعيد بن مسكان ، عن ابن حبيب - يعني يزيد بن عبد الله بن حبيب - عن أبيه ، عن جده . أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في قوله : « وآخرين من دولهم لا تعلمونهم » ، قال : هم الجن .

ورواه الطبراني ، عن إبراهيم بن حنبل ، عن أبيه ، عن محمد بن شعيب ، عن ستان بن سعيد بن ستان ، عن يزيد بن عبد الله بن حبيب ، به ، وزاد : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يُخْبَل بيت فيه عتيق من الخليل » (٦) ، وهذا الحديث منكر ، لا يصح إسناده ولا متنه .

وقال مقاتل بن حيان ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم : « هم المنافقون » (٧) .

وهذا أشبه الأقوال ، ويشهد له قوله : (ومن حولكم من الأشرار منافقون ومن أمل المدينة مردوا على النفاق) لا تعلمهم ، نحن نعلمهم (٨) .

(١) مجمع الزوائد ، كتاب الجهاد ، باب ما جاء في الخليل : ٥ / ٢٥٩ ، وقال المصنف : « رواه الطبراني ، ورجالته ثقات » .

(٢) البخاري ، كتاب الجهاد ، باب الخليل موقود في نواصبي الخبير إلى يوم القيامة ، وباب « الجهاد ما من مع الله والفاجر » ٤ / ٢٤ ، وباب « قول النبي صلى الله عليه وسلم : « أسلمت لكم أئمتنا » : ٤ / ١٠٤ ، والمناتب : ٤ / ٢٥٢ ، ومسلم ، كتاب الإمارة ، باب « الخليل في نواصبي الخبير إلى يوم القيامة » : ٦ / ٣٢ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٢٣٩ ، ١٦٢٤٠ ، ١٤ / ٣٦ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٢٤١ ، ١٤ / ٣٦ .

(٥) الدر المختار : ٣ / ١٩٨ .

(٦) المرجع السابق أيضاً والمضفة نفسها ، ولفظ آخر : « لا يُخْبَل الشيطان إنساناً في داره فرس عتيق » .

(٧) أثر عبد الرحمن بن زيد في تفسير الطبري : ١٤ / ٣٦ .

(٨) سورة التوبة ، آية ١٠٩ .

وقوله : (وما يتفقوا من شيء) في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون) ، أي ؛ مهما اتفقت في الجهاد ، فإنه يوفى إليكم على الهام والكمال ، ولهذا جاء في حديث رواه أبو داود : أن اللهم يضاعف ثوابه في سبيل الله إلى سبعة (١) ضعف (١) ، كما تقدم في قوله تعالى : (مثل الذين يفتنون أمثلهم في سبيل الله) كمثل حبة أنثت سبع سنابل ؛ في كل سنبل مائة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء ، والله واسع علم (٢) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن القمام بن عطية ، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن الدمشقي ، حدثنا أبي ، عن أبيه ، حدثنا الأشعث بن إسحاق ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يامر أن لا يصدق إلا لأهل الإسلام ، حتى تزلت : (وما تتفقوا من شيء) في سبيل الله يوف إليكم ، فأمر بالصدقة يبعثها على كل من سألت من كل دين .
وهذا أيضاً غريب .

• وَإِنْ جَعَلُوا لَكَ فِتْنَةً فَاتَّقِ اللَّهَ مَا وَكَّلَ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٠﴾ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِشِعْرِهِ وَإِلَى مُنِيرِنَ ﴿١١﴾ وَأَلَفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنَّكَ تَمَاسِي الْأَرْضِ جَمْعًا مَّا فَلَقْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَتَمَّ إِلَهُهُمْ إِنَّهُمْ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٢﴾

يقول تعالى : إذا خضت من قوم حياة فالتد ، إليهم هدهم على سواء ، فإن استمروا على حربك ومقابلتك فقاتلهم ، وإن جنحوا ، أي : مالوا (السلم) ، أي : الأسلة والمصالحة والمهادنة ، (فاجتنب لها) ، أي : فعل إليها ، وأقبل منهم ذلك . ولهذا طلب للمشركون عام الحديبية الصلح ووضع الحرب بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعين ، أباهم إلى ذلك مع ما اشترطوا من الشروط الأخرى .
وقال عبد الله ابن الإمام أحمد : حدثنا محمد بن أبي بكر القندي ، حدثنا فضيل بن سليمان - يعني التميمي - حدثنا محمد بن أبي عيسى ، عن إياس بن عمرو الأوسلي ، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه سيكون [يحدث] اختلاف - أو - أمر - فإن استطعت أن يكون السلم فافعل (٢) ، وقال مجاهد : تؤت في بني عريقلة (٤) .

وهذا فيه نظر ، لأن السباق كله في وقته بدر ، وذكرها مكتب لهذا كله ،
وقول ابن عباس ، وعابد ، وزيد بن أسلم ، وعطاء الخراساني ، وعكرمة ، والحسن ، وقاعدة : إن هذه الآية
منسوخة بآية السيف في برائة : (قاتلوا الذين لا يؤمنون بآه ولا باليوم الآخر ^(٥)) الآية - فيه نظر أيضا : لأن

(١) ينظر سنن أبي داود ، كتاب الجهاد ، باب في تضييق الذكر في سبيل الله ، الحديث ٢٤٩٨ : ٣ % أ . وليس ظنا
لفظ الحديث ، ولأنه . « إن الجهاد والسيار والذكر تضاعف على الشقة في سبيل الله بمسألة ضعف » . والحديث الذي تقدم منه
آية الحديث رواه ابن أبي حاتم ، ينظر ١ / ٤٦٨ : ٤٦٩ .

(۲) سورة البقرة : آية : ۲۶۹ .

(۳) مست الإمام أحمد : ۱ / ۹۰ .

(٤) تقرير الحادي ، الأثر ١٦٢٥١ : ١٤ / ٤٣ .

(٥) سورة القصص ، آية : ٢٩ .

آية براءة فيها الأمر بقتالهم إذا أمكن ذلك ، فأما إذا كان العدو كثيراً ، فانه يجوز مهادنتهم ، كما دلت عليه هذه الآية الكريمة ، وكما فعل النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ، فلا منافاة ولا نسخ ولا تخصيص ، والله أعلم .
وقوله : (وتوكل على الله) ، أى : صالحهم وتوكل على الله ، فان الله كافيكم وناصركم ، ولو كانوا يريدون بالصلح خديعة ليقولوا ويستمدوا ، (فان حسبك الله) ، أى : كافيكم وحده .

ثم ذكر ثمرته عليه بما أبدته به من المؤمنين المهاجرين والأنصار ، فقال : (هو الذى أبدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم) ، أى : جمعها على الإيمان بك ، وعلى طاعتك ومناصرتك وموالتك . (لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم) ، أى : لا كان بينهم من العداوة والبغضاء . فان الأنصار كانت بينهم حروب كثيرة فى الجاهلية ، بين الأوس والخزرج ، وأمور يلزم منها التسلسل فى الشر ، حتى قطع الله ذلك بنور الإيمان ، كما قال تعالى : (واذكروا لعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم ، فأصبحتم بنعمة إخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها ، كذلك يبين لكم آياته لعلكم تهتدون) (١) .

وفى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خطب الأنصار فى شأن غنائم خيبر قال لهم : « يا معشر الأنصار ، ألم أجِدْكُمْ شُرَائِلًا لِهَذَاكُمْ إِيَّابِ ، وحالة فأغناكم الله بى ، وكنتم مغترفين قائلينكم الله بى — كلما قال شيئاً قالوا : الله ورسوله أسوأ » (٢) .

ولهذا قال تعالى : (ولكن الله آلف بينهم إله عزيز حكيم) ، أى : عزيز الجنبات ، فلا يخيب رجاء من توكل عليه ، حكيم فى أفعاله وأحكامه .

قال الحافظ أبو بكر البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا علي بن بشر الصيرفي القزويني فى مترنا ، أنبأنا أبو عبد الله محمد بن الحسين القشيري الاسترابادي ، حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن النعمان الصفار ، حدثنا ميمون بن الحكم ، حدثنا بكر بن الشروء ، عن محمد بن مسلم الطائفي ، عن إبراهيم بن ميسرة ، عن طلوس ، عن ابن عباس قال : قرابة الرمح تقطع ، ومنة النعمة تكفر ، ولم ير مثله قارب القلوب ، يقول الله تعالى : (لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم) ، وذلك موجود فى الشعر :

إذا مَتَّ ذُو الْقُرْبَى إِلَيْكَ بِرَحْمَةٍ
تَشْكُوكَ وَاسْتَقْبَى لَيْسَ بِلَى رَحْمَةٍ
ولكن ذا القربى الذى إن دحركه
أجابه ومن يرمى العدو الذى ترمى (٣)

قال : ومن ذلك قول القائل :

ولكنه صحبْتُ الناسَ ثُمَّ سَبَّوْهُمْ
وَبَكَوْهُ مَا وَصَلُوا مِنْ الْأَسْبَابِ

(١) سورة آل عمران ، آية : ١٠٣ .

(٢) البيهقي ، كتاب المغازي ، باب : غزوة الحديبية ، ٥ / ٢٠٠ ، وسلم ، كتاب الزكاة ، باب : إعطاء الرقبة لقولهم حل الإسلام ، وتصد من قوى إيمانه ، ٣ / ١٠٨ . ورواه الإمام أحمد فى مسنده عن أبي سعيد الخدري ، ٣ / ٥٧ .
٧٦ . ومن أنس بن مالك ، ٣ / ١٠٤ ، ٢٥٣ . وعن عبد الله بن زيد بن حاصم ، ٤ / ٤٢ .
وحالة قنار . « ولئن » : أكثر صلاه ، من « لئن » وهو الطاء والاسكان ، « لئن » : لئن .
(٣) فى الفسطوة : « وأن يرمى » : والمثبت من قدر للطور .

إِذَا الْهَرَاكَةُ لَا تَقْرَبُ قَطْعًا وَإِذَا الْبُزَّةُ الْفَرْسُ الْأَسْبَابُ

قال البهقي : لا أدري هذا موصول بكلام ابن عباس ، أو هو من قول من دونه من الرواة (١) ؟

وقال أبو إسحاق السبكي ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، سمعته يقول : (لو أنفقت مائتي الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم) ... الآية ، قال : هم المتجاوبون في الله - وفي رواية : نزلت في الصحابة في الله ، رواه النسائي والحاكم في مستدركه ، وقال : « صحيح » (٢) .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، عن ابن طاووس ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : إن الرمح ليقطع ، وإن النعمة تكفر ، وإن الله إذا قارب بين القلوب لم يرحمها شيء ، ثم قرأ : (لو أنفقت مائتي الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم) .

رواه الحاكم أيضا (٣) .

وقال أبو عمرو الأوزاعي : حدثني عبد بن أبي لينة ، عن مجاهد - ولفظه فألف يدي فقال : إذا رأى الصحابة في الله ، فأخذ أحدهما بيد صاحبه ، وضحك إليه ، ثم أخذ خطاها كما يتحات ورق الشجر (٤) . قال عبد : فقلت له : إن هذا ليس ! . فقال : لا تقل ذلك ، فإن الله تعالى يقول : (لو أنفقت مائتي الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم) ! . قال عبد : فعرفت أنه الله (٥) .

وقال ابن جرير : حدثنا أبو كريب ، حدثنا ابن عاصم (٦) ، عن إبراهيم الخولعي ، عن الوليد بن أبي معيث ، عن مجاهد قال : إذا التقى المسلمان فصاحا فصرحا ، قال : قلت لمجاهد : بمصاحفة يفرها ؟ فقال مجاهد : أما سمعته يقول : (لو أنفقت مائتي الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم) ؟ فقال الوليد لمجاهد : أنت أعلم مني (٧) .

وكلا روى طلحة بن مصرف ، عن مجاهد ،

وقال ابن حون ، عن عمر بن إسحاق قال : كنا نحدث أن أول ما يرفع من الناس - [أو قال : عن الناس] (٨) - الألفة .

وقال الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني رحمه الله : حدثنا الحسين بن إسحاق الصوري ، حدثنا حبيب الله ابن عمر القواريري ، حدثنا سالم بن عجلان ، سمعت جندبا أبا عثمان ، حدثني أبو عثمان النهدي ، عن سلمان الفارسي ،

(١) الأثر والشعر في ألفه : ١٩٩ / ٣ .

(٢) المستدرک ، تفسير سورة الأنفال : ٣٢٩ / ٢ .

(٣) المستدرک ، تفسير سورة الأنفال : ٣٢٨ / ٢ ، ٣٢٩ ، وقال الحاكم : « هذا حديث صحيح لم يدر الشبخين » .

(٤) تحات ورق الشجر ، تساقط من خضه إذا ذبل .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر : ١٦٣٦٥ : ١٤ / ٤٦ : ٤٧ .

(٦) في المخطوطة : « حدثنا أبو عاصم » وهو خطأ ، والصواب عن تفسير الطبري ، وهو : يحيى بن عاصم ، ينظر ترجمته في

التأليف : ٣٠٦ / ١١ .

(٧) تفسير الطبري ، الأثر : ١٦٢٥٩ : ١٤ / ٤٦ .

(٨) من تفسير الطبري ، الأثر : ١٦٣٦٢ : ١٤ / ٤٧ : ٤٨ .

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن المسلم إذا أتى أخاه المسلم ، فأخذ يده ، تحكأت عنهما ذنوبهما ، كما يتحات الورق عن الشجرة اليابسة في يوم ريح عاصف ، وإلا غرقا لم ولو كانت ذنوبهما مثل زبد البحار »^(١) .

يُنَاسِبُهَا النَّبِيُّ حَبْلُكَ اللَّهُ وَبَيْنَ أَسْبَاطِكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَمَنْ يَأْتِ النَّبِيَّ حَرِيصُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْفِتَنِ إِنْ يَكُنْ مِنْكَ
عَشْرُونَ صَبِيرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكَ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَإِنَّمَا قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٦﴾
أَلَمْ يَخَفْ اللَّهُ عَنكَ وَعَلَّمَ لِقَائَكَ مَعَهُمَا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكَ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكَ أَلْفٌ
يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكَ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ ﴿١٧﴾

يُعرض تعالى نبيه - صلوات الله وسلامه عليه - للوثنين على القتال ومناجزة الأعداء ومبارزة الأكران ، وغضبه
أنه حبسهم ، أي : كافئهم وناصروهم ومؤيِّسهم على علومهم ، وإن كثرت أعدادهم وتراذفت أمدادهم ، ولو قل عدد
الوثنين ؛

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن عثمان بن حكيم ، حدثنا عبيد الله بن موسى ، أنبأنا سفيان ، عن شاذب ، عن الشعبي في قوله : (يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) ، قال : حسبك الله ، وحسب من شهد معك (٢).

قال : « وروى عن صفاء الخراساني ، وجهد الرحمن بن زيد ، مثله : »

ولما قال : يا أيها النبي ، حَرَضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ) ، أَيْ : حَثَّهُمْ [وَدَّعَهُمْ] عَلَيْهِ ، وَلِهَذَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْضِرُ عَلَى الْقِتَالِ عِنْدَ حَتِّهِمْ وَمُوجَاةَةِ الْعَدُوِّ ، كَمَا قَالَ الْأَصْبَاحِيُّ يَوْمَ بَدْرٍ ، حِينَ أَقْبَلَ الْمُشْرِكُونَ فِي عَدَدِهِمْ وَعَدَدِهِمْ : « قَرَّبُوا إِلَى جَنَّةِ عَرْضِهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ . قَالَ عَمِيرُ بْنُ الْحَمَامِ : عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ؟ »^١ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : نَعَمْ . قَالَ : يَنْجِي بَيْتٌ ، قَالَ : مَا يَحْتَكِلُ عَلَى قَوْكِ ؟ يَنْجِي ٩ ؟ قَالَ : رَجَاءُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا ! قَالَ : فَافْتَكُ مِنْ أَهْلِهَا . فَتَضَمَّ لِلرَّجُلِ فَكَسَّرَ جَفْنَ سَيْفِهِ ، وَأَخْرَجَ ثَوْبًا فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ ، ثُمَّ أَتَوْهُ بِقِيَّتَيْنِ مِنْ يَدِهِ ، وَقَالَ : لَنْ أَتَا بِقِيَّتَيْ حَتَّى أَكَلَهُنَّ ! لَهَا حَيَاةٌ طَوِيلَةٌ ! ثُمَّ تَقَدَّمَ فَاقْتَالَ حَتَّى قُتِلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٢) .

(١) مجمع الزوائد، كتاب الأدب، باب الصانعة والسلام، ٨ / ٣٧. ويقول الميثقي: «رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح، فخر سالم بن شبلن، وهو ثقة».

(٢) وقد رواه ابن جرير الطبري ، من أحمد بن حنبل بن حكيم الأودي ، بإسناده مثله ، ينظر الأثر ١٦٧٦٦ : ٤٩ / ١ .
هذا في المخطوطة : « سفيان بن ابن شوذب » ، والمثبت من تفسير الطبري ، ومن البحر لابن أبي سالم ، الترجمة ١٦٥٠ : ٣٧٨ / ١ / ٢ .

(٢) مسلم ، كتاب الإمامة ، باب : ثبوت لجنة الشهود : ٤١ / ٦ ، ومستم الإمام أحمد من أنس بن مالك : ١٣٦ / ٢ ، ١٣٧ / ٢ وسيرة ابن هشام : ١ / ٦٢٧ .

وقد روى عن سعيد بن المسيب ، وسعيد بن جبير : أن هذه الآية نزلت حين أسلم عمر بن الخطاب ، وكمل به الأربعون (١) .

وفي هذا نظر ، لأن هذه الآية مدنية ، وإسلام عمر كان بمكة بعد الهجرة إلى أرض الحبشة وقبل الهجرة إلى المدينة ، والله أعلم .

ثم قال تعالى مُبَشِّرًا لَهُمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُمْ حَرْشٌ عَظِيمٌ (٢) : (إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا) ، كل واحد بمشرة . ثم نسخ هذا الأمر وبقيت البشارة .

قال عبد الله بن المبارك ، حدثنا جرير بن حازم ، حدثني الزبير بن الحرث ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لما نزلت : (إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين) ، شق ذلك على المسلمين حين فرض الله عليهم أن لا يفر واحد من عشرة ، ثم جاء للتخفيف ، فقال : (الآن خفف الله عنكم) : إلى قوله : (يغلبوا مائتين) ، قال ، خفف الله عنهم من العدة ، وقص من القصر بقدر ما عطف عنهم (٣) .
وروى البخاري من حديث ابن المبارك ، نحوه (٤) .

وقال سعيد بن منصور : حدثنا سفيان ، عن عمرو بن دينار ، عن ابن عباس قال : كتبه عليهم أن لا يفر عشرون من مائتين ، ثم خفف الله عنهم ، فقال : (الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً) ، فلا يبنى لائة أن يفروا من مائتين .

وروى البخاري ، عن علي بن حديد ، عن سفيان ، به ونحوه (٥) .

وقال عماد بن إسحاق : حدثني ابن أبي نجيع ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، قال : لما نزلت هذه الآية قتلت على المسلمين ، وأعظموا أن يقاتل عشرون مائتين ، وما قد ألقا ، فخفف الله عنهم . فسبغها بالآية الأخرى فقال : (الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً) ... الآية ، فكانوا إذا كانوا على الشطر من عدوهم لم ينجح لهم أن يفروا من عدوهم ، وإذا كانوا دون ذلك ، لم يجب عليهم قتالهم ، وجاز لهم أن يتحوزوا عنهم (٦) .

وروى علي بن طلحة والعمري ، عن ابن عباس ، نحوه ذلك . قال ابن أبي حاتم : وروى عن مجاهد ، وعطاء ، وعكرمة ، والحسن ، وزيد بن أسلم ، وعطاء الخراساني ، والضحك نحوه ذلك .

وروى الحافظ أبو بكر بن مردويه ، عن حديث المسيب بن شريك ، عن ابن هرون ، عن نافع ، عن ابن عمر رضي الله عنهما : (إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين) قال : نزلت فينا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم .

(١) ينظر أثر سعيد بن جبير في أسد الغابة : ٤ / ١٤٦ بصحيفتنا .

(٢) الأثر في تفسير الطبري من ابن وكيع ، من يزيد بن هارون ، عن جرير ، بإسناده نحوه ، وهو برقم ١٦٢٨٠ : ١٤ / ١٥٠٠
وفي خطوط الأثر : « الزبير بن الحارث » ، وهو خطأ ، وصوابه من تفسير الطبري ، والبخاري ، والتهذيب : ٣ /

(٣) البخاري ، تفسير سورة الأنفال : ٦ / ٧٩ ، ١٨٠ .

(٤) البخاري ، تفسير سورة الأنفال : ٦ / ٧٩ .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٢٧١ : ١٤ / ٥٢ .

وروى الحاكم في مستدرکه ، من حديث ابن عمرو بن العلاء ، عن نافع ، عن ابن عمر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ : (الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً) ، رفع . ثم قال : « صحيح الإسناد ولم يخرجاه » (١)

مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُخْجَلَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ النَّبِيِّ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ غَرِيبٌ
مَحْكِيمٌ ﴿٧﴾ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَكُمْ فِي مَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٨﴾ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٩﴾

قال الإمام أحمد : حدثنا علي بن حاصم ، عن حميد ، عن أنس رضي الله عنه قال : استشار رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس في الأسارى يوم بدر ، قال : إن الله قد أمكنكم منهم . فقام عمر بن الخطاب فقال : يا رسول الله ، اضرب أعناقهم . فأعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا أيها الناس ، إن الله قد أمكنكم منهم ، وإنا هم إخوانكم بالأمس . فقام عمر فقال : يا رسول الله ، اضرب أعناقهم . فأعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم عاد النبي صلى الله عليه وسلم فقال للناس مثل ذلك ، فقام أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقال : يا رسول الله ، لرى أن تفر عنهم ، وأن تقبل منهم الفداء . قل : فلهب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان فيه من الغم ، ففزعهم ، وقبل منهم الفداء . قال : وأنزل الله عز وجل : (لولا كتاب من الله سبق) .. الآية (٢) .
وقد سبق في أول السورة حديث ابن عباس في صحيح مسلم بنحو ذلك (٣) .

وقال الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي حنيفة ، عن عبد الله قال : لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما تقولون في هؤلاء الأسارى ؟ قال : فقال أبو بكر : يا رسول الله ، قومك وأهلك ، استبقهم واستبتهم ، لعل الله أن يوجب عليهم . قال : وقال عمر : يا رسول الله أخرجوك ، وكلوك ، فقتلهم فاضرب أعناقهم . قال : وقال عبد الله بن رواحة : يا رسول الله ، أنت في واد كثير (٤) الخطب ، فأعرض الوادي حايهم ناراً ، ثم ألهم فيه : [قال : فقال العباس : قطعت رحلك] (٥) قال : فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليهم شيئاً ، ثم قام فدخل فقال ناس : يأخذ بقوم أبي بكر . وقال ناس : يأخذ بقول عمر . وقال ناس : يأخذ بقول عبد الله بن رواحة . ثم خرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن الله ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن ، وإن الله ليشدد قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجارة ، وإن مثلك يا أبا بكر كمثل إبراهيم عليه السلام ، قال : (فمن تبني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم) ، وإن مثلك يا أبا بكر كمثل عيسى عليه السلام ، قال : (إن تدبسه فانهبهم فانهبوك وإن تفر لهم فإنك

(١) المستدرک ، کتاب التفسیر ، فقرات ٢ / ٢٣٩ .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٣ / ٢٤٣ .

(٣) ينظر : ٢ / ٥٥٨ ، ٥٥٩ ، مع تفسير الآيتين ٩ ، ١٠ من هذه السورة .

(٤) لفظ المسد ، وتفسير الطبري : « انظر واديا كثير الخطب ، فأدخلكم فيه ، ثم اضرم عليهم نارا » .

(٥) مابين القوسين من مسند الإمام أحمد وتفسير الطبري .

أنت العزيز الحكيم ، وإن ملك يا عمر مثل موسى عليه السلام ، قال : (ربنا اطمس على أولادهم واشدد على تلويهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم) ، وإن ملك يا عمر كمثل نوح عليه السلام ، قال : (رب لا تلر على الأرض من الكافرين ديناراً) ، أنت حالة (١) فلا يقتل أحد منهم إلا بفناء أو ضربة حتى : قال ابن مسعود : قلت : يا رسول الله ، إلا سهيل بن بيضاء ، فإنه يذكر الإسلام ، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرأيتني في يوم أخوف أن تقع على حجارة من السماء مني في ذلك اليوم ، حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إلا سهيل بن بيضاء : فأقول الله تعالى : (ما كان لنبي أن يكون له أسرى) ... إلى آخر الآية .

رواه الإمام أحمد والترمذي ، من حديث أبي مطوية ، عن الأعشى ، والحاكم في مستدركه ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه (٢) . وروى الحافظ أبو بكر مردويه ، عن عبد الله بن عمر ، وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه ، وفي الباب عن أبي أيوب الأنصاري .

وروى ابن مردويه أيضاً - والنظ له - والحاكم في مستدركه ، من حديث عبيد الله بن موسى : حدثنا إسرائيل ، عن إبراهيم بن مهاجر ، عن جاهد ، عن ابن عمر قال : لما أسر الأسارى يوم بدر ، أسر العباس فبين أسر ، أسره رجل من الأنصار ، قال : وقد أوجعته الأنصار أن يقتلوه . فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني لم أتم الليلة من أجل حمى العباس ، وقد زعت الأنصار أنهم قاتلوه : فقال له عمر : فأتهم ؟ قال : نعم : فأتى عمر الأنصار فقال لهم : أرسلوا العباس . فقالوا : لا ، والله لا نرسله . فقال لهم عمر : فإن كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم رضى فخذله . فأخذله عمر فلما صار في يده قال له : يا عباس ، أسلم ، فوالله لأن تسلم أحب إلي من أن يسلم الخطاب ، وما ذلك إلا لأن رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصحبه إسلامك ، قال : فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر ، فقال أبو بكر : عشرينك . فأرسلهم ، فاستشار عمر ، فقال : اقتلهم . ففاداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقول الله : (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يتخفى في الأرض) الآية .

قال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه (٣) .

وقال سفيان الثوري ، عن هشام - هو ابن حسان - عن محمد بن سيرين ، عن عبيدة ، عن جابر رضي الله عنه قال : جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال : خيّر أصحابك في الأسرى : إن شأموا الفداء ، وإن شأوا القتل حل أن يقتل منهم مقيلاً منهم . قالوا : ففداء ويقتل منا .

رواه الترمذي ، والثعالب ، وابن حبان في صحيحه من حديث الثوري ، به : وهذا حديث غريب جداً (٤) .

(١) حالة : اقرأه .

(٢) سنة الإمام أحمد : ١ / ٢٨٢ ، ٢٨٤ ، وتفسير الطبري الأثر ١٦٢٩٣ : ١٤ / ٦٦ ، ٦٧ . ومجلة الأحرف : تفسير سورة الأنفال ، الحديث ٥٠٨٠ : ٨ / ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن ، وأبو عبيدة بن عبد الله لم يسع من أبيه . وقال الحافظ أبو الهيثم صاحب تحفة الأوسى : وأخرجه أحمد . والمتنوع : كتاب المنازي ٢٢ / ٢٢١ (٣) المتنوع : تفسير سورة الأنفال ٢ / ٢٢٩ .

(٤) تحفة الأوسى : أبواب السير ، باب ما جاء في قتل الأسارى وفداءهم ، الحديث ١٦١٤ : ٥ / ١٨٥ - ١٨٨ . وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب من حديث الثوري لا نعرفه إلا من حديث ابن أبي زائدة .

وقال ابن حوثة عن حيلة ، عن حل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في أسارى يوم بدر : « إن شئتم قتلهم ، وإن شئتم قاديتموهم واستمتعتم بالقداء ، واستشهد منكم يملهم » قال : فكان آخر السبعين ثابت بن قيس ، قتل يوم البامة ، رضى الله عنه .

ومتهم من روى هذا الحديث عن حيلة مرسلًا (١) ، فاقه أعلم :

وقال محمد بن إسحاق ، عن ابن أبي نجیح ، عن عطاء ، عن ابن عباس : (ما كان لبي أن يكون له أسرى) ، فقرأ حتى بلغ : (غلب عظيم) ، قال : غلب بدر ، قيل أن يعلهاهم ، يقول : لولا أني لا أغلب من عصابي حتى أقدم إليهم ، لمسكم فيما أخذتم غلب عظيم (٢) .

وكذا روى ابن أبي نجیح ، عن عباد (٣) .

وقال الأعمش : سبقت منه أن لا يعلب أهلًا شهد بدرا . وروى نحوه من سعد بن أبي وقاص ، ووهيد بن جبير ، وعطاء :

وقال شعبه ، عن أبي هاشم ، عن عباد : (لولا كتاب من الله سبق) ، أي : « لم بالمظفرة » . ونحوه عن صفيان الثوري رحمه الله (٤) .

وقال حل بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : (لولا كتاب من الله سبق) ، يعني : « أم الكتاب الأول أن الغنائم والأسارى حلال لكم ، (لمسكم فيما أخذتم) من الأسارى (غلب عظيم) ، قال الله تعالى : (فكلوا مما غنمتم) . الآية . وكذا روى الولي ، عن ابن عباس . وروى مثله عن أبي هريرة ، وابن مسعود ، وسعيد بن جبير ، وعطاء ، والحسن البصري ، وقادة ، والأعمش أيضا : أن المراد (لولا كتاب من الله سبق) لهذه الأمة باحلال الغنائم . وهو اختيار ابن جرير رحمه الله .

ويستشهد لهذا القول بما أخرجه في الصحيحين ، عن جابر بن عبد الله بن رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أعطيت خمسا ، لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا ، وأحلت لي الغنائم ، ولم تحل لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث إلى قومه ويبعث إلى الناس عامة » .

وقال الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لم تحل الغنائم لسود الحموس غيرنا » (٥) .

(١) ينظر تفسير الطبري ، الأثر ١٦٣٠٥ : ١٤ / ٧٦ .

(٢) ينظر سيرة ابن هشام : ١ / ٦٧٦ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٣١٤ : ١٤ / ٦٦ .

(٤) ينظر تفسير الطبري : ١٤ / ٦٤ / ٦٦ .

(٥) تحفة الأحوي ، تفسير سورة الأنفال ، الحديث ٥٠٧٩ : ٨ / ٤٧٤ ، وقال القرطبي : « هذا حديث حسن صحيح » .

وتفسير الطبري ، الأثر ١٦٣٠١ : ١٦٣٠٢ : ١٤ / ٦٦ .

وَلَمَّا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (كُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) ، قَعَدَ ذَلِكَ أَخْلُوعًا مِنَ الْأَسَاوِي

وقد روى الإمام أبو داود في سننه : حدثنا عبد الرحمن بن المبارك الميثقي ، حدثنا سفيان بن حبيب ، حدثنا شعبة ، عن أبي النخعي ، عن أبي الشتاء ، عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل قناء أهل الجاهلية يوم يلقى أبوهم (١) .

وقد استقر الحكم في الأمري عند جمهور العلماء أن الإمام خير فيهم ؛ إن شاء قل - كما فعل يئى قريظة - وإن شاء فادى مال - كما فعل بأسرى بدر - أو بن أسر من المسلمين - كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الجارية وابنتها اللتين كانتا في سبي سلمة بن الأكوع ، حيث ردتهما وأخذ في مقابلاتهما من المسلمين الذين كانوا عند المشركين ، وإن شاء استرق من أسر . هذا ملهب الإمام الشافعى وطائفة من العلماء ، وفي المسألة خلاف آخر بين الأئمة مقرر في موضع من كتب الله .

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَمْثَالِ إِنْ يَعْلَمُ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أَطْلَعَكُمْ عَلَيْهِ يَوْمَئِذٍ فَزَيْدٌ ۚ وَمَا يَتَّبِعُ اللَّهُ مَا يُفَكِّرُ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِنْ يُرِيدُوا لِيَخِفْتِكَ فَقَدْ خَلَقْنَا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَلَأْسٌ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾

قال عبد بن إسحاق : حدثني العباس بن عبد الله بن مفضل ، عن بعض أمله ، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر : إني قد عرفْتُ أناساً من بني هاشم وغيرهم ، قد أخرجوا كراها ، لا حاجة لهم بقتالنا ، فمن لقي منهم أحدا منهم - أي : من بني هاشم - فلا يقتله ، ومن لقي أبا البخري بن هشام فلا يقتله ، ومن لقي العباس بن عبد المطلب فلا يقتله ، فانه إذا أخرج مستكرا . فقال أبو حنيفة بن عتبة : أقتل أبائنا وأبائنا وإخواننا وعشائرنا ونترك العباس ؟ ! والله لئن لقيته لأججته بالسيف ! فبلغت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لعمر بن الخطاب : يا أبا حفص - قال عمر : والله إن لأول يوم كذا في رسول الله صلى الله عليه وسلم - أبضرب وجهه ثم رسول الله بالسيف ؟ فقال عمر : يا رسول الله ، أئذني أن أغضب عنه ، فوالله لقد ناقى . فكان أبو حنيفة يقول بعد ذلك : والله ما آمنُ من تلك الكلمة التي قلت ، ولا أزال منها خائفا ، إلا أن يكفرها الله عني بشهادة . فقتل يوم البامة شهيدا رضي الله عنه .

وبه ، عن ابن عباس قال : لما مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ، والأسارى عبيدون بالولاء ، باع رسول الله صلى الله عليه وسلم ساجراً أول الليل ، فقال له أصحابه : يا رسول الله ، ما لك لا تنام ؟ - وقد أسر العباسي رجب بن المنذر - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سمعت أنين عبي العباس في وكأته فأطلقوه . فسكت ، فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) سنن أبي داود ، كتاب الجهاد ، باب « في فداء الأسير بالمال » ، الحديث (٢٦٩١ : ٣ / ٦١ ، ٦٢ .

قال محمد بن إصحاق : وكان أكثر الأسارى يوم بدر فداء العباس بن عبد المطلب ، وذلك أنه كان رجلاً مؤمراً ، فأنقذه نفسه بماله أوقيه ذهاباً .

وفي صحيح البخاري ، من حديث موسى بن عقبة ، قال ابن شهاب : حدثني أنس بن مالك أن رجلاً من الأنصار استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : ائذن لنا فكتفرك لا بن أختنا عباس فداءه . قال : لا ، والله لا تكذرون منه جرهما (١) .

وقال يونس بن بكير ، عن محمد بن إصحاق ، عن يزيد بن رومان ، عن هرو - وعن الزهري ، عن جماعة منهم قالوا : بحث قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في فداء أسراهم ، فهدى كل قوم أسراهم بما رعدوا ، وقال العباس : يا رسول الله ، قد كنت مسلماً ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله أعلم باسلامك ، فإن يكن كما تقول فإن الله يجزيك ، وأما ظاهرك فقد كان علينا ، فأنشدتلك وأبني أنبيك : نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، وعكيل بن أبي طالب ابن عبد المطلب ، وحليفك عتبة بن هرو أمي بن الحارث بن فهر . قال : ما ذلك عندى يا رسول الله ! قال : فأين المال الذي دلته أنت وأم الفضل ؟ قلت لها : إن أصبتُ في سفرى هذا ، فهذا المال الذي دلته لبتى : الفضل ، وعهد الله ، وقسم . قال : والله يا رسول الله ، إني لأعلم أنك رسول الله ، إن هذا لشيء ما حكمه أحد غيري وغير أم الفضل ، فأحسبني يا رسول الله ما أصبغت منى : عشرين أوقية من مال كان معي ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا ، ذلك شيء ، أما أنا الله تعالى منك . فهدى نفسه وأبني أنصوبه وحليفه ، وأئزله الله عز وجل فيه : (يا أيها النبي قل لمن لي بكم من الأسارى (٢)) إن علم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم ويضرب لكم والله ففور رحيم) ، قال العباس : فأعطاني الله مكان العشرين الأوقية في الإسلام عشرين عبداً ، كلهم في يده مال يتسرب (٣) به ، مع ما أوجو من مظرة الله عز وجل .

وقد روى ابن إصحاق أيضاً ، عن ابن أبي نجيب ، عن عطاء ، عن ابن عباس في هذه الآية بنحو مما تقدم ، وقال أبو جعفر بن جرير : حدثنا ابن وكيع ، حدثنا ابن إدريس [عن ابن إصحاق (١)] عن ابن أبي نجيب ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : قال العباس : في نزول : (ما كان لشيء أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض) ، فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم باسلامي ، وسألت أن يحاسبني بالمشرين الأوقية التي أخذت مني ، فأبى ، فأبدلتني بها عشرين عبداً ، كلهم تلجر ، مالى في يده .

وقال ابن إصحاق أيضاً : حدثني الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، عن جابر بن عبد الله بن رثاب قال : كان العباس بن عبد المطلب يقول : في نزول - والله - حين ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أسراي - ثم ذكر نحو الحديث كالذي قبله (٥) .

(١) البخاري ، كتاب المغازي : ١٠٩ / ٥ .

(٢) كلما في غلظة الأعر : (الأسارى) ، وهي قراءة قتادة ، وأبو جعفر ، وابن أبي إسحاق ، وتصر بن عاصم ، وأبو عمرو من السبعة ، وقرأ الجمهور : (من الأسرى) ، وقرأ ابن محيص : (من أسرى) . ينظر فهر المخط : ٤ / ٥٢١ .

(٣) المقرب : فتح حل جميع الأعمال إلا قليلاً ، يقال : ضرب في التجارة ، وفي الأرض ، وفي سبيل الله .

(٤) ما بين القوسين من تفسير الطبري ، الأثر ١٦٣٢١ : ١٤ / ٧٣ .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٣٢٢ : ١٤ / ٧٣ .

وقال ابن جرير ، عن حماد المراسي ، عن ابن عباس : (يا أيها النبي ، قل لمن في أيديكم من الأسارى) : هماس وأصحابه ، قال : قالوا النبي صلى الله عليه وسلم : أمنا بما جئت به ، وتشهد أنك رسول الله ، نتصنع لك على قومنا . فأنزل الله : (إن يعلم الله في قلوبكم خيرا مما أخذ منكم) ، إيماناً وتصديقاً ، خلف لكم خيراً مما أخذ منكم - (ويضفر لكم) الشرك الذي كنتم عليه . قال : فكان العباس يقول : ما أحب أن هذه الآية لم تنزل فينا ، وإن في الدنيا ، لقد قال : (يؤمنكم خيراً مما أخذ منكم) ، قد أعطاني خيراً مما أخذ مني ما أخذ مني ، وقال : (ويضفر لكم) ، ولرجو أن يكون غفر لي (١)

وقال حلى بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في هذه الآية : كان العباس أسير يوم بدر ، فالتقى نفسه بأربعين أوقية من ذهب ، فقال العباس حين قرئت هذه الآية : لقد أعطانا الله من وجبل غمبلتين ، ما أحب أن فيهما الدنيا ، إنني أسرت يوم بدر فكتبت نفسي بأربعين أوقية ، فأتاني أربعين عبداً ، وأنا أرجو المغفرة التي وعدنا الله جل ثناؤه (٢) .

وقال قتادة في تفسير هذه الآية : ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم عليه مال البحرين ثمانون ألفاً ، وقد نرضاً لصلاة الظهر ، فما أعطى يومئذ مائة ولا حرم مائلاً ، وما صلى يومئذ حتى فرغه ، فأمر العباس أن يأخذ منه ويشتري [فأخذ . قال :] فكان العباس يقول : هذا خير مما أعطيتنا ، ولرجو المغفرة (٣) .

وقال يعقوب بن مغيان : حدثنا عمرو بن حاصم ، حدثنا سليمان بن المغيرة ، عن حميد بن حلال قال : بعث ابن الحضرمي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من البحرين ثمانين ألفاً ، ما أتمال أكثر منه لا قبل ولا بعد ، قال : ففترت حل حصير ونودي بالصلاة . قال : وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فثقل قائماً على المال ، وجاء أهل المسجد فإكان يومئذ حدة ولا وزن ، ما كان إلا قتيماً ، وجاء العباس بن عبد المطلب يعني في خيصة (٤) عليه ، وذهب يقوم فلم يستطع ، قال : فرفع رأسه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، لرفع حل . قال : فتيتم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى خرج ضاحكاً (٥) - أو : تابه - وقال له : أهد من المال طاعة ، وقرعاً تطيق ، قال : فقبل ، وجعل العباس يقول - وهو منطلق - : لئلا يحلني التين وعدنا الله فقد أنجزنا ، وما ندرى ما يصنع في الأخرى : (يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسارى) ... الآية ، ثم قال : هذا خير مما أعطيتنا ، ولا أدرى ما يصنع الله في الأخرى ، فإزال رسول الله صلى الله عليه وسلم مائلاً على ذلك المال ، حتى ما بقي منه درهم ، وما بعث إلى أهله بلهم ، ثم أتى الصلاة فقبل .

حدث آخر في ذلك ، قال الحافظ أبو بكر البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرني أبو الطيب محمد بن محمد ابن عبد الله السعدي ، حدثنا مَحْمُود بن عمام ، حدثنا حفص بن عبد الله ، حدثنا إبراهيم بن طهمان ، عن عبد العزيز ابن صهيب ، عن أنس بن مالك قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم مال من البحرين ، فقال : اتروا في المسجد

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٣٢٦ : ٧٤ / ١٤ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٣٢٤ : ٧٤ / ١٤ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٣٢٢ : ٧٤ / ١٤ ، ٧٤ ، وما بين القوسين المشرفين عنه . وفي تفسير الطبري : و ما أصلى يومئذ حاكياً و ما مائة و حكلاً في عطوفة الأثر و عطوفة دار الكتب ١٤ - تفسير .

(٤) الخيصة : كساء أسود مرج .

(٥) الضاحك : كل من تهرج عنه الضحك ، أو الضحاحك : الأريج الذي بين الأستان والأعراس .

قال : وكان أكثر مال أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج إلى الصلاة ولم يلبث إلى ، فلما قضى الصلاة جاء فجلس إليه ، فإكان يرى أحداً إلا أعطاه ، إذ جاء العباس فقال : يا رسول الله ، أعطني فإني قادت نفسي ، وهاديت عقيل . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : خذ . فحنا في ثوبه ، ثم ذهب يقبله ⁽¹⁾ فلم يستلم ، فقال : من بعضهم يرفضه إلى . قال : لا . قال : فإرضه أنت علي . قال : لا . فشر منه ثم احتمله على كاهله ، ثم انطلق ، فإزال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتيه بصره حتى خفي عنه ، حتى جئان حره ، فإقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وثم منها درهم .

وقد رواه البخارى في مواضع من صحيحه تطبيقاً بصيغة الجزم ، بقوله : « وقال إبراهيم بن طهمان ^(٢) » ويسوقه
 وفي بعض السياقات أم من هنا .

وقوله : (وإن يريدوا خيانتك) ، أى : فيما أظهروا لك من الأفعال ، (فقد خانوا الله من قبل) ، أى : من قبل
يلو بالخلافة ، (فأمكنهم) ، أى : بالإسار يوم يلو ، (والله عليم حكيم) . أى : عليم بما يفعله ، حكيم فيه ،
قال قتادة : نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح الكاتب حين ارتد ، ولحق بالمشركين (٣) .
وقال ابن جرير ، عن صفاء الخراساني ، عن ابن عباس : نزلت في عباس وأصحابه ، حين قالوا : لننصحن
لله حلّ قوماً (٤) .

ويفسرهما السدي على العموم (*) ، وهو أشمل وأظهر ، والله أعلم .

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَوْرَثُوا أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَمْسُكُوا بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سُمْرَةً وَأُولَئِكَ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ۝٦٧

ذكر تعالى أصفاء المؤمنين ، وقسمهم إلى مهاجرين : خرجوا من ديارهم وأموالهم ، وجاءوا لنصر الله ورسوله ، وإقامة دينه ، وبذلوا أموالهم وأنفسهم في ذلك . وإلى أنصار ، وهم : المسلمون من أهل المدينة إذ ذاك ، آووا إخوانهم المهاجرين في منازلهم ، وواسوهم في أموالهم ، ونصروا الله ورسوله باقتنائهم معهم ، فهو أولاد [بعضهم أولياء بعض] (٦) ، أي : كل منهم آحين بالآخر من كل أحد . ولما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار ، كل

(١) ذهب يقره ، لى : عرفه وحصله .

(٢) البخاري ، كتاب الصلاة ، باب : القسمة وتعليق القرآن في المسجد ، ١ : ١١٤ . وكتاب الجزية ، باب :

وما أقطم النبي صلى الله عليه وسلم من مال البحرين : ٤ / ١٢٠

(۳) بنظر تفسیر الطبری ، الأثر ۱۶۳۱۹ : ۱۴ / ۷۶ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١١٣٢٨ : ١٢ / ٧٥ ، ٧٦ .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر ١١٢٣٠ : ١٤ / ٧٦ ، ٧٧ .

(٦) في غطوة الأزهر : « بعضهم أولى ببعض » .

اثنين أخوان ، فكانوا يهاجرون بملك إرثاً مقدماً على القرابة ، حتى نسخ الله تعالى ذلك بالواريث ، ثبت ذلك في صحيح البخارى ، عن ابن عباس (١) ، ورواه الموقى ، وعلى بن أبى طلحة ، عنه (٢) : وقال مجاهد ، وعكرمة ، والحسن ، وقادة (٣) وغيرهم .

قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، عن شريك ، عن عاصم ، عن أبى واثل ، عن جرير — هو ابن عبد الله البجلي ، رضى الله عنه — قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المهاجرون والأنصار أولياء بعضهم لبعض ، والطلاق من قريش والمقتاد من هذيل بعض أولياء بعض إلى يوم القيامة . تفرد به أحمد (٤) .

وقال الحافظ أبو بلى : حدثنا شيان ، حدثنا عكرمة — بنى ابن إبراهيم الأزدى — حدثنا عاصم ، عن شقيق ، عن ابن مسعود قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « المهاجرون والأنصار ، والطلاق من قريش والمقتاد من هذيل ، بعضهم أولياء بعض في الدنيا والآخرة » : هكذا رواه في مسند عبد الله بن مسعود :

وقد أنى الله ورسوله على المهاجرين والأنصار في غير ما آية في كتابه ، قال : (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار (٥) : ...) الآية ، وقال : (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار للذين اتبعوه في ساعة العسرة (٦)) ...) الآية ، وقال تعالى : (فقروا المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون • والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ، ولا يملكون في صدورهم حاجة مما آوتوا ، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة (٧)) ...) الآية .

والحسن ما قيل في قوله : (ولا يملكون في صدورهم حاجة مما آوتوا) ، أى : لا يحصلونهم على فضل ما أعطاهم الله على هجرتهم ، فإن ظاهر الآيات تقديم المهاجرين على الأنصار ، وهذا أمر يجمع عليه بين العلماء ، لا يختلفون في ذلك ، ولهذا قال الإمام أبو بكر [أحمد] بن عمرو بن عبد الحاقن الزائر في مسنده : حدثنا محمد بن معمر ، حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن على بن زيد ، عن سعيد بن المسيب ، عن حنيفة قال : « خير من رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الهجرة والنصرة ، فاختارت الهجرة » : ثم قال : لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

وقوله : (والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم) ، [قرأ حمزة (٨) : ولايتهم بالكسر ، والباقون بالفتح ، وما واحد كالدلالة والدلالة] (من شيء حتى يهاجروا) ، هذا هو الصنف الثالث من المؤمنين ، وهم الذين آمنوا

(١) صحيح البخارى ، كتاب الفرائض ، باب ذى الأرحام : ١٩٠ / ٥ .

(٢) تفسير الطبرى ، الأثر ١٦٣٣١ / ١٦٣٣٢ : ١٤ / ٧٨ ، ٧٩ .

(٣) ينظر تفسير الطبرى : ١٤ / ٧٩ ، ٨٠ .

(٤) مسند الإمام أحمد : ٤ / ٣٦٣ .

(٥) سورة التوبة ، آية : ١٠٠ .

(٦) سورة التوبة ، آية : ١١٧ .

(٧) سورة الحشر ، آية : ٨ ، ٩ .

(٨) ينظر البحر المحيط لأبى حيان : ٤ / ٥٢٢ .

ولم يهاجروا ، بل أقاموا في بؤادهم ، فهؤلاء ليس لهم في المغام نصيب ، ولا في خُمسها إلا ما حضروا فيه القتال ، كما قال الإمام أحمد :

حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان ، عن علقمة بن مرثد ، عن سليمان بن بريدة ، عن أبيه : بُرئَدة بن الحُصَيب الأسلمي رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث أميراً على سرية أوجيش ، أوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً ، وقال : اغزوا باسم الله في سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، إذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى إحدى ثلاث خصال - أو : خلال - فأيتهم ما أجبوك إليها فاقبل منهم ، وكف عنهم : ادعهم إلى الإسلام ، فإن أجاوبك فاقبل منهم ، وكف عنهم . ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين ، وأعلمهم إن فعلوا ذلك أن لهم ما للمهاجرين ، وأن عليهم ما على المهاجرين . فإن أبوا واختاروا دارهم فأعلمهم أنهم يكونون كأحراب المسلمين ، يجرى عليهم حكم الله للذي يجرى على المؤمنين ، ولا يكون لهم في الثلث والغلبة نصيب ، إلا أن يجاهدوا مع المسلمين ، فإن هم أبوا فادعهم إلى إعطاء الجزية ، فإن أجاوبوا فاقبل منهم وكف عنهم ، فإن أبوا فاستن بالله ثم قاتلهم ^(١) :

انفرد به مسلم ، وعنده زيادات أخر ^(٢) .

وقوله : (وإن استصركم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق ، والله بما تعملون بصير)

يقول تعالى : وإن استصركم هؤلاء الأحراب ، الذين لم يهاجروا في قتال ديني ، هل عسكو لم فانصروهم ، فانه واجب عليكم نصرهم ، لأنهم إخوانكم في الدين ، إلا أن يستصركم على قوم من الكفار (بينكم وبينهم ميثاق) ، أي : مهادنة إلى مدة ، فلا تخفروا ذمتكم ، ولا تنقضوا أيمانكم مع الذين عاهدتم . وهذا مروى عن ابن عباس رضي الله عنه :

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ أَتَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٦٢﴾

لما ذكر تعالى أن المؤمنين بعضهم أولياء بعض ، قطع للولاية بينهم وبين الكفار ، كما قال الحاكم في مستدركه ^١

حدثنا محمد بن صالح بن هانئ ، حدثنا أبو سعيد يحيى بن منصور المروى ، حدثنا محمد بن أبان ، حدثنا محمد بن يزيد وسفيان بن حسين ، عن الزهري ، عن علي بن الحسن ، عن عمرو بن عثمان ، عن أسامة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا توارث أهل ملتين ، ولا يرث مسلم كافراً ، ولا كافر مسلماً ، ثم قرأ : (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير) . ثم قال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

(١) مستد الإمام أحمد : ٣٥٤ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الجهاد ، باب تأييد الإمام الأئمة على اليهود ، ووصية إمام بأداب الزور وغيرها ، ١٠٠ /

قلت : الحديث في الصحيحين من رواية أسامة بن زيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم » (١) ، وفي المسند والسنن ، من حديث عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يورث أهل ملتين شئ » . وقال الترمذي : « حسن صحيح » (٢) :

وقال أبو جعفر بن جرير : حدثنا محمد ، [عن محمد بن ثور] (٣) ، عن معمر ، عن الزهري : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ على رجل دخل في الإسلام فقال : تقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتحج البيت ، وتصوم رمضان ، وأنت لا ترى نار مشرك إلا وأنت له حرب » (٤) .

وهذا مرسل من هذا الوجه ، وقد روى متصلا من وجه آخر ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنه قال : « أنا أبرئ من كل مسلم بين ظهري للمشركين ، ثم قال : لا يראى لأوامها » (٥) .

وقال أبو داود في آخر كتاب الجهاد : حدثنا محمد بن خالد بن سفيان ، أنجرني يحيى بن حسان ، أبانا سليمان ابن موسى أبو داود ، حدثنا جعفر بن سعد بن سمرة بن جندب [حدثني خبيب بن سليمان ، عن أبيه سليمان بن سمرة] عن سمرة بن جندب : أما بعد ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من جامع للمشرك وسكن معه فانه مثله (٦) ؛

وقد ذكر الحفاظ أبو بكر بن مردويه ، من حديث حاتم بن إسماعيل ، عن عبد الله بن هرمز ، عن محمد وسعيد ابني حبيد ، عن أبي حاتم الثوري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه ، فأنكروه إلا تقولا نحن فتنة في الأرض فساد عريض : قالوا : يا رسول الله ، وإن كان ؟ قال : ؟ إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فأنكروه . ثلاث مرات .

وأخرجه أبو داود والترمذي ، من حديث حاتم بن إسماعيل ، به بنحوه (٧) .

ثم روى من حديث حيد الحميد بن سليمان ، عن ابن حجلان ، عن ابن وكيمكة السعري ، عن أبي هريرة رضي الله

(١) أخرجه البخاري ومسلم في كتاب الفرائض ، بنظر الجبلي ، باب « لا يرث المسلم الكافر » ولا الكافر المسلم : ٨ % ١٩٤ ، ومسلم ، الحديث الأول : ٥٩ / ٥٥ .

(٢) أخرجه أبو داود ، والترمذي ، وابن ماجة ، في كتاب الفرائض ، بنظر سنن أبي داود ، باب « هل يرث المسلم الكافر » ، الحديث : ٢٩١١ / ٣ : ١٢٥ / ١٢٦ . وتحفة الأخرى ، باب « ما جاء في إبطال الميراث بين المسلم والكافر » ، الحديث : ٢١٩٠ / ٦ : ٣٨٧ . وابن ماجة ، باب « ميراث أهل الإسلام من أهل الشرك » ، الحديث : ٢٢٢٩ / ٢ : ٩١١ . ومسنده الإمام أحمد : ٢ / ١٩٥ .

(٣) ما بين القوسين المقتولين من تفسير الطبري . و« عبه » الذي يروي عنه ابن جرير . هو محمد بن عبد الأمل . وينظر ترجمة محمد بن ثور في التاجيب : ٨٧ / ٩ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر : ١٦٣٤٩ / ١٤ : ٨٢ / ٨٣ .

(٥) سنن أبي داود ، كتاب الجهاد ، باب « لقي من قتل من أحصم بالسجود » ، الحديث : ٢٦٤٥ / ٣ : ٤٥ .

(٦) سنن أبي داود ، كتاب الجهاد ، باب « في الإقامة بأرض الشرك » ، الحديث : ٢٧٨٧ / ٣ : ٩٣ . وما بين القوسين من السنن .

(٧) سنن أبي داود ، كتاب التكاثر ، « وتحفة الأخرى » كتاب التكاثر ، باب « ما جاء في من ترضون دينه فزوجوه » ، الحديث : ١٠٩١ : ٤ / ٢٤٥ .

عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا تأكم من ترصون خلقه ودينه فزوجوه ، إلا فعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض ^(١) » :

ومعنى قوله تعالى : (إلا فعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير) ، أى : إن لم يجانبوا للمشركين وتوالوا المؤمنين ، وإلا وقعت الفتنة في الناس ، وهو انقباس الأمر واختلاط المؤمن بالكافر ، فيقع بين الناس فساد منتشر طويل عريض ،

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَنَّهُدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا أَلَمْ يَكُنْ مَقْفَرَةً وَرَزَقَ كَرِيمًا ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَنَّهُدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٥٩﴾

لما ذكر تعالى حكم المؤمنين في الدنيا ، عطف بذكر ما لهم في الآخرة ، فأنجز عنهم حقيقة الإيمان ، كما تقدم في أول السورة ، وأنه سيجازيهم بالمقفرة والصفح من ذنوب إن كانت ، وبالرزق الكريم ، وهو الحسن الكثير الطيب الشريف ، دائم مستمر أبدا لا ينقطع ولا يتقضى ، ولا يسأم ولا يئسل لحسنه وتنوعه .

ثم ذكر أن الأتباع لم في الدنيا على ما كانوا عليه من الإيمان والعمل الصالح ، فهم معهم في الآخرة ، كما قال : (والسايقرون الأولون من المهاجرين والأنصار ، والذين أتبعوهم بإحسان ، رضى الله عنهم ، ورضوا عنه ، وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار ^(٢)) : الآية ، وقال : (والذين جاموا من بدهم يقولون : ربنا ، اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ^(٣)) (وفى الحديث المتفق عليه ، بل الحفوات ، من طرق صحيحة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « المرء مع من أحب ^(٤) » ، وفى الحديث الآخر : « من أحب قوما حشر ^(٥) معهم » :

وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، عن شريك ، عن حاصم ، عن أنس وإبل ، عن جرير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المهاجرون والأنصار أولياء بعضهم لبعض ، والطلاق من قریش والمصاة من ثقيف بعضهم أولياء بعض إلى يوم القيامة — قال شريك : لحدثنا الأعمش ، عن نعيم بن سلمة ، عن عبد الرحمن بن هلال ، عن جرير ، عن ثقيف صلى الله عليه وسلم مثله » :

فرد به أحمد من حديث الوجيدين ^(٦) :

(١) نسخة الأوسى : الباب المختص ، الحديث ١٠٩٠ : ٤ / ٢٠٤٧ .

(٢) سورة القصص ، آية : ١٠٥ .

(٣) سورة المفسر ، آية : ١٠ .

(٤) سبق تخریج هذا الحديث عند الآية ١٨٧ من سورة الأعراف ، ينظر ٣ / ٢٢٣ .

(٥) أخرجه الطبرانی في المعجم الكبير عن أبي هريرة رضى الله عنه . ينظر الكثر اثنين : ٥٢٣ .

(٦) مسمى تخریج هذا الحديث عند الآية ٧٢ من هذه السورة ، وهو في السنة : ٤ / ٣٤٣ .

وأما قوله تعالى : (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله) ، أى : فى حكم الله ، وليس المراد بقوله : (وأولوا الأرحام) خصوصية ما يطلقه عليه القرأئى على القرابة ، فالفن لافرض لم ولام عصبة ، بل يدلون يوارث ، كالتالة ، والخال ، والعمة ، وأولاد البنات ، وأولاد الأخوات ، ونحوهم ، كما قد يرمه بعضهم ويحتج بالآية ، ويمتد ؛ ذلك صريحاً فى المسألة ، بل الحق أن الآية عامة تشمل جميع القرابات : كما نص ابن عباس ، وبجاهد ، وعكرمة ، والحسن ، وقتادة وغير واحد : على أنها نائمة للإرث بالخلف والإخاء المؤمنين كانوا يتوارثون فيما أولاً ، وعلى هذا فتشمل ذوى الأرحام بالاسم الخاص : ومن لم يورثهم يحتج بأدلة من أقوالها حديث : « إن الله قد أصلى كل شى حق حقه ، فلا وصية لوارث (١) » ، قالوا : فلو كان ذا حق لكان له فرض فى كتاب الله صلى ، فلما لم يكن كذلك لم يكن وارثاً ، والله أعلم .

آخر سورة الأنفال ، وقه الحمد والملة ، وعليه التكلاى ، وهو حسيتا ونم الوكيل .

(١) سنن أبي داود ، كتاب الوصايا ، باب « ما جاء فى الوصية للوارث » ، الحديث ٢٨٧٠ : ٢ / ١١٤ ونسلة الأحرفى .
أبو الوصايا ، باب « ما جاء لا وصية لوارث » ، الحديث ٢٢٠٣ : ٢٠٩/٦ . ومعه الإمام أحمد من محمد بن عمارية .
٤ / ١٨٦ ، ١٨٧ . ومن أبي أمامة الباهل : ٥ / ٢٦٧ .

تفسير سورة التوبة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ إِلَهِ الَّذِينَ كَفَرُوا سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا يَفْكُرُ الْكَافِرِينَ ۝

هذه السورة الكريمة من أوائل ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما قال البخاري :

حدثنا [أبو] الوليد ، حدثنا شعبة ، عن أبي إسحاق قال : سمعت البراء يقول : آخر آية نزلت : (يستغفر لك قال الله بفتحك في الكلاله) ، وآخر سورة نزلت براءة (١) .

وإذا لا يسئل في أولها لأن الصحابة لم يكتبوا البسمة في أولها في المصحف الإمام ، والاقتداء في ذلك بأمر المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه ولغواؤه ، كما قال الترمذي :

حدثنا محمد بن بشر ، حدثنا يحيى بن سعيد ، وعبد بن جعفر ، وابن أبي عمير ، وسهّل بن يوسف قالوا : حدثنا حوث بن أبي جميلة ، أخبرني يزيد القارسي ، أخبرني ابن عباس قال ، قلت لعثمان بن عفان : ما حملكم أن عذمت إلى الأقال ، وهي من اللذان ، ولما براءة وهي من اللذين (٢) ، فترنم بينهما ، ولم يكتبوا بينهما سطر (بسم الله الرحمن الرحيم) ، ووضحوها في السبع الطوك ، ما حملكم على ذلك ؟ فقال عثمان : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يأتي عليه الزمان (٣) وهو يتزل عليه السور ذوات العدد ، فكان إذا نزل عليه شيء دعا بعض من كان يكتبه ، فيقول : ضحوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا ، فاقا نزلت عليه الآية فيقول : ضحوا هذه في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا ، وكانت الأقال من أول ما نزل بالمدنية ، وكانت براءة من آخر القرآن ، وكانت قصتها شهية بقصتها ، وحسبت (٤) أنها منها ، وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبق لنا أنها منها ، فمن أجل ذلك قرئت بينهما ، ولم يكتب بينهما سطر (بسم الله الرحمن الرحيم) ، فوضعتها في السبع (٥) الطول .

وكذا رواه أحمد ، وأبو داود ، والشافعي ، وابن حبان في صحيحه ، والحاكم في مستدركه ، من طرق أخرى ، عن حوث الأخرابي ، به ، وقال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه (٦) .

(١) البخاري ، تفسير براءة ٦ / ٨٠ ، وينظر فيما تقدم تفسير الآية ١٧٦ من سورة النساء : ٢ / ٤٣٤ .

(٢) اللذان : كل سورة أقل من اللين ، وسورة الأقال مد آياتها عسى وسبعون .

(٣) أي : يأتي عليه الزمان الطويل .

(٤) في سبع الترمذي ، كما في نسخة الأوصفي : فظننت أنها منها .

(٥) تحفة الأوصفي ، تفسير سورة النجم : الحديث ٤٠٨١ / ٨ : ٤٢٧ - ٤٨٠ ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن .

لا نمره إلا من حديث حوث من يزيد القارسي ، من ابن عباس .

(٦) سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب من جهر بها ، الحديث ٧٨٦ : ١ / ٧٠٨ ، ٢٠٩ . وسنة الإمام

أحمد ١ / ٢٧٠ ، والمستدركه ، تفسير سورة النجم : ٢ / ٤٣٠ .

تفسير سورة براءة

﴿١﴾

وأول هذه السورة الكريمة نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا رجع من غزوة تبوك وهم بالفتح ، ثم ذكر أن المشركين يحضرون معهم هذا الموسم على حاجتهم في ذلك ، وأنهم يطوفون بالبيت حراة ذكره مخالطهم ، ثم أتى أبابكر الصديق رضي الله عنه أميراً على الحج هذه السنة ، ليقيم الناس مناسكهم ، ويعلم للمشركين أن لا يحجوا بعد ما لهم هذا ، وأن يتأذى في الناس ببراءة ، فلما قتل أبيه بطل بين أبي طالب ليكون مبعثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لكونه حصبة له ، كما سيأتي بيانه .

قوله : (براءة من الله ورسوله) ، أي : هذه براءة ، أي : تبرؤ من الله ورسوله (إلى الذين حاجدتم من المشركين) فسيحوا في الأرض أربعة أشهر) .

اختلف المفسرون ما هنا اختلافاً كثيراً ، قال قالون : هذه الآية للوي اليهود الخلقة غير الخلقة ، أو ماله عهد دون أربعة أشهر ، فيكمل له أربعة أشهر ، فلما من كان له عهد موثقت فأنجله إلى ماله ، مهما كان ، قوله تعالى : (فأتوا إليهم مهادهم إلى منهم إن الله يحب المتقين) : ولا سيأتي في الحديث : ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهداه إلى ماله ، وهذا أحسن الأقوال وأقواها ، وقد اخطاه ابن جرير رحمه الله ، وروى عن الكلبي وعبد بن كعب القرظي ، وغير واحد :

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : (براءة من الله ورسوله إلى الذين حاجدتم من المشركين) فسيحوا في الأرض أربعة أشهر) قال : حد الله الذين حاجدوا رسوله أربعة أشهر ، بسيحوا في الأرض حيث ما شاءوا ، وأجلهم أجل (١) من ليس له عهد ، الصلح الأشهر الحرم ، [من يوم النحر إلى إسلخ الحرم ، فذلك حسون ليلة ، فإنا الصلح الأشهر الحرم (٢)] أمره بأن يضح السيف فيمن لا عهد له (٣) . وكذا رواه العوفي ، عن ابن عباس (٤) .

وقال [الفصاحك (٥)] بعد قوله : فذلك حسون ليلة ، فأمر الله ليه إنا الصلح الحرم أن يضح السيف فيمن لم يكن بينه وبينه عهد ، يقطعهم حتى يدخلوا في الإسلام : وأمر بمن كان له عهد إنا الصلح أربعة أشهر من يوم النحر إلى عشر شكتون من ربيع الآخر ، أن يضح فيهم السيف ، حتى يدخلوا في الإسلام (٦) .

وقال أبو معشر المدني : حدثنا محمد بن كعب القرظي وغيره قالوا : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبابكر أميراً على الموسم سنة تسع ، وبعث على بن أبي طالب بتلابين آية أو أربعة آية من براءة ، فقرأها على الناس ،

(١) في تفسير الطبري : و قد أجل ... ، ومنى : أجل أجل من ليس له عهد ، أجل له أجل وولما حلوا .

(٢) ما بين القوسين المرفوعين من شرط الأثر ، وهو مقتضى نظر ، أتجاء من تفسير الطبري .

(٣) في تفسير الطبري ، الأثر ١٦٣٥٧ : ١٤ ٪ ٩٨ : أمره بأن يضح السيف فيمن حاده ، وهو خطأ لا يعظم النص عليه ، ويظهر أثر الفصحك فيما يأتي .

(٤) أثر العوفي في تفسير الطبري برقم ١٦٣٥٨ : ١٤ / ٩٨ .

(٥) ما بين القوسين من شرط الأثر ، ولاجه من إثباته ، فيمنه يحرم أن هذا القول مع رواية العوفي عن ابن عباس .

وإنما هو من أثر رواه الطبري عن الفصحك .

(٦) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٣٥٩ : ١٤ ٪ ٩٨ : ٩٩ .

يُوجِبُكَ الشَّرِكِينَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ يَسْبُحُونَ فِي الْأَرْضِ ، قَرَأَهَا عَلَيْهِمْ يَوْمَ عَرَفَةَ ، أَجْبَلَ الْمُشْرِكِينَ عَشْرِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ، وَالْمُحَرَّمَ ، وَصَفَرٍ ، وَشَهْرَ رَجَبٍ الْأَوَّلِ ، وَعَشْرًا مِنْ رَجَبٍ الْآخِرِ ، وَقَرَأَهَا عَلَيْهِمْ فِي مَنَازِلِهِمْ ، وَقَالَ : لَا يَحِجُّنَ بَدَنًا هَذَا مُشْرِكٌ ، وَلَا يَطُوفُنَّ بِالْبَيْتِ عَرِيَانُ (١) .

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ، عَنْ جَاهِدٍ : (بِرَأْيَةِ مَنْ أَلَّهَ وَرَسُولَهُ) إِلَى أَهْلِ الْعَهْدِ : خِزَاعَةٌ ، وَمُذَلِّجٌ ، وَمَنْ كَانَ لَهُ عَهْدٌ أَوْ غَيْرُهُمْ : أَقْبَلَ (٢) . رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ تَبُوكَ حِينَ فَرَّغَ ، فَأَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَجَّ ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّمَا يَحُجُّ الْمُشْرِكُونَ فَيَطُوفُونَ حُرَّاءَ ، فَلَا أَحَبَّ أَنْ لُحِجَ حَتَّى لَا يَكُونَ ذَلِكَ . فَأَرْسَلَ أَبَا بَكْرٍ وَعَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، فَطَافَا بِالنَّاسِ فِي ذِي الْحِجَّةِ وَبَأَمْنَتِهِمْ إِلَى كَانُوا يَتَابِعُونَ بِهَا بِالْمَوَاسِمِ كُلِّهَا ، فَأَذَّنُوا أَصْحَابَ الْعَهْدِ بِأَنْ يَأْتُوا أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ، فِيهِ الْأَشْهُرُ لِلتَّوَالِيَاتِ : حُشْرُونَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ إِلَى عَشْرِ بَطْنُونَ مِنْ رَجَبٍ الْآخِرِ ، ثُمَّ لَا عَهْدَ لَهُمْ ، وَأَذَّنَ النَّاسَ كُلَّهُمْ بِالْقِتَالِ إِلَّا أَنْ (٣) يَوْمُوتُوا وَهَكَذَا رَوَى عَنْ السُّدِّيِّ ، وَفَقَادَةَ (٤)

وَقَالَ الْفَرَزْدَقِيُّ : كَانَ ابْتِدَاءُ التَّجْبِيلِ مِنْ هَوَالٍ وَآخِرُهُ مَلِيحُ الْمُحَرَّمِ (٥)
وَهَذَا الْقَوْلُ غَرِيبٌ وَكَيْفَ يَسَامِيونَ بَعْدَ لَمْ يَلْتَمِمْهُمْ حَكْمُهَا ، وَإِنَّمَا ظَهَرَ لَهُمْ أَمْرُهَا يَوْمَ النُّحْرِ ، حِينَ لَادَى أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ ، وَهَذَا قَوْلُ تَعَالَى :

وَالَّذِينَ مِنْ آلِهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبِمَ فَهُوَ جَعَلٌ خَيْرٌ ، وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْسَأُ فَاذْكُرُوا عَجْزَ اللَّهِ وَيُذَكِّرُوا الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَلَيْكُمْ أَلْحِينَ ﴿٦﴾

يَقُولُ تَعَالَى : [وَأَعْلَامُ (مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) وَتَكْتُمُ] وَإِنْدَلَّ إِلَى النَّاسِ ، (يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ) ، وَهُوَ يَوْمُ [النُّحْرِ] الَّذِي هُوَ أَفْضَلُ أَيَّامِ التَّنَاسُكِ وَأَظْهَرُهَا وَأَكْثَرُهَا جَمْعًا ، (أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ) ، أَيْ : يَرَى مِنْهُمْ أَيْضًا ، ثُمَّ دَعَاهُمْ إِلَى التَّوْبَةِ إِلَيْهِ فَقَالَ : (فَإِنْ تَبِمَ) ، أَيْ : مَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنَ الشُّرْكِ وَالْفُضُولِ ، (فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ، وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ) أَيْ : اسْتَمَرَرْتُمْ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ، (فَاغْلَمُوا أَنْكُمْ غَيْرُ مُجْزِي اللَّهِ) ، يَلْ هُوَ قَادِرٌ عَلَيْكُمْ ، وَأَنْتُمْ فِي قَبْضَتِهِ ، وَنَحْتُ قَهْرِهِ وَمَشِيئَتِهِ ، (وَيُذَكِّرُوا الَّذِينَ كَفَرُوا بِحَبْلِ الْإِيمِ) ، أَيْ : فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَالتَّكَاثُلِ ، وَفِي الْآخِرَةِ بِالْقَامِعِ وَالْأَخْلَاقِ (٧)

قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : حَدَّثَنَا حَبِيبُ بْنُ يَرْسَفَ ، حَدَّثَنَا الْإِثْبُ ، حَدَّثَنَا حَبِيبُ ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ : أَخْبَرَنِي حُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ : بَعَثَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي تِلْكَ الْحَسْبَةِ فِي الْمَوْذَنَيْنِ ، بِعُهُمْ يَوْمَ النُّحْرِ ،

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٣٦٢ : ١٤ ٪ ١٠٠ .

(٢) في المخطوطة : إقبال رسول الله . والمختل من تفسير الطبري .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٣٦٤ : ١٤ ٪ ١٠٠ .

(٤) أثر السدي في تفسير الطبري برقم ١٦٣٦١ : ١٤ ٪ ٩٩ ، ١٠٠ ، وأثر قتادة فيه أيضًا ورقمه ١٦٣٦٢ : ١٤ ٪ ١٠٠ .

(٥) أثر الفرزدق في تفسير الطبري بغير هذا اللفظ ، ورقمه ١٦٣٦٦ : ١٤ ٪ ١٠١ .

(٦) اللطائف - جميع مقامة - بكسر الهمزة - وهي : سباط تعمل من حديد - وعرسها موجبة .

يُؤَذِّنُونَ عَنِّي : أَنْ لَا يَجْعَلَ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ ، وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ حَرِيَانٌ - قَالَ حَمِيدٌ : ثُمَّ أَرَادَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، فَأَمَرَهُ أَنْ يُؤَذِّنَ بِبِرْمَاةٍ - قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : فَأَذَّنَ مَعًا عَلِيٌّ فِي أَهْلِ مَنَى يَوْمَ النَّحْرِ بِبِرْمَاةٍ ، وَأَنْ لَا يَجْعَلَ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ ، وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ حَرِيَانٌ (١) .

ورواه البخاري أيضا : حدثنا أبو اليان ، أخبرنا شُعْبَةُ ، عن الزهري ، أخبرني حميد بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال : بعثني أبو بكر فيمن يؤذِّن يوم النحر عني : لا يَجْعَلَ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ ، وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ حَرِيَانٌ ، وَيَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ يَوْمَ النَّحْرِ ، وَإِنَّمَا قِيلَ : « الْأَكْبَرُ » ، مِنْ أَجْلِ قَوْلِ النَّاسِ : « الْحَجُّ الْأَصْفَرُ » ، فَتَبَيَّنَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى النَّاسِ فِي ذَلِكَ الْعَامِ ، فَلَمْ يَجْعَلْ حَامِ حِجَةَ الْوُجَاعِ الَّذِي حَجَّ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُشْرِكٌ ، وَهَذَا لَفْظُ الْبُخَارِيِّ فِي كِتَابِ « الْجِهَادِ » (٢) .

وقال عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري ، عن ابن المسيب ، عن أبي هريرة رضي الله عنه في قوله : (بِرْمَاةٍ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) ، قَالَ : لَمَّا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَمَنَ حَنِينٍ ، أَحْمَرَ مِنَ الْجَبْرِائِلَةِ ، ثُمَّ أَمَرَ أَبَا بَكْرٍ عَلَى تِلْكَ الْحِجَةِ - قَالَ معمر : قَالَ الزهري : وَكَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يُعَدِّثُ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ أَمَرَ أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ يُؤَذِّنَ بِبِرْمَاةٍ فِي حِجَةِ أَبِي بَكْرٍ - قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : ثُمَّ أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَلِيًّا ، وَلَمَرَهُ أَنْ يُؤَذِّنَ بِبِرْمَاةٍ ، وَأَبُو بَكْرٍ حَلِيَ الْمَوْسِمَ كَأَنَّهُ - أَوْ قَالَ : حَلِيَّتُهُ .

وهذا السباق فيه غرابة ، مِنْ جِهَةِ أَنْ أَمَرَ الْحَجَّ كَالْحِجَةِ الْجَبْرِائِلَةِ (٣) ، إِنَّمَا هُوَ حَقَّابٌ بَيْنَ أَسْبَلَةٍ (٤) ، فَلَمَّا أَبَا بَكْرٍ إِنَّمَا كَانَ أَمِيرًا أَسَفَ تَحَسُّعٍ .

وقال أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبه ، عن مغيرة ، عن الشعبي ، عن سُحْرَبٍ بْنِ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كُنْتُ مَعَ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، حِينَ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ : « بِرْمَاةٍ » ، فَقَالَ : مَا كُنْتُمْ تَتَادُونَ ؟ قَالَ : كُنَّا تَتَادَى : أَنْ لَا يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ حَرِيَانٌ ، وَمَنْ كَانَ يَبْهَ وَيَبْهَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذَا فَانْ أَجَلَهُ - أَوْ أَمَدَهُ - إِلَى أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ، فَأَظَاهَرَتْ الْأَرْبَعَةُ الْأَشْهُرُ فَإِنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولِهِ ، وَلَا يَجْعَلُ هَذَا الْبَيْتَ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ - قَالَ : فَكُنْتُ أَتَادِي حَتَّى صَحَّحَ صَوْتِي (٥) .

وقال الشعبي : حَدَّثَنِي سُحْرَبُ بْنُ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كُنْتُ مَعَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَادَى ، فَكَانَ إِذَا صَحَّحَ نَادَيْتُ : قُلْتُ : يَا أَيُّ شَيْءٍ كُنْتُمْ تَتَادُونَ ؟ قَالَ : بِأَرْبَعٍ : لَا يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ حَرِيَانٌ ، وَمَنْ كَانَ لَهُ عَهْدٌ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهَبَهُ إِلَى مَنَةِ ، وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَجْعَلَ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ ،

(١) البخاري : تفسير سورة برآة : ٦ / ٨١ .

(٢) البخاري : كتاب الجهاد : باب : كيف يَأْتِي إِلَى أَهْلِ الْبَيْتِ : ٢٤٥ / ٢٤٦ .

(٣) الجبرائلة - يَكْسِرُ أَوَّلَهُ ، وَأَوَّلُ الْخَبَرِ يَكْسِرُونَ مِنْهُ وَيَتَدَوَّنُونَ رَأْسَهُ ، وَأَوَّلُ الْآدَمِ بِشَرْطِهِمْ وَيَكْتَرُونَ الْبَيْنَ وَيَتَدَوَّنُونَ الرُّؤُوسَ ، وَالصَّحْبُ أَيْمَانًا لِيَتَلَانَ جِهَاتَانِ - مَثَلٌ بَيْنَ الْعَالَمِ وَمَكَّةَ ، وَحِينَ إِلَى مَكَّةَ أَتَرَفَهُ ، نَزَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَنَحْنُ يَا خَلْقُ حَنِينٍ وَأَرْحَمُ مِنْهُ بِالْمَسْرَةِ وَكَانَ ذَلِكَ مَتَى تَمَّانٌ ، وَهُوَ لَهُ مَسْجِدٌ .

(٤) يُنَظَرُ تَرْجِمَةُ حُجَّابٍ بَيْنَ أَسْبَلَةٍ فِي لُغَةِ الْفَنَاءِ : ٢ / ٥٥٦ ، بِمُقْتَضَاهَا .

(٥) سِتَّةُ الْإِنْسَانِ لِمَجْدٍ : ٢ / ٢٩٩ ، وَصَحَّحَ صَوْتَهُ : يَج .

رواه ابن جرير من غير ما وجه ، عن الشعبي ^(١) . ورواه شعبه ، عن مغيرة ، عن الشعبي ، به إلا أنه قال :
« ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد ، فعهده إلى أربعة أشهر » وذكر تمام الحديث ^(٢) .

قال ابن جرير : وأعشى أن يكون وهما من بعض نقله ، لأن الأخبار متطاهرة في الأجل بخلافه ^(٣) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد ، عن سيك ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه : أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعث « برامة » مع أبي بكر ، فلما بلغ ذا الحليفة قال : لا يبلغها إلا أنا أو رجل من أهل بيتي . فبعث
بما مع حل بن أبي طالب رضي الله عنه ^(٤) .

ورواه الترمذي في التفسير ، عن بُشَيْر ، عن عفان وعبد الصمد كلاهما عن حماد بن سلمة ، به ثم قال : حسن
غريب من حديث أنس رضي الله عنه ^(٥) .

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : حدثنا محمد بن سليمان - ثَوْنَن - حدثنا محمد بن جابر ، عن سمك ، عن
حنش ، عن عكرمة رضي الله عنه قال : لما نزلت عشر آيات من « برامة » على النبي صلى الله عليه وسلم ، دعا النبي
صلى الله عليه وسلم أبا بكر ، فبقيت ما يقرأها على أهل مكة ، ثم دعاني فقال : أدرك أبا بكر ، فحيثما لحقت فخذ الكتاب
منه ، فانذهب إلى أهل مكة فقرأه عليهم : فلحقته بالبحرمة ، فأخذت الكتاب منه ، ورجع أبو بكر إلى النبي صلى الله
عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، نزل في شيء ؟ فقال : لا ، ولكن جبريل جاني فقال : لن يردى منك إلا أنت
لو رجل منك ^(٦) .

هذا إسناد فيه ضعف .

وليس المراد أن أبا بكر رضي الله عنه رجع من فوره ، [بل] بعد قضاءه للمناسك التي أمره عليها رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، كما جاء مبيناً في الرواية الأخرى :

وقال عبد الله أيضاً : حدثني أبو بكر ، حدثنا عمرو بن حماد ، عن أسباط بن نصر ، عن سيك ، عن حنش ،
عن حل رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث « برامة » قال : يا بني الله ، إنني لست بالأسن
ولا بالخطيب ، قال : ما بد لي أن أذهب بها أنا أو تلعب بها أنت : قال : فان كان ولا بد فساد فساد : قال :
اطلق ، فان الله ينبت لك ولدك وحيدك تلك . قال : ثم وضع يده على فيه ^(٧) .

(١) تفسير الطبري : الأثر ١٦٣٦٩ : ١٤ % ١٠٣ : ١٠٤ .

(٢) تفسير الطبري : الأثر ١٦٣٧٠ : ١٤ % ١٠٤ : ١٠٥ .

(٣) تفسير الطبري : ١٤ % ١٠٥ .

(٤) مسند الإمام أحمد : ٣ % ٢٨٢ .

(٥) غلة الأحرص : تفسير سورة برامة : ٥٠٨٥ : ٨ % ٤٨٥ .

(٦) مسند الإمام أحمد : ١ % ١٥١ .

(٧) مسند الإمام أحمد : ١ % ١٥٥ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا صفيان ، عن أبي إسحاق ، عن زيد بن يثج - وجعل من ههنا - : سألت عليا : بأي شيء بُعث ؟ يعني يوم بعث النبي صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر في الحجة ، قال : بعث بأربع : لا يدخل الجنة إلا نفس مومنة ، ولا يظرف بالبيت عريان ، ومن كان بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد لمعهده إلى الله ، ولا يحرم المشركون والمسلمون^(١) بعد ما همم^(٢) هلم .

ورواه الترمذى عن قلابه ، عن سفيان بن عيينة ، به ، وقال : حسن صحيح (٢) ،

كلما قال ، ورواه شعبه ، عن أبي إسحاق قال : عن زيد بن يسحج ، ، وم فيه ، ورواه الثوري ، عن أبي إسحاق ، عن بعض أصحابه ، عن علي رضي الله عنه :

وقال ابن جرير: حدثنا ابن وكيع، حدثنا [أبو] أسامة، عن زكريا، عن أبي إسحاق، عن زيد بن يسيع، عن حل قال: بعني رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزلت «إبراة» وأبرج، أن لا يوطئ بالبيت حريان، ولا يقرب المسجد الحرام بشرط بعد عاهم هذا، ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو إلى ملكه، ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة^(٤)

ثم رواه ابن جرير ، عن محمد بن عبد الأعلى ، عن أبي ثور ، عن معمر ، عن أبي إسحاق ، عن الحارث ، عن علي قال :
 وأمرت بأولم : : : : فذكره (*)

وقال إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن زيد بن يحيى قال: ثلث براعة فيث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم أرسل عليا، فأتاهما، [منه] فلما رجع أبو بكر قال: ترك في عناء قال: لا، ولكن أشرت أن أبلغها أن أُرسل من أهل بيته. فانطلق^(٦) إلى أهل مكة، فقام فيهم بأربع: لا يخلط مكة مشرك بعد عامه هلم، ولا يطوف بالبيت حركاء ولا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد، فعهده إلى ملته^(٧).

وقال محمد بن إسماعيل، عن حكيم بن حكيم بن حماد بن حنيفة، عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي قال: لما نزلت «برأه» على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد كان يهتأبى بكر ليقيم الحج فتناس، فقيل: يا رسول الله لو بهت إلى أبي بكر. فقال: لا يؤمنني حتى إلا رجل من أهل بيتي. ثم دعا علياً فقال: اخرج بهذه القضية من عند برأه وأذن للناس يوم النحر إذا اجتمعوا على: أنه لا يدخل الجنة كافر، ولا يخرج بعد العام مشرك، ولا يسلطت بالهت حريان، ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو إلى ماله: فخرج علي رضي الله عنه على لاقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العشاء، حتى أدركه أبى بكر في الطريق، فلما رآه أبى بكر قال: أمير! أو أمأور؟ قال: بل أمأور.

(١) أي : لا يجزون مع المسلمين .

(٢) مست الإمام أحمد : ١ / ٧٩ .

(٣) تحفة الأحقاف ، تفسير سورة التوبة ، الحديث ٥٠٨٧ : ٨ % ٤٨٨ : ٤٩٩ .

(٤) قصر الطوى ، الأثر ١٦٣٧٣ : ١٤ ٪ ١٠٦ .

(b) نفقات الطرحة : ١٦٣٧١ ل.س. = ١٠٠ ٪

(٦) **مجلس** : مجلس

(٧) تقسم الطوى ، الأثر ١٦٣٧ : ١٤ : ١٠٧ %

ثم مضى ، فأقام أبو بكر قناس الحج ، [والعرب (١)] إذ ذاك في تلك السنة على منازلهم من الحج التي كانوا عليها في الجاهلية حتى إذا كان يوم النحر ، قام على بن أبي طالب فأذن في الناس بالذي أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : يا أيها الناس ، إنه لا يخلع الجنة كافر ، ولا يخرج بعد العام مشرك ، ولا يطغف بالبيت عريان ، ومن كان له عهد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو إلى مدته ، فلم يخرج بعد ذلك العام مشرك ، ولم يطغف بالبيت عريان ، ثم قلما على رسول الله صلى الله عليه وسلم : فكان هذا من وراءه ، فيمن كان من أهل الشرك من أهل العهد العام ، وأهل المدة إلى الأجل المسمى (٢) :

وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، أخبرنا أبو رعة وهب الله بن راشد ، أخبرنا حيوة بن شريح : أخبرنا أبو (٣) صخر : أنه سمع أبا معاوية البجلي من أهل الكوفة يقول : سمعت أبا الصهباء البكري وهو يقول : سألت علي بن أبي طالب عن يوم الحج الأكبر ، فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا بكر بن أبي قحافة يقيم قناس الحج ، ويعني معه بأربعين آية من وراءه ، حتى أتى عرفة فخطب الناس يوم عرفة ، فلما قضى خطبته انفضت إلى فقال : قم ، يا علي ، فأد رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقامت فقرأت عليهم أربعين آية من وراءه ، ثم صدّرتنا (٤) فأتينا منى ، فرميت الجمره ونحرنا البدة ، ثم حقت راسي ، وعليت أن أهل الجمع لم يكونوا حضروا كلهم خطبة أبي بكر يوم عرفة ، فظفت أتبع بها القساطيط (٥) أفروها عليهم ، فنتم إخال حسبهم أنه يوم النحر ، ألا وهو يوم عرفة (٦)

وقال عبد الرزاق ، عن معمر ، عن أبي إسحاق : سألت أبا جحيفة عن يوم الحج الأكبر ، قال : يوم عرفة . فقلت : لمن عتلك ، أم من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ؟ قال : كل في ذلك (٧)

وقال عبد الرزاق أيضا ، عن جرير ، عن عطاء قال : يوم الحج الأكبر ، يوم عرفة (٨) :

وقال حمزة بن الوليد الشنقي : حدثنا شهاب بن عباد الحمصيّ ، عن أبيه قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول : هذا يوم عرفة ، هذا يوم الحج الأكبر ، فلا يصومه أحد . قال : فحججت بعد أبي فأتيت المدينة ، فسألت عن أفضل أهلها ، فقالوا : سمعنا من النبي ، فأنتهت فقلت : إنني سألت عن أفضل أهل المدينة فقالوا : سمعنا من النبي ، فأخبرني عن صوم يوم عرفة ؟ فقال : أخبرك من هو أفضل مني مائة ضعف عمر - أو : ابن عمر - كان ينهى عن صومه ، ويقول : هو يوم الحج الأكبر (٩) :

(١) ما بين القوسين من تفسير الطبري .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٣٧٧ : ١٤ / ١٠٧٢ : ١٠٨ .

(٣) في المخطوطة : « ابن صخر » ، والمثبت من تفسير الطبري ، وهو حمزة بن زياد الخراط أبو صخر ، ينظر ترجمته في التذهيب ٤١ / ٣ .

(٤) صدر من الماء والبلد : دج . والصدور - بفتحين - ليلة رجوع الناس من عرفة إلى منى .

(٥) القساطيط : جمع قسطاط ، مثل السرادق وهو أصغر منه ، يتخذ المسافرون .

(٦) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٣٨٢ : ١٤ / ١١٤ .

(٧) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٣٨٢ : ١٤ / ١١٤ . وللفظ الطبري : « كل ذلك » .

(٨) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٣٨٢ : ١٤ / ١١٤ .

(٩) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٣٨١ : ١٤ / ١١٣ .

رواه ابن جرير وابن أبي حاتم ، وهكلا يُؤتى عن ابن عباس ، وعبد الله بن الزبير ، ومجاهد ، وعكرمة ، وطائوس : أنهم قالوا : يوم حرقه هو يوم الحج الأكبر .

وقد ورد فيه حديث مرسل رواه ابن جريج : أُخْبِرْتُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ قَيْسٍ بْنِ غَزَمَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطَبَ يَوْمَ حَرَقَ ، فَقَالَ : هَذَا يَوْمُ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ . (١)

وروى من وجه آخر عن ابن جريج ، عن محمد بن قيس ، عن المسور بن غزوة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنه خطبهم بمرفات فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فإن هذا يوم الحج الأكبر . والقول الثاني : أنه يوم النحر .

قال هشيم ، عن إسحاق بن أبي خالد ، عن الشعبي ، عن علي رضي الله عنه قال : يوم الحج الأكبر يوم النحر . وقال أبو إسحاق السبيعي ، عن الحارث الأصغر ، سألت عليا رضي الله عنه عن يوم الحج الأكبر ، فقال يوم : النحر (٢) .

وقال شعبة ، عن الحكم : سمعت يحيى بن الجزار يحدث علي عن رضي الله عنه : أنه خرج يوم النحر على بقة . يضاد يريد البجاة ، فجاد رجل فأخذ بلجام ذبته ، فسأله عن الحج الأكبر ، قال : هو يومك هذا ، عَمَلٌ سَيِّئًا (٣) . وقال عبد الرزاق ، عن سفيان وشعبة ، عن عبد الملك بن حمير ، عن عبد الله بن أبي أوفى أنه قال : يوم الحج الأكبر يوم النحر (٤) .

وروى شعبة وغيره ، عن عبد الملك بن حمير ، به نحوه : وهكلا رواه هشيم وغيره ، عن الشياخ ، عن عبد الله ابن أبي أوفى (٥) .

وقال الأصم ، عن عبد الله بن سنان قال : خطبتا المنيرة بن شعبة يوم الأضحية على بئر فقال : هذا يوم الأضحية ، وهذا يوم النحر ، وهذا يوم الحج الأكبر (٦) .

وقال حماد بن سلمة ، عن ساج ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أنه قال : الحج الأكبر ، يوم النحر (٧) ، وكذا روى عن أبي جحيفة ، وسعيد بن جبيرة ، وعبد الله بن شلابة بن الحاد ، ونافع بن جبيرة بن مطعم ، والشعبي ، وإبراهيم النخعي ، ومجاهد ، وعكرمة ، وأبى جعفر الباقر ، والزهري ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم أنهم قالوا : يوم الحج الأكبر هو يوم النحر . واعتاره ابن جرير . وقد تقدم الحديث عن أبي هريرة في صحيح البخاري : أن أبا بكر يوم النحر يؤذنون يحيى ، وقد ورد في ذلك أحاديث أخر ، كما قال الإمام أبو جعفر بن جرير :

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٣٩٣ : ١٤ / ١١٦ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٣٩٦ : ١٤ / ١١٦ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٤٠٥ : ١٤ / ١١٨ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٣٩٩ : ١٤ / ١١٧ .

(٥) ينظر تفسير الطبري : ١٤ / ١١٧ .

(٦) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٦١١ : ١٣ / ١١٨ : ١١٩ .

(٧) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٤١٤ : ١٤ / ١١٩ .

حدثني سهل بن محمد السجستاني ، حدثنا أبو جابر الجري ، حدثنا هشام بن الغاز الجرجسي - عن نافع ، عن ابن عمر قال : وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع ، قال : هذا يوم الحج الأكبر (١) ، وهكذا رواه ابن أبي حاتم ، وابن مَرْدُويه من حديث أبي جابر - واسمه محمد بن عبد الملك ، به : ورواه ابن مردويه أيضاً من حديث الوليد بن مسلم ، عن هشام بن الغاز ، به : ثم رواه من حديث سعيد بن عبد العزيز ، عن نافع ، به ، وقال شعبة ، عن عمرو بن مرة [عن مرة] المصنف ، عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ناقه حمراء مخضمة ، قال : أتدرون أي يوم [يومكم] هذا ؟ قالوا : يوم النحر : قال : صلاتكم ، يوم الحج الأكبر (٢) :

وقال ابن جرير : حدثنا أحمد بن المقدام ، حدثنا يزيد بن زريع ، حدثنا ابن حبان ، عن محمد بن سيرين ، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة ، عن أبيه قال : لما كان ذلك اليوم ، قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بئر له ، وأخذ الناس بطنائه - أو زمامه - فقال : أي يوم هذا ؟ قال : فسكتا حتى ظننا أنه سيُسَمِّيهِ سوى اسمه ، فقال : ليس هذا يوم الحج الأكبر (٣) ؟

وهذا إسناد صحيح ، وأصله مخرج في الصحيح :

وقال أبو الأحوص ، عن شبيب بن خرقة ، عن سليمان بن عمرو بن الأحوص ، عن أبيه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع ، قال : أي يوم هذا ؟ فقالوا : اليوم الحج الأكبر .

وعن سعيد بن المسيب أنه قال : يوم الحج الأكبر اليوم الثالث من يوم النحر : رواه ابن أبي حاتم ،

وقال يهاند أيضاً : يوم الحج الأكبر أيام الحج كلها (٤) :

وكذا قال أبو حنيفة ، قال سفيان : « يوم الحج » ، « يوم الجمل » ، « يوم صيف » ، أي : أيامه كلها (٥) :

وقال سهل السراج : سئل الحسن البصري عن يوم الحج الأكبر ، فقال : مالكم والبيع الأكبر ، ذلك عام حج فيه أبو بكر ، الذي استخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم فحج بالناس : رواه (٦) ابن أبي حاتم :

وقال ابن جرير : حدثنا ابن وكيع ، حدثنا أبو أسامة ، عن ابن حبان : سألت عملاً - يعني ابن سيرين - عن يوم الحج الأكبر قال : كان يوماً والحق فيه حج رسول الله صلى الله عليه وسلم حج أهل الزبير (٧) .

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٤٤٧ = ١٤ / ١٢٤ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٤٤٨ = ١٤ / ١٢٥ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٤٤٦ = ١٤ / ١٢٣ .

(٤) ينظر تفسير الطبري : ١٤ % ١٢٧ .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٤٥٧ = ١٤ / ١٢٧ .

(٦) قدر المتن من عبد الرزاق ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم : ٢ % ٢١١ .

(٧) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٤٢٨ = ١٤ / ١٢١ .

إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوا عَنْكُمْ شَيْئًا وَلَا يُلْحِقُوا بِالْعَبَاثَةِ أَحَدًا فَإِنَّ الَّذِينَ إِهْمُ عَنْهُمْ
إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١﴾

هذا استثناء من ضرب مدة التأجيل بأربعة أشهر ، لأن له عهد مطلق ليس بمؤقت ، فأجله أربعة أشهر ، يسبح في الأرض ، يذهب فيها لينجو بنفسه حيث شاء ، إلا من له عهد مؤقت ، فأجله إلى مدته المضمونة إلى حوحد عليها ، وقد تقدمت الأحاديث : « ومن كان له عهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فعهده إلى مدته » : وذلك بشرط أن لا ينقض المجاهد عهده ، ولم يظهر على المسلمين أحداً ، أى : عايناه عليهم من سواهم ، فهذا الذى يوقى له بلعه وعهده إلى مدته ، ولهذا حرض الله تعالى على الوفاء بذلك فقال : (إن الله يحب المتقين) ، أى : المؤمنين بهم .

فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَعَلَّجُوهُمْ وَأَحْصُوا لَهُمْ كُفْلًا
مَرَّةً فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢﴾

اختلف المفسرون في المراد بالأشهر الحرم هاهنا ، ما هي ؟ فذهب ابن جرير إلى أنها المذكورة في قوله تعالى : (منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم) ... الآية ، قاله أبو جعفر الباقر . لكن قال ابن جرير : آسر الأشهر الحرم في حقهم المشركين . وهذا الذى ذهب إليه حكاه على بن أبى طلحة عن ابن عباس ، وإليه ذهب الضحاك أيضاً ، وفيه نظر ، والذى يظهر من حيث السياق ما ذهب إليه ابن عباس في رواية العوفي عنه ، وبه قال مجاهد ، وعمر بن شبيب ، وعبد بن إسحاق ، وقتادة ، والسدى ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم أن المراد بأشهر التيسير الأربعة للنصوص عليها في قوله : (فسبحوا في الأرض أربعة أشهر) . ثم قال : (فلما انسلخ الأشهر الحرم) ، أى : إذا انقضت الأشهر الأربعة . [التى حرمتنا عليكم فيها قتالهم ، وأجلناهم فيها ، فحينما وجدتهم فاقطعهم ، لأن حرد العهد على مذكور أولى من مقتدر ، ثم إن الأشهر الأربعة] الحرمة سيأتى بيان حكمها في آية أخرى بعدنى في هذه السورة الكريمة .

وقوله : (فاقطعوا للمشركين حيث وجدتموهم) أى : من الأرض . وهذا عام ، والمشهور تخصيصه بتحريم القتال في الحرم بقوله : (ولا تقاتلوا عندنا سجد الحرام حتى يقتلكم فيه ، فإن قاتلكم فاقطعوا) (١) ،

وقوله : (وعجلوهم) ، أى : وأسروهم ، إن شئتم قتلا ، وإن شئتم أسرا .

وقوله : (وأحصوهم واصلوا لم كل مرصد) ، أى : لا تكفروا بمجرد وجدانكم لهم ، بل القصدوم بالحصار في معالهم وحصونهم ، والرصد في طرقهم ومساكنهم حتى تغيبوا عليهم الواضع ، وفطرهم إلى القتل أو الإسلام ؛ ولهذا قال : (فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ، إن الله غفور رحيم) ،

ولهذا اعتمد الصديق رضي الله عنه في قتال مانى الزكاة على هذه الآية الكريمة وأمثالها ، حيث حرمت قتالهم بشرط هذه الأفعال ، وهي الدخول في الإسلام ، والقيام بأداء واجباته : وثبتة بأصلاها على أدائها ، فإن أشرف الأركان بعد الشهادة الصلاة ، التي هي حق الله عز وجل ، ويعدّها أداء الزكاة التي هي تقع سُتَد إلى الفقراء والمهاجرين ، وهي أشرف الأفعال المطلقة باختلافين ، ولهذا كبراً ما يقرن الله بين الصلاة والزكاة ، وقد جاء في الصحيحين ، عن ابن عمر رضي الله عنهما ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة » (١) ... الحديث.

وقال أبو إسحاق ، عن أبي حنيفة ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : أُمِرْتُمْ بِإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيْتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَمَنْ لَمْ يَزَكْ فَلَا صَلَاةَ لَهُ (٢) :

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : أبى الله أن يقبل الصلاة إلا بالزكاة ، وقال : يرحم الله أبى بكر ، ما كان أفعه . وقال الإمام أحمد : حدثنا حل بن إسحاق ، أنبأنا حيد الله بن المبارك ، أنبأنا حميد الطويل ، عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فإذا شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، واستقبلوا قبلتنا ، وأكلوا ذبيحتنا ، وصلّوا صلاتنا ، فقد حرمت علينا حمازهم وأموالهم إلا بحقها ، فلم ما المسلمين ، وعليهم ما عليهم » (٣) :

ورواه البخاري في صحيحه (٤) وأهل السنن إلا ابن ماجه ، من حديث حيد الله بن المبارك ، به .

وقال الإمام أبو جعفر بن جرير : حدثنا عبد الأعلى بن واصل الأسدي ، حدثنا حيد الله بن موسى ، أنبأنا أبو جعفر الرزقي ، عن الربيع بن أنس [عن أنس] قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من فارق الدياخل الإخلاص لله وحده ، وعيادته لا يشرك به شيئاً ، فارقها والله منه راض - قال : وقال أنس : هو دين الله الذي جاءت به الرسل ويلفوه من ربه ، قيل خرج الأحاديث (٥) ، واختلاف الأعمام ، وتصديق ذلك في كتاب الله في آخر ما أتول ، قاله الله تعالى : (فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فعدوا مسلمين) - قال : فوجبهم شطع الأوائل ، وعيادة ربه ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، ثم قال في آية أخرى : (فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاعرفواكم في الدين) (٦) . ورواه ابن مردويه .

ورواه محمد بن نصر اللوزي في كتاب الصلاة ، له : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، أنبأنا حكام بن سليم ، حدثنا أبو جعفر الرزقي ، به سواء .

-
- (١) البخاري ، كتاب الإيمان ، باب : فان تابوا وأقاموا الصلاة : ١ : ١٢ ، ١٣ . ومسلم في كتابه الإيمان أيضا .
باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله : ١ : ٣٩ .
(٢) مسند الإمام أحمد : ٣ : ١٩٩ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ .
(٣) صحيح البخاري ، كتاب الصلاة ، باب : فضل استقبال القبلة : ١٤ : ١٠٨ ، ١٠٩ .
(٤) حرج الأحاديث ، الإكتاف لها ، واختلاف المتظنين .
(٥) تفسير القرطبي ، الأثر : ١٦٤٧٥ ، ١٤ : ١٢٥ ، ١٢٦ .

وهذه الآية الكرعة هي آية السيف التي قال فيها الضحاك بن مزاحم : إنها نسخت كل عهد بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين أحد من المشركين ، وكل عهد ، وكل مدة ؛

وقال العوفي ، عن ابن عباس في هذه الآية : لم يبق لأحد من المشركين عهد ولا خمة ، منذ نزلت براءة والسلاح الأشهر الحرم ، ومدة من كان له عهد من المشركين قبل أن تنزل أربعة أشهر ، من يوم أن نزلت براءة إلى عشر من أول شهر ربيع الآخر .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في هذه الآية ، قال : أمره الله تعالى أن يضع السيف فيمن عاهد إن لم يدخلوا إلى الإسلام ، ونقض ما كان سعى لهم من العهد واليثاق ، وأذهب الشرط الأول ؛

وقال ابن أبي حاتم ، حدثنا أبي ، حدثنا إسحاق بن موسى الأنباري قال : قال صفيان : قال علي بن أبي طالب : بعث النبي صلى الله عليه وسلم بأربعة أسياف : سيف في المشركين من العرب ، قال الله : (فاقطعوا للمشركين حيث وجدتمهم) ؛

هكذا رواه عنصراً ، وأظن أن السيف الثاني هو قتال أهل الكتاب في قوله : (فاقطعوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ، ولا يدخلون دين الحق أوتوا من الذين أوتوا الكتاب حتى يعلوا الجزية عن يد وهم صاغرون) (١) ، والسيف الثالث : قتال المنافقين في قوله : (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين) (٢) ، والرابع : قتال الباغين في قوله : (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فإن بنت إحداهما على الأخرى قتالوا التي تبني حتى تنفي إلى أمر الله) (٣) .

ثم اختلف المفسرون في آية السيف هذه ، فقال الضحاك والسدي : هي منسوخة بقوله تعالى : (فامامتا بعد ولما نزلنا) ، وقال قتادة بالمعكس : (الآية - سورة محمد)

وإن أحد من المشركين استجارك فآجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون ﴿١﴾

يقول تعالى لنبيه صلوات الله وسلامه عليه : (وإن أحد من المشركين) ، الذين أمرتك بقتلهم ، وأحل لك استباحة قوسهم وأموالهم ، (استجارك) ، أي : استأمنك ، فأجه إلى طلبك (حتى يسمع كلام الله) ، أي : تقرر عليه ، وتذكر له شيئاً من الدين فهم عليه به حجة الله ، (ثم أبلغه مأمنه) ، أي : وهو آمن مستمر الأمان حتى يرجع إلى بلاده وداره ومأمنه ، (ذلك بأنهم قوم لا يعلمون) ، أي : إنما شرعنا أمان مثل هؤلاء ليعلموا دين الله ، وتنتشر دعوة الله في حياته ؛

(١) سورة لقوة : آية ٢٩ .

(٢) سورة لقوة : آية ٧٣ ، والنصر : آية ٩ .

(٣) سورة الحجرات : آية ٩ .

وقال ابن أبي حنيفة ، من جملة ، في تفسير هذه الآية ، قال : إنسان يأتيك يسبح ما تقول وما أتول عليك ، فهو آمن حتى يأتيك فيسمع كلام الله ، وحتى يبلغ أمته ، حيث جاءه (١) :

ومن هذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطي الأمان لمن جاءه ، مسترشداً أو في رسالة ، كما جاءه يوم الحديبية جماعة من الرسل من قريش ، منهم : عروة بن مسعود ، ومكرب بن خنيس ، وسهيل بن عمرو ، وغيرهم واحداً بعد واحد ، يرددون في قضية بينه وبين المشركين ، فرأوا من إعظام المسلمين رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بهم وما لم يشاهدوه عند ملك ولا قيصر ، فرجسوا إلى قومهم فأنتهروهم بذلك ، وكان ذلك وأمثاله من أكبر أسباب هداية أكثرهم (٢) .

ولهذا أيضاً لما قدم رسول مسيلة الكلاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : أنشهد أن مسيلة رسول الله ؟ قال : نعم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو أن الرسل لا تقتل ضربت عقتك (٣) : وقد قبض الله له ضرب العتق في إمارة ابن مسعود على الكوفة ، وكان يقال له : ابن الترابعة ، ظهر عنه في زمان ابن مسعود أنه يشهد مسيلة بالرسالة ، فأوصل إليه ابن مسعود فقال له : إنك الآن لست في رسالة ، وأمر به ففُصِّرت عنه ، لا رحمه الله ولله :

ولفرض أن من قدم من دار الحرب إلى دار الإسلام في أداء رسالة أو تجارة ، أو طلب صلح أو نهادة أو حمل جوية ، أو نحو ذلك من الأسباب ، فطلب من الإمام أو نائبه أماناً ، أعطى أماناً ما دام مرفداً في دار الإسلام ، وحتى يرجع إلى أمته ووطئه ؛ لكن قال العلماء : لا يجوز أن يمكن من الإقامة في دار الإسلام سنة ، ويجوز أن يمكن من إقامة أربعة أشهر ، وفيما بين ذلك فما زاد حل أربعة أشهر وقص من سنة قولان ، من الإمام الشافعي وغيره من العلماء ، وحسبهم الله :

كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدُوا عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقْرَأُوا
لَكَ فَاسْتَقْبُوا إِلَهُكُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٠﴾

بين تعالى حكمته في البراءة من للمشركين ونظيرته أيام أربعة أشهر ، ثم بعد ذلك السيوف للرحمة أين تقوا ، فقال تعالى : (كيف يكون للمشركين عهد) وأمان ويتركون فيما هم فيهم مشركون بالله كالفرعون به ويرسوله ، (إلا من عاهدتم منه المسجد الحرام) ، يعني يوم الحديبية ، كما قال تعالى : (هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى معكوا أن يبلغ عله) الآية ، (فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم) ، أي : مهما تمسكوا بما عاهدتوهم عليه وعاهدتوهم من ترك الحرب بينهم وبينكم عشر سنين (فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين) ، وقد فعل رسول الله

(١) التفسير الطبري ، الأثر ١٦٨٨٣ : ١٤ ٪ ١٢٩ .

(٢) ينظر سيرة ابن هشام ، عند الحديث عن أمر الحديبية : ٢ ٪ ٣٠٨ - ٣٢٢ .

(٣) سيرة ابن هشام ١ ٪ ٩٥٥ .

صل الله عليه وسلم ذلك وللصلوة ، استمر العقد والهدنة مع أهل مكة من نبي القعدة في سنة ست ، إلى أن قضت قريش العهد ومالتوا لحلفائهم بين يكر على خراطة أسلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فظنهم معهم في الحرم أيضاً ، فسد ذلك خرازم رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان سنة ثمان ، ففتح الله عليه البلد الحرام ، وسكنه من نواصبيهم ، وقد الحمد وللتة ، فأطلق من أسلم منهم بعد الفهر والنفية عليهم ، فسموا الطلقاء ، وكانوا قرياً من ألقين ، ومن استمر على كفره وفر من رسول الله صلى الله عليه وسلم بحث إليه بالأمان والتسير في الأرض أربعة أشهر ، يلحظ حيث شاء ؛ منهم صفوان بن أمية ، وعكرمة بن أبي جهل وغيرهما ، ثم هداهم الله بعد ذلك إلى الإسلام التام ، والله الممجد على جميع ما يقدره ويفعله .

كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكَ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا ذِمَّةً يَرْضُونُكُمْ يَقُولُهَا بِلُغَتِهِمْ وَأَتَيْنَ قُلُوبَهُمْ وَأَكْرَمَ تَقْصُونُ ①

يقول تعالى مذهب المؤمنين على معاداة للشركين والبراء منهم ، وميناة أنهم لا يستحقون أن يكون لهم عهد لشركهم بالله وكرهم برسول الله ، ولو أنهم اذ ظهروا على المسلمين وأعدوا عليهم ، لم يبقوا ولم يدروا ، ولا اتبعوا فهم إلا ذمة .

قال حل بن أبي طلحة ، وعكرمة ، والبراء من ابن عباس : « الإل » : القرابة ، « واللمة العهد » : وكلما قال الضحاک والسدي (١) ، كما قال تميم بن مقبل :

أَسَدٌ نَأْسٌ غُلُوفٌ عَكَمُوا قَطَعُوا الْإِلَّ وَأَعْرَاقَ الرَّحِمِ (٢)

وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه (٣) :

وَجَدْنَاهُمْ كَأَفْأِ الْإِلْهِمْ وَذُو الْإِلْهِ وَكَسَهْدٍ لَا يَكْذِبُهُ

وقال ابن أبي نجیح ، عن مجاهد : (لا يرقبون في مؤمن إلا) قال : الله . وفي رواية : لا يرقبون الله ولا غيره (٤) ؛

(١) ينظر هذه الآثار في تفسير القرطبي : ١٤ / ١٤٦ ، ١٤٧ .

(٢) البيت في تفسير القرطبي : ١٤ / ١٤٨ .

وه غلوف : جمع « غلف » - بفتح فسكون - وهم : بقية السوء والأشرار تختلف من سبقها . والأعراف : جمع مرء وهرة كل فيه : أصله .

(٣) هكذا شبه ابن كثير إلى حسان بن ثابت ، ولم نجد في ديوانه . والبيت في تفسير القرطبي غير منسوخ : ١٤ / ١٤٨ . ولما بيت حسان الذي استشهد به القرطبي هو :

لَسَرَكِ إِذْ لَقِيتُكَ مِنْ قَرِيضٍ كَالِ الْعَقَبِ مِنْ وَادٍ لَتَامِ

وهذا البيت في ديوان حسان : ٣٣٦ ، واللسان : مادة : أتل .

والعقب : ولد الثالثة سامة يورثه ، والزال : ولد لتمام ، يقول حسان : إنه لا قرابة بينك وبينهم ، كما أنه لا قرابة بين العقب وولد لتمام .

(٤) طابن الآثار في تفسير القرطبي : ١٤ / ١٤٦ .

وقال ابن جرير : حدثني يعقوب ، حدثنا ابن عتيبة ، عن سليمان ، عن أبي مجلز في قوله تعالى : (لا يريون في مؤمن إلا ولا ذمة) : مثل قوله « جنبرائيل » ، « ميكائيل » ، « إسماعيل » ، « كأنه يقول : يضيف « جنبر » ، و « ميكا » ، و « إسماع » ، إلى « إيل » ، يقول : عبد الله - (لا يريون في مؤمن إلا [(١) كأنه يقول : لا يريون الله :

والقول الأول أشهر وأظهر ، وعليه الأكثر :

ومن جاهد أيضا : « الإل » العهد (٢) : وقال قتادة : « الإل » الحلف :

أَشْرَوْا بِعَاجَتِ اللَّهِ لِمَنَّا قَلِيلًا نَصَدُوا عَنْ سَبِيلِهِ ۖ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠﴾ لَا يَرِيقُونَ فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا
وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١١﴾ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخِمْهُمْ يُكْرَمُوا ۖ وَلَئِنْ لَمْ يَنْفَعُوا
إِلَّا بَنَتْ لَهُمْ نَارٌ ﴿١٢﴾

يقول تعالى ذمًا للمشركين وحكمًا للمؤمنين على قتلم : (اشربوا بآيات الله لئنا قليلا) ، يعني أنهم اعتاضوا من اتباع آيات الله بما للشرك به من أمور الدنيا الخسيسة ، (فصلوا عن سبيله) ، أي : منعوا المؤمنين من اتباع الحق ، (إنهم ساء ما كانوا يعملون) لا يريون في مؤمن إلا ولا ذمة (تقدم تفسيره) ، وكلنا الآية التي بعدها (فان تابوا وأقاموا الصلاة) إلى آخرها ، وتضمنت :

وقال الحافظ أبو بكر البرز : حدثنا محمد بن المنذر ، حدثنا يحيى بن أبي بكر ، حدثنا أبو جعفر الرازي ، حدثنا الربيع بن أنس قال : سمعت أنس بن مالك يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من فارق الدنيا على الإخلاص لله وعبادته ، لا يشرك به ، وأقام الصلاة ، وآتى الزكاة ، فارقها والله عنه راض » ، وهو حين الله الذي جاءت به الرسل وبلغوه من دينهم ، قبل خرج الأحاديث واختلاف الأهواء ، وتصديق ذلك في كتاب الله : (فان تابوا) ، يقول : فان خلصوا الأوثان وعبادتها (وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) ، وقال في آية أخرى : (فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخراكم في الدين) :

ثم قال البرز : أخر الحديث عندي والله أعلم : « فارقها وهو عنه راض » ، وإياقه عندي من كلام الربيع بن أنس (٣)

(١) ما بين القوسين سقط من خطبة الأثر ، وهو سقط نظر لأنه من إثباته حتى يستقيم الأثر ، وهو في تفسير الطبري برقم ١٦٥٠٠ : ١٤ ٪ ١٤٦٦ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٥٠٩ : ١٤ ٪ ١٤٨ .

(٣) أخرجه الطبري من عهد الأمل بن واصل ، من عهد الله بن موسى ، عن أبي جعفر الرازي ، بإسناده ، مثله . وقد تقدم من قريب عنه قوله تعالى : « فلذا السبع الأشهر الحرم » الآية .

وَأَن تَكُونُوا أَعْدَاءُ لَهُمْ مِّنْ بَعْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَفَقِمْ لَّأَنَّهُ الْكَفَرُ لَهُمْ لَا أَعْتَنَ لَهُمْ لَطْلُهُمْ يَنْتَوُونَ ﴿١١﴾

يقول تعالى : وإن نكث هؤلاء المشركون اللذين عاهدتموه على مدء معينة أيمانهم ، أى : هودمهم ومواقفهم ، (وطعنوا فى دينكم) ، أى : عايروه وانتقصوه . ومن هاهنا أخذ قتل من سب الرسول — صلوات الله وسلامه عليه — أو من طعن فى دين الإسلام أو ذكره ينتقص ، ولهذا قال : (قاتلوا أئمة الكفر ، [هم لا أيمان لهم ، لطلهم ينتهون] ، أى : يرجسون حمام فيه من الكفر والناد والفضائل .

وقد قال قتادة وغيره : أئمة الكفر كالأبى جهل ، وعتبة ، وشيبة ، وأمية بن خلف ، وعدد رجال (١) .

وعن مصعب بن سعد بن أبى وقاص قال : مر سعد بربيع من الخوارج ، فقال الخاريجى : هذا من أئمة الكفر . فقال سعد : كذبت ، بل أنا قاتلت أئمة الكفر . ورواه ابن مردويه (٢) .

وقال الأعمش ، عن زيد بن وهب ، عن حفصة أنه قال : ما قُتِلَ أهل هذه الآية بعد (٣) ، وروى عن علي بن أبى طالب رضى الله عنه .

والصحيح أن الآية عامة ، وإن كان سب زولاً مشركى فريش عامية لم ولنيرهم ، والله أعلم .

وقال الوليد بن مسلم : حدثنا صفوان بن عمرو ، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير : أنه كان فى عهد أبى بكر رضى الله عنه إلى الناس حين وجههم إلى الشام ، قال : إنكم ستجلبون قوماً مُحَوَّكَةً رُوسهم ، فاضربوا أعقابهم الشيطان منهم بالسيف ، فوالله لأن أقل رجل منهم أحب إلى من أن أقل سبعين من غيرهم ، وذلك بأن الله يقول : (قاتلوا أئمة الكفر) . ورواه ابن أبى حاتم (٤) .

أَلَا تَقْتُلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهِيَ بُرَاجُ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَّوْا أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتُحْشِنُهُمْ فَاللَّهُ أَسْرَأُ أَنْ يُحْشَوْا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٢﴾ فَتَلَاوَهُمْ يَعْذِبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ وَيَسْفِرُ صُدُورَهُمْ قَوْمٌ مُّؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ وَيُغِيبُ عَقِبَهُمْ قُلُوبَهُمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٤﴾

وهذا أيضاً مبيح ونحفيض وإغراء على قتل المشركين التاكثين لأيمانهم ، اللذين حَسَرُوا بُرَاجَ الرُّسُولِ من مكة ، كما قال تعالى : (وأذبحوا بك الذين كفروا البيثرك أو يقتلوك أو يخرجوك ويحرقون ويحرق الله والله خير الماكرين) (٥) .

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٥٢١ : ١٤ / ١٥٤ . والأثر الذى بعده .

(٢) لحد الملتون من ابن مردويه : ٢١٥ / ٣ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٥٢٧ - ١٦٥٢٩ : ١٤ / ١٥٥ ، ١٥٦ .

(٤) لحد الملتون من ابن حاتم : ٢١٥ / ٣ ، ومنه : عوقة رومهم : عوقة رومهم .

(٥) سورة الأنفال ، آية ٣٥ .

وقال تعالى : (يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ^(١)) ربكم) ... الآية ، وقال تعالى : (وإن كادوا لبسفرونك من الأرض ليخرجوك منها وإذا لا يلبثون خلقك إلا قليلا ^(٢)) .

وقوله : (وهم يهكم أول مرة) ، قيل : المراد بذلك يوم بدر ، حين خرجوا لتخصر عيرهم ، فلما نجت وعلما بذلك استمروا على وجوههم طلبا للقتال ، بغيا وتكبرا ، كما تقدم بسط ذلك .

وقيل : المراد نقضهم العهد وتسلم مع حلفائهم بنى بكر خزاعة أحلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى صار إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح ، وكان ما كان ، والله الحمد .

وقوله : (أنقضهم ؟) الله أحق أن ينقضه إن كنتم مؤمنين) ، يقول تعالى : لا تخشونهم واخشون ، فإنا أهل أن ينقض العباد من سطون وعقوبى ، فيبدى الأمر ، وما شئت كان ، وما لم أنشأ لم يكن .

ثم قال تعالى زمعة ^(٣) على المؤمنين ، وبيننا لحكمته فيما شرع لم من الجهاد مع قدرته على إهلاك الأعداء بأمر من عنده : (فأتاكم بهلبهم الله بأيديكم ، ويغزى وينصركم عليهم ، ويشف صدور قوم مؤمنين) . وهذا عام في المؤمنين كلهم .

وقال مجاهد ، وعكرمة ، والسدي في هذه الآية : (ويشف صدور قوم مؤمنين) ، بنى : خزاعة . وأعاد الضمير في قوله : (ويلجى غيظ قلوبهم) عليهم أيضا .

وقد ذكر ابن مسعود في ترجمة مؤذن لسر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، عن مسلم بن يسار ، عن عائشة رضى الله عنها : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا غضبت أنشد بأنفسها ، وقال : يا عويش ، قولى : اللهم ، رب النبي محمد ، اغفر ذنبي ، وأذهب غيظ قلوبى ، وأجبرنى من مضلات الفتن .

سأفه من طريق أبي أحمد الحاكم ، عن أبيه عيسى ، عن هشام بن عمار ، حدثنا عبد الرحمن بن أبي الجون ^(٤) ، عنه :

(ويحب الله على من يشاء) ، أى : من عباده ، (والله علم) ، أى : بما يصلح عباده ، (حكيم) في أماله وأتوالة الفكرية والشرعية ، فيقبل ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، وهو العادل الحاكم الذى لا يبور أبدا ، ولا يفسح مجال فرة من خير وشر ، بل يجازى عليه في الدنيا والآخرة .

(١) سورة الممتحنة : آية ١ .

(٢) سورة الإسراء : آية ٧٦ . وهكذا ثبت في مخطوطة الأزهر (خلفك) ، ويقول أبو سبيان في البحر المحيط ٦ / ٦٦ : « وثرا الأعراف وابن حابر وسفن (خلفك) ، وبقي السبعة (خلفك) والمضى واحد » .

(٣) أى : إيجابا عليهم .

(٤) عبد الرحمن بن سبيان بن أبي الجون القنسى ، متوفى في التلخيص ، والبرج والتبديل لابن أبي حاتم ٢ / ٢٤٥ .

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَجِدُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولَهُ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ
وَلِجَنَّةٍ ۖ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

يقول تعالى : (أم حسبتم أن تتركوا ، أي المؤمنين أن تتركهم مهملين ، لا تختبركم بأمر يظهر فيها أهل الزم الصادق من الكاذب ؟ ولعلنا قال : (ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخلوا من دونه ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة) ، أي : بطانة ودخيلة ، بل هم في الظاهر والباطن على التصح لله ورسوله ، فاكثروا بأحد القسمين من الآخر ، كما قال الشاعر :

وَمَا أَدْرَى إِذَا يَمَسَّتْ لِرُحَايَا لَوْدِ الْحَبْرِ أَيْهَمَا يَكْبِتُ

وقد قال الله تعالى في الآية الأخرى : (أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ؟ ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين (١)) ، وقال تعالى : (أم حسب أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين (٢)) وقال تعالى : (ما كان الله ليلو المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ، وما كان الله ليعطكم على التيب (٣)) . . . الآية :

والحاصل أنه تعالى لما شرع الجهاد لقيامه ، بين أن له فيه حكمة ، وهو اختبار عبيده : مَنْ يُطِيعُهُ مَتَى بِعَصِيهِ ، وهو تعالى العالم بآكان وما يكون ، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون ؟ فيعلم الشيء قبل كونه ، ومع كونه على ما هو عليه ، لا إله إلا هو ، ولا وب سواه ، ولا راد لما قدره وأفضاه :

مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفَرِ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ خَالِدُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّمَا يُعَمَّرُ مَسْجِدُ اللَّهِ مِنْ ءَامِنٍ بِإِذْنِ اللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَتَمَسَّ إِلَّا اللَّهَ فَمَسَّكَ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٣﴾

يقول تعالى : ما ينبغي للمشركين بالله أن يعمروا مسجد الله إلى بيت على اسمه وحده لا شريك له . ومن قرأ : (مسجد الله (٤)) ، فأراد به المسجد الحرام ، أشرف المساجد في الأرض ، الذي بُني من أول يوم على عبادة الله وحده لا شريك له : وأسس خليل الرحمن هذا ، وهم شاهدون على أنفسهم بالكفر ، أي : يعلمون وقائلهم (٥) ، كما قال

(١) سورة التكاوت ، آية : ٢ ، ٣ .

(٢) سورة آل عمران ، آية : ١٤٢ .

(٣) سورة آل عمران ، آية ١٧٩ .

(٤) قال الطبري ١٤ ٪ ١٦٦ : « وقرأ ذلك بعض للكنين واليسريين : (مسجد الله) ، على التوحيد ، يعني المسجد الحرام » .

(٥) تألم : قوله .

السدى : لو سألت النصراني : ما دينك ؟ فقال : نصراني - واليهودي : ما دينك ؟ فقال : يهودي - والصائفي : فقال : صائفي - والمشركي : فقال : مشرك (١) .

(أولئك حبيبت أفعالهم) ، أي : بشركهم ، (وفى الثار هم خالدون) ، كما قال تعالى : (وما لهم ألا يعلمهم الله وهم يصلون عن المسجد الحرام ، وما كانوا أوليائه إن أوليائه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون (٢)) ، ولهذا قال : (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) ، فشهد تعالى بالإيمان لعمار المسجد ، كما قال الإمام أحمد :

حدثنا سريج ، حدثنا ابن وهب ، عن عمرو بن الحارث : أن دراجاً أبا السمع حدثه ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد ، فاشهدوا له بالإيمان» قال الله تعالى : (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر (٣)) .

ورواه الترمذي (٤) ، وابن مردويه ، والحاكم في مستدركه من حديث عبد الله بن وهب (٥) ، به .

وقال عبد بن حميد في مسنده : حدثنا يونس بن محمد ، حدثنا صالح المزني ، عن ثابت البناني ، عن ميمون ابن مسيبة ، وجعفر بن زيد ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إنما عمار المساجد أهل الله» .

ورواه الحافظ أبو بكر البزار ، عن عبد الواحد بن غياث ، عن صالح بن بشر المري ، عن ثابت ، عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إنما عمار المساجد هم أهل الله» . ثم قال : لا نعلم رواه عن ثابت غير صالح . وقد روى البارقي في الأفراد من طريق حكامه بنت حشان بن دينار ، عن أبيه مالك بن دينار ، عن أنس مرفوعاً : «إذا أراد الله بقوم عاعة ، نظر إلى أهل المساجد ، فصرف عنهم» . ثم قال : فريب .

وروى الحافظ البهائي في المستقصى ، عن أبيه يستدعي إلى أبي أمية الطرسوسي : حدثنا منصور بن صمير ، حدثنا صالح المري ، عن ثابت ، عن أنس مرفوعاً : «يقول الله : عز وجل : «إني لأهمل بأهل الأرض عذاباً ، فإذا نظرت إلى صمير يبرق وإلى المحابين في» ، وإلى المستغفرين بالأصهار ، صرفت ذلك عنهم» . ثم قال ابن عساكر : حديث فريب .

وقال الإمام أحمد : حدثنا روح ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، حدثنا العلاء بن زياد ، عن معاذ بن جبل : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «إن الشيطان ذئب الإنسان ، كلب الفم يأخذ الشاة القاصية والتاحية ، فأياكم والشعاب (٦)» ، وعليكم الجماعة والمامة والمسجد (٧)» .

(١) تفسير الطبري ، الآث ١٦٥٥٢ و ١٦٥٥٤ و ١٤ / ١٦٥ و ١٦٦ .

(٢) سورة الأنفال ، آية ٣٤ .

(٣) مسند الإمام أحمد : ٢ / ٦٨ ، ورواه الإمام أحمد أيضاً عن حسين ، عن ابن طيبة ، عن دارج ، السند : ٣ / ٧٦ .

(٤) تحفة الأحوي ، تفسير سورة التوبة ، الحديث ٥٠٩٠ و ٥٠٩١ : ٨ / ٤٩٠ و ٤٩١ . وقال الترمذي : «هذا حديث حسن فريب ، وأبو الهيثم اسمه : سليمان بن عمرو بن عبد التتواري ، وكان يتيماً في حجر أبي سعيد الخدري» .

(٥) للمتشرك ، تفسير سورة التوبة : ٢ / ٣٣٢ .

(٦) ملا كتيبة عن الاثر والاختلاف . والشعاب - ويكسر الشين - جمع شيب : وهو ما ألتزج بين جبلين .

(٧) مسند الإمام أحمد : ٥ / ٢٣٢ و ٢٣٣ ، ورواه الإمام أحمد من وجه آخر ، ينظر المسند أيضاً : ٥ / ٢٤٣ .

وقال عبد الرزاق ، عن معمر ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون الأودي قال : أحركت أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهم يقولون : إن المساجد بيوت الله في الأرض ، وإنه من على الله أن يكرم من ذكره فيها .

وقال للمسعودي ، عن حبيب بن أبي ثابت وعدي بن ثابت ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : من سمع النداء بالصلاة لم يجب وبأى للمسجد ويصلي ، فلا صلاة له ، وقد عصى الله ورسوله ، قال الله تعالى : (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) ... الآية . رواه ابن مردويه .

وقد روي مرفوعاً من وجه آخر ، وله شواهد من وجه آخر ليس هذا موضع بسطها ،

قوله : (وأقام الصلاة) ، أي : هي أكبر عبادات اليدين ، (وآتى الزكاة) ، أي : التي هي أفضل الأعمال المتعدية إلى بر الخلق ، (ولم يخش إلا الله) ، أي : ولم يخف إلا من الله تعالى ، ولم يخش سواه ، (فمضى أولئك أن يكونوا من المهملين) ،

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله : (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) ، يقول : من وحّد الله ، وآمن باليوم الآخر . يقول : من آمن بما أتول الله ، (وأقام الصلاة) ، يعني الصلوات الخمس ، (ولم يخش إلا الله) ، يقول : لم يعبد إلا الله - ثم قال : (فمضى أولئك) ، يقول : إن أولئك هم المفلحون ، كتوله لئيبه صلى الله عليه وسلم : (عسى أن يخط ربك مقاماً محموداً) ، [يقول : إن ربك سيملك مقاماً محموداً] وهي الشفاعة ، وكل عصى في القرآن فهي واجبة (١) .

وقال محمد بن إسحاق بن يسار رحمه الله : وعصى « من الله حق » (٢) .

• أَجَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَحِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَنَّهُدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .
لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَابُرُوا وَجَنَّهُدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ
وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمَ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿١٦﴾ يَسْتَرْهُمْ رَبُّهُمْ رَحْمَةً مِنْهُ وَضَوْؤُهُمْ وَجَّهَتْ لَهُمْ
فِيهَا نِعَمٌ مُقْبِيَةٌ ﴿١٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٨﴾

قال العوفي في تفسيره ، عن ابن عباس في تفسير هذه الآية ، قال : إن للمشركين قالوا : حمارة بيت الله ، وقيام على السقاية ، خبر عن آمن وجاهد ، وكانوا يضرخون بالحرم ويستكبرون به من أجل أنهم أهله وعُمره ، فلذكر الله استكبارهم وإعراضهم ، فقال لأهل الحرم من المشركين : (قد كانت آياتي تلي عليكم فكأنكم حل أعضائكم تنكسون . مستكبرين به سامراً تهجرون) ، يعني أنهم كانوا يستكبرون بالحرم - قال : (به سامراً) ، كانوا يسمرزون به ،

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٥٥٥ : ١٤ / ١٦٧ : ١٦٨ ، وما بين القوسين مقتطع من ضلوة الأثر .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٥٥٦ : ١٤ / ١٦٨ .

ويهجرون القرآن والتي صلى الله عليه وسلم . فاختير الله الإيمان والجهاد مع نبي الله صلى الله عليه وسلم ، حل حارة للمشركين البيت وقيامهم على العقابة . ولم يكن يفهم عند الله مع الشرك به أن^(١) كانوا يعمرون بيته ويغلمونه^(٢) . قال الله : (لا يستون عند الله والله لا يهدي القوم الظالين) ، يعني : الذين زعموا أنهم أهل العبادة ، فسام الله ظالين ، يشركهم ، فلم تُغن عنهم العبادة شيئاً^(٣) .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، في تفسير هذه الآية ، قال : قولت في العباس بن عبد المطلب حين أسر يوم بدر^(٤) ، قال : لئن كنتم سبقتونا بالإسلام والمجرة والجهاد ، لقد كنا نمر المسجد الحرام ، ونسقي [الحاج]^(٥) وذلك الباني ، قال الله عز وجل : (ليجلم سقاية الحاج) إلى قوله : (والله لا يهدي القوم الظالين) ، يعني أن ذلك كان في الشرك ، ولا أكمل ما كان في الشرك^(٦) .

وقال الفصحاك بن مزاحم ، أنبل المسلمون على العباس وأصحابه ، الذين أسروا يوم بدر ، يعيرونهم بالشرك ، قال العبّاس : أما والله لقد كنا نمر للمسجد الحرام ، ونفك الباني ، ونحج البيت ، ونسقي الحاج ، فأترك الله : (ليجلم سقاية الحاج)^(٧) :: الآية :

وقال عبد الرزاق : أنبأنا ابن حبان ، عن إسماعيل ، عن الشعبي قال : قولت في علي ، والعباس رضي الله عنهما ، تكلمنا في ذلك^(٨) ،

وقال ابن جرير وحشي يونس ، أنبأنا ابن وهب^(٩) ، [أنبأنا] عن أبي صخر قال : سمعت محمد بن كعب القرظي يقول : أنبأ طلحة بن شبيب عن أبي عبد الله ، وعباس بن عبد المطلب ، وحل في أبي طالب ، قال طلحة : أنا صاحب البيت ، معي مفتاحه ، ولو أشاء بعت فيه : وقال العبّاس : أنا صاحب السقاية والقيام عليها ، ولو أشاء بعت في المسجد ، فقال علي رضي الله عنه : ما أرى ما قولان ، لقد صليت إلى القبلة ستة أشهر قبل الناس ، وأنا صاحب الجهاد ، فأترك الله عز وجل : (ليجلم سقاية الحاج)^(١٠) :: الآية كلها^(١١) ،

(١) في المطبوعة : « وإن كانوا » . ولكتبت من تفسير الطبري .

(٢) في المطبوعة : « ويعمرونه » . ولكتبت من تفسير الطبري ، والله الموفق .

(٣) الله للمفسر عن ابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم : ٢١٨ / ٣ .

(٤) في المطبوعة : « يوم بدر » . ولكتبت من الله للمفسر وتفسير الطبري .

(٥) ما بين القوسين من المرجعين السابقين .

(٦) تفسير الطبري ، الأثر ١٩٥٥٨ : ١٤ / ١٦٩ : ١٧٠ . والله للمفسر : ٢١٨ / ٣ .

(٧) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٥٦٦ : ١٤ / ١٧٢ .

(٨) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٥٦٢ : ١٤ / ١٧١ .

(٩) في تفسير ابن كثير : « أنبأنا ابن وهب » ، أنبأنا ابن خزيمة ، عن أبي صخر ، ولكتبت من تفسير الطبري . وفي

التهذيب أن عبد الله بن وهب يروي عن حبيب بن زياد أبي صخر أن أبا ، ينظر التهذيب : ٤١ / ٣ .

(١٠) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٥٦٢ : ١٤ / ١٧١ .

وهكذا قال السدي ، إلا أنه قال : اقتصر على ، والعباس ، وشيبة بن عثمان : وذكر نحوه^(١) :

وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، عن عمرو ، عن الحسن قال : تزلت في حلي ، وعباس ، وحسان ، وشيبة ، تكلموا في ذلك ، فقال العباس : ما أراي إلا تترك سقايتنا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أقيموا على سقايتكم ، فإن لكم فيها خير^(٢) .

ورواه محمد بن نويرة ، عن معمر ، عن الحسن فقد ذكر نحوه^(٣) :

وقد ورد في تفسير هذه الآية حديث مرفوع ، فلا بد من ذكره هاهنا ، قال عبد الرزاق :

أخبرنا معمر ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن الثعلبان بن بشير رضى الله عنه أن رجلاً قال : ما أبالي أن لا أعمل عملاً من الأعمال ، إلا أن أسقى الحاج . وقال آخر : ما أبالي أن لا أعمل عملاً من الإسلام ، إلا أن أعمل عبد الإسلام ، إلا أن أعمل المسجد الحرام . وقاله آخر : الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلتم . فخرجهم عمر رضى الله عنه وقال : لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم - وذلك يوم الجمعة - ولكن إذا صليت الجمعة دخلت عليه : فترلت : (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام) إلى قوله : (لا يستويون عند الله)^(٤) :

طريق أخرى ، قال الوليد بن مسلم : حدثني معاوية بن سلام ، عن جده أبي سلام الأسود ، عن الثعلبان بن بشير الأصمري قال : كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه ، فقال رجل منهم : ما أبالي أن لا أعمل لله عملاً من الإسلام إلا أن أسقى الحاج . وقال آخر : بل عمارة المسجد الحرام : وقال آخر : بل الجهاد في سبيل الله خير مما قلتم . فخرجهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وقال : لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم - وذلك يوم الجمعة - ولكن إذا صليت الجمعة دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستغثت به . قال : فقل ، فأتوا الله عز وجل : (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام) إلى قوله : (ولا يستويون القوم الظالمين)^(٥) .

رواه مسلم في صحيحه^(٦) ، وأبو داود - وابن جرير وهذا نسخة - وابن مردويه ، وابن أبي حاتم في تفسيرهم ،

وابن حبان في صحيحه .

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٥٦٥ : ١٤ % ١٧٢ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٥٦١ : ١٤ % ١٧١ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٥٦٤ : ١٤ % ١٧١ : ١٧٢ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٥٦٥ : ١٤ % ١٧٠ : ١٧١ .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٥٥٧ : ١٤ % ١٦٩ .

(٦) صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب فضل التباعد في سبيل الله : ٦ % ٣٦ . ولم نجد في متن أبي داود ، ورواه الإمام أحمد في مسند الثعلبان بن بشير ، وفيه أن معاوية بن سلام يروى عن أخيه زيد بن سلام ، أنه سمع أبا سلام قال : حدثني الثعلبان بن بشير ، وذكره ، للمسنن : ٢٦٩٤ ، نقل ابن كثير عن أن الإمام أحمد رواه في مسنده بسند القليل إلى متن أبي داود ، والله أعلم .

[illegible]

أمر تعالى بحماية الكفار به ، وإن كانوا آباء أو أبناء ، ونهى عن موالاتهم إذا (استحيوا) ، أى : اختاروا الكفر على الإيمان ، وتوحد على ذلك قال تعالى : (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ، أولئك كتب في قلوبهم الإيمان ، وأبدىهم بروح منه ، ويدخلهم جنتن تجري من تحتها الأنهار) (١) ... الآية :

وروى الحافظ البيهقي من حديث عبد الله بن شاذب قال : جعل أبو أبي عبيدة بن الجراح يمت له الأكلة يوم بدر ، وجعل أبو عبيدة يحبه ، ، فلما أكر الجراح قصده ابنه أبو عبيدة فقتله ، فأزل الله فيه هذه الآية : (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر) : هذه الآية .

ثم أمر علي رسولهُ أن يوحِد من أكرَ أهلِهِ وقرباه وعشيرته حلَّ اللهَ وعلى رسولهِ وجهاد في سبيلهِ ، فقال : (قل : إن كان آباءُكم وأبناؤُكم وإخوانُكم وأزواجُكم وعشيرتُكم وأموالُ اقربائِكم) ، أى : اكسبتموها وحصلتموها (وبجارةٌ مخفونَ كسادها ومسكنَ ترضونها) ، أى : تحبونها لطيفها وحسناً ، أى : إن كانت مله الأشياء (أحبه) إليكم من الله ورسولهِ وجهاد في سبيلهِ فريضاً) ، أى : فاقبلوها ماذا يحل بكم من عقابه ونكاله بكم ، ولهذا قال : (حتى يأتي الله بامرهِ ، والله لا يهدي القومَ الظالمين) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا ابن هبة ، عن زهراء بن سعيد ، عن جده قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو أخذ بيد عمر بن الخطاب ، قال : والله لأنت يا رسول الله أحب إليّ من كل شيء إلا من نفسي . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا (٢) . يؤمن أحكمكم حتى أكون أحب إليه من نفسه . فقال عمر : فانت الآن والله أحب إليّ من نفسي . فقال رسول الله : الآن يا عمر (٣) .

افرد باخرجه البخاری ، فرواه عن يحيى بن سليمان ، عن ابن وهب ، عن حبيبة بن شريح ، عن أبي عمير ،
 زهرة بن مقبل ، أنه سمع جده عبد الله بن هشام ، عن أبي صلي الله عليه وسلم (هـ^٤) ،

(١) سورة المجادلة ، آية : ٢٢ .

(٢) لفظ المست : هو الذي نفسى يده ، لا يؤمن ...

(۳) مسند الإمام أحمد : ۴ / ۳۳۶ .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب الإيمان والنور ، باب « كيف كان بين الذي صلى الله عليه وسلم : ٨٠ : ١٦١ .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا وهيب بن جرير ، حدثنا أبي ، سمعت يونس يحدث عن الزهري ، عن حبيد الله ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خير الصحابة أربعة ، وخير السرايا أربعة » ، وخير الجيوش أربعة آلاف ، وإن (١) تطلب اثنا عشر ألفاً من (٢) .

وهكذا رواه أبو داود (٣) ، والترمذي ، ثم قال : « هذا حديث حسن غريب ، لا يستند كبير أحد غير جرير بن حازم ، وإنما روى عن الزهري ، عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسل » .

وقد رواه ابن ماجه (٤) ، والبيهقي وغيره ، عن أكرم بن الجثون ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بنحوه : والله أعلم .

وقد كانت وقعة « حنين » بعد فتح مكة في شوال سنة ثمان من الهجرة ، وذلك لما فرغ عليه السلام من فتح مكة ، وتهدت أمورها ، وأسلم عامة أهلها ، وأطلقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبلغه أن هوزان جمعوا له لبقاظه ، وأن أميرهم مالك بن عوف النخعي ، ومعه ثقيف بكلمها ، وبنو جشم وبنو سعد بن بكر ، وأوزاع (٥) من بني هلال ، وهم قليل ، وناس من بني عمرو بن عامر ، وعوف بن عامر ، وقد أتوا معهم النساء والولدان والشاة والتمسم ، وجاموا يقتسمهم يقتضيهم (٦) . فخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في جيشه الذي جاء معه للفتح ، وهو عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار وقبائل العرب ، ومعه الذين أسلموا من أهل مكة ، وهم الطلقاء في اثنين أيضا ، فسار بهم إلى العدو . فالتقوا بواد بين مكة والطائف يقال له « حنين » ، فكانت فيه الوقعة في أول النهار في غكس الصباح ، انحسروا في الوادي وقد كنت فيه هوزان ، فلما تواجها لم يشر المسلمون لإجم قد ثاروهم (٧) ، ورشقوا بالنبال ، وأصلوا السيوف ، وحملوا حملة رجل واحد ، كما أمرهم ملكهم . فقد ذلك ولي المسلمون مدبرين ، كما قال الله عز وجل ، وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو راكب يومئذ يفتك الشهباء يسوقها إلى بحر العدو ، والعباس معه أخذ بركابها الأيمن ، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب أخذ بركابها الأيسر ، يتقلانها لتلا تسرع السير ، وهو يذره باسمه عليه الصلاة والسلام ، ويدهو للمسلمين إلى الرجعة : أين يا عباد الله ؟ إلى أنا رسول الله . ويقول في تلك الحال :

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

وثبت معه من أصحابه قريب من مائة ، ومنهم من قال : ثمانون ، فنهزم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، والعباس وعلي ، والفضل بن عباس ، وأبو سفيان بن الحارث ، وأيمن بن أم أيمن ، وأسامة بن زيد ، وغيرهم ، رضي الله عنهم ثم أمر صلى الله عليه وسلم به العباس - وكان جهر الصوت - أن ينادي بأعلى صوته : يا أصحاب الشجرة - يعني شجرة بكة الرضوان - التي يابيه المسلمون من المهاجرين والأنصار تحتها ، على أن لا يفروا عنه - فجعل ينادي بهم : يا أصحاب

(١) لفظ المست : « ولا يطلب اثنا عشر ... » .

(٢) سنة الإمام أسد : ١ / ٢٩٤ ، ويعتبر أيضا : ١ / ٢٩٩ .

(٣) سنن أبي داود ، كتاب الجهاد ، باب « ما جاء في السرايا » ، الحديث ١٥٩٧ : ٥ / ١٦٥ ، ١٦٦ .

(٤) سنن ابن ماجه ، كتاب الجهاد ، باب « السرايا » ، الحديث ٢٨٢٧ : ٢ / ٩٤٤ .

(٥) الأوزاع : الفرقة من الناس .

(٦) جامعا قسمهم يقتضيهم : أي يأجسمهم .

(٧) المتفردة : المواتية .

السُّمْرَةُ ، (١) ويقول تارة : يا أصحاب سورة البقرة ، فاجعلوا يقولون : يالْيَك ، يالْيَك ، وانطلقت الناس فجعلوا يرجعون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إن الرجل منهم إذا لم يتطوَّعه بغيره على الرجوع ، ليس دَرعُه ثم الجهر عنه ، وأرسله ، ورجع بنفسه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رجعت شُرْكةُ منهم ، أمرهم عليه السلام أن يصعدوا الحِمْيَةَ ، وأخذ قبضة من التراب بيد يادعاه به واستنصره ، وقال : اللهم أنجز لي ما وعدتني ، ثم رأى القوم بها ، فابقى إسان منهم إلا أصابعه منها في عينه وفيه ما شمله من القتل ، ثم انهزموا ، فأنجى المسلمون أقدامهم يقتلون ويأسرون ، وما تراجع بقية الناس إلا والأسارى مُجَدَّكَ (٢) بن يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، أخبرنا يعل بن عطاء ، عن عبد الله بن يسار أن همام بن أبي عبد الرحمن الهجري - واسمه يزيد بن أسيد ، وقال : يزيد بن أنيس ، وقال : كُرُز - قال : كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في خرو حنين ، فسرنا في يوم فأنظ شديد الحر ، فزلنا تحت ظلال الشجر ، فلما زالت الشمس لبست لأكتي وركبت فرسي ، فانطلقت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في فسطاطه ، قلت : السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله ، حان والرواح : فقال : أجل : فقال : يا بلال : فثار (٣) من تحت صمركم كأن ظله ظل طائر ، فقال : ليك وسعديك ، وأنا فداؤك : قال : أمرج في فرسي : فأنخرج صرَجًا دفنناه من لبت ، ليس فيها أشتر ولا يطر .

قال : فأخرج ، فركب وركبت ، فصاقتهم عشيتا وليلتا ، فشامت (٤) الخيلان ، فرى المسلمون منبرين ، كما قال الله عز وجل : (ثم وليتم مبرين) : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا جاد الله ، أنا جاد الله ورسول ، لم قال : يا معشر المهاجرين ، أنا جاد الله ورسوله - قال : ثم أقصم رسول الله صلى الله عليه وسلم من فرسه ، فأخذ كفا من تراب ، فأخبرني الذي كان أحق إليه مني : أنه ضرب به وجههم ، وقال : شامت الوجوه ، فمزهمهم الله عز وجل قال يعل بن عطاء : فحدثني أبناؤهم ، عن آبائهم ، أنهم قالوا : لم يبق منا أحد إلا امتلأت عيناه دموع ترابا ، وسمعتا صرَجَةً بين السماء والأرض ، كإمرار الحديد على الطحنت الجليد (٥) .

وهكذا رواه الحافظ البيهقي في دلائل النبوة : من حديث أبي داود اللخمي ، عن حماد بن سلمة ، به ، وقال محمد بن إسحاق : حدثني حاصم بن عمر بن قنادة ، عن عبد الرحمن بن جابر ، عن أبيه جابر بن عبد الله قال : فخرج مالك بن حوثة بن معة إلى حنين ، فسبق رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه ، فأعدوا ونهشوا في مضائق الروابي وأحناها ، وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، حتى انحط بهم الروابي في حِمَايَةِ (٦) الصبح ، فلما انحط الناس ثارت في وجوههم الخيل ، فاشدعت عليهم ، وانكفأ الناس منهزمين ، لا يقبل أحد على أحد ، وانحاز رسول الله

(١) السمره - وهم ألم - من شهر البعلج .

(٢) كُرُز - يضيف السين - أي دميته وصرجه .

(٣) أي : ظهر من تحت شجرة . وقوله : كأن ظله ظل طائر ، كناية عن نزوله في إجابة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم إليه .

(٤) شامت : تقاربت . والخيلان : جمع خال ، وهو : الجهر النسيم .

(٥) سمعت الإمام أسد : ٥ : ٢٨٦ .

(٦) أي : ناله قبل أن يفتن .

صلى الله عليه وسلم ذات اليمين يقول : أيها الناس ، علموا إلى أنا رسول الله ، أنا رسول الله : أنا محمد بن عبد الله : فلا شئ ، وركبت الإبل بعضها بعضاً ، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الناس قال : يا عباس ، اصرخ : يا معشر الأنصار ، يا أصحاب السمرات : فاجابوه : ليك ، ليك ، فجعل الرجل يلعب ليطف بغيره ، فلا يقدر على ذلك ، فقلعت دوحه في عنقه ، ويأخذ سيفه وقوسه ، ثم يؤتم الصوت ، حتى اجتمع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم مائة ، فاستعرض الناس فالتفتوا ، وكانت الدعوة أول ما كانت بالأنصار ، ثم جعلت آخر بالخزرج (١) ، وكانوا صبراً عند الحرب ، وأشرفت رسول الله صلى الله عليه وسلم في ركابه ، فنظر إلى مُجَنَّد (٢) القوم ، فقال : الآن حمى للوطيس (٣) - قال : هو الله ما رآه الناس إلا والأسارى عند رسول الله ملقون ، فقتل الله منهم من قتل ، وانهمز منهم من انهمز ، وألف الله على رسولهم أموالهم وأبنائهم (٤) :

وفي الصحيحين من حديث شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن البراء بن عازب رضى الله عنهما أنه قال له رجل : يا أبا حمزة ، لما ردت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين ، فقال : لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يضر ، إن هوازن كانوا قوماً رُماة ، فلما قُتِلَناهم وحَمَلنا عليهم انهمزوا ، فأقبل الناس على القتلى ، فاستقبلونا بالسهم ، فأنهمز الناس ، فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبوسفيان بن الحارث أخذ يلجأهم بقلة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء ، وهو يقول :

أنا التي لا كلية أنا ابن عبد المطلب (٥)

قلت : وهذا في غاية ما يكون من الشجاعة التامة ، إنه في مثل هذا اليوم في حَيَمَةِ الوعى وقد اكتشف عنه جيشه ، وهو مع ذلك على بقلة وليس سرية الجري ، ولا تصلح لكر ولا لفر ولا لحرب ، وهو مع هذا أيضاً يركضها إلى وجوههم وينته باسمه ليرى من لم يعرفه ، صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين ، وما هذا كله إلا قوة بالله ، وتوكل عليه ، وعلماً منه بأنه سينصره ، ويتم ما أرسله به ، ويظهر دينه على سائر الأديان ، ولهذا قال تعالى : (ثم أنزل الله سكينته على رسوله) ، أي : طمأنينته وثباته على رسوله ، (وعلى المؤمنين) ، أي : الذين معه ، (وأنزل جنوداً لم تروها) ، وهم الملائكة ، كما قال الإمام أبو جعفر بن جرير :

[حدثنا القاسم قال (٦) حدثني الحسن بن عرفة قال : حدثني المتحر بن سليمان ، عن حوف - هو ابن أبي جميلة الأحرابي - قال : سمعت عبد الرحمن بن مولى ابن بُرْثَن ، حدثني رجل كان من المشركين يوم حنين قال : يا أبا القتيبة نحن

(١) لفظ سيرة ابن هشام : « وكانت الدعوة أول ما كانت : يا للأنصار . ثم خلصت أميرا : يا للخزرج » .

(٢) مجلة القدم : مكان يلجأهم بالسيف ، وهو حيث تكون المركة .

(٣) الوطيس : شبه القنور ، وقيل : هو الضراب في الحرب ، وقيل : هو الوطء الذي يطس الناس ، أي : يهضم . وقال الأصمسي : هو حجارة ملقوة إذا حيت لم يقدر أحد يطرحها . ولم يسمع هذا الكلام من أحد قبل النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو من فصيح الكلام ، جري به عن اشتباك الحرب وقتيلها على ساق .

(٤) ينظر سيرة ابن هشام : ٢ / ٤٤٢ - ٤٤٥ .

(٥) البخاري ، كتاب الجهاد ، باب : من نادى غيره في الحرب : ٤ / ٣٧ ، ومسلم ، كتاب الجهاد أيضا ، باب :

في فزوة حنين : ٥ / ١٦٧ - ١٦٨ .

(٦) ما بين القوسين من تفسير الطبري .

وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين ، لم يقوموا لنا بحلب شاة (١) - قال : فلما كشفناهم جعلنا نمرؤهم في أنارهم ، حتى انتهينا إلى صاحب البئلة يضيء ، فإذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال : فلقطنا عنده رجال يبيض حسان الوجوه ، فقالوا لنا : شامت الوجوه ، أوجعوا : قال : فأنزمتا ، وركبوا أكفاننا ، فكانت إياها :

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثني محمد بن أحمد بن يثاوية ، حدثنا إسحاق بن الحسن الحرابي ، حدثنا عفان بن مسلم ، حدثنا عبد الواحد بن زياد ، حدثنا الحارث بن حصيرة ، حدثنا القاسم بن عبد الرحمن ، عن أبيه قال : قال ابن مسعود رضي الله عنه : كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين ، فولى عنه الناس ، وبقيت معه في ثمانين رجلاً من المهاجرين والأنصار (٢) ، فلعننا ولم نولم الدبر ، وهم الذين أنزل الله عليهم المكينة - قال : ورسول الله صلى الله عليه وسلم حل بقلته بغضى فُدُما ، فحادثت بقلته ، فقل عن السرج (٣) ، فقلت : ارتفع رعلك الله : قال : ناولني كفاً من الراب . فتأولته ، قال : فضرب به وجوههم ، فامتلأت أعينهم تراباً ، قال : أين المهاجرون والأنصار ؟ قلت : هم هناك . قال : اهتف بهم . فاهتفت بهم ، فاجاموا وسروا بهم بأيمانهم ، كأنها الشهب ، وولى المشركون أديارهم :

ورواه الإمام أحمد في مسنده عن عفان ، به نحوه .

وقال الوليد بن مسلم : حدثني عبد الله بن المبارك ، عن أبي بكر الهكيلي ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، عن شبة ابن عثمان قال : لما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين قد عرى (٤) ، ذكرت أبي وعني وقتل على وحمة إياها ، فقلت : اليوم أدرك ثأري به - قال : فلحبت لأجبه من بينه ، فإذا أنا بالعباس بن عبد المطلب قائماً ، عليه درع يضاء كأنها فضة ، يكشف عنها الصجاج ، فقلت : حسه ولن نخله - قال : فجسه من يساره ، فإذا أنا بأبي سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب ، فقلت : ابن عمه ولن نخله : فجسه من خلفه ، فلم يبق إلا أن أسورة (٥) سورة بالسيف ، إذ رفع لي شواظ من نار بيني وبينه ، كأنه يرق ، فخفضت أن تسمعني (٦) ، فوضعت يدي على بصرى ومشيت القهقري ، فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : يا شيبه ، يا شيب ، أين مني ، اللهم أذهب عنه الشيطان - قال : فرطت إليه بصرى ، ولو أحب إلى من سمى وبصرى ، قال : يا شيبه ، قاتل الكفار (٧) .

رواه البيهقي من حديث الوليد ، فذكره ، ثم روى من حديث أيوب بن جابر ، عن صدقة بن سعيد ، عن مصعب ابن شبة عن أبيه قال : خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين ، والله ما أخرجني إسلام ولا معرفة به ،

(١) أي : لم يقوموا لنا فحلب شاة .

(٢) بيده في دلائل أنبئة البيهقي ، المطبوعة رقم ٢١٧ دار الكتب ٦ / ١١١ : وفكنا حل أهلنا نحرأ من ثمانين نسا .

(٣) بيده في الدلائل : وفكنا نحوه .

(٤) أي : انفض عنه الناس .

(٥) أي : ارتفع إليه وأكفاه . وقد ضبط في مطبوعة الدلائل بنسخ الحزمة ونعم الحسين .

(٦) عشته النار : أحرته .

(٧) الدلائل ، الجزء السادس ، ورقة : ١١٣ .

ولكني (١) أبيت أن تظهر هوازن على فريش ، قتل وأنا واقف معه : يا رسول الله ، إنى أرى خيلاً بكُفًا ، فقال : يا شية ، إنه لا يراها إلا كافر : ف ضرب يده في صبرى ، ثم قال : اللهم اهد شية ، ثم ضربها الثانية ، ثم قال : اللهم اهد شية ، ثم ضربها الثالثة ، ثم قال : اللهم اهد شية - قال : فوالله ما دفع يده من صبرى في الثالثة حتى ما كان أحد من خلق الله أحب إلى منه : وذكر تمام الحديث ، في التفاء الناس وانهمزم المسلمين ونداء العباس واستنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى هزم الله للمشركين (٢) :

قال محمد بن إسحاق : حدثني والدي إسحاق بن يسار ، عن حماد بن عمار ، عن جابر بن مطعم رضى الله عنه قال : إن الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين ، والناس يقتلون ، إذ نظرت إلى مثل البجاد (٣) الأسود بهوى من السماء ، حتى وقع بيننا وبين القوم ، فإذا نمل متور (٤) قد ملأ الوادى ، فلم يكن إلا هزيمة القوم ، فاكنا نملك أنها للملائكة (٥) .

وقال سعيد بن السائب بن يسار ، عن أبيه قال : سمعت يزيد بن حمار السواقى - وكان شهد حنيناً مع المشركين ثم أسلم بعد - فكانت ناله من الرب الذى ألقى الله في قلوب المشركين يوم حنين ، فكان يأخذ الحصاة فى يده فى الطست فىطن ، فيقول : كنا نجد أجوافاً مثل هذا (٦) .

وقد تقدم له شاهد من حديث يزيد بن أبي أسيد ، فوالله أعلم .

وفي صحيح مسلم ، عن محمد بن رافع ، عن عبد الرزاق ، أنبأنا معمر ، عن حماد قال : هذا ما حدثنا أبو هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نصرت بالرب ، وأوتيت جوامع الكلم (٧) .

ولما قال تعالى : (ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ، وأنزل جنوداً لم تروها ، وحلب الذين كفروا ، وذلك جزاء الكافرين) :

وقوله : (ثم ينزل الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم) ، قد تاب الله على بقية هوازن ، وأسلموا وقدموا عليه مسلمين ، ولحقوه وقد قارب مكة عند الجعرانة ، وذلك بعد القصة بقرى من عشرين يوماً ، فعند ذلك خيبرهم بين سبعين وبين أموالهم ، فاختاروا مدينتهم ، وكانوا ستة آلاف أسير ما بين صبي وامرأة ، فرده عليهم ، وقسم أموالهم بين الغنائم ، ونقل أناساً من الطلقاء ليتألف قلوبهم على الإسلام ، فأعطاهم مائة مائة من الإبل ، وكان من جملة من أعطى مائة مالك بن عوف الثقفى ، واستعمله على قومه كما كان ، فامتدحه بقصيدته إلى يقول فيها :

(١) في اللغات : « ولكنى أنته » .

(٢) الدلائل ، الجزء السادس ورقة : ١١٤ .

(٣) البجاد : الكبد .

(٤) في سيرة ابن هشام : « فإذا نمل ميثور » .

(٥) ينظر سيرة ابن هشام : ٢ / ٤٤٩ .

(٦) تفسير الطبرى ، الإث ١٦٥٨٦ : ١٤ / ١٨٨ .

(٧) مسلم ، كتاب المساجد : ٢ / ٦٤ ، ٦٥ .

مَا إِنْ رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ فِي النَّاسِ كُلِّهِمْ بِمِثْلِ مُحَمَّدٍ (١)
أَوْفَى وَأَعْلَى الْجَزَلِ إِذَا اجْتَلَى (٢) وَمَنْ تَشَأْ يُخْزِكْ عَصَا فِي خَدِّهِ
وَكَذَا الْكَيْفِيَّةُ حَرَدَتْ أَتْيَابُهَا بِالسَّهْمَةِ وَتَضَرَّبَ كُلُّ مِهْنَةٍ (٣)
فَكَتَّاهُ نَيْتٌ عَلَى أَفْئَالِهِ وَصَلَّى الْخِيَامَةَ عَنَادَرٌ فِي مَرْحَدٍ (٤)

يُنَادِيهِمُ اللَّهُ عَامِنًا إِنَّهُمُ الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَأُوا فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ بَعْدَ تَابِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ
يُنْفِكُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١﴾ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ
يَدَيْهِمْ وَأَنْفُسُكُمْ كَافَّةً ﴿٢﴾

أمر تعالى عباده المؤمنين الطاهرين ديناً وذاً بنى للمشركين ، اللعين هم نجس ديناً ، من المسجد الحرام ، وأن
لا يقرءوا بعد نزول هذه الآية . وكان نزولها في سنة تسع ، ولما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً عليه الصلاة والسلام
رضي الله عنهما حاضراً ، وأمره أن ينادي في للمشركين : « أَنْ لَا يَجِيعَ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ » ، ولا يطوف بالبيت عريان ،
فأتم الله ذلك ، وحكم به شرعاً وقدرأ .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا ابن جريج ، أخبرني أبو الزبير ، أنه سمع جابر بن عبد الله يقول في قوله تعالى :
(إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَأُوا فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ بَعْدَ تَابِهِمْ هَذَا) : « إِلَّا أَنْ يَكُونَ صِدْقاً » أَوْ لِحْدَةً مِنْ أَهْلِ الْكَلْبَةِ (١) .

وقد روى مرفوعاً من وجه آخر ، قال الإمام أحمد : حدثنا حُسَيْنٌ ، حدثنا شريك ، عن الأشعث - يعني
ابن سوار - عن الحسن ، عن جابر قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لَا يَدْخُلُ مَسْجِدَنَا بَعْدَ عَامِنَا هَذَا مُشْرِكٌ ،
إِلَّا أَهْلُ الْبَيْتِ وَبَعْضُهُمْ (٢) » .

فترده أحمد مرفوعاً ، والموقوف أصبح إسناداً .

وقال الإمام أبو عمرو الأوزاعي : كتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه : أَنْ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى مِنْ دُخُولِ
مَسَاجِدِ الْمُسْلِمِينَ ، وَاتَّبَعَ نَبِيَّهُ قَوْلَ اللَّهِ : (إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ) .

(١) اجتلى : طلب منه الجهرى ، وفى الطيبة .

(٢) حردت : جويت ، والسهمى : الرماح .

(٣) فى المخطوطة : « وسط المائدة » . وانجبت من سيرة ابن هشام ، وشرح السيرة للنفثي : ٤١٧ . والمائدة : القهار جود
معد لشدة الحرب ، والمائدة أيضاً : اسم موضع . والخادر : الأسد في مريته ، وهو حيث أنه ما يكون بأشأ ، كونه حل لشأه ،
يصفه - صلى الله عليه وسلم - بالقوة . والمرصد : الذى يرصد منه ويرقب .

والآيات فى سيرة ابن هشام : ٢ / ٤٩١ ، وينظر أمه للناية ، ترجمة مالك بن حوف للتصريح .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٦١ : ١٤ / ١٩٦ .

(٥) سنة الإمام أحمد : ٣ / ٣٩٢ . وفى المخطوطة : « وغنمكم » . والمكثت من لكته .

وقال عطاء : الحرم كله مسجد ، قوله تعالى : (فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا) .

ودلت هذه الآية الكريمة على نجاسة المشرك كما دلت [على طهارة المؤمن ، ولا (١)] ورد في الصحيح : « المؤمن لا ينجس (٢) » : وأما نجاسة بدنه فالجمهور على أنه ليس بنجس البدن والذات ، لأن الله تعالى أحل طعام أهل الكتاب ، وذهب بعض الظاهرية إلى نجاسة أبدانهم .

وقال أشعث ، عن الحسن : من صافهم فليترقباً . رواه ابن جرير (٣) .

وقوله : (وإن خفتم حيلة فوسف يفتنكم الله من فضله) ، قال ابن إسحاق : وذلك أن الناس قالوا : فستطعن منا الأسواق ، ولعلكن التجارة وليدعن ما كنا نصيبه فيها من المرافق ، فتركه (وإن خفتم عليه فوسف يفتنكم الله من فضله) ، من وجه غير ذلك - (إن شاء) إلى قوله (٤) : (وهم صافرون) ، أي : إن هذا حوض ماخوفهم من قطع تلك الأسواق ، فحوشهم الله بما قطع [عنهم من] أمر للشرك ، ما أعطاهم من أعتاق أهل الكتاب ، من الجزية (٥) .

وهكذا زوى من ابن عباس ، ومجاهد ، وحكمة ، وصعيد بن جبير ، وقاعدة ، والفسحاك ، وغيرهم .

(إن الله عليم) ، أي : بما يصلحكم ، (حكيم) ، أي : بما يضر به وينهى عنه ، لأنه الكامل في أنفاله وأحواله ، العادل في خلقه وأمره ، بارك وتعالى ، ولهذا حوشهم عن تلك المكاسب بأموال الجزية التي يأخذونها من أهل اللمة ، قال : (قاتلوا الذين لا يؤمنوا بالله ولا باليوم الآخر ، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ، ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب ، حتى يسطروا الجزية من يدهم صافرون) فهم في نفس الأمر لا كفروا بمحمد - صلى الله عليه وسلم - لم يبق لهم إعلان صحيح بأحد من الرسل ، ولا بما جعلوا به ، وإنما يجبرون آراءهم وأوامعهم وآهائهم فيما هم فيه ، لا لأنه شرع الله ودينه ، لأنهم لو كانوا مؤمنين بما يأمرونهم إيماناً صحيحاً ، لقادهم ذلك إلى الإيمان بمحمد - صلى الله عليه وسلم - لأن جميع الأنبياء يشروا به ، وأمروا باتباعه ، فلما جاء وكفروا به ، وهو أشرف الرسل ، حكمهم أنهم ليسوا متمسكين بشرع الأنبياء الأقدمين لأنه من عند الله ، بل لخطوطهم وأهوائهم ، فلهذا لا ينضمهم إليهم يفتية الأنبياء ، وقد كفروا يسلمهم وأفضلهم وغناهم وأكلهم ، ولهذا قال : (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ، ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب) ، وحده الآية الكريمة [نزلت] (٦) لولا الأمر بقتل أهل الكتاب ، بعد ما تمجعت أمور المشركين ودخل الناس في دين الله أفواجا [فلما استقامت] (٧) جزيرة العرب أمر الله رسوله بقتل أهل الكتابين اليهود والنصارى ، وكان ذلك في سنة تسع ، ولهذا تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) ما بين القوسين زيادة يستقيم بها النص .

(٢) البخاري ، كتاب النسل ، باب : « مرة الجنب ، وأن المسلم لا ينجس » ١ : ٧٩ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٥٩٦ : ١٤ / ١٩٢ .

(٤) في الخطوبة : « دلت فيه » . والمثبت من تفسير الطبري .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٦١٥ : ١٤ / ١٩٧ ، وما بين القوسين « . وسيرة ابن عطاء » ٢ : ٥٤٧ ، ٥٤٨ .

(٦) ما بين القوسين زيادة يستقيم بها الكلام .

(٧) مكانه في خطوبة الأثر « . واستقامت » . ومنه في خطوبة دار الكتب « ولا يستقيم النص عليه .

وسلم لقتال الروم ، ودعا الناس إلى ذلك ، وأظهره لهم ، وبعث إلى أحياء العرب حول المدينة فنبههم ، فأوحىوا (١) معه ، واجتمع من المقاتلة نحو ثلاثين ألف ، وتختلف بعض الناس من أهل المدينة ومن حولها من التابعين وغيرهم ، وكان ذلك في عام حبيب ، ووقت قيظ وحر ، وخرج عليه السلام يريد الشام لقتال الروم ، فبلغ تبوك فترجل بها وأقام على ماها قريبا من عشرين يوما ، ثم استأخر الله في الرجوع ، فرجع عامه ذلك لفريق الحال وضعف الناس ، كما سيأتي بيانه بعد إن شاء الله ،

وقد احتلّ بجله الآية الكريمة من يرى أنه لا تؤخذ الجزية إلا من أهل الكتاب ، أو من أشبههم كالغوس ، لا صح فيهم الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أدخلها من [جوس] هجر . وهذا ملحق الشافعي ، وأحمد - في المشهور عنه - وقال أبو حنيفة رحمه الله : بل تؤخذ من جميع الأعاجم ، سواء كانوا من أهل الكتاب أو من المشركين ، ولا تؤخذ من العرب إلا من أهل الكتاب .

وقال الإمام مالك : بل يجوز أن تضرب الجزية على جميع الكفار من كتابي ، وعجسي ، ووثني ، وغير ذلك ، ولأخذ هذه المذهب وذكر أهلها مكان غير هذا ، والله أعلم .

وقوله : (حتى يعطوا الجزية) أي : إن لم يسلموا ، (عن يد) أي : من غيرهم وظية ، (وهم صاغرون) أي : ذليلون حقيرون مهانون . فلهذا لا يجوز إكراه (٢) أهل اللذة ولا دفعهم على المسلمين ، بل هم أذلاء صغرة أشقياء ، كما جاء في صحيح مسلم ، عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تدموا اليهود والنصارى بالسلام ، وإذا قُتِل أحدكم في طريق فاضطروه إلى أشيقه (٣) » ، ولهذا اشترط عليهم أمير المؤمنين عن الخطاب رضى الله عنه تلك الشروط المعروفة في إكراه وتصغيرهم وتحقيرهم ، وذلك بما رواه الأئمة الحفاظ ، من رواية عبد الرحمن بن قنم الأشعري قال : كتبت لعمير بن الخطاب رضى الله عنه حين صالح نصارى من أهل الشام : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب لعبد الله عمر أمير المؤمنين من نصارى مدينة كلثا وكلثا ، إنكم لما قُتِلتم (٤) علينا سألناكم الأمان لأنفسنا وذرياتنا وأموالنا وأهل ملتنا وشرطنا لكم على أنفسنا أن لا نُحدث في مدينتنا ولا فيها حولها خيرا ولا كتيبة ، ولا قلاية (٥) ولا صومعة راسب ، ولا نجد ما خرب منها ، ولا نبي منها ما كان غلط المسلمين ، وأن لا نمنع كتابتنا أن يترها أحد من المسلمين في ليل ولا نهار ، وأن نوسع أبوابا البيرة وابن السبيل ، وأن يتر من مر بنا من المسلمين ثلاثة أيام نطمعهم ، ولا نؤوي في كتابتنا ولا منازلنا جاسوسا ، ولا نكتم غشا المسلمين ، ولا نسلّم أولادنا القراء ، ولا نظهر شركا ، ولا نصحو إليه أحدا ، ولا نمنع أحدا من ذوى قرابتنا الدخول في الإسلام إن أرادوا ، وأن نوفر للمسلمين ، وأن نقوم لهم من مجالسنا إن أرادوا الجلوس ، ولا تشبه بهم في شيء من ملابسهم ، في قلنسوة ، ولا عمامة ، ولا نعلين ، ولا فرق شعر ، ولا تكلم بكلامهم ، ولا نكتم بكتمانهم ، ولا نركب السروج ، ولا نضلد السيوف ، ولا نتخذ شيئا من السلاح ، ولا نحمله معنا ، ولا نقض

(١) أوحىوا : جاسوا أجمعين .

(٢) في اضطروا : « لا يجوز إكراه » . ولكتبت من القليبات السابقة .

(٣) سلم ، كتاب السلام ، باب : « ما في من ابتداء أهل الكتاب بالسلام » ، وكيف يرد عليهم ؟ ٧ % .

(٤) في مضطرة الأثر ودار الكتب : « إنكم قد أقتلتم علينا » . ولكتبت من القليبات السابقة .

(٥) في مستطرف تاج العروس : « وقلاية - كملية - كشيبة الصومعة » ، تكون في كتيبة للنصارى ، والجمع : القلاية .

وقد جاء ذكرها في الحديث ، وهي قلاية عنه للنصارى ، عرجه « كلاتة » ، وهي من بيوت مهادتهم .

حوائيتنا بالعربية ، ولا نبيع الخمر : وأن نجز مقادير معوناتنا ، وأن نلزم زيننا حيشاكتنا ، وأن نشد الرثايب على أوساطنا ، وأن لا نظهر الصليب على كتابتنا ، وأن لا نظهر صليتنا ولا كتبنا في شيء من طرق المسلمين ولا أسواقهم ، ولا نضرب نواقيسنا في كتابتنا إلا ضربا خفيا ، وأن لا نرفع أصواتنا بالقرعة في كتابتنا في شيء من حضرة المسلمين ، ولا نخرج شعبا ولا باعوا (١) ، ولا نرفع أصواتنا مع موتانا ، ولا نظهر التبران معهم في شيء من طرق المسلمين ولا أسواقهم ، ولا نجاورهم بموتانا ، ولا نتخذ من الرقيق ما جرى عليه سهام المسلمين ، وأن نرشد المسلمين ، ولا نطلع عليهم في منازلهم .

قال : فلما آتيت حر بالكتاب ، زاد فيه : ولا تضرب أحلامنا المسلمين ، شرطنا لكم ذلك على أنفسنا وأهل ملتنا ، وقلنا عليه الأمان ، فإن نحن خالفنا في شيء مما شرطناه لكم ووظفنا (٢) على أنفسنا ، فلامتنا لنا ، وقد حل لكم ما ما حل من أهل المائدة والشقاق ،

وَقَالَتِ الْيَهُودُ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِيهِمْ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قُلْتُمْ اللَّهُ أُنْزِلَ آيَاتُهُمْ أَنْزِلُوا أَحْبَابَهُمُ وَرَحِمَتُهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَمَا يُعْلِمُونَ إِلَّا إِلَهُمُ يُعْلِمُونَ إِنَّهَا رَحْمَةٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ

وهذا إفراء من الله تعالى للمؤمنين على قتال المشركين الكفار من اليهود والنصارى ، لقتالهم هذه المائدة الشنية ، والقرية على الله تعالى ، فلما اليهود فقالوا في المزير : « إنه ابن الله » ، تعالى عن ذلك علوا كبيرا . وذكر السدي وغيره أن القرية التي حصلت لهم في ذلك ، أن العاقبة لا غلبت على بني إسرائيل ، فقتلوا علماءهم وسبوا كبارهم ، بين المزير يعني على بني إسرائيل وذعاب العلم منهم ، حتى سقطت جفون عينيه ، فينا هو ذات يوم إذ مر على جبابته ، وإذا امرأة تكبي عند قبر وهي تقول : واسطماه ! وإكاسياه ! من كان يعلمك قبل هذا ؟ قالت : الله . قال : فإن الله حي لا يموت ! فن كان يلهم العلماء قبل بني إسرائيل ؟ قال : الله . قالت : فلم تكبي عليهم ؟ قالت : يا حزين ، عرف أنه شيء قد وُعد به . ثم قيل له : انصب إلى نهر كلما فاضل منه ، وصل هناك ركعتين ، فإنك ستلقى هناك شيئا ، فأتى أعمدك فلكه فلحقه قمل ما أمر به ، فلما شيخ فقال له : انصب لك ففتح فيه ، فألقى فيه شيئا كهيئة الجعرة العظيمة ، ثلاث مرات ، فرجع حزير وهو من أعلم الناس بالتوراة ، فقال : يا بني إسرائيل ، قد جنتكم بالتوراة ، فقالوا : يا حزين ، ما كنت كذلك ؛ فبعد فريط على أصبح من أصحابه قلما ، وكتب التوراة بأصبعه كلها ، فلما تراجع الناس من عدوهم ورجع العلماء ، أخبروا بشأن حزين ، فاستخرجوا النسخ التي كانوا أودعها في الجبال ، وقلبوها بها ، فوجدوا ما جاء به صحيحا ، فقال بعض جهلهم : إنما صنع هذا لأنه ابن الله (٣) .

(١) الباعوث : استعارة للنصارى ، وهم اسم سرياني ، وقيل : هو بالعين المسجدة ، ولفظ المقطوعة فوجها .

(٢) في مستدرج تلج الروس : وظف الشيء على نفسه وهما : أقرها لهياه .

(٣) ينظر تفسير القرطبي : الأثر ١٦٦٢٢ : ١٥ - ١٦ : ٢٠٥ - ٢٠٦ .

وأما ضلال التصاري في المسيح فظاهر ، ولهذا كذب الله سبحانه الطائفتين فقال : (ذلك قولهم بأفواههم) ، أي : لا مستند لهم فيما ادعوه سوى افتراءهم واختلاقهم ، (يضاهون) ، أي : يشابهون (قول الذين كفروا من قبل) ، أي : من قبلهم من الأمم ، ضلوا كما ضل هؤلاء ، (تأتلهن الله) — قال ابن عباس : لعنهم الله ، (أنى يؤفكون ؟) ، أي : كيف يضلون عن الحق ، وهو ظاهر ، ويصلون إلى اليأس ؟ .

(انقلوا أحبارهم وروهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم) روى الإمام أحمد ، والترمذي ، وابن جرير من طرق ، عن عدي بن حاتم رضى الله عنه : أنه لما بلغته دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ إلى الشام ، وكان قد تنصر في الجاهلية ، فأسرت أخوه وجماعة من قومه ، ثم من رسول الله صلى الله عليه وسلم حل أخوه وأعطاهما ، فرجعت إلى أمهاتها ، ورجعته في الإسلام وفي القنوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقدم عدي للمدينة ، وكان رئيساً في قومه طيء ، وأبوه حاتم الطائي المشهور بالكرم ، فحدثت الناس بقصته ، فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى عتي عدي صليب من فضة ، قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية : (انقلوا أحبارهم وروهبانهم أرباباً من دون الله) ، قال قائل : إنهم لم يبدلوه . قال : بلى ، إنهم حرموا عليهم الخلال ، وأحلوا لهم الحرام ، فاتبعهم ، فذلك حادثة إمامهم ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عدي ، ما تقول ؟ أيسرك ؟^(١) أن يقال : الله أكبر ؟ فهل تعلم شيئاً أكبر من الله ؟ ما يسرك ؟ أيسرك أن يقال : لا إله إلا الله ؟ فهل تعلم من إله إلا الله ؟ ثم دعاه إلى الإسلام فأسلم ، وشهد شهادة الحق ، قال : فلقد رأيت وجهه استبشر ثم قال : وإن اليهود مغضوب عليهم ، والنصارى ضالون^(٢) .

وهكذا قال حليقة بين البان ، وعبد الله بن عباس ، وغيرهما في تفسير : (انقلوا أحبارهم وروهبانهم أرباباً من دون الله) : إنهم اتبعهم فيما حللوا وحرموا .

وقال السدي : استنصحو الرجال ، وتركوا كتاب الله وولاه ظهورهم .

ولما قال تعالى : (وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً) ، أي : الذي إننا حرم الشيء فهو الحرام ، وما حله حل .

وما شرعه أتبع ، وما حكم به فقد .

(لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون) ، أي : تعالى وتقدس وتزه عن الشركاء والظن والاعتناء

والأولاد ، لا إله إلا هو ، ولا وب سواه .

(١) أي : أيسبك حل القرار والحرية أن يقال : الله أكبر ؟ .

(٢) تحفة الأحرفي ، تفسير سورة التوبة ، المجلد ٩٣ : ٥٠٩٢/٨ - ٤٩٢ - ٤٩٤ . وقال الترمذي : « هذا حديث غريب » . وقال الحافظ أبو البصل صاحب تحفة الأحرفي : « وأخرج أحمد ، وابن جرير ، وابن حبه ، وعبد بن حديد ، وابن المنذر ، وأبو الشيخ ، وابن مردويه ، والبيهقي في سننه » . وينظر تفسير الطبري : ٢٠٩/١٤ - ٢١١ .

يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ آيَاتِنَا فَهُمْ يُبْكَرُونَ ۚ وَلَا يُؤْمِنُ اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُرَدُّ وَرُوحَهُ الْكَافِرُونَ ﴿٣٥﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ
رُسُلَهُ بِالْهَدْيِ وَذِينَ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۚ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٦﴾

يقول تعالى : يريد هؤلاء الكفار من المشركين وأهل الكتاب (أن يطفئوا نور الله) ، أى : ما بعث به رسوله من الهدى ودين الحق ، بمجرد جللم واقرائهم ، فظنهم في ذلك كمثل من يريد أن يطفى شمع الشمس ، أو نور القمر بفضحه ، وهذا لا سبيل إليه ، فكل ذلك ما أرسل الله به رسوله لا بد أن يتم ويظهر ، ولعلنا قال تعالى مقابلا لم فيما راموه وأرادوه : (ويأتى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) :

والكافر : هو الذى يستر للشيء ويغطيه ، ومنه سعى الليل «كافرا» ، لأنه يستر الأشياء ، والزوارح كافرا ، لأنه يطفى الحطب في الأرض ، كما قال : (يسجب الكفار ليله) .

ثم قال تعالى : (هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق) ، فالهدى : هو ما جاء به من الإخبارات الصادقة ، والإيمان الصحيح ، والعلم النافع - ودين الحق : هى الأعمال الصحيحة النافعة في الدنيا والآخرة .

(يظهر على الذين كله) ، أى : على سائر الأديان ، كما ثبت في الصحيح ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله رزقنى (١) إلى الأرض مشارقتها ومقاربتها ، وسيلع ملك أمى ما رزقنى منها (٢) » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن محمد بن أبى يعقوب : سمعت شقيق بن حيان يحدث عن مسعود بن قبيصة - أو : قبيصة بن مسعود - يقول : صلى هذا الحلى من « محارب » الصبح ، فلما صلا قال شاب منهم : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إنه سيفتح لكم مشارق الأرض ومقاربتها ، وإن عمالها في النار ، إلا من اتقى الله وأدى الأمانة (٣) :

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو المنيرة ، حدثنا صفوان ، حدثنا سليم بن عامر ، عن نعيم الدارى رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ليلن هذا الأمر ما بلغ الليل ونهار ، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله هذا الدين ، بئر حزين ، أو بئر ذليل ، هذا بئر الله به الإسلام ، وهذا بئر الله به الكفر - فكان نعيم الدارى يقول : « قد عرفت ذلك في أهل بيتى ، لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشر والبر ، ولقد أصاب من كان منهم كافرا ذللك والمصارع والجزية (٤) » :

(١) الله : جمع .

(٢) سلم : كتاب الفتن ، باب « ذلك كله الأمة بشعب يبعث » : ١٧١/٨ .

(٣) مسند الإمام أحمد : ٣٦٦/٥ ، ٣٦٧ .

(٤) مسند الإمام أحمد : ١٠٣٤٤ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن عبد ربه ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثني ابن جابر ، سمعت مسلم بن عامر قال : سمعت المقداد بن الأسود يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يبق حلى وجه الأرض بيت مَدَرٌ ولا وبر ، إلا أدخله الله [كلمة الإسلام] جزرٌ عزيز ، أو بلك ذليل ، إما يترحم الله فيجعلهم من أهلها ، وإما يلجم فيدينون لها ^(١) » .

والمتند أيضا : حدثنا محمد بن أبي عدي ، عن ابن عون ، عن ابن سيرين ، عن أبي حنيفة ، عن عدي بن حاتم سمعه يقول : دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا عدي ، أسلم تسلم . قلت : إني من أهل دين : قال : أنا أعلم بدينك منك . قلت : أنت أعلم بديني مني ؟ . قال : نعم ، أنت من الركسية ، وأنت تأكل مبراع قومك ؟ قلت : بلى . قال : فان هذا لا يحمل لك في دينك . قال : فلم يحد أن قالنا فتواضعت لها ، قال : أما إني أعلم ما الله بمنك من الإسلام ، تقول : إنما اتبعه ضعة الناس ومن لا قوة له ، وقد رمتهم العرب ، أنعرف الحيرة ؟ قلت : لم أرها ، وقد سمعت بها . قال : فوللى نفسى بيده ليتنن الله هذا الأمر حتى تخرج الظئمة من الحيرة ، حتى تطوف بالبيت في غير جوار أحد ، ولتفتحن كنوز كسرى بن هرمز - قلت : كسرى بن هرمز ؟ . قال : نعم ، كسرى ابن هرمز ، وليحدكن المال حتى لا يقبله أحد - قال : عدي بن حاتم : فهذه الظئمة تخرج من الحيرة ، فتطوف بالبيت في غير جوار أحد ، ولقد كنت فيمن فتح كنوز كسرى بن هرمز ، وللى نفسى بيده لتكونن الثالثة ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قالها ^(٢) .

وقال مسلم : حدثنا أبو معن زيد بن يزيد الرقاشي ، حدثنا خالد بن الحارث ، حدثنا عبد الحميد بن جعفر ، عن الأسود بن العلاء ، عن أبي سلمة ، عن عائشة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا يلعب الليل والنهار حتى تهب اللات والمزى . قلت : يا رسول الله ، إن كنت لأظن حين أنزل الله عز وجل : (هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق) ، إلى قوله : (ولو كره المشركون) أن ذلك تام ، قال : إنسيكون من ذلك ما شاء الله عز وجل ، ثم يبعث الله رجلا طيبة [فيبقى كل من كان في قلبه مقال حبة خردل من إيمان] فيبقى من لا خير فيه ، فيرجعون إلى دين آبائهم ^(٣) .

* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْيَارِ وَالرَّعِيَانِ لَأَكْرَهْنَ أَمْوَالَ الْنَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنُزُونَ الذَّهَبَ وَالنَّفْصَةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَحْصِي عُلَاقِيًا فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَمْسًا مِّائًا مِّنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَمَا تَبِخَّرْتُمْ إِلَّا نَفْسَكُم مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿١٦﴾

قال المدنى : « الأخيار من اليهود ، والرحمان من الصابري ^(٤) » .

(١) مسند الإمام أحمد : ٤/٦ .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٤/٢٥٧ . وجها السنة . ويتر هذا القيل في المسند : ٣٧٨ ، ٣٧٧/٤ .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب القتن ، باب « لا تقوم الساعة حتى تصبه حوس ذاك الحلة » : ١٨٢/٨ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٦٤٨ : ٢١٦/١٤ .

وهو كما قال ، فإن الأحبار هم علماء اليهود ، كما قال تعالى : (لو لا ينههم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت) ، والرهان : عباد النصارى ، والقسيسون علماءهم ، كما قال تعالى : (ذلك بأن منهم قسيسين وربهاً وأتباعهم لا يستكبرون) .

والمقصود : التحذير من علماء سوء وعبيد الضلال ، كما قال سفيان بن عيينة : « من فسد من علمائنا كان فيه شبه من اليهود ، ومن فسد من عبيدنا كان فيه شبه من النصارى » . وفي الحديث الصحيح : « لَتَرْكِبُنَّ سَتَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَدُّو الْقُدَّةَ (١) بِالْقُدَّةِ » قالوا : اليهود والنصارى ؟ قال : فن ؟ - وفي رواية : فارس والروم ؟ قال : وَسَنَ النَّاسِ إِلَّا هَؤُلَاءِ ؟ » .

والحاصل التحذير من التشبه بهم في أحوالهم وأقوالهم ، ولهذا قال تعالى : (لِيَأْكُلُوا أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ) ، وذلك أنهم يأكلون الدنيا بالدين ومناصبهم ورياستهم في الناس ، يأكلون أموالهم بملك ، كما كان لأحبار اليهود على أهل الجاهلية شرف ، [ولم] عندهم خَرَج (٢) ، ولهذا وضرائب نجىء إليهم ، فلما بعث الله رسوله - صلوات الله وسلامه عليه - استمروا على ضلالهم وكفرهم وندادهم ، فلما منهم أن تبقى لهم تلك الرياسات ، فأطاعوا الله بنور النبوة ، وسلمهم إياها ، وعرضهم بالذلة والمسكنة ، وياحوا يفضب من الله .

وقوله تعالى : (وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) أي : وهم مع أكلهم الحرام يصدون الناس عن اتباع الحق ، ويكسبون الحق بالباطل ، ويظهرون لمن اتبعهم من الجهلة أنهم يهدون إلى الخير ، وليسوا كما يزعمون ، بل هم دعاة إلى النار ، ويوم القيامة لا ينصرون .

وقوله : (وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالتَّقِصَةَ وَلَا يَقْتُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) ، هؤلاء هم القسم الثالث من رؤوس الناس ، فإن الناس حالة على العلماء ، وعلى العباد ، وعلى أرباب الأموال ، فإذا فسدت أحوال هؤلاء فسدت أحوال الناس ، كما قال بعضهم :

وَهَلْ أُنْسَكَ الدِّينَ إِلَّا الْمَكُوتُ وَأَجْلُ سُوْمٍ وَهَبَاكُنْهَا ؟

وأما الأكثر فقال مالك ، من عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر أنه قال : هو المال الذي لا تؤدي منه الزكاة .

وروى الثوري وغيره عن عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : « ما أدى زكاته فليس بكثر ، وإن كان تحت سبع أرضين ، وما كان ظاهراً لا تؤدي زكاته فهو كثر » : وقد روى هذا عن ابن عباس ، وجابر ، وأبي هريرة

(١) الفتنة : واحدة الفتنة - يتم فتح - وهي ريش السهم ، أي : كما تقدر كل واحدة من الريش مل قدر صاحبها وتقطع ، يضرب مثلاً للذين يسعون ولا يثبتون . ولم يقع لنا لفظ هذا الحديث في كتاب واحد ، ولفظ الحديث كان في صحيح البخاري كتاب الإحصاء ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : « إني من سنن من كان قبلكم » ١٢٦/٨ : « لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمي بأذن القرون قبلها ، خير أجيء ، وخيراً ما يلوح . قيل : يا رسول الله ، كفارس والروم ؟ فقال : ومن الناس إلا أولئك » . وروى الإمام أحمد من شاذ من أوسن من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليجان شرار هذه الأمة من سنن الذين خلوا قبلهم أهل الكتاب ، سيرا الفتنة بالفتنة » . المسند : ٢٥/٤ .

(٢) الخرج - يخرج فسكون - والخراج : واحد ، وهو شيء يخرج القوم في السنة من مالهم بقدر معلوم . والخرج والخراج : الإتاوة تؤخذ من أموال الناس .

